



مركز
للبحوث والتحریرات الكمبيوترية

اصبهان

الغمامة



عليه السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْهَا لَحْزَامٌ كَرَامَةٌ

وَمَعْرِفَةُ الرُّسُلِ

لِيُحْيِيَ فِي قُلُوبِنَا نُورَ الشَّيْخَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْهَادِيَةِ

وَالرُّسُلِ عَلَى مَنَاجِلِ الشَّيْخَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

المجلد ١-٣

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح منهاج الكرامه فى معرفه الامامه

كاتب:

السيد على الحسينى الميلانى

نشرت فى الطباعة:

الحقايق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٢	شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة
٢٢	اشارة
٢٢	الجزء (١)
٢٢	كلمة المركز ... ص: ٥
٢٢	متن كتاب منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ... ص: ٧
٢٢	اشارة
٢٣	الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة ... ص: ١١
٢٤	الفصل الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ١٣
٢٤	اشارة
٢٥	الوجه الأول ... ص: ١٤
٢٩	الوجه الثاني: في الدلالة على وجوب أتباع مذهب الإمامية ... ص: ٢٤
٣٠	الوجه الثالث ... ص: ٢٤
٣٠	الوجه الرابع ... ص: ٢٥
٣٥	الوجه الخامس ... ص: ٣٤
٣٩	الوجه السادس ... ص: ٤٣
٤٥	المطاعن في الجماعة ... ص: ٥٣
٥٠	الفصل الثالث: في الأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ... ص: ٦٣
٥٠	اشارة
٥٠	المنهج الأول: في الأدلة العقلية ... ص: ٦٣
٥١	المنهج الثاني: في الأدلة المأخوذة من القرآن ... ص: ٦٥
٦٠	المنهج الثالث: في الأدلة المستندة إلى السنة المنقولة عن النبي وهي اثنا عشر ... ص: ٨٢
٦٣	المنهج الرابع: في الأدلة على إمامته المستنبطة من أحواله وهي اثنا عشر ... ص: ٨٨

٦٩	الفصل الرابع: فى إمامة باقى الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ... ص: ١٠١
٧٠	الفصل الخامس: فى أن من تقدمه لم يكن إماما ... ص: ١٠٣
٧١	الفصل السادس: فى نسخ حججهم على إمامة أبى بكر ... ص: ١٠٧
٧٣	شرح منهاج الكرامة والرد على منهاج ابن تيمية ... ص: ١١١
٧٣	إشارة
٧٣	مقدمة الشارح ... ص: ١١٣
٧٤	شرح المقدمة ... ص: ١١٤
٧٤	إشارة
٧٤	مكانة الإمامة فى الدين ... ص: ١١٥
٧٦	الفصل الأول: فى نقل المذاهب فى هذه المسألة ... ص: ١١٩
٧٦	إشارة
٧٦	الإشارة إلى اصول الدين عند الامامية ... ص: ١٢١
٧٧	نصب الإمام لطف ... ص: ١٢٢
٧٨	الإشارة إلى اصول الدين عند أهل السنة ... ص: ١٢٤
٧٨	إشارة
٨٠	قولهم: التبي لم ينص على أحد ... ص: ١٢٧
٨١	من الشواهد على عدم النص على أبى بكر ... ص: ١٢٩
٨٤	إمامة أبى بكر كانت ببيعة عمر ... ص: ١٣٤
٨٦	تراجم الذين انعقدت خلافة أبى بكر برضاهم ... ص: ١٣٩
٨٧	إمامة عمر بنص أبى بكر ... ص: ١٤٠
٨٧	البيعة لعثمان فى الشورى ... ص: ١٤١
٨٩	إمامة على عليه السلام ببيعة المسلمين ... ص: ١٤٣
٩٠	قول أهل السنة بإمامة بنى أمية وبنى العباس ... ص: ١٤٦
٩٤	الفصل الثانى: فى أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ١٥٣

- ٩٤ اشارة
- ٩٤ الآراء المختلفة من الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله ... ص: ١٥٥
- ٩٧ فى أن أبا بكر طلب الأمر لنفسه ... ص: ١٦١
- ٩٩ دفاع ابن تيمية عن عمر بن سعد ... ص: ١٦٤
- ١٠٢ الكثرة لا تستلزم الصواب ... ص: ١٧٠
- ١٠٣ طلب الإمام الأمر بحق ... ص: ١٧١
- ١٠٤ الأدلة على وجوب اتباع مذهب الإمامية ... ص: ١٧٣
- ١٠٤ اشارة
- ١٠٤ الوجه الأول ... ص: ١٧٣
- ١٠٤ اشارة
- ١٠٥ موجز عقائد الإمامية فى صفات البارى والأنبياء والأئمة ... ص: ١٧٤
- ١٠٥ إزراء ابن تيمية بأئمة أهل البيت ... ص: ١٧٥
- ١٠٧ موجز عقائد غير الإمامية وما يرد عليها ... ص: ١٧٩
- ١١٠ كلام الإمام الكاظم عليه السلام فى أن المعصية ممتن ... ص: ١٨٤
- ١١٢ عقيدة أهل السنة فى عصمة الأنبياء ... ص: ١٨٨
- ١١٣ عقيدة أهل السنة فى الأئمة والإمامة ... ص: ١٩٠
- ١١٥ ابتداعهم للقياس ... ص: ١٩٣
- ١١٦ إضطرارهم إلى القول بامور شنيعة ... ص: ١٩٤
- ١٢١ من موارد جهل الصحابة بالأحكام ... ص: ٢٠٢
- ١٢٣ الوجه الثانى ... ص: ٢٠٨
- ١٢٣ اشارة
- ١٢٣ استدلال النصير الطوسى ... ص: ٢٠٨
- ١٢٥ الوجه الثالث ... ص: ٢١٢
- ١٢٥ اشارة

١٢٥	جزم الإمامية بحصول النجاة لهم ... ص: ١١٢
١٢٧	الوجه الرابع ... ص: ٢١٥
١٢٧	اشارة
١٢٧	تعريف مجمل بالأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ... ص: ٢١٥
١٢٧	الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ... ص: ٢١٦
١٢٧	اشارة
١٢٨	كثره معجزاته ... ص: ٢١٨
١٢٩	الحسن والحسين عليهما السلام ... ص: ٢١٩
١٣١	زهدهما وعلمهما ... ص: ٢٢٢
١٣٢	جهادهما ... ص: ٢٢٤
١٣٣	بين الحسين وإبراهيم ابن رسول الله ... ص: ٢٢٥
١٣٤	الإمام على بن الحسين عليه السلام ... ص: ٢٢٨
١٣٤	اشارة
١٣٧	استلزامه الحجر وشعر الفرزدق ... ص: ٢٣٣
١٣٨	الإمام محمد الباقر عليه السلام ... ص: ٢٣٥
١٣٨	اشارة
١٣٩	موجز ترجمة إمامهم الزهري ... ص: ٢٣٦
١٤١	سمه رسول الله الباقر ... ص: ٢٣٩
١٤١	روى عنه أبو حنيفة وغيره ... ص: ٢٤٠
١٤٢	الإمام جعفر الصادق عليه السلام ... ص: ٢٤١
١٤٢	اشارة
١٤٤	انتشار العلوم منه ... ص: ٢٤٤
١٤٦	الإمام موسى الكاظم عليه السلام ... ص: ٢٤٧
١٤٦	اشارة

١٤٨	قصّة شقيق البلخي ... ص: ٢٥١
١٤٩	توبة بشر الحافي على يده ... ص: ٢٥٣
١٥٠	الإمام على الرضا عليه السلام ... ص: ٢٥٥
١٥٠	اشارة
١٥٢	أخذ الفقهاء عنه ... ص: ٢٥٨
١٥٤	ترجمة أبي الصلت الهروي ... ص: ٢٦٢
١٥٥	إسلام معروف الكرخي على يده ... ص: ٢٦٣
١٥٦	قضية زيد النار ... ص: ٢٦٥
١٥٨	روايات في فضل زيد بن علي ... ص: ٢٦٨
١٦٠	مدح أبي نؤاس الرضا عليه السلام ... ص: ٢٧١
١٦٠	ترجمة أبي نؤاس ... ص: ٢٧٢
١٦٣	شعر أبي نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام ... ص: ٢٧٦
١٦٥	الإمام محمد الجواد عليه السلام ... ص: ٢٧٩
١٦٥	اشارة
١٦٦	قصّة يحيى بن أكثم ... ص: ٢٨٠
١٦٧	الإمام على الهادي عليه السلام ... ص: ٢٨٣
١٦٧	اشارة
١٦٧	ما لاقاه من المتوكل ... ص: ٢٨٣
١٧٢	ترجمة المسعودي ... ص: ٢٩١
١٧٤	الإمام الحسن العسكري عليه السلام ... ص: ٢٩٤
١٧٤	اشارة
١٧٤	روت عنه العائنة كثيرا ... ص: ٢٩٥
١٨١	الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ... ص: ٣٠٧
١٨١	اشارة

- ١- الاعتقاد بالمهدى من ضروريات الدين ... ص: ٣١١ ١٨٣
- ٢- من أشهر المؤلفين من أهل السنة فى المهدى ... ص: ٣١٢ ١٨٣
- ٣- من أشهر القائلين بصحة أخبار المهدى أو تواترها ... ص: ٣١٣ ١٨٤
- ٤- المهدى من هذه الأمة ... ص: ٣١٤ ١٨٥
- ٥- المهدى من عترة النبى وأهل بيته ... ص: ٣١٧ ١٨٧
- ٦- المهدى من ولد فاطمة ... ص: ٣١٨ ١٨٧
- ٧- المهدى من ولد الحسين ... ص: ٣١٩ ١٨٨
- ٨- ذكر بعض من قال بأن المهدى هو ابن الحسن العسكرى ... ص: ٣٢٦ ١٩١
- النظر فى كلام ابن تيمية والرد عليه ... ص: ٣٢٧ ١٩٢
- نسبة القول بأن الإمام العسكرى لم يعقب إلى الطبرى ... ص: ٣٢٧ ١٩٢
- مسألة طول العمر ... ص: ٣٣٣ ١٩٥
- حديث: اسم أبيه اسم أبى ... ص: ٣٣٦ ١٩٧
- اضطهاد الحكام لأهل البيت وشيعتهم ... ص: ٣٤٢ ٢٠١
- إشارة ٢٠١
- كلام لأبى بكر الخوارزمى ... ص: ٣٤٢ ٢٠١
- كلام للسيد على بن معصوم المدنى ... ص: ٣٥٢ ٢٠٦
- كلام للسيد حيدر الأملى ... ص: ٣٥٦ ٢٠٨
- نظر واعتبار ... ص: ٣٥٦ ٢٠٨
- كلام لأبى جعفر الإسكافى ... ص: ٣٦١ ٢١٠
- الأوقاف والرواتب لأئمة أتباع المذاهب الأربعة ... ص: ٣٦٤ ٢١١
- إشارة ٢١١
- بعض علمائهم على دين الإمامية فى الباطن ... ص: ٣٦٩ ٢١٤
- الجزء (٢) ٢١٦
- الوجه الخامس: من الوجوه الدالة على أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ٥ ٢١٦

- ٢١٦ اشارة
- ٢١٦ إن الإمامية لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق ... ص: ٧
- ٢١٦ منعهم سنن الشريعة لأنها شعار للشيعه ... ص: ٧
- ٢١٦ تسطيح القبور ... ص: ٧
- ٢١٨ جواز الصلاة على آحاد المسلمين ... ص: ١٠
- ٢١٨ التختم في اليمين ... ص: ١١
- ٢١٨ كيفية العمامه ... ص: ١١
- ٢٢٠ من البدع والمحدثات الباقية إلى الآن ... ص: ١٤
- ٢٢٠ ذكر الخلفاء في الخطبة ... ص: ١٤
- ٢٢٤ غسل الرجلين في الوضوء ... ص: ٢١
- ٢٢٤ دلالة الكتاب على المسح ... ص: ٢٦
- ٢٣٠ دلالة السنة على المسح ... ص: ٣٢
- ٢٣٢ الإضطراب والتلاعب بالأحاديث ... ص: ٣٦
- ٢٣٣ عمده الدليل من السنة على الغسل ... ص: ٣٨
- ٢٣٤ الكلام على حديث الأعقاب ... ص: ٣٩
- ٢٣٦ اللجوء إلى الإحتياط ... ص: ٤٢
- ٢٣٧ تحريم المتعتين ... ص: ٤٥
- ٢٥٤ مسألة فدك ... ص: ٧٤
- ٢٥٤ اشارة
- ٢٥٥ كلام ابن تيمية ... ص: ٧٧
- ٢٧١ خطبة على ابنه أبي جهل خبر مفتعل ... ص: ١٠٣
- ٢٧٩ إعطاء أبي بكر المال لجابر بلا بينة ... ص: ١١٧
- ٢٨١ تسمية أبي بكر بالصدیق ... ص: ١٢٠
- ٢٨٤ تسمية أبي بكر (خليفة ...) ... ص: ١٢٥

- ٢٨٥ كان أبو بكر في جيش اسامة ... ص: ١٢٨
- ٢٨٦ تسمية عمر (الفاروق ...) ص: ١٣٠
- ٢٨٦ اشارة
- ٢٨٧ من رواة الحديث الأول ... ص: ١٣١
- ٢٨٨ من رواة الحديث الثاني ... ص: ١٣٢
- ٢٨٩ تعظيمهم عائشة وقضاياها مع النبي وعلى ... ص: ١٣٤
- ٢٨٩ اشارة
- ٢٩٠ إذاعة عائشة سر رسول الله ... ص: ١٣٦
- ٢٩٢ إخبار النبي بخروجها على ... ص: ١٣٩
- ٢٩٣ مخالفتها لنص الكتاب ... ص: ١٤١
- ٢٩٤ خروجها تقود الجيوش ...! ص: ١٤٦
- ٢٩٧ في أنها كانت من المحرضين ضد عثمان ... ص: ١٤٨
- ٣٠١ تسميتهم عائشة فقط بأمر المؤمنين ... ص: ١٥٤
- ٣٠٢ تسميتهم معاوية (خال المؤمنين ...) ص: ١٥٦
- ٣٠٢ اشارة
- ٣٠٢ لعن النبي معاوية ... ص: ١٥٧
- ٣٠٣ أمره بقتله ... ص: ١٥٨
- ٣٠٥ حارب الإمام الحق ... ص: ١٦١
- ٣٠٦ تسميتهم معاوية (كاتب الوحي ...) ص: ١٦٣
- ٣٠٦ اشارة
- ٣١٠ موته على غير السنة ... ص: ١٧٠
- ٣١١ لعن الله القائد والمقود ... ص: ١٧٢
- ٣١٢ محاربته علياً وقتله خيار الصحابة ... ص: ١٧٣
- ٣١٢ لعنه أمير المؤمنين ... ص: ١٧٤

- ٣١٤ فى أنه سم الحسن ... ص: ١٧٧
- ٣١٥ فى قتل يزيد بن معاوية الحسين ... ص: ١٧٨
- ٣٢٥ إشارة إلى أبى سفيان وهند ... ص: ١٩٦
- ٣٢٥ تسمية خالد (سيف الله ...) ص: ١٩٧
- ٣٢٥ إشارة
- ٣٢٦ على الأحق بهذا اللقب ... ص: ١٩٨
- ٣٢٨ على سيف الله وسهمه ... ص: ٢٠٢
- ٣٣٠ خالد قبل التظاهر بالإسلام ... ص: ٢٠٥
- ٣٣١ خالد بعد التظاهر بالاسلام ... ص: ٢٠٦
- ٣٣٢ فى غارة خالد على بنى جذيمة ... ص: ٢٠٨
- ٣٣٢ إنه بعث داعياً لا مقاتلاً ... ص: ٢٠٨
- ٣٣٤ كانوا مسلمين ... ص: ٢١١
- ٣٣٥ التنبب الأصلى للغارة ... ص: ٢١٣
- ٣٣٦ اعتذار القوم لخالد ... ص: ٢١٦
- ٣٣٧ إرسال النبى علياً ... ص: ٢١٧
- ٣٣٨ ما فعله خالد بأهل اليمامة وهم مسلمون ... ص: ٢١٩
- ٣٣٩ الإشارة إلى مالك بن نويرة ... ص: ٢٢٠
- ٣٣٩ فى قول النبى لعلى وأهل البيت: أنا حرب لمن حاربكم ... ص: ٢٢١
- ٣٤١ فى أن حروب أمير المؤمنين كانت بأمر من رسول الله ... ص: ٢٢٥
- ٣٤٣ بين معاوية وإبليس ... ص: ٢٢٧
- ٣٤٤ قول بعضهم بإمامة يزيد ... ص: ٢٢٩
- ٣٤٤ إشارة
- ٣٤٩ قول بعضهم بكفره ولعنه ... ص: ٢٣٨
- ٣٥٣ مما حدث فى العالم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ... ص: ٢٤٥

- وصية النبي بالحسنين ... ص: ٢٤٧ ٣٥٤
- توقف بعضهم في لعن يزيد ... ص: ٢٤٨ ٣٥٤
- حديث ابن عباس في عذاب قاتل الحسين ... ص: ٢٤٩ ٣٥٥
- حكاية السدى ... ص: ٢٥٠ ٣٥٥
- كلام أحمد بن حنبل في يزيد ... ص: ٢٥١ ٣٥٦
- واقعة الحرة ... ص: ٢٥٢ ٣٥٦
- ضرب الكعبة بالمنجنيق ... ص: ٢٥٢ ٣٥٧
- ومن الأحاديث في عذاب قاتل الحسين ... ص: ٢٥٣ ٣٥٧
- الوجه السادس: من الوجوه الدالة على أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ٢٥٥ ٣٥٨
- إشارة ٣٥٨
- من فضائل أمير المؤمنين ... ص: ٢٦٠ ٣٦٠
- آية التطهير وحديث الكساء ... ص: ٢٦٠ ٣٦٠
- آية النجوى وفضيلة أمير المؤمنين ... ص: ٢٦٧ ٣٦٤
- نزول قوله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...» ... ص: ٢٧٢ ٣٦٧
- حديث الوصاية ... ص: ٢٧٦ ٣٦٩
- صعود على منكب النبي لكسر الأصنام ... ص: ٢٨٤ ٣٧٤
- قوله لفاطمة: ألا ترضين أني زوجتك ... ص: ٢٨٥ ٣٧٤
- حديث الصديقون ثلاثة ... ص: ٢٨٧ ٣٧٦
- حديث أنت مني وأنا منك ... ص: ٢٨٩ ٣٧٧
- حديث ابن عباس في الفضائل العشر ... ص: ٢٩٠ ٣٧٧
- أحاديث رواها الخوارزمي ... ص: ٢٩٣ ٣٧٩
- إشارة ٣٧٩
- الحديث الأول: لو أن عبداً عبد الله ... ص: ٢٩٧ ٣٨٢
- الحديث الثاني: قال رجلٌ لسلمان: ما أشدَّ حبك لعلی !... ص: ٢٩٩ ٣٨٣

- الحديث الثالث: خلق الله من نور وجه على ... ص: ٣٠٠ ٣٨٣
- الحديث الرابع عن ابن عمر: من أحبّ علياً ... ص: ٣٠٢ ٣٨٤
- الحديث الخامس: عن ابن مسعود ... ص: ٣٠٤ ٣٨٤
- الحديث السادس: لا يزول قدم عبد ... ص: ٣٠٧ ٣٨٧
- الحديث السابع: بأيّ لغة خاطبك ربك ... ص: ٣٠٩ ٣٨٨
- الحديث الثامن: لو أن الرياض أقلام ... ص: ٣١٠ ٣٨٩
- الحديث التاسع: ان الله جعل لعلی فضائل ... ص: ٣١١ ٣٨٩
- اشارة ٣٨٩
- ترجمة أبي العلاء العطار ... ص: ٣١٢ ٣٩٠
- الحديث العاشر: لمبارزة على ... ص: ٣١٣ ٣٩١
- الحديث الحادى عشر: حديث سعد فى مجلس معاوية ... ص: ٣١٥ ٣٩٢
- الحديث الثانى عشر: المناشدة فى الشورى ... ص: ٣١٨ ٣٩٣
- أحاديث رواها أبو عمر الزاهد ... ص: ٣٢٧ ٣٩٩
- اشارة ٣٩٩
- الحديث الأول: عن ابن عباس: لعلی أربع خصال ... ص: ٣٢٨ ٣٩٩
- الحديث الثانى: حديث المعراج ... ص: ٣٣١ ٤٠١
- الحديث الثالث: أنا الفتى ... ص: ٣٣٢ ٤٠٢
- الحديث الرابع: عن أبي ذر ... ص: ٣٣٤ ٤٠٣
- أحاديث رواها صاحب الفردوس ... ص: ٣٣٧ ٤٠٥
- اشارة ٤٠٥
- الحديث الأول: حبّ على حسنة لا تضرّ معها سيئة ... ص: ٣٣٨ ٤٠٦
- الحديث الثانى: حبّ آل محمد خير من عبادة سنة ... ص: ٣٤٠ ٤٠٧
- الحديث الثالث: عن أنس: كنت جالساً عند النبيّ ... ص: ٣٤٠ ٤٠٧
- الحديث الرابع: لو اجتمع الناس على حبّ على ... ص: ٣٤٢ ٤٠٨

أحاديث رواها الكنجى ... ص: ٣٤٢	٤٠٨
اشارة	٤٠٨
الحديث الأول: عن أبى برزة ... ص: ٣٤٣	٤٠٩
الحديثان الثانى والثالث ... ص: ٣٤٧	٤١١
المطاعن فى الجماعة ... ص: ٣٥٠	٤١٣
ما روهه عن أبى بكر ... ص: ٣٥٢	٤١٤
المورد الأول ... ص: ٣٥٢	٤١٤
المورد الثانى ... ص: ٣٥٧	٤١٧
اشارة	٤١٧
الوجه الأول ... ص: ٣٦٢	٤٢٠
الوجه الثانى ... ص: ٣٦٣	٤٢٠
الوجه الثالث ... ص: ٣٦٣	٤٢١
الوجه الرابع ... ص: ٣٦٤	٤٢١
الوجه الخامس ... ص: ٣٦٤	٤٢١
المورد الثالث ... ص: ٣٦٥	٤٢٢
اشارة	٤٢٢
١- جهة المتن والدلالة ... ص: ٣٦٨	٤٢٤
٢- كيف كانت بيعه أبى بكر ...؟ ص: ٣٧٥	٤٢٧
الجزء (٣)	٤٣٠
المورد الرابع: قال قدس سره: «وقال أبو بكر عند موته: ليتنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأتصار فى هذا الأمر حق ...؟» ص: ٥	
المورد الخامس: قال قدس سره: وقال عند احتضاره: ليت أمتى لم تلدنى. يا ليتنى كنت تبنه فى لبنه ... ص: ١٠	٤٣٣
المورد السادس: قال قدس سره: وقال أبو بكر: ليتنى فى ظلّ بنى ساعدة ضربت يدى على يد أحد الرجلين ... ص: ١١	٤٣٤
المورد السابع: قال قدس سره: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرض موته مرةً بعد اخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة، لعن الله المتخلف ع	
المورد الثامن: قال قدس سره: وأيضاً: لم يولّ أباً بكر عملاً ألبته فى وقته ... ولمّا أنفذه بسورة براءة ردّه ... ص: ١٩	٤٣٨

- المورد التاسع: قال قدس سره: وقطع يسار سارق ... ص: ٢٦----- ٤٤٢
- المورد العاشر: قال قدس سره: وأحرق الفجاءة السلمي بالنار ... ص: ٢٧----- ٤٤٣
- المورد الحادى عشر: قال قدس سره: وخفى عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلاله ... ص: ٣١----- ٤٤٥
- المورد الثانى عشر: قال قدس سره: وقضى فى الجد سبعين قضيه ... ص: ٣٢----- ٤٤٥
- اشاره----- ٤٤٥
- قال قدس سره: فأى نسبة إلى من قال: سلونى ؟... ص: ٣٣----- ٤٤٦
- قال قدس سره: وعن البيهقى فى كتابه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أراد أن ينظر إلى آدم ... ص: ٣٤----- ٤٤٧
- قال قدس سره: قال أبو عمر الزاهد قال أبو العباس ثعلب: لا نعلم أحداً قال بعد نبته سلونى، من شئت إلى محمد صلى الله عليه وآله إلا علياً ... ص
- المورد الثالث عشر: قال قدس سره: وأهمل حدود الله، فلم يقتض من خالد بن الوليد ... ص: ٣٧----- ٤٤٨
- المورد الرابع عشر: قال قدس سره: وخالف أمر الله تعالى فى توريث بنت النبی صلى الله عليه وآله ومنعها فداً ... ص: ٣٧----- ٤٤٨
- المورد الخامس عشر: قال قدس سره: وتسمى خليفه رسول الله من غير أن يستخلفه ... ص: ٣٧----- ٤٤٨
- ما روه عن عمر بن الخطاب ... ص: ٤١----- ٤٥٠
- المورد الأول: قال قدس سره: ومنها: ما روه عن عمر ... ص: ٤١----- ٤٥٠
- المورد الثانى: قال قدس سره: وروى صاحب الجمع بين الصحاح الستة فى مسند ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أخرجوا عنى ...
- المورد الثالث: قال قدس سره: وقال لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله: واللّه ما مات محمد ... ص: ٥٣----- ٤٥٧
- المورد الرابع: قال قدس سره: ولما وعظت فاطمة عليها السلام أبا بكر فى فدا كتب لها كتاباً وردّها عليها، فخرجت من عنده فلقبها عمر فخرق الك
- المورد الخامس: قال قدس سره: وعطل حدّ الله تعالى، فلم يحد المغيرة بن شعبه ... ص: ٦٠----- ٤٦١
- المورد السادس: قال قدس سره: وكان يعطى أزواج النبی صلى الله عليه وآله من بيت المال أكثر مما ينبغى ... ص: ٧٢----- ٤٦٧
- المورد السابع: قال قدس سره: وغیر حکم الله تعالى فى المتعتين ... ص: ٧٤----- ٤٦٩
- المورد الثامن: قال قدس سره: وكان قليل المعرفة بالأحكام ... ص: ٧٤----- ٤٦٩
- اشاره----- ٤٦٩
- ١- أمره برجم المرأة الحامل ... ص: ٧٤----- ٤٦٩
- ٢- أمره برجم مجنونه ... ص: ٧٧----- ٤٧١
- ٣- منعه من المغالاة فى المهر ... ص: ٧٩----- ٤٧٢

- ٤- شرب قدامه الخمر وجهل عمر ... ص: ٨١ ٤٧٣
- ٥- جهله في حكم إجهاض المرأة خوفاً منه ... ص: ٨٤ ٤٧٤
- ٦- تنازع المرأتين في الطفل وجهله بالحكم ... ص: ٨٤ ٤٧٥
- ٧- أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر ... ص: ٨٥ ٤٧٥
- المورد التاسع: قال قدس سره: وكان يضطرب في الأحكام، فقضى في الجد بمائة قضية ... ص: ٨٦ ٤٧٦
- المورد العاشر: قال قدس سره: وكان يفضل في الغنيمة والعطاء وأوجب الله تعالى التسوية ... ص: ٨٧ ٤٧٧
- المورد الحادي عشر: قال قدس سره: وقال بالرأى والحدس والظن ... ص: ٨٨ ٤٧٧
- المورد الثاني عشر: قال قدس سره: وجعل الأمر شورى من بعده ... ص: ٨٨ ٤٧٧
- ما روه عن عثمان ... ص: ١٠٢ ٤٨٤
- المورد الأول: قال قدس سره: وأما عثمان، فإنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ... ص: ١٠٢ ٤٨٤
- اشارة ٤٨٤
- ١- الوليد بن عقبة ... ص: ١٠٢ ٤٨٤
- ٢- سعيد بن العاص ... ص: ١٠٥ ٤٨٦
- ٣- عبد الله بن أبي سرح «٢...» ص: ١٠٨ ٤٨٨
- ٤- معاوية بن أبي سفيان ... ص: ١١٤ ٤٩١
- ٥- عبد الله بن عامر ... ص: ١١٤ ٤٩١
- ٦- مروان بن الحكم ... ص: ١١٦ ٤٩٢
- المورد الثاني: قال قدس سره: وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين ... ص: ١١٧ ٤٩٣
- المورد الثالث: قال قدس سره: وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفره ... ص: ١٢٠ ٤٩٤
- المورد الرابع: قال قدس سره: وضرب عمراً حتى صار به فتق، وقد قال فيه النبي ... ص: ١٢٣ ٤٩٦
- اشارة ٤٩٦
- رسول الله: من عادى عماراً عاداه الله ... ص: ١٢٦ ٤٩٨
- المورد الخامس: قال قدس سره: وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله ... ص: ١٢٩ ٥٠٠
- المورد السادس: قال قدس سره: ونفى أباذر إلى الربهة ... ص: ١٣٤ ٥٠٣

- المورد السابع: قال قدس سره: وضیع حدود الله، فلم یُقد عبید الله بن عمر حين قتل الهرمزان ... ص: ١٤٨ ٥١٠
- المورد الثامن: قال قدس سره: وأراد أن یعطل حد الشرب فی الولید بن عقبه حتى حدّه أمير المؤمنين ... ص: ١٥٣ ٥١٣
- المورد التاسع: قال قدس سره: وزاد الأذان الثاني يوم الجمعة وهی بدعه ... ص: ١٥٤ ٥١٤
- الفصل الثالث: الأدلة علی إمامه أمير المؤمنين بعد رسول الله ... ص: ١٦١ ٥١٧
- اشارة ٥١٧
- المنهج الأول فی الأدلة العقلية ... ص: ١٦٣ ٥١٨
- اشارة ٥١٨
- الدليل الأول: إن الإمام يجب أن يكون معصوما ... ص: ١٦٥ ٥١٨
- اشارة ٥١٨
- العصمة لغة واصطلاحاً ... ص: ١٦٥ ٥١٨
- بل جؤزوا الكفر ... ص: ١٦٧ ٥١٩
- الدليل الثاني: إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه ... ص: ١٨٣ ٥٢٨
- الدليل الثالث: إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع ... ص: ١٨٧ ٥٣٠
- الدليل الرابع: إن الله قادر على نصب إمام معصوم ... ص: ١٩٢ ٥٣٢
- الدليل الخامس: إن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ... ص: ١٩٦ ٥٣٤
- المنهج الثاني: فی الأدلة المأخوذة من القرآن والبراهين الدالة علی إمامه علی من الكتاب العزيز و هي أربعون برهاناً ... ص: ٢٣٧ ٥٥٦
- اشارة ٥٥٦
- قال قدس سره: الأول: قوله تعالى ... ص: ٢٣٩ ٥٥٦
- اشارة ٥٥٦
- الفصل الأول: فی رواة خبر نزولها فی علی وأسانيده ... ص: ٢٥٥ ٥٦٤
- اشارة ٥٦٥
- من رواة الخبر من الصحابة والتابعين ... ص: ٢٥٥ ٥٦٥
- أشهر مشاهير رواة الخبر من العلماء ... ص: ٢٥٦ ٥٦٥
- من نصوص الخبر فی الكتب المعتمدة ... ص: ٢٦٠ ٥٦٨

٥٧٥	من أسانيده المعتبرة ... ص: ٢٧٤
٥٧٩	فوائد مهمّة ... ص: ٢٧٩
٥٧٩	اشارة
٥٧٩	الاولى: استنباط الحكم الشرعى من القضية ... ص: ٢٧٩
٥٨٠	الثانية: رأى الإمام الباقر فى نزول الآية ... ص: ٢٨١
٥٨٠	الثالثة: الخبر فى شعر حسان وغيره ... ص: ٢٨١
٥٨٠	الرابعة: قول النبى فى الواقعة: من كنت مولاه فعلى مولاه ... ص: ٢٨١
٥٨٠	الخامسة: دعاء النبى بعد القضية ... ص: ٢٨٢
٥٨٠	السادسة: إنّ الخاتم كان عقيقاً يمانياً أحمر ... ص: ٢٨٢
٥٨٠	الفصل الثانى: فى دلالة الآية على الإمامة ... ص: ٢٨٢
٥٨٢	الفصل الثالث: فى دفع شبهات المخالفين ... ص: ٢٨٥
٥٨٢	اشارة
٥٨٥	النظر فى هذه الكلمات ودفع الشبهات ... ص: ٢٩٠
٥٨٥	اشارة
٥٨٥	١- لا إجماع على نزول الآية فى على وتصدّقه ... ص: ٢٩٠
٥٨٧	٢- إنّ القول بنزولها فى حق على للشعلبى فقط وهو متفرد به ... ص: ٢٩٤
٥٨٨	٣- المراد من الولاية فيها هو النصرة بقرينة السياق ... ص: ٢٩٦
٥٨٨	٤- مجىء الآية بصيغة الجمع، وحملها على الواحد مجاز ... ص: ٢٩٦
٥٨٩	٥- الولاية بمعنى الأولوية بالتصرف غير مرادة فى زمان الخطاب ... ص: ٢٩٧
٥٩٠	٦- إنّ التصدق فى أثناء الصلاة ينافى الصلاة ... ص: ٢٩٨
٥٩١	البرهان الثانى ... ص: ٣٠٠
٥٩١	اشارة
٥٩٨	من الأسانيد المعتبرة ... ص: ٣١٣
٥٩٨	اشارة

- ١- رواية الحبرى ...: ص: ٣١٣ ٥٩٨
- ٢- رواية ابن أبى حاتم ...: ص: ٣١٤ ٥٩٨
- ٣- رواية أبى نعيم ...: ص: ٣١٥ ٥٩٩
- ٤- رواية ابن عساکر ...: ص: ٣٢٠ ٦٠٢
- ٥- رواية الواحدى ...: ص: ٣٢٢ ٦٠٣
- * ترجمه عطيه ...: ص: ٣٢٣ ٦٠٤
- محاولات يائسه ...: ص: ٣٢٨ ٦٠٧
- القضية كما فى الروايات ...: ص: ٣٣٤ ٦١١
- رواه هذا الخبر من الأئمة عليهم السلام والأصحاب ...: ص: ٣٣٥ ٦١١
- من رواه من الأعلام ...: ص: ٣٣٦ ٦١٢
- نقل القوم عن تفسير الثعلبى واعتمادهم عليه ...: ص: ٣٣٨ ٦١٣
- رواية الحموى الجوينى عن الثعلبى بالإسناد ...: ص: ٣٣٩ ٦١٤
- الحموى شيخ الذهبى ...: ص: ٣٤٠ ٦١٤
- كلمات فى الثعلبى وتفسيره ...: ص: ٣٤٠ ٦١٥
- أسانيد الخبر فى كتاب شواهد التنزيل ...: ص: ٣٤٢ ٦١٦
- دلالة الخبر على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ...: ص: ٣٤٦ ٦١٨
- البرهان الثالث ...: ص: ٣٥١ ٦٢١
- إشارة ٦٢١
- ١- رواية أبى نعيم الأصفهاني ...: ص: ٣٥٧ ٦٢٥
- ٢- رواية الخطيب البغدادي ...: ص: ٣٦٠ ٦٢٦
- ٣- رواية ابن عساکر ...: ص: ٣٦٣ ٦٢٨
- تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ٦٣٤

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة

إشارة

عنوان و نام پدید آور: شرح منهاج الكرامة في معرفه الامامه لابی منصور الحسن يوسف الشهير بالعلامة الحلي والرد على منهاج السنه لابن تيميه/ تالیف: علی الحسینی الميلانی
 مشخصات نشر: قم: الحقائق، ۱۴۲۸ ق.= ۱۳۸۶ ش.
 مشخصات ظاهری: ج.

وضعیت فهرست نویسی: در انتظار فهرست نویسی (اطلاعات ثبت)

شماره کتابشناسی ملی: ۱۵۹۰۵۹۳

الجزء (۱)

كلمة المركز ... ص: ۵

بسم الله الرحمن الرحيم
 يسرنا أن نقدم إلى الباحثين والمحققين الكرام، وإلى المكتبة الإسلامية والمكتبات العلمية، هذا السيف الجليل، من مؤلفات المحقق الفقيه آية الله الحاج السيد علي الحسيني الميلاني دامت بركاته.
 إن كتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) تأليف العلامة الحلي، الذي يعدّ من خيرة المتون الجامعة بين الأقوال المختلفة في مسائل اصول الدين، كان بحاجة إلى شرح علمي رصين، يوضح مطالبه ويشيّد مقاصده، ويدفع عنه الشبهات ويزيل التوهّمات التي أوردّها ابن تيمية وغيره من المخالفين.
 وقد طلب من سماحة السيد - منذ سنين - القيام بهذه المهمة وسدّ هذا الفراغ العلمي، فشرع بذلك، وانتشر قسم منه بسنة ۱۴۱۸، ثم وضع للشرح مدخلاً طبع بسنة ۱۴۱۹ تحت عنوان (دراسات في منهاج السنّة).
 وقد قمنا بطبع الكتاب من الأوّل، بتحقيق جديد، في مجلّدات، والحمد لله على التوفيق.
 شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ۱، ص: ۶
 هذا، ونذكر بالامور التالية:

- ۱- قد وضعنا في المقدمة المتن الكامل لكتاب (منهاج الكرامة)، المطبوع بتحقيق الاستاذ عبدالرحيم المبارك.
- ۲- قد نقلنا مطالب ابن تيمية من كتاب (منهاج السنّة) المطبوع بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، في تسعة أجزاء.
- ۳- سنضع الفهارس الفتيّة العامّة في نهاية الجزء الأخير من الكتاب إن شاء الله.

مركز الحقائق الاسلاميه

۱۴۲۸

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ۱، ص: ۷

متن کتاب منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ... ص: ۷

إشارة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الواحد، الكريم الماجد، المقدس بكماله عن الشريك والصد والمعادن، المنتزه بوجوب وجوده عن الوالدة والصاحبة والولد والوالد.

أحمدُه حمداً معترفاً بآلائه غير شاك ولا جاحد، وأشكره على إنعامه المتضاعف المتزايد، شكراً يعجز عنه الراكع والساجد. والصلاة على سيد كل زاهد، وأشرف كل عابد، محمد المصطفى وعترته الأكارم الأماجد، صلاة تدوم بدوام الأعصار والأوابد. أما بعد، فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة، التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان، المستحق بسببه الخلود في الجنان، والتخلص من غضب الرحمان، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

خدمت بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، مولى النعم ومسند الخير والكرم، شاهنشاه المعظم، غياث الحق والملة والدين، أولجايتو محمد خدابنده خلد الله سلطانه، وثبت قواعد ملكه وشيد أركانه، وأمدّه بعنايته وألطافه، وأيده بجميل إسعافه، وقرن دولته بالدوام إلى يوم القيامة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٠

قد لخصت فيها خلاصة الدلائل، وأشرت إلى رؤوس المسائل، من غير تطويل ممل ولا إيجاز مخل، وسميتها (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة).

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب. وربتها على فصول:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١١

الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة ... ص: ١١

ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب، وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا يفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأمنع، وأنه تعالى كلفهم تخيراً لا إيجاباً، ووعدهم بالشواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين عليهم السلام، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي، وإلا لم يبق وثوق بأقوالهم، فتنتفى فائدة البعثة. ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله بالأئمة عليهم السلام، فنصب أولياء معصومين، ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطئهم، فينقادون إلى أوامره، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته.

وأنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة ونص على أن الخليفة بعده على بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكي، ثم الحسين الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم على بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة محمد بن الحسن عليهم السلام.

وأن النبي لم يمت إلّا عن وصية بالإمامة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٢

وذهب أهل السنة إلى خلاف ذلك كله، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى! وجوزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل كل أفعاله لا لغرض من الأغراض، ولا لحكمة ألبتة، وأنه تعالى يفعل الظلم والعبث، وأنه لا يفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة، لأن فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم وجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم، مستندة

إليه! تعالى الله عن ذلك.

وأن المطيع لا يستحق ثواباً والعاصي لا يستحق عقاباً، بل قد يعذب المطيع طول عمره المُبالغ في امتثال أوامره تعالى كالنبي صلى الله عليه وآله! ويثيب العاصي طول عمره بأنواع المعاصي وأبلغها كإبليس وفرعون!

وأن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين! بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو وغير ذلك!

وأن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على إمام بينهم وأنه مات عن غير وصية، وأن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر بن أبي قحافة لمبايعه عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبي عبيدة وسالم مولى حذيفة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد! ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبي بكر عليه، ثم عثمان بن عفان بنص عمر على سته هو أحدهم، فاختاره بعضهم، ثم على بن أبي طالب لمبايعه الخلق له.

ثم اختلفوا فقال بعضهم: إن الإمام بعده ابنه الحسن، وبعضهم قال: إنه معاوية ابن أبي سفيان! ثم ساقوا الإمامة في بني أمية إلى أن ظهر السفاح من بني العباس فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣

الفصل الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ١٣

إشارة

لأنه لما عمّت البلية على كافة المسلمين بموت النبي صلى الله عليه وآله واختلف الناس بعده، تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم! فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق وبايعه أكثر الناس طلباً للدنيا، كما اختار عمر بن سعد مُلكَ الرى أياماً يسيرة، لما خيّر بينه وبين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأن في قتله النار! وأخبر بذلك في شعره حيث قال:

فوالله ما أدري وإني لصادق أفكر في أمرى على خطرين

أترك ملك الرى، والرى مُنيى أم اصبح مأثوماً بقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها عذاب، ولى فى الرى قرّة عين

وبعضهم اشتبه الأمر عليه ورأى طالب الدنيا مبايعاً له، فقلّده وبايعه وقصّر في نظره، فخفى عليه الحق، واستحقّ المؤاخذه من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه، بسبب إهمال النظر.

وبعضهم قلّد لقصور فطنته، ورأى الجَمّ الغفير فبايعهم، وتوهم أن الكثرة تستلزم الصواب، وغفل عن قوله تعالى: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»!

وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، وتابعه الأقلون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها، ولم تأخذه في الله تعالى لومة لائم، بل أخلص لله تعالى واتبع ما أمر به من

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٤

طاعة من يستحق التقديم.

وحيث حصلت للمسلمين هذه البلية، وجب على كلّ واحد النظر في الحق واعتماد الإنصاف، وأن يقرّ الحق مقرّه ولا يظلم مستحقه، فقد قال الله تعالى: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

وإنما كان مذهب الإمامية واجب الإلتباع لوجوه:

الوجه الأول ... ص: ١٤

لَمَّا نظرنا في المذاهب وجدنا أحقها وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل، وأعظمها تنزيهاً لله تعالى ولرسله ولأوصيائه عليهم السلام، وأحسنها في المسائل الأصولية والفروعية: مذهب الإمامية، لأنهم:

اعتقدوا أن الله تعالى هو المخصوص بالأزلية والقدم، وأن كل ما سواه مُحدث، لأنه واحد.

وأنه ليس بجسم ولا في مكان، وإلا لكان محدثاً، بل نزهوه عن مشابهة المخلوقات. وأنه تعالى قادر على جميع المقدورات، وأنه عدل حكيم لا يظلم أحداً ولا يفعل القبيح، وإلا لزم الجهل والحاجة تعالى الله عنهما. ويشب المطيع لئلا يكون ظالماً، ويعفو عن العاصي أو يعذبه بجرمه من غير ظلم له.

وأن أفعاله محكمة واقعة لغرض ومصلحة، وإلا لكان عابثاً، وقد قال: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ».

وأنه تعالى غير مرئي ولا -مدرك بشيء من الحواس، لقوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ». وأنه ليس في جهة، وأن أمره ونهيه وإخباره حادث، لاستحالة أمر المعدوم ونهيه وإخباره.

وأنه أرسل الأنبياء عليهم السلام لإرشاد العالم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٥

وأن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الخطأ والسهو والمعصية، صغیرها وكبیرها، من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة، ولزم التنفير عنهم.

وأن الأئمة معصومون كالأنبياء عليهم السلام في ذلك، لما تقدم.

ولأن الشيعة أخذوا أحكامهم الفروعية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام الناقلين عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، الآخذ ذلك من الله تعالى بوحى جبرئيل عليه السلام إليه، يتناقلون ذلك عن الثقات خلفاً عن سلف، إلى أن تتصل الرواية بأحد المعصومين عليه السلام.

ولم يلتفتوا إلى القول بالرأى والاجتهاد، وحرّموا الأخذ بالقياس والاستحسان.

أمّا باقى المسلمين، فقد ذهبوا كلّ مذهب، فقال بعضهم وهم جماعة الأشاعرة:

إن القدماء كثيرون مع الله تعالى، وهى المعانى التى يشتملها موجوده فى الخارج كالقدرة والعلم وغير ذلك، فجعلوه تعالى مفتقراً فى كونه عالمياً إلى ثبوت معنى هو العلم! وفى كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدرة، وغير ذلك! ولم يجعلوه قادراً لذاته، ولا -عالمياً لذاته، ولا رحيماً لذاته، ولا مدركاً لذاته، بل لمعان قديمه يفتقر فى هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً فى ذاته كاملاً بغيره! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

واعترض شيخهم فخر الدين الرازى عليهم بأن قال: إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القدماء ثلاثة، والأشاعرة أثبتوا قدماء تسعة!

وقال جماعة الحشوية والمشبّهة: إن الله تعالى جسّم له طولٌ وعرضٌ وعمقٌ! وإنه يجوز عليه المصافحة! وإن المخلصين من المسلمين يعانونه فى الدنيا!

وحكى الكعبى عن بعضهم أنه كان يجوز رؤيته فى الدنيا، وأن يزورهم ويزورونه!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦

وحكى عن داود الظاهرى أنه قال: أعفونى عن اللحية والفرج واسألونى عما وراء ذلك! وقال إن معبوده جسّم ولحمٌ ودمٌ، وله جوارح وأعضاء وكبدٌ ورجلٌ ولسانٌ وعينين وأذنين!

وحكى أنه قال: هو مُجَوَّفٌ من أعلاه إلى صدره، مُصَمَّتٌ ما سوى ذلك، وله شعر قطط!

حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه! وأنه يفضل من العرش عنه من كل جانب أربع أصابع!

وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه، ركباً على حمار، حتى أن بعضهم ببغداد وضع على سطح داره مغلّفاً يضع كل ليلة جمعة فيه شعيراً وتبناً! لتجوز أن ينزل الله تعالى على حمارة على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل، ويشغل الربّ بالنداء: هل من تائب، هل من مستغفر! تعالى الله عن مثل هذه العقائد الرديئة في حق الله تعالى.

وحكى عن بعض المنقطعين التاركين للدنيا من شيوخ الحشوية: أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نفاطاً ومعه أمرد حسن الصورة قَطَطُ الشعر، على الصفات التي يصفون ربهم بها، فألح الشيخ في النظر إليه وكثر تصويبه إليه! فتوهم فيه النفاط فجاء إليه ليلاً وقال: أيها الشيخ، رأيتهك تُلجج بالنظر إلى هذا الغلام وقد أتيت به إليك، فإن كان لك فيه نية فأنت الحاكم! فحرد عليه وقال: إنما كترت النظر إليه، لأن مذهبي أن الله تعالى ينزل الله على صورة هذا الغلام، فتوهمت أنه الله! فقال له النفاط: ما أنا عليه من النفاطه أجود مما أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة!

وقالت الكرامية: إن الله تعالى في جهة فوق، ولم يعلموا أن كل ما هو في جهة فهو محدث، ومحتاج إلى تلك الجهة.

وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد! وآخرون إلى أنه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٧

لا يقدر على عين مقدور العبد!

وذهب الأ-كثر منهم إلى أن الله تعالى يفعل القبائح، وأن جميع أنواع المعاصي والكفر وأنواع الفساد واقعة بقضاء الله تعالى وقدره، وأن العبد لا تأثير له في ذلك! وأنه لا غرض لله تعالى في أفعاله ولا يفعل لمصلحة العباد شيئاً، وأنه تعالى يريد المعاصي من الكافر ولا يريد منه الطاعة!

وهذا يستلزم أشياء شنيعة:

منها: أن يكون الله تعالى أظلم من كل ظالم! لأنه يعاقب الكافر على كفره وهو قدّره عليه، ولم يخلق فيه قدرة على الإيمان!

فكما أنه يلزم الظلم لو عذبه على لونه وطوله وقصره، لأنه لا قدرة له فيها، كذا يكون ظالماً لو عذبه على المعصية التي فعلها فيه.

ومنها: إفحام الأنبياء عليهم السّلام وانقطاع حجتهم، لأن النبي إذا قال للكافر: آمن بي وصدقني، يقول له: قل للذي بعثك يخلق في الإيمان أو القدرة المؤثرة فيه حتى أتمكن من الإيمان فأؤمن، وإلا فكيف تكلفني الإيمان ولا قدرة لي عليه بل خلق في الكفر، وأنا لا أتمكن من مقاهرة الله تعالى! فينقطع النبي عليه السلام ولا يتمكن من جوابه!

ومنها: تجوز أن يعذب الله تعالى سيد المرسلين صلى الله عليه وآله على طاعته ويشيب إبليس على معصيته، لأنه يفعل الأشياء لا لغرض! فيكون فاعل الطاعة سفيهاً لأنه يتعجل بالتعب والاجتهاد في العبادة وإخراج ماله في عمارة المساجد والرُّبُط والصدقات، من غير نفع يحصل له، لأنه قد يعاقبه على ذلك! ولو فعل عوض ذلك ما يلتذ به ويشتهي من أنواع المعاصي قد يشبه! فاختيار الأول يكون سفهاً عند كل عاقل!

والمصير إلى هذا المذهب يؤدّي إلى خراب العالم، واضطراب أمر الشريعة المحمدية!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨

ومنها: أنه يلزم أن لا يتمكن أحد من تصديق أحد من الأنبياء عليهم السّلام، لأن التوصل إلى ذلك والدليل عليه إنما يتم بمقدمتين. إحداهما: أن الله تعالى فعل المعجز على يد النبي عليه السلام لأجل التصديق. والثانية: أن كل ما صدقه الله تعالى فهو صادق. وكلتا المقدمتين لا تتم على قولهم، لأنه إذا استحال أن يفعل لغرض، استحال أن يظهر المعجز لأجل التصديق، وإذا كان فاعلاً للقبیح ولأنواع الإضلال والمعاصي والكذب وغير ذلك، جاز أن يصدق الكذاب! فلا يصح الاستدلال على صدق أحد من الأنبياء عليهم السّلام، ولا

التدين بشيء من الشرائع والأديان.

ومنها: أنه لا يصح أن يوصف الله تعالى بأنه غفورٌ رحيمٌ عفوٌ، لأن الوصف بهذه إنما يثبت لو كان الله تعالى مسقطاً للعقاب في حق الفساق، بحيث إذا أسقطه عنهم كان غفوراً عفواً رحيماً، وإنما يستحق العقاب لو كان العصيان من العبد، لا من الله تعالى. ومنها: أنه يلزم منه تكليف ما لا يطاق، لأنه يكلف الكافر بالإيمان ولا قدره له عليه وهو قبيح عقلاً! والسمع قد منع منه فقال: «لا يُكَلَّفُ الله نفساً إلا وسعها».

ومنها: أنه يلزم منه أن تكون أفعالنا الاختيارية الواقعة بحسب قصدنا ودواعينا مثل حركتنا يَمَنَّةً وَيَسْرَةً وحركة البطش باليد والرجل في الصنائع المطلوبة لنا، كالأفعال الاضطرارية مثل حركة النبض وحركة الواقع من شاقق بإيقاع غيره! لكن الضرورة قاضية بالفرق بينهما، وكل عاقل يحكم بأنا قادرون على الحركات الاختيارية، وغير قادرين على الحركة إلى السماء.

قال أبو الهذيل العلاف: حِمَارٌ بِشَرٍّ أَعْقَلُ من بشر، لأن حماراً بشرٍ لو أتيت به إلى جدول صغير وضربته للعبور فإنه يطره، ولو أتيت به إلى جدول كبير لم يطره، لأنه يُفَرِّق بين ما يقدر على طفره وما لا يقدر عليه، وبشرٌ لا يفرق بين المقدور له وغير المقدور!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩

ومنها: أنه يلزم أن لا يبقى عندنا فرق بين من أحسن إلينا غاية الإحسان طول عمره، وبين من أساء إلينا غاية الإساءة طول عمره، ولم يحسن منا شكر الأول وذم الثاني، لأن الفعلين صادران من الله تعالى عندهم!

ومنها: التقسيم الذي ذكره مولانا وسيدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وقد سأله أبو حنيفة وهو صبي فقال: المعصية ممّن؟ فقال الكاظم عليه السلام: المعصية إمّا من العبد أو من ربه أو منهما، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت المعصية منهما فهو شريكه والقوى أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه المدح والذم وهو أحق بالثواب والعقاب، ووجبت له الجنة أو النار. فقال أبو حنيفة: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ». ومنها: أنه يلزم أن يكون الكافر مطيعاً بكفره، لأنه قد فعل ما هو مراد الله تعالى، لأنه أراد منه الكفر وقد فعله! ولم يفعل الإيمان الذي كرهه الله تعالى منه، فيكون قد أطاعه لأنه فعل مراده ولم يفعل ما كرهه!

ومنها: أنه يلزم نسبة السّفه إلى الله تعالى، لأنه أمر الكافر بالإيمان ولا يريده منه ونهاه عن المعصية وقد أرادها! وكلّ عاقل ينسب من يأمر بما لا يريد وينهى عما يريد إلى السّفه! تعالى الله عن ذلك.

ومنها: أنه يلزم عدم الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، لأن الرضا بالكفر حرام بالإجماع، والرضا بقضاء الله تعالى وقدره واجب، فلو كان الكفر بقضاء الله تعالى وقدره وجب علينا الرضا به، لكن لا يجوز الرضا بالكفر.

ومنها: أنه يلزم أن نستعذّ بإبليس من الله تعالى، ولا يحسن قوله تعالى: «فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، لأنهم نَزَّهوا إبليس والكافر عن المعاصي وأضافوها إلى الله تعالى، فيكون على المكلفين شراً من إبليس عليهم، تعالى الله عن ذلك!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠

ومنها: أنه لا يبقى وثوق بوعد الله تعالى ووعيده! لأنهم إذا جَوَّزوا استناد الكذب في العالم إليه، جاز أن يكذب في إخباراته كلّها! فتنتفى فائدة بعثة الأنبياء عليهم السّلام، بل وجاز منه إرسال الكذّابين! فلا يبقى لنا طريق إلى تميّز الصادق من الأنبياء عليهم السّلام والكاذب!

ومنها: أنه يلزم منه تعطيل الحدود والزواجر عن المعاصي! فإن الزنا إذا كان واقعاً بإرادة الله تعالى، والسّرقة إذا صدرت من الله تعالى، وإرادته هي المؤثرة، لم يجز للسيّطان المؤاخذه عليها، لأنه يصدّ السارق عن مراد الله تعالى ويبيعه على ما يكرهه الله تعالى! ولو صدّد الواحد منا غيره عن مراده وحمله على ما يكرهه، استحق منه اللوم! ويلزم أن يكون الله مريداً للنقيضين، لأن المعصية مرادة لله تعالى والزجر عنها مراد له أيضاً!

ومنها: أنه يلزم منه مخالفة المعقول والمنقول:

أما المعقول فلما تقدم من العلم الضروري باستناد أفعالنا الاختيارية إلينا ووقوعها بحسب إرادتنا، فإذا أردنا الحركة يَمَنَّهُ لم يقع يَسْرَهُ، وبالعكس، والشك في ذلك عين السفسطة!

وأما المنقول، فالقرآن مملوء من إسناد أفعال البشر إليهم، كقوله تعالى:

«وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى». «أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ». «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مِا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». «لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى». «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ». «لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ». «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ». «فِظْلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَزَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ». «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ». «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ». «وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي». «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ». «وَمَا رَبُّكُمْ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ». «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢١

«وَلَا يُظْلَمُونَ فِتْلًا». «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ». وأى ظلم أعظم من تعذيب الغير على فعل لم يصدر منه، بل مَن يعذبه؟

قال الخصم: القادر يمتنع أن يُرْجَح مقدوره من غير مُرجح، ومع المرجح يجب الفعل، فلا قدرة! ولأنه يلزم أن يكون الإنسان شريكاً لله تعالى، ولقوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ».

والجواب

عن الأول: المعارضة بالله تعالى فإنه تعالى قادر، فإن افتقرت القدرة إلى المرجح وكان المرجح موجباً للأثر، لزم أن يكون الله تعالى موجباً لا مختاراً، فيلزم الكفر!

وعن الثاني: أى شركة هنا والله تعالى هو القادر على قهر العبد وإعدامه؟! ومثال هذا: أن السلطان إذا ولّى شخصاً بعض البلاد فذهب وظلم وقهر، فإن السلطان يتمكن من قتله والإنتقام منه واستعادة ما أخذه ولا يكون شريكاً للسلطان.

وعن الثالث: أنه إشارة إلى الأصنام التي كانوا ينحتونها ويعبدونها، فأنكر عليهم وقال: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»! وذهبت الأشاعرة إلى أن الله تعالى مرئى بالعين، مع أنه مجرد عن الجهات، وقد قال تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»، وخالفوا الضرورة في أن المدرك بالعين يكون مقابلاً أو في حكمه، وخالفوا جميع العقلاء في ذلك. وذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة من الأرض إلى السماء مختلفة الألوان لا نشاهدها، وأصوات هائلة لا نسمعها، وعساكر مختلفة متحاربة بأنواع الأسلحة بحيث تُماس أجسامنا أجسامهم لانشاهد صورهم ولا حركاتهم ولا نسمع أصواتهم الهائلة، وأن نشاهد جسماً أصغر الأجسام كالذرة في المشرق ونحن في المغرب، مع كثرة الحائل بيننا وبينها، وهذا عين السفسطة!

وذهبوا إلى أنه تعالى أمرٌ وناءٌ في الأزل ولا مخلوق عنده، قائلًا: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢

اتَّقِ اللَّهَ». «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ». «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ». ولو جلس شخص في منزله ولا غلام عنده فقال: يا سالم قم، يا غانم كل، يا نجاح أدخل، قيل: لمن تنادي؟ فيقول: لعبيد أشتريهم بعد عشرين سنة. نَسَبَهُ كُلٌّ عاقل إلى السَّفه والحمق! فكيف يحسن منهم أن ينسبوا الله تعالى إليه في الأزل.

وذهب جميع من عدا الإمامية والإسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام غير معصومين، فجوزوا بعثه من يجوزُ عليه الكذب والسَّه وهو الخطأ والسرقة! فأى وثوق يبقى للعامّة في أقوالهم، وكيف يحصل الإنقياد إليهم، وكيف يجب اتّباعهم، مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ؟

ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين، بل كل من تابع قرشيّاً انعقدت إمامته عندهم ووجبت طاعته على جميع الخلق! إذا كان

مستور الحال، وإن كان على غاية من الفسوق والكفر والنفاق!

وذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس والأخذ بالرأى، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه! وحرفوا أحكام الشريعة، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله، ولا في زمن صحابته! وأهملوا أقاويل الصحابة. مع أنهم نصّوا على ترك القياس وقالوا: أول من قاس إبليس! وذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شنيعة:

كإباحة البنت المخلوقة من الزنا، وسقوط الحدّ عمّن نكح أمّه وأخته وبنته، مع علمه بالتحريم والنسب بواسطة عقد يعقده وهو يعلم بطلانه، وعمّن لفّ على ذكره خرقه وزنا بأمّه أو بنته! وعن اللّائط مع أنه أفحش من الزنا وأقبح!

وإلحاق نسب المشرقية بالمغربى، فإذا زوّج الرجل ابنته وهو في المشرق برجل هو وإياه في المغرب، ولم يفترقا ليلاً ونهاراً حتى مضت مدة ستة أشهر، فولدت البنت في المشرق، التحق نسب الولد بالرجل، وهو وأبوها في المغرب، مع أنه لا يمكنه الوصول إليها إلّا بعد سنين متعددة! بل لو حبسه السلطان من حين العقد وقيدته وجعل

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣

عليه حَفَظَةً مدّة خمسين سنة، ثم وصل إلى بلد المرأة، فرأى جماعة كثيرة من أولادها وأولاد أولادهم إلى عدّة بطون، التحقوا كلّهم بالرجل الذى لم يقرب هذه المرأة ولا غيرها البتّة!

وإباحة النيذ مع مشاركته للخمر في الإسكار! والوضوء والصلاة في جلد الكلب، وعلى العذرة اليابسة! وحكى بعض الفقهاء لبعض الملوك وعنده بعض فقهاء الحنفية صفة صلاة الحنفى، فدخل داراً مغصوبة وتوضأ بالنيذ وكبّر بالفارسية من غير نية، وقرأ:

«مُدْهَامَتَان» لا غير، بالفارسية، ثم طأطأ رأسه من غير طمأنينة وسجد كذلك ورفع رأسه بقدر حدّ السيف، ثم سجد، وقام ففعل كذلك ثانية، ثم أحدث! فبتّرأ الملك وكان حنفياً من هذا المذهب!

وأباحوا المغصوب لو غيّر الغاصب الصفة فقالوا: لو أن سارقاً دخل بدار شخص له فيه دوابٌ ورحى وطعام، فطحن السارق طعام صاحب الدار بدوابّه وأرحيته ملك الطّحين بذلك! فلو جاء المالك ونازعه، كان المالك ظالماً والسارق مظلوماً! فلو تقاتلا فإن قُتل المالك كان ظالماً وإن قُتل السارق كان شهيداً!

وأوجبوا الحدّ على الزانى إذا كذب الشهود وأسقطوه إذا صدّقهم فأسقطوا الحدّ مع اجتماع الإقرار والبيّنة! وهذا ذريعة إلى إسقاط حدود الله تعالى، فإن كلّ من شهد عليه بالزنا يُصدّق الشهود ويُسقط عنه الحدّ.

وأباحوا الكلب، وأباحوا الملاهى كالشطرنج والغناء.

وغير ذلك من المسائل التى لا يحتملها هذا المختصر.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤

الوجه الثانى: فى الدلالة على وجوب اتّباع مذهب الإمامية ... ص: ٢٤

ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجه نصير الملهة والحق والدين، محمد بن الحسن الطوسى قدّس الله روحه، وقد سأله عن المذاهب فقال:

بحثنا عنها وعن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار».

وقد عيّن الله عليه وآله الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متفق عليه، وهو بقوله: «مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

فوجدنا الفرقة الناجية الإمامية، لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

الوجه الثالث ... ص: ٢٤

إن الإمامية جازمون بحصول النجاة لهم ولأئمتهم، قاطعون على ذلك، وبحصول ضدها لغيرهم، وأهل السنة لا يجزمون بذلك لا لهم ولا لغيرهم، فيكون اتباع أولئك أولى.

لأننا لو فرضنا - مثلاً - خروج شخصين من بغداد يريدان الكوفة، فوجدا طريقين سلك كل منهما طريقاً، فخرج ثالث يطلب الكوفة، فسأل أحدهما: إلى أين يريد؟ فقال:

إلى الكوفة فقال له: هذا طريقك يوصلك إليها؟ وهل طريقك آمن أم مخوف؟ وهل طريق صاحبك يؤديه إلى الكوفة؟ وهل هو آمن أم مخوف؟ فقال: لا أعلم شيئاً من ذلك. ثم سأل صاحبه عن ذلك فقال: أعلم أن طريقى يوصلنى إلى الكوفة، وأنه آمن،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٥

وأعلم أن طريق صاحبي لا يؤديه إلى الكوفة وليس بآمن.

فإن الثالث إن تابع الأول عدّه العقلاء سفيهاً، وإن تابع الثاني نسب إلى الأخذ بالحزم.

الوجه الرابع ... ص: ٢٥

إن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع، والاشتغال في كل وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن، والمداومة على ذلك من زمن الطفولة إلى آخر العمر، ومنهم تعلم الناس العلوم ونزل في حقهم: هل أتى، وآية الطهارة، وإيجاب المودة لهم، وآية الإبتهال، وغير ذلك.

وكان على عليه السلام يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويتلو القرآن، مع شدة ابتلائه بالحروب والجهاد:

فأولهم على بن أبي طالب عليه السلام، كان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعله الله تعالى نفس رسول الله حيث قال: «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ». وآخاه الرسول صلى الله عليه وآله، وزوجه ابنته وفضلته لا يخفى. وظهرت عنه معجزات كثيرة حتى ادعى قوم فيه الربوبية وقتلهم، وصار إلى مقاتلتهم آخرون إلى هذه الغاية، كالنصيرية والغلاة.

وكان ولداه سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدا شباب أهل الجنة، إمامين بنص النبي صلى الله عليه وآله، وكانا أزهد الناس وأعملهم في زمانهم، وجاهدا في سبيل الله حتى قتلا، ولبس الحسن عليه السلام الصوف تحت ثيابه الفاخرة، من غير أن يشعر أحداً بذلك.

وأخذ النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن، وولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: إن الله لم يكن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦

ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما، فقال غ: إذا مات الحسين بكيته عليه أنا وعلى وفاطمة، وإذا مات إبراهيم بكيته أنا عليه، فاختر موت إبراهيم فمات بعد ثلاثة أيام، فكان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبله ويقول: أهلاً ومرحباً بمن فديته بابني إبراهيم!

وكان على بن الحسين زين العابدين عليه السلام يصوم نهاره ويقوم ليله ويتلو الكتاب العزيز، ويصلي كل يوم ليلة ألف ركعة، ويدعو بعد كل ركعتين بالأدعية المنقولة عنه وعن آبائه عليهم السلام، ثم يرمى الصحيفة كالمضجّر ويقول: أنى لى بعبادة على عليه السلام! وكان يبكي كثيراً حتى أخذت الدموع من لحم خديّه، وسجد حتى سمي ذا الثغفات، وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد العابدين.

وكان قد حج هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف الناس له وتنحوا عن الحجر حتى استلمه ولم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام: من هذا؟ فقال الفرزدق الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

إذا رآته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل: من خير خلق الله؟ قيل: هم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

ينشق نور الهدى عن صبح غرته كالشمس تنجأ عن إشراقها الظلم

مشتقه من رسول الله نبغته طابت عناصره والخيم والشيم

الله شرفه قدماً وفضله جرى بذاك له في لوجه القلم

من معشر حُبهم دين وبغضهم كفر وقربهم ملجئ ومعصم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧

لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمته أزمته والأشدُّ أشدُّ الشرى والرأي محتدم

لا ينقض العشرُ بسطاً من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويسترق به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بر ومختوم به الكلم

من يعرف الله يعرف أولويه ذا الدين من بيت هذا ناله الأمم

وليس قولك: من هذا بضائه العرب تعرف من أنكرت والعجم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بين مكة والمدينة.

فبعث إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بألف دينار فردّها وقال: إنما قلت هذا غضباً لله ولرسوله، فما آخذ عليه أجراً! فقال على بن

الحسين عليه السلام: نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منا، فقبلها الفرزدق.

وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلاً ولا يعرفون ممن هو، فلما مات مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام انقطع ذلك عنهم، وعرفوا

به أنه كان منه عليه السلام.

وكان ابنه محمد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً وعبادة، بقر السجود جبهته، وكان أعلم أهل وقته، وسماه رسول الله صلى الله

عليه وآله الباقر: جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه وهو صغير في الكتاب فقال له: جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عليك فقال: وعلى جدّي السيّلام، فقل لجابر: كيف هذا؟ قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين في حجره

وهو يلاعبه فقال: يا جابر! يولد له مولود اسمه على، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين فيقوم وكده، ثم يولد له مولود

اسمه محمد الباقر، إنه يقرر العلم بقرّاً، فإذا أدركته فاقرئه مني السلام.

روى عنه أبو حنيفة وغيره.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٨

وكان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه وأعبدهم، قال علماء السيرة: إنه انشغل بالعبادة عن طلب الرياسة. قال عمرو بن أبي المقدم: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

وهو الذي انتشر منه فقه الإمامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية.

وكان لا يخبر بأمر إلا وقع، وبه سمّوه الصادق الأمين.

وكان عبد الله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعة لولده، فقال له الصادق عليه السلام: إن هذا الأمر لا يتم! فاعتنا من ذلك، فقال الصادق عليه السلام: إنه لصاحب القباء الأصفر، وأشار بذلك إلى المنصور، فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يخبر به، وعلم أن الأمر يصل إليه. ولما هرب كان يقول: أين قول صادقهم؟ وبعد ذلك انتهى الأمر إليه.

وكان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعى بالعبد الصالح، كان أعبد أهل وقته يقوم الليل ويصوم النهار. سمى الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال، ونقل فضله المخالف والمؤالف.

قال ابن الجوزي من الحنابلة: عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فإذا شابٌ حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجله نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس، والله لأمضين إليه وأوبخنه! فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق «اجتنبوا كثيراً من الظنِّ إنَّ بعضَ الظَّنِّ إثمٌ» فقلت في نفسي: هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري، لألحقنه ولأسأله أن يحلّني، فغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصه إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر، فقلت: أمضى إليه وأعتذر، فأوجز في صلاته ثم قال: يا شقيق: «وإني لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى»، فقلت: هذا من الأبدال، قد تكلم على

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩

سرى مرتين! فلما نزلنا زباله إذا به قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماء، فسقطت الركوة في البئر، فرفع طرفه إلى السماء وقال: أنت ربّي إذا ظمئتُ إلى الماء وقوّتي إذا أردت الطعام

يا سيدي ما لي سواها! قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها، فأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كتيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده ويطره في الركوة ويشرب. فقلت: أطعمني من فضل ما رزقك الله وأنعم الله عليك! فقال: يا شقيق لم تنل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك. ثم ناولني الركوة، فشربت منها فإذا سويق وسكر، ما شربت والله ألدّ منه وأطيب ريحاً، فشبت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شرباً! ثم لم أره حتى دخل مكة، فرأيت ليلة إلى جانب قبة السراب نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل.

فلما طلع الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام إلى صلاة الفجر وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج، فتبعته فإذا له حاشية وأموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس يسلمون عليه ويتبرّكون به! فقلت لبعضهم: من هذا؟ فقال:

موسى بن جعفر! فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد! رواه الحنبلي.

وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي، لأنه اجتاز على داره ببغداد فسمع الملاحى وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ويدها قمامة البقل فرمت بها في الدرب: فقال لها: يا جارية! صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ فقالت:

بل حرٌّ، فقال: صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه! فلما دخلت قال مولاه وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٠

وكان ولده على الرضا عليه السلام أزهّد أهل زمانه وأعلمهم، وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، وتولاه المأمون لعلمه بما هو عليه من

الكمال والفضل.

ووعظ يوماً أخاه زيدا فقال له: يا زيد ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وآله إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حلّه، غرّك حُمقاء أهل الكوفة! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته، إنك إذا لأكرم على الله منهم! وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته، وطرح السواد ولبس الخضرة.

وقيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فقال:

قيل لى أنت أفضل الناس طُرّاً فى المعانى وفى الكلام البديه

لك من جوهر الكلام بديع يُثمر الدر فى يدى مجتنيه

فلما ذا تركت مدح ابن موسى والخصال التى تجمّعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

وكان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه فى العلم والتقوى والجود، ولما مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوجه ابنته أم الفضل وكان قد زوّج أباه الرضا عليه السلام بابنته أم حبيب، فغلظ ذلك على العباسيين واستكبروه، وخافوا أن يخرج الأمر منهم، وأن يتابعه كما تابع أباه، فاجتمع الأدنؤن منه وسألوه ترك ذلك وقالوا إنه صغير لا علم عنده، فقال: أنا أعرف به فإن شتتم فامتحنوه، فرضوا بذلك وجعلوا ليحيى بن أكتثم مالاً كثيراً على امتحانه فى مسألة يعجزه فيها، فتواعدوا إلى يوم.

فأحضره المأمون وحضر القاضى وجماعة العباسيين فقال القاضى: أسألك عن

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١

شئ؟ فقال له عليه السلام: سل. فقال: ما تقول فى محرم قتل صيداً؟ فقال له الإمام عليه السلام: أقتله فى حل أو حرم؟ عالمًا كان أوجاهلاً؟ مبتدئاً بقتله أو عائداً؟ من صغار الصيد كان أو من كبارها؟ عبداً كان المحرم أو حراً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟ فتحيّر يحيى بن أكتثم وبان العجز فى وجهه، حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره! فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟!

ثم أقبل على الإمام عليه السلام فقال: أتخطب؟ فقال نعم. فقال أخطب لنفسك خطبة النكاح، فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً مهر جدّته فاطمة عليها السلام، ثم تزوّج بها.

وكان ولده على الهادى عليه السلام ويقال له: العسكرى، لأن المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، ثم منها إلى سر من رأى فأقام بموضع عندها يقال له العسكر، ثم انتقل إلى سر من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر.

وإنما أشخصه المتوكّل لأنه كان يبغض عليّاً عليه السلام فبلغه مقام على بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة فأمره بإشخاصه فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للعبادة فى المسجد، فحلف لهم يحيى أنه لا مكروه عليه، ثم فتش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم فى عينه وتولّى خدمته بنفسه. فلما قدم بغداد بدأ بإسحاق ابن إبراهيم الطاهرى والى بغداد فقال له: يا يحيى هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله والمتوكّل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خصمك! فقال له يحيى: والله ما وقعت منه إلا على خير. قال: فلما دخلت على المتوكّل أخبرته بحسن سيرته وزهده وورعه فأكرمه المتوكّل.

ثم مرض المتوكّل فنذر إن عوفى تصدّق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى على الهادى عليه السلام يسأله فقال: تصدق بثلاثة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٢

وثمانين درهماً، فسأله المتوكل عن السبب فقال: لقوله تعالى: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ»، وكانت المواطن هذه الجملة، فإن النبي صلى الله عليه وآله غزا سبعاً وعشرين غزاةً وبعث ستاً وخمسين سرية.

قال المسعودي: نَمِيَ إلى المتوكل بعلى بن محمد أن في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الملك، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه وهو يقرأ وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصباء، متوجه إلى الله تعالى يتلو القرآن، فحمل على حالته تلك إلى المتوكل، فأدخل عليه وهو في مجلس الشراب والكأس في يد المتوكل فأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناولوه الكأس، فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه، وقال له: أسمعني صوتاً فقال عليه السلام: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ..» الآيات..

فقال: أنشدني شعراً فقال: إني قليل الرواية للشعر. فقال: لا بد من ذلك، فأنشده:

باتوا على قُللِ الأَجبالِ تحرُّسُهُم غُلْبُ الرجالِ فما أَعنتَهُمُ القُللِ

واستَنزَلُوا بعد عَزٍّ من معاقِلِهِم وأسكنوا حفرًا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخٌ من بعد دفنِهِم أين الأساورُ والتيجانُ والحُللِ

أين الوجوهُ التي كانت منعمَةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكللِ

فأفصح القبر عنهم حين سائلُهُ تلك الوجوه عليها الدود يقتتلِ

قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل حتى بَلَّتْ دموعه لحيته.

وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً.

وولده مولانا الإمام المهدي محمد عليه السلام روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٣

اسمه كاسمى وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي».

فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال، ولم يتخذوا ما اتَّخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصي والملاهي وشرب الخمر والفجور حتى بأقاربهم! على ما هو المتواتر من الناس!

قالت الإمامية: فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين، وما أحسن قول بعض الناس:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً وتعلم صدقَ الناس في نقل أخبار

فدع عنك قولَ الشافعي ومالكٍ وأحمدَ والمروئي عن كعب أخبار

ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جَدُّنا عن جبرئيلَ عن الباري

وما أظن أحداً من المحصِّلين وقف على هذه المذاهب، فاختر غير مذهب الإمامية باطنياً، وإن كان في الظاهر يصير إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتى تستمر لبني العباس الدعوة، ويشيدوا للعامة اعتقاد إمامتهم!

وكثيراً ما رأينا من يدين في الباطن بمذهب الإمامية ويمنعه عن إظهاره حب الدنيا وطلب الرياسة.

وقد رأيت بعض أئمة الحنابلة يقول: إني على مذهب الإمامية، فقلت له: لم تُدرِّس على مذهب الحنابلة؟ فقال: ليس في مذهبكم البغلات والمشاهرات!

وكان أكبر مدرسي الشافعية في زماننا، حيث توفي أوصى بأن يتولى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد

الكاظم عليه السلام، وأشهد عليه أنه على دين الإمامية!

شرح منهاج الكرامه في معرفه الامامه، ج ١، ص: ٣٤

الوجه الخامس ... ص: ٣٤

إن الإمامية لم يذهبوا إلى التعصّب في غير الحق، فقد ذكر الغزالي والمتولى وكانا إمامين للشافعية: أن تسطّيح القبور هي المشروع، لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم!

وذكر الزمخشري - وكان من أئمة الحنفية - في تفسير قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ»، أنه يجوز بمقتضى هذه الآية أن يصلى على آحاد المسلمين، لكن لما اتخذت الرفضه ذلك في أئمتهم منعناه!

وقال مصنف الهداية من الحنفية: المشروع التخم في اليمين، لكن لما اتخذته الرافضة عادةً جعلنا التخم في اليسار! وأمثال ذلك كثير! فانظر إلى من يغيّر الشريعة ويبدّل الأحكام التي ورد بها حديث النبي صلى الله عليه وآله، ويذهب إلى ضدّ الصواب معاندةً لقوم معيّنين، هل يجوز أتباعه والمصير إلى أقواله؟

مع أنهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة وأن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال: «كُلُّ بدعة ضلالة وكل ضلالة فإن مصيرها إلى النار». وقال صَلَّى الله عليه وآله: «من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردّ عليه». ولو رُدُّوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم:

كذكر الخلفاء في خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صَلَّى الله عليه وآله ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين، ولا في زمن بنى أمية ولا- في صدر ولاية العباسيين! بل هو شيء أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية فقال: واللّه لأرغمن أنفى وأنوفهم وأرفع عليهم بنى تيم وعدى! وذَكَرَ الصحابة في خطبته. واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان!

وكمسح الرجلين الذي نصّ عليه الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: «فَاعْبِثُوا خِيَوَهُمْ وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكُعْبَيْنِ»، قال

شرح منهاج الكرامه في معرفه الامامه، ج ١، ص: ٣٥

ابن عباس: عضوان مغسولان وعضوان ممسوحان، فغَيَّرُوهُ وأَوْجِبُوا الغسل!

وَالْمُتَعَتِينَ اللَّتَيْنِ وَرَدَ بِهِمَا الْقُرْآنُ، فَقَالَ فِي مَتَعَةِ الْحَجِّ: «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ». وَتَأَسَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ عَلَى فَوَاتِهَا لَمَّا حَجَّ قَارِئًا وَقَالَ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَا سَقَتِ الْهَدْيَ». وَقَالَ فِي مَتَعَةِ النِّسَاءِ:

«فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ». واستمرَّ فعلها مدةَ زمانِ النبي صَلَّى الله عليه وآله، ومدةَ خلافةِ أبي بكرٍ وبعضِ خلافةِ عمر، إلى أن صعد المنبر وقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما!

ومنع أبو بكر فاطمة عليها السلام إرثها فقالت له: «يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أترث أبي!» والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها وكان هو الغريم لها، لأن الصدقة تحلّ له: أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال: نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، على ما رواه عنه! والقرآن يخالف ذلك لأن الله تعالى قال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ»، ولم يجعل الله تعالى ذلك خاصاً بالأمة دونه صَلَّى الله عليه وآله. وكذب روايتهم فقال تعالى: «وَوَرِثَ شَيْلِيمَانُ دَاوُدَ». وقال تعالى عن زكريا: «وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثَنِي وَبَرِّتْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ».

ولما ذكرت فاطمة عليها السلام أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وهبها فداً قال لها: هات أسود أو أحمر يشهد لك بذلك! فجاءت بأم أيمن فشهدت لها بذلك فقال:

امرأة لا- يقبل قولها! وقد رووا جميعاً أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة». فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فشهد لها فقال: هذا بعلك يجزه إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك! وقد رووا جميعاً أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال:

«على مع الحق والحق مع على يدور معه حيث دار، لن يفترقا حتى يردا على الحوض»! فغضبت فاطمة عليها السلام عند ذلك وانصرفت وحلفت أن لا تكلمه ولا صاحبه حتى تلقى أباهما وتشكو إليه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٦

فلما حضرته الوفاة أوصت علياً أن يدفنها ليلاً، ولا يدع أحداً منهم يصلّي عليها، وقد روي جميعاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويغضب لرضاك». وروي جميعاً أنه صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»!

ولو كان هذا الخبر حقاً لما جاز له ترك البغلة التي خلفها النبي صلى الله عليه وآله، وسيفه وعمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، ولما حكم بها له لما أذاعها العباس! ولكان أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى في كتابه عن الرجس عليهم السلام مرتكبين ما لا يجوز، لأن الصدقة عليهم محرمة.

وبعد ذلك، جاء إليه مال البحرين وعنده جابر بن عبد الله الأنصاري فقال له: إن النبي صلى الله عليه وآله قال لي: إذا أتى مال البحرين ثبوت لك ثم ثبوت لك ثلاثاً، فقال له: تقدم فخذ بعدتها، فأخذ من مال بيت المسلمين من غير بينة، بل لمجرد الدعوى.

وقد روت الجماعة كلهم أن النبي قال في حق أبي ذر: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، ولم يسموه صديقاً وسموا أبابكر بذلك، مع أنه لم يرو مثل ذلك في حقه!

وسمّوه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلفه في حياته، ولا بعد وفاته عندهم! ولم يسمّوا أمير المؤمنين عليه السلام خليفة رسول الله مع أنه استخلفه في عدة مواطن، منها أنه استخلفه على المدينة في غزاة تبوك وقال له: «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وأمر أسامة على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر ومات ولم يعزله، ولم يسموه خليفة! ولما تولّى أبو بكر غضب أسامة وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٧

عليك فمن استخلفك عليّ؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه، وكانا يسمّياه مدّة حياتهما أميراً.

وسمّوا عمر الفاروق ولم يسمّوا علياً عليه السلام بذلك، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه: «هذا فاروق أمتي يفرق بين الحق والباطل». وقال ابن عمر: «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا لبغضهم علياً».

وعظّموا أمر عائشة على باقي نسوانه، مع أنه صلى الله عليه وآله كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها! فقال لها: «والله ما يُبدّلُ بها من هو خير منها: صدقتني إذ كذّبتني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها»!

وأذاعت سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لها النبي صلى الله عليه وآله:

«إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة».

ثم إنها خالفت أمر الله تعالى في قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»، وخرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان وكانت هي كلّ وقت تأمر بقتله وتقول: أقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً، فلما بلغها قتله فرحت بذلك ثم سألت: من تولّى الخلافة؟ فقالوا: على عليه السلام فخرجت لقتاله على دم عثمان! فأى ذنب كان لعلي عليه السلام على ذلك؟!

وكيف استجاز طلحة والزبير مطاوعتها على ذلك؟ وبأى وجه يلقون رسول الله صلى الله عليه وآله مع أن الواحد منّا لو تحدّث مع امرأة غيره وأخرجها من منزله وسافر بها، كان أشدّ الناس عداوة له. وكيف أطاعها على ذلك عشرات الألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، ولم ينصر أحداً منهم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لَمّا طلبت حقها من أبي

بكر، ولا شخص واحد بكلمة واحدة!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٨

وسمّوها أم المؤمنين ولم يسمّوا غيرها بذلك!

ولم يسمّوا أخاها محمد بن أبي بكر مع عظم شأنه وقرب منزلته من أبيه ومن أخته عائشة أم المؤمنين، خال المؤمنين، وسمّوا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان بعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله! وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم عندهم من أخت معاوية ومن أبيها! مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن معاوية الطليق بن الطليق اللعين وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه! وكان من المؤلّفة قلوبهم، وقاتل علياً وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق، وكل من حارب إمام حق فهو باغ ظالم! وسبب ذلك محبة محمد بن أبي بكر لعلي عليه السلام ومفارقة لأبيه وبغض معاوية لعلي ومحاربه له.

وسمّوه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي بل كان يكتب له رسائل، وقد كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أربعة عشر نفساً يكتبون الوحي، أولهم وأخصهم به وأقربهم إليه علي بن أبي طالب عليه السلام.

مع أن معاوية لم يزل مشركاً مدّة كون النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله مكذب بالوحي ويهزأ بالشرع! وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله ويكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه، ويقول له: أصبوت إلى دين محمد، وكتب إليه:

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا بعد الذين بيدر أصبحوا فرقا

جدى وخالى وعمّ الأم ثالثهم قوماً وحظلة المهدي لنا الأرقا

فالموت أهون من قول الوشاة لنا خلى ابن هند عن العزى فرقا

والفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، ومعاوية حينئذ مقيم على الشرك، هارب من النبي صلى الله عليه وآله لأنه قد هدر دمه فهرب إلى مكة، فلمّا لم يجد له مأوى صار إلى النبي صلى الله عليه وآله

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٩

مضطراً فأظهر الإسلام.

وكان إسلامه قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر، وطرح نفسه على العباس فسأل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ففعا عنه ثم شفع إليه أن يشرفه ويضيفه إلى جملة الكتاب، فأجابه وجعله واحداً من أربعة عشر. فكم كان يخصّه من الكتابة في هذه المدّة لو سلّمنا أنه كان كاتب الوحي، حتى استحق أن يوصف بذلك دون غيره!

مع أن الزمخشري من مشايخ الحنفية ذكر في ربيع الأبرار أنه ادّعى بنوّته أربعة نفر!

على أن من جملة كتبه الوحي ابن أبي سرح وارتدّ مشركاً وفيه نزل: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله فسمعتة يقول:

«يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي!» فطلع معاوية.

وقام النبي صلى الله عليه وآله يوماً يخطب، فأخذ أبو سفيان بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لعن الله القائد والمقود! وأنت يوم يكون لهذه الأمة من معاوية ذى الإسته؟!».

وبالغ في محاربة علي عليه السلام وقتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة، ولعنه على المنابر، واستمر سبّه مدّة ثمانين سنة إلى أن قطعه عمر بن عبد العزيز.

وسمّ الحسن.

وقتل ابنه يزيد مولانا الإمام الحسين.

وكسر جدّه نبيّه النبي صلّى الله عليه وآله.

وأكلت أمّه كبد حمزة عم الرسول صلّى الله عليه وآله.

وسمّوا خالد بن الوليد سيف الله، عناداً لأمر المؤمنين عليه السلام الذي هو أحق بهذا الاسم حيث قتل بسيفه الكفار، وثبتت بواسطة جهاده قواعد الدين، وقال فيه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٤٠

رسول الله صلّى الله عليه وآله: عليّ سيفُ الله وسَهْمُ الله. وقال علي عليه السلام على المنبر: أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه. وخالد لم يزل عدواً لرسول الله مكذباً له، وهو كان السبب في قتل المسلمين في يوم أحد وفي كسر ربيعة النبي صلّى الله عليه وآله وقتل حمزة عمّه. ولما تظاهر بالإسلام بعثه النبي صلّى الله عليه وآله إلى بني خزيمه ليأخذ منهم الصدقات فخانه وخالفه على أمره، وقتل المسلمين فقام النبي صلّى الله عليه وآله في أصحابه خطيباً بالإنكار عليه، رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهده بياض إبطيه وهو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد! ثم أنفذ إليهم أمير المؤمنين عليه السلام لتلافى فارطته وأمره أن يسترضى القوم ففعل».

ولما قبض النبي صلّى الله عليه وآله وأنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة، قتل منهم ألفاً ومائتي نفس مع تظاهروهم بالإسلام! وقتل مالك بن نويرة صبراً وهو مسلم، وعزّس بامرأته! وسمّوا بني حنيفة أهل الردّة لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبي بكر لأنهم لم يعتقدوا إمامته! واستحلّ دماءهم وأموالهم ونساءهم حتى أنكر عمر عليه. فسمّوا مانع الزكاة مرتداً ولم يسمّوا من استحلّ دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام مرتداً، مع أنهم سمعوا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي». ومحارب رسول الله كافر بالإجماع.

وقد أحسن بعض العقلاء في قوله: شرٌّ من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعته وجرى معه في ميدان معصيته! ولا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة وكان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة! ولما خلق الله تعالى آدم وجعله خليفة في الأرض وأمره بالسجود فاستكبر! فاستحق الطرد واللعن.

ومعاوية لم يزل في الإشراك وعبادة الأصنام إلى أن أسلم بعد ظهور النبي صلّى الله عليه وآله بمدة طويلة، ثم استكبر عن طاعة الله تعالى في نصب أمير المؤمنين عليه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٤١

السلام إماماً وتابعه الكلّ بعد عثمان وجلس مكانه فكان شرّاً من إبليس!

وتماذى البعض في التعصّب حتى اعتقد إمامة يزيد بن معاوية مع ما صدر عنه من الأفعال القبيحة، من قتل الإمام الحسين عليه السلام ونهب أمواله وسبى نسائه والدوران بهم في البلاد على الجمال بغير قتب، ومولانا زين العابدين عليه السلام مغلول اليدين! ولم يقنعوا بقتله عليه السلام حتى رضوا أضلاعه وصدره بالخيول وحملوا رؤوسهم على القنا!

مع أن مشايخهم رويوا أن يوم قتل الحسين عليه السلام قطرت السماء دماً!

وقد ذكر الرافعي في شرح الوجيز وذكر ابن سعد في الطبقات أن الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين عليه السلام ولم تر قبل ذلك!

وقال أيضاً: ما رفع حجر في الدنيا إلا وتحتته الدم عيط! ولقد مطرت السماء مطراً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

قال الزهري: ما بقي أحد من قاتلي الحسين إلا وعوقب في الدنيا، إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة! وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يكثر الوصية للمسلمين في ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ويقول لهم: «هؤلاء وديعتي عندكم»، وأنزل الله تعالى فيهم: «قُلْ لَا أَشْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

وتوقف جماعة ممن لا يقول بإمامته في لعنه! مع أنه عندهم ظالم بقتل الحسين ونهب حريمه، وقد قال الله تعالى: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الظَّالِمِينَ».

وقال أبو الفرج بن الجوزي من شيوخ الحنابلة: عن ابن عباس قال: «أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله إنني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإنني قاتل بابين بنتك فاطمة سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

وحكى السدي - وكان من فضلائهم - قال: نزلت بكرلاء ومعى طعام للتجارة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٤٢

فتزلنا على رجل فتعشنا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقتلنا: ما شرك أحد في قتل الحسين إلا ومات أقبح موته! فقال الرجل: ما أكذبكم! أنا شركت في دمه وكنت فيمن قتله فما أصابني بشيء. قال: فما كان في آخر الليل إذا بالصياح! قلنا: ما الخبر؟ قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعة، ثم دب الحريق في جسده فاحترق! قال السدي: فأنا والله رأيته كأنه حِمَمَةٌ!

وقد سأل مهنا بن يحيى أحمد بن حنبل عن يزيد فقال: هو الذي فعل ما فعل قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة! وقال له صالح ولده يوماً: إن قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد فقال: يا بني وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: لم لا تلعه؟ فقال: وكيف لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن يزيد؟ فقال: في قوله:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ». فهل يكون فساداً أعظم من القتل.

ونَهَبَ المدينة ثلاثة أيام وسبى أهلها وقتل جمعاً من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين يبلغ عددهم سبعمائة؟ وقتل من لم يعرف من عبد أو حرٍّ أو امرأة عشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء، حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو فيها خالد ذائق للعذاب الأليم، كلُّها نضجت جلودهم بدّل الله لهم الجلود حتى يذوقوا العذاب لا يفتروا عنهم ساعة ويسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عز وجل». وقال صلى الله عليه وآله: «اشتد غضب الله تعالى وغضبي على من أهرق

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٤٣

دمي وآذاني في عترتي».

فلينظر العاقل أى الفريقين أحق بالأمن: الذى نَزَّهَ الله تعالى وملائكته وأنبياءه وأئمتهم، ونَزَّهوا الشرع عن المسائل الرديئة، ومن يبطل الصلاة بإهمال الصلاة على أئمتهم وبذكر أئمة غيرهم، أم الذى فعل ضد ذلك واعتقد خلافه؟

الوجه السادس ... ص: ٤٣

إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وكمالاته لا تحصى، قد رواها المخالف والمؤالف، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ولم ينقلوا في على عليه السلام طعناً البتة! اتبعوا قوله وجعلوه إماماً لهم حيث نَزَّهَ المخالف والمؤالف، وتركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته. ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم ونقلوه في المعتمد من كتبهم، ليكون حجة عليهم يوم القيامة:

فمن ذلك: ما رواه أبو الحسن الأندلسي في الجمع بين الصحاح الستة: موطأ مالك، وصحيح مسلم والبخاري، وسنن أبي داود، وصحيح الترمذي، وصحيح النسائي، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله أن قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، أنزلت في بيتي وأنا جالسة عند الباب فقلت: يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ فقال: إنك على خير

إنك من أزواج رسول الله. قالت: وفي البيت رسول الله وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ونحوه رواه أحمد بن حنبل.

وقال في قوله تعالى: «إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ»، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما عمل بهذه الآية غيري وبى خفف الله

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٤٤

تعالى أمر هذه الآية.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه من بنى عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال طلحة بن شيبه: معى مفتاح البيت ولو أشاء بئ فيه! وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بئ في المسجد. وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان! لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْبِقُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي من وصيه! فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيك؟ فقال: يا سلمان، من كان وصي موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: وصي ووارثي يقضى ديني وينجز موعدى، علي بن أبي طالب. وعن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إجلس! فصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى منى ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وقال:

إصعد على منكبي فصعدت على منكبيه قال: فنهض بي قال: فإنه تخيل لي أنى لو شئت لنتل أفق السماء حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استحكمت منه، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إقذف به فقدفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت وانطلقت أنا ورسول الله نستبق حتى تواري بنا البيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

وعن معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: ألا ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٤٥

وعن ابن أبي ليلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصديقون ثلاثة:

حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ»، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ»، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم.

وعن عمرو بن ميمون قال: لعلى عشر خصال ليست لغيره:

قال له النبي صلى الله عليه وآله: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله فاستشرف لها من استشرف قال: أين علي؟ قالوا: هو في الرحي يطحن، قال:

وما كان أحدكم يطحن! قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر قال: فنفت في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً، فأعطاه إياه. قال: ثم بعث أبا بكر بسورة التوبة فبعث علياً عليه السلام خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلّا رجل هو منى وأنا منه.

وقال صلى الله عليه وآله عليه وآله لبنى عمه: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال وعلي معهم جالس، فأبوا فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة! قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة فأبوا! فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة،

فقال: أنت ولي في الدنيا والآخرة.

قال: وكان علي أول من أسلم من الناس بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

قال: وشرى علي نفسه ولبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه وكان المشركون يرمونه بالحجارة.

وخرج النبي صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك فقال له علي عليه السلام: أأخرج معك؟ فقال: لا، فبكى علي فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٤٦

أنك لست بنبي، لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

قال: وقال له رسول الله: أنت ولي في كل مؤمن بعدى.

قال: وسد أبواب المسجد غير باب علي، قال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

وقال له: من كنت مولاه، فإن مولاه علي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله مرفوعاً: أنه بعث أبا بكر ببراءة إلى أهل مكة، فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي عليه السلام إحققه فردّه وبلغها أنت ففعل، فلما قدم أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله بكى وقال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: لا، ولكن أمرت ألا يبلغه إلا أنا أو رجل مني.

ومنها: ما رواه أخطب خوارزم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يا علي لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحميد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، وميّد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا علي، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها!

وقال رجل لسلمان: ما أشدّ حبك لعلي! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أبغض علياً فقد أبغضني.

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ علياً قبل الله منه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعاءه، ألا ومن أحبّ علياً أعطاه الله بكلّ عرق في بدنه مدينة في الجنة. ألا ومن أحبّ آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط. ألا ومن مات على حبّ آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء. ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمته الله».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٤٧

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض علياً، فهو كاذب ليس بمؤمن».

وعن أبي برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن جلوس ذات يوم:

والذي نفسى بيده لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأله تبارك وتعالى عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله فيم كسبه وفيم أنفقه، وعن حبنا أهل البيت. فقال له عمر: فما آية حبكم من بعدكم؟ فوضع يده على رأس علي عليه السلام وهو إلى جانبه فقال: «إن حبي من بعدى حبّ هذا».

وعن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل: «بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي

بن أبي طالب فألهمني أن قلت: يا رب أنت خاطبتني أم علي؟ فقال: يا أحمد، أنا شيء ليس كالأشياء لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقته علياً من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب عليه السلام، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب».

وبالإسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها. ثم قال: النظر إلى وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عبادة وذكره عبادة لا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٤٨

وعن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة».

وعن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بالسب فأبى، فقال:

ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: «ثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبه لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حُمُر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ وسمعت يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فتناولنا فقال: أدعوا لي علياً فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه فدفع الراية إليه ففتح الله عليه. وأنزلت هذه الآية: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ» دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي».

وعن عامر بن واثله قال: كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى، فسمعت علياً عليه السلام يقول لهم: لأحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولا عجميتكم تغيير ذلك! ثم قال: أنشدكم بالله أيها النفر جميعاً: أفيكم أحدٌ وحَّد الله تعالى قبلي؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له عم مثل عمي حمزة أسد الله وأسود رسوله سيد الشهداء، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيده نساء أهل الجنة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدي

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٤٩

شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات وقدم بين يدي نجواه صدقة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ليلبغ الشاهد الغائب، غيري؟

قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك وإلي وأشدَّهم لك حباً ولى حباً، يأكل معي هذا الطائر، فأتاه فأكل معه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: لأعطين الزاية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه إذ رجع غيري منهزماً، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لبنى وليعة:

لنتهنّ أو لأبعثن إليكم رجلاً نفسه كنفسى طاعة طاعتي ومعصية معصيتي يفصلكم بالسيف، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: كذب من زعم أنه يحبني ويغض هذا، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة، منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، حيث جئت بالماء إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من القليب، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نودي به من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥٠

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: إنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما، غيري؟

قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبي صَلَّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: إني قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتل على تأويل القرآن، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ردّت عليه الشمس حتى صَلَّى العصر في وقتها، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أن يأخذ براءة من أبي بكر، فقال له أبو بكر: يا رسول الله أنزل فيّ شيء؟ فقال له: إنه لا يؤذى عني إلا علي، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله أعلمون أنه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: ما أنا سدّدت أبوابكم ولا أنا فتحت بابي بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابي، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، أعلمون أنه ناجاني في يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك، فقلتم: ناجاه دوننا! فقال: ما أنا انتجيتي بل الله انتجاه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، أعلمون أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: الحق مع علي وعلى مع الحق، يدور الحق مع علي كيفما دار؟ قالوا: اللهم نعم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥١

قال: فأنشدكم بالله، أعلمون أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي لن تضلّوا ما استمسكتم بهما، ولن يفترقا حتى يرثي الحوض؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد وقى رسول الله من المشركين بنفسه واضطجع في مضجعه، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد بارز عمرو بن ود العامري حيث دعاكم إلى البراز، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَظْهِيراً؟ غيرى؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله: أنت سيد العرب غيرى؟

قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله، غيرى؟ قالوا: اللهم لا. ومنها: ما رواه أبو عمر الزاهد، عن ابن عباس، قال: لعلى أربع خصال ليس لأحد من الناس غيره: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم حنين، وهو الذي غسله وأدخله قبره. صلى الله عليهما.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مررت ليلة المعراج يقوم تشرشر أشداقهم فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يقطعون الناس بالغيبة. قال: مررت يقوم ضاضؤوا فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الكفار، قال: ثم عدلنا عن ذلك الطريق، فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت علياً يصلي، فقلت لجبرئيل: يا جبرئيل، أهذا على قد سبقنا؟ قال: لا، ليس هذا علياً. قلت: فمن هو؟ قال: إن الملائكة المقربين

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥٢

والملائكة الكروبيين، لما سمعت فضائل على عليه السلام وبخاصة سمعت قولك فيه:

أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، اشتاقت إلى على، فخلق الله لها ملكاً على صورة على، فإذا اشتاقت إلى على نظرت إلى ذلك الملك، فكانها قد رأت علياً!

وعن ابن عباس قال: إن المصطفى صلى الله عليه وآله قال ذات يوم وهو نشيط:

«أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى! قال: فقلوه: أنا الفتى، يعني هو فتى العرب بإجماع، أى سيدها وقوله: ابن الفتى، يعني إبراهيم الخليل عليه السلام، من قوله عز وجل: «قَالُوا سَجَعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ»، وقوله: أخو الفتى، يعني علياً عليه السلام وهو قول جبرئيل عليه السلام فى يوم بدر وقد عرج إلى السماء بالفتح وهو فرح وهو يقول: لا سيف إلأذو الفقار ولا فتى إلا على».

وعن ابن عباس قال: رأيت أبا ذر وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أبو ذر، لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما نفعكم ذلك حتى تحبوا علياً عليه السلام!

ومنها: ما نقله صاحب الفردوس فى كتابه: عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «حبّ على بن أبى طالب عليه السلام حسنة لا تضرّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة».

وعن ابن مسعود، قال: «حبّ آل محمد خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة».

وعن أنس قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل على فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أنا وهذا حجة الله على خلقه».

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لو اجتمع الناس على حبّ على لم يخلق الله النار».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥٣

ومنها: ما رواه أبو عبد الله الحافظ الشافعى بإسناده عن أبى برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله عهد إلى عهداً فى على فقلت: يا رب بينه لى فقال: إسمع فقلت: سمعت فقال: إن علياً رايه الهدى وإمام الأولياء ونور من أطاعنى، وهو الكلمة التى ألزمها المتقين، من أحبه أحببى ومن أبغضه أبغضنى فبشره بذلك! فجاء على فبشرته فقال: يا رسول الله! أنا عبد الله فى قبضته فإن يعذبنى فبذنوبى وإن يتم لى الذى بشرتنى به فالله أولى به، قال: فقلت: اللهم اجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان! فقال الله عز وجل فقد فعلت به ذلك. ثم إنه رفع إلى أنه سيخضه من البلاء بشيء لم يخص به أحد من أصحابى فقلت: يا رب أخى وصاحبى فقال: إن هذا

شيء قد سبق، إنه مبتلى ومبتلى به».

ورواه صاحب كتاب حلية الأولياء.

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوصى من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولي الله عز وجل».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله أكبه على منخريه في النار»!

والأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى، لكن اقتصرنا في هذه المختصر على هذا القدر.

المطاعن في الجماعة ... ص: ٥٣

وأما المطاعن في الجماعة: فقد نقل أتباعهم الجمهور منها شيئاً كثيراً، حتى صنف الكلبي كتاباً كله في مثالب الصحابة، ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت عليهم السلام. وقد ذكر غيره منهم أشياء كثيرة، ونحن نذكر شيئاً يسيراً منها:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٥٤

منها: ما رواه عن أبي بكر أنه قال على المنبر: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يعصم بالوحي وإن لي شيطاناً يعتريني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني.

وكيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع أن الرعية تحتاج إليه!

وقال: أقبلوني فلست بخيركم! فإن كانت إمامته حقاً كانت استقالته منها معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن.

وقال عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. ولو كانت إمامته صحيحة لم يستحق فاعلها القتل، فيلزم تطرق الطعن إلى عمر، وإن كانت باطلة لزم الطعن عليهما معاً!

وقال أبو بكر عند موته: ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ وهذا يدل على أنه في شك من إمامته ولم تقع صواباً.

وقال عند احتضاره: ليت أمي لم تلدني! يا ليتني كنت تبنة في لبنه! مع أنهم نقلوا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من محتضر يحتضر إلا ويرى مقعده من الجنة أو النار.

وقال أبو بكر: ليتني في ظلمة بنى ساعدة ضربت يدي على يد أحد الرجلين وكان هو الأمير وكنت الوزير! وهو يدل على أنه لم يكن صالحاً يرتضى نفسه للإمامة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته مرة بعد أخرى مكرراً لذلك:

أنفذوا جيش أسامة، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة! وكان الثلاثة معه. ومنع أبو بكر عمر من ذلك.

وأيضاً، لم يول النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر عملاً البتة في وقته، بل ولّى عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى، ولما أنفذه بسورة براءة رده بعد ثلاثة أيام بوحي من الله تعالى! وكيف يرتضى العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي صلى الله عليه وآله بوحي من الله تعالى لأداء عشر آيات من براءة؟!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٥٥

وقطع أبو بكر يسار سارق ولم يعلم أن القطع لليد اليمنى!

وأحرق الفجاءة السلمي بالنار وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الإحراق بالنار وقال: لا يعذب بالنار إلا رب النار!

وخفي عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلاله، وقال: أقول فيها برأبي، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن

الشيطان.

وقضى في الجَدِّ سبعين قضيةً وهو يدلُّ على قصوره في العلم!

فأى نسبة له إلى من قال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإنني أعرف بها من طرق الأرض؟! قال أبو البحتري: رأيت علياً عليه السلام صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله متقلداً بسيف رسول الله متعمماً بعمامة رسول الله في إصبه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقعده على المنبر وكشف عن بطنه فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح مني علم جم، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقاً من غير وحى أوحى إليّ، فوالله لو تُبَيِّت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فتقول: صدق عليّ قد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون؟!!

وروى البيهقي في كتابه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام». فأثبت له ما تفرّق فيهم.

قال أبو عمرو الزاهد: قال أبو العباس ثعلب: لا نعلم أحداً قال بعد نبيّه: سلوني من شئت إلى محمد صلى الله عليه وآله إلا علياً، فسأله الأكابر: أبو بكر وعمر وأشباههما حتى انقطع السؤال، ثم قال بعد هذا كلّ: يا كميل بن زياد! إن هاهنا لعلماً جمّاً لو وجدت

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥٦

له حملة.

وأهمل أبو بكر حدود الله، فلم يقتص من خالد بن الوليد ولا حدّه حين قتل مالك بن نويرة وكان مسلماً وتزوج امرأته من ليلة قتله وضاجعها! وأشار عليه عمر بقتله فلم يقبل!

وخالف أمر الله تعالى في توريث بنت النبي صلى الله عليه وآله ومنعها فداً.

وتسمّى بخليفة رسول الله من غير أن يستخلفه.

ومنها: ما رووه عن عمر: روى أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء: أنه لما احتضر قال: «يا ليتني كنت كبشاً لقومي فسمّوني ما بدا لهم ثم جاءهم أحبّ قومهم إليهم فذبحوني، فجعلوا نصفى شواء ونصفى قديداً فأكلوني، فأكون عذرة ولا أكون بشراً!! هل هذا إلا مساو لقول الله تعالى: «وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً»؟

وقال لابن عباس عند احتضاره: لو أن لي مل الأرض ذهباً ومثله معه لافتديت به نفسي من هول المظلم! وهذا مثل قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ»!

فلينظر المنصف العاقل قول الرجلين عند احتضارهما، وقول علي عليه السلام:

متى ألقاها، متى يبعث أشقاها، متى ألقى الأحبة محمداً وحزبه؟ وقوله حين قتل: فُرْتُ وَرَبُّ الكعبة!

وروى صاحب الجمع بين الصيحات الستة، من مسند ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرض موته: «إئتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تضلّون به من بعدى، فقال عمر: إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله! وكثر اللغط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

عليه وآله: أخرجوا عني لا ينبغي التنازع لديّ! فقال ابن عباس:

الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال عمر لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله: والله مامات محمد ولا يموت

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥٧

حتى يقطع أيدي رجال وأرجلهم! فلما تبّه أبو بكر وتلا- عليه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»، وقوله: «فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ»، قال: كأنني ما

سمعت بهذه الآية.

ولما وعظت فاطمة عليه السلام أبا بكر في فذك كتب لها بها كتاباً ورودها عليها فخرجت من عنده، فلقبها عمر فخرق الكتاب، فدعت عليه بما فعله أبو لؤلؤة به.

وعطل حد الله تعالى فلم يحد المغيرة بن شعبه.

وكان يعطى أزواج النبي صلى الله عليه وآله من بيت المال أكثر مما ينبغي، فكان يعطى عائشة وحفصة في كل سنة عشرة آلاف درهم.

وغير حكم الله تعالى في المتعتين.

وكان قليل المعرفة بالأحكام: أمر برجم حامل، فقال له على عليه السلام: إن كان لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها. فأمسك، وقال: لولا على لهلك عمر.

وأمر برجم مجنونة، فقال له على عليه السلام: إن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، فأمسك، وقال: لولا على لهلك عمر.

وقال في خطبة له: من غالى في مهر امرأة جعلته في بيت المال، فقالت له امرأة:

كيف تمنعنا ما أعطانا الله تعالى في كتابه حيث قال: «وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً»، فقال: كل أفقه من عمر حتى المخدرات.

ولم يحيد قدامه بن مظعون في الخمر لأنه تلاه عليه: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا»، فقال له على عليه السلام: ليس قدامه من أهل هذه الآية، وأمره بحده، فلم يدر كم يحده؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: حده ثمانين، إن شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري.

وأرسل إلى حامل يستدعيها فأجهضت خوفاً، فقال له الصحابة: نراك مؤدباً ولا شيء عليك، ثم سأل أمير المؤمنين عليه السلام فأوجب الديه على عاقلته.

وتنازعت امرأتان في طفل، فلم يعلم الحكم وفرع فيه إلى أمير المؤمنين عليه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٥٨

السلام، فاستدعى المرأتين ووعظهما فلم ترجعا، فقال عليه السلام: إئتوني بمنشار! فقالت المرأتان له: ما تصنع؟ قال: أقده نصفين تأخذ كل واحدة نصفاً، فرضيت إحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لا بد من ذلك قد سمحت به لها، فقال عليه السلام: الله أكبر هو ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقى عليه! فاعترفت الأخرى أن الحق مع صاحبها، ففرح عمر ودعا لأمر المؤمنين عليه السلام.

وأمر برجم امرأة ولدت لسته أشهر فقال له على عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك! إن الله تعالى يقول: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» وقال:

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ»، فحلى سبيلها.

وكان يضطرب في الأحكام، فقضى في الجد بمائة قضيه.

وكان يفضل في الغنيمه والعطاء وأوجب الله تعالى التسويه.

وقال بالرأى والحدس والظن.

وجعل الأمر شورى من بعده وخالف فيه من تقدمه، فإنه لم يفوض الأمر فيه إلى اختيار الناس ولا نص على إمام بعده، بل تأسف على سالم مولى حذيفة وقال: لو كان حياً لم يختلجني فيه شك! وأمر المؤمنين على عليه السلام حاضر! وجمع في من يختار بين المفضل والفاضل ومن حق الفاضل التقدم على المفضل، ثم طعن في كل واحد ممن اختاره للشورى. وأظهر أنه يكره أن يتقلد أمر المسلمين ميتاً كما تقلده حياً، ثم تقلده بأن جعل الإمامة في سته، ثم ناقض فجعلها في أربعة، ثم في ثلاثة ثم في واحد، فجعل إلى عبد الرحمن

بن عوف الاختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور! ثم قال: إن اجتمع أمير المؤمنين وعثمان فالقول ما قالاه، وإن صاروا ثلاثة ثلاثة فالقول للذين فيهم عبد الرحمن، لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر، وأن عبد الرحمن لا يعدل بالأمر عن أخيه وهو عثمان وابن عمه! ثم أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة ثلاثة أيام، مع أنهم عندهم من العشرة المبشرة بالجنة، وأمر بقتل من خالف شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٥٩

الثلاثة الذين منهم عبد الرحمن، وكل ذلك مخالف للدين. وقال لعلي عليه السلام: إن وليتها وليسوا فاعلين، لتركتهم على المحجة البيضاء، وفيه إشارة إلى أنهم لا- يولونه إياها. وقال لعثمان: إن وليتها لتركن آل أبي معيط على رقاب الناس ولئن فعلت لتقتلن، وفيه إشارة إلى الأمر بقتله.

وأما عثمان، فإنه ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة. وقسم الولايات بين أقاربه وعوتب على ذلك مراراً فلم يرجع. واستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر، وصلى بالناس وهو سكران. واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة، فظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها. وولى عبد الله بن أبي سرح مصر حتى تظلم منه أهلها، وكاتبه أن يستمر على ولايته سراً خلاف ما كتب إليه جهراً، وأمره بقتل محمد بن أبي بكر.

وولى معاوية الشام فأحدث من الفتن ما أحدث. وولى عبد الله بن عامر العراق ففعل من المناكير ما فعل. وولى مروان أمره وألقى إليه مقاليد أموره ودفع إليه خاتمه، فحدث من ذلك قتل عثمان فحدث من الفتنة بين الأمة ما حدث. وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين، حتى أنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته أربع مائة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار.

وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفره، ولما علم ضربه حتى مات! وضرب عماراً حتى صار به فتق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: «عمار جلده بين عيني تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة»! وكان عمار يطعن عليه.

وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص عم عثمان عن المدينة ومعه ابنه مروان، فلم يزل طريداً هو وابنه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وأبى بكر وعمر، فلما ولي عثمان آواه وردّه إلى المدينة وجعل مروان كاتبه وصاحب تدبيره، مع أن الله تعالى قال: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٦٠

اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ».

ونفى أبا ذر إلى الربذة وضربه ضرباً وجيعاً، مع أن النبي صلى الله عليه وآله قال في حقه: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. وقال:

إن الله تعالى أوحى إليّ أنه يحب أربعة من أصحابي وأمرني بحبهم فقبل له: من هم يا رسول الله؟ قال: علي سيدهم وسلمان والمقداد وأبو ذر».

وضيّع حدود الله، فلم يُقَدِّ عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبيد الله لإقامة القصاص عليه فلحق بمعاوية. وأراد أن يعطل حد الشرب في الوليد بن عقبة حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا يبطل حدّ الله وأنا حاضر.

وزاد الأذان الثاني يوم الجمعة وهي بدعة وصار سنّة إلى الآن، وخالفه المسلمون كلّهم حتى قتل، وعابوا فعاله وقالوا له: غبت عن بدر وهربت يوم أحد ولم تشهد بيعه الرضوان! والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

وقد ذكر الشهرستاني - وهو أشدّ المبغضين للإمامية -: أن مثار الفساد بعد شبهة إبليس الاختلافات الواقعة في مرض النبي صلى الله عليه وآله.

فأول تنازع وقع في مرضه فيما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: لما اشتد بالنبى مرضه الذى توفى فيه قال: «إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى فقال عمر: إن صاحبكم ليهجّر حسبنا كتاب الله! وكثر اللّغط فقال النبى صلّى الله عليه وآله: قوموا عني لا ينبغي عندى التنازع».

والخلاف الثانى فى مرضه صلّى الله عليه وآله: أنه قال: جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز عن المدينة، وقال قوم: اشتد مرضه ولا يسع قلوبنا المفارقة.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٦١

والثالث فى موته صلّى الله عليه وآله. قال عمر: من قال أن محمداً قد مات قتله بسيفى هذا، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم. وقال أبو بكر: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإنه حتى لا يموت.

الرابع فى الإمامة: وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة: إذ ما سئل سيفٌ فى الإسلام على قاعدة دينية مثلما سئل على الإمامة، فى كلّ زمان، واختلف المهاجرون والأنصار فقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، واتفقوا على رئيسهم سعد بن عباد الأنصارى، فاستدرك عمر وأبو بكر بأن حضرا سقيفة بنى ساعدة، ومدّ عمر يده إلى أبى بكر فبايعه فبايعه الناس. وقال عمر: إنما كانت فلتة وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! وأمير المؤمنين عليه السلام مشغول بما أمر النبى صلّى الله عليه وآله من دفنه وتجهيزه وملازمة قبره وتخلف هو وجماعة عن البيعة.

الخامس فى فدك والتوارث عن النبى صلّى الله عليه وآله: دفعها أبو بكر بروايته عن النبى: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

والسادس فى قتال مانعى الزكاة، فقاتلهم أبو بكر واجتهد عمر فى أيام خلافته فرد السبايا والأموال إليهم وأطلق المحبوسين.

السابع فى تنصيب أبى بكر على عمر بالخلافة: فمن الناس من قال: وليت علينا فظاً غليظاً.

الثامن فى أمر الشورى: واتفقوا بعد الاختلاف على إمامة عثمان. ووقعت اختلافات كثيرة: منها: رده الحَكَم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله وكان يسمى طريد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وبعد أن تشفّع إلى أبى بكر وعمر أيام خلافتهم فما أجابا إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

ومنها: نفيه أبا ذر إلى الربدّة، وترويعه مروان بن الحكم ابنته، وتسليمه خمس غنائم أفريقية له، وقد بلغت مائتى ألف دينار.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٦٢

ومنها: إيواءه عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد أن أهدر النبى صلّى الله عليه وآله دمه وتولّيته إياه مصر، وتولّيته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث.

وكان أمراء جنوده: معاوية بن أبى سفيان عامل الشام، وسعيد بن العاص عامل الكوفة، وبعده عبد الله بن عامر، والوليد بن عقبة عامل البصرة.

التاسع فى زمن أمير المؤمنين عليه السلام بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له، فأولها خروج طلحة والزبير إلى مكة، ثم حمل عائشة إلى البصرة، ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل. والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين، ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري. وكذا الخلاف بينه وبين الشراء المارقين بالنهروان.

وبالجملة: كان علىّ مع الحق والحق مع على عليه السلام. وظهر فى زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس، ومسعود بن مذكى التميمي، وزيد بن حصين الطائي وغيرهم. وظهر فى زمانه الغلاة كعبد الله بن سبأ، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة، وصدق فيه قول النبى صلّى الله عليه وآله: «يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال».

فانظر بعين الإنصاف إلى كلام هذا الرجل، هل خرج موجب الفتنة عن المشائخ، أو تعدّاهم؟!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٦٣

الفصل الثالث: في الأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ... ص: ٦٣

إشارة

الأدلة في ذلك كثيرة لا تحصى، لكن نذكر المهم منها، ونظمه أربعة منهاج.

المنهج الأول: في الأدلة العقلية ... ص: ٦٣

وهي خمسة:

الأول

إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومتى كان كذلك كان الإمام هو علي عليه السلام. أما المقدمة الأولى، فلأن الإنسان مدني بالطبع لا يمكن أن يعيش منفرداً، لافتقاره في بقائه إلى مأكل وملبس ومسكن لا يمكنه بنفسه، بل يفتقر إلى مساعدة غيره، بحيث يفزع كل منهم لما يحتاج إليه صاحبه حتى يتم نظام النوع. ولما كان الاجتماع في مظنة التغلب والتناوش، فإن كل واحد من الأشخاص قد يحتاج إلى ما في يد غيره، فتدعوه قوته الشهوية إلى أخذه وقهره عليه وظلم فيه، فيؤدى ذلك إلى وقوع الهرج والمرج وإثارة الفتن، فلا بد من نصب إمام معصوم يصدّهم عن الظلم والتعدّي ويمنعهم عن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٦٤

التغلب والقهر وينتصف للمظلوم من الظالم ويوصل الحق إلى مستحقه، لا يجوز عليه الخطأ ولا السهو ولا المعصية، وإلا لافتقر إلى إمام آخر! لأن العلة المحوجة إلى نصب الإمام هي جواز الخطأ على الأمة، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام، فإن كان معصوماً كان هو الإمام، وإلا لزم التسلسل.

وأما المقدمة الثانية فظاهرة، لأن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين اتفاقاً، وعلى عليه السلام معصوم، فيكون هو الإمام.

الثاني

إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، لما بينا من بطلان الاختيار وأنه ليس بعض المختارين لبعض الأمة أولى من البعض المختار للآخر، ولأدائه إلى التنازع والتناحر، فيؤدى نصب الإمام إلى أعظم الفساد التي لأجل إعدام الأقل منها أوجبنا نصبه. وغير على عليه السلام من أئمتهم لم يكن منصوباً عليه بالإجماع، فتعين أن يكون هو الإمام.

الثالث

إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع، لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وآله، وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى معصوم من الزلل والخطأ، لئلا يترك بعض الأحكام أو يزيد فيها عمداً أو سهواً، وغير على عليه السلام لم يكن كذلك بالإجماع.

الرابع

إن الله تعالى قادر على نصب إمام معصوم، والحاجة للعالم داعية إليه ولا مفسدة فيه، فيجب نصبه. وغير على عليه السلام لم يكن كذلك إجماعاً. فتعين أن يكون الإمام هو علي عليه السلام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٦٥

أما القدرة فظاهرة، وأما الحاجة فظاهرة أيضاً، لما بينا من وقوع التنازع بين العالم، وأما انتفاء المفسدة فظاهر أيضاً، لأن المفسدة لازمة

لعدمه، وأما وجوب نصبه، فلأنه عند ثبوت القدرة والداعى وانتفاء الصارف يجب الفعل.

الخامس

إن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته، وعلى عليه السلام أفضل أهل زمانه على ما يأتى، فيكون هو الإمام، لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً. قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ!»

المنهج الثانى: فى الأدلة المأخوذة من القرآن ... ص: ٦٥

والبراهين الدالة على إمامة على عليه السلام من الكتاب العزيز أربعون برهاناً:

الأول

قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ». وقد أجمعوا على أنها نزلت فى على عليه السلام. قال الثعلبى بإسناده إلى أبى ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا فضيحتا، ورأيت بهاتين وإلا فعميتا، يقول: «على قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله». أما إنى صليت مع رسول الله يوماً صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فى المساجد فلم يعطنى أحد شيئاً! وكان على عليه السلام راکعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم بها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبى صلى الله عليه وآله، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن موسى سألك فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي»

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٦٦

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِى هَارُونَ أَخِي أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي»، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعِلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصْطَلُونَ إِلَيْكُمْ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْعَالِيُونَ». اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً من أهلى، علياً اشدد به ظهري! قال أبو ذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزل عليه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ!» ونقل الفقيه ابن المغازلى الواسطى الشافعى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى على عليه السلام. والولى هو المتصرف، وقد أثبت له الولاية فى الآية كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله صلى الله عليه وآله.

البرهان الثانى

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ». اتفقوا على نزولها فى على عليه السلام. روى أبو نعيم الحافظ من الجمهور بإسناده عن عطية قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله فى على بن أبى طالب عليه السلام.

ومن تفسير الثعلبى قال: معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك فى فضل على فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد على وقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

والنبى صلى الله عليه وآله مولى أبى بكر وعمر وباقي الصحابة بالإجماع، فيكون على عليه السلام مولاهم، فيكون هو الإمام.

ومن تفسير الثعلبى قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم نادى

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٦٧

الناس فاجتمعوا فأخذ بيد على عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، فشاع ذلك وطار فى البلاد، وبلغ ذلك الحارث بن

النعمان الفهرى فأتى رسول الله على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها وأتى النبي وهو فى ملأ من أصحابه فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلى خمسا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نركى أموالنا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه! ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضّلته علينا وقتل: من كنت مولاه فعلى مولاه! فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال: والذي لا إله إلا هو إنه من أمر الله! فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ».

وقد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور فى تفسيره.

البرهان الثالث

قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا». روى أبو نعيم بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى قال: إن النبي صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى على فى غدير خم، وأمر بما تحت الشجر من الشوك فقمّ، ودعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزلت هذه الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتى وبالولاية لعلّى من بعدى» ثم قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله!»

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٦٨

البرهان الرابع

قوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ». روى الفقيه على بن المغازلى الشافعى بإسناده عن ابن عباس قال: كنت جالسا مع فتية من بنى هاشم عند النبي صلى الله عليه وآله إذ انقض كوكب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من انقض هذا النجم فى منزله فهو الوصى من بعدى! فقام فتية من بنى هاشم فنظروا الكوكب قد انقض فى منزل على بن أبى طالب عليه السلام قالوا يا رسول الله قد غويت فى حبّ على! فأنزل الله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ».

البرهان الخامس

قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

روى أحمد بن حنبل فى مسنده عن واثله بن الأسقع قال: طلبت علياً عليه السلام فى منزله فقالت فاطمة: ذهب يأتى برسول الله صلى الله عليه وآله فجاء جميعاً فدخلوا ودخلت معهم، فأجلس علياً عن يساره وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين بين يديه، ثم التفت عليهم ثوبه وقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا». اللهم إن هؤلاء أهلى، اللهم هؤلاء أحق. وعن أم سلمة قالت: إن النبي صلى الله عليه وآله كان فى بيتها فأنته فاطمة ببرنة فيها حريرة فدخلت بها عليه قال: أدعى لى زوجك وابنيك قالت: فجاء على وحسن وحسين عليهم السلام فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة، وهو وهم على منام له على دكان تحته كساء خيبرى، قالت: وأنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله تعالى هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»، قالت: فأخذ فضل الكساء وكساهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء وقال: «هؤلاء أهل بيتى وخاصتى، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وكرّر ذلك قالت: فأدخلت رأسى وقتل: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير إنك إلى خير.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٦٩

وفى هذه الآية دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظ إنما، وبإدخال اللام فى الخبر، والإختصاص فى الخطاب بقوله: أهل البيت، والتكرير

بقوله: يطهرهم، والتأكيد بقوله:

تطهيراً. وغيرهم ليس بمعصوم فتكون الإمامة في علي عليه السلام.

ولأنه ادعاها في عدة من أقواله كقوله: والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي. وقد ثبت نفى الرجس عنه فيكون صادقاً. فيكون هو الإمام.

البرهان السادس

قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ...» قال الثعلبي بإسناده عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية فقام رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذا البيت منها؟ يعني بيت علي وفاطمة؟ قال: نعم من أفاضلها. ووصف فيها الرجال بما يدل على أفضليتهم فيكون علي هو الإمام، وإلا لزم تقديم المفضول على الفاضل.

البرهان السابع

قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى». روى أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: لما نزل: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»، قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. وكذا في تفسير الثعلبي، ونحوه في الصحيحين.

وغير علي عليه السلام من الصحابة الثلاثة لا تجب مودته. فيكون علي عليه السلام أفضل فيكون هو الإمام، لأن مخالفته تنافي المودة وامتنال أوامره يكون مودة فيكون واجب الطاعة، وهو معنى الإمامة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٠

البرهان الثامن

قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِيبَادِ». قال الثعلبي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب عليه السلام لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار - وقد أحاط المشركون بالدار - أن ينام على فراشه فقال له: يا علي إتشح بيّردى الحضرمي الأخضر ونم على فراشي، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله عز وجل، ففعل ذلك.

فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، آخيت بينه وبين محمد فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فترلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، فقال جبرئيل: بخ بخ! من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة عليهم السلام! فأنزل الله على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ».

وقال ابن عباس: إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام لما هرب النبي صلى الله عليه وآله من المشركين إلى الغار. وهذه فضيلة لم تحصل لغيره وتدّل على أفضليته على جميع الصحابة، فيكون هو الإمام.

البرهان التاسع

قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى»

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧١

الْكَاذِبِينَ». نقل الجمهور كافة أن (أبناءنا) إشارة إلى الحسن والحسين، و (نساءنا) إشارة إلى فاطمة عليها السلام، و (أنفسنا) إشارة إلى

على بن أبي طالب عليهم السلام.

وهذه الآية أدل دليل على ثبوت الإمامة لعل عليه السلام، لأنه تعالى قد جعله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله والاتحاد محالاً، فيبقى المراد المساوى، وله صلى الله عليه وآله الولاية العامة، فكذا لمساويه. وأيضاً، لو كان غير هؤلاء مساوياً لهم أو أفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره الله تعالى بأخذهم معه لأنه في موضع الحاجة، وإذا كانوا هم الأفضل تعينت الإمامة فيهم.

وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب إلأعلى من استحوذ الشيطان عليه وأخذ بمجامع قلبه، وخُيِّل له حب الدنيا التي لا ينالها إلأبمنع أهل الحق عن حقهم؟

البرهان العاشر

قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ». روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: «سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقها آدم من ربه فتاب عليه قال: سأله بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ، فتاب عليه!»

وهذه فضيلة لم يلحقه أحد من الصحابة فيها، فيكون هو الإمام لمساواته النبي صلى الله عليه وآله في التوسل به إلى الله تعالى.

البرهان الحادي عشر

قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي»... روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

انتهت الدعوة إلى وإلى علي، لم يسجد أحدنا لصنم قط، فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً!

وهذا نص في الباب.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٢

البرهان الثاني عشر

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا». روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت في علي عليه السلام قال: والودُّ محبته في قلوب المؤمنين.

وعن تفسير الثعلبي: عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعل بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة!» فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا».

ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث عشر

قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

من كتاب الفردوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا المنذر وعلى الهادي، وبك يا علي يهتدى المهتدون». ونحوه رواه أبو نعيم.

وهو صريح في ثبوت الولاية والإمامة.

البرهان الرابع عشر

قوله تعالى: «وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ». من طريق الحافظ أبي نعيم عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله تعالى: «وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ»، قال: عن ولاية علي بن أبي طالب.

وكذا في كتاب الفردوس عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله.

وإذا سئلوا عن الولاية وجب أن تكون ثابتة له، ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك فيكون أفضل، فيكون هو الإمام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٧٣

البرهان الخامس عشر

قوله تعالى: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ». ... روى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ، قال: يبغضهم علينا!

ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

البرهان السادس عشر

قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ». روى أبو نعيم الحافظ عن ابن عباس قال في هذه الآية: سابق هذه الأمة على بن أبي طالب.

وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله:

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»، قال: سبق يوشع بن نون إلى موسى وصاحب يس إلى عيسى، وسبق على إلى محمد صلى الله عليه وآله.

وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

البرهان السابع عشر

قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ... الآيات». روى رزين بن معاوية في الجمع بين الصحاح الستة أنها نزلت في على لما افتخر طلحة بن شبيب والعباس.

وهذه فضيلة لم تحصل لغيره من الصحابة، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

البرهان الثامن عشر

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». من طريق الحافظ أبي نعيم إلى ابن عباس قال: إن الله حرم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله إلبتقديم الصدقة وبخلوا أن يتصدقوا قبل كلامه وتصدق على ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٧٤

ومن تفسير الثعلبي، قال ابن عمر: كان لعلي عليه السلام ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حُمُرِ النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى رزين البدرى في الجمع بين الصحاح الستة عن على عليه السلام: ما عمل بهذه الآية غيري، وبى خفف الله تعالى عن هذه الأمة.

وهذا يدل على أفضليته عليهم، فيكون أحق بالإمامة.

البرهان التاسع عشر

قوله تعالى: «وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ». قال ابن عبد البر - وأخرجه أبو نعيم أيضاً - قال: إن النبي صلى الله عليه وآله ليلة أسرى به جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء عليهم السلام ثم قال له: سلهم يا محمد على ماذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب.

وهذا تصريح بثبوت الإمامة لعلي عليه السلام.

البرهان العشرون

قوله تعالى: «وَتَعْبَهُمَا أُدُنُّ وَاعْيَهُ». في تفسير الثعلبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا

على.

ومن طريق أبي نعيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا على إن الله عز وجل أمرني أن أدنيتك وأعلمك لتعي وأنزلت هذه الآية: أذن واعية، فأنت أذن واعية للعلم».

وهذه الفضيلة لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الحادي والعشرون

سورة هل أتى. في تفسير الثعلبي من طرق مختلفة قال: مرض الحسن والحسين

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٥

صلى الله عليه وآله فعادهما جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وعامّة العرب فقالوا له: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر صوم ثلاثة أيام وكذا نذرت أمهما فاطمة عليها السلام وجاريتهم فضة، فبرءا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فاستقرض على عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير.

فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحته واختبرت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرصاً.

وصلى على عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله المغرب، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه على عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. فلما أن كان اليوم الثاني، قامت فاطمة عليها السلام فاخترت صاعاً وصلى على عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبه، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه على عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الثالث فطحته واختبرته، وصلى على مع النبي صلى الله عليه وآله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسرونا وتشدّونا ولا تطعمونا؟ أطعموني فإنني أسيرٌ محمد أطعمكم الله على موائد الجنة! فسمعه على عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام.

ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح.

فلما كان اليوم الرابع وقد وفوا نذرهم، أخذ على عليه السلام الحسن بيده اليمنى

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٦

والحسين بيده اليسرى وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر به النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله قال: يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم! إنطلق بنا إلى منزل ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله قال: واغوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً! فهبط جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، خذ ما هناك الله في أهل بيتك قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً»....

وهي تدلّ على فضائل جمّة لم يسبق إليها أحد ولا يلحقها أحد، فيكون أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الثاني والعشرون

قوله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ» ... من طريق أبي نعيم عن مجاهد في قوله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ»: محمد. «وَصَدَّقَ بِهِ» قال: علي بن أبي طالب.

ومن طريق الفقيه الشافعي عن مجاهد في قوله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ»، قال: جاء به محمد صلى الله عليه وآله وصدق

به على عليه السلام.

وهذه فضيلة اختص بها عليه السلام، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث والعشرون

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ». من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة: قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله وحد لا شريك له، محمد عبدى ورسولى أيدته بعلى بن أبى طالب، وذلك قوله تعالى فى كتابه: «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ»، يعنى على بن أبى طالب.

وهذه من أعظم الفضائل التى لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٧

البرهان الرابع والعشرون

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». من طريق أبي نعيم قال: نزلت فى على بن أبى طالب. وهذه فضيلة لم تحصل لأحد من الصحابة غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الخامس والعشرون

قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ». ... قال الثعلبى: إنها نزلت فى على عليه السلام. وهذا يدل على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان السادس والعشرون

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ». ... روى أحمد بن حنبل بإسناده إلى ابن أبى ليلى عن أبيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصادقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجار مؤمن آل يس، الذى قال: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» وحزقيل مؤمن آل فرعون، الذى قال: «أَتَقْتُلُونَنِي رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» وعلى بن أبى طالب عليه السلام الثالث وهو أفضلهم».

ونحوه رواه الفقيه ابن المغازلى الشافعى، وصاحب كتاب الفردوس.

وهذه فضيلة تدل على إمامته.

البرهان السابع والعشرون

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُتَّقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً». من طريق أبي نعيم الحافظ بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت فى على كان معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً، وفى السرّ درهماً، وفى العلانية درهماً. وكذا رواه الثعلبى فى تفسيره.

ولم يحصل لغير على عليه السلام ذلك، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٨

البرهان الثامن والعشرون

ما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عباس، قال ليس من آية فى القرآن: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»، إلا وعلى رأسها وأميرها وشريفها وسيدها، ولقد عاتب الله عز وجل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فى القرآن وما ذكر علماً إلا بخير. وهذا يدل على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان التاسع والعشرون

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا». من صحيح البخارى عن كعب بن عجرة

قال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ومن صحيح مسلم: «قلنا يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلوة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم». ولا شك في أن علياً أفضل آل محمد، فيكون أولى بالإمامة.

البرهان الثلاثون

قوله تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ». من تفسير الثعلبي وطريق أبي نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ»: قال: عليٌّ وفاطمة. «يَتَّخِذُهَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ»: النبي صلى الله عليه وآله. «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ»: الحسن والحسين صلى الله عليه وآله. ولم يحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة، فيكون أولى بالإمامة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٧٩

البرهان الحادي والثلاثون

قوله تعالى: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ». من طريق الحافظ أبي نعيم عن ابن الحنفية قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام وفي تفسير الثعلبي عن عبد الله بن سلام قلت: من هذا الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب. وهذا يدل أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

البرهان الثاني والثلاثون

قوله تعالى: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ». روى أبو نعيم مرفوعاً إلى ابن عباس قال: أول من يُكسى من حلل الجنة إبراهيم لخلته من الله ومحمد صلى الله عليه وآله لأنه صفوة الله ثم عليٌّ يزفُ بينهما إلى الجنان. ثم قرأ ابن عباس: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، قال: عليٌّ وأصحابه. وهذا يدل على أنه أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

البرهان الثالث والثلاثون

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ». روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعل علي عليه وآله لعل عليه السلام: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين».

وإذا كان خير البرية، وجب أن يكون هو الإمام.

البرهان الرابع والثلاثون

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا». في تفسير الثعلبي عن ابن سيرين قال: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب زوج فاطمة علياً وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً. ولم يثبت لغيره ذلك، فكان أفضل، فكان هو الإمام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٨٠

البرهان الخامس والثلاثون

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». أوجب الله تعالى علينا الكون مع المعلوم فيهم الصدق، وليس إلا المعصوم، لتجوز الكذب في غيره، فيكون هو علياً إذ لا معصوم من الأربعة سواه. في حديث أبي نعيم، عن ابن عباس: إنها نزلت في علي عليه السلام.

البرهان السادس والثلاثون

قوله تعالى: «وَإِذْ كُنَّا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ». من طريق أبي نعيم عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام خاصة، وهما أول من صلى ورُكع. وهو يدل على أفضليته فيدل على إمامته.

البرهان السابع والثلاثون

قوله تعالى: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي» من طريق أبي نعيم عن ابن عباس قال: أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب ويدي ونحن بمكة وصلى أربع ركعات. ثم رفع يده إلى السماء فقال: «اللهم إن موسى بن عمران سألك، وأنا محمد نبيك، أسألك أن تشرح لي صدري وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي، علي بن أبي طالب عليه السلام أخي، اشدد به أزرى وأشركه في أمري». قال ابن عباس: فسمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت. وهذا نص في الباب.

البرهان الثامن والثلاثون

قوله تعالى: «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ». من مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله مسجده فذكر قصة مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فقال علي: لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٨١

فعلت بأصحابك ما فعلت، غيري! فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبي والكرامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسى، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ورفيقي وأنت معي في قصرى في الجنة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ». والمتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض».

والمؤاخاة تستدعي المناسبة والمشاكله، فلما اختص علي بمؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الإمام.

البرهان التاسع والثلاثون

قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...»

الآية.. من كتاب الفردوس لابن شيرويه يرفعه عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم يعلم الناس متى سمى علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمى أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد، قال الله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا» قالت الملائكة: بلى، فقال تبارك وتعالى: أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم». وهو صريح في الباب.

البرهان الأربعون

قوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ». أجمع المفسرون على أن صالح المؤمنين هو علي.

وروى أبو نعيم بإسناده إلى أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ هذه الآية: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، قال: صالح المؤمنين علي بن أبي طالب.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٨٢

واختصاصه بذلك يدل على أفضليته، فيكون هو الإمام.

والآيات المذكورة في هذا المعنى كثيرة، اقتصرنا على ما ذكرناه للاختصار.

المناهج الثالث: في الأدلة المستندة إلى السنة المنقولة عن النبي وهي اثنا عشر ... ص: ٨٢

الأول

ما نقله الناس كافة أنه لما نزل قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً، وأمر أن يصنع لهم فخذ شاة مع مئذ من البئر، ويُعد لهم صاعاً من اللبن، وكان الرجل منهم يأكل الجذعة في مقعد واحد ويشرب الفرق من الشراب في ذلك المقام، فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى شبعوا ولم يتبين ما أكلوا، فبهروهم بذلك وتبين لهم آية نبوته. ثم قال: «يا بنى عبد المطلب إن الله بعثنى بالحق إلى الخلق كافة، وبعثنى إليكم خاصة فقال: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فمن يجنبني إلى هذا الأمر ويؤازرنى على القيام به، يكن أخى ووصيى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى؟ فلم يجب أحد منهم. فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر فقال: «إجلس»، ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: «إجلس»، ثم أعاد على القوم مقالته ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر! فقال: «إجلس فأنت أخى ووصيى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى!» فنهض القوم وهم يقولون لأبى طالب: ليُهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٨٣

الثاني

الخبر المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه لما نزل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»، خطب الناس في غدير خم وقال للجمع كله: «أيها الناس أأست أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله!» فقال له عمر:

بخ بخ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!

والمراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف، لتقدم التقرير منه صلى الله عليه وآله بقوله: أأست أولى منكم بأنفسكم؟

الثالث

قوله صلى الله عليه وآله: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى».

أثبت له جميع منازل هارون من موسى صلى الله عليه وآله، للإستثناء.

ومن جملة منازل هارون أنه كان خليفة لموسى ولو عاش بعده لكان خليفة أيضاً، وإلا لزم تطرق النقص إليه، ولأنه خليفة مع وجوده وغيبته مدة يسيرة، وبعد موته وطول الغيبة أولى بأن يكون خليفة.

الرابع

أنه صلى الله عليه وآله استخلفه على المدينة مع قصر مدة الغيبة، فيجب أن يكون خليفته بعد موته، وليس غير على عليه السلام خليفة له في حال حياته إجماعاً، لأنه لم يعزله عن المدينة فيكون خليفة له بعد موته فيها، وإذا كان خليفة في المدينة، كان خليفة في غيرها إجماعاً.

الخامس

ما رواه الجمهور بأجمعهم عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أنه قال لأُمير المؤمنين عليه السلام: «أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني».

وهو نص في الباب.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٨٤

السادس

المؤاخاة: روى أنس قال: لما كان يوم المباهلة وأخى النبي صَلَّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعليّ واقف يراه ويعرف مكانه، ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف على باكي العين فافتقده النبي صَلَّى الله عليه وآله فقال: «ما فعل أبو الحسن؟» قالوا: انصرف باكي العين، قال: «يا بلال إذهب فائت به»، فمضى إليه وقد دخل منزله باكي العين.

فقلت فاطمة: ما يبكيك لا أبكي الله عينيك؟ قال: أخى النبي صَلَّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين أحد!

قالت: لا يحزنك الله، لعله إنما ادّخرك لنفسه.

فقال بلال: يا علي أجب النبي صَلَّى الله عليه وآله.

فأتى النبي صَلَّى الله عليه وآله فقال: ما يبكيك يا أبا الحسن؟ فقال: آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد، قال: «إنما ادّخرتك لنفسى، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله أنى لى بذلك.

فأخذ بيده، فأرقاه المنبر فقال: اللهم إن هذا منى وأنا منه، ألا إنه منى بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا على مولاه!

فانصرف على قرير العين. فاتبعه عمر فقال: بخ بخ يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن!

والمؤاخاة تدل على الأفضلية، فيكون هو الإمام.

السابع

ما رواه الجمهور كافة أن النبي صَلَّى الله عليه وآله لما حاصر خيبر تسعاً وعشرين ليلة، وكانت الراية لأُمير المؤمنين عليه السلام، فلحقه رمد أعجزه عن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٨٥

الحرب، وخرج مرحب يتعرض للحرب، فدعا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين فاجتهد ولم يغن شيئاً ورجع منهزماً. فلما كان من الغد تعرّض لها عمر فسار غير بعيد ثم رجع يجن أصحابه! فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله: جيئوني بعلى عليه السلام. فقيل: إنه أرمد. فقال:

أرونيه تُروني رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار. فجاءوه بعلى، فتفل في يده ومسحها على عينيه ورأسه فبرئ، وأعطاه الراية ففتح الله على يده وقتل مرحباً!

ووصفه عليه السلام بهذا الوصف يدل على انتفائه عن غيره، وهو يدل على أفضليته، فيكون هو الإمام.

الثامن

خير الطائر: روى الجمهور كافة أن النبي صَلَّى الله عليه وآله أتى بطائر فقال:

«اللهم ائتني بأحب خلقك إلّى يأكل معي من هذا الطائر». فجاء على عليه السلام فدق الباب فقال أنس بن مالك: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله على حاجة. فانصرف. ثم قال النبي صَلَّى الله عليه وآله كما قال أولاً، فدق على عليه السلام الباب، فقال أنس: أولم أقل لك إن النبي صَلَّى الله عليه وآله على حاجة؟ فانصرف. فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله كما قال فى الأولين، فجاء على عليه السلام فدق

الباب أشد من الأولين، فسمعه النبي صَلَّى الله عليه وآله وقد قال له أنس إنه على حاجة، فأذن له بالدخول وقال: «يا علي، ما أبطأك عني؟» قال: جئت فردّني أنس ثم جئت فردّني ثم جئت الثالثة فردّني! فقال صَلَّى الله عليه وآله: «يا أنس ما حملك على هذا؟» فقال: رجوت أن يكون الدعاء لأحد من الأنصار! فقال: «يا أنس، أفي الأنصار خير من علي؟ أو في الأنصار أفضل من علي؟» وإذا كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى، وجب أن يكون هو الإمام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٨٦

التاسع

ما رواه الجمهور من أنه عليه السلام أمر أصحابه بأن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين، وقال: «إنه سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»، وقال: «هذا وليّ كلّ مؤمن بعدي»، وقال في حقه: «إن علياً مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة» فيكون عليّ بعده كذلك.

وهذه نصوص في الباب.

العاشر

ما رواه الجمهور من قول النبي صَلَّى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». وقال صَلَّى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وهذا يدلّ على وجوب التمسك بقول أهل بيته عليهم السلام وسيدهم علي عليه السلام فيكون واجب الطاعة على الكلّ، فيكون هو الإمام دون غيره من الصحابة.

الحادي عشر

ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته. روى أحمد بن حنبل في مسنده: أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أخذه بيده حسن وحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة».

وروى ابن خالويه عن حذيفة قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «من أحب أن يتمسك بقصبه الياقوت التي خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها: كوني فكانت، فليتولّ علي بن أبي طالب من بعدي». وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لعلّي: «حبك إيمان وبغضك نفاق وأوّل من يدخل الجنة محبّك، وأوّل من يدخل النار مبغضك، وقد

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٨٧

جعلك أهلاً لذلك، فأنت مني وأنا منك ولا نبي بعدي».

وعن شقيق بن سلمة عن عبد الله قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: «هو وليّ وأنا وليه، عاديّ من عاديّ وسالمت من سالم».

وروى أخطب خوارزم عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «

جاءني جبرئيل من عند الله عز وجلّ بورقة خضراء مكتوب فيها بياض: إني افترضت محبة علي بن أبي طالب عليه السلام على خلقي فبلغهم ذلك عني».

والأخبار في ذلك لا تحصى كثرة من طرق المخالفين، وهذا يدلّ على أفضليته واستحقاقه للإمامة.

الثاني عشر

روى أخطب خوارزم بإسناده إلى أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر»!

وعن أنس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله، فرأى علياً عليه السلام مقبلاً فقال: «أنا وهذا حجّة على أمتي يوم القيامة». وعن معاوية بن حيدة القشيري قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «يا علي لا يبالى من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً».

قالت الإمامية: إذا رأينا المخالف لنا يورد مثل هذه الأحاديث، ونقلنا نحن أضعافها عن رجالنا الثقات، وجب علينا المصير إليها وحرّم العدول عنها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٨٨

المنهج الرابع: في الأدلة على إمامته المستنبطة من أحواله وهي اثنا عشر ... ص: ٨٨

الأول

أنه عليه السلام كان أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلق الدنيا ثلاثاً، وكان قوته جريش الشعرير وكان يختمه لثاً يضع الإمامان عليهما السلام فيه أدمًا، وكان يلبس خشن الثياب وقصيرها، ورقّع مدرعته حتى استحيا من راقعها، وكانت حمائل سيفه من اللّيف، وكذا نعله.

روى أخطب خوارزم عن عمار قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي إن الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها: زهدك في الدنيا وبغضها إليك، وحبب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً. يا علي طوبى لمن أحبك وصدق عليك، والويل لمن أبغضك وكذب عليك. أما من أحبك وصدق عليك فأخوانك في دينك وشركاؤك في جنتك، وأما من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذابين».

قال سويد بن غفلة: دخلت على بن أبي طالب عليه السلام القصر، فوجدته جالساً بين يديه صحيفة فيها لبن حازر أجدر ريحه من شدة حموضته، وفي يديه رغيف أرى قشار الشعرير في وجهه وهو يكسره بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته فطرحه فيه، فقال: أذن فأصب من طعامنا هذا! فقلت: إني صائم! فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من منعه الصيام من طعام يشتهيهِ كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها. قال: فقلت لجاريته وهي قائمة بقرب منه: ويحك يا فضة، ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا ألا ننخل له طعاماً! قال: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال: بأبي وأمي من لم ينخل له

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٨٩

طعام ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل!

واشترى يوماً ثوبين غليظين فخبر قنبراً فيها، فأخذ واحداً ولبس هو الآخر، ورأى في كفه طولاً عن أصابعه فقطعه.

قال ضرار بن ضمرة: دخلت على معاوية بعد قتل علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: صف لي علياً فقلت: أعفني! فقال: لا بد أن تصفه، فقلت: أما إذا لابد، فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، غزير العبرة طويل الفكرة، يقلب كفه ويعاتب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب. وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوانا، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلّمه هيبه له، يُعظّم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطعم القوى في باطله ولا يئأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرحى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته يتململ تمللم السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرّيتي غيري، أبيت تعرّضت أم لى تشوّفت؟ هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثاً لارجعه فيها، فعمرك قصير وخطرك يسير وعيشك حقير. آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق!

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك!

قال معاوية: كيف كان حبك له؟ قال: كحب أم موسى لموسى! قال: فما حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها، فلا ترقاً عبرتها، ولا يسكن حزنها!

وبالجملة، فزهد لم يلحقه أحد فيه، ولا يسبقه أحد إليه.

وإذا كان أزهّد الناس كان هو الإمام، لامتناع تقدّم المفضول عليه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٠

الثاني

أنه عليه السلام كان أعبد الناس يصوم النهار ويقوم الليل، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل ونوافل النهار، وأكثر العبادات والأدعية المأثورة عنه تستوعب الوقت. وكان يصلي في نهاره وليلته ألف ركعة، ولم يُخلّ بصلاة الليل حتى في ليلة الهيرير.

قال ابن عباس: رأيت في حربه وهو يرقب الشمس فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا تصنع؟ فقال: أنظر إلى الزوال لأصلي، فقلت: في هذا الوقت؟ فقال: إنما نقاتلهم على الصلاة!

فلم يغفل عن فعل العبادة في أول وقتها في أصعب الأوقات.

وكان إذا أريد إخراج شيء من الحديد من جسده ترك إلى أن يدخل في الصلاة فيبقى متوجهاً إلى الله تعالى غافلاً عما سواه، غير مدرك للآلام التي تفعل به.

وجمع بين الصلاة والزكاة فتصدق وهو راکع، فأنزل الله تعالى فيه قرآناً يتلى.

وتصدق بقوته وقوت عياله ثلاثة أيام حتى أنزل فيه وفيهم: هل أتى ...

وتصدق ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً.

وناجى الرسول فقدم بين يدي نجواه صدقه فأنزل الله تعالى فيه قرآناً.

وأعتق ألف عبد من كسب يده.

وكان يؤجر نفسه وينفق على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشغب.

وإذا كان أعبد الناس كان أفضل، فيكون هو الإمام.

الثالث

أنه كان أعلم الناس بعد رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ. والقضاء يستلزم العلم والدين.

وفيه نزل قوله تعالى: «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ».

ولأنه عليه السلام كان في غاية الذكاء والفطنة شديد الحرص على التعلم، ولازم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩١

رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو أكمل الناس ملازمة شديدة ليلاً ونهاراً من صغره إلى وفاة رسول الله. وقال صلى الله عليه وآله

وآله: العلم في الصغر كالنقش في الحجر. فتكون علومه أكثر من علوم غيره، لحصول القابل الكامل، والفاعل التام.

ومنه استفاد الناس العلم:

أما النحو، فهو واضعه، قال لأبي الأسود الدؤلي: الكلام كله ثلاثة أشياء: إسم وفعل وحرف ... وعلمه وجوه الإعراب.

وأما الفقه، فالفقهاء كلهم يرجعون إليه، أما الإمامية فظاهر، لأنهم أخذوا علمهم منه ومن أولاده. وأما غيرهم فكذلك، أما أصحاب

أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وزفر، فإنهم أخذوا عن أبي حنيفة، والشافعي قرأ على محمد بن الحسن وعلى مالك فرجع فقهه

إليهما. وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فرجع فقهه إليه، وفقه الشافعي راجع إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على الصادق،

والصادق قرأ على الباقر، والباقر قرأ على زين العابدين، وزين العابدين قرأ على أبيه، وأبوه قرأ على علي عليه السلام. وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وعكرمة على عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عباس تلميذ علي عليه السلام. وأما علم الكلام، فهو أصله ومن خطبه استفاد الناس، وكل الناس تلاميذه، فإن المعتزلة انتسبوا إلى واصل بن عطاء وهو كبيرهم وكان تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ علي عليه السلام: والأشعرية تلامذة أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وهو شيخ من شيوخ المعتزلة. وعلم التفسير إليه يعزى، لأن ابن عباس كان تلميذه فيه، قال ابن عباس: حدثني أمير المؤمنين من تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من أول الليل إلى آخره.

وأما علم الطريقة، فإنه منسوب، فإن الصوفية كلهم يسندون الخرقه إليه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٢

وأما علم الفصاحة، فهو منبعه حتى قيل في كلامه أنه فوق كلامه المخلوق ودون كلام الخالق، ومنه تعلم الخطباء. وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإنني أعلم بها من طرق الأرض!

وإليه يرجع الصحابة في مشكلاتهم، ورووا في عمر قضايا كثيرة قال فيها: لولا علي لهلك عمر. وأوضح كثيراً من المشكلات: جاء إليه شخصان كان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، فجلسا يأكلان فجاءهما ثالث فشاركهما، فلما فرغوا رمى لهما ثمانية دراهم، فطلب صاحب الأكثر خمسة فأبى عليه صاحب الأقل، فتخاصما ورجعا إلى علي عليه السلام فقال: قد أنصفك فقال: يا أمير المؤمنين إن حقى أكثر وأنا أريد مَرَّ الحق، فقال: إذا كان كذلك فخذ درهماً واحداً وأعطه الباقي. ووقع مالكا جارية عليها جهلاً في طهر واحد فحملت، فأشكل الحال فترافعا إليه فحكم بالقرعة فصوّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي جعل لنا أهل البيت من يقضى على سنن داود. يعنى به القضاء بالإلهام. وركبت جارية أخرى فنخستها ثلثه فوقعت الراكبة فماتت، فقضى بثلاثي ديتها على الناحسة والقامصة، وصوّبه النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله.

وقتل بقره حماراً، فترافع المالكان إلى أبي بكر فقال: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربها! ثم مضيا إلى عمر فقضى بذلك أيضاً، ثم مضيا إلى علي عليه السلام فقال: إن كانت البقرة دخلت على الحمار في منامه فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فلا غرم على صاحبها! فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد قضى علي بن أبي طالب بينكما بقضاء الله عز وجل.

والأخبار العجيبة في ذلك لا تحصى كثرة.

وإذا كان أعلم وجب أن يكون هو الإمام، لقوله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٣

أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ!

الرابع

أنه كان أشجع الناس، وبسيفه ثبتت قواعد الإسلام وتشيدت أركان الإيمان، ما انهزم في موطن قط ولا ضرب بسيفه إلا قط، وطالما كشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يفرّ كما فرّ غيره.

ووقاه بنفسه لما بات على فراشه مستتراً بإزاره فظنه المشركون وقد اتفقوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله أنه هو، فأحذقوا به وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه فيذهب دمه ويعدو كل قبيل إلى رهطه. وكان ذلك سبب حفظ دم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وتمت السّلامة وانتظم به الغرض في الدعاء إلى الملّة، فلما أصبح القوم وأرادوا الفتك به ثار إليهم فتفرقوا عنه حين عرفوه،

وانصرفوا وقد ضلّت حيلتهم وانتقض تدبيرهم.

وفى غزاة بدر وهى أول الغزوات، كانت على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وعمره سبعة وعشرون سنة، قتل عليه السلام منهم ستة وثلاثين رجلاً بانفراده، وهم أعظم من نصف المقتولين، وشرك فى الباقيين.

وفى غزاة أحد انهزم الناس كلّهم عن النبي صلى الله عليه وآله إلا على بن أبى طالب عليه السلام وحده! ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله نفرٌ يسيرٌ أولهم عاصم بن ثابت وأبو دجانه وسهل بن حنيف، وجاء عثمان بعد ثلاثة أيام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله لقد ذهبت فيها عريضة! وتعجبت الملائكة من ثبات على عليه السلام وقال جبرئيل وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا على! وقتل على عليه السلام أكثر المشركين فى هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يديه عليه السلام.

روى قيس بن سعد عن أبيه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أصابتنى يوم

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٤

أحد ست عشرة ضربة، سقطت إلى الأرض فى أربع منهنّ، فجاءنى رجل حسن الوجه حسن الكلم طيب الريح فأخذ بضبعى فأقامنى ثم قال: أقبل عليهم فإنك فى طاعة الله وطاعة رسوله، فهما عنك راضيان. قال على: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: يا على أما تعرف الرجل؟ قلت: لا ولكن شبّهته بدحية الكلبي، فقال: يا على أقرّ الله عينك كان جبرئيل عليه السلام.

وفى غزاة الأحزاب وهى غزاة الخندق، لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من عمل الخندق أقبلت قريش يقدمها أبو سفيان وكنانه وأهل تهامة فى عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد، ونزلوا من فوق المسلمين ومن تحتهم كما قال تعالى: «إِذْ جَاءَوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ»، فخرج النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف وجعل الخندق بينهم، واتفق المشركون مع اليهود وطمع المشركون بكثرتهم وموافقة اليهود. وركب عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبى جهل ودخلوا من مضيق فى الخندق إلى المسلمين وطلب المبارزة، فقام عليٌّ وأجابه فقال له النبي صلى الله عليه وآله إنه عمرو، فسكت. ثم طلب المبارزة ثانياً وثالثاً، وكلّ ذلك يقوم على ويقول له النبي صلى الله عليه وآله إنه عمرو، فأذن له فى الرابعة. فقال له على عليه السلام: كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، وأنا أدعوك إلى الإسلام، قال: لا حاجة لى بذلك، قال: أدعوك إلى النزال! قال: ما أحبّ أن أقتلك! فقال له على عليه السلام: ولكنى أحبّ أن أقتلك! فحمى عمرو ونزل عن فرسه وتجاولا فقتله على وولّدته وانهزم عكرمة، ثم انهزم باقى المشركين واليهود!

وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتل على لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين!

وفى غزاة بنى النضير قتل على عليه السلام رامى قبه النبي صلى الله عليه وآله

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٥

بسهم، وقتل بعده عشرة منهم فانهزموا.

وفى غزاة السلسلة، جاء أعرابى فأخبر النبي صلى الله عليه وآله أن جماعة من العرب قصدوا أن يبيّتوا النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة، فقال صلى الله عليه وآله: من اللوادي؟ فقال أبو بكر: أنا له، فدفع إليه اللواء وضّم إليه سبعمائه، فلما وصل إليهم قالوا له: إرجع إلى صاحبك فإننا فى جمع كثير، فرجع!

فقال صلى الله عليه وآله فى اليوم الثانى: من اللوادي؟ فقال عمر: أنا ذا يا رسول الله فدفع إليه الراية، ففعل كالأول!

فقال صلى الله عليه وآله فى اليوم الثالث: أين على بن أبى طالب؟ فقال: أنا ذا يا رسول الله فدفع إليه الراية، فمضى إلى القوم فلقيهم بعد صلاة الصبح، فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم الباقون، وأقسم الله تعالى: بفعل أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا»....

وقتل من بنى المصطلق مالكا وابنه، وسبى كثيراً من جملتهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فاصطفاهما النبي صلى الله عليه وآله، فجاء أبوها في ذلك اليوم فقال: يا رسول الله ابنتي كريمة لا تسبى، فأمره بأن يخيرها فاختارت النبي صلى الله عليه وآله فقال: أحسنت وأجملت. ثم قال: يا بنية لا تفضحي قومك! فقالت: اخترت الله ورسوله صلى الله عليه وآله!

وفى غزاة خيبر، كان الفتح فيها على يد أمير المؤمنين عليه السلام. دفع صلى الله عليه وآله الراية إلى أبي بكر فانهزم، ثم إلى عمر فانهزم، ثم إلى علي عليه السلام وكان أرمدا العين فتفل في عينه وخرج فقتل مرحباً فانهزم الباقون وغلقوا عليهم الباب، فعالجه أمير المؤمنين عليه السلام فقلعه وجعله جسراً على الخندق، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً، ودخل المسلمون الحصن ونالوا الغنائم، وقال عليه السلام: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة ربانية.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٦

وكان فتح مكة بواسطته عليه السلام.

وفى غزاة حنين، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله متوجها إليهم في عشرة آلاف من المسلمين فعانهم أبو بكر وقال: لن تغلب اليوم من كثرة، فانهزموا ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله غير تسعة من بنى هاشم، وأيمن ابن أم أيمن! وكان أمير المؤمنين بين يديه يضرب بالسيف، وقتل من المشركين أربعين نفرًا فانهزموا!

الخامس

إخباره بالغائب والكائن قبل كونه:

فأخبر بأن طلحة والزبير لما استأذناه في الخروج إلى العمرة: لا والله ما يريدان العمرة وإنما يريدان البصرة، فكان كما قال! وأخبر وهو بذى قار جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون يباعدوني على الموت، فكان كذلك وكان آخرهم أويس القرني.

وأخبر بقتل ذى الثدية وكان كذلك.

وأخبره شخص بعبور القوم في قضية النهروان فقال: لم يعبروا، ثم أخبره آخر بذلك، فقال: لم يعبروه وإنه والله مصرعهم، فكان كذلك!

وأخبر بقتل نفسه الشريف.

وأخبر جويرية بن مسهر بأن اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه، ففعل به معاوية ذلك.

وأخبر ميثم التمار بأنه يصلب على باب عمرو بن حريث عشره هو أقصرهم خشبة، وأراه النخلة التي يصلب عليها، فوقع كذلك!

وأخبر رشيد الهجري بقطع يديه ورجليه وصلبه وقطع لسانه، فوقع!

وأخبر كميل بن زياد بأن الحجاج يقتله فوق، وأن قبراً يذبحه الحجاج، فوقع!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٩٧

وقال للبراء بن عازب: إن ابني الحسين يقتل ولا تنصره، فكان كما قال. وأخبر بموضع قتله.

وأخبر بملك بني العباس وأخذ الترك الملك منهم، فقال: ملك بني العباس عسيرة لا يسر فيه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان على أن يزيلوا ملكهم لما قدروا أن يزيلوه حتى يشد عنهم موابلهم وأرباب دولتهم، ويُسَلط عليهم ملك من الترك يأتي عليهم من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينه إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر، ثم يدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به. وكان الأمر كذلك حيث ظهر هولاكو من ناحية خراسان، ومنه ابتدأ ملك بني العباس، حيث بايع لهم أبو مسلم الخراساني.

السادس

أنه كان مستجاب الدعاء:

دعا على بسر بن أرطاة بأن يسلبه الله عقله، فخلوط فيه!

ودعا على العيزار بالعمى فعمى.

ودعا على أنس بن مالك لما كتم شهادته بالبرص، فأصابه.

وعلى زيد بن أرقم بالعمى، فعمى!

السابع

أنه لما توجه إلى صفين، لحق بأصحابه عطش شديد، فعدل بهم قليلاً فلاح لهم دَيْرٌ فصاحوا بساكنه وسألوه عن الماء؟ فقال: بيني وبينه أكثر من فرسخين، ولولا أني أوتي بما يكفيني كل شهر على التقصير لتلفت عطشاً، فأشار أمير المؤمنين إلى مكان قريب من الدير وأمر بكشفه، فوجدوا صخرة عظيمة فعجزوا عن إزالتها، فقلعها وحده ثم شربوا الماء، فنزل إليه الراهب وقال له: أنت نبي مرسل أو ملك مقرب؟ قال: لا،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٩٨

ولكني وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسلم على يده وقال: إن هذا الدير بنى على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى جماعة قبلي ولم يدركوه، وكان الراهب من جملة من استشهد معه، ونظم القصيدة السيد الحميري في قصيدته المذهبة.

ولقد سرى فيما يسير بليلاً بعد العشاء بكر بلاء في موكب

الثامن

ما رواه الجمهور أن النبي صلى الله عليه وآله لما خرج إلى بني المصطلق جَبَّ عن الطريق وأدركه الليل، فنزل بقرب واد وعر، فهبط جبرئيل عليه السلام آخر الليل وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استوطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشر بأصحابه، فدعا بعلي عليه السلام وعوده وأمره بنزول الوادي، فقتلهم.

التاسع

رجوع الشمس له مرتين، إحداها في زمن النبي صلى الله عليه وآله، والثانية بعده.

أما الأولى، فروى جابر وأبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل عليه جبرئيل يوماً يناجيه من عند الله تعالى، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلى على عليه السلام العصر بالإيماء، فلما استيقظ النبي صلى الله عليه وآله قال له: سل الله تعالى يرد عليك الشمس لتصلي العصر قائماً، فدعا فردت الشمس، فصلى العصر قائماً.

وأما الثانية، فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم، وصلى بنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفات كثير منهم، فتكلموا في ذلك فسأل الله تعالى رد الشمس فردت. ونظمه السيد الحميري في قصيدته المذهبة، فقال:

رُدَّتْ عليه الشمس لَمَّا فَاتَتْهُ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَقَدْ دَنَتْ لِلْمَغْرِبِ

حَتَّى تَبَلَّجَ نَوْرَهَا فِي وَقْتِهَا لِلْعَصْرِ ثُمَّ هَوَتْ هَوَى الْكَوْكَبِ

وعليه قد رُدَّتْ ببابل مرةً أخرى وما رُدَّتْ لخلق مُعْرِبِ

العاشر

ما رواه أهل السَّيَر: أن الماء زاد في الكوفة وخافوا الغرق، ففزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وخرج الناس معه، فنزل على شاطئ الفرات فصلى ثم دعا وضرب صفحة الماء بقضيب في يده، فغاض الماء وسلم عليه كثير من

الحيثان، ولم ينطق الجزي والزمار والمارماهي، فُسِّل عن ذلك فقال: أنطق الله لي ماطهر من السموك، وأصمت ما حرمه ونجسه وأبعده.

الحادي عشر

روى جماعة أهل السيرة: أنه عليه السلام كان يخطب على منبر الكوفة، فظهر ثعبان فرقى المنبر، فخاف الناس وأرادوا قتله فمنعهم، فخاطبه ثم نزل! فسأل الناس عنه فقال: إنه حاكم من حكام الجن التبس عليه قضية فأوضحها له! وكان أهل الكوفة يسمون الباب الذي دخل منه باب الثعبان، فأراد بنو أمية إطفاء هذه الفضيلة فنصبوا على ذلك الباب فيلاً مدة طويلة حتى سمي: باب الفيل.

الثاني عشر

الفضائل: إما نفسانية أو بدنية أو خارجية، وعلى التقديرين الأولين، إما أن تكون متعلقة بالشخص نفسه أو بغيره، وأمير المؤمنين عليه السلام جمع الكل!

أما فضائله النفسانية المتعلقة به كعلمه وزهده وكرمه وحلمه، فهي أشهر من أن تخفى، والمتعلقة بغيره كذلك كظهور العلوم عنه واستفاده غيره منه.

وكذا فضائله البدنية كالعبادة والشجاعة والصدقة.

وأما الخارجية فكالنسب، ولم يلحقه أحد فيه لقربه من رسول الله صلى الله عليه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٠

وآله وتزويجه إياه بابنته سيده النساء.

وقد روى أخطب خوارزم من كبار السنّة بإسناده عن جابر قال: لما تزوّج علي فاطمة زوجة الله إياها من فوق سبع سماوات وكان الخاطب جبرئيل، وكان ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهدوا، فأوحى الله تعالى إلى شجرة طوبى أن انثري ما فيك من الدرّ والجواهر ففعلت، وأوحى الله تعالى إلى الحور العين أن القطن، فلقطنَ فهنّ يتهادين بينهن إلى يوم القيامة. وأورد أخباراً كثيرة في ذلك.

وكان أولاده عليهم السلام أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أبيهم.

عن حذيفة بن اليمان قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسين بن علي صلى الله عليه وآله وقال: أيها الناس، هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه وفضلوه، فوالله لجدّه أكرم على الله من جدّ يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وآله هذا الحسين بن علي جدّه في الجنة، وجدّته في الجنة، وأمه في الجنة، وأبوه في الجنة، وعمّه في الجنة، وعمّته في الجنة، وخاله في الجنة، وخالته في الجنة، وأخوه في الجنة، وهو في الجنة، ومحبّوهم في الجنة، ومحبّو محبّيهم في الجنة.

وعن حذيفة بن اليمان قال: بُتّ عند النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة، فرأيت عنده شخصاً فقال لي: هل رأيت؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: هذا ملكٌ لم ينزل إلى منذ بعثت، أتاني من الله فبشرني أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة! والأخبار في ذلك كثيرة.

وكان محمد بن الحنفية فاضلاً عالماً، حتى ادّعى قوم فيه الإمامة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠١

الفصل الرابع: في إمامة باقي الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ... ص: ١٠١

لنا في ذلك طرق:

أحدها

النص، وقد تواترت به الشيعة في البلاد المتباعدة خلفاً عن سلف عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أنه قال للحسين عليه السلام: هذا ابني إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم، اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقد روى ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي.

رواه ابن الجوزي الحنبلي عن أبي داود وصحيح الترمذي.

الثاني

أنا قد بينا أنه يجب في كل زمان إمام معصوم، وغير هؤلاء عليهم السلام إجماعاً ليس بمعصوم.

الثالث

الفضائل التي اشتمل كل واحد منهم عليها عليهم السلام، الموجبة لكونه إماماً.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٣

الفصل الخامس: في أن من تقدمه لم يكن إماماً ... ص: ١٠٣

ويدل عليه وجوه:

الأول

قول أبي بكر: إن لي شيطاناً يعتريني فإن استقممت فأعينوني وإن زغت فقوموني! ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يطلب منهم الكمال؟!

الثاني

قول عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتته وقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه! وكونها فلتته يدل على أنها لم تنبع عن رأى صحيح، ثم سأل وقايه شرها، ثم أمر بقتل من يعود إلى مثلها. وكل ذلك يوجب الطعن فيه.

الثالث

قصورهم في العلم والالتجاء في أكثر الأحكام إلى على عليه السلام.

الرابع

الوقائع الصادرة عنهم، وقد تقدم أكثرها.

الخامس

قوله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم والكافر لقوله تعالى: «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ». ولا شك في أن الثلاثة كانوا كفاراً

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٤

يعبدون الأصنام إلى أن ظهر النبي صَلَّى الله عليه وآله.

السادس

قول أبي بكر: أفيكوني فلست بخيركم! ولو كان إماماً لم يجز له طلب الإقالة.

السابع

قول أبي بكر عند موته: ليتني كتب سألت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ وهذا يدل على شكه في صحبة بيعه نفسه، مع أنه الذي دفع الأنصار يوم السقيفة لما قالوا: منا أمير ومنكم أمير، بما رواه عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:

الأئمة من قریش!

الثامن

قوله في مرضه: ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتني في ظلّ بنى ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير! وهذا يدلّ على إقدامه على بيت فاطمة عليها السلام عند اجتماع أمير المؤمنين والوزير وغيرهما فيه! وعلى أنه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه!

التاسع

أن رسول الله صلّى الله عليه وآله جهّز جيش أسامة وكرّر الأمر بتنفيذه، وكان فيهم أبو بكر وعمر وعثمان، ولم يُنفذ أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أراد منعهم من التوثّب على الخلافة بعده، فلم يقبلوا منه.

العاشر

أن النبي صلّى الله عليه وآله لم يولّ أبا بكر شيئاً من الأعمال، وولّى غيره.

الحادي عشر

أنه صلّى الله عليه وآله أنفذه لأداء سورة براءة ثم أنفذ إليه عليّاً عليه السلام وأمره برده وأن يتولّى هو ذلك! ومن لا يصلح لأداء سورة أو بعضها كيف يصلح للإمامة العامة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٥

المتضمنة لأداء الأحكام إلى جميع الأمة!

الثاني عشر

قول عمر: أن محمداً لم يمت! وهو يدلّ على قلّة علمه! وأمر برجم حامل فنهاء على عليه السلام فقال: لولا- على لهلك عمر! وغير ذلك من الأحكام التي غلط فيها وتلوّن فيها.

الثالث عشر

أبدع التراويح مع أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «يا أيها الناس إن الصّلاة بالليل في شهر رمضان في النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، ألا فلا تجمعوا ليلاً في شهر رمضان في النافلة، ولا تصلّوا صلاة الضحى، فإن قليلاً في سنّة خير من كثير في بدعة، ألا وإن كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار!»

وخرج عمر في شهر رمضان ليلاً فرأى المصاييح في المساجد فقال: ما هذا؟

ف قيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع، فقال: بدعة ونعمت البدعة! فاعترف بأنها بدعة.

الرابع عشر

أن عثمان فعل أموراً لا يجوز فعلها، حتى أنكر عليه المسلمون كافة، وأجمعوا على قتله أكثر من إجماعهم على إمامته وإمامة صاحبيه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٧

الفصل السادس: في نسخ حججهم على إمامة أبي بكر ... ص: ١٠٧

احتجوا بوجوه:

الأول

الإجماع. والجواب منع الإجماع، فإن جماعة من بنى هاشم لم يوافقوا على ذلك، وجماعة من أكابر الصحابة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عباد وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص.. حتى أن أباه أنكر ذلك وقال: من

استخلف الناس؟ فقالوا: ابنك فقال: وما فعل المستضعفان إشارة إلى علي والعباس؟ فقالوا: اشتغلوا بتجهيز رسول الله، ورأوا أن ابنك أكبر الصحابة سنًا، فقال: أنا أكبر منه! وكبني حنيفه كافة، لم يحملوا الزكاة إليه حتى سمّاهم أهل الردّة وقتلهم وسباهم، وأنكر عمر عليه وردّ السبايا أيام خلافته.

وأيضاً، الإجماع ليس أصلاً في الدلالة، بل لابد أن يستند المجمعون إلى دليل على الحكم حتى يجمعوا عليه وإلا لكان خطأ، وذلك الدليل إما عقلي وليس في العقل دلالة على إمامته، وإما نقلي وعندهم أن النبي صلى الله عليه وآله مات عن غير وصية ولا نص على إمامته والقرآن خال منه. فلو كان الإجماع متحققاً كان خطأ فتنتفى دلالته.

وأيضاً، الإجماع، إما أن يعتبر فيه قول كل الأمة، ومعلوم أنه لم يحصل، بل ولا إجماع أهل المدينة أو بعضهم، وقد أجمع أكثر الناس على قتل عثمان. وأيضاً، كل

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٨

واحد من الأمة يجوز عليه الخطأ، فأى عاصم لهم عن الكذب عند الإجماع؟ وأيضاً، قد بينا ثبوت النص الدال على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فلو أجمعوا على خلافه كان خطأ، لأن الإجماع الواقع على خلاف النص يكون خطأ عندهم.

الثاني

ما روه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.

والجواب: المنع من الرواية، ومن دالالتها على الإمامة، فإن الإقتداء بالفقهاء لا يستلزم كونهم أئمة.

وأيضاً، فإن أبا بكر وعمر اختلفا في كثير من الأحكام، فلا يمكن الإقتداء بهما.

وأيضاً، فإنه معارض بما روه من قوله: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، مع إجماعهم على انتفاء إمامتهم.

الثالث

ما ورد فيه من الفضائل.

كآية الغار وقوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى»، وقوله تعالى: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ»، والداعي هو أبو بكر. وأنه كان أنيس رسول الله صلى الله عليه وآله في العريش يوم بدر، وأنفق على النبي صلى الله عليه وآله، وتقدم في الصلاة. والجواب: أنه لا فضيلة له في الغار لجواز أن يستصعبه حذراً منه لثلا يظهر أمره!

وأيضاً، فإن الآية تدل على نقصه لقوله: لا- تحرّز، فإنه يدل على خوره وقلبه صبره وعدم يقينه بالله تعالى، وعدم رضاه بقضاء الله وقدره! لأن الحزن إن كان طاعة استحالة أن ينهى النبي صلى الله عليه وآله عنه، وإن كان معصية كان ما ادّعوه فضيلة رذيلة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٠٩

وأيضاً، فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله صلى الله عليه وآله، شرّك معه المؤمنين، إلّا في هذا الموضع، ولا نقص أعظم منه.

وأما قوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي...»

فإن المراد به أن أبا الدحداح حيث اشترى نخلة شخص لأجل جاره، وقد عرض النبي صلى الله عليه وآله على صاحب النخل نخلة في الجنة فأبى، فسمع أبو الدحداح فاشترىها ببستان له ووهبها للجار، فجعل له رسول الله صلى الله عليه وآله بستاناً عوضها في الجنة. وأما قوله تعالى: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ».

فإنه أراد الذين تخلفوا عن الحديبية، والتمس هؤلاء أن يخرجوا إلى غنيمه خيبر فمنعهم الله بقوله: «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا..» الآية، لأنه تعالى جعل غنيمه خيبر لمن شهد الحديبية ثم قال: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيُدْعُونَ..» يريد أنه سندعوكم فيما بعد إلى قتال قوم أولى

بأس شديد، وقد دعاهم النبي صلى الله عليه وآله إلى غزوات كثيرة، كمؤتة وحنين وتبوك وغيرها، وكان الداعي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأيضاً، جاز أن يكون علياً عليه السلام حيث قتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان رجوعهم إلى طاعته إسلاماً لقوله: «يا علي حربك حربي»، وحرب رسول الله صلى الله عليه وآله كفر.

وأما كونه أنيسه في العريش يوم بدر. فلا فضل فيه، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أنسه بالله تعالى مغنياً له عن كل أنيس، لكن لما عرف النبي صلى الله عليه وآله أن أمره لأبي بكر بالقتال يؤدي إلى فساد الحال، حيث هرب عدّة مرّات في غزواته. فأئماً أفضل: القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله؟

وأما إنفاقه على رسول الله صلى الله عليه وآله. فكذب، لأنه لم يكن ذا مال، فإن أباه كان فقيراً في الغاية، وكان ينادى على مائدة عبد الله بن جدعان بمُدّ في كلّ يوم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١١٠

يقتات به، فلو كان أبو بكر غنياً لكفى أباه!

وكان أبو بكر في الجاهلية معلماً للصبيان، وفي الإسلام كان خياطاً، ولما ولي أمر المسلمين منعه الناس من الخياطة فقال: إني أحتاج إلى القوت! فجعلوا له في كلّ يوم ثلاثة دراهم من بيت المال! والنبي صلى الله عليه وآله كان قبل الهجرة غنياً بمال خديجة، ولم يحتج إلى الحرب وتجهيز الجيوش، وبعد الهجرة لم يكن لأبي بكر شيء البتة على حال من الأحوال!

ثم لو أنفق، لوجب أن ينزل فيه قرآن كما نزل في علي: هَلْ أَتَى.. ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله كان أشرف من الذين تصدّق عليهم أمير المؤمنين عليه السلام والمال الذي يدعون إنفاقه كان أكثر، فحيث لم ينزل شيء دلّ على كذب النقل.

وأما تقدّمه في الصلاة. فخطأ، لأن بلائاً لما أذن بالصلاة أمرت عائشة أن يقدم أبو بكر، فلما أفاق النبي صلى الله عليه وآله سمع التكبير فقال: من يصلي بالناس؟

فقالوا أبو بكر فقال: أخرج بين علي عليه السلام والعباس فنحاه عن القبلة وعزله عن الصلاة، وتولّى هو الصلاة.

فهذا حال أدلّه هؤلاء!

فلينظر العاقل بعين الإنصاف ويقصد طلب الحق دون اتباع الهوى، ويترك تقليد الآباء والأجداد، فقد نهى الله تعالى في كتابه عن ذلك، ولا تلهه الدنيا عن إيصال الحق إلى مستحقه، ولا يمنع المستحق عن حقه.

فهذا آخر ما أردنا إثباته في هذه المقدمة، والله الموفق للصواب.

فرغت من تسويده في جمادى الأولى من سنة تسع وسبعمئة بناحية خراسان، وكتب حسن بن يوسف المطهر مصنف الكتاب.

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١١١

شرح منهاج الكرامة والرّد على منهاج ابن تيمية ... ص: ١١١

إشارة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١١٣

مقدمة الشارح ... ص: ١١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين. وبعد؛ فإن الشيخ أبا منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٧٢٦)، علامة الشيعة على الإطلاق في جميع الآفاق، ومؤلفاته من عمدة المراجع في المذهب في مختلف العلوم، من الفقه والأصول والكلام والفلسفة وغيرها. وله قدس سره كتب قيمة، منها هذا الكتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة)، الذي حوى - على صغره - أمهات المسائل الخلافية التي أشار إلى أدلة الإمامية فيها، تاركاً الحكم بعد ذلك للقارئ البصير الباحث المنصف.

وهذا الكتاب هو الذي ردّ عليه الشيخ أحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بابن تيمية (٧٢٨)، بكتاب (الرد على الرافضي) الذي عرف فيما بعد ب (منهاج السنة).

ولأهمية كتاب العلامة قدس سره وضرورة مناقشة كلمات ابن تيمية، عمدت إلى شرحه، وإثبات مطالبه، وإزاحة الشبهات التي أثرت حولها. فجاء مقارنة للمنهجين، جامعاً للأقوال والأدلة من كتب علماء الفريقين المشهورة المعتمدة، مع تحقيقات قيمة ومطالب عالية لا تخفى قيمتها عن أهلها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١١٤

وهذا أوان الشروع في (شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) الذي أرجو أن يكون النافع لي في يوم القيامة، والله أسأل أن يوفقني لإتمامه، وينفع به الباحثين عن الحق المبين بمحمد وآله الطاهرين الطيبين، إنه سميع مجيب.

على الحسيني الميلاني

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١١٥

شرح المقدمة ... ص: ١١٤

إشارة

قال المؤلف قدس سره: أما بعد؛ فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة. الشرح:

مكانة الإمامة في الدين ... ص: ١١٥

وصف المؤلف قدس سره الإمامة ب «أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين ... وهي أحد أركان الإيمان»، ثم استشهد على ذلك بالحديث النبوي الآتي. وهذا السياق ظاهر بل صريح في أن المراد هو الأهم في حدود الدين وبالإضافة إلى غيرها من (مسائل المسلمين). وهل يتحقق (الدين) ويصدق عنوان (المسلمين) إلا - بالإيمان بالله ورسوله؟ فالمراد: كون (الإمامة) أهم المطالب بعد الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله، والإمامة كما عرفها الشيعة والسنة - كما في شرح المواقف وغيرها - «رئاسة في الدين والدنيا لشخص نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله» (١).

(١) شرح المواقف ٨/ ٣٤٥، شرح المقاصد ٢/ ٢٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١١٦

ولم يكن هذا بذاك الغموض حتى لا يفهمه ابن تيمية، فيورد عليه بما لا طائل تحته، ويستدل - على أن الإيمان بالله ورسوله أهم «١» - بما لا حاجة إليه.

قال قدس سره: التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة.

الشرح:

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» «٢»

فبالتقوى والكون مع الصادقين تُنال درجة الكرامة، وكلما يكون الإنسان أقرب إلى الصادقين بالجنان والجوارح يكون أكثر عبودية لله وامتنالاً له في أوامره ونواهيه، فيكون أتقى، ومن كان أتقى كان أكرم، كما في الآية المباركة «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» «٣». وبالجمل، إذا أدرك الإمامة وعرف الإمام ائتم به، فكان هذا الإدراك سبباً لنيل درجة الكرامة، وكلما كان الانقياد أكثر كانت درجة الكرامة أعلى وأرفع.

فهذا شرح هذا الكلام والدليل عليه، وهكذا يسقط قول ابن تيمية من «أن مجرد معرفة إمام وقته وإدراكه لا يستحق به الكرامة»....

قال قدس سره: وهي أحد أركان الإيمان، المستحق بسببه الخلود في الجنان، والتخلص من غضب الرحمن...

الشرح:

وهذه هي الكرامة التي لا تحصل، بعد الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله إلا بإدراك (الإمامة)، ولذا كانت أحد أركان الإيمان، بحيث تنتفي (الكرامة) بانتفاء أحدها.

فإن قيل: فالإمامة آخر المراحل، فكيف تكون أهم وأشرف؟

(١) منهاج السنة ١/ ٧٥.

(٢) سورة التوبة: ١١٩.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١١٧

قلنا: قد أشرنا إلى أن الإمامة نيابة النبوة، والنبوة من الله، كما أشرنا من قبل إلى أن الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين، والدين هو الإيمان بالتوحيد والرسالة، فسقط السؤال المذكور.

قال قدس سره: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

الشرح:

حديث: «من مات» ... من أصح الأحاديث المتفق عليها، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا أحد ألفاظه، وهو موجود في كتب الفريقين «١»، وله ألفاظ أخرى، ولا بد أن ترجع كلها إلى معنى واحد ومقصد فارد، وهو ما صرح به ونص عليه اللفظ الأول. فتأمل.

كقوله: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من مات وليس عليه طاعة إمام مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية».

وقوله: «من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية» «٢».

وهذا الحديث أحد الأدلة النقليّة على أن الإمامة «أحد أركان الإيمان..» مع أدلّة عقليّة ونقليّة أخرى مذكورة في مظانّها.

(١)

راجع من كتب أهل السنة: شرح المقاصد ٢/ ٢٧٥ وشرح العقائد النسفية: ٢٣٢.

(٢) مسند أحمد ١/ ٢٩٧ و ٣١٠ و ٢/ ٧٠ و ٨٣ و ٩٤ و ١٢٣ و ١٥٤ و ٣/ ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٩٦/ ٤. صحيح مسلم ٦/ ٢١، ٢٢. مجمع الزوائد ١/ ٣٢٤ و ٥/ ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١١٨
قال قدس سره: خدمت بها خزائن السلطان الأعظم ...
الشرح:

السلطان محمد أولجايتو خان خدابنده ابن أرغون بن ابقاخان بن هولاقو بن تولى بن جنكيز خان المغولي، و (أولجايتو) لقب له، ومعناه: السلطان الكبير المبارك، و (خدابنده) أى: عبد الله، وقيل: (خربنده)، أى: كبير العباد. ولد سنة ٦٨٠ وتوفي سنة ٧١٦. وكان تشيعه على المشهور على يد العلامة سنة ٧٠٨ فى خبر ذكر فى ترجمة العلامة من كتب التراجم. فراجع كتاب: أعيان الشيعة «١» وغيره. وقد أشار إلى الخبر الحافظ ابن حجر فى ترجمته فى الدرر «٢».

(١) أعيان الشيعة ٥/ ٤٠٠.

(٢) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٢/ ٧٢.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ١١٩

الفصل الأول: فى نقل المذاهب فى هذه المسألة ... ص: ١١٩

إشارة

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢١

قال قدس سره: ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عَزَّوَجَلَّ حكيمٌ لا- يفعل قبيحاً ولا يُخلُّ بواجب، وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا- يفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأُنفع، وأنه تعالى كلّفهم تخييراً لا إجباراً، ووعدهم بالثواب وتوعّدَهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين عليهم السّلام، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصى؛ وإلّا لم يبق وثوق بأقوالهم ...
الشرح:

الإشارة إلى اصول الدين عند الامامية ... ص: ١٢١

اعترض ابن تيمية على التعرّض لمسائل القدر ونحوها: بأن «إدخال مسائل القدر والتعديل والتجوز فى هذا الباب كلام باطل من الجانبين؛ لأنها مسائل لا تتعلّق بالإمامة» «... ١».

قلت: صحيح أن هذه المسائل لا علاقة لها مباشرة بالإمامة، ولذا لم يتعرّض لها العلامة فى هذا الكتاب ولم يفصّل الكلام فى إثباتها فيه، فإنه مُصنّفٌ فى الإمامة، غير أنه أشار إلى تلك المسائل هنا مقدّمةً للقول بوجوب نصب الإمام على الله تعالى، فإن

(١) منهاج السنة ١/ ١٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٢٢

مذهب الإمامية أن مقتضى عدل الباري وحكمته وأنه لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب، أن ينصب الإمام كما يقتضى أن يرسل رسولاً.. وشرح ذلك موكول إلى الكتب المفصلة المصنفة في هذا الشأن «١».

فهذا مراد العلامة وهو ظاهر لمن تأمل كلامه، فلا يرد عليه الاعتراض بما ذكر.

وكذا اعترضه بأن: «ما نقله عن الإمامية ليس تمام قولهم» ... ساقط.

نصب الإمام لطف ... ص: ١٢٢

قال قدس سره: ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله بالأئمة عليهم السلام فنصب أولياء معصومين ليأمن الناس من غلظهم وسهوهم وخطئهم ...

الشرح:

واعترض عليه: «إن أراد بقوله: نصب ... أنه مكّنهم وأعطاهم القدرة على سياسة الناس حتى ينتفع الناس بسياستهم، فهذا كذب واضح وهم لا- يقولون بذلك، بل يقولون: إن الأئمة مقهورون مظلومون. وإن قيل: المراد بنصبهم أنه أوجب على الخلق طاعتهم، فإذا أطاعوهم هدوهم، لكن الخلق عصوهم. فيقال: فلم يحصل بمجرد ذلك» «... ٢».

قلت: قول العلامة «ليأمن» تعليل لاشتراط العصمة، و «لئلا» ... تعليل للنصب.

ثم إن (النصب) شيء و (التصرّف) شيء آخر، فلا وجه لأن يراد (التصرّف) من (النصب)، كما أنه ليس المراد (بنصبهم) أنه أوجب على الخلق طاعتهم، بل المراد من

(١) منها كتابه: نهج الحق وكشف الصدق.

(٢) منهاج السنة ١/ ١٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٢٣

(النصب) هو الإقامة والجعل، قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «١»

، فالله تعالى أوجدهم وجعلهم الأدلاء عليه لطفاً ورحمةً بالعباد، كما تنصب الزايات في الطرقات لاهتداء العابرين بها لطفاً ورحمةً بهم. فحال الإمام حال الراية، من خالف ضلّ، ومن اهتدى بلغ الغاية.. ولا ملازمة حتى يقال: «فلم يحصل بمجرد ذلك في العالم لا لطف ولا رحمة». كما لا ينكر اهتداء أقوام من الناس بهم، فقول ابن تيمية: «إن ما حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم» كذب. فهذا سرّ التعبير ب (النصب).

ثم إن من الأئمة من حصل له التمكن ومنهم من لم يحصل، كما كان الحال بالنسبة إلى الأنبياء والمرسلين، ومنهم من سيحصل له ذلك، وهو المهدي المنتظر المتفق على القول به بين المسلمين، وبه فسر قوله عز وجل: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» «٢»

، وقوله: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» «٣»

وغيرهما من آيات الكتاب، حيث يحصل من وجوده وتصرفه النفع العام للعالم كلّ، كما كان إيجاده ونصبه إماماً لطفاً ورحمةً بالعباد. مضافاً إلى أن طوائف من الناس انتفعوا به في غيبته في قضايا شخصيته أو وقائع عامة أثبتتها المحدثون الأثبات في كتبهم الخاصة به.

وبهذا المجمل يسقط قول ابن تيمية: «وأيضاً، فالمؤمنون بالمنتظر لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطف»....

قال قدس سره: فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وآله

وآله قام بنقل الرسالة، ونصّ على أن الخليفة بعده على بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الركيّ ثم

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢٤

الحسين الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين ... وأن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت إلّا عن وصية بالإمامة. الشرح:

ستعرف ذلك بالتفصيل، حيث نذكر النصوص والبراهين على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

الإشارة إلى اصول الدين عند أهل السنّة ... ص: ١٢٤

إشارة

قال قدس سره: وذهب أهل السنّة إلى خلاف ذلك كلّ، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى...! الشرح:

واعترض عليه ابن تيمية: «أن قوله عن أهل السنّة إنهم لم يثبتوا ... نقل باطل عنهم من وجهين: أحدهما: إن كثيراً من أهل السنّة- الذين لا يقولون في الخلافة بالنص على علي ولا بإمامة الاثني عشر- يثبتون ما ذكره من العدل والحكمة على الوجه الذي قاله هو، وشيوخه عن هؤلاء أخذوا ذلك، كالمعتزلة وغيرهم ممن وافقهم من متأخري الرفض على القدر، فنقله عن جميع أهل السنّة- الذين هم في اصطلاحه واصطلاح العامة من سوى الشيعة- هذا القول كذب بين منه. الوجه الثاني: إن سائر أهل السنّة الذين يقرّون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل، ولا من يقول إنه ليس بحكيم، ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجباً ولا أن يفعل قبيحاً، فليس في المسلمين من يتكلّم بمثل هذا الكلام الذي من أطلقه كان كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين» ... ١».

(١) منهاج السنّة ١/ ١٣٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢٥

أقول: وكلا الوجهين جهل أو تجاهل؛

أمّا الأول، فيبطله أن مقصود العلماء من (أهل السنّة) هنا خصوص (الأشاعرة)، ويشهد به قوله في نفس هذه المسألة في كتاب آخر: «قلت الإمامية ومتابعوهم من المعتزلة ... وقال الأشاعرة: ليس جميع أفعال الله» ... ١».

وأما الثاني، فيكذّبه ما نصّ عليه الحافظ ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ في الفصل:

١٦٠ / ٣، والشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ في الملل والنحل: ٩٢ / ١، والقاضي العضا المتوفى سنة ٧٥٦ في المواقف، وسيأتى تفصيل الكلام عليه في الفصل الثاني.

قال قدس سره: وأنه تعالى لا يفعل لغرض، بل كلّ أفعاله لا لغرض من الأغراض، ولا لحكمة ألبتّة، وأنه تعالى يفعل الظلم والعبث، وأنه

لا يفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة...

الشرح:

أقول: سيأتي مزيد من الكلام على هذا كله في الفصل الثاني من الكتاب.

وقد ذكر الفخر الرازي بتفسيره ما نصّه: «أن العبد لا يستحق على الطاعة ثواباً، ولا على المعصية عقاباً استحقاقاً عقلياً واجباً. وهو قول أهل السنّة واختيارنا» (٢).

لكن ابن تيمية يقول في جواب العلّامة في هذا الموضوع: «فهذا فريء على أهل السنّة» (٣)، فانظر من المفترى؟ وأمّا أن أفعاله ليست لغرض.. فلم ينكره ابن تيمية، واستدلّ له الرازي عقلاً ونقلاً، قال: «أمّا النصوص فأكثر من أن تعدّ، وهي على أنواع، منها ما يدلّ على أن الإضلال بفعل الله... ومنها ما يدلّ على أن الأشياء كلّها بخلق الله» (٤... ٤)، وقال: «قول أصحابنا:

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٧٣.

(٢) التفسير الكبير ٢ / ١٢٨.

(٣) منهاج السنّة ١ / ٤٦٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٨ / ٢٣٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢٦

وهو أنه يحسن منه كلّما أراد، ولا يعلّل شيء من أفعاله بشيء من الحكمة والمصالح» (١).

قال قدس سره: وأن الأنبياء عليهم السّلام غير معصومين! بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو، وغير ذلك!

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بأن «ما نقله عنهم أنهم يقولون أن الأنبياء غير معصومين فهذا الإطلاق نقل باطل عنهم؛ فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى» (٢).

قلت: قد ذكر العلّامة مذهب الإمامية ومخالفهم في هذه المسألة على الإجمال، فقال: بأن الإمامية ذهبوا إلى وجوب عصمتهم «بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي؛ وإلّا لم يبق وثوق بأقوالهم وأفعالهم فتنتفى فائدة البعثة»، وأن أهل السنّة ذهبوا إلى «أن الأنبياء غير معصومين»... فأجمل القول في الموردين، ولم يفصل أن هذه العصمة متى هي؟ وفي أي شيء؟ وعن أي شيء؟ نعم، ظاهر عبارته في طرف مذهب الإمامية هو الإطلاق، وهو كذلك، فإن مذهبه أنه لا يقع من الأنبياء السهو ولا النسيان، ولا تصدر منهم المعصية، لا الصغيرة ولا الكبيرة، لا سهواً ولا عمداً، ولا فرق في ذلك كله بين حال قبل النبوة وحال بعدها، فيما يبلغونه عن الله تعالى وفي غيره.

وقد نفى هذا الإطلاق عن أهل السنّة، لا- أنه نسب إليهم كونهم غير معصومين مطلقاً، حتى يقال بأنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى...

وسيأتي بعض التفصيل في المسألة في الفصل الثاني.

(١) التفسير الكبير ١٧ / ١١.

(٢) منهاج السنّة ١ / ٤٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢٧

قولهم: النبي لم ينص على أحد ... ص: ١٢٧

قال قدس سره: وأن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على إمام بينهم.

الشرح:

أجاب ابن تيمية: «ليس هذا قول جميعهم، بل قد ذهب طوائف من أهل السنة إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص» (١). أقول: هذا كذب، فإن ما ذكر العلامة قول جميعهم - إلا البكرية، ولا عبرة بهم؛ لأنهم شاذة تعصبوا لأبي بكر، واختلقوا في فضله وخلافته النصوص كما ستعرف - ففي المواقف وشرحها: «والإمام الحق بعد النبي صلى الله عليه وآله أبو بكر، ثبتت إمامته بالإجماع وإن توقف فيه بعضهم ... ولم ينص رسول الله صلى الله عليه وآله على أحد، خلافاً للبكرية، فأنهم زعموا النص على أبي بكر، وللشيعه، فإنهم يزعمون النص على علي كرم الله وجهه، إما نصاً جلياً وإما نصاً خفياً. والحق عند الجمهور نفيهما» (٢)، وبه اعترف أهل الحديث كالمنأوى (٣).

فقوله: «ليس هذا قول جميعهم بل قد ذهب طوائف» ... كذب. نعم هو مذهب البكرية، لكن النص الذي يزعمونه من وضعهم ولا أصل له عن النبي صلى الله عليه وآله، قال الحافظ ابن الجوزي: «قد تعصب قوم لا خلاق لهم يدعون التمسك بالسنة، فوضعوا لأبي بكر فضائل» (٤)، وهؤلاء هم (البكرية) بالتحديد كما في كلام ابن أبي الحديد، قال: «فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه

(١) منهاج السنة ١/ ٤٨٦.

(٢) شرح المواقف ٨/ ٣٥٤.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢/ ٧٢.

(٤) الموضوعات ١/ ٣٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢٨

الأحاديث، نحو: (لو كنت متخذاً خليلاً)، فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء.

ونحو: (سد الأبواب)، فإنه كان لعل عليه السلام قلبته البكرية إلى أبي بكر. ونحو:

(إيتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان، ثم قال: يا أي الله والمسلمون إلأبأ بكر)، فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروى عنه في مرضه:

(إيتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلون بعده أبداً، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم: لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله). ونحو حديث: (أنا راض عنك فهل أنت عني راض؟)، ونحو ذلك» (١).

ولا يخفى أن هذه الأحاديث هي النصوص التي ربما يستدلون بها على خلافة أبي بكر، ثم يدعون بعدم اعتبارها سنداً أو سنداً ودلالة، ومنها حديث: «اقتدوا باللمذين من بعدى أبي بكر وعمر» حيث استدلل به في بعض كتب الأصوليين، وقد نص غير واحد من محققهم - كالزار وابن حزم والعبري والحفيد - على أنه موضوع.. وقد حققنا ذلك في رسالته مفردة جيدة، طبعت - والحمد لله - في كتابنا (الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة).

قال قدس سره: وأنه مات عن غير وصية.

الشرح:

قد عرفت من عبارة المواقف وشرحها - وهما من أجل الكتب الكلامية عندهم - أن أهل السنة - عدا البكرية - على أن خلافة أبي بكر

ثبتت بالإجماع، وفيه ما فيه، وأنه لا نص ولا وصية.. والأصل في قولهم بعدم الوصية هو قول عمر، وقد قيل له: لو استخلفت: «إن استخلف فقد استخلف أبو بكر، وإن لم أستخلف لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله» (٢).

(١) شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٩.

(٢) مسند أحمد ١ / ٤٧، صحيح البخاري ٨ / ١٢٦، صحيح مسلم ٥ / ٦، سنن الترمذي ٣ / ٣٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٢٩

ولا- يخفى ما في القول بموت النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله- وصية، ولعله من هنا اضطرب بعضهم في تصحيحه وحاولوا توجيهه والتخلص منه، ولو بخلط الغث بالسمين.. لكن حاشاه من أن يترك الأئمة ويفارقها بلا وصية، وهو على علم بما سيكون من بعده من المنافقين والأئمة المضلين.. وقد أمر الله سبحانه في محكم كتابه وهو عليه وآله الصلاة والسلام في الأحاديث المتفق عليها بالوصية.

من الشواهد على عدم النص على أبي بكر ... ص: ١٢٩

ثم إنه يشهد بما ذهب إليه جمهورهم من عدم النص والوصية في خلافة أبي بكر أمور، نكتفي هنا بالإشارة إليها، وستعرض لها بالتفصيل فيما بعد:

١- النزاع في السقيفة بين المهاجرين والأنصار، وإباء جماعة من أعلام المهاجرين، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام وبنو هاشم عن البيعة لأبي بكر.

٢- أنه على فرض وجود النص أو الوصية وخفاء ذلك على من أبي البيعة أو نازع، لكان من الواجب على أبي بكر أو غيره العالم بذلك إظهاره؛ حسماً للنزاع وإخماداً للفتنة ورفعاً للخلاف.

٣- قول أبي بكر: «أقيلوني»....

٤- قول عمر: «كانت بيعه أبي بكر فلتة».

٥- ما روى عن عائشة أنها سألت: «من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مستخلفاً لو استخلف؟» (١).

وأورد ابن تيمية أحاديث في كلام طويل يتضمن وجود النص والوصية على خلافة أبي بكر، ولكن ذلك خفي عليه وعلى ابنته وعمر وسائر المهاجرين والأنصار!!

(١) منهاج السنة ١ / ٤٩٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٠

وهل من عاقل يرتضى هذا القول؟! وكيف ظهر لهذا القائل ما خفي على أولئك القوم؟! هذا ... ويناقضه ما جاء بعده من أن «التحقيق: أن النبي صلى الله عليه وآله دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمر متعده من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختار والمؤمنون من خلافة أبي بكر، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأئمة لبينه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعدده على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك، حصل المقصود ... ولم ينكر ذلك منهم منكر، ولا قال أحد من الصحابة أن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينزع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار؛ طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير ... ولم يقل قط أحد من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله نصّ على غير أبي بكر» (١ ...).

أقول:

أولاً، أن الكلام في (النص) و (الوصية) وهما غير (الدلالة) و (الإرشاد).

وثانياً: إن كان دلهم وأرشدهم فكيف خفى عليهم؟ وإن كان أخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد عليه، فلماذا أبوا عن بيعته أو نازعوه خلافته؟

وثالثاً: إن كان عزم على أن يكتب له بالخلافه، فما الذي منعه عن ذلك؟ ولماذا ترك؟ والخلافه أهم الأمور، وهو يعلم بأنه سيطلبها عدّه من الناس؟ وسيقع النزاع بينهم بل القتال حولها؟
ورابعاً: إن كان علمه بأن المسلمين يجتمعون عليه هو السبب في ترك الكتاب،

(١) منهاج السنة ١/ ٥١٦-٥١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣١

فقد علم- وعلم الكل- بانتفاء هذا الاجتماع، حتى أن بعض المسلمين بقي على معارضته حتى آخر لحظة من حياته، فكان عليه أن يكتب، وإذ وجدناه لم يكتب، علمنا أنه لم يكن من عزمه ذلك.

وخامساً: إن كان قد ترك الكتاب اكتفاء بالاجتماع كما زعم، فلماذا عزم على الكتاب مرّة أخرى في مرضه يوم الخميس؟
وسادساً: من أين علم هذا الرجل أن الذي أراد أن يكتبه يوم الخميس فحصل لبعضهم شك فيه ... كان الوصية والنص على خلافة أبي بكر؟ ولماذا حصل لهم الشك؟

ولماذا حال عمر بن الخطاب ومن تبعه دون كتابه الوصية في حق أبي بكر، سواء كانت من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه، وأنت تدعى إجماع القوم على خلافة أبي بكر ودلالة النبي صلى الله عليه وآله المسلمين عليها؟
إن حديث القرطاس، وما كان يوم الخميس.. ذو شجون.. وستعرض له في محله المناسب له، استناداً إلى أخبار القوم الموثوقة عندهم. وسابعاً: قوله: «فلو كان التعيين قاطعاً للعذر»... إقرار بعدم وجود البيان القاطع للعذر من رسول الله في خلافة أبي بكر.

وثامناً: إن ما روى عن أبي بكر وعمر وعائشة وغيرهم، والوجوه الدالة على عدم النص والاستخلاف، مثل ما كان من علي وبنو هاشم وأتباعهم، وما كان من سعد بن عباد، دليل على أن التعيين ممّا يشتهه على الأمة.. لكن النبي صلى الله عليه وآله لم يبين البيان القاطع فيما زعم!

وتاسعاً: إنه وإن هون أمر نزاع الأنصار لكّنه ذكره، أمّا إباء علي وبنو هاشم ومن تابعهم عن البيعة، فلم يذكره ولم يشر إليه أصلاً.
وعاشراً: إن كلمات هذا الرجل متهافئة، فهو من جهة ينفي وجود أيّة شبهة بين الأمة في تعيين النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر، حتى أنه لم يجد حاجة إلى كتابه ذلك،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٢

ومن جهة، يعترف بأن سعد بن عباد كان يطلب الولاية لنفسه، وأن جماعة من الأنصار طلبوا تولية غير أبي بكر، حتى أنه جعل يدفع هذا بقوله:

«ففي الجملة: جميع من نقل عنه من الأنصار من بنى عبد مناف أنه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجة دينية شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أحقّ بها وأفضل من أبي بكر، وإنما نشأ كلامه عن حبّ لقومه وقبيلته، وإرادة منه أن تكون الإمامة في قبيلته.

ومعلوم أن مثل هذا ليس من الأدلة الشرعية ولا الطرق الدينيّة، ولا هو ممّا أمر الله ورسوله المؤمنين باتباعه، بل هو شعبة جاهليّة ونوع عصبيّة للأنساب والقبائل. وهذا مما بعث الله محمداً بهجره وإبطاله» (١).

قلت: وهل هذا إلا تفسيق لجماعة كبيرة من الصحابة؟

هذا؛ ولا يخفى ما في هذا الكلام من الإقرار بأن الإمامة لا بد وأن تستند إلى حجة دنيّة، وأنه يعتبر فيها الأحقية والأفضلية. ثم قال: «ومعلوم أن هذا العلم الذي عندهم بفضله وتقدمه إنما استفادوه من النبي صلى الله عليه وآله بأمر سمعوها وعانوها، وحصل بها لهم من العلم ما علموا به أن الصديق أحقّ الأئمة بخلافه نبيهم وأفضلهم عند نبيهم، وأنه ليس فيهم من يشابهه حتى يحتاج في ذلك إلى مناظرة. ولم يقل أحد من الصحابة أن عمر بن الخطاب أو عثمان أو علياً أو غيرهم أفضل من أبي بكر أو أحقّ بالخلافه منه... حتى أن أعداء النبي صلى الله عليه وآله من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين يعلمون أن لأبي بكر من الاختصاص ما ليس لغيره، كما ذكره أبو سفيان بن حرب يوم أحد... حتى أني أعلم طائفة من حدّاق المنافقين ممن يقول أن النبي صلى الله عليه وآله كان رجلاً عاقلاً أقام الرياسة بعقله وحذقه يقولون: إن أبا بكر كان مباطناً له على ذلك،

(١) منهاج السنّة ١/ ٥٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٣

يعلم أسراراه على ذلك» (١).

أقول:

أولاً: إن كان هذا العلم موجوداً عندهم وحاصلاً لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلماذا لم يعملوا به؟ وخالفوه؟ وثانياً: نفيه قول أحد من الصحابة بأفضليته غير أبي بكر منه، مردود بأن جماعة من كبار الصحابة قالوا بأفضليته أمير المؤمنين عليه السلام منه ومن جميع الصحابة، نصّ على ذلك كبار الحفاظ.

قال الحافظ ابن عبد البر: «وروى عن سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وخباب، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره» (٢).

وقال: «اختلف السلف أيضاً في تفضيل علي وأبي بكر» (٣).

«وأما اختلاف السلف في تفضيل علي، فقد ذكر ابن أبي خيثمة في كتابه من ذلك ما فيه كفاية» (٤).

وعزا ابن حزم القول بأنه أفضل الأئمة بعد النبي إلى (بعض أهل السنّة) و (بعض المعتزلة) و (بعض المرجئة) و (جميع الشيعة) و (جماعة من التابعين والفقهاء) قال:

«وروي عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول الله على ابن أبي طالب» (٥).

(١) منهاج السنّة ١/ ٥٢٢-٥٢٤.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٠٩٠.

(٣) نفس المصدر ٣/ ١١١٦.

(٤) نفس المصدر ٣/ ١١١٧.

(٥) الفصل في الأهواء والملل والنحل ٤/ ١١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٤

وثالثاً: نفيه قول أحد من الصحابة بأحقية أحد بالخلافه من أبي بكر، مردود بقول جماعة من الأنصار بأحقية سعد بن عباد، وقول بني هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار بأحقية علي عليه السلام... وكلّ ذلك مذكور في أخبار كفيّة أخذ البيعة لأبي بكر.

ورابعاً: استدلاله بقول أبي سفيان يوم أحد: «أفي القوم محمد... أفي القوم أبو بكر»... عجيب جداً، لأنه غير معلوم ثبوته، وإن عزا روايته إلى كتابي البخاري ومسلم، ولأنه- لو ثبت- قول كافر لا يدري معنى الفضيلة وما تثبت به الأفضلية في الإسلام، كما أنا لا نعلم

أنه على أى وجه قاله.

على أنه قد نصّ في موضع من كتابه - كما سيأتى - بأن «الكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين» فيبين كلاميه في الموضوعين تناقض ظاهر.

ثم إنه إن كان أبو سفيان يعتمد على قوله كافراً، فلماذا لا يعتمد على قوله حال إسلامه ظاهراً، فإن أبا سفيان كان من المعترضين على تولّى أبى بكر، حتى أنه جاء إلى أمير المؤمنين ليبيعه ويعاهده على النصره، كما هو مذكور في كتب التاريخ. وخامساً: إستناده إلى قول حدّاق المنافقين!! عجيب كذلك، ومن أين حصل له العلم بمقاله هؤلاء؟ وما العلاقة بينه وبين حدّاق المنافقين؟!

إمامه أبى بكر كانت بيعته عمر ... ص: ١٣٤

قال قدس سره: وأن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر بن أبى قحافة...
الشرح:

وهو: عبد الله - وقيل عتيق - بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي، ولد - كما في

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٥

تاريخ الخلفاء «١» - بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله بسنتين وسنة أشهر، وأسلم بعد أكثر من خمسين شخصاً فيما رواه الطبرى في تاريخه بسند صحيح «٢»، وبويع بالخلافة في سقيفة بنى ساعدة، وتوفى سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

قال قدس سره: لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة...

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بأنه «ليس هذا قول أئمة أهل السنة، وإن كان بعض أهل الكلام يقولون: إن الإمامة تنعقد ببيعة أربعة، كما قال بعضهم: تنعقد ببيعة اثنين، وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد، فليست هذه أقوال أئمة السنة. بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماماً، ولهذا قال أئمة السنة:

من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية هو من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم... ولو كان جماعة في سفر، فالسنة أن يؤمروا أحدهم كما قال النبي... فإذا أمره أهل القدرة منهم صار أميراً.

فكون الرجل أميراً وقاضياً ووالياً وغير ذلك من الأمور التي مبناه على القدرة والسلطان، متى حصل ما يحصل به في القدرة والسلطان حصلت، وإلا فلا...

ولهذا قال أحمد في رسالته عبدوس بن مالك العطار: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى أن قال - ومن ولى الخلافة

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٠.

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٦

فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفته وسمى أمير المؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز، براً كان أو فاجراً. وقال - فى رواية إسحاق بن منصور - وقد سئل عن حديث النبي صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية ما معناه؟

فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجمع عليه المسلمون، كلهم يقول: هذا إمام، فهذا معناه» (١).

أقول: الواقع - يوم السقيفة - ما ذكره العلامة، فقد روى المحدثون والمؤرخون عامة عن عمر أنه قال - وهو يحكى توجهه مع أبى بكر نحو السقيفة حيث اجتمع الأنصار واتفقوا على رئيسهم سعد - : «كنت أزور فى نفسى كلاماً فى الطريق، فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كنت أزوره فى نفسى كأنه يخبر عن غيب، فقبل أن يشغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته»....

وعلى هذا الأساس، قال أهل الكلام منهم بانعقاد الإمامة ببيعة واحد ورضا أربعة - كما اعترف به الرجل - وقال به القاضى أبو يعلى الحنبلى (٢).

وقال التفتازانى: «اختيار أهل الحل والعقد وبيعته من غير أن يشترط إجماعهم على ذلك، ولا عدد محدود، بل ينعقد بعقد واحد منهم» (٣).

وقال القاضى العضد: «وإذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم فى الدين اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبى بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان» (٤ ...).

(١) منهاج السنة ١/ ٥٢٦ - ٥٢٩.

(٢) الأحكام السلطانية: ٢٣.

(٣) شرح المقاصد ٢/ ٢٨١.

(٤) المواقف ٣/ ٥٩٠.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٣٧

وأما قوله: «بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها» ... ففيه:

أولاً: أنه ظاهر فى عدم لزوم النص، ولا أقل من ظهوره بل صراحته فى عدم كفاية النص لانعقادها.

وثانياً: إنه لا فرق بين ما نسبته إلى (أهل السنة) وما نسبته إلى (أهل الكلام)، إذ ليس المراد من (أهل الشوكة) إلا (أهل الحل والعقد) فى اصطلاح أهل الكلام، فلا يريد القائل بانعقادها بموافقة واحد مطلق الواحد ولو من سوقة المسلمين الذين لا أثر لبيعة الآلاف منهم ... ويوضح ذلك قوله: «فالإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة، إلّا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضى موافقة غيرهم، بحيث يصير ملكاً بذلك، وهكذا كلّ أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه».

وثالثاً: إن الإمامة ما هى إلّا نياية عن النبوة فى كلّ ما هو من شؤونها، وهل تتوقف النبوة على موافقة أهل الشوكة؟. إنه لو تمّ ما ذكره، لزم إنكار نبوة الأنبياء الذين لم يوافقهم أهل الشوكة بل حاربوهم وقتلوهم.

ورابعاً: إن المقصود من الإمامة استمرار وظائف النبوة، يقوم بها الإمام نيابة عن النبى صلى الله عليه وآله، ومن الواضح أن هذا المقصود لا يعتمد على القدرة والسلطان، بل القدرة والسلطان من أسباب حصوله، وهذا صريح الآية المباركة: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ» (١).

وخامساً: إن أمر النبى صلى الله عليه وآله بتأشير المسافرين أحدهم إرشادى، وليس معنى قوله فيما روى عنه: «لا يحلّ لثلاثة يكونون فى سفر إلا أن يؤمروا واحداً»

(١) سورة الحديد: ٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٣٨

منهم» حرمة ترك ذلك، بالإجماع ... فلا يكون هذا ونحوه دليلاً على أن الإمارة بيد الناس، وأنها تتحقق لكل من أمره سواء كان عادلاً أو فاسقاً، فبطل الاستدلال بالحديث لما ذهب إليه وقال: «إذا أمره أهل القدرة منهم صار أميراً».

وأما ما حكاه عن أحمد، فهو على فرض صدوره وظهوره فيما يدعيه، باطل بالوجوه المذكورة. على أن ما حكاه ثانياً عنه شاهد بعدم صحته النقل الأول عنه؛ لأن التعريف الذي ذكره لا يصدق على (من غلب المسلمين بالسيف براً كان أو فاجراً) فأى إمام من الأئمة (أجمع عليه المسلمون، كلهم يقول هذا إمام)، وكان قد غلبهم بالسيف وهو فاجر؟ أن هذا غير جائز وغير واقع.

ثم قال هذا الرجل: «والكلام هنا في مقامين أحدهما: في كون أبي بكر كان هو المستحق للإمامة وأن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله. فهذا ثابت بالنصوص والإجماع. والثاني: أنه متى صار إماماً فذلك بمبايعته أهل القدرة له».

أقول: هذا الكلام ليس هنا موضعه، بل سيأتي بالتفصيل، وإنما أشار العلامة في هذا المقام إلى مبنى القوم في انعقاد الإمامة. وأما البحث التفصيلي عن إمامة الثلاثة فليس في مقامين بل مقامات.

وأما «كون أبي بكر كان هو المستحق للإمامة» فأول الكلام، ومن الضروري البحث أولاً: عن أن الإمامة تحصل بالتفضّل أو الإستحقاق؟، ثم عمّا لا بدّ من اتصاف الشخص به من الأوصاف أو توفّره فيه حتى يكون إماماً، ثم نرى هل كان أبو بكر كذلك حتى يكون هو الإمام؟

وأما «أن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله» فهل مرجع الضمير خصوص (أهل الشوكة) أو (عموم المسلمين)؟ إن كان المراد الأول، فقد عرفت ما فيه، وإن كان المراد الثاني، فهو كذب. والظاهر أنه يريد الأول، لاعترافه بعد ذلك بأنه «لو قدر أن بعض الناس كان كارهاً للبيعة لم يقدح ذلك في مقصودها» وقال: «وأما أبو بكر فتخلف عن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٣٩

بيعته سعد» (١) مع كونه من (أهل القدرة)!!، وكأن الرجل قد غفل عمّا استدللّ به من كلام أحمد من أن «الإمام، الذي يجمع عليه المسلمون كلهم يقول: هذا إمام»!!

تراجم الذين انعقدت خلافة أبي بكر برضاهم ... ص: ١٣٩

قال قدس سره: أبي عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشير ابن سعد.

الشرح:

أبو عبيدة بن الجراح، قيل: اسمه عامر بن الجراح، وقيل: عبد الله بن عامر بن الجراح، والصحيح: عامر بن عبد الله، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة - فيما يروون - ومن كبار الصحابة. توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة في طاعون عمواس سنة ١٨ بالأردن وبها قبره (٢).

وسالم بن معقل، مولى أبي حذيفة بن عتبة. كان من أهل فارس من إصطخر، وقيل: إنه من عجم الفرس في كرمذ. وكان من فضلاء الموالى ومن كبار الصحابة، وكان عمر يفرط في الثناء عليه. شهد بدرًا وقتل يوم اليمامة سنة ١٢ من الهجرة (٣).

وأسيد بن حضير الأنصاري، أحد أصحاب الرأي عندهم. توفي في شعبان سنة ٢٠ وقيل ٢١. صلى عليه عمر وكان قد أوصى إليه (٤).

وبشير بن سعد الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد، ويقال: إنه أول من بايع أبا بكر يوم السقيفة من الأنصار. قتل - وهو مع خالد بن

الوليد - بعين التمر في

(١) منهاج السنّة ١/ ٥٣٦.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٧١٠ - ١٧١١.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٦٧.

(٤) المصدر السابق ١/ ٩٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٤٠

خلافة أبي بكر «١».

أقول: روى سليم بن قيس الهلالي: أنه لما انطلقوا بعلي عليه السلام إلى أبي بكر، كان عمر قائماً بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، والمغيرة بن شعبة، وأسيد بن حضير، وبشير ابن سعد، وسائر الناس جلوس، حول أبي بكر، عليهم السلاح «٢».

هذا؛ وأخبار السقيفة وكيفيه البيعة لأبي بكر، مذكورة في كتب التواريخ والإمامة بالتفصيل، وقد أفردتها بعض علماء الإسلام بالتأليف والتحقيق، ولعل من أحسنها من المعاصرين كتاب السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر. فراجع. ولعلنا نتعرض فيما سيأتي لطرف من أخبار تلك القضية، استناداً إلى روايته الكتب الموثوق بها عند الجمهور.

إمامة عمر بنصّ أبي بكر ... ص: ١٤٠

قال قدس سره: ثم من بعده عمر بن الخطاب بنصّ أبي بكر عليه.

الشرح:

هو: عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، ولد - كما في تاريخ الخلفاء «٣» عن النووي - بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وأسلم في السنة السادسة من النبوة، كما فيه عن الذهبي. وأوصى له أبو بكر بالخلافة بالرغم من مخالفة رجال من أهل الحل والعقد. وتوفي آخر سنة ثلاث وعشرين بعد أن طعنه أبو لؤلؤة.

قال ابن تيمية: «وأما عمر، فإن أبا بكر عهد إليه، وبايعه المسلمون بعد موت

(١) الاستيعاب ١/ ١٧٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٥١.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٠٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٤١

أبي بكر فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم «١».

أقول: سيأتي الكلام حول إمامة عمر كذلك. ولكن نقول هنا: إنهم قد جعلوا الأساس في خلافة عمر: (نص) أبي بكر عليه، ولم يتعرضوا ل (الإستحقاق) وادّعوا أيضاً أنه (بايعه المسلمون) ولم يتعرضوا لمخالفة من خالف واعتراض من اعترض وإن كان من (أهل القدرة ...) ولا بدّ من البحث: هل النص عليه من أبي بكر ثابت؟ وعلى فرضه، فهل كان له أن يستخلف؟ وعلى فرضه، فهل كان عمر مؤهلاً له؟ وهل أجمع عليه المسلمون كلهم يقول: هذا إمام، على حدّ تعبير أحمد الذي استدللّ به الرجل؟

البيعة لعثمان في الشورى ... ص: ١٤١

قال قدس سره: ثم عثمان بن عفان بنص عمر على سته هو أحدهم، فاختاره بعضهم.

الشرح:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي، ولد - كما في تاريخ الخلفاء «٢» - في السنة السادسة من الفيل، وأسلم بعد أبي بكر، واستخلف ببيعة عبد الرحمن بن عوف في الشورى، ثم كان عبد الرحمن من المقاطعين لعثمان مع أعلام المهاجرين والأنصار لأمر كثيرة نقموا عليه، حتى قاموا ضده وقتل في سنة خمس وثلاثين.

وأهل الشورى هم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف.

نعم اختاره بعضهم، لكن عمر كان قد أوصى أنه إذا اختلف القوم كان القول قول الذين يكون فيهم عبد الرحمن بن عوف؛ لعلمه بأن عبد الرحمن لا يختار علياً عليه

(١) منهاج السنة ١/ ٥٣٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٤٢

السلام في حال من الأحوال. ثم إن عبد الرحمن احتال على علي عليه السلام بطريقة تمكنه من العدول عنه إلى عثمان، وذلك أنه لما عرض عليه الأمر اشترط عليه السير بسيرة الشيخين، وهو يعلم بإبائه عن أن يشرط له ذلك... فبايع عبد الرحمن عثمان وتبعه الآخرون. وهذا مذكور في جميع الكتب ولا يمتري فيه أحد.

وبه يظهر ما في قول ابن تيمية: «عثمان لم يصبر إماماً باختيار بعضهم، بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، لم يتخلف عن بيعته أحد... فليبايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماماً، وإلا لو قدر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه علي ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصبر إماماً»... «١».

قلت:

أولاً: قد أشرنا إلى أن عمر قد جعل الأمر - في الحقيقة - إلى عثمان، لأنه قد أحاله إلى رأي عبد الرحمن، وهو يعلم بأن عبد الرحمن سوف لا يعدل عن عثمان، وقد أشرنا إلى أنه قد زوى الأمر عن علي بأسلوب يتخيل الناظر أن علياً هو الذي أغضى عن الأمر! بل سنورد في محله من الكتاب بعض الشواهد القوية على ما ذكرنا، فانتظر.

ثانياً: إنبيعة المسلمين لعثمان بن عفان إنما كانت متابعه لما انتهى إليه الأمر، وهم يظنون أنه كان عن شورى حقيقة، إذ لم يطلع على واقع الحال إلا - أفراد من بينهم أعداد سمعوا مناشدات أمير المؤمنين عليه السلام، فكانوا من الموالين المقدمين له على غيره، كأبي الطفيل عامر بن واثله الذي روى خبر المناشدة، وعرف في كتب معرفة الصحابة بالولاء؛ ولذا وصف بالتشيع والرفض.

ثالثاً: إن أهل الشورى، وهم الصحابة أهل الشوكة... عدلوا عن عثمان فيما بعد وقاطعوه... وتلك قضاياهم مذكورة في التواريخ.

(١) منهاج السنة ١/ ٥٣٢ - ٥٣٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٤٣

ورابعاً: إن جماعة من أعلام السلف وكبار الصحابة يفضّلون علياً عليه السلام على أبي بكر فضلاً عن عثمان، ومنهم من يفضّله على عثمان.

ثم إن القوم لم يتعزّضوا هنا أيضاً ل (الإستحقاق) ولا لحكم (الشورى) في أمر الخلافة، وأنه هل كان لعمر أن يصيرها شورى؟ ولماذا

بين هؤلاء الستة دون غيرهم...

ويقول الرجل: «عثمان لم يصّر إماماً باختيار بعضهم بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان».... إذن، لم يكن إماماً لانتخابه في الشورى التي جعلها عمر، كما لم تكن إمامته لنصّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله... فلماذا حمل أعضاء الشورى على البيعة بالسيف بوصية من عمر؟ ولماذا لم يترك الأمر إلى المسلمين؟ وإذا كانت إمامته بمبايعة الناس، فإنهم إنّما بايعوه متابعة لأصحاب الشورى، إذ من الواضح أنه كان بينهم لكل منهم أنصار وأتباع، فهل بقي عثمان على ما بايع القوم عليه؟ هذه الأمور كلّها يجب أن تبحث، وستأتى إن شاء الله...

إمامة على عليه السلام ببيعة المسلمين ... ص: ١٤٣

قال قدس سره: ثم على بن أبي طالب لمبايعة الخلق له.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما قوله: ثم على لمبايعة الخلق له. فتخصيصه علياً بمبايعة الخلق له دون أبي بكر وعمر وعثمان، كلام ظاهر البطلان» (١).

أقول: سيأتى من العلامة ذكر طرف من الأدلة العقلية والنقلية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ولا فصل. أما هنا، فإنه بصدد

(١) منهاج السنة ١/ ٥٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٤٤

بيان مذاهب السنة باختصار حيث قال: «وذهب أهل السنة إلى خلاف ذلك كله... وأن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر لمبايعة عمر... ثم من بعده عمر بن الخطاب... ثم عثمان... ثم على بن أبي طالب»... فهو لا يريد الاستدلال (بمبايعة الخلق له) حتى يقال بأن «تخصيصه علياً بمبايعة الخلق له... كلام ظاهر البطلان» بل إن دليل أهل السنة على جعله الخليفة بعد عثمان (مبايعة الخلق له) لإنكارهم النصّ عليه مطلقاً، وجحدتهم حقّه في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله. وكأن الرجل لم يفهم مراد العلامة، فانبرى للدفاع عن الثلاثة، بأن مبايعة الناس لهم كانت أعظم من مبايعتهم له... توهماً منه بأن العلامة يريد الطعن في خلافة القوم من هذه الناحية.

أقول: إن كان المعيار للخلافة (مبايعة الخلق)، فإن المبايعة مع على كانت في المسجد بمنظر ومسمع من عموم المسلمين، وأما المبايعة مع أبي بكر فقد طبخت في السقيفة ودبرت ليل، ومع عمر، كانت لما زعموه من نصّ أبي بكر عليه، وما علم به إلا عثمان، ومع عثمان لمبايعة أهل الشورى له كما مهّد له عمر من قبل.

ولو كان عدم مبايعة بعض الصحابة - كعبد الله بن عمر - مع على مضراً بإمامته، فقد نازع سعد وأتباعه أبا بكر الخلافة، واعترض طلحة - ومن كان على رأيه - على استخلاف أبي بكر لعمر الذي جعلها شورى، لتنتهي إلى عثمان الذي كتب اسم عمر في وصية أبي بكر عندما أغمى عليه في الأثناء.

هذا؛ وقد ثبت ندم ابن عمر على تركه البيعة، بخلاف سعد بن عبادة ومن تبعه، فقد ثبت عنه الإبقاء عن البيعة حتى قُتل. ثم إنه، بعد أن أطال الكلام في هذا المقام بما هو خارج عن المقصود، ولا علاقة له بالبحث هنا أصلاً، تنبه إلى ما قلناه في بيان مراد العلامة فأورده هكذا:

«فإن قال: أردت أن أهل السنة يقولون إن خلافته انعقدت بمبايعة الخلق له

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٤٥

لا بالنص، فلا ريب أن أهل السنة وإن كانوا يقولون بالنص على أن علياً من الخلفاء الراشدين لقوله: (خلافة النبوة ثلاثون سنة)، فهم يروون النصوص الكثيرة في صحة خلافة غيره، وهذا أمر معلوم عند أهل الحديث، يروون في صحة خلافة الثلاثة نصوصاً كثيرة، بخلاف خلافة علي فإن نصوصها قليلة» (١ ...).

وأقول: إن أهم الأمور وأولها هو البحث عن أدلة الإمامة من العقل والنقل كتاباً وسنة، وأما الأشياء الأخرى التي يذكرها الرجل، فلا اعتبار بها ولا أثر لها، ولذا لم يذكرها غيره من علماء أهل السنة في الكتب الكلامية، وكان هو المنفرد بها ... نعم، لا بد من طرح تلك الأدلة والنظر فيها سنداً ودلالة على ضوء قواعد البحث وآداب المناظرة، وهذا ما سيفعله العلامة ونوضحه إن شاء الله، فإن النصوص القرآنية والنبوية هي الطريق الصحيح والمستقيم المؤدى إلى ما فيه رضى الله ورسوله ...

قال قدس سره: ثم اختلفوا فقال بعضهم: إن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام ...

الشرح:

هو: الإمام السبط الزكى الحسن بن على، ولد سنة ثلاث من الهجرة، واستشهد بالسم على يد جعدة بنت الأشعث، بدس من معاوية، سنة خمسين.

قال قدس سره: وبعضهم قال: إنه معاوية بن أبى سفيان! ثم ساقوا الإمامة فى بنى أمية، إلى أن ظهر السفاح من بنى العباس، فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور، ثم ساقوا الإمامة فى بنى العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!

الشرح:

سيأتى بعض الكلام حول نسب معاوية، ووقت إسلامه، ومنكراته زمن حكومته.

(١) منهاج السنة ١/ ٥٤٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٤٦

وأبو العباس السفاح هو: عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، أول ملوك بنى العباس. توفى سنة ١٣٦.

قول أهل السنة بإمامة بنى أمية وبنى العباس ... ص: ١٤٦

قال ابن تيمية: «أهل السنة لا يقولون إن الواحد من هؤلاء كان هو الذى يجب أن يولى دون من سواه، ولا يقولون إنه تجب طاعته فى كل ما يأمر به، بل أهل السنة يخبرون بالواقع ويأمرون بالواجب، فيشهدون بما وقع ويأمرون بما أمر الله ورسوله» (١ ...).

أقول: لا يخفى الإضطراب فى كلمات الرجل.. فلا يثبت ما قاله العلامة ولا ينكره، والجواب عما قاله فى هذا المقام:

أولاً: إن أهل السنة يقولون بإمامة الذين ذكرهم العلامة، وتشهد بذلك كتبهم المؤلفة فى أحوال الخلفاء، فللسيوطى كتاب (تاريخ الخلفاء وأمراء المسلمين).

وثانياً: إن ما حكاه عن أحمد من أن «أصول السنة عندنا ... ومن ولى الخلافة» ...

صريح فى اعتقاد أهل السنة بإمامة بنى أمية ثم بنى العباس، كما نسب إليهم العلامة.

وثالثاً: لقد قبل كبار علماء أهل السنة وقضاتهم المناصب والرواتب من هؤلاء عن رغبة ورضا، وهل قبول ذلك إلا القول بإمامتهم؟.

ورابعاً: هل المطلوب من أهل السنة هو الإخبار والشهادة بالواقع، أو الإخبار عن اعتقادهم بما يجب أن يكون وموقفهم تجاه ما كان؟.

وخامساً: سلمنا أنهم لا يقولون إن الواحد من هؤلاء كان هو الذى يجب أن يولى دون من سواه، ولا يقولون إنه تجب طاعته، لكننا

نسألهم: هل انقطعت الإمامة بعد

(١) منهاج السنة ١/ ٥٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٤٧

الخلفاء الأربعة وبقيتم بلا إمام؟ وإن كانت مستمرة، فمن الذي يجب أن يولّى دون من سواه ويجب طاعته بعد الخلفاء؟ وبمن تقتدون وتأتّمون بعد أولئك؟ وبأى ملاك؟
أبئض أو شورى أو بيعه عامّة؟.

وسادساً: إن صريح كلماته في المواضع المختلفة، يقتضى اعتقاده هو وأهل السنّة بإمامة بنى أمية وبنى العباس، من ذلك قوله: «فليست هذه أقوال أئمة أهل السنّة، بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليهم، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة»....
وبالجملة، لقد تحاشى الرجل من أن يعترف بصراحة ووضوح بإمامة ملوك بنى أمية وبنى العباس؛ لأن الإلتزام بإمامة هؤلاء يستتبع الإلتزام بلوازمها، ثم إنا نسأله:

من الذى مكّن يزيد بن معاوية - مثلاً - من رقاب المسلمين؟ ومن الذى سلط من مكّنه عليهم؟
ومع ذلك كلّ يقول الرجل: «ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاء، وأنه لو تولّى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمة لكان ذلك خيراً من عدمهم، كما يقال:

ستون سنّة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام. ويروى عن على رضى الله عنه أنه قال: «لابدّ للناس من إمارة برّة كانت أو فاجرة. قيل له: هذه البرّة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفئ». ذكره على بن سعيد في كتاب الطاعة والمعصية» (١).

وكأنه يتغافل عن أن البحث في الإمام الحق والإمامة الشرعيّة عن الله ورسوله؛ لكونها خلافةً ونيابةً عنه. وبعبارة أخرى: إن الكلام في الإمام الذى أمر الله ورسوله بطاعته وترك معصيته في جميع أوامره ونواهيه، لا فيمن تسلّط على رقاب المسلمين

(١) منهاج السنة ١/ ٥٤٧ - ٥٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٤٨

بمال أو عشيرة أو مؤازرة من ذوى القدرة والسلطان، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهذا ليس بإمام ولا يجوز تولّيه، وإن ترتب على وجوده آثار حسنة ففيل بأن وجوده خير من عدمه.

فهل الأئمة الذين أمر الله ورسوله بطاعتهم هم الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام، أولهم على بن أبى طالب، وآخرهم الخلف الحجة المنتظر كما يقول الإمامية الإثنا عشرية، أو أن الأئمة بعد النبی صلی الله عليه وآله أبو بكر وعمر وعثمان ثم على بن أبى طالب ثم معاوية ثم بنو أمية وبنو العباس، ومن بعدهم ممن تولّى وكان له قدرة وسلطان؟.

إن البحث في الإمامة الحقّة والولاية الشرعيّة نيابة عن الله ورسوله صلی الله عليه وآله، فهل يقول بإمامة بنى أمية وبنى العباس أم لا؟ إن كان يقول بإمامتهم، فقد شاركهم في آثامهم وجرائمهم، وأدخله الله في الآخرة مدخلهم؛ لأن من قال بإمامة أحد، فقد تولّاه واعتقد بحقيته ورضى بأفعاله وحشر معه كما دلّت عليه الأخبار المتفق عليها، وإن كان لا يقول بإمامتهم، فمن هم أئمة بعد الأربعة؟ وبمن يقتدى ويأتم في جميع هذه الأزمنة حتى زمانه، فمن كان إمامه في عصره؟ ومن هم أئمة آبائه وأبناء مذهبه الذين كانوا قبله؟ وقد اتفق الفريقان على أن النبی صلی الله عليه وآله قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

ثم إن مقام (الإمامة) لا يزول بإعراض الناس وعدم مساعدة أهل الشوكة منهم له، كما لم تزل نبوة الأنبياء بذلك. وأيضاً: لا يزول مقام الإمامة بغيبة الإمام عن الناس إذا دعت الضرورة إلى ذلك، كما لم تزل نبوة نبينا صلی الله عليه وآله بغيبته في

الشعب...

وأيضاً: لا يثبت المقام المذكور لأحد بحصول القدرة وسلطان الشوكة، فلا توجب القدرة والسلطة وجوب الإطاعة وحرمة المعصية من قبل الله ورسوله.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٤٩

نعم، عندما يكون الإمام الحق ذا قدرة وشوكة وسلطان، تتحقق مصلحة جعل الله عز وجل إياه إماماً لعموم الخلق، وإلا تحققت به مقاصد الإمامة بقدر ما بيده من القدرة والسلطان.

ولكن الذين سلبوا أئمة الحق سلطانهم هم المسمون بـ «أهل السنة» لا سيما أهل الشوكة منهم، وهذا ما اعترف به الرجل حيث قال: «ومن المعلوم أن أهل السنة لا ينازعون في أنه كان بعض أهل الشوكة بعد الخلفاء الأربعة يولون شخصاً وغيره أولى بالولاية منه...» وحينئذ، فأهل الشوكة الذين قدّموا المرجوح وتركوا الراجح، والذي تولّى بقوته وقوة أتباعه ظلماً وبغياً، يكون إثم هذه الولاية على من ترك الواجب مع قدرته على فعله أو أعان على الظلم، وأما من لم يظلم ولا- أعان ظالماً وإنما أعان على البر والتقوى، فليس عليه من هذا شيء...» (١).

أقول: فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يفضل (هؤلاء الملوك الظلمة) كما وصفهم «٢» على إمام من أئمة أهل البيت مع إساءة الأدب تجاهه والتهريج بمن يعتقد بإمامته، فيقول: «وكل من تولّى كان خيراً من المعدوم والمنتظر الذي تقول الرفضه أنه الخلف الحجة، فإن هذا لم يحصل بإمامته شيء من المصلحة لا في الدنيا ولا في الدين أصلاً، ولا فائدة في إمامته، إلّا الاعتقادات الفاسدة والأمانى الكاذبة والفتن بين الأمة... بل هو معدوم».

فإن هذا الكلام لا يصدر إلا من متعصب عنيد أو معتوه لا يفقه ما يقول:

أمّا أولاً: فلائن من كان ذا عقل أو دين، لا يفضل يزيد بن معاوية وعبد الملك ابن مروان، وهارون، والمتوكل، وأمثالهم، على إمام ثبتت إمامته بالأدلة القويمة التي

(١) منهاج السنة ١ / ٥٥٠.

(٢) المصدر ١ / ٥٤٧-٥٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٥٠

سند ذكر بعضها في موضعها.

وأما ثانياً: فإن المهدي المنتظر حيّ موجود وليس بمعدوم، ولا يختص القول بوجوده بالشيعة الإمامية... كما ستعلم. وأما ثالثاً: فإنه قد حصلت وتحصل بإمامة المهدي ووجوده- وهو غائب- مصالح كثيرة في الدنيا والدين، علنا نذكر طرفاً منها فيما سيأتي... ولكن المنافقين لا يفقهون.

وأما رابعاً: فإن الاعتقاد بإمامة المهدي فرض من الله ورسوله، والقول بعدم الفائدة في إمامته... تكذيب لله ورسوله. وأما خامساً: فلقد اعترف الرجل: بأن كثيرين ممن كانت لهم الأولوية والأحقية بالولاية لم يتولّوا؛ لأن أهل الشوكة لم يكونوا موافقين على ذلك، فيكون عليهم الإثم في ولاية أولئك الظلمة، وفي عدم ولاية الذين جعلهم الله أئمة العباد وساسة البلاد. وكذا الكلام في قوله بالنسبة إلى آباء المهدي، وكلهم أئمة بالكتاب والسنة: «وأما آباؤه»... (١) وذلك:

أولاً: لأن القدرة وسلطان الأمة، ليس من شرائط منصب الإمامة كما تقدّم.

ثانياً: إن آباءه عليهم السلام حتى أمير المؤمنين على بن أبي طالب كانوا منابع العلم وأعلام الدين...

ثالثاً: إن إمامة هؤلاء ليست كإمامة من وصفه أهل السنة بالإمامة في العلم والدين كأئمة المذاهب وغيرهم عندهم، ليرجع إليهم في

الحديث والفتيا ونحو ذلك فقط، بل هي رئاسة الدين والدنيا نيابة عن النبي، وأساسها (النص) عليهم المستتيع لوجوب إطاعتهم وحرمة معصيتهم في جميع أوامرهم ونواهيهم مطلقاً.

(١) منهاج السنة ١/ ٥٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٥١

وأما اعتذاره عن يرجع إلى الحاكم الجاهل أو الظالم أو المفضول ففيه نظر.

أما أولاً: فلأن الله عز وجل يقول: «يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» «... ١»

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أئما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين» «٢» وقال صلى الله عليه وآله: «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أَرْضَى لَهِ مِنْهُ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» «٣».

وأما ثانياً: فلأن الحاكم إلى سلطان الجور ودفع الأموال إليه والصلاة خلفه...

تشيد لحكومته وتقوية لسلطانه، وحينئذ يتمكن من الظلم والاستمرار في غضب الحق من أهله.

وأما قوله: «وأهل السنة يقولون: ينبغي أن يوَلَّى الأَصلح للولايَةِ إذا أمكن، إما وجوباً عند أكثرهم وإما استحباباً عند بعضهم، وإن من عدل عن الأَصلح مع قدرته لهواه فهو ظالم، ومن كان عاجزاً عن تولية الأَصلح مع محبته لذلك فهو معذور.

ويقولون: من تولَّى فإنه يستعان به على طاعة الله بحسب الإمكان، ولا يعان إلا على طاعة الله ولا يستعان به على معصية الله، ولا يعان على معصية الله تعالى» «٤».

فيقال له: إن كان المراد من (الولايَةِ) هو (الإمامة) فليس أمر الإمامة بيد الخلق فيولِّوا الأَصلح لها دون الصالح وغيره، بل هي كالنبوة:

«وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» «٥»

وعلى الأمة - وجوباً - الانقياد له كما ينقادون للنبي صلى الله عليه

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) كنز العمال ١٩/ ٦ الحديث ١٤٦٥٣.

(٣) كنز العمال ٢٥/ ٦ رقم: ١٤٦٧٨.

(٤) منهاج السنة ١/ ٥٥١.

(٥) سورة القصص: ٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٥٢

وآله. وإن كان المراد منها (الإمارة) و (السلطنة) الفعلية، بمعنى التمكن له، فليس بواجب ولا مستحب، بل حرام قطعاً؛ لأن ذلك من شؤون الإمام المنصوب من قبل الله ورسوله.

وبالجملة، فإن (الإمامة) هي (الخلافه) و (النيابة) عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و (الإمام) هو من يقوم مقام النبي وينوب عنه، ويتولَّى الأمور الدنيوية والدينية بنص منه وتعيين من الله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» «١».

أفليس هذا القول خيراً من قول القوم بأن كل من تسلط على رقاب المسلمين وتغلب على الحكم، فكان له القدرة والسلطان، فهو خليفة الله وأمير المؤمنين، وإن كان جائراً فاجراً جاهلاً؟!

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٥٣

الفصل الثاني: في أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ١٥٣**إشارة**

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٥٥

الآراء المختلفة من الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله ... ص: ١٥٥

قال قدس سره: لأنه لما عمّت البليّة على كافّة المسلمين بموت النبي صلى الله عليه وآله واختلف الناس بعده...

الشرح:

قال ابن تيمية: «قد جعل المسلمين بعد نبيهم أربعة أصناف، وهذا من أعظم الكذب، فإنه لم يكن في الصحابة المعروفين أحد من هذه الأصناف الأربعة، فضلاً عن أن لا يكون فيهم أحد إلا من هذه الأصناف، إما طالب للأمر بغير حق كأبي بكر في زعمه، وإما طالب للأمر بحق كعلي في زعمه، وهذا كذب على على رضى الله عنه وعلى أبي بكر، فلا- على طلب الأمر لنفسه قبل قتل عثمان، ولا أبو بكر طلب الأمر لنفسه، فضلاً عن أن يكون طلبه بغير حق. وجعل القسمين الآخرين إما مقلداً لأجل الدنيا، وإما مقلداً لقصوره في النظر. وذلك أن الإنسان يجب أن يعرف الحق وأن يتبعه، وهذا هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالّين...

وإذا كان الصراط المستقيم لا بدّ فيه من العلم بالحق والعمل به، وكلاهما واجب، لا يكون الإنسان مفلحاً ناجياً إلا بذلك، وهذه الأمة خير الأمم، وخيرها القرن الأول؛ أكمل الناس في العلم النافع والعمل الصالح. وهؤلاء المفترّون وصفوهم بنقيض ذلك، بأنهم لم يكونوا يعلمون الحق

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٥٦

ويتبعونه، بل كان أكثرهم يعلمون الحق ويخالفونه، كما يزعمونه في الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة والأمة، وكثير منهم عندهم لا يعلم الحق، بل اتبع الظالمين تقليداً، لعدم نظرهم المفضى إلى العلم، والذي لم ينظر قد يكون تركه النظر لأجل الهوى وطلب الدنيا، وقد يكون لقصوره ونقص إدراكه... فإذا كان هذا في حكايته لما جرى عقب موت النبي من اختلاف الأمة، فكيف سائر ما ينقله ويستدلّ به؟» (١).

أقول:

نعم إن الإنسان يجب أن يعرف الحق ومن يهتدى إليه، وأن يتبعه ويهتدى بهداه «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٢).

، فهل كان المسلمون بعد موت النبي صلى الله عليه وآله يعرفون الحق؟

وهل اتبعوه؟

إن العلّامة يخبر هنا بالواقع بحسب الأدلّة.. فقد أصبح المسلمون بعد نبيهم صلى الله عليه وآله أربعة أصناف... والمهم هو البحث عمّن طلب الأمر لنفسه بغير حق- وهو أبو بكر من المهاجرين، وسعد بن عباد من الأنصار- ومن طلب الأمر لنفسه بحق، وهو على عليه

السلام.. وفي أى شيء يشكك ابن تيمية؟

أما الاختلاف بعد النبي صلى الله عليه وآله في الخلافة عنه، فلا سبيل إلى التشكيك فيه، بل إنه رأس الخلافات وأعظمها... قال أبو الفتح الشهرستاني: «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان، وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الأول، فاختلف المهاجرون والأنصار فيها، فقالت الأنصار: منا

(١) منهاج السنة ٢/ ١١-١٦.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٥٧

أمير ومنكم أمير، واتفقوا على رئيسهم سعد بن عباد الأنصاري، فاستدركه أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- في الحال، بأن حضرا سقيفه بنى ساعده، وقال عمر: كنت أزور في نفسي كلاماً في الطريق، فلما وصلنا إلى السقيفه أردت أن أتكلّم فقال أبو بكر: مه يا عمر. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كنت أقدره في نفسي، كأنه يخبر عن غيب. فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس، وسكنت الفتنة. ألا إن بيعه أبي بكر كانت فتنة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأبى رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنهما تغرّء يجب أن يقتلا.

وإنما سكنت الأنصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله:

الأئمة من قريش. وهذه هي البيعة التي جرت في السقيفه.

ثم لما عاد إلى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة، سوى جماعة من بني هاشم، وأبى سفيان من بني أمية، وأمير المؤمنين على بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان مشغولاً بما أمره النبي صلى الله عليه وآله من تجهيزه ودفنه وملازمته قبره، من غير منازعة ولا مدافعة» (١).

وأما أن بعضهم طلب الأمر لنفسه، فتلك أخبار السقيفه وإباء على عليه السلام وأتباعه بيعه أبي بكر، في كتب الحديث والسيره والتاريخ... وتلك عبارة الشهرستاني مرّت عليك آنفاً...

وأما أن طلب أبي بكر -فضلاً عن غيره- كان بغير حق، وأن طلب على عليه السلام كان بحق، فستقف على الأدلة الدالة على ذلك في غصون الكتاب... إن كل هذا واقع، وأيّ ذنب لمن يخبر عمّا وقع على ضوء الأدلة والأخبار الصحيحة؟ ونحن أيضاً نقول: «الصراط المستقيم لا بدّ فيه من العلم بالحق والعمل به،

(١) الملل والنحل ١/ ٢٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٥٨

وكلاهما واجب لا يكون الإنسان مفلحاً ناجياً إلا بذلك»، ولكن لم تكن الأمة كلها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك. وأما قوله: «هذه الأمة خير الأمم» فهو إشارة إلى قوله تعالى «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (١) ، لكن هذه الأمة خير أمة ما دامت تعرف المعروف وتعمل به، وتعرف المنكر وتنتهي عنه وتنتهي عنه، وإلا فهي منقلبة على أعقابها، وذلك ما أخبر به عز وجل بقوله «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ» (٢) ...».

فيكون المعنى: كنتم خير أمة أخرجت للناس ما لم تنقلبوا على أعقابكم بعد نبيكم عليه وآله الصلاة والسلام.

وقوله: «خيرها القرن الأول» إشارة إلى ما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» (٣) لكنه - بعد الغض عن سنده والكلام في مدلوله - ليس على إطلاقه بل مقتيد - بالاتفاق - بما إذا لم يرتدوا، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديث صحيحة أخرجوها: ليردّ على الحوض غداً رجال من أصحابي ثم ليختلجّن عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك. فأقول: سحاً سحاً... (٤).

فيكون المعنى: خير القرون قرني ما لم يرتدوا على أدبارهم، ولم يحدثوا من بعدى. وهل الإرتداد إلّا الإعراض عن الحق بعد معرفته؟ فظهر أن ما ورد في الكتاب والسنة في مدح هذه الأمة أو الصحابة، فهو أيضاً من

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١١٤.

(٣) جامع الأصول ٩/ ٤٠٤.

(٤) جامع الأصول ١١/ ١٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٥٩

الأدلة التي يخبر بها عن الواقع ويصدق بها ما كان، فضلاً عن أن يكون مانعاً عن القول بالحق، أو دليلاً لرفع اليد عن الحقيقة وبيانها... فهذا موجز الكلام على ما قاله ابن تيمية.

ثم إنه شرع في الجواب التفصيلي بزعمه عما قال العلامة قدس سره: فقال: «قوله:

(تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم). فيكونون كلّهم متبعين أهواءهم، ليس فيهم طالب حق، ولا - يريد لوجه الله تعالى والدار الآخرة، ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال، وعموم لفظه يشمل علياً وغيره. وهؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله تعالى عليهم هو ورسوله، ورضى عنهم ووعدهم الحسنی» (١) ... (١).

أقول: هذا مردود من وجوه:

١- إن (الأهواء) في اللغة جمع (هوى) وهو (الحب) أو (ميل النفس) يكون في الخير والشرّ، كما نصّ عليه ابن الأثير في النهاية، والفيروز آبادي في القاموس، وشارحه الزبيدي (٢)، وغيرهم... فمراد العلامة تعدّد (ميولهم) و (أفكارهم) و (عقائدهم) وما شابه ذلك... فما ذكره ابن تيمية وهم، وما فرّع عليه بقوله: «فيكونون متبعين أهواءهم ليس فيهم»... وهم آخر.

٢- إن العلامة قسّم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأصناف الأربعة - كما هو صريح كلامه واعترف به المعترض - ومن الأقسام من ذكره بقوله:

«وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق»... يعنى به علياً كما اعترف الرجل كذلك، فليس (كلّهم متبعين أهواءهم ليس فيهم طالب حق)... كما توهم.

٣- وبما ذكرنا يتضح: أنه لو فرض إرادة العلامة من لفظه (الأهواء) البدع وإرادة

(١) منهاج السنة ١٧/ ٢.

(٢) تاج العروس في شرح القاموس ١٠/ ٤١٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٦٠

النفس بالمعنى المذموم، فإن لفظه لا يشمل علياً عليه السلام، لأن التقسيم قاطع للشركة.

٤- إن هذا التقسيم الذي ذكره العلامة هو واقع الحال، الذي يصدّقه الكتاب وأخبار القوم، فكما يوجد في القرآن الكريم آيات

تتضمن الثناء على أصحاب الرسول صَلَّى الله عليه وآله، كذلك فيه آيات تتضمن أن بينهم منافقين، بل فيه (سورة المنافقين)، وكما يوجد في أخبار القوم بطرقهم أحاديث في الثناء عليهم عن النبي صَلَّى الله عليه وآله، كذلك يوجد فيها ما يتضمن الذم الشديد، كقوله: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (١) وقوله: «ليردنَّ على الحوض..» (٢) وكذا إخباره أنه سيكون بعده أقوام يكذبون عليه (٣). فظهر صحة تقسيم العلامة.

وفيما ذكرناه غنى وكفاية.

ولقد أطال الرجل، فذكر آيات زعم أنها «تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار»، وآثراً رواها عن الصحابة أنفسهم في مدح الصَّحابة... وفي كثير من ذلك بحث ونظر ليس هذا موضعه،... ومن ذلك قوله: «وقال للمؤمنين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ... إِنَّمَا وَثَّيْتُكُمْ اللَّهُ»... وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى: إن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة. وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل، وكذبه يبين من وجوه كثيرة» (٤...).

قلت: هذا كله خروج عن البحث في هذا المقام، وسيجيئ إن شاء الله تعالى الكلام على هذه الآية، ليعلم الباحث المنصف أن الحديث الوارد ليس حديثاً مفترى، وأن

(١) جامع الأصول ١٠ / ٤٢٧.

(٢) جامع الأصول ١١ / ١٢٠.

(٣) والأخبار في هذا المعنى كثيرة بألفاظ مختلفة.

(٤) منهاج السنّة ٢ / ٢٩ - ٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦١

الاستدلال بالآية لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل تام، غير قابل للنقاش...

وحينئذ، يعرف المنصف الطائفة التي «ليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيباً للحق منهم» (١) والتي «لا يوجد أكثر المنافقين إلّا فيهم» (٢).

في أن أبا بكر طلب الأمر لنفسه ... ص: ١٦١

قال قدس سره: فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق، وبايعه أكثر الناس طلباً للعالم...

الشرح:

قال ابن تيمية: «قوله: فبعضهم طلب الأمر لنفسه... وهذا إشارة إلى أبي بكر، فإنه هو الذي بايعه أكثر الناس، ومن المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه، لا بحق ولا بغير حق، بل قال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: إما عمر بن الخطاب وإما أبا عبيدة. قال عمر: فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحبّ إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. وهذا اللفظ في الصحيحين.

وقد روى عنه أنه قال: أقبلوني أقبلوني. فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم، كما قال له عمر يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله. ولم ينكر ذلك أحد. وهذا أيضاً في الصحيحين.

والمسلمون اختاروه كما قال النبي صَلَّى الله عليه وآله في الحديث الصحيح لعائشة: أدعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من

(٢) المصدر ٢/ ٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٦٢

بعدي. ثم قال: يا أباي الله والمؤمنون أن يتولّى غير أبي بكر.

فالله هو ولّاه قدرأً وشرعاً، وأمر المؤمنين بولايته، وهداهم إلى أن ولّوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه «١». أقول:

من المعلوم أن أبا بكر قد طلب الأمر لنفسه، فهو الذي احتجّ على الأنصار فخصمهم كما يدّعون.

فإن قيل: الإحتجاج على القوم أمر وطلب الأمر لنفسه أمر آخر. قلنا: إذا لم يكن أبو بكر طالباً شيئاً لنفسه، فلماذا رجع من السنج ومن جيش أسامة مخالفاً لله ورسوله؟

فإن قيل: إنما رجع للوداع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلغه شدّة وجعه. قلنا: وهل كان للرسول في رجوعه - حتى للوداع معه - رضى؟

ثم لما توفي صلى الله عليه وآله فلماذا لم يحضر تجهيزه، بل أسرع ومعه عمر وأبو عبيدة نحو السقيفة حيث اجتمع الأنصار للنظر في أمر الخلافة؟

وبعد، فقد ناقض ابن تيمية نفسه بتصريحه بأن أبا بكر - وكذا عمر وعثمان - ادّعوا الإمامة وطلبوا الأمر ودعوا الناس إلى طاعتهم، وسيأتى نصّ كلامه في البحث حول آية المودّة.

وأما قوله: «أقولوني» الذي ذكره الرجل بقوله: «وقد روى عنه» ولم يذكر راويه فما معناه؟ وما لفظه الكامل؟ ومتى قاله؟ وسيأتى الكلام عليه في محله.

وأما قوله: «فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم». فكذب، لأن المسلمين لم يختاروه ... وتلك قضايا السقيفة والصراع بين المهاجرين والأنصار الحاضرين فيها، وأين كان سائر المسلمين؟ نعم، بايعه عمر وأبو عبيدة، ثم حُمل الناس

(١) منهاج السنّة ٢/ ٥٠ - ٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٦٣

على ذلك فبايعه أكثرهم، ولم يبايعه كثيرون من أعلام المسلمين ... ولعلنا نتعرّض لوقائع السقيفة بشيء من التفصيل في الموضع المناسب.

والإستدلال بقوله المخرج في الصحيحين مردود، لأن أخبار الصحيحين ليست بحجّة. وإذا كان الملاك للتقدّم هو الأحيّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والأفضليّة والسيادة، كما يروون عن عمر مخاطباً لأبي بكر ... فهذه الصفات مجتمعة في علي عليه السلام، للأحاديث الصحيحة المروية في كتب القوم، كحديث خبير، وحديث الطائر المشوى وغيرهما مما سيأتى في محله.

وأما الحديث «إنه قال لعائشة» ... ففيه:

أولاً: إن أحاديث الصحيحين ليست بحجّة.

وثانياً: إن عائشة متهمّة في النقل في أمثال المقام في الأقل.

وثالثاً: إن هذا الحديث بالخصوص موضوع في مقابلة حديث القرطاس الصحيح عند الفريقين.

هذا، ومما يشهد بأنه إنما رجع إلى المدينة لطلب الأمر لنفسه، وأن النبي صلى الله عليه وآله ما قال لعائشة: «ادعى لى أباك» ... بل أعرض عنه لدى حضوره عنده ... وأنه لم يكن أحبّ الناس إليه صلى الله عليه وآله: ما أخرجه جماعة من أكابر القوم من أنه صلى الله عليه وآله لما حضره الموت قال: «ادعوا لى حبيبي» أو «علّياً» فدعوا له أبا بكر «فوضع رأسه» أو «سكت ...» ثم أعاد الكلمة، فدعى

له عمر، فصنع ما صنع أولاً ... حتى دعى له على ... وأمر بانصراف القوم من حوله «... ١».

(١) مسند أحمد ١/ ٣٥٦، تاريخ الطبري ٢/ ٤٣٩، الرياض النضرة ٢/ ١٨٠، ذخائر العقبى: ٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦٤

دفاع ابن تيمية عن عمر بن سعد ... ص: ١٦٤

قال قدس سره: كما اختار عمر بن سعد ملك الري أياماً يسيرة لَمَّا خُيِّرَ بينه وبين قتل الحسين عليه السلام، مع علمه بأن في قتله النار

...

الشرح:

هو: قائد جيوش يزيد بن معاوية لقتل سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وهو ابن سعد بن أبي وقاص الزهري. ومن القوم من دعتهم العصبية والبغضاء للرسول وأهل بيته إلى توثيقه والرواية عنه ... لكن عن ابن معين، من أكابر القوم وأئمتهم في الجرح والتعديل: «كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟» (١).

قتله المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة خمس وستين.

وأما شعره المذكور، فمعروف جداً، تجده في كتب الأخبار والتواريخ والبلدان، مع الاختلاف زيادة ونقصه في عدد الأبيات «...٢» ورأيت في بعض الكتب ثمانية أبيات هي:

فوالله ما أدري وإني لحائر أفكر في أمرى على خطرين

أترك ملك الزى والزى منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

حسين ابن عمى والحوادث جمّة لعمرى ولى فى الزى قره عين

وإنّ إله العرش يغفر زلتى ولو كنت فيها أظلم الثقلين

ألا إنما الدنيا بخير معجل وما عاقل باع الوجود بدين

يقولون إن الله خالق جنّه ونار وتعذيب وغلّ يدين

فإن صدقوا فيما يقولون فإننى أتوب إلى الرحمن من سنتين

(١) تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥٧، ميزان الاعتدال ٣/ ١٩٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٦.

(٢) الكامل فى التاريخ ٤/ ٥٣، معجم البلدان: الرى ٣/ ١١٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦٥

وإن كذبوا فرنا بدنيا عظيمة وملك عظيم دائم الحجلين

قال ابن تيمية: «تمثيل هذا بقصة عمر بن سعد طالباً للرياسة والمال، مقدماً على المحرّم لأجل ذلك، يلزم منه أن يكون السابقون الأولون بهذه الحال.

وهذا أبوه سعد بن أبي وقاص كان من أزهّد الناس فى الإمارة والولاية، ولمّا وقعت الفتنة اعتزل الناس فى قصره بالعقيق ... فإذا لم يحسن أن يشبّهه بابنه عمر أيشبّه به أبو بكر وعمر وعثمان؟

هذا، وهم لا يجعلون محمد بن أبى بكر بمنزلة أبيه، بل يفضلون محمداً ويعظمونه ويتولّونه، لكونه آذى عثمان وكان من خواصّ على لأنه كان ربيبه، ويسبّون أباه أبا بكر ويلعنونه، فلو أن النواصب فعلوا بعمر بن سعد مثل ذلك فمدحوه على قتل الحسين، لكونه كان من

شيعة عثمان ومن المنتصرين له، وسبوا أباه سعداً لكونه تخلف عن القتال مع معاوية والانتصار لعثمان، هل كانت النواصب لو فعلت ذلك إلّا من جنس الرافضة.

بل الرافضة شرّ منهم، فإن أبا بكر أفضل من سعد، وعثمان كان أبعد من استحقاق القتل من الحسين، وكلاهما مظلوم شهيد رحمه الله ...

ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله، أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية، وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين» (١). أقول:

أولاً: لقد شبّه العلامة حال (البعض الذي طلب الأمر بغير حق) بحال عمر بن سعد، ولم يشبّه حال السابقين الأولين بحاله حتى «يلزم أن يكون السابقون الأولون بهذه الحال»، فما قاله هذا الرجل باطل.

(١) منهاج السنّة ٢/ ٦٥-٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦٦

وثانياً: إن سعد بن أبي وقاص ممن تنازل عن الإمارة في الشورى لعثمان بن عفان، ثم لما حاصر المسلمون - من الصحابة والتابعين - عثمان خذله ولم ينصره، حتى قتل عثمان وسعد مختف في خارج المدينة في (قصره) خوفاً من المسلمين الثائرين ... ومن كان هذا حاله لا يوصف بأنه «أزهد الناس في الإمارة والولاية» كما لا يوصف من كان له (قصر) في ذلك الزمان بالزهد مطلقاً. ومن طرائف الأخبار: ما حكاه الحافظ ابن حجر بترجمته محمد بن مسلمة: «أنه كان عند عمر معداً لكشف الأمور المعضلة في البلاد، وهو كان رسوله في الكشف عن سعد بن أبي وقاص حين بنى القصر بالكوفة. قال: وقال ابن المبارك في الزهد ... بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصراً وجعل عليه باباً وقال: انقطع الصوت، فأرسل محمد بن مسلمة - وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما يريد بعثه - فقال له: إئت سعداً فأحرق عليه بابه، فقدم الكوفة، فلما وصل إلى الباب أخرج زنده فاستورى ناراً ثم أحرق الباب، فأخبر سعد فخرج إليه فذكر القصة» (١).

ومن هذا الخبر تظهر أمور منها: إن سعداً كان يحب العيش في القصور أينما كان، وأين هذا من الزهد؟ وثالثاً: إنه لا يقاس عمر بن سعد بمحمد بن أبي بكر، ولا فعله بفعله، كما لا يقاس عثمان بسيدنا الحسين سيد شباب أهل الجنة وسبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

فأمّا محمد بن أبي بكر، فقد ورد في حقّه ما لم يرد في حق عمر بن سعد عشر معشاره، وقد اشترك - إن ثبت - مع الصحابة وسائر المسلمين في النهي عن المنكر، لا طلباً للدنيا بل عن علم واعتقاد بأنه جهاد في سبيل الله، بخلاف عمر بن سعد، فإن

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٦/ ٢٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦٧

صريح أشعاره - التي لم ينكرها ابن تيمية ولا غيره - «علمه بأن في قتل الحسين النار» وأنه اختار ذلك بعد أن خيّر بينه وبين الرئاسة وملك الري ...

وأيضاً: فإن محمد بن أبي بكر، كان قد أمر عثمان بقتله مع أصحابه في كتاب أرسله إلى عامله، في قصة مشهورة، وعمر بن سعد لم يكن بالنسبة إليه - ولا إلى غيره - شيء من الحسين عليه السلام.

على أن القوم - سواء كان فيهم محمد أو لم يكن - ما تعمّدوا قتل عثمان، وإنما طالبوه بأن يخلع نفسه، لما ظهر من أحداثه، فعندما ألح حاصروه، لكنه أبى واغترّ باجتماع نفر من أوباش بني أمية يدفعون عنه، حتى انتهى الأمر بالتدريج إلى القتل وكان ما كان. وعمر بن

سعد يصرح في أشعاره بأنه جاء ليقول الحسين مع علمه بأن في قتله النار، بغية الوصول إلى ملك الري ... وكذلك كان أصحابه وجنوده ...

ورابعاً: إن السبب الأهم في تعظيم المسلمين وتجليههم لمحمد بن أبي بكر ليس مشاركته في قتل عثمان - بناء على صحة الخبر، فإن جماعة من أهل العلم نفوه كما في الاستيعاب - وإنما ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه وتفضيله. قال ابن عبد البر: «وكان علي بن أبي طالب يثنى على محمد بن أبي بكر ويفضله، لأنه كانت له عبادة واجتهاد» (١).

وخامساً: عدم الطعن في عمر بن سعد لما فعل بل الاعتذار له بما ذكر، يكشف عن نصب شديد وعداء مقيت، إذ لا يتفوه مسلم بأن غاية الأمر في هذا الباب أنه اعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف بها، ولا يعبر عن قتل المسلم بغير حق ب (معصية) فضلاً عن قتل ابن رسول الله وأولاده وأصحابه ...

وسادساً: إن قتل الحسين عليه السلام ذنب لا يقاس به شيء من الذنوب الكبائر،

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ / ١٣٦٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦٨

فضلاً عن غيرها، حتى يقال: «هذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين». فلو أن أهل العالم بأسره اشتركوا في قتل نبي من الأنبياء أو وصي من الأوصياء لأدخلهم الله النار. ومن الواضح أن تهوين هذا الفعل الشنيع الفظيع رضى به، ومن رضى بفعل قوم أشرك معهم فيه. ثم قال ابن تيمية: «وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي عليه السلام، كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم من الداخلين في الشيعة ... وأول هؤلاء بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيدة الكذاب، فإنه كان أمين الشيعة، وقتل عبيد الله بن زياد، وأظهر الانتصار للحسين وقتل قاتله.

بل كان هذا أكذب وأعظم ذنباً من عمر بن سعد، فهذا الشيعي شر من ذلك الناصبي، بل والحجاج بن يوسف خير من المختار بن أبي عبيدة، فإن الحجاج كان مبيراً كما سماه النبي صلى الله عليه وآله لم يسفك الدماء بغير حق، والمختار كان كذاباً يدعى الوحي وإتيان جبريل إليه» (١ ...).

أقول:

وهذا الفصل من كلامه أيضاً يشتمل على أكاذيب ودعاوى وافترادات.. وكل ذلك ذنباً عن عمر بن سعد، بل هو في الحقيقة ذنب ودفاع عمن ولّاه وعمن شيد أركان سلطان بني أمية الظالمين، وعمن أسس أساس الظلم والجور في الإسلام! نعم، إن النواصب ليعلمون جيداً بأن الطعن في عمر بن سعد طعن في معاوية، والطعن فيه طعن في الأولين ... فمن الباطنية؟ وما فعلوا؟ وهل هم من الشيعة حقاً؟

(١) منهاج السنة ٢ / ٦٨ - ٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٦٩

وهل كان المختار بن أبي عبيدة كذاباً؟

وهل كان مع ذلك أمين الشيعة؟

وكيف يكون قاتل قاتل الحسين أعظم ذنباً من قاتل الحسين عليهما السلام؟

وهل أن الحجاج الثقفي لم يسفك دمماً بغير حق؟

وهل كان خيراً من المختار؟

إن الدخول في البحث عن هذه القضايا يتبعنا عن المقصود، وإنما نريد التأكيد على أن هذا الرجل يحاول تبرير ما فعله أمراء حكام الجور، حتى لا ينتهي الطعن إلى الحكام أنفسهم... ويحاول الطعن في كل من انتصر لأهل البيت، لشدة بغضه وعدائه لهم وإن كان يحاول التستر على ذلك...

لقد ثبت تاريخياً- وشهد من أنصف- بأن الذين «قصّدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي صلى الله عليه وآله» هم غير الشيعة، كما لا يخفى على من راجع ولا حظ ما أحدثه بنو أمية والزيبر، ومن تأخر عنهم من الملوك والحكام، بل من تقدّم عليهم، في دين الإسلام...

أفهل حرّم شيعي ما كان حلالاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وهل منع شيعي من الشهادة برسالته في الأذان؟

وهل صلى شيعي صلاة الجمعة يوم الأربعاء؟

وهل رمى شيعي القرآن حتى مزقه؟

وهل هدم شيعي الكعبة وربما بالمنجنيق؟

ومما يشهد بما ذكرنا من أن غرض الرجل الحماية عن حكام الجور وعمال الظلمة، لئلا ينتهي الطعن إلى أمراء الفاسقين أنفسهم... تناقضاته في كلماته، فتارة يقول بأن الحجاج «لم يسفك دمًا بغير حق»، وأخرى يقول- في تقديم الحجاج على المختار بزعمه-: «وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس»، وثالثة يصفه بأنه: «كان لا يقبل من

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٧٠

محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئتهم!» وتجد في (المدخل) بعض التفصيل.

الكثر لا تستلزم الصواب ... ص: ١٧٠

قال قدس سره: وبعضهم اشتبه الأمر عليه، ورأى طالب الدنيا مبايعاً له، فقلّده وبايعه وقصّر في نظره فخفى عليه الحق، واستحقّ المؤاخذه من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقّه بسبب إهمال النظر. وبعضهم قلّد لقصور فطنته، ورأى الجمّ الغفير فبايعهم... الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية أولاً: «الله تعالى قد حرّم القول بغير علم، فكيف إذا كان المعروف ضدّ ما قاله، فلو لم نكن نحن عالمين بأحوال الصحابة لم يجوز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد والجهل بالمستحقّ... فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلاً وعلماً وديناً» (١).

وثانياً: بأنه «هب أن الذين بايعوا أبا بكر كانوا كما ذكرت إمّا طالب دنيا وإمّا جاهل، فقد جاء بعد أولئك في قرون الأمة من يعرف كلّ أحد زكاءهم وذكاءهم مثل... وهم كلّهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر» (٢... ٢). أقول:

ويردّ الأول: بأن الذي قاله العلامة ليس من القول بغير علم ولا- من الشهادة بما لا يعلم... بل هو العلم بأحوالهم عن طريق أفعالهم وأقوالهم، فهو علم مستند إلى الحس. أما علم المعارض المدّعى حصوله له، فهو مستند إلى أخبار يروونها واجتهادات لهم في الآيات يرونها... ألا ترى قوله: «فإنهم خير هذه الأمة كما تواترت

(١) منهاج السنة ٢/ ٧٦.

(٢) المصدر ٢/ ٨٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٧١

بذلك الأحاديث عن النبي صَلَّى الله عليه وآله حيث قال: خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس...

لهم كمال العلم وكمال القصد. إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمة خير الأمم. وأن لا يكونوا خير الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسنة. لكن الحديث المزعوم تواتره غير وارد من طرفنا، والآية إنما تدل على كون هذه الأمة خير الأمم ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر...

وبالجملة، فقول العلامة علم مستند إلى الحسن، ولا ريب في تقدم الحسن على الحسن، بعد تسليم مستنده سنداً ودلالة. ويرد الثاني:

أولاً: بأن في الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ممن يرى تفضيل أمير المؤمنين عليهما مثل ذلك بل أكثر. وثانياً: هب أن الذين قالوا بتفضيلهما كانوا كما ذكرت، فهل الكثرة تستلزم الصواب، والله سبحانه وتعالى يقول: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» (١)؟

طلب الإمام الأمر بحق ... ص: ١٧١

قال قدس سره: وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، وتابعه الأقلون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، بل أخلصوا لله تعالى واتبعوا ما أمروا به من طاعة من يستحق التقديم. الشرح:

قال ابن تيمية: «قولك: إنه طلب الأمر لنفسه بحق وبايعه الأقلون كذب على على رضى الله عنه، فإنه لم يطلب الأمر لنفسه في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وإنما طلبه

(١) سورة المؤمنون: ٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٧٢

لما قتل عثمان ويبيع، وحينئذ، فأكثر الناس كانوا معه، ولم يكن معه الأقلون، وقد اتفق أهل السنة والشيعة على أن علياً لم يدع إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان... أقول:

ليس المراد من (طلب الأمر لنفسه) أن يخرج إلى الناس ويدعوهم إلى بيعته، فإن هذا لم يكن منه، لا بعد أن توفي الله نبيه صَلَّى الله عليه وآله، ولا بعد أن قتل المسلمون عثمان بن عفان.

أمّا في اليوم الأول، فقد كان مشغولاً بالنبي صَلَّى الله عليه وآله، وما كان بالذي يتركه على الأرض ويخرج فيخاصم الناس على سلطانه كما فعل غيره، غير أن بني هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار كانوا في بيته ليبياعوه وهم لا يشكون في أنه الخليفة والإمام بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

وأمّا في اليوم الثاني، فإن الناس هم الذين طلبوه لأن يبياعوه، فإن كان قبول البيعة منهم طلباً، فلماذا أنكرت نسبة الطلب إلى أبي بكر وأنت تدعى أن الناس بايعوه؟ إنه ليس على الإمام الحق إلا الاستعداد لتولي الأمر وقبول البيعة.

وهذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام في اليومين، غير أنه في الثاني بايعه الأكثرون بل الكل، وفي الأول - والكلام حوله الآن - لم يبايعه إلا الأقلون الذين بقوا معه في الدار، معرضين عن الدنيا وأهلها...

وأي شيء أبلغ في الدلالة على الطلب، من قبول البيعة ممن بايع والإبقاء عن البيعة للغير؟ نعم، لقد طلب الأمر لنفسه، وتحقق له، بيعته

أولئك الأقلين وقبول بيعتهم، وإلا لخرج وبايع أبا بكر. هب أنه كان معذورا بانشغاله بأمر النبي صلى الله عليه وآله ثم يجمع القرآن في الأيام الأولى، فلا أقل من أن يأمر أهله وذويه بالمبادرة إلى البيعة! وهماً بايع بعد الفراغ مما كان يشغله؟ وهماً أمر حليلته بضعة الرسول عليهما السلام - وهو يراها موشكة على الحقوق بأبيها - وهو يعلم بأن: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٧٣

ميته جاهلية؟

كلّا، لم يفعل شيئاً من ذلك، فلا هو بايع، ولا هي، ولا أحد من بني هاشم والذين كانوا معهم من غيرهم، مدّة حياة الصديقه الطاهرة بعد النبي، وهي ستة أشهر، في رواية القوم «١».

إلى غير ذلك من الشواهد العقلية والنقلية على صدق كلام العلامة طاب ثراه، وأن القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلب الأمر لنفسه كذب عليه.

قال قدس سرّه: وحيث حصلت للمسلمين هذه البلية، وجب على كلّ واحدٍ النظر في الحق واعتماد الإنصاف...

الشرح:

لا يخفى أن موضوع الكتاب (إثبات الإمامة)، وإنما تعرّض لمسائل التوحيد والعدل والنبوة مقدّمة للغرض الذي لأجله وضع الكتاب، فلكون هذه المسائل مقدّمة، وفي كلامه إشارة لمجمل الدليل في كلّ مسألة منها، لم نر ضرورة للشرح والبسط إلا لما يتعلّق بصلب الموضوع.

الأدلة على وجوب اتباع مذهب الإمامية ... ص: ١٧٣

إشارة

قال قدس سرّه: وإنما كان مذهب الإمامية واجب الاتباع لوجوه:

الوجه الأول ... ص: ١٧٣

إشارة

لما نظرنا في المذاهب، وجدنا أحقّها وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل، وأعظمها تنزياً لله تعالى ولرسوله ولأوصيائه عليهم السلام، وأحسنها في المسائل الأصولية والفروعية، مذهب الإمامية، لأنهم اعتقدوا: أن الله تعالى هو المخصوص

(١) صحيح البخارى ٨٢ / ٥، كتاب المغازى، باب غزوة خيبر. صحيح مسلم ١٥٤ / ٥، كتاب الجهاد، باب قول النبي: لا نورث...

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٧٤

بالأزلية ... وأنه ليس بجسم ... وأنه تعالى قادر على جميع المقدورات، وأنه عدل حكيم ... وأن أفعاله محكمة واقعة لغرض ومصلحة وإلا كان عابثاً.. «١» وأنه أرسل الأنبياء عليهم السّلام لإرشاد العالم. وأنه تعالى غير مرئى ولا مدرك بشيء من الحواس ... وأنه ليس فى جهة ... وأن الأنبياء عليهم السّلام معصومون عن الخطأ والسهو والمعصية، صغيرها وكبيرها، من أول العمر إلى آخره ... وأن الأئمة معصومون كالأنبياء عليهم السّلام فى ذلك، لما تقدم. ولأن الشيعة أخذوا أحكامهم الفروعية عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام الناقلين عن جدّهم رسول الله، الآخذ ذلك من الله تعالى بوحي جبرئيل عليه السلام إليه، يتناقلون ذلك عن الثقات خلفاً عن سلف، إلى أن تتصل الرواية بأحد المعصومين عليه السلام، ولم يلتفتوا إلى القول بالرأى والاجتهاد وحرّموا الأخذ بالقياس

والإستحسان.

موجز عقائد الإمامية في صفات الباري والأنبياء والأئمة ... ص: ١٧٤

الشرح:

هذا موجز عقائد الإمامية، وكان غاية ما أجب به ابن تيمية عما ذكره العلامة رحمه الله من عقائد الإمامية هو: أن هذه عقائد فلان من المعتزلة أو الطائفة الفلانية منها أو من غيرها. لكن العلامة لا ينفي أن يكون غير الإمامية مشاركا لهم في شيء من عقائدهم. ثم إن هذا الرجل يورد في عقائد الإمامية ومقالاتهم أشياء ليست في شيء من كتبهم، وإنما يعتمد في إيرادها على ما ذكره المصنفون من أهل نحلته وخاصيته عن أبي الحسن الأشعري، وإذا استدلل بحديث ردّا أو تأييداً فهو حديث يرويه المحدثون من أهل مذهبه بطرقهم التي عليها يعتمدون ... ومن الواضح أن ذلك كله خروج عن أدب البحث وقانون المناظرة.

(١)

سورة الأنبياء: ١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٧٥

إزراء ابن تيمية بأئمة أهل البيت ... ص: ١٧٥

وكثيراً ما ينسب إلى الإمامية - بل إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام - أشياء نسبة مجردة عن الدليل والمستند الصحيح، فمما قال مثلاً: «قدمائهم كانوا يقولون: القرآن غير مخلوق كما يقوله أهل السنة والحديث. وهذا هو المعروف عند أهل البيت، كعلي بن أبي طالب وغيره مثل أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وغيرهم، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم. فليس من أئمة أهل البيت مثل: علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر ابن محمد، من كان ينكر الرؤية، ولا يقول بخلق القرآن، ولا - ينكر القدر، ولا يقول بالنص على علي، ولا بعصمة الأئمة الاثني عشر، ولا يسب أباً بكر وعمر. والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنة «١».

وقد تخرج من فيه كلمات كبيرة في أئمة أهل البيت عليهم السلام!

كقوله: «القوم المذكورون إنما كانوا يتعلمون الحديث من العلماء به كما يتعلم سائر المسلمين، وهذا متواتر عنهم» «٢».

فممن كانوا يتعلمون، وكل منهم أعلم أهل زمانه في الحديث وغيره؟

وهذا متواتر عنهم، عند من؟

ولو فرض رواية أحدهم عن أحد الصحابة مثلاً في قضية في واقعة، فهل يسمى ذلك تعلماً؟

وكقوله: «فليس في هؤلاء من أدرك النبي صلى الله عليه وآله وهو مميز إلا على كرم الله وجهه، وهو الثقة الصدوق فيما يخبر به عن

النبي صلى الله عليه وآله، كما أن

(١) منهاج السنة ٢ / ٣٦٨.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٤٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٧٦

أمثاله من الصحابة ثقات صادقون فيما يخبرون به أيضاً عن النبي ... حتى بسر بن أبي أرتاة مع ما عرف منه، روى حديثين رواهما أبو داود» (١ ...).

فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان الواحد منهم يروى عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ... ثم هل أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الصحابة - حتى بسر - سواء؟

وكقوله: «فالزهرى أعلم بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأحواله وأقواله باتفاق أهل العلم من أبي جعفر بن علي وكان معاصراً له. وأما موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي، فلا يستريب من له من العلم نصيب أن مالك بن أنس، وحماد بن زيد وحماد بن مسلمة، والليث بن سعد، والأوزاعي، ويحيى بن سعيد، ووکیع بن الجراح وعبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. وأمثالهم، أعلم بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله هؤلاء» (٢).

وكقوله: «لا يشك عاقل أن رجوع مثل مالك، وابن أبي ذئب، وابن الماجشون، والليث بن سعد، والأوزاعي، والثوري، وابن أبي ليلى، وشريك وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، والحسن بن زياد اللؤلؤي، والشافعي، والبيهقي، والمزني، وأحمد بن حنبل، وأبي داود السجستاني، والأثرم، وإبراهيم الحربي، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبي بكر ابن خزيمة، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، وغير هؤلاء، إلى اجتهدهم واعتبارهم، مثل أن يعلموا سنة النبي صلى الله عليه وآله الثابتة عنه، ويجتهدوا في تحقيق مناط الأحكام وتنقيحها وتخريجها، خير لهم من أن يتمسكوا بنقل الروافض عن العسكريين

(١) منهاج السنة ١/ ٤٥٦.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٤٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٧٧

وأمثالهما، فإن الواحد من هؤلاء لأعلم بدين الله ورسوله من العسكريين أنفسهم، فلو أفتاه أحدهما بفتيا كان رجوعه إلى اجتهداه أولى من رجوعه إلى فتيا أحدهما، بل ذلك هو الواجب عليه» (١). أقول:

أولاً: إن كل واحد من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام علمه من الله وموروث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف يكون الواحد من هؤلاء أعلم من الواحد منهم؟ بل لو جمعت علوم كلهم لما بلغ عشر معشار علم الواحد منهم...

وثانياً: لقد اعترف بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام - في العلم وغيره من الصفات - كثير من أئمة أهل السنة ومشاهير علمائهم... ولعلنا نذكر بعض تلك الكلمات فيما سيأتي، حيث يذكر العلامة رحمه الله موجزاً من أحوال الأئمة عليهم السلام... الأمر الذي يؤكد تعصب ابن تيمية وشدة عناده لأهل البيت.

وثالثاً: إنه لا اتفاق بين السنة على وصف هؤلاء الذين ذكرهم الرجل بما وصفهم به.. وهذا واضح لمن راجع تراجمهم وما قيل فيهم في كتب الرجال.

ورابعاً: إن ما قاله الرجل في حق الأئمة عليهم السلام ليس شيئاً جديداً من المناوئين للعترة الطاهرة، فلقد قالوا مثله فيمن هو خير من العسكريين وأفضل... وهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد في حقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم... ما ورد... والذي قال في حقه عمر بن الخطاب:

«لولا علي لهلك عمر...» والذي طالما رجع إليه الصيحة في المعضلات، ولم يرو أحد رجوعه إلى أحد أبداً... نعم، قالوا مثل هذا الكلام في حقه، بل فضلوا عليه من ليس بأفضل من العلماء الذين ذكر الرجل أسماءهم!!!...

(١) منهاج السنة ٢/ ٤٧٠-٤٧٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٧٨

وخامساً: لقد تعلّم مشاهير الصحابة وتلمذوا على أمير المؤمنين عليه السلام في العلوم المختلفة، ورجعوا إليه في المشكلات، وهذا أمر مشهور كما اعترف به كبار العلماء، كالنووي في (تهذيب الإسماء واللغات) «١».

والواجب على أهل كلّ زمان هو الرجوع إلى الإمام المعصوم في ذلك الزمان، المنصوص عليه من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، والتعلّم منه، وقد فعل ذلك جماعة من علماء القوم المعاصرين للأئمة الطاهرين، وفيهم بعض العلماء الذين ذكرهم هذا الرجل زاعماً أعلميتهم ووجوب تعلّم الأئمة منهم!! وسنرى ذلك في تراجم الأئمة الأظهر في هذا الكتاب.

وكيف يجوز أن يرجع أحد من طلاب العلم - فكيف بالعسكريين الإمامين المعصومين - إلى أناس يستندون في فتاواهم إلى القياسات والاستحسانات، ويترك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزّ وجل، بواسطة الأئمة المعصومين؟ وإذا كان هذا موقف ابن تيمية من أئمة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، فما ظنك بموقفه من شيعتهم؟ فإن كتابه مملوء - ولا سيما في هذه المواضع - بالسب والشتم والتكفير ... وأمثال هذه الأشياء التي يلتجئ إليها عادة المبطلون إذا أخرجوا في المسائل ... أنظر إليه يقول في موضع:

... «وهذا دأب الرافضة دائماً يتجاوزون عن جماعة المسلمين إلى اليهود والنصارى والمشرّكين في الأقوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك، ومن أضلّ من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويوالون المنافقين والكفار؟ وقد قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٧٩

مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً» فذكر الآيات إلى آخرها «١».

موجز عقائد غير الإمامية وما يرد عليها ... ص: ١٧٩

قال قدس سره: أما باقي المسلمين فقد ذهبوا كلّ مذهب ...

الشرح:

لا يخفى أن مراده من (باقي المسلمين) هو الأعمّ من الأشاعرة والمعتزلة.

ولم ينكر ابن تيمية ما نسبته العلامة رحمه الله من هذه المذاهب إلى طوائف أهل السنة وعلمائهم، حتى أنه قال في موضع: «قد قلنا غير مرة: نحن لا ننكر أن يكون في بعض أهل السنة من يقول الخطأ» «٢». إلا أنه يقول: هذه العقيدة ليست لجميع أهل السنة، أو إن الزيدية تشاركهم فيها. لكن العلامة رحمه الله ذكر لكلّ فرقة من فرق أهل السنة مذهبها، ولم ينسب مذهباً لأحدها إلى غيرها، كما أن مشاركة الزيدية لأهل السنة في بعض العقائد - إن ثبتت - لا يضرّ ما هو بصدد.

ثم إن عمدة ما ذكره العلامة رحمه الله عنهم مسألة أن الله جسم، وأن صفاته ليست ذاتية ... وقد اضطرب ابن تيمية في هذا الموضع اضطراباً شديداً، فشرّق وغرب، وأرعد وأبرق ... ولكنه لم يأت بشيء.

وكان أهمّ ما تذرّع به وكرّره: أن التجسيم مضاف إلى بعض قدماء الإمامية، كهشام بن الحكم ... إلا أنها فريته سبقه إليها غيره، وما زال أبناء طائفته يردّدونها ذاهلين عن حقيقة الحال أو متجاهلين واقع عقيدة هذا الرجل العظيم ... فإن الذي ينقل عنه قوله بأن الله

جسم لا كالأجسام ... وقد ثبت أنه لم يكن قائلاً بالتجسيم، ولا أن مقولته

(١) منهاج السنّة ٣/ ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٢) المصدر ٣/ ١١٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٠

هذه دالّة عليه ... بل ذكر أبو الحسن الأشعري - الذي طالما نقل عنه ابن تيمية واعتمد على أقواله - ما نصّه: «حكى عنه أنه قال: هو جسم كالأجسام. ومعنى ذلك أنه شيء موجود» (١) وأوضحه في موضع آخر حيث قال: «قال قائلون: هو جسم خارج عن جميع صفات الأجسام، ليس بطويل، ولا عريض، ولا عميق، ولا يوصف بلون ولا طعم ولا مجسّة ولا شيء من صفات الأجسام» (٢). ومن هنا نصّ شارح المواقف على أن هؤلاء لا يكفّرون، لأنهم ينفون جميع خواصّ الجسم، وليس في مقالتهنّ إلا إطلاق لفظ الجسم، بخلاف المصرّحين بالجسمية (٣)، وقد بحثنا هذه المسألة في (المدخل). قال قدس سره: فقال بعضهم وهم جماعة الأشاعرة: إن القدماء كثيرون مع الله تعالى! وهي المعاني التي يثبتونها موجودة في الخارج كالقدرة والعلم ...

الشرح:

الأشاعرة هم أتباع الشيخ أبي الحسن على بن إسماعيل، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، له عقائد تبعه عليها قوم وأنكرها آخرون، له مؤلفات كثيرة. مات ببغداد سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، له ترجمة في أكثر كتب التراجم، خصّها بعضهم بالتأليف. قال قدس سره: فجعلوه تعالى مفتقراً في كونه عالماً إلى ثبوت معنى هو العلم! وفي كونه قادراً إلى ثبوت معنى هو القدرة، وغير ذلك! ولم يجعلوه قادراً لذاته، ولا عالماً لذاته، ولا رحيماً لذاته، ولا مدركاً لذاته، بل لمعان قديمة يفتقر في هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره! تعالى الله عن ذلك

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٥٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٦٠.

(٣) شرح المواقف ٨/ ١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨١

علوّاً كبيراً.

فلا يقولون هذه الصفات ذاتية ...

الشرح:

قد اعترف ابن تيمية بكلّ هذا.

وقال العضد: «ذهب الأشاعرة إلى أن له صفات زائدة، فهو عالم بعلم، قادر بقدرة، يريد بإرادة، وعلى هذا» (١) ... وكذا قال ابن روزبهان.

وقال الرازي: «يمتنع أن يكون علمه وقدرته نفس تلك الذات» (٢).

قال قدس سره: واعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم بأن قال: «إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القدماء ثلاثة، والأشاعرة أثبتوا قدماً تسعة!».

الشرح:

فخر الدين الرازي هو: محمد بن عمر الملقب عندهم بالإمام، صاحب التفسير الكبير وغيره من المصنفات، كان ذا يد طويلة في العلوم، لكن بعضهم ذمّه لبعض أقواله وعقائده «٣» توفي سنة ٦٠٦هـ، وتجد الاعتراض المذكور في تفسيره «٤». قال قدس سره: وقال جماعة الحشوية والمشبهة إن الله تعالى جسم له طول وعرض وعمق! وإنه يجوز عليه المصافحة! وإن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا!.

الشرح:

حكاه الشهرستاني عن الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر

(١) المواقف في علم الكلام ٣/ ٦٦ وشرحها ٨/ ٤٤.

(٢) التفسير الكبير ١/ ١٣٢. ولاحظ الملل والنحل ١/ ٨٦-٨٧.

(٣) لسان الميزان ٤/ ٤٢٦.

(٤) التفسير الكبير ١/ ١٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٢

وكهمس وأحمد الهجيمي «...١»

قال قدس سره: وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوّز رؤيته في الدنيا، وأن يزورهم ويزورونه!

الشرح:

الكعبي هو: أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي، له (المقالات) توفي: سنة ٣١٩ والقول المذكور أورده الشهرستاني في كتابه «٢».

قال قدس سره: وحكى عن داود الظاهري أنه قال: أعفوني عن اللحية والفرج واسألوني عمّا وراء ذلك...

الشرح:

كذا اسمه في المخطوطة والمطبوعة، وعليه، فهو الذي تنسب إليه الطائفة الظاهرية التي تأخذ بظواهر الكتاب والسنة وتعرض عن التأويل، توفي سنة ٢٧٠. لكن في (الملل والنحل) حيث يحكى ما أورده العلامة: (داود الجواربي). وعنه في موضع آخر: (داود الحواري رئيس الحوارية). وفي (منهاج ابن تيمية) «٣»: «أما داود الجواهري فقد عرف عنه القول المنكر».

وانظر: المواقف ٣٩، وكذا الملل والنحل ١/ ١٠٥-١٠٦ تجد فيه أن ما نسبته العلامة إلى داود المذكور ومن كان على قوله من مشبهة أهل السنة، إلى كلمة (أربع أصابع) محكى عن هذا الشخص وأتباعه. ثم لاحظ كلام ابن تيمية «٤» لترى الكذب والإفتراء بكل صراحة ووضوح وقلة حياء!!

(١) الملل والنحل ١/ ١٠٥.

(٢) الملل والنحل ١/ ١٠٥.

(٣) منهاج السنة ١/ ٢٥٩ الطبعة القديمة.

(٤) منهاج السنة ٢/ ٦٢٠-٦٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٣

قال قدس سره: وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه، راكباً على حمار... وحكى عن بعض المنقطعين التاركين للدنيا من شيوخ الحشوية أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نفاطاً ومعه أمرد حسن الصورة قَطَطَ الشعر، على الصفات التي يصفون ربهم بها... وقالت الكرامية: إن الله تعالى في جهة فوق، ولم يعلموا أن كل ما هو في جهة فهو محدث،

ومحتاج إلى تلك الجهة.

الشرح:

الكرامية: هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥. قال الشهرستاني: «نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقراراً، وعلى أنه بجهة فوق ذاتاً» (١)، وفي المواقف عنه: «إن الله على العرش من جهة العلو» (٢).

وقد بلغ من شذوذ الحنابلة وتجسيمهم أن أبا الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧- وهو أحد أئمتهم - ردّ عليهم، واستنكر شذوذهم وافتراءاتهم على الله تعالى، في كتاب مفرد منتشر في العالم.

قال قدس سره: وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد! وآخرون إلى أنه لا يقدر على عين مقدور العبد!

الشرح:

قال التفتازاني: «فهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، لا كما زعم البلخي أنه لا يقدر على مثل مقدور العبد، وعامة المعتزلة أنه لا يقدر على نفس مقدور العبد» (٣).

(١) الملل والنحل ١/ ١٠٨.

(٢) المواقف في علم الكلام ٣/ ٧١٦، وشرحها ٨/ ٣٩٩.

(٣) شرح العقائد النسفية: ٧٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٤

قال قدس سره: وذهب الأكثر منهم إلى أن الله تعالى يفعل القبائح...

الشرح:

هذه من فروع مسألة الحسن والقبح العقليين، فالإمامية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم المبتنون لذلك يقولون: بأن الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب والأشاعر المنكروين لذلك يلتزمون بجميع هذه الأمور ولوازمها.

قال قدس سره: وهذا يستلزم أشياء شنيعة... قال أبو هذيل العلاف: حمار بشر أعقل من بشر...

الشرح:

أبو الهذيل العلاف: هو شيخ البصريين في الاعتزال، له كتب ومقالات، توفي سنة ٢٢٧. وبشر هو معاصره: بشر بن المعتمر البغدادي، المتوفى سنة ٢١٠، كان يقول:

الإنسان يخلق اللون والطعم والرائحة والسمع والبصر على سبيل التولد. كذا في المواقف (١) وغيرها.

كلام الإمام الكاظم عليه السلام في أن المعصية ممن...؟ ص: ١٨٤

قال قدس سره: ومنها: التقسيم الذي ذكره مولانا وسيدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وقد سأله أبو حنيفة...

الشرح:

أبو حنيفة هو: النعمان بن ثابت إمام الحنيفة المتوفى سنة ١٥٠. وقد اعترض ابن تيمية بأن: هذه الحكاية لم يذكر لها إسناد فلا تعرف صحتها، كيف والكذب عليها ظاهر، فإن أبا حنيفة من المقرين بالقدر باتفاق أهل المعرفة به وبمذهبه، فكيف يحكى عن أبي حنيفة

أنه استصوب قول من يقول أن الله لم يخلق أفعال العباد؟

(١) المواقف: ٤١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٨٥

وأيضاً: فموسى بن جعفر وسائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر، والنقل عنهم بذلك ظاهر معروف، وقدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر والصفات، وإنما شاع فيهم ردّ القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه.

وأيضاً: فهذا الكلام المحكى عن موسى بن جعفر يقوله أصاغر القدرية وصبيانهم، وهو معروف من حين حدثت القدرية، قبل أن يولد موسى بن جعفر، فإن موسى بن جعفر ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، قبل الدولة العباسية بنحو ثلاث سنين، وتوفي ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. والقدرية حدثوا قبل هذا التاريخ، بل حدثوا في أثناء المائة الأولى، في زمن الزبير وعبد الملك.

ومما يبين أن هذه الحكاية كذب، أن أبا حنيفة إنما اجتمع بجعفر بن محمد، وأما موسى بن جعفر فلم يكن ممن سأل أبو حنيفة ولا اجتمع به، وجعفر بن محمد هو من أقران أبي حنيفة، ولم يكن أبو حنيفة يأخذ عنه مع شهرته بالعلم، فكيف يتعلم من موسى بن جعفر. إنتهى كلامه «١».

أقول:

هذه الحكاية لها إسناد في كتب الإمامية، بل متنها يشهد بصحتها. لكن ليس من دأب المتكلمين ذكر الأخبار بأسانيدھا في الكتب الكلامية. أما أهل السنة فلا يروون مثل هذا الخبر، لأنه طعن في مذهبهم، ومبين لجهل من يقولون بإمامته، والإفحام له ممن كان في الظاهر صبيهاً، وهو من أئمة المسلمين بإعترافيهم.

وكون أبي حنيفة من المقرين بالقدر بالإتفاق، لا ينافي صحة الخبر ووقوعه، فكم من دليل متقن سمعه أبو حنيفة وغيره من أهل الضلالات وعجزوا عن الجواب عنه

(١) منهاج السنة ٣/ ١٣٨ - ١٤٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٨٦

ولم يرجعوا عن ضلالتهم، ولو كان عدم رجوع أبي حنيفة عن مقالته دليلاً على كذب الخبر، لكان عدم رجوع المشركين والزنادقة الذين قرئ عليهم القرآن وألزموا بالأدلة والبراهين، دليلاً على كذب القرآن وبطلان أدلة العقائد الحقّة.

أما أهل البيت وشيعتهم فهم على أنه «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» وهذا شيء معروف متواتر عنهم، مذكور في كتبهم مثل الكافي للكليني والتوحيد للصدوق، وهو مذكور عنهم في كتب غيرهم أيضاً، أخذوه عن سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع مختلفة من كلماته، منها: ما قاله للرجل الشامي عند منصرفه من حرب صفين... فالكذب نسبة غير هذا المذهب إليهم.

وأما أن هذا الكلام والتقسيم المحكى عن الإمام عليه السلام يقوله أصاغر القدرية وصبيانهم وهو معروف من حين حدثت القدرية. فقد حكى حكاية لم يذكر لها إسناداً، وكأنه نسي ما أورده على العلامة قبل سطور!! لكننا نطالبه فقط بأسماء من وصفهم ب (أصاغر القدرية وصبيانهم) الذين حكى عنهم ذلك، بل باسم واحد منهم...

و (موسى بن جعفر عليه السلام) إمام من أئمة المسلمين، منصوص عليه من قبل جدّهم رسول ربّ العالمين صلّى الله عليه وآله، لكن القوم عدلوا عنه وعن آبائه، ووالوا أناساً لا نسب لهم ولا علم ولا دين...

ثم إن أبا حنيفة تعلم من الإمام جعفر بن محمد عليه السلام - كما سيأتي - لا أنه اجتمع به فحسب، وسواء كان تعلم من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أو لا، فإن في الحكاية أنه أتى - ومعه محمد بن مسلم - الإمام جعفر بن محمد عليه السلام فواجه غلاماً حدثاً، فقيل له: هذا موسى ابنه.

«فالتفت إليه قائلاً: يا غلام أين يضع الغريب في بلدكم هذه؟»

قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقى أعين الجار وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٧

ثم قال: يا غلام ممن المعصية؟

قال: يا شيخ، لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإما أن تكون من العبد ومن الله، والله أقوى الشريكين، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب...».

رواه الشيخ المفيد، وتلميذه السيد المرتضى، والشيخ الطبرسي في كتابه الذي صرح في أوله بشهرة أسانيد الأخبار التي أوردها فيه «١». قال قدس سره: وذهبت الأشاعرة إلى أن الله تعالى مرئى بالعين مع أنه مجرد عن الجهات وقد قال تعالى: «لا تدركه الأبصار» وخالفوا الضرورة في أن المدرك بالعين يكون مقابلًا أو في حكمه، وخالفوا جميع العقلاء في ذلك.

الشرح:

ذكر ابن تيمية: «أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، فهو قول سلف الأمة وأئمتها وجماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقد تواترت فيه الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله عند علماء الحديث، وجمهور القائلين بالرؤية يقولون يرى عياناً مواجهه كما هو المعروف بالعقل... وإذا كان كذلك، فتقدير أن يكون بعض أهل السنة المثبتين أخطأوا في بعض أحكامها، لم يكن ذلك قدحاً في مذهب أهل السنة والجماعة، فإننا لا ندعى العصمة لكل مصنف منهم» «٢»!!

قال قدس سره: وذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة من...

الشرح:

قال ابن تيمية: «إن الأشعرية تقول: إن الله قادر على أن يخلق بحضرتنا ما لا نراه

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٧٢-٧٣، الاحتجاج على أهل اللجاج ١٥٨ / ٢ و ١٥٩.

(٢) منهاج السنة ٣ / ٣٤١-٣٤٢. وانظر: المواقف: ٤٣٠، والملل والنحل ١ / ٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٨

ولا نسمعه من الأجسام والأصوات، وأن يرينا ما بعد منا. لا يقولون: إن هذا واقع» «... ١».

وهذا اعتراف منه وقبول لما ذهبوا إليه، والعلامة لم ينسب إليهم الوقوع بل التجويز، ولو قالوا بالوقوع لحكم عليهم بالجنون المحض!!

قال قدس سره: وذهبوا إلى أنه تعالى أمر ونه في الأزل...

الشرح:

قد اعترف ابن تيمية بأنه مذهب الأشاعرة وخاصّة الكلاية «٢»، وهم أتباع:

عبد الله بن سعيد الكلابي القطان البصري المتوفى سنة ٢٤٠.

عقيدة أهل السنة في عصمة الأنبياء ... ص: ١٨٨

قال قدس سره: وذهب جميع من عدا الإمامية والإسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام غير معصومين، فجوزوا بعثه من يجوز

عليه الكذب والسهو والخطأ والسرقة...!

الشرح:

قد ذكر فيما تقدم عقيدة الإمامية في العصمة، وتبعهم القائلون بإمامة إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وذكر العلامة هنا عقيدة أهل السنة.

ومما يدل على أن مذهبهم جواز صدور المعاصي حتى الكبائر عن الأنبياء حتى بعد البعثة: ما أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما (الصحيحين) - عند جمهورهم - عن أبي هريرة من أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات «٣...» الأمر الذي بلغ في الفضاغة حداً جعل الفخر الرازي يقول: «نسبة الكذب إلى الراوي أولى من نسبته إلى

(١) منهاج السنة ٣/ ٣٤٩.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٣٥٣.

(٣) البخاري ٤/ ١١٢، مسلم ٧/ ٩٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٨٩

الخليل عليه السلام» (١).

بل في الكتابين المذكورين وغيرهما من كتبهم المعتبرة عندهم ما يدل على عدم عصمة الأنبياء - حتى نبينا صلى الله عليه وآله - بما يوجب الكفر، ومن ذلك حديث الغرائق الذي أخرجه بطرق كثيرة جداً، ونصوا على توثيق رجاله وصحة أسانيدهم، فقالوا: إنه صلى الله عليه وآله صلى يوماً قرأ في سورة النجم عند قوله تعالى «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ»: تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترجى. وهو اعتراف منه بأن تلك الأصنام ترجى الشفاعة منها. وهي مقالة توجب الشرك.

ولذا اضطر بعضهم إلى أن يقولوا في هذه الأحاديث - التي رواها: البزار، الطبراني، ابن جرير، ابن المنذر، البيهقي، ابن أبي حاتم، الهيثمي، السيوطي - : «... إنها من وضع الزنادقة» أو نحو هذه العبارة (٢).

وهل تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن الكفر بالله والشرك به وعن معصيته في جميع الأحوال غلو؟ وهل معنى ذلك اتخاذهم أرباباً من دون الله؟ وإذا كان جوابك: لا، فما تقول لابن تيمية القائل:

«وأما الرافضة فأشبهوا النصارى، فإن الله تعالى أمر الناس بطاعة الرسل فيما أمروا به، وتصديقهم فيما أخبروا به، ونهى الخلق عن الغلو والإشراك بالله تعالى، فبدلت النصارى دين الله تعالى، فغلووا في المسيح، فأشركوا به... وكذلك الرافضة غلووا في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً دون الله» (٣).

لكن القول بأن الرسل يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر - حاشا الكذب في

(١) تفسير الرازي ٢٦/ ١٤٨.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١٢٤، تفسير الرازي ٢٣/ ٤٩، مجمع الزوائد ٧/ ١١٥، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/ ٣٦٨.

(٣) منهاج السنة ١/ ٤٧٣ - ٤٧٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٠

التبليغ فقط الذي هو مذهب الأشاعرة وبعض المعتزلة (١) واختاره ابن تيمية وهو قول اليهود والنصارى كما نص عليه ابن حزم (٢). فلاحظ من المبدل لدين الله!!

عقيدة أهل السنة في الأئمة والإمامة ... ص: ١٩٠

قال قدس سره: ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين، بل كل من تابع قرشياً انعقدت إمامته عندهم ووجب طاعته على جميع

الخلق...

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا حق، وذلك أن الله تعالى قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ولم يوقتهم بعدد معين، وكذلك النبي صلى الله عليه وآله في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقت ولاه الأمور في عدد معين» (٣).
ثم نقل أحاديث عن كتابي البخاري ومسلم عن معاوية وابن عمر وأنس وأبي هريرة، منها ما يفيد وجوب الطاعة لمن تولّى الأمر مثل: «إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي»، ومنها ما يفيد وجوب الطاعة لقريش مثل: «الناس تبع لقريش في الخير والشر». أقول:

الحق أن الأئمة الذين ينوبون رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع شؤونهم إلا النبوة، محصورون في عدد معين هو اثنا عشر، للأخبار المعتبرة المستفيضة المتفق

(١) تفسير الرازي ٧/٣، ٩/١٨.

(٢) الفصل في الملل والنحل ٥/٤.

(٣) منهاج السنة ٣/٣٨١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٩١
عليها بين الفريقين، كقوله صلى الله عليه وآله: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة» (١)، وكقوله: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (٢)، وفي لفظ البخاري: «يكون اثنا عشر أميراً» (٣).
وتجده بهذه الألفاظ أو ما يقاربها في مواضع أخرى من الكتب المذكورة وفي غيرها من الصحاح والمسانيد والكتب... وكلها تشمل على عدد (الاثنى عشر).

ولصحة هذا الحديث وشهرته بل تواتره، لم يتمكن القوم من رده، ولما كان منطبقاً وموافقاً لما تذهب إليه الإمامية، حاروا في معناه وتوجيهه بحيث يخرج عن الدلالة على مذهب الإمامية، ولو أردنا نقل كلماتهم لطال بنا المقام. فراجع «٤» كي ترى التأويلات الفاسدة والاحتمالات الباردة التي جعلت بعضهم يعترف بعجزه عن فهم معناه!

فيقول ابن العربي المالكي: «لم أعلم للحديث معنى».

ويقول ابن بطال عن المهلب: «لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث بشيء معين».

ويقول ابن الجوزي: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مآلها وسألت عنه فلم أقع على المقصود به».

وعلى كل حال، فإن هذا الحديث حصر الأئمة في عدد، فبطل القول بأنهم غير محصورين في عدد معين، وبه يقيّد إطلاق الآية الكريمة والأحاديث التي استدلل بها لعدم الحصر... فيكون مفاد الآية: وجوب إطاعة الله وإطاعة الرسول وأولى الأمر الاثنى عشر.

(١)

مسند أحمد ٥/١٠٦.

(٢) صحيح مسلم ٦/٤.

(٣) صحيح البخاري ٨/١٢٧.

(٤) شرح الترمذي لابن العربي المالكي ٩/٦٨، البداية والنهاية ٦/٢٢١ و ٢٧٩، فتح الباري ١٣/١٨١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ١٩٢

وبما أن الآية الكريمة تدلّ على عصمة أولى الأمر بلا خلاف - كما اعترف الرازي بتفسيرها «١» - ولم تثبت العصمة إلا للأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام، لآية التطهير وغيرها من الأدلة، فالمراد من أولى الأمر هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام من أهل البيت.

هذا، مضافاً إلى الأحاديث الواردة التي فيها النصّ على إمامتهم بأسمائهم عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله. فإن قلت: إنه لم يتولّ منهم إلّا الواحد أو الاثنان.

قلت: ليس المراد الاستيلاء على الأمور بالفعل، حتى إذا لم يتحقق ذلك انتفت إمامتهم، لأن الواجب على الأئمة هو الرجوع إلى الإمام المنصوص عليه وتفويض الأمور إليه، وليس تركهم لهذا الواجب يوجب سقوط الإمام عن الإمامة، كما أن خروج الناس عن الطاعة لله وللرسول لا يضرّ الألوهية والرسالة شيئاً.

ثم إن الرجل لم ينكر ما ذكره العلامة، بل ذكر أحاديث ثم قال: «فهذا أمر بالطاعة مع ظلم الأمير»، وقال: «هذا نهى عن الخروج على السلطان وإن عصي» «٢».

أقول:

وهل تنهى هذه الأحاديث على فرض صحتها، عن المخالفة وتأمر بالطاعة حتى مع القدرة على الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ إن كان كذلك، فهي أحاديث مخالفة للكتاب والسنة، ولا بدّ من ضربها عرض الجدار، لكنها أحاديث موضوعة بأمر من أمراء الجور وسلاطين الباطل أنفسهم، وتفصيل الكلام في محله.

ولذا نقرأ بتراجم كثيرين من أئمتهم كأبي حنيفة وجوب القيام ضدّ أئمة الباطل وخلفاء الجور، وأن كثيرين منهم قاموا وخرجوا بالفعل، فراجع.

(١)

تفسير الرازي ١٠/ ١٤٤.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٣

ابتداعهم للقياس ... ص: ١٩٣

قال قدس سره: وذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس والأخذ بالرأى، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه!

الشرح:

أمّا ذهابهم إلى القول بالقياس والأخذ بالرأى، فقد اعترف به ابن تيمية، ونصّ - بعد أن ذكر أسماء كبار الفقهاء عندهم - على أن رجوع هؤلاء إلى اعتباراتهم واستنباطاتهم مثل أن يعلموا سنّة النبي صلى الله عليه وآله الثابتة عنه، وإن شئت الوقوف على إدخالهم في دين الله ما ليس منه، وتحريفهم أحكام الشريعة الطاهرة.

فراجع كتب الحفاظ ابن حزم الأندلسي في الفقه والأصول، فقد ذكر من هذا القليل موارد كثيرة.

وأما المذاهب عندهم فكثيرة، ولا شيء منها كان في زمان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، لكنهم أحدثوا المذاهب الأربعة - وهي: المالكية، والحنفية، والحنبلية، والشافعية - وحصرها المذاهب فيها بأمر من السلاطين، وحرّموا التعبد بغيرها بل عاقبوا عليه، لأغراض سياسيّة، حتى انقرضت مذاهب كثيرة كان أصحابها أعلم من أصحاب المذاهب الأربعة وأجلّ ... فكان من عمدة ما اعتمدوا عليه في فتاواهم القياس والاستحسان والاعتبارات الظنيّة، مع أن الصحابة نصّوا على ترك القياس.

ومن هنا وقع الخلاف بين الأصوليين منهم في جواز العمل به كما لا يخفى على من يراجع كتبهم كالمستصفي للغزالي وغيره، بل ألف بعضهم في ذمه والمنع منه كابن حزم. ومن نصوص الصحابة ما عن أمير المؤمنين على عليه السلام: «لو كان الدين بالقياس لكان المسح على باطن الخف أولى من ظاهره»، وهو خبر متفق عليه وقد ذكره

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٤

الأصوليون في بحث القياس كالغزالي «١» حيث رواه عن علي وعثمان.

وعن أبي بكر في مواضع كثيرة منها: لما سئل عن معنى (الكلالة): «أى سماء تظلني وأى أرض تقلني إذا قلت برأى».

وعن عمر: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء الدين أعتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأى، فضّلوا وأضلّوا» «٢».

وعن ابن عباس: «إن الله لم يجعل لأحد أن يحكم في دينه برأيه» «٣».

وعنه أيضاً: «وقال الله تعالى لنبيه عليه السلام: «لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ»، ولم يقل بما رأيت.

وعنه أيضاً: «إياكم والمقاييس فما عبدت الشمس إلا بالمقاييس».

وعن ابن عمر: «ذروني من رأيت وأرأيت».

وعن ابن مسعود: «قرأؤكم وصلحأؤكم يذهبون ويتخذ الناس رؤساء جهالاً يقيسون ما لم يكن بما كان».

قال الغزالي: «وكذلك أنكر التابعون القياس» «٤».

إضطرارهم إلى القول بامور شيعية ... ص: ١٩٤

قال قدس سره: وذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شيعية، كإباحة البنت المخلوقة من الزنا...

(١) المستصفي في علم الأصول: ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق: ٢٨٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٥

الشرح:

في الإستدكار: جواز نكاح البنت المتولدة من الزنا، وفي المغنى: قال مالك والشافعي في المشهور من مذهبه: يجوز ذلك كله؛ لأنها

أجنبيّة منه ولا تنسب إليه شرعاً. وفي الشرح الكبير والمبسوط: وعند الشافعي لا يكون حراماً «١».

قال قدس سره: وسقوط الحدّ عمّن نكح أمّه وأخته وبنته...

الشرح:

راجع المغنى، والشرح الكبير وفيه: «وقال أبو حنيفة والثوري لا حدّ عليه، لأنه وطئ وتمكنت الشبهة منه فلم يوجب الحدّ».

والمبسوط وفيه: «رجل تزوّج امرأة ممن لا يحلّ له نكاحها فدخل بها، لا حدّ عليه، سواء كان عالماً بذلك أو غير عالم».

وفي مجمع الأنهر والدر المنتقى في هامش مجمع الأنهر: «ولا يحدّ بوطئ محرم تزوّجها ووطئها بعد العقد والعلم بأنها أخته. وقال أبو

حنيفة: اسم العقد يمنع من وجوب الحدّ، فإذا وطئ أمّه أو أخته أو معتدّة بعقد نكاح، لم يجب الحدّ على واحد منهما».

وفي بدائع الصنائع: «إذا نكح محارمه لا حدّ عليه عند أبي حنيفة وإن علم بالحرمة» «٢».

قال قدس سره: وعمّن لفّ على ذكره خرقه وزنا بأمّه أو بنته...!

الشرح:

قال في الإستدكار: «وقال أبو حنيفة وداود: يعذر الوطى ولا حدّ عليه».

(١) الإستدكار ١٦/ ١٩٦-١٩٨، المغنى ٧/ ٤٨٥، الشرح الكبير ٧/ ٤٨٣، المبسوط في فقه الحنفية ٤/ ٢٠٦.

(٢) راجع المغنى ١٠/ ١٥٢، الشرح الكبير ١٠/ ١٨٦، مجمع الأنهر ١/ ٥٩٥، بدائع الصنائع ٧/ ٣٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٦

وانظر المغنى، والشرح الكبير وفيه: «وقال الحكم وأبو حنيفة لا حدّ عليه؛ لأنه ليس بمحل للوط أشبه غير الفرج».

وفى المبسوط: «وكذلك اللواط عند أبي حنيفة يوجب التعزير».

وفى حلية العلماء: «وقال أبو حنيفة لا حدّ فيه».

وفى مجمع الأنهر: «فإنه يعزر ولا يحد».

وفى الحاوى الكبير: «وقال أبو حنيفة لا حدّ فيه».

وفى بدائع الصنائع: «وكذلك الوطء في الدبر في الانثى أو الذكر لا يوجب الحدّ عند أبي حنيفة» (١).

قال قدس سره: وإلحاق نسب المشرقية بالمغربى ... بل لو حبسه السلطان من حين العقد وقيده وجعل عليه حَفَظَةً مدة خمسين سنة، ثم وصل إلى بلد المرأة فرأى جماعة كثيرة من أولادها وأولاد أولادها إلى عدة بطون، التحقوا كلّهم بالرجل الذى لم يقرب هذه المرأة ولا غيرها البتة!

الشرح:

قال الزحلى: «فلو تزوّج مشرقى مغربيّة ولم يلتقيا فى الظاهر مدة سنة، فولدت ولداً لستة أشهر من تاريخ الزواج، ثبت النسب، لاحتمال تلاقيهما من باب الكرامة، وكرامات الأولياء حق، فتظهر الكرامة بقطع المسافة البعيدة فى المدّة القليلة، ويكون الزوج من أهل الحظوة الذين تطوى لهم المسافات البعيدة» (٢).

قال قدس سره: وإباحة النبيذ مع مشاركته للخمر فى الإسكار، والوضوء.

(١) الإستدكار ٢٤/ ٨٣، المغنى ١٠/ ١٦١، الشرح الكبير ١٠/ ١٧٦، المبسوط ٩/ ٧٧، حلية العلماء ٨/ ١٦، مجمع الأنهر ١/ ٥٩٥، الحاوى

الكبير ١٧/ ٦٠، بدائع الصنائع ٧/ ٣٤.

(٢) الفقه الإسلامى ٧/ ٦٨٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٧

الشرح:

أمّا إباحة النبيذ:

ففى فتح القدير: «لأن المتخذ من التمر اسمه نبيذ التمر لا السكر وهو حلال على قول أبي حنيفة وأبى يوسف».

وفى الهداية: «وقال شريك بن عبد الله إنه مباح»، وكذا فى الإستدكار.

وفى المبسوط: «حدّثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه شرب عبد الله بن مسعود نبيذاً مشتداً صلباً ...، وكذلك عمر كان يشرب المثلث ويأمر باتخاذ للناس».

وفى بدائع الصنائع: «وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يحرم نبيذ التمر، لأن القول بتحريمه تفسيق كبار الصحابة» (١).

وأمّا الوضوء به:

ففي مغيث الخلق في ترجيح القول الحق لأبي المعالي الجويني إمام الحرمين:
«وتوضاً نبذ التمر».

وفي حلية العلماء: «واختلف أصحابه في النبذ الذي يجوز التوضؤ به، فقال أبو طاهر الدباس: يجوز التوضؤ بالنبذ النئ الحلو. وقال أبو الحسن الكرخي: لا يجوز التوضؤ إلا بالمطبوخ المشتد».

وفي المبسوط: «فكان الأوزاعي يقول بجواز التوضؤ بها بالقياس على نبذ التمر.

وفي الاغتسال بنبذ التمر فالأصح أنه يجوز».

وفي الجامع الصغير: «فإن لم يجد إلا نبذ التمر توضاً، وعند الأوزاعي يجوز التوضي بسائر الأنبذة بالقياس على نبذ التمر» (٢).

(١) فتح القدير ٣٠ / ٩، الهداية ٣١ / ٨، الاستذكار ٣٠٤ / ٢٤، المبسوط ١٢ / ٢٤، بدائع الصنائع ١١٧ / ٥.

(٢) مغيث الخلق: ٥٨، حلية العلماء ٧٤ / ١، المبسوط ٨٩ / ١، الجامع الصغير: ٧٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٨

قال قدس سره: والصلاة في جلد الكلب، وعلى العذرة اليابسة!

الشرح:

أنظر مغيث الخلق وفيه: «فلبس جلد كلب مدبوغ» (١).

فإن كانت النجاسة في موضع سجوده، فروى أبو يوسف عنه أن صلاته جائزة، كما في المبسوط.

وفي مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: «وأما في موضع السجود في رواية أبي يوسف إنه يجوز».

وفي الحاوي الكبير للماوردي: «فأما إذا لم يغسل البول عن الأرض حتى تقادم عهده وزالت رائحته بطلوع الشمس وهبوب الرياح فقال

أبو حنيفة: قد طهرت الأرض وجازت الصلاة عليها» (٢).

قال قدس سره: وحكى بعض الفقهاء لبعض الملوك وعنده بعض فقهاء الحنفية صفة صلاة الحنفى...

الشرح:

ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغ ولطخ ربه بالنجاسة، وتوضاً بنبذ التمر وأحرم بالصلاة من غير نية،

وأتى بالتكبير بالفارسية، ثم قرأ آية بالفارسية «دُوبَرَكِ سَبَز» ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع، وتشهد

وضرط في آخره من غير سلام. كذا في مغيث الخلق.

وقد حكى صلاة القفال هذه غير واحد، منهم ابن خلكان (٣).

قال قدس سره: وأباحوا المغصوب لو غيّر الغاصب الصفة...

(١) مغيث الخلق: ٥٨.

(٢) المبسوط ٢٠٤ / ١، مجمع الأنهر ٥٨ / ١، الحاوي الكبير للماوردي ٢٥٩ / ٢.

(٣) مغيث الخلق: ٥٨ - ٥٩، وفيات الأعيان ٢٦٧ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ١٩٩

الشرح:

أنظر المبسوط وفيه: «فأما الغزل إذا نسجه فهو في حكم عين آخر، فلهذا لو فعله الغاصب كان الثوب مملوكاً له». وفيه: «فعلى قول أبي

حنيفة المخلوط يصير ملكاً للمخلوط سواء خلط الحنطة بالحنطة أو بالشعير». وفيه: «ألا ترى أن لو غصب عبداً فجعله زبيياً انقطع حق

المغصوب منه في الاسترداد».

وفي الفقه الإسلامي للزحيلي: «أو غصب حنطة فطحنها دقيقاً أو حديداً فاتخذته سيفاً، فإنه يزول ملك المغصوب منه عن المغصوب ويملكه الغاصب».

وفي المجموع: «فإذا عمل اللّوح المغصوب باباً أو حديداً فعمله درعاً، جعله أبو حنيفة مالكاً لذلك بعمله، وذلك من أقوى الذرائع والمغريات للإقدام على المغصوب».

وفي الحاوي الكبير للماوردي: «وقال أبو حنيفة: قد صارت بالطبخ للغاصب» (١).
قال قدس سره: وأوجبوا الحدّ على الزاني إذا كذب الشهود وأسقطوه إذا صدّقهم...
الشرح:

قال في حلية العلماء: «وقال أبو حنيفة: لا ترجمه إلّا أن يكذبهم» (٢).
قال قدس سره: وأباحوا الكلب...

الشرح:

جاء في المغني، والشرح الكبير: «وقال أبو علي النجاد: ما حرم نظيره في البر فهو

(١) المبسوط ٩/ ١٦٦، ١١/ ٩١، ٢٤/ ١٤، الفقه الإسلامي ٥/ ٧٢٦ و ٧٢٧، المجموع ١٤/ ٢٧٢، الحاوي الكبير ٧/ ١٩٤.

(٢) حلية العلماء ٨/ ٢٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٠

حرام في البحر، ككلب الماء وخنزيره وإنسانه، وهو قول الليث إلا في كلب الماء فإنه يرى إباحة كلب البر والبحر» (١).
قال قدس سره: وأباحوا الملاهي كالشطرنج والغناء...
الشرح:

ولذا اشتهر هذا عمّن ذكرنا من الصحابة والتابعين، وقد عمل به معهم من لا يحصى عددهم من علماء الأمصار وفضلائهم؛ لأن فيها تنبيهاً على مكائيد الحرب ووجوه الحزم وتدبير الجيوش، وما بعث على هذا إن لم يكن ندباً مستحباً فأحرى أن لا يكون حظراً محرماً.
قاله الماوردي في كتاب الحاوي الكبير (٢).

فروى الخطيب عن مولى سليمان بن يسار قال: «كان عمر بن الخطاب يمرّ بنا ونحن نلعب بالشطرنج فيسلم علينا ولا ينهانا».
وروى أبو راشد قال: «رأيت أبا هريرة يدعو غلاماً فيلاعبه بالشطرنج».
وروى عن عبد الله بن عباس أنه كان يجيز الشطرنج ويلعب بها.
وروى عن عبد الله بن الزبير أنه كان يلعب بالشطرنج، فهؤلاء الصحابة.
وأما التابعون، فروى عن سعيد بن المسيب أنه كان يلعب بها.
وروى أبو لؤلؤة قال: «رأيت الشعبي يلعب بالشطرنج مع الغرماء».
وروى راشد بن كريب قال: «رأيت عكرمة مولى ابن عباس أقيم قائماً في لعب الشطرنج».
وروى أن محمد بن سيرين كان يلعب بالشطرنج وقال: «هي لبّ الرجال».
وفي المجموع: «ويكره اللعب بالشطرنج... ويكره الغناء».

(٢) الحاوى الكبير للماوردى ١٩٢/٢١ - ١٩٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠١

وفى الشرح الكبير والمغنى: «وذهب الشافعى إلى إباحة الشطرنج، وحكى ذلك أصحابه عن أبى هريرة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، واحتجوا بأن الأصل الإباحة ولم يرد بتحريمهما نص».

وفيهما أيضاً: «فذهب أبو بكر الخلال وصاحبه أبو بكر عبد العزيز إلى إباحته، والغناء والنوح معنى واحد مباح» (١).

وقد استباح قدامة بن مظعون شرب الخمر بقوله تعالى «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِى مَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا» (٢).

وقد قال: «قد اتقينا وآمنا فلا جناح علينا فيما شربنا»، فلم ينكره أحد من الصحابة.

وفى الحاوى الكبير: «وأحلها الحسن البصرى يعنى الرد»، وقال فى نفس الصفحة: «إن الشطرنج لا يحرم، إن الشطرنج موضوع لصحة الفكر وصواب التدبير ونظام السياسة» (٣).

وفى الغناء:

فأباحه أكثر أهل الحجاز، واستدل من استباح الغناء بما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه مرّ بجاريه لحسان بن ثابت تغنى فقال رسول الله: «لا حرج إن شاء الله».

وروى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: «كانت عندى جارتان تغتبان فدخل أبو بكر فقال: أمزور الشيطان فى بيت رسول الله! فقال رسول الله: دعهما فإنها أيام عيد».

وقال عمر: «الغناء زاد المسافر».

(١) المجموع ٢٠/٢٢٨ و ٢٢٩، الشرح الكبير ١٢/٤٦ و ٥١، المغنى ١٢/٣٧ و ٤٢.

(٢) سورة المائدة: ٩٣.

(٣) الحاوى الكبير ٢١/١٩٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٢

وكان لعثمان جارتان تغتبان فى الليل.

ولأنه لم يزل أهل الحجاز يترخصون فيه ويكثرون منه وهم فى عصر الصحابة وجلّة الفقهاء فلا ينكرونه عليهم ولا يمنعونهم منه، كالذى حكى أن عبد الله بن جعفر كان منقطعاً إليه ومكثراً منه، فبلغ ذلك معاوية فقال لعمر بن العاص: «قم بنا إليه»، فلما استأذنا عليه وعنده جواريه يغنين فأمرهنّ بالسكوت، فقال معاوية: «يا عبد الله مرهنّ يرجعن إلى ما كنّ عليه»، فرجعن يغنين، فطرب معاوية حتى حرّك رجله على السرير.

فقال عمرو: «إن من جئت تلحاه أحسن حالاً منك»، فقال معاوية: «إليك عنى يا عمرو، فإن الكريم طروب» (١).

قلت:

وأنت ترى أن لا شىء من هذه الفتاوى الشنيعة وأمثالها - التى يقف عليها المتتبع فى كتب القوم، ولربما هناك أمور أشنع وأفظع لا يقف عليها لعدم العثور على كثير من كتبهم - بمنقول عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحاشاهم من أن يقولوا شيئاً من هذا القبيل، فإنهم مهابط الوحي ومعادن العلم الإلهي؛ ولذا أمرنا بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والتمسك بهم، والانقياد لهم، فإنهم لا يقولون شيئاً من عندهم، ولا يفتنون بالرأى والقياس، وهم دائماً يستحضرون الشرائع والأحكام ولا يخطئون، ولا يحتاجون إلى غيرهم فى شىء من ذلك، بل الكل محتاجون إليهم.

من موارد جهل الصحابة بالأحكام ... ص: ٢٠٢

ولا- بأس بنقل نص عبارة الحافظ ابن حزم الأندلسي الحاكية لجهالات الصحابة في الأحكام الشرعية، وليس فيها شيء عن أمير المؤمنين عليه السلام ... فإنه قال:

(١) الحاوي الكبير للماوردي ٢١/ ٢٢- ٢٠٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٣

«وجدنا صاحب من الصحابة رضى الله عنهم يبلغه الحديث فيتأول فيه تأويلاً يخرج به عن ظاهره، ووجدناهم رضى الله عنهم يقرّون ويعترفون بأنهم لم يبلغهم كثير من السنن، وهكذا الحديث المشهور عن أبي هريرة: إن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام على أموالهم، وهكذا قال البراء ... قال: ما كلّ ما نحدّثكموه سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن حدثنا أصحابنا، وكانت تشغلنا رعية الإبل.

وهذا أبو بكر رضى الله عنه لم يعرف فرض ميراث الجدّة وعرفه محمد ابن مسلمة والمغيرة بن شعبه، وقد سأل أبو بكر رضى الله عنه عائشة: في كم كفّن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وهذا عمر رضى الله عنه يقول في حديث الاستئذان: أخفى على هذا من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألّهاني الصفق في السوق. وقد جهل أيضاً أمر إملاص المرأة وعرفه غيره، وغضب على عيينة بن حصن، حتى ذكره الحر بن قيس بن حصن بقوله تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ». وخفى عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلى آخر خلافته، وخفى على أبي بكر رضى الله عنه قبله أيضاً طول مدّة خلافته، فلما بلغ عمر أمر بإجلائهم فلم يترك بها منهم أحداً. وخفى على عمر أيضاً أمره عليه السلام بترك الإقدام على الوباء، وعرف ذلك عبد الرحمن بن عوف.

وسأل عمر أبا واقد الليثي عمّا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاتي الفطر والأضحى، هذا، وقد صلّاهما رسول الله صلى الله عليه وآله أعواماً كثيرة.

ولم يدر ما يصنع بالمجوس حتى ذكره عبد الرحمن بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم. ونسى قبوله عليه السلام الجزية من مجوس البحرين وهو أمر مشهور،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٤

ولعله رضى الله عنه قد أخذ من ذلك المال حظاً كما أخذ غيره منه.

ونسى أمره عليه السلام بأن يتيمم الجنب فقال: لا يتيمم أبداً ولا يصلّى ما لم يجد الماء، وذكره بذلك عمّار.

وأراد قسمة مال الكعبة، حتى احتج عليه أبي بن كعب بأن النبي عليه السلام لم يفعل ذلك، فأمسك.

وكان يرّد النساء اللواتي حضن ونفرن قبل أن يؤدعن البيت، حتى أخبر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله أذن في ذلك، فأمسك عن ردّه.

وكان يفاضل بين ديات الأصابع، حتى بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله أمره بالمساواة بينها، فترك قوله وأخذ المساواة.

وكان يرى الدية للعصبه فقط، حتى أخبره الضحاك بن سفيان بأن النبي صلى الله عليه وآله ورث المرأة من الدية، فانصرف عمر إلى ذلك.

ونهى عن المغالاة في مهوور النساء استدلالاً بمهوور النبي صلى الله عليه وآله، حتى ذكرته امرأة بقلوبه الله عز وجل: «وَأَتَيْتُمُ إِخِيْدَاهُنَّ قِنطَاراً»، فرجع عن نهيه.

وأراد رجم مجنونه حتى أعلم «١» بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع القلم عن ثلاثة فأمر أن لا ترجم. وأمر برجم مولاة حاطب، حتى ذكره عثمان بأن الجاهل لا حدّ عليه فأمسك عن رجمها.

وأنكر على حسان الإنشاد في المسجد، فأخبر هو وأبو هريرة أنه قد أنشد فيه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فسكت عمر.

وقد نهى عمر أن يسمّى بأسماء الأنبياء عليهم السلام وهو يرى محمد بن مسلمة

(١) أعلمه أمير المؤمنين على عليه السلام، والخبر بذلك مشهور، لكن ابن حزم لم يشأ أن يصرح بذلك والحال أنه صرح في الموارد الأخرى باسم القائل!!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٥

يغدو عليه ويروح وهو أحد الصحابة الجلّة منهم، ويرى أبا أيوب الأنصاري وأبا موسى الأشعري وهما لا يعرفان إلا بكناهما من الصحابة، ويرى محمد بن أبي بكر الصديق وقد ولد بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، واستفتته أمه إذ ولدته ماذا تصنع في إحرامها وهي نفساء. وقد علم يقيناً أن النبي صلى الله عليه وآله علم بأسماء من ذكرنا وبكناهم بلا شك، وأقرهم عليها ودعاهم بها ولم يغيّر شيئاً من ذلك، فلما أخبره طلحة وصهيب عن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله بإباحة ذلك أمسك عن النهي عنه. وهم بترك الرمي في الحج، ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله فعله فقال:

لا يجب لنا أن نتركه.

وهذا عثمان رضى الله عنه، فقد رواه عنه أنه بعث إلى الفريضة أخت أبي سعيد الخدري يسألها عما أفاتها به رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله في أمر عدتها وأنه أخذ بذلك. وأمر برجم امرأة قد ولدت لستة أشهر، فذكره على القرآن وأن الحمل قد يكون ستة أشهر، فرجع عن الأمر برجمها...

وهذه عائشة وأبو هريرة رضى الله عنهما خفي عليهما المسح على الخفين وعلى ابن عمر معهما، وعلمه جرير ولم يسلم إلا قبل موت النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله بأشهر، وأقرت عائشة أنها لا علم لها به، وأمرت بسؤال من يرجي عنده علم ذلك وهو على رضى الله عنه.

وهذه حفصة أم المؤمنين سئلت عن الوطى يجنب فيه الواطى أفیه غسل أم لا؟

فقلت: لا علم لي.

وهذا ابن عمر توقع أن يكون حدث نهى عن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله عن كراء الأرض بعد أزيد من أربعين سنة من موت النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله فأمسك عنها، وأقر أنهم كانوا يكرونها على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يقل أنه لا يمكن أن يخفى على هؤلاء ما يعرف رافع وجابر وأبو هريرة، وهؤلاء إخواننا يقولون فيما اشتبهوا، لو

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٦

كان هذا حقاً ما خفى على عمر.

وقد خفى على زيد بن ثابت وابن عمر وجمهور أهل المدينة إباحة النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله للحائض أن تنفر، حتى أعلمهم بذلك ابن عباس وأم سليم فرجعوا عن قولهم.

وخفى على ابن عمر الإقامة حتى يدفن الميت، حتى أخبره بذلك أبو هريرة وعائشة فقال: لقد فرطنا في فراريط كثيرة. وقيل لابن عمر في اختياره متعة الحج على الأفراد: إنك تخالف أباك، فقال: أكتاب الله أحق أن يتبع أم عمر؟ روينا ذلك عنه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر. وخفى على عبد الله بن عمر الوضوء من مس الذكر، حتى أمرته بذلك عن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله بسرّة بنت صفوان، فأخذ بذلك «... ١».

(قال): «وقد تجد الرجل يحفظ الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتى بخلافه، وقد يعرض هذا في آي القرآن، وقد أمر عمر على المنبر

بأن لا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره، فذكرته امرأة بقول الله تعالى: «وَأَتَيْتُمُ إِخِيْدَاهُنَّ فِنْطَارًا» فترك قوله وقال: كل أحد أفقه منك يا عمر، وقال: امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ. وأمر برجم امرأة ولدت لسته أشهر، فذكره على بقول الله تعالى: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» مع قوله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» فرجع عن الأمر برجمها.

وهم أن يسطو بعينه بن حصن إذ قال له: يا عمر ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل، فذكره الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بقول الله تعالى: «وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ» وقال له: يا أمير المؤمنين هذا من الجاهلين، فأمسك عمر.

وقال يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله: والله ما مات رسول الله ولا يموت

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١٤٣/٢ - ١٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٧

حتى يكون آخرنا، أو كلاماً هذا معناه، حتى قرئت عليه: «أَنْتَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فسقط السيف من يده وخرَّ إلى الأرض وقال: كَأَنِّي وَاللَّهِ لَمْ أَكُنْ قَرَأْتُهَا قَطُّ.

قال الحافظ ابن حزم: فإذا أمكن هذا في القرآن فهو في الحديث أمكن وقد ينسأه ألبته، وقد لا ينسأه بل يذكره ولكن يتأول فيه تأويلاً، فيظن فيه خصوصاً أو نسخاً أو معنى ما، وكل هذا لا يجوز اتباعه إلا بنص أو إجماع؛ لأنه رأى من رأى ذلك، ولا يحل تقليد أحد ولا قبول رأيه «... ١».

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٢٣٧/٢ - ٢٣٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٨

الوجه الثاني ... ص: ٢٠٨

إشارة

قال قدس سره: الوجه الثاني في الدلالة على وجوب اتباع مذهب الإمامية: ما قاله شيخنا الإمام الأعظم خواجه نصير المله والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه ... قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار...»

الشرح:

استدلال النصير الطوسي ... ص: ٢٠٨

وهو المحقق العظيم، الفيلسوف المتكلم الكبير، المجمع على فضله وتقدمه في العلوم. له مصنفات جلية. توفي سنة ٦٧٢، وله تراجم حافلة في غير واحد من كتب التراجم. وقد ذكرنا طرفاً منها في (المدخل).

وهذا الحديث رواه المحدثون: كأحمد، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجه.

وذكره المؤلفون في العقائد والفرق: كالعضد والشهرستاني.

وقد يدعى تواتره، فقد حكى الشيخ محمد أبو زهرة عن العلامة المحدث صالح بن مهدى المقبل أنه قال في كتابه العلم الشامخ: «حديث افتراق الأمة إلى سبعين فرقة روايات كثيرة يعضد بعضها بعضاً، بحيث لا تبقى ريبه في حاصل معناه» «١».

قال قدس سره: وقد عيّن عليه السلام الفرقة الناجية والهالكه في حديث آخر صحيح متفق عليه، وهو قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف غرق». فوجدنا الفرقة الناجية الإمامية، لأنهم باينوا جميع المذاهب.

(١) المذاهب الإسلامية: ١٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٠٩

وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية بعدة صفحات «١» مملوءة بالتكفير والسب والشتم للطوسي والعلامة وعامة الإمامية! فإنه بعد أن زعم أن الطوسي كافر قال: «والكافر لا يقبل قوله في دين المسلمين» ثم ذكر: «أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيلية بالألويت، ثم لما قدم الترك المشركون وهولاءكو أشار عليه بقتل الخليفة، وبقتل أهل العلم والدين».

قال: «والمشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته، ولا يحافظون على الفرائض كالصلاة، ولا ينزعون عن محارم الله، من الخمر والفواحش وغير ذلك من المنكرات».

ثم قال: «ومع هذا، فقد قيل: إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات، ويشغل بتفسير البغوى والفقهاء ونحو ذلك، فإن كان قد تاب من الإلحاد، فالله يقبل التوبة...».

قال: «لكن ما ذكره عنه هذا، إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله، وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض بل من الإلحاد وحده، وعلى التقديرين، فلا يقبل قوله».

والأظهر أنه إنما كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجماً للمغول المشركين، والإلحاد معروف من حاله إذ ذاك.

فمن يقدح في مثل أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويطعن على مثل مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل وأتباعهم، ويعيرهم بغلطات بعضهم في مثل إباحة الشطرنج والغناء، كيف يليق به أن

(١) منهاج السنة ٣ / ٤٤٥ - ٤٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢١٠

يحتج لمذهبه بقول مثل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، ويستحلون المحرمات المجمع على تحريمها، كالفواحش والخمر في مثل شهر رمضان، الذين أضاعوا الصلاة وآتبعوا الشهوات، وخرقوا سياج الشرائع واستخفوا بحرمات الدين وسلوكوا غير طريق المؤمنين».

قال: «ومن العجب أن هذا المصنف الرافضى الكذاب المفترى، يذكر أبا بكر وعمر وعثمان وسائر السابقين والتابعين وسائر أئمة المسلمين من أهل العلم والدين بالعتائم التي يفترها عليهم هو وإخوانه، ويحجى إلى من قد اشتهر عند المسلمين محاربتة لله ورسوله يقول عنه: قال شيخنا الأعظم ويقول: قدس الله روحه، مع شهادته عليه بالكفر وعلى أمثاله، ومع لعنه طائفة من خيار المؤمنين من الأولين والآخرين».

«هؤلاء الإمامية أوتوا نصيباً من الكتاب، إذ كانوا مقرّين ببعض ما فى الكتاب المنزل، وفيهم شعبة من الإيمان بالجبت والطاغوت والسحر وما يعبدون من دون الله، فإنهم يعظمون الفلسفة المتضمنة ذلك، ويرون الدعاء والعبادة للموتى واتخاذ المساجد على قبورهم، ويجعلون السفر إليها حجاً له مناسك ويقولون مناسك حج المشاهد. وحدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إليها أعظم من

الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله. وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت...»
 «إنهم خارجون عن الفرقة الناجية، فإنهم خارجون عن جماعة المسلمين، يكفرون أو يفسقون أئمة الجماعة، كأبي بكر وعمر وعثمان،
 دع معاوية وملوك بني أمية وبني العباس، وكذلك يكفرون أو يفسقون علماء الجماعة وعبادهم، كمالك والثوري....»
 أقول:

هذه جمل من الأشياء التي ذكرها الرجل في الاعتراض على هذا الوجه، وهي

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢١١

أكثر وأكثر... وفي كثير من المواضع - التي لم نذكر شيئاً عن الرجل في ذيل كلام العلامة رحمه الله - لا نجد إلا أمثال هذه الجمل،
 فإنما نقلنا هذه الجمل هنا ليعلم القارئ النبيه ذلك ولا يتعجب من سكوتنا عليه، وليرى الفرق بين كلام الإمامية وكلام غيرهم،
 فينصف ويتدبر ويتبع الحق وأهله!!
 وتجد في (المدخل) بعض التفصيل.

وعلى الجملة، فإن مقتضى الجمع بين الحديثين المتفق عليهما بين الفريقين، هو ما ذكره الشيخ نصير الدين الطوسي، ومقابله ذلك
 بالسب والشتم دليل على العجز عن الجواب العلمي المقبول، فيتم مقصود العلامة قدس سره.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢١٢

الوجه الثالث ... ص: ٢١٢

إشارة

قال قدس سره: الوجه الثالث: أن الإمامية جازمون بحصول النجاة لهم ولأئمتهم قاطعون على ذلك، وبحصول ضدها لغيرهم، وأهل
 السنة لا يجزمون بذلك لا لهم ولا لغيرهم، فيكون أتباع أولئك أولى...

جزم الإمامية بحصول النجاة لهم ... ص: ١١٢

الشرح:

لم يأت ابن تيمية في الجواب عن هذا الوجه بشيء يذكر، فإنه وإن أطنب كعاداته وذكر وجوهاً، لكنها ليست إلا تكراراً للسب والشتم
 والدعاوى العاطلة والمزاعم الباطلة، فلنورد كلامه بلفظه ملخصاً.

قال: «والجواب على هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان أتباع الذين تدعى لهم الطاعة المطلقة وأن ذلك يوجب النجاة واجباً، كان أتباع خلفاء بني أمية - الذين كانوا
 يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقة ويقولون: إن ذلك يوجب النجاة - مصيبين على الحق، وكانوا في سبهم علياً وغيره وقتالهم لمن
 قاتلوه من شيعة علي مصيبين، لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كل شيء...!! بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة، لأنهم
 كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبتهم وأيدهم وملكتهم... ومعلوم أن اللطف والمصلحة التي حصلت بهم أعظم من اللطف
 والمصلحة التي حصلت بإمام معدوم أو عاجز! فإن الشيعة ليس لهم أئمة يباشرونهم بالخطاب، إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم
 بالباطل، ويصدونهم عن سبيل الله!!

الوجه الثاني: إن هذا المثل إنما يكون مطابقاً لو ثبت مقدمتان، إحداهما: أن لنا إماماً معصوماً، والثانية أنه أمر بكذا وكذا، وكلتا
 المقدمتين غير معلومة بل باطلة. دع المقدمة الأولى، بل الثانية، فإن الأئمة الذين يدعى فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢١٣

كثيرة، والمنتظر له غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة، وعند آخرين هو معدوم لم يوجد، والذين يطاعون شيوخ من شيوخ الرافضة... يأكلون أموالهم بالباطل ويصدّون عن سبيل الله، يأمرهم بالغلو في ذلك الشيخ وفي خلفائه، وأن يتخذوهم أرباباً... وإن قُدّر أن طريق الشيعة صواب لما فيه من القطع والجزم بالنجاء، فطريق المشايخية صواب لما فيه من القطع بالنجاء، وحينئذ، فيكون طريق من يعتقد أن يزيد بن معاوية كان من الأنبياء الذين يشربون الخمر وأن الخمر حلال له لأنه شربها الأنبياء - ويزيد كان منهم - طريقاً صواباً، وإذا كان يزيد نبياً كان من خرج على نبي كافراً، فيلزم من ذلك كفر الحسين وغيره...!!

الوجه الثالث...: لو كان كل من قال: إن طريقى آمن موصل يكون أولى بالتصديق ممن توقف، لكان كل مفتر وجاهل يدعى في المسائل المشتبهة أن قولى فيها هو الصواب وأنا قاطع بذلك، فيكون اتّباعى أولى... وكان ينبغي أن يكون أئمة الإسماعيلية كالمعز والحاكم وأمثالهما أولى بالاتباع من أئمة الاثنى عشرية؛ لأن أولئك يدعون من علم الغيب وكشف باطن الشريعة وعلو الدرجة، أعظم مما تدّعيه الاثنى عشرية لأصحابهم...!!

الوجه الرابع: أن يقال: قوله: إنهم جازمون بحصول النجاء لهم دون أهل السنة كذب؛ فإنه إن أراد بذلك أن كل واحد ممن اعتقد اعتقادهم يدخل الجنة، وإن ترك الواجبات وفعل المحرمات، فليس هذا قول الإمامية ولا يقوله عاقل، وإن كان حب على حسنة لا يضرّ معها سيئة، فلا يضرّه ترك الصلوات ولا الفجور بالعلويات، ولا نيل أغراضه بسفك دماء بنى هاشم إذا كان يحبّ عليّاً. وإن أراد بذلك أنهم يعتقدون أن كل من اعتقد الاعتقاد الصحيح وأدى الواجبات وترك المحرمات، يدخل الجنة، فهذا اعتقاد أهل السنة!... ففي الجملة: لا يدعون علماً صحيحاً إلّا لأهل السنة أحقّ به، وما ادّعوه من الجهل فهو نقص، وأهل السنة أبعد عنه...

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢١٤

الوجه الخامس: إن أهل السنة يجزمون بحصول النجاء لأئمتهم أعظم من جزم الرافضة؛ وذلك أن أئمتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وهم جازمون بحصول النجاء لهؤلاء، فإنهم يشهدون أن العشرة في الجنة، ويشهدون أن الله قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، بل يقولون إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله، فهؤلاء أكثر من ألف وأربعمائة إمام لأهل السنة...

الوجه السادس: أن يقال: أهل السنة يشهدون بالنجاء مطلقاً وإما معيّناً، شهادة مستندة إلى علم. وأمّا الرافضة فإنهم إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون، أو شهدوا بالزور الذى يعلمون أنه كذب، فهم كما قال الشافعى رحمه الله: ما رأيت قوما أشهد بالزور من الرافضة...!! فقول الرافضة: لن يدخل الجنة إلّا من كان إمامياً، كقول اليهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين... ومن المعلوم أن المنتظر الذى يدّعيه الرافضى لا يجب على أحد طاعته «... ١».

أقول:

فهذا غاية علم ابن تيمية وتقواه!!

أمّا الإمامية، فإنهم جازمون بحصول النجاء لهم ولأئمتهم، لأنهم متمسكون بما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك به ووعد بنجاء من فعل ذلك، فى الحديث المقطوع بصدوره منه. ولأنهم راكبون السفينة التى سبّحها بسفينه نوح فى اليقين بنجاء من ركبها، فى الحديث المقطوع بصدوره منه كذلك.

أمّا غير الإمامية، فمن تمسكوا؟ وبأى عهد من رسول الله؟ وكيف يجزمون بالنجاء؟

الوجه الرابع ... ص: ٢١٥

إشارة

قال قدس سره: الوجه الرابع: أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام، المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع ... ومنهم تعلّم الناس العلوم ...

تعريف مجمل بالأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ... ص: ٢١٥

الشرح:

أخذ الإمامية مذهبهم عن الأئمة عليهم السّلام، من الأمور الواضحة المتفق عليها بين المؤالف والمخالف، وهذه كتبهم في الحديث والفقه والرجال تشهد بذلك، فلا يصغى إلى قول ابن تيمية: «لا نسلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم من أهل البيت ... وليس للشيعة أسانيد بالرجال المعروفين مثل أسانيد أهل السنة حتى ننظر في إسنادها وعدالة الرجال، وإنما هي منقولات منقطعة» (١).

ثم إنه رمى علماء الشيعة ورواتها بالكذب، ونفى العصمة عن أمير المؤمنين والأئمة، ونسب إلى الشيعة آراء وفتراء عديدة ... مما هو بالسكوت عليه أجدر، فالله حسيبه والأئمة خصماؤه.

وأما تعلّم الناس العلوم من الأئمة عليهم السّلام، فتعلم ذلك بتراجمهم حيث نذكر تلمذ كبار العلماء عليهم. وأما انتشار علوم الإسلام من أمير المؤمنين عليه السلام، فسيشرحه العلامة نفسه ونزيده بياناً إن شاء الله تعالى.

(١) منهاج السنة ١٦/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢١٦

قال قدس سره: ونزل في حقهم: «هَلْ أَتَى»، وآية الطهارة، وإيجاب المودة لهم، وآية الإبتهاال، وغير ذلك. وكان على عليه السلام يصلّى في كلّ يوم وليلة ألف ركعة، ويتلو القرآن مع شدة ابتلائه بالحروب والجهاد ...

الشرح:

هذه سورة الإنسان. وأشار رحمه الله إلى آيات سيأتي ذكر نزولها بشأن أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السّلام، مع الجواب عما قاله ابن تيمية.

كما سيأتي بيان صلاة أمير المؤمنين في كلّ يوم وليلة ألف ركعة، مع التعرّض لما قاله ابن تيمية.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ... ص: ٢١٦

إشارة

قال قدس سره: فأولهم على بن أبي طالب عليه السلام، كان أفضل الخلق بعد رسول الله، وجعله الله تعالى نفس رسول الله حيث قال: «وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسُكُمْ».

وآخاه الرسول، وزوجه ابنته وفضله لا يخفى ...

الشرح:

كونه أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثابت من الآيات الكريمة الواردة في حقّه، ومن الأحاديث التي رواها القوم في فضله - وفي بعضها التصريح بالأفضليّة - ومن الصفات المتوقّرة فيه دون غيره، وستقف على ذلك كلّ في خلال بحوث الكتاب. ومن هنا ذهب جماعة من أعلام الصّحابة والتابعين إلى أفضليّته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما تقدّم عن كتاب الإستيعاب وغيره، وسيأتى أيضاً.

أمّا آية المباهلة وأن المراد من «أنفُسنا» هو أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث المؤاخاة، فسيأتى الكلام عليهما.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢١٧

وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام، ابنته الصّديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، ولا يخفى فضل هذا التزويج ودلالته على أفضليّته عليه السلام، لوجوه مستندة إلى روايات الفريقين في هذه القضية، ونحن نكتفي بالإشارة إلى بعضها إجمالاً: فأما أولاً: فلأن الله تعالى هو الذي زوّج عليّاً بفاطمة وأمر بذلك النبي صلى الله عليه وآله حيث قال له: «إني قد زوّجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملاء الأعلى فزوّجها منه في الأرض».

وأما ثانياً: فلأن أبا بكر وعمر وغيرهما خطبوا فاطمة فردّهم الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً: «لم ينزل القضاء بعد».

وأما ثالثاً: فلأن فاطمة عليها السلام أفضل من الشيخين، وهذا مما اعترف به بعض أكابر الأئمة والحفاظ من أهل السنّة، كمالك بن أنس وأبي القاسم السّيهيلي، لكونها بضعة من النبي، لكن عليّاً عليه السلام كفّوها، فلو لم يخلق ما كان لها كفؤ، فهو أفضل منهما من هذه الناحية أيضاً.

راجع للوقوف على الأحاديث المشار إليها في هذه الوجوه: مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٤، الرياض النضرة ٢/ ١٨٣، ذخائر العقبى ٢٩، كنز العمال ٦/ ١٥٣، ٧/ ١١٣، فيض القدير ٢/ ٢١٥، ٤/ ٤٢١، كنوز الحقائق ٢٩، ١٢٤، الصواعق: ٧٤.

فهل يقاس «١» سائر بنات النبي صلى الله عليه وآله - على القول بكونهنّ من صلبه - بفاطمة عليها السلام؟

وهل يقاس عثمان - على فرض كونه صهراً له على بنتيه - بعلي عليه السلام؟

حتى يعارض تزويج علي بفاطمة بتزويج عثمان.

(١)

منهاج السنّة ٣٦/ ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢١٨

هذا، بغضّ النظر عمّا كان منه في حق رقيّة، وأنه آذى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وفاء أم كلثوم، حتى منعه من النزول في قبرها، وقد روى هذه القضية عامّة أرباب الصحاح والسنن «١».

كثرة معجزاته ... ص: ٢١٨

قال قدس سره: وظهرت عنه معجزات كثيرة، حتى ادّعى قوم فيه الربوبية وقتلهم، وصار إلى مقاتلتهم آخرون إلى هذه الغاية، كالنصيرية والغلاة.

الشرح:

معجزاته لا تعدّ ولا تحصى، تدلّ دلالة واضحة على أفضليّته وأولويّته بإمامة المسلمين وخلافه رسول ربّ العالمين ... وقد روى طرفاً

منها كبار علماء أهل السنة في كتبهم، كفضيعة دعوته على من كتم الشهادة بحديث الغدير، حيث استشهد به الأمير للنص على إمامته من النبي عن اللطيف الخبير، وقضايا أخرى مثلها ... سيذكر العلماء بعضها، وأين هذه مما وضعه القصاصون ولَفَقه الكذابون الأذلاء، من قصص سمّوها كرامات، لأناس مبطلين مضلين سمّوهم بالأولياء!

ومن هنا ادّعى بعض الناس فيه عليه السلام الربوبية، لأنهم شاهدوا منه أشياء لم يشاهدوها من أحد من قبل، ولا تصدر إلا من أقرب الناس إلى الحق سبحانه وتعالى، وتبعهم أصحاب محمد بن نصير النميري الملعون على لسان الإمام على بن محمد العسكري عليه السلام.

وهل يجوز ترك الإقتداء بمن كان هذا شأنه، وسلوك غير سبيل المؤمنين الذين قالوا بإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أمر بذلك رب العالمين؟!

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة ٥٧٠ / ٢ ح ١٢٥٢، دار القلم، مسند أحمد ١٢٦ / ٣، المستدرک على الصحيحين ٤٧ / ٤، السنن الكبرى ٥٣ / ٤، الإصابة ٤٨٩ / ٤، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٨٥ / ٤. شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢١٩

الحسن والحسين عليهما السلام ... ص: ٢١٩

قال قدس سره: وكان ولداه سبطا رسول الله سيدا شباب أهل الجنة...

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما قوله: وكان ولداه سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله سيدا شباب أهل الجنة إمامين بنص النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله. فيقال: الذي ثبت بلا شك عن النبي صلى الله عليه وآله في الصحيح أنه قال عن الحسن: إن ابني هذا سيد وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وثبت عنه صلى الله عليه وآله أنه كان يقعه وأسامه بن زيد على فخذه ويقول: اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما.

وهذا يدل على أن ما فعله الحسن من ترك القتال على الإمامة وقصد الإصلاح بين الناس، كان محبوباً عند الله ورسوله، ولم يكن ذلك مصيبة ... ولم يكن الحسن أعجز عن القتال من الحسين ... وأن الذي فعله الحسن هو الأحب إلى الله ورسوله ممّا فعله غيره، والله يرفع درجات المتقين المؤمنين بعضهم على بعض، وكلّهم في الجنة، رضى الله تعالى عنهم أجمعين. وقد ثبت أنه صلى الله عليه وآله أدخلهما مع أبويهما تحت الكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وأنه دعاهما إلى المباهلة، وفضائلهما كثيرة، وهما من أجلاء سادات المؤمنين» (١).

أقول:

أولاً: لم يتعرض لفضيلة كونهما سبطي هذه الأمة، فإن ذلك معدود من جلائل

(١) منهاج السنة ٣٩ - ٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٠

فضائلهما في الأحاديث الكثيرة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كما في ذخائر العقبى (١) وغيره من كتب الحديث والفضائل.

وثانياً: لم يتعرض لحديث «إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» أصلاً، مع أنه من أثبت فضائلهما الكثيرة كما اعترف، فقد رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، والحاكم، وابن حجر، وابن الأثير، والخطيب، وأبو نعيم، والمتقى عن عدة من كبار الحفاظ، بل في فيض القدير عن السيوطي أنه حديث متواتر «٢».

وثالثاً: قوله: «ثبت عنه صلى الله عليه وآله أنه كان يقعه وأسامة بن زيد على فخذه».

أقول: إن الحسن عليه السلام ولد سنة ثلاث من الهجرة على ما في الإستهيعاب «٣»، وأسامة ولد قبلها بعشر سنوات تقريباً، فلو كان الحسن حين كان يقعه النبي صلى الله عليه وآله على فخذه ابن سنتين أو ثلاث، كان أسامة ابن ثلاث عشرة سنة، ومثله لا يقعد على الفخذ...

بل الثابت أنه كان يجلس الحسين على فخذه ويقول ذلك.

بل إن أسامة من رواة الخبر - فيمن رواه من الصحابة - كما في الصواعق عن

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ١٣٠.

(٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٣/ ٥٥٠، مسند أحمد ٣/ ٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢، ٥/ ٣٩١ و ٣٩٢، سنن الترمذي ٥/ ٣٢١ و ٣٢٦، سنن ابن ماجه ١/ ٤٤، خصائص على: ١٢٣، المستدرک ٣/ ١٦٧ و ٣/ ٣٨١، الإصابة: ترجمة الحسن بن علي عليهما السلام ٢/ ٦٣، أسد الغابة: ترجمة الحسن عليه السلام ٢/ ١١، تاريخ بغداد ١/ ١٥٠ و ٢/ ١٨١ و ٤/ ٤٢٩ و ٦/ ٣٦٩ و ٩/ ٢٣٠ و ١٠/ ٢٣١ و ١١/ ٩١ و ١٢/ ٤، كنز العمال ٧/ ٢٦ و ١١/ ٥٧٣ و ١٢/ ٩٦ و ١٠٢ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٣/ ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٥ و ٦٦٦ و ٦٧٧، حلية الأولياء ٤/ ١٣٩.

(٣) الإستهيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٣٨٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢١

الترمذي «١» وفي كنز العمال، وفيض القدير عن الطبراني «٢». فكان الحديث الذي أورده الرجل محرف، وإن كان كذلك في الكتب الموصوفة بالصحة.

ويشهد بما ذكرنا وروده في مواضع بلفظ: «عن أسامة كان النبي صلى الله عليه وآله يأخذني والحسن فيقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما»، رواه جماعة منهم بترجمة أسامة أو الحسن.

وكان راويه التفت إلى الإشكال فأبدل اللفظ إلى «يأخذني».

والذي يؤكد الإشكال ويوضح الحال: ما أخرجه الترمذي في باب مناقبهما عن أسامة قال: «طرت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة لبعض الحاجة، فخرج النبي وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو. فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشف عنه فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما» «٣».

فكان أسامة - حينما كان الرسول يحتضن السبطين - بالغاً مبلغ الرجال، يطرق الرسول لبعض الحاجة.

فالسؤال هو: كيف خفي كل هذا على هذا المدعى والمعتز المغير؟!

ونحن لا ننكر أنه صلى الله عليه وآله كان يحب أسامة، لكن الدعاء المذكور فضيلة تختص بالحسين عليهما السلام، ولا ريب في أن دعاءه صلى الله عليه وآله مستجاب، وما ذكره الرجل كذب.

الصواعق المحرقة: ٨٢.

(٢) كنز العمال ٢٢١ / ٦، فيض القدير ٣ / ٤١٥.

(٣) صحيح الترمذی ٥ / ٣٢٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٢

ورابعاً: إن من الأحاديث المتفق عليها قوله صَلَّى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»، وممن رواه من أهل السنة: الصفوري في نزهة المجالس، والصدیق القنوجی فی السراج الوهاج فی شرح صحيح مسلم بن الحجاج في باب المناقب، وفي الإتحاف بحب الأشراف: أنه صَلَّى الله عليه وآله قال لهما: «أنتم الإمامان ولأتمكما الشفاعة» (١).

وقد ذكر العلامة في الفصل الرابع من الكتاب أدلة الإمامية على إمامة باقى الأئمة عليهم السّلام، فذكر فيها أنه صَلَّى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام: «هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة».

وحينئذ، يكون ما فعله الإمام الحسن عليه السلام وما فعله الإمام الحسين عليه السلام مرضياً لله ورسوله بلا فرق أصلاً، فكلاهما إمام معصوم قام بما كان واجباً عليه في زمان إمامته.

زهدهما وعلمهما ... ص: ٢٢٢

قال قدس سره: إمامين بنصّ النبي صَلَّى الله عليه وآله، وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهما.
الشرح:

وهذا أيضاً سكت عليه ابن تيمية، وكأنه معترف بمفاد الأحاديث التي ذكرناها، وعلى كلّ حال، فإن نصّ النبي صَلَّى الله عليه وآله غير منحصر بهذه الأحاديث، ومن أراد المزيد فليرجع إلى مظانّه.

ثم قال ابن تيمية: «وأما كونهما أزهد الناس وأعلمهم في زمانهما. فهذا قول بلا دليل» (٢).

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ١٢٩، نزهة المجالس ٢ / ١٨٤، مناقب آل أبي طالب ٣ / ١٦٣.

(٢) منهاج السنة ٤ / ٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٣

أقول:

لو كان عنده دليل - ولو ضعيفاً - ينقض به ما ذكره العلامة، لأتى به، لأنه حاول الردّ حتى بالأباطيل والأكاذيب كما فعل في مواضع كثيرة، فسكوته أقوى دليل.

وكيف يطالب بالدليل على الأزهدية والأعلمية لهما، وهما إمامان بالنصوص المتواترة والبراهين المتقنة، والإمام يجب أن يكون أزهد وأعلم أهل زمانه؟

ومن مظاهر زهد الإمام الحسن عليه السلام، أنه قاسم الله ماله مرّتين أو ثلاث مرّات، وهذا من الأمور الثابتة التي رواها من لا يقول بإمامته، كأبي نعيم في حليته، وابن عساكر في تأريخه (١).

ومن ذلك: ما رواه ابن عساكر بترجمته من تأريخه، بسنده عن مدرّك بن زياد - أحد الصحابة - قال: «كنا في حيطان ابن عباس وحسن وحسين، فطافوا في البستان، فنظروا ثم جاءوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لى حسن: يا مدرّك أعندك غداء؟ قلت:

قد خبزنا. قال: انت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتين من بقل، فأكل ثم قال: يا مدرّك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغداده - وكان كثير الطعام طيبه - فقال لى: يا مدرّك، إجمع لى غلمان البستان. قال: فقدّم إليهم فأكلوا ولم يأكل، فقلت: ألا تأكل؟

فقال: ذاك كان أشهى عندي من هذا» (٢).

ومن مظاهر زهد الإمام الحسين عليه السلام: ما رواه القوم أيضاً من أنه: «حجّ خمسة وعشرين حجةً ماشياً وإن النجائب تقاد معه». ومن ذلك أنه قيل له: ما أعظم خوفك من ربك؟ فقال: «لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا» (٣).

(١) حلية الأولياء ٣٧/٢، تاريخ مدينة دمشق ١٣/٢٤٣، ٢٤٤، وسنن البيهقي ٤/٣٣١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٣/٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣/٢٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٤

أما أعلميتهما من أهل زمانهما، ففي غاية الوضوح، فإنهما الوارثان لعلوم أبيهما باب مدينة علم النبي وأفضى الأمة من بعده، ومن هنا كانا مستغنيين عن غيرهما والكل محتاج إلى علمهما.

وقد روى: أنه استفتى أعرابي عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان، فتواكلا، فقال:

اتقيا الله فإنني أتيكما مسترشداً، أموالك في الدين! فأشارا عليه بالحسن والحسين فأتاها «١».

جهادهما ... ص: ٢٢٤

قال قدس سره: وجاهدا في سبيل الله حتى قتلا. ولبس الحسن عليه السلام الصوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يشعر أحداً بذلك.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأمّا قوله: وجاهدا في الله حق جهاده حتى قتلا. فهذا كذب عليهما، فإن الحسن تخلى عن الأمر وسلّمه إلى معاوية ومعه جيوش، وما كان يختار قتال المسلمين قط، وهذه متواترة في فضائله. وأما موته فقيل: إنه مات مسموماً، وهذه شهادة له وكرامة في حقّه، لكن لم يمت مقاتلاً. والحسين رضى الله عنه ما خرج مقاتلاً» (٢ ...).

أقول:

لقد ذكر العلامة عن الإمامين السبطين أمرين، أحدهما: إنهما جاهدا في الله حق جهاده. والآخر: إنهما قتلا حال كونهما مجاهدين في الله حق جهاده، فأتيهما كذب عليهما؟

كأن هذا الرجل يجهل أو يتجاهل أن (الجهاد) في الله لا يختص ب (القتال) وأن (القتل) في سبيل الله و (الشهادة) لا يختص ب (السيف)؟!

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٣٨.

(٢) منهاج السنة ٤/٤١ - ٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٥

وإذا عرفت أن الوقوف مطلقاً أمام الكفر والجور (جهاد) وأن الموت في تلك الحال (شهادة) عرفت من الكاذب!!

ثم قال ابن تيمية: «وأمّا قوله عن الحسن إنه لبس الصوف تحت ثيابه الفاخرة، فهذا من جنس قوله في علي إنه كان يصلي ألف ركعة. فإن هذا لا فضيلة فيه، وهو كذب.

أقول:

إن هذا الرجل، إمّا لا يفهم معنى العبادة والزهد وجهاد النفس، وإمّا أن العناد لأهل البيت عليهم السلام يحمله على إنكار حتى مثل

هذه المناقب والمراتب لهم...

لكن العلامة قد كتب لمن يفهم العبادة وترويض النفس، ويعترف بأن ذلك من الفضائل المؤهلة لأصحابها للإقتداء بهم في تلك الأعمال وغيرها، وليشير إلى أن الفضل في أن يلبس الإنسان الخشن لله فلا يعلم بذلك أحداً، لا أن يلبسه للخلق ويتظاهر بذلك بين الناس فيجلب قلوبهم ويشتهر بالزهد فيهم، كما كان يصنع غيرهم، حتى صار الزهد علماً لهم، وألفت في ضلالتهم الكتب، وجاء هذا الرجل يقول:

«وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس فيهم رافضي!»

بين الحسين وإبراهيم ابن رسول الله ... ص: ٢٢٥

قال قدس سره: وأخذ النبي يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن وولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: إن الله لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما...
الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم، ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث، وهذا الناقل لم يذكر لنا إسناده ولا عزاه إلى كتب الحديث، لكن ذكره على عادته من روايته أحاديث سائبة، بلا زمام ولا خطام، والنقل شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٦
المجرد بمنزلة سائر الدعاوى، ثم يقال: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وهو من أحاديث الجهال» (١).

أولاً: قولك: هذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا يعرف له إسناد، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث. كذب كما ستعلم.
وثانياً: ليس من دأب المؤلفين في الكتب الكلامية ذكر الأحاديث المستدل بها بالإسناد، فهذه كتب الكلام كالمواقف وشرحها، والمقاصد وشرحها، وكتب البيضاوي وغيرها، تذكر فيها الأحاديث بلا أسانيد، ومن هنا جاء من بعدهم فألفوا الكتب في تخريج أحاديث تلك الكتب، فإن كان ما ذكرته حقاً توجه إلى الجميع.
وثالثاً: إنه كثيراً ما يعزو العلامة الحديث إلى ناقله، فليس من عادته ما ذكرته.

ورابعاً: إذا كان النقل المجرد بمنزلة سائر الدعاوى، فلماذا تقتصر أنت في كثير من الموارد بالنقل المجرد؟
 وخامساً: إن كان ما أورده العلامة لم ينقله أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث، فلماذا وصفته بالحديث وحكمت عليه بالوضع؟ وكيف قام الاتفاق من أهل المعرفة بالحديث على وضع ما ليس له وجود في شيء من كتب الحديث؟
وبعد؛ فمن رواة الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، وهو من أهل العلم عندهم! في كتابه تاريخ بغداد، وهو من كتبهم المعتبرة!

قال: «أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر المقرئ قال: نبأنا محمد بن الحسن النقاش قال: زيد بن الحباب قال: نبأنا سفيان الثوري، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن أبي العباس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله على فخذه الأيسر ابنه

(١) منهاج السنة ٤ / ٤٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٧

إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام بوحي من رب العالمين، فلما سرى عنه قال: أتاني جبريل من ربي فقال لي: يا محمد، ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك، فافد أحدهما

بصاحبه. فنظر النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى، ثم قال: إن إبراهيم أمّه أمّه، ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأمّ الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمي، لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي فاطمة وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أوتر حزني على حزنهما. يا جبريل تقبض إبراهيم، فديته بإبراهيم. قال: فقبض بعد ثلاث. فكان النبي صَلَّى الله عليه وآله إذا رأى الحسين مقبلاً قبله وضمّه إلى صدره ورشف ثنياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم» (١).

أقول:

وابن تيمية راجلٌ في علم الحديث، فيقلّد- في الأغلب- ابن الجوزي في طعنه في مناقب أهل البيت عليهم السلام، وقد أدرج ابن الجوزي- كعادته- هذا الحديث في كتاب الموضوعات «٢»، لأن راويه- وهو أبو بكر ابن النقاش- قد كذّبه الرجاليون. وأهل العلم يعلمون بأنّ ابن الجوزي متسرّع في رمي الأحاديث بالوضع، ولذا تكلم غير واحدٍ من الحفاظ فيه وفي كتابه المذكور، وسنتعرّض لذلك في محله المناسب.

هذا أولاً.

وثانياً: لقد وجدناهم في كثيرٍ من المواضع، يعتمدون على رواية النقاش وأقواله في الأحاديث والرجال، ممّا يدلُّ على أنّ لتكلمهم فيه سبباً آخر، فحاله حال الحفاظ ابن خراش الذي تكلموا فيه واعتمدوا عليه كثيراً.

وللكلام عن مثل هذه الامور مجال آخر.

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٠-٢٠١.

(٢) كتاب الموضوعات ١/ ٤٠٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٢٨

الإمام علي بن الحسين عليه السلام ... ص: ٢٢٨

إشارة

قال قدس سره: وكان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يصوم نهاره...

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما علي بن الحسين، فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً، أخذ عن: أبيه، وابن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبي رافع مولى النبي صَلَّى الله عليه وآله، وعائشة وأم سلمة وصفية أمهات المؤمنين، وعن مروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن عثمان، وذكوان مولى عائشة، وغيرهم. رضى الله تعالى عنهم.

وروى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والزهرى، وأبو الزناد، وزيد بن أسلم، وابنه أبو جعفر.

قال يحيى بن سعيد: هو أفضل هاشمي رأيت في المدينة.

وقال محمد بن سعد في الطبقات: كأن ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً.

وروى عن حماد بن زيد قال: سمعت علي بن الحسين- وكان أفضل هاشمي أدركته- يقول: يا أيها الناس أحبونا حبّ الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً علينا.

وعن شيبه بن نعام قال: كان علي بن الحسين يبخل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في السرّ. وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف.

حتى أنه كان من صلاحه ودينه يتخطى مجالس أكابر الناس ويجالس زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب - وكان من خيار أهل العلم والدين من التابعين - فيقال له:

تدع مجالس قومك وتجالس هذا؟ فيقول: إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه.

وأما ما ذكره من قيام ألف ركعة، فقد تقدّم أن هذا لا يمكن إلّا على وجه مكروه في

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٢٩

الشريعة، أو لا يمكن بحال، فلا يصلح ذكره لمثل هذا في المناقب.

وكذلك ما ذكره من تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله له سيّد العابدين، هو شيء لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل العلم والدين» (١).

أقول: هذا كلّ ما ذكره الرجل حول الإمام السّجاد عليه السلام، أوردته بنصّه، فأقول:

أولاً: لقد سكّت عن بعض ما ذكره العلّامة، وسكوته دليل القبول، لكنّ نفسه لم تسمح له بالتصريح، نعم، لقد كان الإمام على بن الحسين عليه السلام أعبد أهل زمانه عند الخاصّ والعام، يصوم نهاره، ويقوم ليله، ويتلو الكتاب العزيز، ويدعو بالأدعية المنقولة ... ثم يرمى الصحيفة كالمتمضجر ... وكان يبكي كثيراً ... وسجد حتى حشى مساجده ... وعن الجواب عن كلّ هذا سكّت الرجل، وكلّه ثابت سواء قبل أو أنكر...

وسكّت أيضاً عن قضية استلامه الحجر بعد أن لم يمكن ذلك لهشام، وشعر الفرزدق في هذه القضية ... وأنّى له أو لغيره إنكار قضية تجاوزت حدّ الرواية وعدّت من ضروريات التأريخ!!

وثانياً: لقد اعترف بكون الإمام عليه السلام من كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً، ونقل كلمات عن بعض أكابر القوم في الثناء عليه. وأقول: إن الإمام على بن الحسين عليه السلام إمام معصوم منصوب عليه، والأدلة النقلية والعقلية على إمامته كثيرة مذكورة في محلّها، فعده من (التابعين) إنما هو على اصطلاح أهل السنّة.

ولقد كان بإمكان الرجل نقل كلمات أخرى، لكن منعه عن ذلك بغضه وعناده، وإلّا فقد أطنب في موارد كثيرة بأباطيل وأكاذيب، وربما كثر المطلب الواحد أكثر من

(١) منهاج السنّة ٤ / ٤٨ - ٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٣٠

مرّة، وربّما تعرّض في مواضع لبحوث خارجة عن المقصود فيها. بل لم تسمح له نفسه بإيراد كلّ ما نقله محمد بن سعد وأبو نعيم الحافظ بترجمته من الطبقات والحلية، فنقل عنهما بعض ما ورد فيهما.

وثالثاً: لقد أنكر ما ذكره العلّامة من صلاة الإمام في اليوم والليلة ألف ركعة، وما ذكره من تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله له سيّد العابدين وقال: «هو شيء لا أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم والدين».

أقول:

أما الصّلاة ألف ركعة في كلّ يوم وليلة. فكان ذلك عمله كأبيه وجده ... كما ستعرف في محلّه من الكتاب.

وأما تسمية الرسول صلى الله عليه وآله عليه وآله إياه سيّد العابدين. فذاك مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله في كتب الفريقين، وممن رواه من العامّة الحافظ سبط ابن الجوزي عن المدائني عن جابر بن عبد الله أنه قال لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: «رسول الله يسلم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له ولد اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني

السلام» (١).

وقال ابن حجر المكي بترجمته ولده الإمام الباقر عليه السلام: «وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم عليك. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً..» (٢).
ورواه أبو عمر الزاهد في كتابه (اليواقيت) عن الزهري.

(١) تذكرة الخواص من الأمة: ٣٣٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣١

وفي الحلية: «وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول:

زين العابدين» (١).

ولقد جاء وصفه عليه السلام ب (سيد العابدين) أو (زين العابدين) في سائر الكتب المذكورة فيها أحواله وترجمته «(٢).

فهل يكفي هذا القدر لبيان كذب الرجل؟!

ورابعاً: لقد ذكر أشياء لا بد من التحقيق حولها:

أخذه عن أبيه وابن عباس و... فإن الإمام زين العابدين أخذ عن أبيه الإمام الحسين الشهيد، والحسين السبط أخذ عن والده أمير المؤمنين عليهم السلام، وهو عن رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله. وحسب السجادة أخذه عن والده، فإنه حينئذ وارث علوم سيد النبي صلى الله عليه وآله، وغنى عن الأخذ عن غيره، لأن الذين ذكرهم لم يدانوه في العلم والفضل أصلاً، بل فيهم من لا يعد من أهل العلم.

ولا ريب في أن أفضل من ذكر اسمه - بعد الحسين عليه السلام - هو ابن عباس، لكن كل ما عنده من العلم مأخوذ عن علي والحسين صلوات الله وسلامه عليهم، وهو بعض ما ورثه السجادة عنهم...

ومن الإفك ما ذكره ابن تيمية من أنه أخذ عن عائشة ومروان بن الحكم، فإن كل عاقل يعلم بأن لا -نسبة بينه وبينهما في العلم والفضيلة، ومع ما كان منهما بالنسبة إلى جدّه أمير المؤمنين وعمّه الحسن السبط الأكبر عليهم السلام، وما ورد في مروان بن الحكم اللعين ابن اللعين!!

كما أن ما ذكره من أنه كان يتخطى مجالس أكابر الناس... كذب واضح، ولو كان

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٣٥.

(٢) أنظر مثلاً: وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٦، حلية الأولياء ٣/ ١٣٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٨، طبقات الحفاظ: ٣٧، طبقات القراء ١/ ٥٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٢

هناك مجالسة بينهما، فإن الأمر بالعكس، فقد عدّ زيد بن أسلم في كتبنا في أصحاب السجادة عليه السلام، كما أن الرجل نفسه عدّه فيمن أخذ عنه عليه السلام، واللفظ الذي رواه الحافظ أبو نعيم: «كان علي بن الحسين يتخطى حلق قومه حتى زيد بن أسلم فيجلس عنده، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه» (١). فهو الذي كان ينفع زيدا - بناء على صحة هذا الخبر - لأنه كان يقول: «من كنتم علماً أحداً أو أخذ عليه أجراً رفداً فلا ينفعه أبداً» (٢).

أقول:

وكم كذبوا على هذا الإمام، كما كذبوا على آبائه وأبنائه عليهم السلام؟!
فلقد جاء في أصح كتبهم أعنى البخارى: «وقال على بن الحسين: يعنى مثنى أو ثلاث أو رباع»، قال شراحه: «وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة، لكونه من تفسير زين العابدين، وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم» (٣).
وحاصله نسبة القول بجواز التزوج بما يزيد على الأربع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، وهى نسبة كاذبة لا أساس لها من الصحة أبداً، بل الأمر بالعكس، فإن القول بجواز التزوج بما يزيد على الأربع منهن، منسوب إلى غير واحد من كبار فقهاءهم، مستدلّين بالآية المباركة، كما لا يخفى على من راجع كتبهم فى الفقه والحديث (٤).
بل فيهم من قال بجواز التزوج بأى عدد شاء من النساء، وذكره النيسابورى بتفسير الآية من تفسيره (٥).

(١)

حلية الأولياء ٣ / ١٣٨.

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٤٠.

(٣) فتح البارى ٩ / ١١٤، إرشاد السارى ٨ / ٢٤، عمدة القارى ٢٠ / ٩١.

(٤) تبين الحقائق للزيلعى الحنفى ١ / ١٤٣، ونيل الأوطار للشوكانى ٦ / ١٦٩.

(٥) غرائب القرآن ورجائب الفرقان ٤ / ١٧٢.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٣

استلزامه الحجر وشعر الفرزدق ... ص: ٢٣٣

قال قدس سره: وكان قد حجّ هشام بن عبد الملك، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام، فجاء زين العابدين عليه السلام فوقف الناس له، فقال الفرزدق...

الشرح:

الفرزدق هو: همام بن غالب الدارمى التميمى البصرى، كنيته: أبو فراس، ولد سنة ١٩، قدّمه أئمة الأدب على مثل جرير والأخطل، وقال بعضهم: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب».

اشتهر أخيراً بتجاهره بحبّ أهل البيت عليهم السلام ودفاعه عنهم.

وقصيدته الرائعة المشهورة من أقوى الشواهد على إيمانه بإمامتهم وولايتهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال السيد المرتضى: «كان الفرزدق قد نزع فى آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن فى خلال فسقه منسلخاً عن الدين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً».

وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ وقد قارب المائة (١).

رويت هذه القصّة والقصيدة فى كثير من مؤلفات الفريقين، ونحن نكتفى بذكر عدّة من كتب أهل السنّة فقط:

١- حلية الأولياء لأبى نعيم الإصفهاني ٣ / ١٣٩.

٢- تذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزى الحنفى: ٣٢٩.

٣- وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٠٠.

(١) توجد ترجمته فى: أمالى المرتضى ١ / ٦٢، الأغاني ٢١ / ٢٩٩، الدرجات الرفيعة: ٥٤٢، معجم الأدباء ٧ / ٢٥٢، خزائن الأدب ١ / ٢٠٢،

- شذرات الذهب ١ / ١٤١ وغيرها.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٤
- ٤- صفة الصفوة لابن الجوزي الحنبلي ٢ / ٥٥.
- ٥- تاريخ ابن كثير ٩ / ١٠٨.
- ٦- مرآة الجنان للفاعي ١ / ٢٣٩.
- ٧- مطالب السؤل لابن طلحة الشافعي: ٦٤.
- ٨- حياة الحيوان للدميري ١ / ٩.
- ٩- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١ / ١٤٢.
- ١٠- زهر الآداب للقيرواني ١ / ١٠٢.
- ١١- شرح شواهد مغنى اللبيب للسيوطي: ٢٤٩.
- ١٢- كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٣٠٣.
- ١٣- شرح الحماسة للتبريزي ٤ / ٨٢.
- ١٤- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٩٣.
- ١٥- الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٠.
- ١٦- قصص العرب لأحمد جاد المولى ٢ / ٢٥٤.
- ١٧- جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ٢ / ١٥.
- ١٨- نور الأبصار للشبلنجي: ١٩٣.
- وقد أورد ذلك ابن تيمية، ولم يتكلم عليه بشيء!
- وتفاوتت روايتهم للقصيدة في أبياتها زيادة ونقصه.
- قال قدس سره: وكان بالمدينة قوم يأتيهم رزقهم ليلاً ولا يعرفون ممن هو، فلما مات مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام انقطع ذلك عنهم ...
- الشرح:
- هذا ممّا اعترف به ابن تيمية، واتفق عليه المؤرخون من الفريقين «١».

(١) أنظر مثلاً: حلية الأولياء ٣ / ١٣٩ صفة الصفوة ٢ / ٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٥

الإمام محمد الباقر عليه السلام ... ص: ٢٣٥

إشارة

قال قدس سره: وكان ابنه محمد الباقر عليه السلام أعظم الناس زهداً وعبادة، بقر السجود جبهته، وكان أعلم أهل وقته.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وكذلك أبو جعفر محمد بن علي، من خيار أهل العلم والدين، وقيل: إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم، لا لأجل بقر

السجود جبهته، وأما كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج إلى دليل، والزهرى من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه» (١). أقول:

لم يعترض على العلامة وصفه الإمام الباقر عليه السلام بـ «أعظم الناس زهداً وعبادة» ولم يقره بصراحة حقداً وعناداً! أما أنه سَمِيَ الباقر لأنه بقر العلم، فهذا ما يقوله العلامة، وسينقل الخبر فيه وإنها تسمية من النبي صلى الله عليه وآله، وإنما قال: «أعظم الناس زهداً وعبادة، بقر السجود جبهته» لبيان كثرة عبادته، لكن في (الطبقات): «حدثني هارون بن عبد الله بن الوليد المصيصي قال: رأيت محمد بن علي بن علي جبهته وأنفه أثر السجود ليس بالكثير» (٢)، والحافظ سبط ابن الجوزي الحنفى قال: «وإنما سَمِيَ الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته، أى فتحها ووسعها، وقيل لغزارة علمه، قال الجوهري في الصحاح: التبقر التوسع في العلم، قال: وكان يقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الباقر، لتبقره في العلم» (٣).

(١) منهاج السنّة ٤ / ٥٠ - ٥١.

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٣.

(٣) تذكرة خواص الأمة: ٣٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٦

وأما قوله: «كونه أعلم أهل زمانه يحتاج إلى دليل، والزهرى من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه» فيقال: أولاً: لو أمكنه إنكار ذلك لباح بذلك، فإمسكه عن الإنكار - مع ما هو عليه من العناد لآل البيت الأطهار - دليل. وثانياً: اشتهاره بالباقر - لأنه بقر العلم ووسّعه، وهذا الوجه في التسمية هو الذى ذكره - دليل آخر. وثالثاً: لو كان فى عصره أعلم منه لاشتهر وعرف، وكيف وأئمة القوم - الذين ما زالوا يقلّدونهم - هم تلامذته كما ستعرف.

موجز ترجمة إمامهم الزهرى ... ص: ٢٣٦

رابعاً: إنه قد ذكر الزهرى فى مقابلة الباقر عليه السلام، لكنه نسب القول بأعلميته إلى الناس، وكأنه غير جازم بهذه الدعوى! لكن من هؤلاء الناس الذين يقولون بأعلمية الزهرى من الباقر عليه السلام؟ لقد نسب هذا إلى «الناس» هنا، وكان من قبل نسبه إلى «اتفاق أهل العلم» حيث قال ...: «فالزهرى أعلم بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأحواله وأقواله باتفاق أهل العلم، من أبى جعفر محمد بن على، وكان معاصراً له» (١).

إنه يريد الحطّ من شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام! لكنه يعلم بأن آراءه لا قيمة لها، فينسب مزاعمه تارة إلى «أهل العلم» وإلى «الناس» أخرى! وهل يقول أحد - إذا كان من أهل العلم والدين حقاً - بأعلميته، والكلّ يشهدون بأنه من الراوين والآخذين عن الباقر فيمن أخذ وروى؟ وما الذى يحمله على ذكر خصوص الزهرى والتبجح به فى مقابلة أئمة أهل البيت فى غير موضع من كتابه؟ الحقيقة، أن الزهرى من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين

(١) منهاج السنّة ١ / ٢٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٧

عليهم السلام، فالرجل إنما يذكره لكونه على رأيه واعتقاده، على ما ذكره ابن أبى الحديد المعتزلى الحنفى، فإنه قال: «وكان الزهرى من المنحرفين عنه عليه السلام. وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شبيب قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهرى وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً عليه السلام فتلا منه، فبلغ ذلك على ابن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا

عروء، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك» قال: «وروى عاصم بن أبي عامر البجلي عن يحيى بن عروء قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه» (١).
ويؤكد هذا سعيه وراء إنكار مناقب الأمير عليه السلام، كمنقبه سبقه إلى الإسلام، قال ابن عبد البر بترجمة زيد بن حارثة: «وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبد الرزاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري» (٢).
وروايته عن عمر بن سعد اللعين قاتل الحسين بن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال الذهبي: «عمر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، وعنه إبراهيم وأبو إسحاق، وأرسل عنه الزهري وقتاده. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟» (٣).
وكونه من عمال بني أمية ومشيدى سلطانهم، حتى أنكر عليه ذلك العلماء والزهاد، فقد ذكر العلامة الدهلوي بترجمته من (رجال المشكاة): «أنه قد ابتلى بصحبة الأمراء بقله الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرهم! فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟!». ومن هنا قدح فيه ابن معين، فقد حكى الحاكم عن ابن معين أنه قال: «أجود الأسانيد الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله. فقال له إنسان: الأعمش مثل

(١) شرح نهج البلاغة ١٠٢/٤.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٥٤٦/٢.

(٣) تهذيب الكمال ٣٥٧/٢١ وتهذيب التهذيب ٣٩٦/٧ وميزان الاعتدال ١٩٩/٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٣٨

الزهري. فقال: تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهري! الزهري يرى العرض والإجازة، ويعمل لبني أمية، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن» (١).

وقال الذهبي: «أبو بكر ابن شاذان البغدادي، حدثنا علي بن محمد السواق، حدثنا جعفر بن مكرم الدقاق، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة قال: خرجت أنا وهشيم إلى مكة، فلما قدمنا الكوفة رأني هشيم مع أبي إسحاق فقال: من هذا؟ قلت: شاعر السبيع، فلما خرجنا جعلت أقول: حدثنا أبو إسحاق، قال: وأين رأيته؟ قلت: هو الذي قلت لك:

شاعر السبيع. فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري فقلت: يا أبا معاوية من هذا؟ قال: شرطى لبني أمية، فلما قفلنا جعل يقول: حدثنا الزهري فقلت: وأين رأيته؟

قال: الذي رأيته معي. قلت: أرني الكتاب، وأخرجه. فخرقته» (٢).

وقال الذهبي: «قال أحمد بن عبدويه المروزي: سمعت خارجة بن مصعب يقول: قدمت على الزهري وهو صاحب شرط بني أمية، فرأيت ركب وفي يديه حرب، وبين يديه الناس في أيديهم الكافركوبات، فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه» (٣).

هذا؛ ولقد ورث الزهري هذا العداء للإسلام والنبي وأهل بيت النبوة عليهم السلام من آبائه! فقد ذكر ابن خلكان بترجمته: «وكان أبو جدّه عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرًا، وكان أحد نفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله ليقتلنه أو ليقتلنّ دونه.

وروى: أنه قيل للزهري: هل شهد جدك بدرًا؟ فقال: نعم ولكن من ذلك الجانب.

يعني أنه كان في صفّ المشركين.

وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير.

(١) تهذيب التهذيب ١٩٧ / ٤ ترجمة الأعمش.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٢٦.

(٣) ميزان الاعتدال ١ / ٦٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٣٩

ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه «١».

سماه رسول الله الباقر ... ص: ٢٣٩

قال قدس سره: وسماه رسول الله الباقر، جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه ...

الشرح:

هذا الخبر مما اتفق الطرفان على روايته، وقد مضى ذكره.

وقال ابن شهر آشوب: «حديث جابر مشهور معروف، رواه فقهاء المدينة والعراق كلهم» (٢).

وفي (كشف الغمّة) نقله عن ابن الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال: «كنا عند جابر بن عبد الله، فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي» (٣ ...).

وروى ابن قتيبة: «أن هشاماً قال لزيد بن علي: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال زيد:

سماه رسول الله باقر العلم، وأنت تسميه بقر! فاختلتما إذن» (٤).

وقال الزبيدي الحنفي في (الباقر): «قلت: وقد ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد، يقر العلم بقرًا، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام. خرّجه أئمة النسب» (٥).

(١) وفيات الأعيان ١٧٨ / ٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٣٢٨.

(٣) كشف الغمّة في معرفة الأئمة ٢ / ٣٣٠.

(٤) عيون الأخبار ١ / ٢١٢.

(٥) تاج العروس ٣ / ٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٠

وهذا القدر كاف لتبيين كذب المفترى القائل: «ونقل تسميته بالباقر عن النبي صلى الله عليه وآله لا أصل له عند أهل العلم، بل هو من الأحاديث الموضوعة». وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام، هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث!! هذا، ولا بدّ من التنبيه على أن جملة «وهو صغير في الكتاب» غير واردة في طرق الإمامية المعتبرة.

روى عنه أبو حنيفة وغيره ... ص: ٢٤٠

قال قدس سره: روى عنه أبو حنيفة وغيره.

الشرح:

ذكر رواية أبي حنيفة وغيره عن الباقر عليه السلام الحافظ ابن حجر العسقلاني بترجمته «١». وبترجمة الباقر عليه السلام: «روى عنه: ابنه

جعفر وأبو إسحاق السبيعي، والأعرج، والزهرى، وعمرو بن دينار، وأبو جهضم موسى بن سالم، والقاسم بن الفضل، والأوزاعي، وابن جريج، والأعمش و«... ٢».

وقال أبو نعيم: «روى عنه من التابعين: عمرو بن دينار، وعطاء بن أبي رباح، وجابر الجعفي، وأبان بن تغلب. وروى عنه من الأئمة والأعلام: ليث بن أبي سليم، وابن جريج، وحجاج بن أرطاة، في آخرين» «٣».

وقال الذهبي: «الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني، أحد الأعلام ... حدث عنه:

ابنه جعفر بن محمد، وعمرو بن دينار، والأعمش، والأوزاعي، وابن جريج، وقرّة بن خالد، وخلق» «٤».

(١)

تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠١.

(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ٣١٢.

(٣) حلية الأولياء ٣ / ١٨٨.

(٤) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٤١

الإمام جعفر الصادق عليه السلام ... ص: ٢٤١

إشارة

قال قدس سره: وكان ابنه الصادق عليه السلام أفضل أهل زمانه وأعبدهم.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وجعفر الصادق رضي الله عنه من خيار أهل العلم والدين. أخذ العلم عن جدّه أبي أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعن محمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، والزهرى، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم.

وروى عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري، مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وابن جريج، وشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، وحاتم بن إسماعيل، وحفص بن غياث، ومحمد بن إسحاق بن يسار. وقال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلاله النبيين.

وأما قوله: اشتغل بالعبادة» «... ١».

أقول:

لم يلتفت الرجل إلى كلمة العلامة: «أفضل أهل زمانه وأعبدهم» لا بالنفي ولا بالإثبات ... ولنورد كلمات عدّة من أئمة القوم تأكيداً لما ذكره العلامة رحمه الله:

قال إمامهم مالك بن أنس: «جعفر بن محمد، اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال، إما مصلّ وإما صائم وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث إلّا عن طهارة» «٢».

وقال إمامهم أبو حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إلى فقال: يا أبا حنيفة: إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من المسائل الشداد،

(١) منهاج السنّة ٥٢ / ٤ - ٥٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٨٩ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٢

فهيات له أربعين مسألة، ثم بعث إلى أبو جعفر - وهو بالحيرة - فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه وأومأ إلى، فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال جعفر: نعم. ثم أتبعها قد أتانا - كأنه كره ما يقول فيه قوم إنه إذا رأى الرجل عرفه - ثم التفت المنصور إلى فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك. فجعلت ألقى عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تبعناهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: ألسنا رويناً أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» (١).

وقال ابن حبان: «كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً» (٢).

وقال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: «ثقة لا يسأل عن مثله» (٣).

وقال ابن خلكان: «كان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر» (٤).

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: «كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرئاسة» (٥).

وقال أبو الفتح الشهرستاني: «جعفر بن محمد الصادق، هو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ما تعرض للإمامة قط، ولا نازع في الخلافة أحداً. ومن غرق في

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة ٢٢٢ / ١، تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٦.

(٢) الثقات ١٣١ / ٦ وعنه تهذيب التهذيب ٨٩ / ٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٨٨ / ٢.

(٤) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧.

(٥) صفة الصفوة ٢ / ٩٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٣

بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط» (١).

وقال أبو نعيم: «جعفر بن محمد الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرئاسة والجموع» (٢).

وقال النووي: «اتفقوا على إمامته وجلالته» (٣).

وأما الذين ذكر أنهم أخذوا عنه، فهم بعض من كل، كما لا يخفى على من راجع ترجمته في الكتب المذكورة وغيرها.

وأما أخذه عن الذين ذكرهم فكذب، ومما يوضح كذبه دعواه الأخذ عن الزهري الذي عرفت حاله.

قال قدس سره: قال علماء السيرة: إنه انشغل بالعبادة عن طلب الرئاسة.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما قوله: اشتغل بالعبادة عن الرئاسة، فهذا تناقض من الإمامية، لأن الإمام عندهم واجب أن يقوم بها وبأعبائها، فإنه لا إمام في وقته إلا هو، فالقيام بهذا الأمر أعظم لو كان واجباً وأولى من الاشتغال بنوافل العبادات» (٤).

أقول:

إن الإمام المنصوص عليه بالإمامة يجب عليه قبولها والقيام بأعبائها متى ما أقبل عليه المسلمون وبايعوه وطلبوا منه ذلك، لكن هذا لم يكن من الناس، وعلى الجملة، فإن الحكومة والرياسة من شؤون الإمام الحق، فإن تمكن منها وجبت عليه وإلا لم

(١) الملل والنحل ١/ ١٦٦.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٩٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٥.

(٤) منهاج السنّة ٤/ ٥٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٤

تجب عليه المطالبة بها، كما هو الحال بالنسبة إلى النبي. وفي كلمات أئمة أهل البيت ممّا يشهد بذلك كثير، ومن ذلك كلمات الأمير عليه السلام في (نهج البلاغة).

ثم إن الذي ذكره العلامة لم يكن منقولاً عن الإمامية حتى يكون تناقضاً منهم، بل إنه قال: «قال علماء السيرة» ... وقد وجدت هذا القول في الكلمات التي نقلناها، في عبارة ابن الجوزي، وأبي نعيم، والشهرستاني ... لكن الرجل نسب هذا إلى العلامة نفسه قائلاً: «وأما قوله» ... حتى يشكل بالتناقض على زعمه!!

قال قدس سره: قال عمرو بن أبي المقدم: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

الشرح:

كلام عمرو بن أبي المقدم هذا، مذكور في ترجمة الإمام عليه السلام في (تهذيب التهذيب) و (تهذيب الأسماء واللغات) وغيرهما، كما نقله المعترض نفسه أيضاً. ممّا يدلُّ على اعتنائهم به وبكلامه، إلا أنهم يتهمونه بالرفض لتقديمه علماً على الشيخين، ولهذا السبب رفض بعضهم الحديث عنه!!

انتشار العلوم منه ... ص: ٢٤٤

قال قدس سره: وهو الذي انتشر منه ...

الشرح:

وأما انتشار العلوم المختلف منه، فقد أشار إلى ذلك أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني في كلامه المتقدم، وقال اليافعي بترجمته: «له كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها. قد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة، يتضمن رسائله وهي خمسمائة رسالة» (١).

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٣٠٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٥

وقال الآلوسي: «هذا أبو حنيفة- وهو من أهل السنّة- يفتخر ويقول بأفصح لسان:

لولا السنّتان لهلك النعمان» يعنى اللّتين جلس فيهما لأخذ العلم من الإمام جعفر الصادق «١».

لكن الرجل لم يفهم مغزى هذا الكلام! فقال:

«وأما قوله: هو الذي نشر فقه الإمامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية. فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين: إمّا أنه ابتدع في العلم ما لم

يكن يعلمه من قبله، وإما أن يكون الذي قبله قَصَّرَ فيما يجب من نشر العلم. وهل يشك عاقل أن النبي صَلَّى الله عليه وآله يبين لأئمة المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية أكمل بيان، وأن أصحابه تلقوا عنه ذلك وبلغوه إلى المسلمين؟ وهذا يقتضي القدح إما فيه وإما فيهم، بل هو كذب على جعفر الصادق، أكثر مما كذب على من قبل، فالآفة وقعت من الكذابين عليه لا منه». أقول:

بالله عليك! أي شيء قاله العلامة رحمه الله حتى تتوجه إليه هذه التهم والإفترادات؟! يقول العلامة: «إن الصادق عليه السلام نشر المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية» وكل من يكون من أهل اللغة - إلا - من في قلبه مرض - يفهم من هذا الكلام أن الصادق عليه السلام علم ويبين وشرح وبلغ المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية التي كان قد جاء بها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وتعلمها منه عن طريق آبائه، فلا هو ابتدع أشياء، ولا أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قَصَّرَ ... ولا قدح فيه ولا في أصحاب الرسول الذين تعلموا منه شيئاً وبلغوا ما تعلموا كما تعلموا ...

(١) مختصر التحفة الإثنا عشرية: ٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٦

قال قدس سره: وكان لا يخبر بأمر إلا وقع، وبه سمّوه الصادق الأمين، وكان عبدالله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعة لولده فقال له ...

الشرح:

حياته سلام الله عليه مليئاً بالوقائع من هذا القبيل، فقد كان صادقاً، «مستجاب الدعوة، إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلّا هو بين يديه» (١)، ولا يخبر بشيء إلا ويقع، ومن ذلك ما ذكره العلامة من أمر العلويين.

روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن عمر بن شبة بأسانيده: إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم: إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ... فبايعوا جميعاً محمداً [بن عبد الله بن الحسن] وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد، قال عبد الله بن الحسن: لا نريد جعفرًا لئلا يفسد عليكم أمركم ...

وجاء جعفر فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فقال: لا تفعلوا؛ فإن هذا الأمر لم يأت بعد.

فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، والله ما أطلعك الله على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن ذا وإخوته وأبنائهم دونكم - وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن - وقال: إنها - والله - ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم، وإن ابنك لمقتولان.

ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: رأيت صاحب

(١) نور الأبصار: ٢٩٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٧

الزّداء الأصفر، يعني أبا جعفر؟ قال: نعم. قال: فإننا - والله - نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقنت محمداً؟ قال: نعم.

قال: فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة. قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلها.

قال: فلمّا قال جعفر ذلك نقض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها، وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال:

نعم أقوله والله وأعلمه» (١).

الإمام موسى الكاظم عليه السلام ... ص: ٢٤٧

إشارة

قال قدس سره: وكان ابنه موسى الكاظم عليه السلام يدعى بالعبد الصالح ...

الشرح:

أنظر من أشهر كتب القوم المعتمدة: صفوة الصفوة: ١٢٤ / ٢، مرآة الجنان:

٣٩٤ / ١، مطالب السؤل: ٧٦ تهذيب التهذيب: ٣٠٢ / ١٠، تاريخ بغداد: ٢٧ / ١٣، تهذيب الكمال: ٤٤ / ٢٩.

قال قدس سره: كان أعبد أهل وقته يقوم الليل ويصوم النهار. سمي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال ...

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما من بعد جعفر، فموسى بن جعفر، قال فيه أبو حاتم الرازي:

ثقة أمين صدوق من أئمة المسلمين. قلت: موسى ولد بالمدينة سنة بضعة وعشرين ومائة، وأقدمه المهدي إلى بغداد، ثم رده إلى

المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصوراً من عمره، فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في

(١) مقاتل الطالبين: ١٤٠-١٤٢ ملخصاً. وعنه الشيخ المفيد في الإرشاد ١٩٠ / ٢، ومصادر أخرى.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٤٨

حبسه. قال ابن سعد: توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة، وليس له كثير رواية. روى عن أبيه جعفر، وروى عنه أخوه علي، وروى له

الترمذي وابن ماجه» (١).

أقول:

هذا كلامه، فلم ينكر إلى هنا شيئاً مما ذكره العلامة واكتفى بنقل كلمة أبي حاتم ...

ولننقل كلمات أخرى تشييداً لما ذكره العلامة، ثم نشير إلى ما في كلام ابن تيمية.

قال ابن حجر: «عنه أخواه علي ومحمد. وأولاده: إبراهيم وحسين وإسماعيل وعلي الرضى. وصالح بن يزيد ومحمد بن صدقة العبرى.

قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. قال يحيى بن الحسين بن جعفر النسابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح

من عبادته واجتهاده. وقال الخطيب: يقال إنه ولد بالمدينة في سنة ثمان وعشرين ومائة ... ومناقبه كثيرة..» (٢).

وقال الخطيب: «كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، روى أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله

فسجد سجدة في أول الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب من عندى فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل

المغفرة. فجعل يرددّها حتى أصبح. وكان سخيّاً كريماً، وكان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار» (٣).

ونقل ابن خلكان كلام الخطيب المذكور، ثم نقل عن المسعودى ما سنذكره.

وقال الذهبي: «موسى الكاظم (ت، ق)، الإمام القدوة ... ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين. قلت: له عند

الترمذي وابن ماجه حديثان ... له مشهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد، ولولده علي بن موسى مشهد عظيم

(١) منهاج السنّة ٥٥ / ٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٠٢-٣٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ٢٩ / ١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٤٩

بطوس. وكانت وفاة موسى الكاظم في رجب سنة ١٨٣ «١».

وقال ابن الجوزي: «موسى بن جعفر، كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال» «٢».

وقال القرمانى: «هو الإمام الكبير الأوحـد الحجة، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط» «٣».

وقال ابن حجر المكي: «هو وارث أبيه علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم» «٤».

وقال ابن طلحة: «هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير، المجتهد الجاد في الاجتهاد المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصديقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظماً، كان يجازى المسئ بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله، لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضى بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول» «٥».

هذه بعض كلمات المخالفين.

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٠ - ٢٧٤.

(٢) صفه الصفوة ٢/ ١٠٣.

(٣) أخبار الدول: ١١٢.

(٤) الصواعق المحرقة: ١١٢.

(٥) مطالب السؤل: ٤٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٥٠

وأما مناقبه وفضائله في كتب الشيعة القائلين بإمامته فلا تكاد تحصى، تجدها مروية بالأسانيد المعتبرة في (الإرشاد) للشيخ المفيد، و (المناقب) لابن شهر آشوب، و (إعلام الوري) للطبرسي، و (كشف الغمة) للإربلي، و (إثبات الهداة) للحزب العاملي، و (بحار الأنوار) للمجلسي...

كما ألفت في أحواله وفضائله كتب خاصة.

ولد بالأبواء، قرية من قرى المدينة المنورة، وكانت سنة ولادته (١٢٨) وقيل (١٢٧) وقيل (١٢٩) وتوفي سنة ١٨٣، وقيل غير ذلك، في سجن هارون وكان قد كتب إليه من السجن: «إنه لن ينقضى عني يوم من البلاء حتى ينقضى عنك يوم من الرخاء، حتى نفني [نقضى] جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، وهناك يخسر المبطلون» «١».

ولم تكن وفاته حتف أنفه، وإنما توفي مسموماً.

وأما قول الرجل: «وليس له كثير رواية، روى عن أبيه جعفر، وروى عنه أخوه علي، وروى له الترمذي وابن ماجه».

فأقول:

حسبه الرواية عن أبيه جعفر، فإن الصيد كله في جوف الفرا.

وأما الرواة عنه فلا يُعدون كثرةً، أمّا من أهل بيته فأخوه علي بن جعفر وأولاده، وأمّا من غيرهم، فقد ذكر ابن حجر بعضهم مع أخويه وأولاده، وقال الخزرجي: «وعنه:

ابنه على الرضا، وأخواه على ومحمد ابنا جعفر بن محمد، وطائفة» (٢).

وأما أصحابنا، فذكروا في الكتب الرجائية أسامي كثيرين من تلامذته والرواة عنه، يعدون بالآلاف، وعن طريقهم امتلأت كتبهم الفقهية وغيرها بالأخبار في الأحكام

(١) تهذيب الكمال ٢٩/ ٥٠، البداية والنهاية ١٠/ ١٩٧، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٣.

(٢) خلاصة تهذيب تهذيب الكمال: ٣٩٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٥١

الشرعية والمعارف الدينية والعلوم الإسلامية...

وأما الرجل، فقد حاول التقليل من أهمية الإمام الكاظم والحط من شأنه وشأن الرواة عنه، حتى أنه يذكر رواية ولده الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام وأخذه عنه. وأما عدم رواية المؤلفين في الحديث من أهل السنة عنه - عدا الترمذي وابن ماجه - فهو من سوء حظهم وعدم توفيقهم، وانحرافهم عن أهل البيت والعترة الطاهرة.

قال قدس سره: قال ابن الجوزي من الحنابلة...

الشرح:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الفقيه الحنبلي الحافظ الواعظ، قال ابن خلكان: «كان علامة عصره وإمام وقته» (١)، وقال الذهبي: «الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق» (٢)، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٥٩٧. له ترجمة في الوافي بالوفيات ٢/ ٣٢١، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١، النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٤ وغيرها.

قصة شقيق البلخي ... ص: ٢٥١

قال قدس سره: عن شقيق البلخي...

الشرح:

قال أبو نعيم: «شقيق بن إبراهيم البلخي، أحد الزهاد في المشرق» (٣).

وقال ابن حجر: «مناقب شقيق كثيرة جداً» (٤).

(١)

وفيات الأعيان ٣/ ١٤٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٥٨.

(٤) لسان الميزان ٣/ ١٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٥٢

قال قدس سره: قال: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسيّة، فإذا شاب حسن الوجه، شديد السمرة، عليه ثوب صوف...

الشرح:

رواه أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧٩ في كتابه صفه الصفوة:

٢/ ١٢٥، ورواه غيره أيضاً «١».

لكن ابن تيمية الذي لا يطيق سماع منقبة من مناقب أئمة العترة، وإن كان راويها من غير الشيعة يقول: «وأما الحكاية المشهورة عن شقيق البلخي فكذب»، ثم يعلل هذا التكذيب المنبعث من الحقد والعناد بقوله: «فإن هذه الحكاية تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر، وموسى كان مقيماً بالمدينة بعد موت أبيه جعفر، وجعفر مات سنة ثمان وأربعين، ولم يكن قد جاء إذ ذاك إلى العراق، حتى يكون بالقادسية..» «٢».

عجيب! إنه يتكلم وكأنه محيط بجميع أيام الإمام وحالاته، وعارف بزمانه عليه السلام وخصوصياته... أكثر من غيره... إن هذه الحكاية رواها شيعته الذين هم أعرف الناس به وبما يتعلق به، مضافاً إلى الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الذي هو عراقي بغدادى، وله كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم) من الكتب التاريخية المعتمدة، ومضافاً إلى غيره من الأعلام. لكنه البغض والحقد والعناد، فلو كانت هذه القضية لزيد أو لعمر أو ممن يتولاهم الرجل، لتكلم في إطرائها وتقريظ صاحبها صحائف عديدة... هذه حال هذا الرجل في هذه الحكاية، وعلى هذه فقس ما سواها.

(١) أنظر: أخبار الدول: ١١٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٢٩، مطالب السؤل: ٤٤٩، نور الأبصار: ١٣٥، وغيرها.

(٢) منهاج السنة ٤/ ٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٥٣

توبة بشر الحافي على يده ... ص: ٢٥٣

قال قدس سره: وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي...

الشرح:

قال الخطيب: «بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر، المعروف بالحافي، مروزي سكن بغداد، وهو ابن عم علي بن خشرم، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول... وكان كثير الحديث... وأطال بذكر مناقبه وفضائله جداً «١».

وعنه ابن الجوزي وذكر أن له كتاباً في فضائل بشر «٢».

قال قدس سره: لأنه اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء...

الشرح:

وكذب ابن تيمية هذه الحكاية كسابقتها، وعلل تكذيبه للعلامة هذه المرة بقوله المضحك المبكى: «وأما قوله: تاب على يده بشر الحافي، فمن أكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر، فإن موسى بن جعفر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسه، فلم يكن ممن يجتاز على دار بشر وأمثاله من العامة» «٣».

فإذا كان العلامة لا يعرف حال الإمام فمن العارف؟ إنه ليس لهذا الرجل أن يدعى المعرفة بأحوال أئمة أهل البيت بقدر ما يعرفه أفراد العوام من شيعتهم... وأصدق شاهد على جهله بأحوالهم نفس هذا الكلام - إن سلمنا صدوره عن الجهل لا العناد

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٧١.

(٢) المنتظم ١١/ ١٢٢ - ١٢٥.

(٣) منهاج السنة ٤/ ٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٥٤

للأئمة عليهم السلام - لأن الإمام عليه السلام قد أطلق سراحه من السجن بأمر من هارون، وكان في بغداد مدة من الزمن، ثم عاد هارون فسجنه حتى لحق بآبائه مسموماً، وهذا مما اتفق عليه المؤرخون وفيه كرامة من كرامات الإمام عليه السلام.

فقد قال ابن خلكان بترجمته عليه السلام: «قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد: إن عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته، فقال: أتاني رسول الرشيد وقتاً ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك، فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول عليه فدخلت، فوجدته قاعداً في فراشه، فسلمت عليه، فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف الجزع علي، ثم قال:

يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟

قلت: لا والله يا أمير المؤمنين.

قال: إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حرباء فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرّتك في هذه الساعة بهذه الحرباء، فاذهب فخلّ عنه.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر، ثلاثاً؟

قال: نعم، إمض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب، وإن أحببت المضى إلى المدينة فالإذن في ذلك لك.

قال: فمضيت إلى الحبس ... وخلّيت سبيله وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً.

قال: فإني أخبرك، بينما أنا نائم، إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا موسى، حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس.

فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ قال: قل: يا سامع كل صوت ويا سابق كل فوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٥٥

المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً، فرّج عني، فكان ما ترى» (١).

ولقد كانت هذه الفترة فرصة لاستفادة المستفيدين منه، وهداية المسترشدين على يده، ومنهم بشر الحافي، الذي تاب حتى كان من خيرة الصالحين على ما ذكروا بتراجمه.

وإذ سمعت هذا، فاحكم على هذا المعترض على العلامة بما شئت.

الإمام علي الرضا عليه السلام ... ص: ٢٥٥

إشارة

قال قدس سره: وكان ولده علي الرضا عليه السلام أزهد أهل زمانه وأعلمهم.

الشرح:

قال ابن تيمية: «من المصائب التي ابتلى بها ولد الحسين، انتساب الرافضة إليهم وتعظيمهم ومدحهم لهم، فإنهم يمدحونهم بما ليس بمدح، ويدعون لهم دعاوى لا حجة لها، ويدكرون من الكلام ما لو لم يعرف فضلهم من غير كلام الرافضة، لكان ما تذكره الرافضة

بالقدح أشبه منه بالمدح!!» «٢».

أقول:

من المصائب التي ابتلى بها رسول الله وبضعته وأهل بيته عليهم السّلام: وجود النواصب لهم في كلّ زمان، ودعواهم الإسلام، وانتسابهم إلى العلم، واستناد مثلهم إلى كلامهم ... هؤلاء الذين بلغ بهم العداء حدّاً يجعلون الوصف بالزهد والعلم ونحو ذلك مدحاً بما ليس بمدح، وأنه أشبه بالقدح!!

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) منهاج السنّة ٤/ ٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٥٦

قال: «وأما قوله: إنه كان أزهد الناس وأعلمهم، فدعوى مجرّدة بلا دليل» «١».

أقول: نعم، لا دليل على ذلك عند هذا الرجل وأمثاله!! لكن هناك في كلمات المحدثين والمؤرخين من غير شيعة أهل البيت عليهم السّلام ما يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة وتعتقد في أئمتها، وإليك بعض تلك الكلمات: قال الحافظ السمهودي «٢»: «على الرضا بن موسى الكاظم، كان أوحّد أهل زمانه، جليل القدر، أسلم على يده أبو محفوظ معروف الكرخي ...

وقال له المأمون: بأيّ وجه صار جدّك على بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟

فقال: ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: حبّ على إيمان وبغضه كفر؟

قال: بلى.

قال الرضا: فقسم الجنة والنار إذاً كان على حبه وبغضه.

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن. أشهد أنك وارث علم رسول الله صلّى الله عليه وآله» «٣».

وقال كمال الدين محمد بن طلحة «٤»: «أبو الحسن على بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق.

قد تقدّم القول في أمير المؤمنين على، وفي زين العابدين على. وجاء هذا على الرضا ثالثهما، ومن أمعن نظره وفكره، وجده في الحقيقة وارثهما، فيحكم بكونه ثالث العليين، نمي إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، واتسع إمكانه، وكثر أعوانه، وظهر

(١) منهاج السنّة ٤/ ٦٠.

(٢) هو: على بن عبد الله، المتوفى سنة: ٩١١.

(٣) جواهر العقدين ق ٢ ج ٢ ص ٤٢٧.

(٤) هو المحدث الفقيه الشافعي: المتوفى سنة: ٦٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٥٧

برهانه، حتى أحله الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته.

وكانت مناقبه عليّة، وصفاته الشريفة سيّئة، ومكارمه حاتميّة، وشنشتته أخزمية، وأخلاقه عربيّة، ونفسه الشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبويّة، فمهما عدّ من مزاياه كان أعظم منه، ومهما فضّل من مناقبه كان أعلى مرتبة عنه» «١».

وقال الشبلنجي «٢»: «قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال من كل شيء فيجيبه الجواب الشافي، وكان قليل النوم كثير الصوم، لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويقول: ذلك صيام الدهر. وكان كثير المعروف والصدقة، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة. وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح» «٣».

وقال الجويني «٤»: «الإمام الثامن: مظهر خفيات الأسرار، ومبرز خبيات الأمور الكوامن، منبع المكارم والميامن، ومنبع الأعالى الحضارم والأيامن، منبع الجناب، رفيع القباب، وسيع الرحاب، هموم السحاب، غزير الألطاف، عزيز الأكناف، أمير الأشراف، قرّة عين آل ياسين وآل عبد مناف، السيد الطاهر المعصوم، والعارف بحقائق العلوم، والواقف على غوامض السر المكتوم، والمخير بما هو آت وعمّا غبر ومضى، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال، ولذا لقب بالرضا،

(١) مطالب السؤل: ٤٥٤.

(٢) هو: الشيخ مؤمن بن حسن المتوفى بعد سنة: ١٣٠٨.

(٣) نور الأبصار: ٣١٢.

(٤) هو: الشيخ إبراهيم بن محمد، من مشايخ الذهبي. توفي سنة: ٧٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٥٨

على بن موسى «... ١».

وقال ابن حجر المكي «٢»: «وكان أولاد موسى بن جعفر حين وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وأنثى، منهم على الرضا، وهو أنبههم ذكراً، وأجلهم قدراً، ومن ثم أحله المأمون محلّ مهجته، وأنكحه ابنته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته» «... ٣».

فهذه طائفة مما قيل في مدحه ... علماً وزهداً وجلالة ... وسيأتي غيرها أيضاً.

أخذ الفقهاء عنه ... ص: ٢٥٨

قال قدس سره: وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً.

الشرح:

قال ابن تيمية: «ولم يأخذ عنه أحد من أهل العلم بالحديث شيئاً، ولا روى له حديث في الكتب الستة، وإنما يروى له أبو الصيّلت الهروي وأمثاله نسخاً عن آبائه فيها من الأكاذيب ما قد نزه الله عنه الصادقين من غير أهل البيت فكيف بالصادقين منهم».

أمّا قوله: «إنه أخذ فقهاء الجمهور كثيراً» فهذا من أظهر الكذب ...

وما يذكره بعض الناس من أن معروفاً الكرخي كان خادماً له، وأنه أسلم على يديه، أو أن الخرقه متصله منه إليه، فكله كذب باتفاق من يعرف هذا الشأن» «٤».

أقول: هنا أمور:

الأول: في أخذ فقهاء الجمهور عن الإمام الرضا عليه السلام. ويكفي في هذا المقام الكلمات التالية:

قال الواقدي: «سمع على الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة، يفتي

(١) فرائد السمطين ٢/ ١٨٧.

(٢) المتوفى سنة: ٩٧٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٢٢.

(٤) منهاج السنة ٦١ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٥٩

بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة» (١). وقال الحاكم النيسابوري: «على بن موسى، أبو الحسن، ورد نيسابور سنة مائتين، وكان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة. روى عنه من أئمة الحديث: المعلى بن منصور الرازي، وآدم بن أبي أياس العسقلاني، ومحمد بن أبي رافع القصري القشيري، ونصر بن علي الجهضمي، وغيرهم. واستشهد ب (سناباد) من طوس في رمضان سنة ٢٠٣ وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر» (٢).

وقال ابن الجوزي: «كان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن نيف وعشرين سنة» (٣).

وقال ابن كثير: «على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي العلوي، الملقب بالرضا. كان المأمون قد هم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله ولي العهد من بعده، كما قدمنا ذلك. توفي في صفر من هذه السنة بطوس. وقد روى الحديث عن أبيه وغيره، وعنه جماعة منهم:

المأمون، وأبو الصلت الهروي، وأبو عثمان المازني النحوي» (٤ ... ٤).

وقال المزي: «ق: علي بن موسى ... روى عنه: أبو بكر أحمد بن الحباب بن حمزة الحميري النسابة، وأيوب بن منصور النيسابوري، ودارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني، وأبو أحمد داود بن سليمان بن يوسف الغازي القزويني له عنه نسخة، وسليمان بن جعفر، وعامر بن سليمان الطائي والد أحمد بن عامر أحد الضعفاء، له عنه

(١) تذكرة خواص الأئمة: ٣٥١.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٣٩ / ٧، فرائد السمطين ١٩٩ / ٢، عن تاريخ نيسابور.

(٣) المنتظم ١٢٠ / ١٠.

(٤) البداية والنهاية. حوادث ٢٠٣، ٢٧٣ / ١٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٠

نسخة كبيرة، وعبد الله بن علي العلوي، وأمير المؤمنين أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، وأبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي (ق)، وعلي بن صدقة الشطي الرقي، وعلي بن علي الخزاعي الدعبل، وعلي بن مهدي بن صدقة بن هشام القاضي، له عنه نسخة، ومحمد بن سهل بن عامر البجلي، وابنه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى، وأبو جعفر محمد بن حيان التمار البصري، وموسى بن علي القرشي، وأبو عثمان المازني النحوي» (١).

وقال الذهبي: «وروى عنه فيما قيل: آدم بن أبي أياس - وهو أكبر منه - وأحمد بن حنبل، ومحمد بن رافع، ونصر بن علي الجهضمي، وخالد بن أحمد الذهلي الأمير» (٢).

وقال الذهبي: «علي بن موسى الرضا - ق، د، ت - أحد الأعلام. هو الإمام أبو الحسن ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، العلوي، الحسيني. روى عن: أبيه وعبد الله بن أروطة. وعنه: ابنه أبو جعفر محمد، وأبو عثمان المازني، والمأمون، وعبد السلام بن صالح، ودارم بن قبيصة، وطائفة ...

وكان سيد بني هاشم في زمانه وأجلهم وأنبههم، وكان المأمون يعظمه ويضع له ويتغالي فيه، حتى أنه جعله ولي عهده من بعده، وكتب بذلك إلى الآفاق» (٣ ... ٣).

وقال ابن حجر قال الحاكم: «سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي على الثقفي مع جماعة من مشايخنا- وهم إذ ذاك متوافرون- إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه- يعني ابن خزيمة- لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه

(١) تهذيب الكمال ٢١/ ١٤٨- ١٤٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٨.

(٣) تاريخ الإسلام ١٤/ ٢٦٩- ٢٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦١

عندها ما تحيرنا» (١).

وجاء في غير واحد من الكتب: إنه لما دخل الإمام نيسابور راكباً خرج إليه علماء البلد، وبأيديهم المحابر والدوى، وتعلّقوا بلجام دابّته وحلّفوه أن يحدّثهم بحديث عن آبائه فقال: «حدّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه ... علي بن أبي طالب قال: حدّثني حبيبي وقزّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حدّثني جبريل قال: سمعت رب العزة يقول: لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني وأمن من عذابي».

وفي رواية: إنه روى عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سألت رسول الله: ما الإيمان؟ قال: معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».

وعن أحمد: «إن قرأت هذا الإسناد على مجنون برئ من جنونه».

هذا، وقد كان على رأس العلماء الذين طلبوا من الإمام أن يحدّثهم: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وياسين بن النضر، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى ... وقد عدّ أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً (٢).

أقول: فمن الكاذب إذن!!

الثاني: في رواية أرباب الكتب الستة عنه.

وقد عرفت من الكلمات السابقة رواية ثلاثة منهم عن الإمام الرضا عليه السلام، فإن (ق) رمز لابن ماجه القزويني، و (د) لأبي داود السجستاني، و (ت) رمز للترمذي.

فقول الرجل: «ولا روى له حديث في الكتب الستة» كذب آخر.

هذا، ولا يخفى أنه قد حقق في محله أن ليس كلّ من روى له حديث في هذه الكتب بثقة، وليس كلّ من لم يرو عنه فيها غير ثقة.

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٩.

(٢) أخبار إصبهان ١/ ١٣٨، المنتظم في أخبار الأمم ١٠/ ١٢٠، الصواعق المحرقة: ١٢٢ عن تاريخ نيسابور، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢/ ١٠٠٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٢

أمّا أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم أعلا وأجل وأشرف من أن توزن أحاديثهم الصحيحة الثابتة عنهم بهذه الموازين، بل السعيد من أخذ عنهم واتبعهم، والشقي من أعرض عنهم وخالفهم.

ترجمة أبي الصلت الهروي ... ص: ٢٦٢

الثالث: في بيان حال أبي الصلت الهروي:

كان أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي من أصحاب الإمام الرضا والملازمين له، والرواة لأحاديثه وأخباره، بل في (تهذيب الكمال): «وهو خادم على بن موسى الرضا». وقد ذكروا بترجمته أنه كان عالماً فقيهاً أديباً، يردّ على أهل الأهواء من المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية وينظرهم، وفي كل ذلك كان الظفر له.

وذكروا أيضاً: أنه كان يقدم أبا بكر وعمر ولا يذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلا بالجميل. ولهذه الأمور وغيرها، فقد وثقه غير واحد من الأئمة، وعلى رأسهم إمام أهل الجرح والتعديل يحيى بن معين «١». لكنهم مع ذلك رموه بالتشيع، لروايته عن الإمام الرضا وغيره بعض المناقب والفضائل لأمر المؤمنين عليه السلام، الدالة على أفضليته وإمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كحديث: أنا مدينة العلم وعلى بابها، ثم أفرط بعض المتعصبين وجعل يتكلم في الرجل ويقع فيه. حتى قال الجوزجاني - المعروف بالنصب «٢»:- «كان أبو الصلت الهروي زائغاً عن الحق مائلاً عن القصد».

(١) كذا قالوا في حقه، من ذلك: تقريب التهذيب ٣٥٨ / ٢.

(٢) أنظر: لسان الميزان ١٦ / ١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٦٣

وقال ابن عدي: «له أحاديث منكير في فضل أهل البيت وهو متهم فيها».

وقال الدارقطني: «كان رافضياً خبيثاً» «١».

وكل ذلك، كما توحى به كلماتهم، لروايته فضائل أهل البيت ... وإلا فالرجل ثقة صدوق ... وهذا ما نص عليه الحافظ ابن حجر حيث قال: «صدوق، له منكير، وكان يتشيع، وأفرط العقيلي فقال: كذاب» «٢».

إسلام معروف الكرخي على يده ... ص: ٢٦٣

الرابع: في إسلام معروف الكرخي على يد الإمام.

فقد كذب ابن تيمية «٣» خبر إسلام معروف على يد الإمام الرضا عليه السلام، كما كذب من قبل توبة بشر الحافي على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم ... وقد جاء الخبر في أكثر من كتاب ومصدر، من ذلك قول ابن خلكان: «وهو من موالى على بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره، وكان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدّبهم وهو صبي، فكان المؤدّب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً، فهرب منه، وكان أبواه يقولان: ليت يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه. ثم إنه أسلم على يد على بن موسى الرضا ورجع إلى أبيه، فدق الباب فقبل له: من الباب؟ فقال: معروف. فقبل له: على أي دين؟ فقال: على الإسلام. فأسلم أبواه» «٤».

أقول: لقد ذكروا بتراجمه كرامات عجيبة له، فحاولوا التكتّم على كونه من موالى الإمام وعلى إسلامه على يده عليه السلام، لئلا يكون ذلك فضيلة له ...!!

(١) لاحظ الكلمات بترجمته من الكتب الرجالية، كتهذيب الكمال ٧٣ / ١٨.

(٢) تقريب التهذيب ٦٠٠ / ١.

(٣) منهاج السنّة ٤ / ٦١ - ٦٢.

(٤) وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٤

فمنهم من لم يذكر كونه من مواليه ولا- حكى إسلامه على يده، ولا- روى عنه شيئاً مما سمعه من الإمام، كالحافظ أبي نعيم «١» والحافظ ابن الجوزي «٢».

ومنهم من اعترف بكونه من مواليه ولم يذكر عن إسلامه شيئاً، كالشعراني «٣».

ومنهم من حكى قصته مع المؤدب ثم رجوعه إلى أبويه بعد هربه وأنهما أسلما، ولم يزد على ذلك شيئاً، كالذهبي «٤...».

ومنهم من حكى أنه كان حاجباً للإمام فكسروا ضلعه فمات «٥». وهذا ما كذّبه الذهبي فقال: «فلعلّ الرضا كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق» «٦».

أقول: لكن مقامات أئمة أهل البيت عليهم السّلام لا تزيد ولا تنقص بإثبات شيء من هذا القليل أو إنكاره، بل الغرض المهم بيان مدى مخالفة هؤلاء لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وسعيهم وراء التقليل من شأنهم والخط من مقامهم!! قال قدس سره: وتولاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل.

الشرح:

هذا من الأمور الثابتة والقضايا الضرورية، ولو أمكن ابن تيمية إنكاره لفعل، لكنه سكت عنه ولم يتكلم عليه بشيء. وقد جاء بعض ذلك في غير واحد مما تقدم من العبارات ... وسنورد المزيد منها قريباً.

(١) حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠.

(٢) المنتظم ١٠ / ٨٨.

(٣) لوائح الأنوار ١ / ٧٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٣٩.

(٥) طبقات الصوفية: ٨٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٥

قضية زيد النار ... ص: ٢٦٥

قال قدس سره: ووعظ يوماً أخاه زيدا فقال له: يا زيد، ما أنت قائل لرسول الله إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حله، غرّك حُمقاء أهل الكوفة! وقد قال رسول الله: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار... الشرح:

زيد النار، كان يرى وجوب الخروج على السّلطة الحاكمة، فكان ممن خرج مع أبي السرايا ضدّ المأمون، وإنما قيل له (زيد النار) لإحراقه الدور وغيرها. ولما ظفر به المأمون عفا عنه وأرسله إلى الإمام الرضا عليه السلام، لكن الإمام حلف أن لا يكلمه أبداً. راجع أخباره «١».

حديث: «إن فاطمة أحصنت»....

هذا الحديث أيضاً كذب به ابن تيمية بل ادّعى الاتفاق على أنه كذب، وهذا نصّ عبارته: «والحديث الذي ذكره عن النبي صلى الله

عليه وآله عن فاطمة، وهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

ويظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضاً، فإن قوله: (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار)، باطل قطعاً، فإن سارة أحصنت فرجها ولم يحرم الله جميع ذريتها على النار. قال تعالى: «وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ...»
وأيضاً: فصفيته عمه رسول الله صلى الله عليه وآله أحصنت فرجها، ومن ذريتها محسن وظالم. وفي الجملة، اللواتي أحصن فروجهن لا يحصى عددهن إلا الله عز وجل، ومن ذريتهن البر والفاجر والمؤمن والكافر.
وأيضاً: ففضيلة فاطمة ومزيتها ليست بمجرد إحصان الفرج، فإن هذا تشارك فيه

(١) انظر: مقاتل الطالبين: ٤٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٦

فاطمة وجمهور نساء المؤمنين، وفاطمة لم تكن سيده نساء العالمين بهذا الوصف بل بما هو أخص منه، بل هذا من جنس حجج الرافضة، فإنهم لجهلهم لا يحسنون أن يحتجوا ولا يحسنون أن يكذبوا.
وأيضاً: فليست ذرية فاطمة كلهم محرمين على النار... فإن الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر والفسق، بل الرافضة أشد الناس عداوة- إما بالجهل وإما بالعناد- لأولاد فاطمة رضى الله عنها «١».
أقول:

كيف يكون هذا الحديث كذباً باتفاق أهل المعرفة بالحديث وقد رواه:

الحاكم، والخطيب البغدادي، وأبو بكر البزار، وأبو يعلى الموصلي، والطبراني، وأبو نعيم، وابن حجر، والسيوطي، والتمتقي الهندي... وغيرهم؟ وقال الحاكم:

«صحيح» «٢»؟

وهذه فضيلة اختصت بها سيده نساء العالمين، وإن شاركتها في الوصف المذكور غيرها من فضليات النساء.

قال المناوي: «(فحرمها) أى بسبب ذلك الإحصان حرمها (الله وذريتها على النار) أى حرم دخول النار عليهم.

فأما هي وأبنائها، فالمراد في حقهم التحريم المطلق، وأما من عداهم فالمحرم عليهم نار الخلود، وأما الدخول، فلا مانع من وقوعه للبعض للتطهير. هكذا فافهم. وقد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق - رضى الله عنهم - خرج على المأمون... فذكر الخبر «٣».

(١) منهاج السنة ٤/ ٦٢-٦٤.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣/ ١٥٢.

(٣) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٢/ ٥٨٦-٥٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٧

وقال الزرقاني بشرح (المواهب اللدنية): «وروى عن ابن مسعود - رفعه -: إنما سميت فاطمة بإلهام من الله لرسوله - إن كانت ولادتها قبل النبوة، وإن كانت بعدها فيحتمل بالوحي - لأن الله قد فطمها - من الفطم وهو المنع، ومنه فطم الصبي - وذريتها عن النار يوم القيامة. أى: منعهم منها، فأما هي وأبنائها فالمنع مطلق، وأما من عداهم فالممنوع عنهم نار الخلود، فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير. ففيه بشرى لآله صلى الله عليه وآله بالموت على الإسلام، وأنه لا يختم لأحد منهم بالكفر.

نظيره ما قاله الشريف السمهودي في خبر الشفاعة لمن مات بالمدينة، مع أنه يشفع لكل من مات مسلماً. أو: إن الله يشاء المغفرة لمن

واقع الذنوب منهم إكراماً لفاطمة وأبيها صلى الله عليه وآله. أو: يوفقهم للتوبة النصوح ولو عند الموت ويقبلها منهم. أخرجه الحافظ الدمشقي ابن عساكر.

وروى الغساني والخطيب وقال: فيه مجاهيل، مرفوعاً: (إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها من النار) ففيه بشرى عميمة لمن أحبها. وفيه التأويلات المذكورة.

وأما ما رواه أبو نعيم والخطيب: (أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن حديث: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار.

فقال: خاص بالحسن والحسين). وما نقله الأخباريون عنه من توبيخه لأخيه زيد حين خرج على المأمون...

فهذا من باب التواضع والحث على الطاعات وعدم الاغترار بالمناقب وإن كثرت... وإلاً فلفظ ذرية لا يخص بمن خرج من بطنها في لسان العرب «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ الْآيَةُ..» وبينهم وبينه قرون كثيرة، فلا يريد بذلك مثل علي الرضا مع فصاحته ومعرفته لغة العرب.

على أن التقييد بالطائع يبطل خصوصية ذريتها ومحبيها. إلا أن يقال: لله تعذيب الطائع، فالخصوصية أن لا يعذبه إكراماً لها. والله أعلم. شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٨

والحديث الذي سئل عنه أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود، وله شواهد.

وترتيب التحريم على الإحصان من باب إظهار مزية شأنها في ذلك الوصف، مع الإلماح ببنت عمران، ولمدح وصف الإحصان، وإلا فهي محزومة على النار بنص روايات أخر «١».

روايات في فضل زيد بن علي ... ص: ٢٦٨

وأما «أن الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين» ففريضة شنيعة كزرها الرجل في كتابه على الإمامية... فإن الشيعة الإمامية تعظم زيدا وتحترمه، وتروى عن النبي والأئمة المدح والثناء عليه.

كالحديث الذي رواه رئيس محدثيهم الشيخ الصدوق عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال للحسين: «يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنة بغير حساب» «٢».

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه» «٣».

وعن الرضا عليه السلام: «كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله» «٤».

وأما كلمات المدح والثناء والتعظيم من كبار علماء الطائفة فكثيرة جداً.

(١) شرح المواهب اللدنية ٢٠٣/٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢/٢٢٦.

(٣) رجال الكشي: ١٨٤.

(٤) عيون أخبار الرضا ٢/٢٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٦٩

قال المفيد: «كان زيد بن علي بن الحسين عين أخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام» ثم روى بأسانيده أخباراً في فضله وقال: «لما قتل بلغ ذلك من

أبى عبد الله عليه السلام كلّ مبلغ، وحزن له حزناً شديداً عظيماً حتى بان عليه، وفَرَّق من ماله على عيال من أصيب مع زيد من أصحابه ألف دينار» (١).

قال قدس سره: واللّه ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته، إنك إذا لأكرم على الله منهم! الشرح:

روى هذا الخبر المناوى عن أهل السير (٢).

قال قدس سره: وضرب المأمون اسمه على الدراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته، وطرح السواد ولبس الخضره. الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما ما ذكره من تولية المأمون له الخلافة فهذا صحيح، لكن ذلك لم يتم ... ولم يجعله وليّ عهده» (٣). أقول:

جاء ذلك في كافه كتب التاريخ والسير، وقد تقدّم النقل عن بعضها.

وقال ابن الجوزي: «وفي هذه السنه جعل المأمون على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين وليّ عهد المسلمين والخليفه من بعده، وسماه الرضى من آل محمد، وأمر جنده أن يطرح السواد ولبس ثياب الخضره، وكتب بذلك إلى الآفاق،

(١) الإرشاد ٢ / ١٧١ - ١٧٣.

(٢) فيض القدير ٢ / ٥٨٧.

(٣) منهاج السنه ٤ / ٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامه، ج ١، ص: ٢٧٠

وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من رمضان هذه السنه. فكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد يخبره أن أمير المؤمنين قد جعل على بن موسى الرضى وليّ عهده، وذلك أنه نظر في بنى العباس وبنى على، فلم يجد أحداً أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنه سماه الرضى من آل محمد، وأمر أن يأمر من قبله من الجند والقواد وبنى هاشم بالبيعة له ... ثم ذكر نصّ العهد الذى كتبه المأمون بخطه للإمام عليه السلام، وما كتبه الإمام، والشهادات على ذلك (١).

وقد جاء الخبر كذلك قبله فى تاريخ الطبرى (٢) وعنه فى الكامل فى التاريخ (٣).

وكذا هو فى تاريخ ابن خلكان قال: «وجعله وليّ عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وكان السبب فى ذلك ... أنه نظر فى أولاد العباس وأولاد على بن أبى طالب، فلم يجد فى وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من على الرضا، فبايعه» (٤ ...).

واختصر السيوطى الخبر فقال: «وجعل وليّ العهد من بعده على الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، حملة على ذلك إفراطه فى التشيع، حتى قيل: إنه همّ أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه، وهو الذى لقّبه الرضا، وضرب الدراهم باسمه، وزوّجه ابنته، وكتب إلى الآفاق بذلك، وأمر بترك السواد ولبس الخضره» (٥).

أقول: فانظر كيف ينكر الرجل الحقائق التاريخيه، واحكم عليه بما يوجه الحق!!

(١) المنتظم ١٠ / ٩٣ - ٩٩.

(٢) تاريخ الطبرى ٨ / ٥٥٤.

(٣) الكامل لابن الأثير ٦ / ٣٢٦.

(٤) وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧١

مدح أبي نؤاس الرضا عليه السلام ... ص: ٢٧١

قال قدس سره: وقيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فقال:

قيل لي أنت أفضل الناس طُراً في المعاني وفي الكلام البديه

الشرح:

قال ابن تيمية: «القوم جهال بحقيقة المناقب والمثالب والطرق التي يعلم بها ذلك، ولهذا يستشهدون بأبيات أبي نؤاس، وهي لو كانت صدقاً لم تصلح أن تثبت فضائل شخص بشهادة شاعر معروف بالكذب والفجور الزائد الذي لا يخفى على من له أدنى خبرة بأيام الناس، فكيف والكلام الذي ذكره فاسد، فإنه قال:

قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه!

ومن المعلوم أن هذا وصف مشترك بين جميع من كان من ذرية الرسل ... فإن الناس كلهم من ذرية نوح ومن ذرية آدم» «... ١».

أقول:

أولاً: هل جميع الذين يستند ابن تيمية إلى أقوالهم من شعر وغير شعر في هذا الكتاب وغيره، وكذا غيره من علماء طائفته، عدول مبزؤون من كل ذنب وعيب؟! لماذا يتناسى الرجل استشهاده بكلام أبي سفيان الكافر، ويقول حُذِّقْ المنافقين؟!

ثانياً: إن الإمامية لا يشتون مناقب أئمتهم وفضائلهم بالاستناد إلى شعر هذا وذاك، بل هم في غنى عن ذلك بالأدلة القوية من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة المتفق عليها، وسيأتي قسم منها في كتابنا إن شاء الله تعالى.

وثالثاً: إن المعاني التي يتَّصُّ منها هذا الشعر وأمثاله، إنما هي أخبار وآثار واردة، وليست بقضايا قد أنشأها الشاعر من عند نفسه، فالاستشهاد في الحقيقة إنما هو

(١) منهاج السنة ٤/ ٦٥-٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧٢

بالحديث الذي تضمَّنه الشعر، ولا سيما إذا كان قائله من رواة الحديث أيضاً.

ورابعاً: إن هذا الشعر وغيره ممَّا قاله أبو نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام، المذكور بترجمة الإمام ولغرض المدح له، من قبل كبار العلماء الأجلَّاء المتقدمين على العلامة رحمه الله والمعاصرين له والمتأخرين عنه كما سنرى، فلولا صحة الاستشهاد به عندهم، قولاً وقائلاً، لما كان ذلك منهم يقيناً.

وخامساً: إن السبب الحقيقي لكلام الرجل هذا- ومع الالتفات إلى الوجوه التي ذكرناها- هو: إن أبا نؤاس من الشعراء المحييين لأهل البيت عليهم السلام، وأشعاره في الإمام الرضا وآبائه تدلُّ على مدح عظيم لهم، وابن تيمية يكره المحبَّ لأهل البيت المتجاهر بالمدح لهم ... وأمَّا ما اشتهر عن أبي نؤاس من المجون والخلاعة، فقد ذكروا أنه في الأغلب مما لا أصل له، على أن ذلك لو كان، فقد كان في أوَّل العمر، وقد ثبت عنه التوبة في آخره كما نصَّ عليه ابن الجوزي.

ترجمة أبي نؤاس ... ص: ٢٧٢

وهو: الحسن بن هاني، ولد بالأهواز أو البصرة في سنة ١٣٦، أو ١٤٥، وتأدب على أبي زيد وأبي عبيدة، وقرأ كتاب سيويه ولزم خلف الأحمر، وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي، وتلا القرآن على يعقوب.

وروى الحديث عن: أضر بن سعد، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الواحد بن زياد، ومعتمر بن سليمان، ويحيى القطان. وحدّث عنه جماعة من الأئمة ومشاهير العلماء، منهم: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وغندر. وكان يقال: الشافعي شاعر غلب عليه الفقه، وأبو نؤاس فقيه غلب عليه الشعر.

وقد أثنى عليه غير واحد من كبار الأدباء والمتكلمين، كالأصمعي والجاحظ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧٣

والنظام، ونظمه في الذروة، وهو في الطبقة الأولى من المولدين، وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة.

وقد اعتنى بشعره جماعة من الفضلاء منهم: أبو بكر الصولي، وقال يعقوب بن السكيت: «إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهليّة، ومن الإسلاميين جرير والفرزدق، ومن المحدثين عن أبي نؤاس، فحسبك».

ثم إنه اتصل بالخلفاء والوزراء وعاشرهم ومدحهم، ولما كانت الخلاعة والمجون كثيرة عندهم، فقد اتخذ شعره تلك الصبغة، حتى نقلت عنه أشياء كثيرة لا حقيقة لها.

ولابن منظور الإفريقي صاحب لسان العرب جزء في أخبار أبي نؤاس، وهو الثالث من مختار الأغاني المطبوع في دمشق، وقد صدر بمقدمه جيّد يبين فيها أن أغلب ما ينسب إلى أبي نؤاس من المجون والخلاعة كذب ملفّق لا تصح نسبته إليه بحجج ناصعة وأدلة واضحة، ومما يشهد بذلك استماع كبار الأئمة لأشعاره المختلفة، فقد أنشدوا سفيان بن عيينة قول أبي نؤاس:

ما هوّى إلا له سببٌ يبتدى منه وينشعبُ

فتنت قلبي محجبةً وجهها بالحسن منتقب

خلّته والحسن تأخذه تنتقى منه وتنتخب

فاكتست منه طرائقه واستردّت بعض ما تهب

فهى لو صيرت فيه لها عودةً لم يُثنها إرب

صار جدّاً ما مزحت به ربّ جدّ جرّه اللّعب

فقال ابن عيينة: «آمنت بالذي خلقها».

وعن ثعلب قال: «دخلت على أحمد بن حنبل فقال: في أيّ شيء نظرت من العلوم؟ فقلت: في اللّغة والشعر. قال: رأيت بالبصرة جماعة يكتبون عن رجل الشعر،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧٤

قيل لى هذا أبو نؤاس، فتخلّلت الناس ورائي فلما جلست إليه أملى علينا:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن في الخلاء رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا آثماً يخفى عليه يغيب

لهونا عن الآثام حتى تتابعت ذنوبٌ على آثارهنّ ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توباتنا فتتوب»

وعن الشافعي قال: دخلنا على أبي نؤاس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه، فقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فأنشأ يقول:

تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّي وتكرّما

ولولاك لم يغو إبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك آدماء
ولقى شعبه أبا نؤاس فقال له: «يا حسن حدثنا من طرفك». فقال:
حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر
قالوا جميعاً أيما طفلة علّقها ذو خلقٍ طاهر
فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مفتوحة ترتع في مرتعها الزاهر
وأى معشوق جفا عاشقاً بعد وصال دائم ناضر
ففى عذاب الله بعداً له وسحق دائم وداحر
فقال له شعبه: إنك لجميل الأخلاق، وإنى لأرجو لك».
وقال ابن خلكان: «وما أحسن ظن أبى نؤاس برّبه عز وجل حيث يقول:
فكثّر ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ ربّاً غفوراً
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيّداً ملكاً كبيراً
شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٧٥
تعضّ ندامه كفيك ممّا تركت مخافة النار سرورا»
وتوفى أبو نؤاس ببغداد سنة خمس أو ست أو ثمانية وتسعين ومائة.
روى الخطيب بإسناده عن محمد بن نافع قال: «كان أبو نؤاس لى صديقاً فوقعت بينى وبينه هجرة فى آخر عمره، ثم بلغنى وفاته
فتضاعف على الحزن، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا أنا به.
فقلت: أبو نؤاس؟
قال: لات حين كنية.
قلت: الحسن بن هانى؟
قال: نعم.
قلت: ما فعل الله بك؟
قال: غفر لى بأبيات قلتها هى تحت ثنى وسادتى.
فأتيت أهله، فلما أحسوا بى أجهشوا بالبكاء، فقلت لهم: هل قال أخى شعراً قبل موته؟ قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب
شيئاً لا ندرى ما هو. قلت: ائذنوا لى أدخل، قال: فدخلت إلى مرقده، فإذا ثيابه لم تحرك بعد، فرفعت وسادة لم أر شيئاً، ثم رفعت
أخرى فإذا برقعة فيها مكتوب:
يا ربّ إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
ما لى إليك وسيلة إلا الرّجا وجميل عفوك ثم إنى مسلم»
أقول:

هذه ترجمة أبى نؤاس بإيجاز، وهى تفيد فى مجملها: أن الرجل كان فقيهاً محدثاً عالماً أديباً، وقد كانت تصدر منه أشياء، ولكن لم

يكن بحيث يهجره الأئمة عليهم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧٦

السلام والفقهاء وأهل العلم والدين ويقاطعون، ثم إنه قد تاب من ذلك حتى قال ابن الجوزي: «لا أوتر أن أذكر أفعاله المذمومة، لأنني قد ذكرت عنه التوبة في آخر عمره، وإنما كان لعبه في أول العمر» (١).

شعر أبي نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام ... ص: ٢٧٦

وقد ذكروا له شعراً كثيراً في مدح الإمام الرضا عليه السلام، فمن ذلك ما أورده العلامة رحمه الله، قال ابن الجوزي: «فقال الصولي: ومدحه أبو نؤاس فقال:

قيل لي أنت واحد الناس في كل في كل كلام من المقال بدي

لك في جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتني

فعلي م تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه

قلت: لا اهتدي لمدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه» (٢)

وقال الذهبي: «ولأبي نؤاس في علي رحمه الله عليه:

قيل لي أنت أحسن الناس طراً في فنون من المقال النبيه

لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتني

فعلي م تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه

قلت: لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه» (٣)

وقال الذهبي: «قال الصولي: حدثنا أحمد بن يحيى أن الشعبي قال: أفخر بيت قيل: قول الأنصار في بدر:

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦، المنتظم ١٠/ ١٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣، تاريخ ابن كثير ١٠/ ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٧٩ - ولاحظ الهامش - الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٨٣ وغيرها.

(٢) المنتظم ١٠/ ١٢٠.

(٣) تاريخ الإسلام ١٣/ ٥١٣ و ١٤/ ٢٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٧٧

وبشر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

ثم قال الصولي: أفخر منه قول الحسن بن هانئ في علي بن موسى الرضا:

قيل لي أنت واحد الناس في كل كلام ... إلى آخر الأبيات» (١).

وأوردها أيضاً الصفدي في الوافي (٢)، وابن طولون (٣).

وقال ابن خلكان (٤) وكذا ابن طولون:

«وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقع منك، ما تركت خمرأ ولا طردأ ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعه هذه الأبيات».

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري في تاريخ نيسابور، وعنه الحافظ الحمويني الجويني بإسناده قال: «أنبأني الشيخ عبد الرحيم بن محمد

بن أحمد بن فارس بن الزجاج، أنبأنا القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل، أنبأنا محمد بن الفضل أبو عبد الله وأبو القاسم زاهر بن طاهر إجازة قالوا: أنبأنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين قال: أنبأنا الإمام الحاكم البيهقي قال: حدثني علي بن محمد المذكر قال: حدثنا محمد بن علي الفقيه قال: حدثنا الحسين بن إبراهيم، قال: أنبأنا علي بن إبراهيم عن أبيه قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن يحيى الفارسي قال: نظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا ذات يوم، وقد خرج من عند الخليفة، على بغلة له، فدنا منه أبو نؤاس وسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله، قد قلت أبياتاً فأحب أن تسمعها مني. قال:

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٥٥.

(٣) الأئمة الاثنا عشر: ٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٠ - ٢٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٧٨

هات. فأنشأ أبو نؤاس يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر

والله لما بدا خلقاً فأتقنه صفاًكم واصطفاكم أيها البشر

وأنتم الملاء الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا: قد جئت بأبيات ما سبقك إليها أحد. ثم قال: يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها إياه. ثم قال: لعله استقلها. يا غلام سق إليه البغلة» (١).

وقد ذكر هذا الشعر أيضاً ابن خلكان (٢) وابن طولون (٣) قالوا: «وله ذكر في شذور العقود».

وقال الصفدي: «وفيه يقول أيضاً: مطهرون نقيات جيوبهم» ... إلى آخرها (٤).

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري، وعنه الحموي الجويني، بإسناده عن الصولي عن المبرد قال: «خرج أبو نؤاس ذات يوم من داره، فبصر براكب قد حاذاه فسأل عنه ولم ير وجهه فقيل: إنه علي بن موسى الرضا، فأنشأ يقول:

إذا أبصرتك العين من بعد غايه وعارض فيك الشك أثبتك القلب

ولو أن قوماً أمموك لقادهم نسيملك حتى يستدل به الركب» (٥)

ثم قال الصولي: «أفخر منه قول الحسن بن هانئ في علي بن موسى الرضا:

(١) فرائد السمطين ٢/ ٢٠٠.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧١.

(٣) الأئمة الاثنا عشر: ٩٩.

(٤) الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٥٥.

(٥) فرائد السمطين ٢/ ٢٠٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٧٩

قيل لي أنت واحد الناس في كل كلام» ... إلى آخر الأبيات (١).

وأوردها أيضاً الصفدي في الوافي «٢»، وابن طولون «٣».

وقال ابن خلكان «٤» وكذا ابن طولون: «وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقع منك! ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً، وهذا على بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً. فقال: والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات.

الإمام محمد الجواد عليه السلام ... ص: ٢٧٩

إشارة

قال قدس سره: وكان ولده محمد الجواد عليه السلام على منهاج أبيه...

الشرح:

قال الحافظ سبط ابن الجوزي: «فصل في ذكر ولده محمد الجواد ... وكان على منهاج أبيه في العلم والتقوى والجود «٥». وقال الصفدي: «كان من سرواء آل بيت النبوة، زوجه المأمون بابنته ... وقد قدم على المعتصم فأكرمه وأجله، ... وكان من الموصوفين بالسخاء، ولذلك لُقّب بالجواد، وهو أحد الأئمة الاثني عشر «٦». وقال الذهبي: «كان يلقّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى. وكان من سرواء آل بيت

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٨٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٥٥.

(٣) الأئمة الاثني عشر: ٩٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٠.

(٥) تذكرة خواص الأئمة: ٣٥٨، وسبط ابن الجوزي فقيه حافظ مفسر واعظ مؤرخ، توجد ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٥٣، ١٤٢، والعبر حوادث: ٦٥٤، طبقات المفسرين ٢/ ٣٨٢ وغيرها.

(٦) الوافي بالوفيات ٤/ ٧٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٠

النبي صلى الله عليه وآله، ... وكان أحد الموصوفين بالسخاء، ولذلك لقب بالجواد «١».

وكان عليه السلام يروي الحديث عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يرجع إليه في معاني الأخبار وحقائق الأحكام، وقد روى الخطيب وغيره بترجمته عدة من ذلك «٢».

وحكى الشيخ محمود الشيرازي القادري أنه قد وقع لبعض الخلفاء أنه لما مرض نذر على نفسه إن وهب الله له العافية أن يتصدق بمال كثير، مبهماً، فعوفى، فأحضر الفقهاء واستفتاهم عن مقدار مال كثير، فكلّ قال شيئاً. فقال محمد الجواد: إن كنت نويت الدنانير فتصدق بثمانين ديناراً، أو الدراهم فتصدق بثمانين درهماً. فقال الفقهاء:

ما نعرف هذا في الكتاب ولا السنة. فقال محمد الجواد: بلى، قال الله تعالى: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» والنصر من أقسام العافية، فعدّوا وقائع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا هي ثمانون «٣».

هذا، وأخباره وقضاياه الدالة على تفوّقه في العلم والتقوى والجود كثيرة، إلا أن القوم لا يذكرون ذلك في كتبهم لئلا يعرف أئمة أهل البيت عليهم السلام وتشتهر أحوالهم ومنازلهم ... غير أنهم يصرحون: «وله حكايات وأخبار كثيرة» «٤»، بل إن كثيراً منهم لم يعنونه

في تواريخهم أصلاً!!

قصة يحيى بن أكثم ... ص: ٢٨٠

قال قدس سره: ولما مات أبوه الرضا عليه السلام شغف به المأمون لكثرة

(١) تاريخ الإسلام ٣٨٥ / ١٥.

(٢) تاريخ بغداد ٥٤ / ٣، الوافي بالوفيات ١٠٦ / ٤، الأئمة الإثنا عشر: ١٠٣.

(٣) الصراط السوي في مناقب آل بيت النبي - مخطوط.

(٤) وفيات الأعيان ١٧٥ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨١

علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه ... وجعلوا ليحيى بن أكثم مالاً كثيراً على امتحانه في مسألة يعجزه فيها ... فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟! ثم أقبل على الإمام عليه السلام فقال: أتخطب؟ فقال: نعم. فقال: أخطب لنفسك خطبة النكاح. فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً، مهر جدته فاطمة عليها السلام، ثم تزوج بها.

الشرح:

يحيى بن أكثم المروزي، قاضي القضاء، ترجموا له ووصفوه بالإمامة في الفقه والحديث، وذكروا أنه كان من أهل الشرب واللواط وغير ذلك من القبائح.

وأما في الحديث:

فعن يحيى بن معين: «كان يكذب».

وعن ابن راهويه: «ذاك الدجال».

وعن ابن الجنيدي: «يسرق الحديث».

وعن أبي حاتم: «فيه نظر».

وذكروا أنه تولى ديوان الصدقات على الأضرار ولم يعطهم شيئاً «١».

فهذا قاضي قضائهم حسب تصريحاتهم!!

وأما القضية المذكورة، فهي من جملة قضاياها الثابتة التي لم ينقلها القوم - كما هي عادتهم - غير أن سبط ابن الجوزي أشار إليها وأسندها إلى الإمامية حيث قال:

«والإمامية تروى خبراً طويلاً فيه أن المأمون لما زوجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين وأشهر، وأنه هو الذي خطب خطبة النكاح، وأن العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن أكثم حتى وضع مسائل ليخطئ بها محمد الجواد

(١) راجع: الجرح والتعديل ١٢٩ / ٩، سير أعلام النبلاء ٥ / ١٢، ميزان الاعتدال ٣٦١ / ٤ وغيرها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٢

ويمتنحه، وإن الجواد خرج عن الجميع، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب الإرشاد، والله أعلم «١».

وهنا قال ابن تيمية: «وأما ما ذكره، فإنه من نمط ما قبله، فإن الرفض ليس لهم عقل صريح ولا نقل صحيح، ولا يقيمون حقاً ولا يهدمون باطلاً، لا بحجة وبيان ولا بيد ولسان، فإنه ليس فيما ذكره ما يثبت فضيلة محمد بن علي فضلاً عن ثبوت إمامته.

فإن هذه الحكاية التي حكاها عن يحيى بن أكثم من الأكاذيب التي لا يفرح بها إلا الجهال، ويحيى بن أكثم كان أفقه وأعلم وأفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيداً، فإن صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة، فليست من دقائق العلم ولا غرائبه، ولا- مما يختص به المبرزون في العلم، ثم مجرد ما ذكره ليس إلا في تقسيم أحوال القاتل، ليس فيه بيان حكم هذه الأقسام، ومجرد التقسيم لا يقتضى العلم بأحكام الأقسام» (٢).

أقول: ما أكثر المطالب التي كذبها الرجل بصراحة وأثبتناها، والحمد لله.

ودلالة هذه القضية على كونه عليه السلام أعلم وأفقه من قاضى قضاتهم، واضحة لا ينكرها إلا مكابر... والأعلمية المطلقة تقتضى الإمامة المطلقة كما لا يخفى.

ثم إن العلامة رحمه الله قد اختصر الخبر، ولو راجع ابن تيمية (الإرشاد) للمفيد البغدادي أو غيره من الكتب، لوجد فيه بيان حكم الأقسام بطلب من المأمون، وأنه سأل بعد ذلك- بطلب منه كذلك- يحيى بن أكثم عن مسألة، فاعترف يحيى بجهله بها، وطلب من الإمام عليه السلام بيانها... ونحن نحيل القارئ إلى الكتاب المذكور لنأخذ بطول بنا المقام (٣).

(١) تذكرة الخواص: ٣٥٩.

(٢) منهاج السنة ٤/ ٦٩.

(٣) الإرشاد في معرفته حجج الله على العباد ٢/ ٢٨١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٣

الإمام على الهادي عليه السلام ... ص: ٢٨٣

إشارة

قال قدس سره: وكان ولده على الهادي عليه السلام، ويقال له العسكري...

الشرح:

قال الخطيب: «أشخصه جعفر المتوكل على الله من مدينة رسول الله إلى بغداد، ثم إلى سرّ من رأى، فقدمها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر» (١).

وقال سبط ابن الجوزي: «وإنما نسب إلى العسكري، لأن جعفر المتوكل أشخصه من المدينة إلى بغداد، إلى سرّ من رأى، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، ويلقب بالمتوكل والنقي» (٢).

وقال ابن خلكان: «ولما كثرت السعاية في حقّه عند المتوكل، أحضره من المدينة وكان مولده بها، وأقرّه بسرّ من رأى، وهى تدعى بالعسكر، لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقل لها العسكر، ولهذا قيل لأبى الحسن المذكور العسكري؛ لأنه منسوب إليها، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر» (٣).

وقال ابن حجر المكي: «سمى العسكري لأنه أشخص من المدينة النبوية إلى سرّ من رأى، وأسكن بها، وكانت تسمى العسكر، فعرف بالعسكري» (٤).

ما لاقاه من المتوكل ... ص: ٢٨٣

قال قدس سره: وإنما أشخصه المتوكل لأنه كان يبغض علياً عليه السلام...

(١) تاريخ بغداد ٥٦ / ١٢.

(٢) تذكرة خواص الأمة: ٣٥٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢٧٣ / ٣.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٤

الشرح:

وهذا مشهور لا ينزع فيه أحد، وهو الذي هدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من الدور، وأمر أن يزرع، ومنع الناس من زيارته «١» فقال البسامي أبياتاً منها:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله ففتبعوه رميما

وقال الذهبي: «وكان المتوكل فيه نصب وانحراف» «٢».

وقال ابن الأثير في حوادث ٢٣٦: «في هذه السنة، أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام حبسناه في المطبق. فهرب الناس وتركوا زيارته، وحرث [خرب] وزرع. وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم.

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البدين، خليفة المسلمين! يحكي بذلك علياً عليه السلام! والمتوكل يشرب ويضحك» «٣». والعجب أنه مع ذلك يصفه بعضهم قائلاً: «استخلف المتوكل فأظهر السنة وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها» «٤».

(١) تاريخ الطبري ٣٦٥ / ٧، الكامل لابن الأثير ٥٥ / ٧، البداية والنهاية ٣٤٧ / ١٠، تاريخ الخلفاء: ٣٤٧، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣٥ وغيرها.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٥ / ١٢.

(٣) الكامل في التاريخ ٥٥ / ٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣١ / ١٢ عن بعضهم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٥

ولعلهم يريدون من «السنة» القول بقدم القرآن.

وقال السيوطي بعد خبر: «استفدنا من هذا أن المتوكل كان متمذهباً بمذهب الشافعي، وهو أول من تمذهب من الخلفاء» «١».

ثم الأعجب ما جاء فيه - بعد حكاية ما فعل بابن السكيت وقصته مشهورة -:

«وكان المتوكل رافضياً» «٢».

لكني لا أستبعد أن يكون التحريف من النساخ أو الناشرين للكتاب.

قال قدس سره: فبلغه مقام على بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة، فأمره بإشخاصه، فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه...

الشرح:

وشهد كثير من المخالفين له عليه السلام بفقعه وورعه وعبادته.

قال الياضي: «كان الإمام علي الهادي متعبداً فقيهاً إماماً» (٣).

وبمثلته قال ابن العماد الحنبلي (٤).

وقال ابن كثير: «قد كان عابداً زاهداً» (٥).

وذكر كثيرون منهم إشخاص المتوكل إياه من المدينة المنورة إلى العراق، إلا أنهم - مع تصريحهم بنصب المتوكل - يحاولون التغطية على قبائحه وستر مظالمه، فلا يذكرون تفصيل القضايا، ففي تاريخ يعقوبي:

«وكتب المتوكل إلى علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٥٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٤٩.

(٣) مرآة الجنان ٢ / ١٦٠.

(٤) شذرات الذهب ٢ / ١٢٨.

(٥) البداية والنهاية ١١ / ١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٦

في الشخص من المدينة، وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أن قوماً يقولون إنه الإمام، فشخص عن المدينة، وشخص يحيى بن هرثمة معه، حتى صار إلى بغداد، فلما كان بموضع يقال له الياسرية نزل هناك. وركب إسحاق بن إبراهيم لتلقيه، فرأى تشوق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، ودخل به الليل فأقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثم نفذ إلى سر من رأى (١). وقد وجدت الخبر كما شرحه العلامة رحمه الله، في كتاب (تذكرة خواص الأمة)، وصاحبه حنفي المذهب ومن المتقدمين عليه، فإنه قال:

«قال علماء السير: وإنما أشخصه المتوكل من مدينة رسول الله إلى بغداد، لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته، فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعى يحيى بن هرثمة وقال: إذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا. قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. قال يحيى: فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه. ثم قُتشت منزله فلم أجد فيه إلّا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسى وأحسنتم عشرته.

فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري - وكان والياً على بغداد - فقال لي: يا يحيى، إن هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكل من تعلم، فإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة. فقلت له: والله ما وقفت منه إلا على كل أمر جميل.

ثم صرت به إلى سر من رأى، فبدأت بوصيف التركي، فأخبرته بوصوله، فقال:

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ٤٨٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٨٧

والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك. فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق.

فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه، فأخبرته بحسن سيرته وسلامه طريقته وورعه وزهادته، وأنى فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأن أهل المدينة خافوا عليه. فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل بزه وأنزله معه سر من رأى» (١). قال قدس سره: ثم مرض المتوكل، فنذر إن عوفي تصدق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى علي الهادي عليه السلام يسأله فقال: تصدق بثلاثة وثمانين درهماً...

الشرح:

قال الخطيب البغدادي الحافظ: «أخبرني الأزهرى، حدثنا أبو أحمد عبيد الله ابن محمد المقرئ، حدثنا محمد بن يحيى النديم، حدثنا الحسين بن يحيى قال: اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لأتصدقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله. فقال: يتصدق بثلاث وثمانين ديناراً. فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله - يا أمير المؤمنين - من أين له هذا؟ فرد الرسول إليه فقال له:

قل لأمر المؤمنين: في هذا الوفاء بالنذر، لأن الله تعالى قال «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرائي والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين. وكلما زاد أمير المؤمنين من فعل الخير كان أنفع له، وأجر عليه في الدنيا والآخرة» (٢).

ورواه الحافظ ابن الجوزي عن أبي منصور القزاز عن الخطيب بإسناده كذلك (٣).

(١) تذكرة خواص الأمة: ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ٥٦ / ١٢ - ٥٧.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٧٤ / ١٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٨٨

ورواه الصفدي بترجمته عليه السلام كذلك (١).

ورواه غير هؤلاء.

قال قدس سره: قال المسعودي: نُمي إلى المتوكل بعلي بن محمد أن في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الملك، فبعث إليه...

الشرح:

هذا الخبر مذكور في كثير من الكتب: كمروج الذهب - وعنه الحافظ سبط ابن الجوزي في التذكرة - ووفيات الأعيان (٢)، وقد أرسله إرسال المسلم. وكذا الوافي بالوفيات ٧٢ / ٢٢، والأئمة الإثنا عشر لابن طولون ١٠٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٥ / ١٦، والمختصر في أخبار البشر ٤ / ٤٤.

ورواه المتأخرون كصاحب الإتحاف بحب الأشراف ٢٠٠ قال: «قال بعض الثقات»...

قال ابن تيمية: بعد أن أورد كلام العلامة قال: «هذا الكلام من جنس ما قبله، لم يذكر منقبة بحجة صحيحة، بل ذكر ما يعلم العلماء أنه من الباطل، فإنه ذكر في الحكاية أن والي بغداد كان إسحاق بن إبراهيم الطائي، وهذا من جهله، فإن إسحاق بن إبراهيم هذا خزاعي...

وأمّا الفتيا التي ذكرها من أن المتوكل نذر إن عوفي يتصدق... فهذه الحكاية أيضاً تحكى عن علي بن موسى مع المأمون، وهي دائرة بين أمرين، إمّا أن تكون كذباً، وإمّا أن تكون جهلاً ممن أفتى بذلك، فإن قول القائل: له على دراهم كثيرة، أو والله لأعطين...

فلاناً دراهم كثيرة، أو لأتصدقن دراهم كثيرة، لا يحمل على ثلاث وثمانين، عند أحد من علماء المسلمين، والحجة المذكورة باطلة لوجوه:

(١) الوافي بالوفيات ٢٢ / ٤٨.

(٢) وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٨٩

أحدها: إن قول القائل: إن المواطن كانت سبعاً وعشرين غزاةً وستاً وخمسين سريه ليس بصحيح، فإن النبي صلى الله عليه وآله لم يغز سبعاً وعشرين غزاةً باتفاق أهل العلم بالسير، بل أقل من ذلك.

الثاني: إن هذا الآية نزلت يوم حنين، والله قد أخبر بما كان قبل ذلك، فيجب أن يكون ما تقدم قبل ذلك مواطن كثيرة...

الثالث: إن الله لم ينصرهم في جميع المغازي، بل يوم أحد تولوا...

الرابع: إنه بتقدير أن يكون المراد بالكثير في الآية ثلاثاً وثمانين، فهذا لا يقتضي اختصاص هذا القدر بذلك، فإن لفظ الكثير لفظ عام

...

الخامس ...: إن القلة والكثرة أمر إضافي ... والخليفة يحمل الكثير منه على ما لا يحمل الكثير من آحاد العامة...

والحكاية التي ذكرها عن المسعودي منقطعة الإسناد، وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصىه إلا الله تعالى» «... ١».

أقول: يتلخص المهم من كلام الرجل هنا في أمور:

الأول: الاعتراض على العلامة في وصفه (إسحاق بن إبراهيم) ب (الطائي)، مع أنه (خزاعي).

والثاني: إن الفتيا المذكورة تحكي عن علي بن موسى الرضا مع المأمون، وهي إما كاذبة وإما جهل، لأن العدد المذكور فيها ليس مطابقاً للواقع.

والثالث: الحكاية المذكورة عن تاريخ المسعودي كذب.

والجواب أمياً عن الأول، فإنه يبتنى على وجود كلمة (الطائي) في كتاب (منهاج الكرامة) لكن الكلمة في نسختنا (الظاهري) وفي

تذكرة خواص الأمة (الظاهري) وقد

(١) منهاج السنة ٧٩-٨٤ / ٤

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩٠

ذكر في هامش (منهاج السنة) أن في بعض نسخ (منهاج الكرامة) هو الاسم (إسحاق بن إبراهيم) فقط، فلا هذا ولا ذاك ولا الطائي... فما الحامل لأن يتشبث الرجل بتلك الكلمة إلا العناد؟

وأمياً عن الثاني، فإن هذه الفتيا، سواء كانت من الإمام الهادي كما عرفت، أو الرضا كما يدعى الرجل، أو غيرهما من الأئمة عليهم السلام كما تقدم عن بعض الكتب - قد صدرت من (أهل البيت) الذي هم (أدرى بما في البيت) حكماً أو واقعة، فيجب القبول والتسليم، كما حصل من فقهاء ذلك العصر، وحينئذ، لا يسمع مكابرة فيه أو تشكيك من زيد أو عمرو!!

وقوله: «فإن النبي لم يغز سبعاً وعشرين غزاةً باتفاق أهل العلم بالسير» كذب وباطل.

قال الحافظ ابن سيد الناس: «ذكر الخبر عن عدد مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وبعوثه: روي عن ابن سعد قال: أنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، ومحمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخى الزهرى، وموسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود، وعبد الله بن

جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمه الزهرى، ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري، وربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمي، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيشه الأشهلي، وعبد الحميد بن جعفر الحكمي، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ومحمد بن صالح التمار.

قال ابن سعد: وأنا روي بن يزيد المقرئ، ثنا هارون بن أبي عيسى، عن محمد بن إسحاق قال: وأنا حسين بن محمد، عن أبي معشر. قال: وأنا إسماعيل بن عبد الله بن أويس المدني، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبه، عن عمه موسى بن عقبه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩١

قالوا: كان عدد مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله التي غزا بنفسه سبعا وعشرين» (١).

وقال الحلبي: «باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وآله ذكر أن مغازيه، أي: وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين» ثم عددها (٢). وقال القسطلاني: «فجمع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون» (٣). هذا، ولا يخفى أن الإمام عليه السلام قال بعد ذلك: «وكلمنا زاد أمير المؤمنين من فعل الخير، كان أنفع له وأجر عليه في الدنيا والآخرة».

وأما عن الثالث، فوجوه:

- ١- هذا الخبر رواه غير المسعودي من العلماء والمؤرخين، ممن لا يهتمهم هذا الرجل.
- ٢- وفي (مروج الذهب) أكاذيب، كغيره من كتب التاريخ والحديث، حتى الموصوفة بالصحة والمشهورة بالاعتماد، لكن هذا الخبر رواه غير المسعودي أيضاً، مضافاً إلى القرائن الدالة على صحته، وقد وجدت الأبيات في كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة، المتوفى سنة ٢٧٦، أي قبل المسعودي بعشرات السنين، قال: «بلغني أنه قرئ على قبر بالشام» (٤).

ترجمة المسعودي ... ص: ٢٩١

- ٣- وقد ترجم الأكابر المسعودي وأثنوا عليه:

(١) عيون الأثر في المغازي والسير ١/ ٢٩٤.

(٢) السيرة الحلبية ٢/ ٣٤٢.

(٣) المواهب اللدنية ٣/ ١١٢.

(٤) عيون الأخبار ٤/ ٣٠٣ كتاب الزهد.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩٢

قال ياقوت: «علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ، أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي ... بغدادى الأصل ... وله من الكتب: كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر» (١ ...).

وقال الذهبي: «المسعودي، صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ ... وكان أخبارياً صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزلياً. أخذ عن أبي خليفه الجمحي ونفطويه وعدة. مات في جمادى الآخرة سنة ٣٤٥» (٢).

وذكره في وفيات السنة المذكورة في (تذكرة الحفاظ) و (العبر) كذلك (٣).

وقال الكتبي: «المسعودي صاحب التاريخ ... وكان أخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر. مات سنة ٣٤٦» (٤).

٤- بل كان الرجل فقيهاً مفتياً، عداده في فقهاء الشافعية، فقد أورده السبكي في (طبقاته) قائلاً: «علي بن الحسين بن علي المسعودي

صاحب التواريخ: كتاب (مروج الذهب) في أخبار الدنيا، وكتاب ... وكان أخبارياً مفتياً علامة، صاحب ملح وغرائب، سمع من ...
وقيل: إنه كان معتزلي العقيدة مات سنة ٤٥ أو ٣٤٦.

وهو الذي علق عن أبي العباس بن سريج (رسالة البيان عن أصول الأحكام) وهذه الرسالة عندى نحو ١٥ ورقة، ذكر المسعودى في أولها أنه حضر مجلس لعيادة أبي العباس في علقته التي مات بها سنة ٣٠٦، وقد حضر المجلس لعيادة أبي العباس جماعة من حذاق الشافعيين والمالكيين والكوفيين والداوديين وغيرهم من أصناف المخالفين، فبينما

(١) معجم الأدباء ١٣ / ٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٦٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٥٧، العبر ٢ / ٧١.

(٤) فوات الوفيات ٢ / ٨١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩٣

أبو العباس يكلم رجلاً من المالكيين، إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم، فدفعه إلى القاضي أبي العباس فقرأه على الجماعة، فإذا هو من جماعة الفقهاء المقيمين ببلاد الشاش، يعلمونه أن الناس في ناحيتهم أرض الشاش وفرغانة مختلفون في أصول فقهاء الأمصار ممن لهم الكتب المصنفة والفتيا، ويسألونه رسالة يذكر فيها أصول الشافعي ومالك وسفيان الثوري وأبي حنيفة وصاحبيه وداود بن علي الأصبهاني، وأن يكون ذلك بكلام واضح يفهمه العامي. فكتب القاضي هذه الرسالة، ثم أملى فيما ذكر المسعودى عليهم بعضها وعجز لضعفه عن إملاء الباقي، فقرأ عليه والمسعودى يسمع» (١).

٥- فهذه ترجمة المسعودى ... وكتابه (مروج الذهب ...) على لسان هؤلاء الأكابر، وأنت لا تجد فيها مطعناً فيه ولا في كتابه ... بل إنه فقيه شافعي غلب عليه التاريخ وذكر أخبار الناس ...

ومع كل هذا ... فقد أورده الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) لا لعب فيه وإنما لاشتمال كتبه على فضائل لعلى وأهل البيت عليهم السلام! قال:

«وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً، حتى أنه قال في حق ابن عمر أنه امتنع من بيعه على بن أبي طالب ثم بايع بعد ذلك يزيد بن معاوية والحجاج لعبد الملك بن مروان. وله من ذلك أشياء كثيرة.

ومن كلامه في حق على ما نصّه: الأشياء التي استحقّ بها الصحابة التفضيل: السبق إلى الإيمان والهجرة مع النبي صلى الله عليه وآله والنصر له والقراءة منه، وبذل النفس دونه، والعلم، والقناعة، والجهاد، والورع، والزهد، والقضاء، والفتيا. وإن لعلى من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، إلى ما ينضم إلى ذلك من خصائصه بآخرفته وبأنه أحبّ الخلق، إلى غير ذلك» (٢).

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٤٥٦.

(٢) لسان الميزان ٤ / ٢٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩٤

أقول: لم يذكره بكذب ولا ضعف ولا تدليس ... ونحو ذلك ... بل غاية الأمر أن يكون من القائلين بتقدّم على عليه السلام على الصحابة، وهذا قول كثير من الصحابة والتابعين وسائر المسلمين.

٦- وبما ذكرنا ظهر الوجه والسبب في تكلم ابن تيمية في كتاب (مروج الذهب ...)

فيظهر أن فيه وغيره من كتب المسعودى ما ليس على هوى هذا الرجل ... وقد عرفناه بالتسرع في الطعن في الشخص إذا أحس منه

أقل ميل إلى أهل البيت عليهم السلام!!

الإمام الحسن العسكري عليه السلام ... ص: ٢٩٤

إشارة

قال قدس سره: وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً، أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً. الشرح:

قال ابن تيمية: «فهذا من نمط ما قبله من الدعاوى المجردة والأكاذيب البينة، فإن العلماء المعروفين بالرواية الذين كانوا في زمن الحسن بن علي العسكري ليس لهم عنه رواية مشهورة في كتب أهل العلم، وشيوخ أهل الكتب الستة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، كانوا موجودين في ذلك الزمان وقريباً منه وبعده. وقد جمع الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أخبار شيوخ النبل - يعني شيوخ هؤلاء الأئمة - فليس في هؤلاء الأئمة من روى عن الحسن بن علي العسكري مع روايتهم عن ألوف مؤلفة من أهل الحديث.

فكيف يقال: روت عنه العامة كثيراً؟ وأين هذه الروايات؟
وقوله: إنه كان أفضل أهل زمانه هو من هذا النمط» (١).

(١) منهاج السنة ٤/ ٨٥-٨٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٩٥

روت عنه العامة كثيراً ... ص: ٢٩٥

أقول:

هو مولانا الإمام الزكي الحسن ابن الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ... عليهم الصلاة والسلام. ولقب ب (العسكري) لكونه سكن (العسكر) مع والده، وكان الإمام من بعد والده الذي اغتاله المعتمد العباسي بالسم. وقد لاقى الإمام عليه السلام منذ نشأته في حكومة المتوكل إلى آخر أيامه ما لاقاه والده عليه السلام من صنوف الظلم وألوان الجور، بل كان زمانه أشد وأظلم، فقد كان المستعين مبغضاً لأهل البيت عليه السلام، حتى أنه أودعه السجن مدة من الزمن، بعد أن كانت داره تحت الضغط والمراقبة الشديدة.

بل قيل إنه كان عازماً على قتله بأن أمر بعض خدامه بحمله إلى الكوفة واغتياله في الطريق كيلا يعلم أحد بواقع الأمر، لكن الله شاء أن يكون قتل المستعين على يد ذاك الخادم ...

ثم تولّى المعتز بن المتوكل، وقد ورث من آبائه العداء والنصب لعثرة الرسول صلى الله عليه وآله، فعاد وأودع الإمام عليه السلام السجن، وما مضت إلا - برهة من الزمن حتى قتل على يد الأتراك وخلص الإمام من السجن، ثم تسلّم المهتدي زمام الأمر وهو - كآبائه - على أشدّ البغض والنصب لآل النبي، فأمر باعتقال الإمام، وقصد قتله في السجن لكن الله لم يمهل، إذ هجم عليه الأتراك بالخناجر وقتلوه وسفكوا دمه، وأراح الله منه.

فجاء المعتمد، وهو أيضاً على سيرة المتقدمين عليه، فأمر باعتقال الإمام، حتى إذا اطمأن من أن لا قصد للإمام بالقيام ضده، أمر بإطلاق سراحه من السجن، لكنه بقي في داره تحت المراقبة الشديدة، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى وجنة المأوى سنة ٢٦٠ وله من

العمر ثمان وعشرون سنة، ودفن إلى جنب والده في الدار، حيث المشهد العظيم الذي يتتابه المؤمنون إلى هذا اليوم. وهكذا عاش الإمام العسكري هذا العمر القصير...

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٩٦

فالإنصاف: أن هذا القدر الذي وصل إلينا من أحاديث الإمام العسكري عليه السلام وأخباره مع قصر عمره الشريف، الذي قضاه في السجون، وتحت المراقبة، مع منع الناس من الدخول عليه ونشر حديثه، ومطاردة أصحابه وأقربائه، لكثير كثير!!... وإن من الواضح أن لا يقصد أتباع أولئك الطواغيت الإمام عليه السلام للأخذ منه والرواية عنه، مع ما في ذلك من تعريض النفس للخطر...

ثم جاء الذين ساروا على منهاج الملوك في العدا والنصب لأهل البيت - هؤلاء الذين لا تلتأم جراحات ألسنتهم وأقلامهم - وجعلوا يتناولون على شأن الإمام ومقامه العظيم، وينكرون كل شيء، حتى هذا القدر المنقول الموجود في كتب الفريقين من أخباره وأحاديثه... الدال على علمه وجلالته وكونه أفضل أهل زمانه.

يريد النواصب ليطفئوا نور الله... قوم بالمحاربة والقتل والتعذيب، وقوم بعدم الرواية والنقل، وقوم بالإنكار والتكذيب... ويأبى الله إلا أن يتم نوره...

فالملوك لم يفسحوا المجال للإمام عليه السلام لأن يتصل به العلماء والناس ويستفيدوا من علومه ويستضيئوا بنوره، فقد كانت أيامه قليلة ومضى أكثرها في السجون...

عجيب أمر هؤلاء... فإنهم عندما يسألون عن السبب في قلّة الرواية عن كبار الصحابة - لا سيما الثلاثة - في تفسير القرآن وبيان الأحكام، قالوا: إن السبب تقدّم وفاتهم، فقد قال السيوطي: «أما الخلفاء، فأكثر من روى عنه منهم على بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزره جداً؛ وكأن السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلّة رواية أبي بكر للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تتجاوز العشرة، وأما على، فروى عنه الكثير» (١...).

فهكذا يعتذرون لأولياءهم، وهو عذر باطل غير مقبول، أمّا بالنسبة إلى مثل الإمام

(١) الإتيان في علوم القرآن ٢/ ٤٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٢٩٧

العسكري، فلا يعتذرون بما هو الثابت الحق، بل لسانهم يطول...

ويقول الرجل: إن أحداً من مشايخ الحديث البخاري وغيره، لم يرو عن الإمام العسكري عليه السلام، إلا أنه لا يذكر السبب في ذلك... وهو ما أشرنا إليه... فعدم روايتهم عنه كان لسوء حظهم وعدم توفيقهم، ولا دلالة فيه على ضعف في الإمام عليه السلام والعياذ بالله، بشيء من الدلالات...

مع أنهم يقولون بإمامة البخاري بل يجعلونه إمام أئمتهم، والحال أن أئمة عصره وفي بلده حرّموا السماع منه والرواية عنه وأخرجوه من البلد وطردوه، فقد حكى الذهبي عن الحاكم قال: «سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس عنه، انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم، فقال الذهلي يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحلّ له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عامته وقام على رؤوس الناس، وبعث إلى الذهلي ما كتب عنه على ظهر حمال، وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه.

قال: وسمعت محمد بن يوسف المؤذن، سمعت أبا حامد ابن الشرفي يقول:

حضرت مجلس محمد بن يحيى فقال: ألا من قال لفظي بالقرآن مخلوق فلا يحضر مجلسنا، فقام مسلم بن الحجاج عن المجلس».

رواها أحمد بن منصور الشيرازي عن محمد بن يعقوب فزاد: وتبعه أحمد بن سلمة. قال أحمد بن منصور الشيرازي: «سمعت محمد بن يعقوب الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قام مسلم وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي قال: لا يساكنني هذا الرجل في البلد، فخشى البخاري وسافر» (١).

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٩ - ٤٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩٨

ثم إن العلامة رحمه الله من كبار العلماء في معرفة الرجال وأصحاب الأئمة، وله في ذلك كتب، وقوله: «روت عنه العامة كثيراً» ليس جزافاً، وقد ذكر أسماء جماعة كبيرة من أصحاب الإمام العسكري في كتابه (الخلاصة في علم الرجال) وكثيرون منهم من العامة، وبعد،

فهذه أخبار وروايات وأقوال في كتب غير الشيعة تؤكد قول العلامة: «كان عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه، روت عنه العامة كثيراً»: قال الحافظ أبو نعيم: «أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد القزويني ببغداد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني القاسم بن العلاء الهمداني، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي علي بن محمد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله قد حدثني أبي علي بن موسى قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي موسى بن جعفر قال:

أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي جعفر بن محمد قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي علي بن الحسين قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي الحسين بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني أبي علي بن طالب - رضى الله تعالى عنهم - قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد قال لي جبريل عليه السلام يا محمد، إن مدمن الخمر كعابد الأوثان.

هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة، ولم نكتبه على هذا الشرط

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٢٩٩

بالشهادة بالله ولله إلا عن هذا الشيخ» (١).

وقال الحافظ سبط ابن الجوزي: «وكان عالماً ثقة. روى الحديث عن أبيه عن جده. ومن جملة مسانيد حديث في الخمر عزيز، ذكره جدى أبو الفرج في كتابه المسمى ب (تحريم الخمر) ونقلته من خطه وسمعته يقول:

أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الله بن عطا الهروي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت عبد الرحمن بن أبي عبيد البيهقي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد الدينوري يقول: أشهد بالله، لقد سمعت محمد بن علي بن الحسين العلوي يقول:

أشهد بالله، لقد سمعت أحمد بن عبيد الله السبيعي [الشيعة] يقول: أشهد بالله، لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن محمد يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي بن موسى الرضا يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن موسى يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي محمد بن علي يقول: أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن الحسين يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول: أشهد بالله، لقد سمعت أبي علي بن طالب يقول: أشهد بالله، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله، لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول:

أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد وثن.
ولما روى جدّي هذا الحديث في كتاب (تحريم الخمر) قال: قال أبو نعيم

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠٠

الفضل بن دكين: هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة الطاهرة، ورواه جماعة عن رسول الله «... ١».
وقال الحافظ ابن حجر: «ذ- أحمد بن عبد الله الشيعي - حدث عن الحسن بن علي العسكري. ثم ذكر بسند له مسلسل ب (أشهد بالله) إلى أن وصل إلى محمد بن علي ابن الحسين بن علي قال: أشهد بالله، لقد حدثني أحمد بن عبد الله الشيعي البغدادي قال: أشهد بالله، لقد حدثني الحسن بن علي العسكري قال: أشهد بالله، لقد حدثني أبي علي بن محمد، أشهد بالله، لقد حدثني أبي محمد بن علي موسى الرضا. فذكره مسلسلاً بآباء علي بن موسى إلى علي قال: أشهد بالله «... ٢».
وقال الحافظ عبد العزيز الجنازدي عن رجاله، عن الحافظ البلاذري: «حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى - إمام عصره عند الإمامية - بمكة، قال:

حدثني أبي علي بن محمد المفتي، قال: حدثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب، قال حدثني أبي علي بن موسى الرضا، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر المرتضى، قال:

حدثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدثني أبي محمد بن علي الباقر، قال:

حدثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء، قال: حدثني محمد بن عبد الله سيد الأنبياء، قال: حدثني جبرئيل سيد الملائكة، قال: قال الله عز وجل سيد السادات: إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي «... ٣».

(١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي - مخطوط، تذكرة خواص الأمة: ٣٦٢.

(٢) لسان الميزان ١/ ٢٠٩. ولا يخفى أن «ذ» رمز لذيّل ميزان الاعتدال للشيخ حافظ الوقت أبي الفضل بن الحسين، كما صرح ابن حجر في لسان الميزان ١/ ٤. فيكون الراوي الأول للمسلسل هو هذا الحافظ.

(٣) معالم العترة النبوية للحافظ عبد العزيز بن محمود المعروف بابن الأخضر الجنازدي المتوفى سنة: ٦١١ وصفه الذهبي بالإمام العالم المحدث الحافظ المعمر مفيد العراق، كان ثقةً فهماً خيراً ديناً عفيفاً، وكذا عن غيره. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١. نقله عنه: العلامة الوزير علي بن عيسى الإربلي المتوفى سنة ٦٩٣ والمترجم له في الشذرات والوافي بالوفيات وغيرهما، في كتاب: كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢/ ٤٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠١

وروى غير واحد: أنه وقع في سر من رأى في زمن المعتمد قحط شديد والإمام في السجن، فأمر المعتمد بخروج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصاري والرهبان، وكان فيهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء هطلت بالمطر، ثم خرجوا في الثاني وفعّلوا كفعلهم أول يوم، فهطلت السماء بالمطر، فعجب الناس من ذلك، وداخل بعضهم الشك، وصبا بعضهم إلى دين النصرانية، فشقّ ذلك على المعتمد، فأنفذ صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وأتتني به.

فلما حضر أبو محمد الحسن عند المعتمد قال له: أدرك أمه محمد صلّى الله عليه وآله فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة، فقال أبو

محمد: مرهم يخرجون غداً اليوم الثالث، فقال له: قد استغنى الناس عن المطر واستكفوا، فما فائدة خروجهم؟ قال: لأزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه.

فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرج الناس، فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين، فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون، وخرج راهب معهم ومدّ يده إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضاً كعادتهم، فغميت السماء في الوقت ونزل المطر، فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها، فإذا بين أصابعه عظم آدمي، فأخذه أبو محمد الحسن ولقّه في خرقة وقال لهم: استسقوا. فانقشع الغيم وطلعت الشمس، فتعجب الناس من ذلك.

وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي الأنبياء، ظفر به هؤلاء من

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠٢

قبور الأنبياء، وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر. فاستحسنوا ذلك وامتنحوه فوجدوه كما قال.

فرجع أبو محمد إلى داره بسر من رأى، وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وسر الخليفة والمسلمون بذلك.

وكلم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم وأطلقهم من أجله «١».

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي عن بهلول قال: «بينما ذات يوم في بعض شوارع المدينة وإذا بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبي ينظر إليهم ويبكى.

فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه. فقلت: أي بنى ما يبكيك؟ اشتر لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إلى وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا.

فقلت: فلم إذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة. قلت: من أين لك ذاك بارك الله فيك؟ قال من قول الله تعالى «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ». فقلت: يا بنى، أراك حكيماً، فعطني وأجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق مشمرة على قدم وساق ... الأبيات ...

ثم رمق إلى السماء بعينه وأشار بكفيه ودموعه تتحدر على خديه وأشار بقوله ...

فلما أتم كلامه خر مغشياً عليه، فرفعت رأسه إلى حجرى ونفضت التراب عن وجهه أفاق ... فقلت له: أي بنى أراك حكيماً فعطني، فأنشأ يقول:

غفلت وحادى الموت فى أثرى يحدو وإن لم أرح يوماً فلا بد أن أغدو ... الأبيات.

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً على وانصرف الصبي، فلما أفقت ونظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟ قالوا: وما عرفته؟

(١) الفصول المهمة ٢/ ١٠٨٥، ونور الأبصار: ٣٣٩، الصواعق المحرقة: ١٢٤، أخبار الدول: ١١٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠٣

قلت: لا، قالوا ذاك من أولاد الحسين بن على بن أبى طالب قال: فقلت: قد عجبت من أمره، وما تكون هذه الثمرة إلا- من تلك الشجرة» «١».

وقال الحافظ سبط ابن الجوزى: «روى الحسن النصيبى قال: خطر فى قلبى عرق الجنب هل طاهر؟ فأتيت إلى باب أبى محمد الحسن لأسأله وكان ليلاً، فتمت، فلما طلع الفجر خرج من داره فرآنى نائماً فأيقظنى وقال: إن كان حلالاً فنعم، وإن كان من حرام فلا» «٢».

وروى ابن الصباغ المالكي بسنده عن عيسى بن الفتح قال: «لما دخل علينا أبو محمد السجن قال لي: يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان، قال: وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي، فنظرت فيه فكان كما قال. ثم قال لي: هل رزقت ولداً؟ فقلت: لا. قال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد. ثم أنشد:

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الدليل الذي ليست له عضد
فقلت له: يا سيدي، وأنت لك ولد؟ فقال: والله سيكون لي ولد يملأ الأرض

(١) روض الرياحين في حكايات الصالحين، جمع فيه خمسمائة حكاية. كشف الظنون ١/ ٩١٨، وهو للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي المتوفى: ٧٦٨ صاحب مرآة الجنان وغيره من الكتب، توجد ترجمته في الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، طبقات السبكي ٦/ ١٠٣، البدر الطالع ١/ ٣٧٨ وغيرها. وقد نقلنا القصة باختصار في الأشعار وغيرها، وهي مذكورة بترجمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن: جواهر العقدين - ق ٢ ج ٢ / ٤٣١، الصواعق المحرقة: ١٢٤، وسيلة المال - مخطوط، نور الأبصار: ٣٣٨ عن درر الأصداف، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٥٥، دائرة المعارف للبستاني ٧/ ٤٥.

(٢) مرآة الزمان ٦/ الورقة ١٩٢ و «الحسن النصيبي» ترجم له ابن حجر قال: من ذرية إسحاق بن جعفر الصادق، ذكره أبو المفضل الشيباني في وجوه الشيعة وقال: سمعت عليه حديثاً كثيراً، وله تصنيف في طرق حديث الغدير، وروى عن محمد بن علي بن حمزة وغيره. انتهى كلامه في كتاب لسان الميزان ٢/ ١٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠٤
قسطاً وعدلاً، وأما الآن فلا. ثم أنشد متمثلاً:

لعلك يوماً أن تراني كأنما بنى حوالى الأسود اللّوابد

فإن تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو فى الناس واحد» (١)

وروى ابن صباغ المالكي عن إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس قال: «قعدت لأبى محمد الحسن على باب داره حتى خرج، فقمّت في وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة، وأقسمت أنى لا أملك الدرهم فما فوقه، فقال: تقسم وقد دفنت مائتي دينار! وليس قولى هذا دفعاً لك عن العطية، أعطه يا غلام ما معك. فأعطاني مائة دينار، شكرت له تعالى ووليت فقال: ما أخوفنى أن تفقد المائتي دينار أحوج ما تكون إليها.

فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها، فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها من حيث لا يطلع أحد، ثم قعدت مدة طويلة، فاضطرت إليها، فجنّت أطلبها في مكانها فلم أجدها، فجنّت وشق ذلك على، فوجدت ابناً لى قد عرف مكانها وأخذها وأبعدها، ولم يحصل لى شيء، فكان كما قال» (٢).

وروى ابن الصباغ المالكي عن محمد بن حمزة الدورى قال: «كُتبت على يدى أبى هاشم داود بن القاسم - كان لى مؤاخياً - إلى أبى محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لى بالغنى، وكنت قد بلغت وقلت ذات يدى وخفت الفضيحة، فخرج الجواب على يده:

أبشر، فقد أتاك الغنى عن الله تعالى، مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك وهى واردة عليك، عليك بالاعتقاد وإياك والإسراف.

فورد على المال والخبر بموت ابن عمى كما قال عن أيام قلائل وزال عنى

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٨٨.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٨٦ وإسماعيل ذكره الشيخ الطوسى فى أصحاب العسكري عليه الصلاة والسلام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٠٥

الفقر «... ١».

وقال ابن الصباغ: «مناقب سيدنا أبي محمد الحسن العسكري دالة على أنه السريّ ابن السريّ، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنه لو بيعت مكرمه فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع ونسيج وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره وإمام أهل دهره، أقواله سديده وأفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكانه الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبين غوامضها فلا يحاول ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدث في سرّه بالأمور الخفيات، الكريم الأصل والنفس والذات» «٢».

وقال الحضرمي الشافعي: «كان عظيم الشأن، جليل المقدار، وقد زعمت الشيعة الرافضة أنه والد المهدي المنتظر» «... ٣».

وقال أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي: «إن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصّه الله جلّ وعلا بها فقلده فريدها ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يبلى الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها: أن المهدي محمداً نسله المخلوق منه وولده المنتسب إليه وبضعته المنفصلة عنه ... وحسب ذلك منقبة وكفا» «٤».

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٨٥.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٩٠.

(٣) وسيلة المآل في عد مناقب الآل - مخطوط.

(٤) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ٤٧٦ وأبو سالم محمد بن طلحة فقيه كبير ومحدث جليل، له مصنفات، توجد ترجمته والثناء عليه والشهادة ببراعته في المذهب الشافعي وثقته وزهده وجلالته في ذيل الروضتين: ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٣، الوافي بالوفيات ٣/ ١٧٦، طبقات السبكي ٨/ ٦٣، ابن كثير ١٣/ ١٨٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٣، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٩ ... توفي سنة ٦٥٢، وقد ذكر الكتاب في كشف الظنون وهدية العارفين وإيضاح المكنون وغيرها، واعتمد عليه المتأخرون عنه في كتبهم ومؤلفاتهم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٠٦

وقال النبهاني: «الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا آل البيت العظام وساداتهم الكرام، رضى الله عنهم أجمعين، ذكره الشبراوي في (الإتحاف بحبّ الأشراف) ولكنه اختصر ترجمته، ولم يذكر له كرامات.

وقد رأيت له كرامة بنفسى، وهو أنى في سنة ١٢٩٦ سافرت إلى بغداد من بلدة كوى سنجق - إحدى قواعد بلاد الأتراك - وكنت قاضياً فيها، ففارقته قبل أن أكمل المدة المعيّنة، لشدة ما وقع فيها من الغلاء والقحط، اللذين عمّا بلاد العراق في تلك السنة، فسافرنا على الكلوك قبالة مدينة سامراء، وكانت مقرّ الخلفاء العباسيين، فأحببنا أن نزور الإمام الحسن العسكري، وخرجنا لزيارته، فحينما دخلت على قبره الشريف حصلت لى روحانية لم يحصل لى مثلها قط ... وهذه كرامة له. ثم قرأت ما تيسّر من القرآن، ودعوت بما تيسّر من الدعوات وخرجت» «١».

أقول: وقد سبق الشبراوي في اختصار ترجمته وعدم ذكر كرامات له قوم كالخطيب البغدادي وابن الجوزي، بل لم يذكروا شيئاً من أخباره، بل منهم من لم يذكره في كتابه أصلاً! مع ذكرهم كلّ من دبّ ودرج وإيرادهم بتراجمهم الأكاذيب والأباطيل الأعاجيب! إن توارى عنهم طافحة بأخبار الأتراك والزنج وغيرهم من المفسدين، ولا يذكرون شيئاً أو يذكرون سطوراً معدودة من أخبار آل الرسول والأئمة الهداة المهديين! ... فإننا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

(١) جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٨٩ ويوسف بن إسماعيل النبهاني، عالم في الفقه والحديث وأديب شاعر، ومصنف أكثر، توفي سنة

١٣٥٠ توجد ترجمته في معجم المؤلفين ١٣ / ٢٧٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠٧

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ... ص: ٣٠٧

إشارة

قال قدس سره: وولده مولانا الإمام المهدي محمد عليه السلام...

الشرح:

قال ابن تيمية: «قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب.

والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء وهو صغير، منهم من قال: عمره سنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: خمس سنين.

وهذا لو كان موجوداً معلوماً، لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه، كأمه وأمه ونحوهما من أهل الحضنة، وأن يكون ما له عند من يحفظ...

ثم إن هذا باتفاق منهم، سواء قَدَّر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به...

هذا المنتظر لم يحصل لطائفة إلا الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة والألم ومعاناة العالم...

ثم إن عُمرَ واحدٍ من المسلمين هذه المدة أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في آخر عمره:

أرايتكم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد...

ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح. واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر، والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، وبتقدير

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٠٨

بقائه فليس هو من هذه الأمة...

وقوله: روى ابن الجوزي ... فيقال: الجواب من وجوه:

أحدها: إنكم لا تحتجون بأحاديث أهل السنة، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم فائدة. وإن قلتم: هو حجة على أهل السنة. فنذكر كلامهم فيه.

الثاني: إن هذا من أخبار الآحاد، فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به؟

الثالث: إن لفظ الحديث حجة عليكم لا لكم، فإن لفظه: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. فالمهدي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله اسمه: محمد بن عبد الله، لا محمد بن الحسن. وقد روى عن علي أنه قال: هو من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين.

وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الرابع: إن الحديث الذي ذكره وقوله: اسمه كاسمي وكنيته كنييتي، ولم يقل:

يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. فلم يروه أحد من أهل العلم بالحديث في كتب الحديث المعروفة بهذا اللفظ.

فهذا الرفض لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث، مثل مسند أحمد، وسنن أبي داود، والترمذي، وغير ذلك من الكتب، وإنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم.

وقوله: إن ابن الجوزي رواه بإسناده. إن أراد العالم المشهور صاحب المصنفات الكثيرة أبا الفرج، فهو كذب عليه، وإن أراد سبطه يوسف بن قزأوغلي، صاحب التاريخ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٠٩

المسمى بمرآة الزمان، وصاحب الكتاب المصنف في الاثنى عشر الذي سَمَّاه إعلام الخواص، فهذا الرجل يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغث والسمين، ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وكان يصنف بحسب مقاصد الناس، يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه. فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟

قال: في أي مدينة؟ ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلث الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم - لأجل مداهنه من قصد بذلك من الشيعة، ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم.

ولهذا لما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبي صلى الله عليه وآله قال في المهدي: يواطئ اسمه اسمي أبيه اسم أبي، صار يطمع كثير من الناس في أن يكون هو المهدي، حتى سمي المنصور ابنه محمداً ولقبه بالمهدي مواطاة لاسمه باسمه واسم أبيه باسم أبيه، ولكن لم يكن هو الموعود به.

وأبو عبد الله محمد بن التومرت ... وهذا الملقب بالمهدي ظهر سنة بضع وخمسمائة، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة...

وقد ادعى قبله أنه المهدي: عبيد الله بن ميمون القداح ... هو وأهل بيته كانوا ملاحدة، وهم أئمة الإسماعيلية ... وقد ظهر سنة تسع وتسعين ومائتين، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وانتقل الأمر إلى ولده ... وانقرض ملك هؤلاء في الديار المصرية سنة ثمان وستين وخمسمائة، فملكوها أكثر من مائتي سنة، وأخبارهم عند العلماء مشهورة بالإلحاد والمحاددة لله ورسوله والردّة والنفاق.

والحديث الذي فيه: لا مهدي إلا عيسى بن مريم، رواه ابن ماجه، وهو حديث ضعيف «... ١».

(١) منهاج السنة ٨٧/٤ - ١٠٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣١٠

أقول:

هذا كلام الرجل في هذا المقام، وما صدر منه - في كتابه، حول الإمام المهدي - مما يخالف أدب أهل الدين ودأب المحققين والمناظرين كثير...

كقوله: «ومن حماقتهم أيضاً أنهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذي بسامراء الذي يزعمون أنه غاب فيه، ومشاهد آخر، وقد يقيمون هناك دابة - إما بغلة وإما فرساً وإما غير ذلك - ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إما في طرفي النهار وإما في أوقات آخر من ينادى عليه بالخروج: يا مولانا أخرج، يا مولانا أخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقات الصلاة دائماً لا يصلّي خشية أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهدة، كمدينة النبي صلى الله عليه وآله، إما في العشر الأواخر من رمضان وإما في غير ذلك، يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

ومن المعلوم أنه لو كان موجوداً وقد أمره الله بالخروج، فإنه يخرج سواء نادوه أو لم ينادوه، وإن لم يأذن له فهو لا يقبل منهم، وأنه

إذا خرج فإن الله يؤيده ويأتيه بما يركبه وبمن يعينه وينصره، لا يحتاج إلى أن يوقف له دائماً من الآدميين من ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

والله سبحانه قد عاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه فقال تعالى:

«ذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ». هذا، مع أن الأصنام موجودة، وكان يوم فيها أحياناً شياطين تترأى لهم وتخطبهم.

ومن خاطب معدوماً كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجوداً وإن كان

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١١

جماداً، فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه الله كان ضلاله أعظم من ضلال هؤلاء» ... ١.

أقول: وما تكلم به حول الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من هذا النسق، وما نسبته إلى الإمامية من هذا القبيل ... كثير أوردنا قسماً منه في (المدخل)، وإنما نقلنا هذه الفقرة من كلماته هنا ليظهر طرف من أكاذيبه وافتراءاته على هذه الطائفة وإمامها، وليعلم أن الرجل لا يزعه عن الكذب والبهتان دين ولا عقل.

إلا- أن من الضروري البحث بإيجاز عن العقيدة الصحيحة حول الإمام المهدي عليه السلام، المستندة إلى الأدلة المقبولة لدى المسلمين، ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، والله هو المستعان.

١- الاعتقاد بالمهدي من ضرورات الدين ... ص: ٣١١

لقد كان الإخبار عن المهدي وأخباره من جملة المغيبات التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله بالقطع واليقين، ودعا الأمة إلى التصديق والإذعان بها، فكان الاعتقاد بالمهدي من ضرورات الدين الإسلامي، وأن من أنكره فقد كذب النبي فيما أخبره، وذلك كفر. قال ابن تيمية: «وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم».

قلت: سنذكر طرفاً من تلك الأحاديث في الفصول الآتية. والمقصود هنا أن الاعتقاد بالمهدي يعدّ من ضرورات الإسلام، للأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي فيه، عند جميع الفرق الإسلامية ... والتي أفردتها جمع غفير من علماء الشيعة والسنة بالتأليف.

(١) منهاج السنة ١/ ٤٤-٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١٢

٢- من أشهر المؤلفين من أهل السنة في المهدي ... ص: ٣١٢

وكان من أشهر من ألف في ذلك من أهل السنة، من السابقين واللاحقين:

أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب المعروف بابن أبي خيثمة، المتوفى سنة: ٢٧٩.

أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي، المتوفى سنة ٢٨٨.

أبو حسين ابن المنادي، المتوفى سنة ٣٣٦.

أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

أبو العلاء العطار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩.

- عبد الغنى المقدسى، المتوفى سنة ٦٠٠.
- محي الدين ابن عربى الأندلسى، المتوفى سنة ٦٣٨.
- سعد الدين محمد بن مؤيد الحموى الجوينى، المتوفى سنة ٦٥٠.
- أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجى، المتوفى سنة ٦٥٨.
- يوسف بن يحيى المقدسى، المتوفى سنة ٦٨٥.
- ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٦٨٥.
- بدر الدين النابلسى، المتوفى سنة ٧٧٢.
- أبو الفداء ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤.
- ولى الدين أبو زرعة الدمشقى، المتوفى سنة ٨٢٦.
- جلال الدين السيوطى، المتوفى سنة ٩١١.
- شهاب الدين ابن حجر المكى، المتوفى سنة ٩٧٤.
- على بن حسام المتقى الهندى، المتوفى سنة ٩٧٥.
- نور الدين على القارى، المتوفى سنة ١٠١٤.
- مرعى بن يوسف المقدسى، المتوفى: ١٠٣٣.
- شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١٣
- محمد رسول الله البرزنجى، المتوفى سنة ١١٠٣.
- محمد بن إسماعيل الصنعانى، المتوفى سنة ١١٨٢.
- على بن محمد الجمالى المغربى، المتوفى سنة ١٢٤٨.
- محمد بن على الشوكانى، المتوفى سنة ١٢٥٠.
- شهاب الدين أحمد الحلوانى، المتوفى سنة ١٣٠٨.
- محمد حبيب الله الشنقيطى، المتوفى سنة ١٣٦٣.
- أحمد بن صديق الغمارى، المتوفى سنة ١٣٨٠.

٣- من أشهر القائلين بصحة أخبار المهدي أو تواترها ... ص: ٣١٣

- بل إن كثيراً من أئمة القوم يصرحون بتواتر أخبار المهدي أو صحتها من طرقهم منهم:
- محمد بن عيسى الترمذى، المتوفى سنة ٢٩٧.
- محمد بن الحسين الآبرى، المتوفى سنة ٣٦٣.
- أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، المتوفى سنة ٤٠٥.
- أبو بكر البيهقى، المتوفى سنة ٤٥٨.
- أبو محمد الفراء البغوى، المتوفى سنة ٥١٠، ٥١٦.
- ابن الأثير الجزرى صاحب النهاية، المتوفى سنة ٦٠٦.
- جمال الدين المزى، المتوفى سنة ٧٤٢.
- شمس الدين الذهبى، المتوفى سنة ٧٤٨.

نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧.

شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١٤

٤- المهدي من هذه الأمة ... ص: ٣١٤

وتفيد الأحاديث المتواترة: أن المهدي من هذه الأمة، وعليه اعتقاد المسلمين قاطبة، من السلف والخلف.

وأما حديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» في سنن ابن ماجه، فقد نصّ أئمة الحديث والرجال على ضعفه، قال ابن ماجه: «حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن إدريس الشافعي، حدّثني محمد بن خالد الجندی، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبار ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم» (١).

قلت: هذا الحديث تكذبه أخبار المهدي عند أهل البيت عليهم السّلام وأحاديثه الواردة بالتواتر من طرق غيرهم، ولذا فقد ضعفه الأئمة كالحاكم والبيهقي وغيرهما «٢»، وقد تكلم علماء القوم في رجاله، قالوا في سنده (محمد بن خالد الجندی) وهو المنفرد بروايته، ولذا أوردوه بترجمته: فقال المزي: «محمد بن خالد الجندی الصنعاني المؤذن، روى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس حديث: لا مهدي إلا عيسى بن مريم ... روى له ابن ماجه حديث المهدي ... قال أبو بكر بن زياد: وهذا حديث غريب ... وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: هذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندی. قال أبو عبد الله الحافظ: ومحمد بن خالد رجل مجهول، واختلفوا في إسناده» (٣) ...

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٤٠ - ١٣٤١.

(٢) التاج الجامع للأصول ٥/ ٣٤١.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥/ ١٤٦ - ١٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١٥

وقال الذهبي: «محمد بن خالد الجندی، عن أبان بن صالح. روى عنه الشافعي.

قال الأزدي: منكر الحديث، وقال أبو عبد الله الحاكم: مجهول. قلت: حديثه: لا مهدي إلا عيسى بن مريم. وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجه» (١) ...

وقال ابن حجر: «محمد بن خالد الجندی، بفتح الجيم والنون، المؤذن. مجهول.

من السابعة - ق» (٢).

قلت: و (أبان بن صالح) وإن وثقة الأئمة - كما قالوا - لكن عن الحافظين ابن عبد البر وابن حزم أنهما ضعفاه «٣».

وقال الذهبي: «لكن قيل: إنه لم يسمع من الحسن، ذكره ابن الصلاح في أماليه» (٤).

و (الحسن) هو: الحسن البصري المعروف المشهور، وعداده في بعض الكتب في مبغضي على عليه السلام، ولذا ورد الدم فيه عن أهل البيت، بل قيل بتواتر ذلك عنهم «٥».

وأما أهل السنة، فإنهم وإن رووا عنه في الصحاح الستة وعدوه من الزهاد الثمانية، فقد نصّوا على أنه كان كثير الإرسال والتدليس «٦».

قلت: و (يونس بن عبد الأعلى) وإن وثقوه إلا أنه متهم بالكذب في هذا الخبر، فقد قال الحافظ المزي: «وروى الحافظ أبو القاسم في

تاريخ دمشق بإسناده عن أحمد بن محمد بن رشدين قال: حدثني أبو الحسن علي بن عبيد الله الواسطي قال:

(١) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٧١.

(٣) تهذيب التهذيب ١ / ٨٢.

(٤) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٥) تنقيح المقال ١ / ٢٦٩.

(٦) تقريب التهذيب ١ / ١٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١٦

رأيت محمد بن إدريس الشافعي في المنام فسمعتة يقول: كذب علي يونس في حديث الجندی حديث الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله في المهدي. قال الشافعي: ما هذا من حديثي ولا حدث به، كذب علي يونس «١».

هذا كله بالإضافة إلى أن الذهبي قال: وللحديث علة أخرى ... فذكرها «٢».

هذا، وقد جاء في النصوص الصحيحة المتكاثرة: أن عيسى بن مريم ينزل ويصلي خلف المهدي، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم بسندهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» «٣».

وما أخرجه أحمد بسنده عنه أنه قال في حديث فيه ذكر الدجال: «إذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم» «٤».

قال المناوي: «فإنه ينزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيحس به فيتأخر ليتقدم، فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه. فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأمة» «٥».

قال أبو الحسن الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم - يعني في المهدي - وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، ويملا الأرض عدلاً، وأنه يخرج عيسى بن مريم فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين. وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى - صلوات الله عليه - يصلي خلفه، في

(١) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٥٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥ - ٥٥٦.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٤٣، صحيح مسلم ١ / ٩٤.

(٤) مسند أحمد ٣ / ٣٦٨.

(٥) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٦ / ٢٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣١٧

طول من قصته وأمره» «١».

وقال السيوطي ردّاً على من أنكر هذا: «هذا من أعجب العجب، فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أخبار صحيحة، بإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الصادق المصدق الذي لا يخلف خبره» «٢».

أقول: فظهر سقوط قول السعد التفتازاني: «فما يقال: إن عيسى يقتدى بالمهدي أو بالعكس، شيء لا مستند له، فلا ينبغي أن يعول عليه» «٣».

٥- المهدي من عترة النبي وأهل بيته ... ص: ٣١٧

وهذا أيضاً مما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديث المسلمين، كما عرفت التصريح بذلك في بعض الكلمات ... ومن ذلك:

ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم - واللفظ للأول - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» (٤).

وما أخرجه ابن ماجه في باب خروج المهدي عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة» (٥).

وما أخرجه أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى تمتلي الأرض ظلماً وعدواناً قال: ثم يخرج رجل من

(١) تهذيب الكمال ١٤٩ / ٢٥.

(٢) الحاوي للفتاوى ١٦٧ / ٢.

(٣) شرح المقاصد ٣٠٨ / ٢.

(٤) مسند أحمد ٣٧٦ / ١، سنن الترمذي ٣ / ٣٤٣، سنن أبي داود ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠.

(٥) سنن ابن ماجه ١٣٦٧ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣١٨

عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» (١).

وأخرجه الحاكم بالسند بلفظ «أهل بيتي» وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ووافقه الذهبي في تلخيصه (٢).

وأخرجه عن أبي سعيد الخدري بلفظ «من عترتي» قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

ووافقه الذهبي (٣).

٦- المهدي من ولد فاطمة ... ص: ٣١٨

وهو من ولد فاطمة بضعة النبي وسيدة نساء العالمين عليها السلام.. ومن الأحاديث في ذلك:

ما أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» (٤).

وأخرجه الحاكم والذهبي عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله يذكر المهدي فقال: «نعم هو حق، وهو من بني فاطمة» (٥).

وصحح في التاج سندی أبي داود والحاكم (٦).

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٦.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٥٥٧ / ٤.

(٣) المستدرک علی الصحيحین ٥٥٨ / ٤.

(٤) سنن أبي داود ٣١٠ / ٢، المستدرک ٥٥٧ / ٤، سنن ابن ماجه ١٣٦٨ / ٢، التاج ٣٤٣ / ٥.

(٥) المستدرک على الصحيحين ٥٥٧ / ٤.

(٦) التاج الجامع للأصول ٣٤٣ / ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣١٩

٧- المهدي من ولد الحسين ... ص: ٣١٩

وتعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأن المهدي من ولد الإمام الشهيد السبط أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأخبارهم بذلك متواترة، وتوافقت معها روايات أهل السنة - في قسم منها - فكان هذا القول هو المتفق عليه بين الفريقين، كما سيأتي ذكر أسماء جماعة من مشاهير أهل السنة في الحديث والتاريخ وغيرهما القائلين بأن المهدي ابن الإمام الحسن الزكي العسكري عليه السلام، من ولد الحسين.

وانفردت كتب أولئك القوم بروايات تفيد أنه من ولد الإمام الحسن السبط الأكبر عليه السلام، وبه قال جماعة منهم:

قال الشيخ على القاري: «واختلف في أنه من بنى الحسن أو من بنى الحسين.

ويمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسنين، والأظهر أنه من جهة الأب حسني، ومن جانب الأم حسيني، قياساً على ما وقع في ولدي إبراهيم وهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، حيث كان أنبياء بنى إسرائيل كلهم من بنى إسحاق، وإنما نبئ من ذرية إسماعيل نبينا صلى الله عليه وآله وقام مقام الكل، ونعم العوض وصار خاتم الأنبياء، فكذلك لما ظهرت أكثر الأئمة وأكابر الأمة من ولد الحسين، فناسب أن ينجر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء.

على أنه قد قيل: لما نزل الحسن رضى الله تعالى عنه عن الخلافة الصورية - كما ورد في منقبه في الأحاديث النبوية أعطى له لواء ولاية المرتبة القطيية، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوّة العيسوية، واتفاقها على إعلاء كلمة الملة النبوية على صاحبها ألوف السلام وآلاف التحية.

وسيأتي في حديث أبي إسحاق عن على كرم الله تعالى وجهه ما هو صريح في

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٢٠

هذا المعنى. والله تعالى أعلم» ١.

أقول:

أولاً: إن قضية (المهدي) من الأمور الغيبية التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله - كما أخبر عن القبر والقيامة وأحوالها، وعن الفتن والملاحم وعن أشراط الساعة وقضايا الدجال وغير ذلك - ولا يجوز الاعتماد في مثل هذه الأمور الإعتقادية إلا على الأخبار الصحيحة المتقنة الواردة عنه، فكيف بمثل ما ذكره القاري من الاستحسانات والتخييلات التي صنعتها الأفكار الفاسدة والأوهام الكاسدة.

وعلى الجملة، فإنه لا يجوز الإعتقاد بشيء استناداً إلى (القليل) و (المناسب أن يكون) ... وما هو من هذا القبيل.

وثانياً: إن هذا الوجه الذي ذكره لأن يكون (المهدي) من ولد (الحسن) وهو (تنازل الحسن عن الخلافة) إن هو إلّا وجه اصطنعه القوم في مقابل ما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام من أن الله سبحانه جعل (المهدي) من ولد (الحسين)، لاستشهاده في سبيل الله وحفظاً لدينه من كيد المنافقين من بنى أمية وغيرهم.

وثالثاً: قوله: «وسيأتي في حديث أبي إسحاق» ... يفيد أن الحديث المشار إليه هو عمدة القائلين بأن (المهدي) من ولد (الحسن) لا (الحسين) وهذا هو الكلام عليه بالتفصيل:

فقد أخرج صاحب المشكاة عن أبي إسحاق قال: «قال علي - ونظر إلى ابنه الحسن - قال: إن ابني هذا سيد كما سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيخرج من صلب رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق. ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصة» (٢).

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥/ ١٧٩.

(٢) مشكاة المصابيح ٣/ ١٥٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢١

قال القاري بشرحه: «فهذا الحديث دليل صريح على ما قدّمناه من أن المهدي من أولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الأم إلى الحسين، جمعاً بين الأدلة، وبه يبطل قول الشيعة: إن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر، فإنه حسيني بالاتفاق. لا يقال: لعلّ عليّاً رضي الله تعالى عنه أراد به غير المهدي. فإننا نقول: يبطله قصّة يملأ الأرض عدلاً، إذ لا يعرف في السّادات الحسينية ولا الحسينية من ملأ الأرض عدلاً إلا ما ثبت في حق المهدي الموعود» (١).

أقول: إنه لا دليل في الأصول الستة المسمّاة بالصّحاح عند القوم، على أن (المهدي) من ولد (الحسن) إلا هذا الحديث، وهو ليس إلا في (سنن أبي داود).

قال ابن الأثير: [د- أبو إسحاق، عمرو بن عبد الله السبيعي رحمه الله قال: قال علي - ونظر إلى ابنه الحسن - فقال ...: ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً] أخرجه أبو داود ولم يذكر القصة» (٢).

وقال الشيخ منصور: «عن علي رضي الله عنه قال وقد نظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيد كما سَمَّاه النبي صلى الله عليه وآله، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق. وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يخرج رجل من وراء النهر ... رواهما أبو داود» (٣).

أقول: إذا كان هذا هو الدليل الوحيد للقول بأن (المهدي) من ولد (الحسن)، فلا بدّ من التأمل فيه سنداً ولفظاً ومدلولاً:

أما سند الحديث، فقد جاء في سنن أبي داود:

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥/ ١٦٨.

(٢) جامع الأصول ١١/ ٤٩.

(٣) التاج ٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢٢

«قال أبو داود: حدثت عن هارون بن المغيرة قال: نا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال قال علي ... ثم ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً» (١).

ويكفي لو ههنا ما في أول السند وآخره.

أما أوّله فأبو داود يقول: «حدثت عن هارون بن المغيرة» فمن الذي حدّثه به؟

وأما في آخره فأبو إسحاق السبيعي إنما رأى عليّاً عليه السلام رؤية فقط، فلا بدّ وأنه حدّث بذلك، فمن الذي حدّثه به؟

هذا، وقد جاء في حاشية جامع الأصول عن الحافظ المنذري: «قال المنذري: هذا منقطع؛ أبو إسحاق رأى عليّاً رؤية فقط. وقال فيه أبو داود: حدثت عن هارون بن المغيرة» كما جاء في حاشية المشكاة «إسناد الحديث ضعيف».

وأما لفظه فمختلف صدرًا وذيلًا.

أما صدره، ففي أنه (الحسن) أو (الحسين)؟ فقد قال القندوزي الحنفي: «وعن أبي إسحاق قال: قال علي - ونظر إلى ابنه الحسين، قال: إن ابني هذا سيد ... ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلًا. رواه أبو داود ولم يذكر القصة» (٢). وهذا نفس ما جاء في (جامع الأصول) و (المشكاة) نقلًا عن (أبي داود) إلا أنه بلفظ (الحسين) لا (الحسن). هذا بالنسبة إلى حديث أبي داود.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى حديث غيره من أحاديث الباب، الواردة في بعض الكتب، فهذا السلمي الشافعي يروي في كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر) عن الأعمش عن أبي وائل مثل حديث أبي إسحاق السبيعي، لكن النسخ مختلفة، فعن

(١) صحيح أبي داود ٣١١ / ٢.

(٢) ينابيع المودة ٢٥٩ / ٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢٣

النسخة الأصلية، وكذا المستنسخة عن خط المؤلف: «نظر إلى الحسين» وفي بعض النسخ الأخرى منه: «نظر إلى الحسن». وروى عن الحافظ أبي نعيم في (صفة المهدى) حديث حذيفة الآتي عن (ذخائر العقبى)، فكان في النسخة الأصلية والمكتوبة عن خطه أيضاً: «وضرب يده على الحسين»، لكن في بعض النسخ الأخرى: «الحسن» (١).

فهل وقع هذا الاختلاف عندهم من جهة التشبه بين لفظي (الحسن) و (الحسين) كتابةً، أو كان هناك قصد وعمد من بعض المغرضين كيلا تصل الحقائق إلى الأمة كما هي، وكما تروى عن أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت؟ إنه وإن لم نستبعد الاحتمال الأول، لكن الذي يقوى في النظر هو الثاني، لقرائن كثيرة عندنا تؤيده، لا سيما فيما يتعلق بأهل البيت، وحتى في هذا المورد عثرنا على قرينة على أن القوم كانوا يحاولون كتم الحقيقة - وهي كون (المهدى) من ولد (الحسين) - أو كانوا يمتنعون من التصريح بها والله العالم بسبب ذلك! وذلك:

ما رواه الإمامان الحافظان أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي، وأبو عبد الله نعيم بن حماد، عن قتادة قال: «قلت لسعيد بن المسيب: أحق المهدى؟ قال: نعم، هو حق. قلت: ممن هو؟ قال: من قريش. قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم. قلت: من أي بني هاشم؟ قال: من ولد عبد المطلب. قلت: من أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمة. قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن» (٢).

قلت: فلماذا (حسبك الآن)؟ الله أعلم!

هذا فيما يتعلق بصدر حديث أبي داود.

وأما ذيله، فقد عرفت أن أبا داود يقول: «وذكر قصة يملأ الأرض عدلًا» فمن الذي (ذكر)؟

(١) عقد الدرر: ٢٣ - ٢٤.

(٢) عقد الدرر: ٢٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢٤

ولماذا لم يذكر أبو داود القصة، كما تبه عليه ابن الأثير وصاحب المشكاة وغيرهما؟

ثم جاء صاحب (التاج) فلم يذكر قوله: «وذكر قصة يملأ الأرض عدلًا» أصلاً، مما يؤكد أن هذه القطعة لم تكن من الحديث. ويزيده تأكيداً أن الحافظ البيهقي رواه في كتاب (البعث والنشور) عن أبي إسحاق كذلك، أي إلى قوله: «يشبهه في الخلق ولا يشبهه

في الخلق» (١).

وأما مفاد الحديث ومدلوله، فإنه بعد ما عرفت الإضطراب في لفظه ومنتنه لا يدل على شيء، فلا يبقى مجال لما ذكره القارى، ويسقط ما ادّعه من أن الحديث يبطل ما تذهب إليه الشيعة الإمامية! وأيضاً: يبقى الإشكال الذى أورده بقوله: «لا يقال: لعلّ علياً»... على حاله، إذ قصة (يملاً الأرض عدلاً) لم يظهر كونها من الحديث عن على عليه السلام لو كان بلفظ (الحسن).

وتلخص: أن لا دلالة لحديث أبى داود على ما ذهب إليه بعض أهل السنة من أن (المهدى) من ولد (الحسن) إن صحّ سنده... وقد ثبت عندنا أن لا مستمسك لهذا القول فى الكتب المعتبرة المشتهرة عندهم إلّا هذا الحديث الذى عرفت حاله سنداً ومتناً ودلالة. فما ذهب إليه أصحابنا- ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون- من أنه من ولد (الحسين) هو الحق. وبه تواترت الأخبار عندهم، ومن أخبار أهل السنة فى ذلك: قوله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله عز وجل

(١) عقد الدرر: ٣١.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢٥

ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدى، اسمه اسمى. فقام سلمان الفارسى - رضى الله عنه - فقال: يا رسول الله، من أى ولدك؟ قال: من ولدى هذا. وضرب بيده على الحسين». أخرجه الطبرانى فى الأوسط، وأبو نعيم فى الأربعين حديثاً فى المهدى، وغيرهما، وراجع: المنار المنيف لابن القيم: ١٤٨، عقد الدرر: ٢٤، فرائد السمطين ٢/ ٣٢٥، القول المختصر: ٧.

وقوله صلى الله عليه وآله لفاطمة بضعتى فى مرض وفاته: «ما يبكيك يا فاطمة؟

أما علمت أن الله تعالى أطلع إلى الأرض إطلاعةً فاختار منها أباك فبعثه نبياً، ثم أطلع ثانياً فاختار بعلك، فأوحى إلى فأنكحته واتخذته وصياً. أما علمت أنك بكرامة الله تعالى أباك زوجك أعلمهم علماً وأكثرهم حِلماً وأقدمهم سلماً؟ فضحكت واستبشرت. فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله - أن يزيد لها مزيد الخير كله الذى قسمه الله لمحمد وآل محمد، فقال لها:

يا فاطمة، ولعلى ثمانية أضراس يعنى مناقب، إيمان بالله ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. يا فاطمة: إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمّ أبيك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنا مهدي الأمة الذى يصلى عيسى خلفه.

ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأمة».

أخرجه الدارقطنى وأبو المظفر السمعانى. وانظر: البيان للكنجى الشافعى، وكفاية الطالب / ٥٠١، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى / ٢٩٥.

وعن عبد الله بن عمرو: «يخرج المهدى من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاتاً».

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢٦

أخرجه الحافظ نعيم بن حماد، والحافظ الطبرانى والحافظ أبو نعيم. راجع: عقد الدرر للسلمى الشافعى / ٢٢٣.

٨ - ذكر بعض من قال بأن المهدى هو ابن الحسن العسكرى ... ص: ٣٢٦

ولقد صرح جماعة كبيرة من أعلام أهل السنة، بمن فيهم المحدثون والمؤرخون والعرفاء والصوفية، بأن (المهدى) هو ابن (الحسن بن

على العسكري) ونصّوا على ولادته، ومنهم:
 أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩.
 أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.
 أبو محمد عبد الله بن الخشاب، المتوفى سنة ٥٦٧.
 ابن الأزرق المؤرخ، المتوفى سنة ٥٩٠.
 ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.
 كمال الدين ابن طلحة، المتوفى سنة ٦٥٢.
 سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.
 أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.
 صدر الدين القونوي، المتوفى سنة ٦٧٢.
 صدر الدين الحموي، المتوفى سنة ٧٢٣.
 عمر بن الوردی، المتوفى سنة ٧٤٩.
 صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤.
 شمس الدين ابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣.
 ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
 جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
 شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٢٧
 الشيخ عبد الوهاب الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣.
 ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.
 الشيخ علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٣.
 الشيخ عبد الحق الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢.
 شاه ولي الله الدهلوي، المتوفى سنة ١١٧٦.
 الشيخ القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤.

النظر في كلام ابن تيمية والرد عليه ... ص: ٣٢٧

إذا عرفت ما ذكرناه في الفصول المتقدمة، ظهر لك ما في كلمات ابن تيمية في المقام، من المزاعم الباطلة والدعاوى العاطلة:
 أمّا قوله: «ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي ابن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب».
 ففيه:

نسبة القول بأن الإمام العسكري لم يعقب إلى الطبري ... ص: ٣٢٧

أولاً: إن المرجع المعتمد عليه في مثل هذه الأمور هم (أهل البيت) ومن كان منهم ومن شيعتهم العارفين بأحوالهم، لا الأبعد الذين لا يمتُّون إليهم بصله، فكيف بالمقاطعين والمناوئين لهم!

وثانياً: قد عرفت أن القائمين بولادة الإمام المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام من غير شيعتهم كثيرون.

وثالثاً: لقد سبق وأن نسب هذا القول إلى الطبري وعبد الباقي وغيرهما من أهل العلم بالنسب، فقال محمد رشاد سالم في ذيله هناك ما هذا نصه: «قد أشار الأستاذ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٢٨

محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى من منهاج الاعتدال، تعليق ٣/٢ إلى واقعة حدثت سنة ٣٠٢، وهي مذكورة في تاريخ الطبري، تبين أن الحسن العسكري لم يعقب. وقد ذكر الواقعة عريب بن سعد القرطبي في صله تاريخ الطبري: ٣٤/٨ - القاهرة - ١٣٥٨/١٩٣٩ «١».

فاكتفى هناك ب (الإشارة) إلى (الإشارة)، ثم أوضح ذلك هنا قائلاً: «أشرت هناك إلى أن عريب بن سعد القرطبي قد ذكر في (صلة تاريخ الطبري) أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب، وخلاصة هذه الواقعة في (تاريخ الطبري: ١١/٤٩ - كتاب الصلة): إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي فأمر المقتدر بإحضار ابن طومار نقيب الطالبين ومشايخ آل أبي طالب فسأله عن نسبته، فزعم أنه محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر الرضا، وأنه قدم من البادية، فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وكان قوم يقولون: إنه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب... الخ» «٢».

ثم نقل كلام بعض المعاصرين وهو الدكتور أحمد صبحي!!

هذا غاية ما أمكن الرجل أن يذكره تشييداً وتأييداً لنسبه نفى الإعقاب إلى الطبري وغيره من علماء التواريخ والأنساب! فابن تيمية لم يذكر لا موضع كلام الطبري وابن قانع، ولا واحداً من أسماء غيرهما من أهل التاريخ والنسب! وهذا الرجل الناشر لكتابه والمعلق عليه لم يأت بموضع كلام الطبري ولا غيره مطلقاً، وإنما أشار إلى وجود «واقعة» كما قال، وأوردها عريب بن سعد القرطبي في كتاب (صلة تاريخ الطبري)! وهو تارة يكتفى ب «إشارة الأستاذ محب الدين»... إلى تلك

(١) منهاج السنة ١/١٢٢ هامش.

(٢) منهاج السنة ٤/٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٢٩

«الواقعة» الحادثة في سنة ٣٠٢ ويدعى كونها مذكورة في تاريخ الطبري «لابد أن تكون في حوادث السنة المذكورة!» وهو يزعم أن الواقعة «تبين» أن الحسن العسكري لم يعقب، ثم يضيف أنه «قد ذكر الواقعة عريب»... فكأنها مذكورة في (تاريخ الطبري) و (صلة تاريخ الطبري) معاً في سنة ٣٠٢. وتارة أخرى: لا- ينسب الخبر إلى (الطبري) وإنما ينسبه إلى (عريب) ويقول من قبل: «إن عريب بن سعد القرطبي قد ذكر في صله تاريخ الطبري أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب!! ثم إنه لم يذكر «الواقعة» بتمامها، وإنما ذكر «خلاصة هذه الواقعة»....

فنقول:

١- بغض النظر عن تكلمهم في الطبري وكتابه، فلم يقل في (تاريخه) إن الحسن بن علي العسكري لم يعقب، فنسبه القول بذلك إليه كذب.

٢- إن (تاريخ الطبري) ينتهي بحدوث سنة ٣٠٢ وليس فيها الواقعة، فالقول بوجودها فيه كذب.

٣- وعبد الباقي بن قانع الأموي البغدادي- لو فرض كونه قائلاً بذلك، وفرض أيضاً كونه من أهل التاريخ والنسب- مجروح مقدوح فيه، أورده الحافظان الذهبي وابن حجر في (الميزان) «١» و (لسان الميزان) «٢» وترجم له الذهبي في (سير أعلام النبلاء) فلم ينقل فيه إلا كلمات الذم والتضعيف «٣»...

لكن الظاهر أنه لم يقل بذلك، وإلا لذكره المقلدون لابن تيمية، فالنسبة كاذبة.

٤- ولم يذكر ابن تيمية اسم أحد من أهل التاريخ والنسب غير الرجلين ... ولو كان لأبان ذلك مقلدوه، فالنسبة كاذبة.

(١)

ميزان الاعتدال ٢ / ٥٣٢.

(٢) لسان الميزان ٣ / ٣٨٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٢٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣٠

٥- وعريب بن سعد (أو سعيد) صاحب (صلة تاريخ الطبري) مجهول، لا ذكر له في كتب الرجال ولا نقل عنه في كتب الحديث أصلاً، فالاعتماد على نقل هكذا شخص ل (واقعة) لنفي مطلب مثل ما نحن فيه باطل.

٦- وعريب القرطبي، هذا لم يذكر ولم يقل (أن الحسن بن علي العسكري لم يعقب) فالنسبة كاذبة.

٧- و (الواقعة) المحكيّة في (صلة تاريخ الطبري) لا سند لها، والإستناد إلى واقعة هذا حالها لنفي أمر اعتقادي وللدرد على قول الإمامية، لا يصدر إلّا من جاهل لا يعرف طريقة الاستدلال، أو من متعصب مبغض للنبي والآل صلى الله عليه وآله.

٨- على أن (الواقعة) لا علاقة لها ب (المهدي) ولا (الحسن بن علي العسكري...)

ولعله لذا لم يورد الدكتور المحقق القصيّة ومحلّ الشاهد منها ... بل أضاف قبل ذكر خلاصتها جملة: «إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي» وسترى أن كلتا الجملتين كذب.

٩- (الواقعة) كما في (صلة تاريخ الطبري) في حوادث سنة ٣٠٢ هـ: «وفيها جاء رجل حسن البرّة، طيب الرائحة، إلى باب غريب خال المقتدر، وعليه دراعه وخف أحمر وسيف جديد بحمائل، وهو راكب فرساً ومعه غلام، فاستأذن للدخول، فمنعه البواب، فانتهره وأغلظ عليه ونزل فدخل، ثم قعد إلى جانب الخال وسلّم عليه بغير الإمرة. فقال له غريب، وقد استبشع أمره: ما تقول أعزّك الله؟ قال: أنا رجل من ولد علي بن أبي طالب، وعندى نصيحة للخليفة لا يسعني أن يسمعها غيره ... فاجتهد الوزير والحاجب نصر والخال أن يعلمهم النصيحة ما هي، فأبى حتى أدخل إلى الخليفة ...

وأمر المقتدر أن يحضر ابن طومار نقيب الطالبين ومشايخ آل أبي طالب ... فسأل ابن طومار عن نسبته، فزعم أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣١

وأنه قدم من البادية.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن - وكان قوم يقولون: إنه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب - فبقى الناس في حيرة من أمره، حتى قال ابن طومار: هذا يزعم أنه قدم من البادية وسيفه جديد الحلية والصنعة، فابعثوا بالسيف إلى دار الطاق وسلوا عن صانعه وعن نصله.

فبعث به إلى أصحاب السيوف بباب الطاق، فعرفوه واحضروا رجلاً ابتاعه من صيقل هناك، ف قيل له: لمن ابتعت هذا السيف؟ فقال: لرجل يعرف بابن الضبعي، كان أبوه من أصحاب ابن الفرات، وتقلّد له المظالم بحلب، فأحضر الضبعي الشيخ، وجمع بينه وبين هذا المدعى إلى بني أبي طالب، فأقرّ بأنه ابنه، فاضطرب الدّعي وتلجلج في قوله، فبكى الشيخ بين يدي الوزير حتى رحمه ووعدّه بأن يستوهب عقوبته ويحبسه أو ينفيه.

فضج بنو هاشم وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس ويعاقب أشدّ عقوبة. ثم حبس الدّعي وحمل بعد ذلك على جمل وشهر في الجانبين، يوم التروية ويوم عرفة، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي» (١).

أقول: فهذه هي (الحكاية) الواردة في (صلة تاريخ الطبري) وهل هي (واقعة) أو لا؟ الله العالم.. ولكنها كما ترى لا- ذكر فيها ل (المهدي)، بل الرجل ادعى كونه (محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا) وهذا غير (المهدي) الذي تقول به الشيعة ويعترف به من غيرهم جماعة، فإنه (محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق) والذي أنكر ابن طومار- وغيره ممن أنكروا، بناء على صحة الخبر واعتبار ما صدر عنهم من الإنكار- هو من أعقاب (الحسن بن علي بن

(١) صلة تاريخ الطبري، المطبوع معه. أنظر ٣٤-٣٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣٢
موسى بن جعفر).

وأى ربط لهذا بما نحن فيه، أيها (الدكتور) الأريب! وأيها (الأستاذ الخطيب)!
وأما قوله: «والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء وهو صغير... فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً، لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به».
أقول: وهذا واضح البطلان، فإن (الإمامة) مثل (النبوة) لا يعتبر فيها البلوغ. قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا». قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» (١).

وأما قوله: «ثم إن هذا باتفاق منهم، سواء قدر وجوده أو عدمه- لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا»....
فأقول: هذا كذب، بل المتفق عليهم بينهم هو الانتفاع منه في الدين والدنيا، بل الانتفاع واقع مستمر، ولكن المنافقين لا يعلمون!
وعلى الجملة، فقد أثبت الأصحاب وقروا في محله من كتب الإمامة: أن الإمامة واجبة على الله من باب اللطف، وأن الأرض لا تخلو من إمام، وأن وجود الإمام لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا.
كما أن الرسالة واجبة على الله كذلك، وأنه يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة، وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، فكانت الأمم كلما جاءهم رسول من عند الله وقتلوه بغير حق، أرسل إليهم غيره، فكان منهم من يقتل في اليوم الأول من دعوته، حتى جاء نبينا صلى الله عليه وآله فحاربه

(١) سورة مريم: ٢٩-٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣٣
قومه وآذوه حتى قال: «ما أودى نبي بمثل ما أوديت...» وكان من ذلك أنهم حبسوه في الشعب... لكن لم تبطل نبوته مدة كونه فيه...
وكذلك الأئمة من بعده صلى الله عليه وآله أودوا وقتلوا، فلم يكن إعراض الأئمة عنهم- واتباعهم لأهل الفسق والفجور بعنوان الخلفاء عن الرسول- بمبطل لإمامتهم، كما ليس غيبة الثاني عشر منهم بمبطل لإمامته.
هذا موجز الكلام في هذا المقام، وللتفصيل مجال آخر.

مسألة طول العمر ... ص: ٣٣٣

وأما قوله: «ثم إن عمر واحد من المسلمين هذه المدة- أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر»....

أقول: إن الله عز وجل قادر على أن يبقى الإنسان - أي إنسان شاء - بأي مقدار شاء، وخوارق العادات في العالم ياذنه وإرادته كثيرة لا تحصى ... وهذا لا يختص بأمة دون أمة.

ومن الذي يمكنه أن يستقرئ أحوال من ولد في الإسلام من الأولين والآخرين حتى يدعى أن لا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، حتى يحكم بخروجه عن هذا الدين إذا وجده.

وهل هذا معنى ما روه عن النبي صلى الله عليه وآله - وصححوه - أنه قال: «عمر أمتي من ستين إلى سبعين»؟ وعلى الجملة، فإن العمر بيد الله، فإن كانت المصلحة في بقاء الإنسان مدة مديدة أبقاه، وإلا أماته متى اقتضت، ولا فرق بين هذه الأمة وغيرها، نعم، كان الغالب في الأمم السالفة طول العمر - ومنهم من يموت في شبابه - والغالب في هذه الأمة عدم البلوغ إلى شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣٤

المائة، ومنهم من يبقى ويعمر أكثر من المائة بكثير، وتلك أخبار المعمرين في الكتب مسطورة، حتى أفردوا بعضهم فألف كتاب (المعمرون والوصايا).

هذا، وقد تكلم غير واحد من أعلام أهل السنة في مسألة طول عمر المهدي واعترض على الإمامية، ومنهم من نفى وجود الإمام المهدي من هذا الطريق، وانبرى أصحابنا للجواب عن هذه الشبهة بوجوه كافية وأدلة وافية، فلاحظ الكتب المفصلة. وأما قوله: «واحتجاجهم ب حياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر، والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، وبتقدير بقاءه فليس هو من هذه الأمة».

أقول: الإحتجاج ببقاء الخضر إن هو إلا احتجاج بمورد من الموارد التي اقتضت الحكمة الآلية بقاء شخص من الأشخاص في هذا العالم، وقد قدمنا أن هذا لا يختص بأمة دون أمة، إذ المناط القدرة الإلهية والحكمة المقتضية لذلك، أما القدرة، فلا ينكرها مسلم مؤمن، وأما الحكمة، فالله العالم بها...

والخضر واحد من بني آدم، شاء الله عز وجل أن يبقى القرون الكثيرة حتى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث روى غير واحد من الأئمة حديث ورود دار النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته للتعزية، فإنه مما يفيد أنه حي موجود، كما صرح بعض الحفاظ «١». بل لقد عنونه الحافظ ابن حجر في (الإصابة في معرفة الصحابة) قال: «ولم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما ورد من أخباره من تعميره وبقائه» فتكلم عن نسبه ونبوته وبقائه على نحو التفصيل جداً، وعبارته المذكورة صريحة في ذهاب الأكثر إلى بقاءه.

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥/ ٥٠٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣٥

وبهذا نصّ كثيرون من الأئمة - كما نقل عنهم - كالحسن البصري والثعلبي والنووي وأبي عمرو بن الصلاح وأبي عبد الرحمن السلمي والياضي وغيرهم، ولهم في ذلك أخبار وحكايات أفردوا بعضهم - كعبد المغيث بن زهير الحنبلي - بالتأليف.

قال النووي في (تهذيبه): «قال الأ-كثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر».

وقال أبو عمرو ابن الصلاح في (فتاويه): «هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة منهم. قال: وإنما شذ يأنكاره بعض المحدثين».

وقال الحافظ ابن حجر - في آخر البحث -: «قلت: وذكر لي الحافظ أبو الفضل العراقي شيخنا: أن الشيخ عبد الله بن أسعد الياضي كان

يعتقد أن الخضر حي. قال:

فذكرت له ما نقل عن البخاري والحري وغيرهما من إنكار ذلك، فغضب وقال: من يدعى أنه مات غضبت عليه. قال: فقلنا: رجعنا من اعتقاد موته. انتهى. وأدركنا بعض من كان يدعى أنه يجتمع بالخضر، منهم القاضي علم الدين البساطي الذي ولي قضاء المالكية في زمن الظاهر برقوق. والله تعالى أعلم وبغيبه أحكم.

هذا، ومثل الخضر في البقاء في هذا العالم: إلياس، فعن محمد بن جرير الطبري:

«إن الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض» (١).

أما بقاء عيسى عليه السلام، فمن الضروريات. كما تواتر الخبر في بقاء الدجال.

وأما قوله - رداً على العلامة طاب ثراه، في استدلاله بما رواه ابن الجوزي: «يقال:

الجواب عن وجوه»....

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ط مع كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٥٢٢- ولا يخفى أن ابن جرير الطبري ممن يعتمد عليه ابن تيمية في التواريخ والأنساب وفي التفسير.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٣٦

حديث: اسم أبيه اسم أبي ... ص: ٣٣٦

لنا هنا بحثان، أحدهما: في أن الحديث بلفظ «اسمه اسمي» بدون «واسم أبيه اسم أبي» رواه أحد من أهل العلم بالحديث، أو لا؟ والثاني: في أن الحديث بلفظ «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» من رواه؟ وما إسناده؟ البحث الأول:

نقول - كما قال ابن تيمية: أحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد»...

لكن الحديث عن ابن مسعود ليس كما ذكره ابن تيمية، وهذا نصه: «وفي رواية أحمد في مسند عبد الله بن مسعود عن عمر بن عبيد عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تنقض الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملكك رجل من أهل بيتي، اسمه يواطئ اسمي» (١).

وعن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تذهب الدنيا أو قال: لا تنقض الدنيا حتى يملكك العرب رجل من أهل بيتي، ويواطئ اسمه اسمي» (٢).

ورواه بنفس السند واللفظ مرة أخرى (٣).

وعن عمر بن عبيد الطنافسي، عن عاصم عن زر عن عبد الله باللفظ (٤).

(١) مسند أحمد ١/ ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٢) مسند أحمد ١/ ٣٧٧.

(٣) مسند أحمد ١/ ٤٣٠.

(٤) مسند أحمد ١/ ٤٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٣٧

وفي رواية الترمذی: «حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي الكوفي قال:

حدثني أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن بهدلة، عن زر، عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تذهب الدنيا حتى يملكك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي. قال أبو عيسى: وفي الباب عن: علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح» (١).

البحث الثاني:

والحديث في رواية أبي داود كذلك، غير أنه رواه في أحد الأسانيد بزيادة لفظ «واسم أبيه اسم أبي» وهذا نص ما ذكره:

«حدثنا مسدد: أن عمر بن عبيد حدثهم. وثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر - يعني ابن عياش - ح وثنا مسدد، ثنا يحيى، عن سفيان، وثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا زائدة. ح وثنا أحمد بن إبراهيم حدثني فطر - المعنى واحد - كلهم عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، قال زائدة: لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. زاد في حديث فطر: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقال في حديث سفيان: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملكك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنى سفيان» (٢).

فظهر التطابق في الرواية لحديث عبد الله بن مسعود، بين رواية أحمد والترمذی وأبي داود، وهو المطابق لما تذهب إليه الإمامية، ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون من

(١) صحيح الترمذی ٣/ ٣٤٣.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٩ - ٣١٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٣٨

أنه (محمد بن الحسن العسكري) فاسمه يواطئ اسم جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله. وانفرد أبو داود برواية الحديث بسند فيه (زائدة) بزيادة لفظ «واسم أبيه اسم أبي».

وقد تكلم علماء الفريقين على هذا اللفظ سنداً ومعنى، وأجابوا عنه بوجوه عديدة، لا حاجة بنا إلى التطويل بإيرادها بعد ما تقرّر لزوم طرح الشاذ النادر من الأخبار، والأخذ بالمجمع عليه، لكون المجمع عليه لا ريب فيه.

وقد كرّر ابن تيمية دعواه في لفظ حديث عبد الله بن مسعود، ولم يعز روايته بلفظ (واسم أبيه اسم أبي) إلى أحد غير أنه أن أورده كذلك قال:

«ورواه الترمذی وأبو داود من رواية أم سلمة» وظاهره إخراجهما الحديث عنها بذاك اللفظ، وهو كذب في كذب. ولننقل عين عبارته:

«إن الأحاديث التي يحتج بها عن خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذی وأحمد وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله صلى الله عليه وآله في الحديث الذي رواه ابن مسعود: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ورواه الترمذی وأبو داود من رواية أم سلمة...»

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا مهدي إلا عيسى بن مريم. وهذا الحديث ضعيف...»

أقول: قد عرفت أن (اللفظ المتفق عليه بين الأئمة) هو الحديث الخالي عن (واسم أبيه اسم أبي) وأن هذا اللفظ ما رواه إلا أبو داود في أحد أسانيده، وفيه (زائدة) وقد نصّ على أن هذه الزيادة من رواية هذا الرجل فحسب، وما وافقه عليها أحد. لكن ابن تيمية يحاول أن يوهم أن الزيادة هي المتفق عليه، وأن اللفظ الخالي عنها شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٣٩

من صنع الإمامية وتحريف للحديث!! بل يريد في هذا الكلام أن يوهم أن اللفظ مع الزيادة مروي عن أم سلمة كذلك. ثم إن ابن تيمية تعرّض لبعض ما قيل في الجواب عن الزيادة، إذ حملوها على وجوه لغرض الجمع بينها وبين اللفظ المتفق عليه، فأورد كلام العلامة ابن طلحة الشافعي، وجعل يشنّ عليه ويرميه بالتحريف... وهذا عين عبارته: «إن الاثنى عشرية الذين ادّعوا أن هذا هو مهديهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله محمد بن عبد الله.

ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول حتى لا يناقض ما كذبت.

وطائفة حرّفته، فقالت: جدّه الحسين وكنيته أبو عبد الله، فمعناه: محمد بن أبي عبد الله، وجعلت الكنية اسماً، وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سمّاه (غاية السؤل في مناقب الرسول). ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله. فهل يفهم أحد من قوله: يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، إلا أن اسم أبيه عبد الله؟ وهل يدلّ هذا اللفظ على أن جدّه كنيته أبو عبد الله...؟

وأيضاً: فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدّم لفظ حديث علي» (١).

أقول: إن المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله هو (محمد بن الحسن) فإنه مفاد الحديث الصحيح المتفق عليه الذي لا كلام فيه، وأمّا الذي فيه ذكر الأب فليس من لفظ الرسول حتى يناقض ما ذهب إليه الاثنى عشرية، وإنما هو رواية واحد من الرواة وقد خالفه غيره فيه...

(١) منهاج السنة ٨/ ٢٥٤-٢٥٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٠

ولكن العلماء - كما ذكرنا من قبل - أرادوا الجمع بينه وبين اللفظ الصحيح المتفق عليه فحملوه على بعض الوجوه، وهي سواء صحت أو لم تصح محامل ولا يجوز التعبير عن تلك الوجوه ب (التحريف) إلا جاهل غبي أو متعصب عنيد. وقد كان من تلك الوجوه ما ذكره العلامة الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في كتاب (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) (١) فإنه قال بعد ذكر الإشكال: «الجواب: لا بدّ قبل الشروع في تفصيل الجواب من بيان أمرين يتنى عليهما الغرض:

الأول: إنه من السايغ الشايغ في لسان العرب إطلاق لفظه (الأب) على (الجدّ الأعلى) وقد نطق القرآن الكريم بذلك فقال «مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» وقال تعالى حكاية عن يوسف «وَاتَّبَعْتُ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ» ونطق به النبي وحكاه عن جبرئيل في حديث الإسراء أنه قال: قلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم. فعلم أن لفظه الأب تطلق على الجدّ وإن علا، فهذا أحد الأمرين.

والأمر الثاني: إن لفظه (الإسم) تطلق على (الكنية) وعلى (الصفة) وقد استعملها الفصحاء ودارت بها ألسنتهم ووردت في الأحاديث، حتى ذكرها الإمامان البخاري ومسلم، كلّ واحد منهما يرفع ذلك بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي أنه قال عن علي: والله إن رسول الله سماه بأبي تراب ولم يكن له اسم أحبّ إليه منه. فأطلق لفظه الإسم على الكنية. ومثل ذلك قال الشاعر: أجل قدرك أن تسمي مؤنثه ومن كناك قد سماك للعرب

وروى: ومن يصفك. فأطلق التسمية على الكناية وهو شائع في كلام العرب.

(١) هكذا اسمه لا ما ذكره ابن تيمية، وهو مطبوع. وقد ترجم لابن طلحة وأثنى عليه كبار العلماء، وعدّ من فقهاء الشافعية المشاهير، توجد ترجمته في: العبر ٢١٣/٥، والنجوم الزاهرة ٣٣/٧، وطبقات الشافعية للسبكي وابن قاضي شعبة وغيرها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤١

فإذا أوضح ما ذكرناه من الأمرين، فاعلم أيّدك الله بتوفيقه:

إن النبي كان له سبطان: أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولما كان الخلف الصالح الحجّة من ولد أبي عبد الله الحسين، ولم يكن من ولد أبي محمد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبي على الكنية لفظه الاسم؛ لأجل المقابلة بالاسم في حق أبيه، وأطلق على الجدّ لفظه الأب، فكأنه قال: يواطئ اسمه اسمي، فهو محمد وأنا محمد وكنية جدّه اسم أبي، إذ هو أبو عبد الله وأبي عبد الله. لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته وإعلاماً أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز. وحينئذ، تنتظم الصفات وتوجد بأسرها مجتمعاً للحجّة الخلف الصالح محمد.

وهذا بيان شاف كاف لإزالة ذلك الإشكال، فافهمه «١».

أقول: هذا ما ذكره ابن طلحة الفقيه المحدث الشافعي في معنى اللفظ الذي شدّ به (زائدة) حتى لا يطرح الحديث، وهذا لا يسمى ب (التحريف) كما قال ابن تيمية، مع أنه - أعني ابن تيمية - قد حرّف الكلام ولم ينقله بكامله.

فإن قبل ما ذكره هذا الشيخ أو غيره، فهو، وإلا سقط حديث (زائدة).

وقوله: «وأيضاً، فإن المهدى المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدم في لفظ حديث علي».

فيه: إنه قد تقدّم الكلام على الحديث الذي روى عن علي، فلا نعيد.

وعلى الجملة، فهذا الناصبي لم يذكر الحديث بلفظه المعروف في كتب الحديث مثل: مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي وغير ذلك من الكتب، وإنما ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم غير أبي داود وبسند واحد من أسانيد... وهذا ما يذكّرنا

(١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ١٥٩/٢ - ١٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٢

بالقول المعروف: «رمتني بدائها وانسلت».

بقي الكلام: في طعن ابن تيمية في (سبط ابن الجوزي) وهو ليس إلّا تعصّباً على الرجل لتأليفه كتاب (تذكرة خواص الأئمة في معرفة الأئمة) «١».

وهذا دأب ابن تيمية وديدنه مع كلّ من أُلّف أو روى في مناقب أهل البيت.

قال قدس سره: فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال، ولم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصي والملاهي وشرب الخمر والفجور حتى بأقاربهم! على ما هو المتواتر من الناس!

قالت الإمامية: فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين، وما أحسن قول بعض الناس:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً وتعلم صدق الناس في نقل أخبار

فدع عنك قول الشافعي ومالك وأحمد والمروئي عن كعب أحبار

ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

الشرح:

اضطهاد الحكام لأهل البيت وشيعتهم ... ص: ٣٤٢

إشارة

وهذه نصوص في الباب من الإمامية وغيرهم، تبين جانباً مما أجمله شيخنا العلامة رحمه الله.

كلام لأبي بكر الخوارزمي ... ص: ٣٤٢

قال أبو بكر الخوارزمي في كتاب له إلى جماعة الشيعة في نيسابور، لما قصدهم

(١) هكذا اسم كتابه لا ما ذكره ابن تيمية، وهو مطبوع. وسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ ت وجد ترجمته والثناء عليه ومع وصفه بالحفظ والاعتماد عليه في كثير من الكتب.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٣

واليها محمد بن إبراهيم: «سمعت - أرشد الله سعيكم وجمع على التقوى أمركم - ما تكلفكم به السلطان الذي لا يحتمل إلا العدل، ولا يميل إلا - على جانب الفضل، ولا يبالى بأن يمزق دينه إذا رفا ديناه، ولا يفكر في أن لا يقدم رضا الله إذا وجد رضاه، وأنتم ونحن - أصلحنا الله وإياكم - عصابة لم يرض الله لنا الدنيا، فذخرنا للدار الأخرى، ورغب بنا عن ثواب العاجل فأعد لنا ثواب الأجل، وقسمنا قسامين: قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش شديداً، فالحي يحسد الميت على ما صار إليه، ولا يرغب بنفسه عما جرى عليه.

قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام: المحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى الحدود.

وهذه مقالة أسست على المحن، وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن، فحياة أهلها نغص، وقلوبهم حشوها غصص، والأيام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة، فإذا كنّا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن، ومتبعي آثارهم في ترك كل قبيح وفعل حسن، فينبغي أن نتبع آثارهم في المحن.

غصبت سيدتنا فاطمة عليها السلام وعلى آله ميراث أبيها عليها السلام سراً.

وقتل أخوه عليه السلام جهرأ.

وصلب زيد بن علي بالكناسة.

وقطع رأس زيد بن علي في المعركة «١».

وقتل ابنه محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي.

ومات موسى بن جعفر في حبس هارون، وسُم على بن موسى بيد المأمون.

وهزم إدريس بفتح حتى وقع إلى الأندلس فريداً.

(١) كذا في المطبوعة في الهند وبيروت.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٤

ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً.

وقتل يحيى بن عبد الله بعد الأمان والإيمان وبعد توكيد العهود والضمان.

هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بلعوية طبرستان، وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان، وغير ما صنعه أبو السّياح في علوية المدينة، حملهم بلا عطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامراء، وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر

بن علي حين أخذه بابويه، وقد ستر نفسه ووارى شخصه، يصانع حياته ويدافع وفاته، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبي يحيى بن عمر الزيدى خاصة، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة. وبحسبك أنه ليست في بيضة الإسلام بلدة إلا- وفيها لقتيل طالبي تربة، تشارك في قتله الأموي والعباسي، وأطبق عليهم العدناني والقحطاني.

فليس حي من الأحياء نعرفه من ذي يمان ولا بكر ولا مضر إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر قادتهم الحمية إلى المتيّة، وكرهوا عيش الذلّة، فماتوا موت العزة، ووثقوا بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية. داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة، ونفى أبا ذر الغفاري إلى الربدّة، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي، وغزب الأشر النخعي وعدى بن حاتم الطائي، وسير عمر بن زرارّة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد إلى العراق، وجفا أبي بن كعب وأقصاه، وعادى محمد بن حذيفة وناواه، وعمل في دم محمد بن سالم ما عمل، وفعل مع كعب ذي الحطبة ما فعل. واتبعه في سيرته بنو أمية، يقتلون من حاربهم، ويغدرون بمن سالمهم، لا يحظون المهاجري، ولا يصونون الأنصاري، ولا يخافون الله، ولا يحتشمون الناس، قد اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، يهدمون الكعبة، ويستعبدون الصحابة،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٥

ويعطّلون الصّلاة الموقوتة، ويحطّمون أعناق الأحرار، ويسيرون في حرم الرسول سيرتهم في حرم الكفار، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة عن كلاله!

قتل معاوية حجر بن عدى الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الإيمان المؤكدة والمواثيق المغلظة. وقتل زياد بن سمية الألوّف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبراً، وأوسعهم سبياً وأسرّاً، حتى قبض الله معاوية على أسوء أعماله، وختم عمره بشرّ أحواله.

فاتّبعه ابنه، يجهز على جرحاه ويقتل أبناء قتلاه، إلى أن قتل هاني بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي أوّلًا، وعقب بالحرّ بن زياد الرياحي، وبأبي موسى عمرو بن قرطه الأنصاري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، ونافع بن هلال البجلي، وحنظلة بن سعد الشافى، وعباس بن أبي شبيب الشاكري، في نيف وسبعين من جماعة شيعة الحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانيًا. ثم سلّط عليهم الدعوى ابن الدعوى عبيد الله بن زياد، يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم ألوان القتل، حتى اجتث الله دابرهم ثقيل الظهر بدمائهم التي سفك، عظيم التبعة بحريمهم الذي انتهك.

فانتبعت لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عهد ما صنعوا، ويغسل عنهم وضى ما اجترحوا، فصمدوا صمود الفئة الباغية، وطلبوا دم الشهيد من ابن الزانية، لا يزيدهم قلّة عددهم وانقطاع مددهم وكثرة سواد أهل الكوفة يازائهم، إلا إقداماً على القتل والقتال، وسخاء بالنفوس والأموال، حتى قتل سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وعبد الله بن واصل التميمي، في رجال من خيار المؤمنين وعليه التابعين، ومصاييح الأنام وفرسان الإسلام.

ثم تسلّط ابن الزبير على الحجاز والعراق، فقتل المختار، بعد أن شفى الأوتار، وأدرك الثار، وأفنى الأشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، ونفى خاذله،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٦

واتبعوه أبا عمر بن كيسان، وأحمر بن شميطة، ورفاعة بن يزيد، والسائب بن مال، وعبد الله بن كامل، وتلقطوا بقايا الشيعة، يمثلون بهم كل مثله، ويقتلونهم شرّ قتله، حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، وأراح من أخيه مصعب العباد، فقتلتهما عبد الملك بن مروان «وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» بعدما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية وأراد إحراقه، ونفى عبد الله بن

العباس وأكثر إرهابه.

فلما خلت البلاد لآل مروان، سلطوا الحجاج على الحجازيين، ثم على العراقيين، فتلعب بالهاشميين، وأخاف الفاطميين، وقتل شيعة علي، ومحا آثار بيت النبي، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي.

واتصل البلاء مدّة ملك مروان إلى الأيام العباسية، حتى إذا أراد الله أن يختم مدّتهم بأكثر آثامهم، ويجعل أعظم ذنوبهم في آخر أيامهم، بعث على بقية الحق المهمل والدين المعطل زيد بن علي، فخذله منافقوا أهل العراق، وقتله أحزاب أهل الشام، وقتل معه من شيعة: نصر بن خزيمة الأسدي، ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، وجماعة من شايعة وتابعه، وحتى من زوجته وأدناه، وحتى من كلمه وأثناه.

فلما انتهكوا ذلك الحريم، واقتربوا ذلك الإثم العظيم، غضب الله عليهم وأنزع الملك منهم، فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم، فنظر - لا نظر الله إليه - إلى صلابه العلوية وإلى لين العباسية، فترك تقاه واتبع هواه، وباع آخرته بدنياه، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسلط طواغيت خراسان، وخوارج بجستان، وأكراد إصفهان على آل أبي طالب، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، ويطلبهم في كل سهل وجبل، حتى سلط عليه أحب الناس إليه، فقتل كما قتل الناس في طاعته، وأخذ بما أخذ الناس في بيعته، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه وأن ركب ما يهواه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٧

وحلت من الدوانيقي الدنيا، فخطب فيها عسفاً وتقصى فيها جوراً وحيفاً، إلى أن مات وقد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة، قد تتبع غائبهم وتلقط حاضريهم، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني بالسند، على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي، فما ظنك بمن قرب تناوله عليه ولا مسه على يديه.

وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسين بن علي بفسخ من موسى، وما اتفق على علي بن الأفيطس الحسيني من هارون، وما جرى على أحمد بن علي الزيدي، وعلى القاسم بن علي الحسيني من حبسه، وعلى علي بن غسان الخزاعي حين أخذ من قبله.

بالجملة: إن هارون مات وقد قصّر شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة.

وأنتم أصلحكم الله لستم أعظم نصيباً في الدين من الأعمش فقد أخافوه، ومن علي بن يقطين فقد اتهموه.

فأمّا في الصّيدر الأول، فقد قتل زيد بن صوحان العبدى، وعوقب عثمان بن حنيف الأنصاري، وأقصى حارث بن قدامة السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح بن هاني المرادي، ومالك بن كعب الأرحبي، ومعل بن قيس الرياحي، والحارث الأعور الهمداني، وأبو الطفيل الكناني، وما فيهم إلا من خرّ على وجهه قتيلاً أو عاش في بيته ذليلاً، يسمع شتمه الوصى فلا ينكر، ويرى قتله الأوصياء وأولادهم فلا يغير، ولا يخفى عليكم حرج عامتهم وحيرتهم، كجابر الجعفي، وكرشيد الهجري، وكزرارة بن أعين، ليس إلا أنهم - رحمهم الله - يتولّون أولياء الله ويتبرّؤون من أعداء الله، وكفى به جرماً عظيماً عندهم وعيماً كبيراً بينهم.

وقل في بني العباس، فإنك ستجد بحمد الله تعالى مقالماً، وجِلُّ في عجائبهم فإنك ترى ما شئت مجالاً، يجبي فيهم فيفرق على الديلمي والتركي، ويحمل إلى المغربي والفرغاني، يموت إمام من أئمة الهدى، وسيد من سادات المصطفى، فلا تتبع

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٨

جنازته ولا تجصّص مقبرته، ويموت ضراط لهم أو لاعب أو مسخرة أو ضارب، فتحضر جنازته العدول والقضاء، ويعمر مسجد التعزية عند القواد والولاء، وسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً، ولا يتعرّضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً.

ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت عليهم السلام غير المعلّى بن خنيس قتيل داود بن علي، ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي،

لكان ذلك جرحاً لا يبرأ، ونائرة لا تطفأ، وصدعاً لا يلتئم، وجرحاً لا يلتئم!

وكفاهم أن شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم ودونت أخبارهم، وروتها الرواة مثل الواقدي، ووهب بن منبه التميمي، ومثل الكلبي، والشرفي بن قطامي، والهيثم بن عدي ودأب بن الكنانى!

وإن بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوصي، بل في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وآله فيقطع لسانه، ويمزق ديوانه، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي، وكما دمر على دعبل بن علي الخزاعي، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي، ومن علي بن الجهم الشامي، ليس إلا لغلؤهما في النصب، واستيجابهما مقت الرب.

حتى أن هارون بن الخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمن، كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب، مثل عبد الله بن مصعب الزبيري، ووهب بن وهب البختری، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأحموي، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريش الأصمعي. فأما في أيام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري، وأبي السمط بن أبي الجون الأموي، وابن أبي الشوارب العبشمي.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٤٩

ونحن أرشدكم الله، قد تمسكنا بالعروة الوثقى، وآثرنا الدين على الدنيا، وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا، ولن يحل لنا عقيدة نقصان من نقص منّا، إن الإسلام بدء غريباً وسيعود كما بدء. كلمة من الله ووصية من رسول الله، إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ومن اليوم غد وبعد السبت أحد، قال عمار بن ياسر رحمه الله يوم صفين: لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل.

ولقد هزم جيش رسول الله صلى الله عليه وآله ثم هزم، ولقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدم «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» ولولا محنة المؤمنين وقتلهم، ودولة الكافرين وكثرتهم، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد، ولما قال الله تعالى «وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ولما تبين الجزوع من الصبور ولا عرف الشكور من الكفور، ولما استحق المطيع الأجر، ولا احتقب العاصي الوزر.

فإن أصابتنا نكبة فذلك ما تعودناه، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آله، ولكل مقامه مقالة، فعند العسر الصبر، وعند النعم الشكر.

ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر، فما شككنا في وصيته، وكذب محمد صلى الله عليه وآله بضع عشرة سنة فما اتهمناه في نبوته، وعاش إبليس مدة على المدد فلم ترتب في لعنته، وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته، ودفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام والرضا بعد الرضا ولا مريّة عندنا في صحة إمامته «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»، «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا»، «كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»، «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ».

اعلموا رحمكم الله، إن بنى أمية الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوت

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٠

والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصي، واستأجروا من كذب في الأحاديث على النبي صلى الله عليه وآله، وحولوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة، والخلافة زعموا إلى دمشق عن الكوفة، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال وقلدوا عليه الأعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى، ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله.

ولقد كان ينادى على رؤوسهم بفضائل العترة، ويُبَكَّتُ بعضهم بعضاً بالدليل والحجة، لا تنفع في ذلك عيبه، ولا يمنع منه رغبة ولا

رهبة، والحق عزيز وإن استذلّ أهله، وكثير وإن قلّ حزبه، والباطل وإن رصّع بالشبه قبيح، وذليل وإن غطّى وجهه بكلّ مليح. قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفُس بني أمية: سميّة أمسى نسلها عدد الحصا وبنت رسول الله ليس لها نسل غيره:

لعن الله من يسبّ عليّاً وحسيناً من سوقه وإمام وقال أبو دهب الجمحي، في حمية سلطان بني أمية وولايه آل بني سفيان: تبيت السكاري من أمية نوماً وبالطف قتل ما ينام حميمها وقال الكميّ بن زيد، وهو جار خالد بن عبد الله القسري: فقل النبيّ أمية حيث حلّوا وإن خفت المهند والقطيعا أجاج الله من أشبعتموه وأشبع من بجواركم أجياع وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن كرهوه، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون:

آل النبيّ ومن يحبّهم يتطامنون مخافة القتل أمن النصارى واليهود وهم من أمة التوحيد في الأزل وقال دعبل بن علي، وهو صنيعة بني العباس وشاعرهم: ألم تر أني مذ ثمانين حجّة أروح وأغدو دائم الحشرات أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات وقال علي بن العباس الرومي، وهو مولى المعتصم: تألّيت أن لا يبرح المرء منكم يتلّ على خرّ الجبين فيعفج كذاك بنو العباس تصبر منكم ويصبر للسيف الكميّ المدجج بكل أوان للنبيّ محمد قتيلاً زكيّ بالدماء مضرج وقال إبراهيم بن العباس الصولي، وهو كاتب القوم وعاملهم، في الرضا لما قرّبه المأمون: يمنّ عليكم بأموالكم وتعطون من مائه واحداً؟! وكيف لا ينقصون قوماً يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملؤون ديار الترك والديلم فضةً وذهباً؟! يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجري والأنصاري، ويولّون أنباط السواد وزارتهم، وقلق العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم وفي جدّهم؟

يشتهى العلوى الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى أبي مريم المدني، وإلى إبراهيم الموصلي، وابن جامع السهمي، وإلى زلز الضارب، وبرصوما الزامر، وأقطاع بختيشوع النصراني قوت أهل بلد، وجارى بغا التركي والأفشين الأشروسى كفاية أمة ذات عدد.

والمتوكل، زعموا يتسرّى باثني عشر ألف سرية، والسيد من سادات أهل البيت بزنجية وسندية، وصفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاعنة، وعلى موائد المخائنة، وعلى طعمة الكلابين، ورسوم القرّادين، وعلى مخارق وعلوبة المغنى، شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٢

وعلى زرزد وعمر بن بانه الملهي، ويخلون على الفاطمي بأكلة أو شربة، ويصارفونه على دائق وحبّة، ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون

لها ما يفى برزق عسكر، والقوم الذين أحلّ لهم الخمس، وحرمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبة، يتكفون ضرراً ويهلكون فقراً، وليرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه، وجدّه النبي، وأبوه الوصي، وأمّه فاطمة، وجدّته خديجة، ومذهبه الإيمان، وإمامه القرآن» إلى آخر ما أفاد وأجاد «١».

كلام للسيد علي بن معصوم المدني ... ص: ٣٥٢

قال السيد علي بن معصوم المدني «٢»: «إعلم رحمك الله تعالى: أن شيعه أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليه السلام لم يزلوا في كلّ عصر وزمان ووقت وأوان مختلفين في زوايا الاستتار، محتجين احتجاب الأسرار في صدور الأحرار، وذلك لما منوا به من معاداة أهل الإلحاد ومناوأة أولى النصب والعناد، الذين أزالوا أهل البيت عن مقاماتهم ومراتبهم، وسعوا في إخفاء مكارمهم الشريفة ومناقبهم، فلم يزل كلّ متغلّب منهم يبدل في متابعة الهوى مقدوره، ويلتهب حسداً ليطفى نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

كما روى عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر صلّى الله عليه وآله أنه قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إنيانا وتظاهروا علينا، وما لقي شيعتنا ومحبتونا من الناس! إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس،

(١) رسائل أبي بكر الخوارزمي، المتوفى: ٣٩٣، وتوجد ترجمته في كافة المصادر التاريخية.

(٢) من أكابر العلماء الأدباء، له آثار جليّة في علوم مختلفة، توفي فيما بين سنة ١١١٧ وسنة ١١٢٠ على اختلاف الأقوال، وتوجد ترجمته في: البدر الطالع ١/ ٤٢٨، نزهة الجليس ١/ ٢٠٩، أبجد العلوم ٨-٩، وهديّة العارفين ١/ ٧٦٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٥٣

فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبوع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، وانتهب عسكره وخولجت خلاخل أمهات أولاده، فوداع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به، وخرجوا عليه وبيعتة في أعناقهم، فقتلوه.

ثم لم نزل أهل البيت نستدلّ ونستضام، ونقصي ونمتن ونحرم، ونقتل ونخاف، ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا.

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاء السوء وعمال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعّة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، ليعضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام.

فقتلت شيعتنا في كلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، من ذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن ونهب ماله وهدم داره. ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام.

ثم جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتله وأخذهم بكلّ ظنة وتهمه، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له شيعه علي عليه السلام.

وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني «١» في كتاب (الأحداث)

(١) قال الذهبي بترجمته: «المدائني، الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري، نزل بغداد، وصنف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصداقاً فيما ينقله، عالي الإسناد.. وكان عالماً

بالتفوح والمغازي والشعر صدوقاً في ذلك» توفي سنة ٢٢٤، ٢٢٥. سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٠٠. وتوجد ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٥٤، مرآة الجنان ٢ / ٨٣، معجم الأدباء ١٤ / ١٢٤، الكامل في التاريخ ٦ / ٥١٦ وغيرها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٤

قال: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليها زياد بن سمية وضم إليه البصرة، وكان يتبع الشيعة - وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي - فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا إلى بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والجبّات والقطائع، ويفضضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحد بخبر مزور من الأس إلا صار عاملاً من عمال معاوية، ولا يروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، وقربه، وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٥

الأولين، ولا يتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا أوأتونى بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب ولشيعة، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد لها، وجد الناس في رواية ما جرى هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، والقي إلى معلّمى الكتائب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّة أنه يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطائه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي لياتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدث حتى أخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه. فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولايتهم، ويتقرّبوا بمجالستهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلّون الكذب، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما روهها ولا تدّينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا خائف على دمه أو طريقه في الأرض.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٦

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصّلاح والذين يبغض على وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه. فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضب من على، ومن عيبه، والطعن فيه، والشنآن له.

حتى أن إنساناً وقف للحجاج، ويقال إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به: أيها الأمير: إن أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بئس وأنا إلى صلّة الأمر محتاج. فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توصلت به، قد وليناك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه «١» وهو من كبار المحدثين وأعلامهم، في (تاريخه) ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنف بني هاشم.

قال المؤلّف عفا الله عنه: ولم يزل الأمر على ذلك سائر خلافة بني أمية لعنهم الله، حتى جاءت الخلافة العباسية، فكانت أدهى وأمر وأضرى وأضرّ، وما لقيه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في دولتهم أعظم مما مضوا به في الخلافة الأموية كما قيل:

والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

ثم شبّ الزمان وهرم، والشأن مضطرب والشنآن مضطرب، والدهر لا يزداد إلا عبوساً، والأيام لا تبدى لأهل الحق إلا بؤساً، ولا معقل للشيعة من هذه الخطة الشنيعة في أكثر الأعصار ومعظم الأمصار إلا الإنزواء في زوايا التقيّة، والإنطواء على الصبر بهذه البلية «١»:

كلام للسيد حيدر الآملی ... ص: ٣٥٦

وقال السيد حيدر الآملی: «ثم لا- يغيب عن نظرك: أن الحاكم إذا لم يقتد بالنبي صلى الله عليه وآله في حركاته وسكناته التزم أضدادها، فيحتاج السلطان إلى المعاون والمعاوض والمشير والمساعد له على مقاصده وأغراضه ومطالبه وشهوته، في ارتكاب المحرّمات، وشرب المسكرات، وسماع الغناء، والولوع بالمردان، والتهتك مع النسوان، واجتذاب الأموال من غير حلّها، وعسف الرعيّة وذلّها، فيضطرّ الملك والسلطان إلى شيطان يستره، وفقه ينصره، وقاض يدلس له، ومتشدد يكذب لدولته، ورئيس يسكن الأمور، وطامع يشهد بالزور، ومشايخ تتباكا، وشباب تتزاكا، ووجيه يهون الأحوال، ويثيره على حبّ المال، وزاهد يلين الصعاب، وفاسق ينادم على الشراب، وعيون تنظر، وألسنة تفجر، حتى ينام الخليفة أمير المؤمنين سكراناً، ويجد على فسوقه أعواناً. ولا تقوم هذه المملكة إلا بدحض أضدادها، ولا تتم دعوة قوم إلا بهتك [بهلاك] أعدائها وعنادها.

نظرٌ واعتبار ... ص: ٣٥٦

هل يجب إذا كانت هذه الدعوة لعلى بن أبي طالب عليه السلام وملكها معاوية بن أبي سفيان، ووزيراها عليها عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وقد خصمه على بن

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥- ٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٨

أبي طالب عليه السلام عليها مدّة إلى أن قتله معاوية، أن يرفع قدر الحسن والحسين صلى الله عليه وآله، وقدر محمد بن الحنفية، وقدر بني هاشم وآل أبي طالب، وأن يكرم عبد الله بن العباس، ويراعى حال أصحاب على أحيائهم والأموات منهم؟ هذا بعيد من القياس والسياسة الدنياوية.

بل يجب على معاوية أن يفعل ما فعل من التدبير في قتل على عليه السلام وأولاده، وتشيت شملهم، وسبّ على على المنابر، وتهوين أمره، ونسخ شرفه من صدور العوام، وبثّ ذلك في العباد والبلاد، وتهديد من صبا إليهم، والتنكيل بمن أثنى عليهم، هكذا مدّة دولته.

ثم أودع في قلوب بني أمية بغض على وبغض رجاله وآله عليهم السّلام، حتى أدّى الحال إلى قتل الحسن بالسمّ، والحسين بالسيف الذي نهب فيه حرمة، وطيف برأسه في العباد والبلاد.

وهل تمّ ذلك إلا- رجال ألباء، عقلاء، علماء فقهاء، ومشايخ فقراء، وأعيان أغنياء، فيستعان بهم على تدبير العوام، وإلقاء الأوهام، وتخويف النفوس، وزجر المتكلمين عن الخوض في الناموس؟

فلم يزل السبّ واللّعن والطرْد والعزل في على وأولاده ورجاله ألف شهر، نشأ فيها رجال ومات فيها رجال، وابتضت لهم لحا واسودت لحا، وولدت صبيان وأولاد، واستوسقت بلاد وعباد، وساد بمراضى بني أمية من ساد، وانخذل أولاد على عليه السلام ورجاله وأتباعه ومن يقتفى أثرهم في المدن والأقاليم، لا- ناصر لهم ولا- معوان، ولا مساعد ولا إخوان، وبذلت على ذلك أموال، ونشأ عليه رجال، وقيلت فيه أقوال، وركبت فيه أهوال، وآل الأمر في الآل إلى ما آل. وجملة الباعة والفلاحون غافلون عن مقاصد الملوك والسلّاطين وكبار الشياطين، وانستر من ذلك خفايا واشتهرت قضايا، وجرى من طباع أهل المدن وعوامهم ما أراده الملك وتربّى الناس على أغراضه،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٥٩

وأثمرت المحبة لما عند الملك وبغض آل محمد ورجالهم، وتحذّث السّوق بذلك في الأسواق، وجال بين الناس الشقاق، وصار أتباع الملك مستظهرين بالكلام والجدال والخصام، ومن يكره الملك تحت السبّ والقتل والطرْد والجلد، وانساقّت المنافع إلى معاضد الملك بيده ولسانه، واحتكمت دولة بني أمية ومعاضدها، وذلل بالقهر والجور معاندها، وستر المتقى عقيدته، وكنتم العاقل عبادته، واستمرت الأمور بين الجمهور، واشتدّت الأيام والعصور، وسارت الكتب المصنفة بذلك في البلاد، والتبس ما فيها من المقاصد على أكثر العباد، والناس عبيد الدنيا وفي طباعهم حبّ العاجلة، وعند الملك السيف والقلم والدينار والدرهم، وآل محمد وأتباعهم تحت الخوف وبعضهم تحت السيف، ولا- يكاد يخفى عن معرفتك سرعة إجابة العوام إلى أغراض الحكام خوفاً وطمعاً، يتقلّبون تحت إرادته كيف شاء، وأنّى شاء، ومتى شاء!

ومع ذلك، الصّلموات قائمة، والأذان مرتفع، والصّوم معتبر، والمواقيت والحج مستطاع، والزكاة مأتية، والجهد قائم، والناس على مراتبهم، والأسواق منعقدة، والتّبل مطرقة، والملاهي بين العوام مبسوطة، وليس في البلاء والشقاء والخوف والخفاء غير أولاد أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وأشياعه وأتباعه.

ولمّا استوثق الأمر لبني مروان بسبب قتل عثمان مقت على بن أبي طالب عليه السلام ورجاله في قلوب الناس، وثبت بينهم هذا الالتباس، ونفخ الشيطان وقال باللسان هلك الملك وهان، ونشأ في الشريعة أصول، ونما لها فروع، وبسقت لها أفنان، فأثمرت بها، ثم لم يغرسها الحق، ولا سقاها الرسول، ولا جناها العقل، ولا أكل ثمرها الأولياء، ولا طعمها الفقراء، فظهر بذلك مذاهب، واختلفت فيه مسائل، ونسخت أخبار وطويت آثار، واستقر العالم على الخلاف والاختلاف وعدم الإيتلاف، والجلبة الحيوانية بحسب مرباها ومنشأها، كما أخبر الصادق الأمين: يولد المولود على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فينجسانه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٠

ثم تلاشت دولة بني أمية ونشأت دولة بني العباس، فوجدوا بني أمية قد وطأوا لهم المملكة لأمر لا يحتاجون فيه إلى مصانعة آل على عليه السلام ومداراتهم، لعلمهم أن المملكة بالأصالة لهم، فأقرّوا الوظائف التي قرّرها بنو أمية في إخماد نار الطالبين على حالها، وساسوا الناس بها، وتناولوها هتية مريّة، وأمّدوا العالم المعاون على أغراضهم بالأموال، واستخدموا على ذلك الرجال، ووهبوا على ذلك مقامات ومراتب وولايات وهبات وصدقات.

فلما أحسّ الطالبون بولاية بني عباس، وأخذت حقوقهم بغير حق، هاجروا إلى الأطراف والأوساط، خوفاً من القتل والسيّاط، وخاطبوا في القيام عن هذا البساط.

فندب لهم العباسيون الرجال، وأعدّوا لهم القتال، وتولّاهم المنصور، حتى قتل منهم الألوف، وشرّد منهم الألوف، ومن وقف على (مقاتل الطالبين) عرف ما جرى من بنى العباس على آل على عليه السلام.

حتى حطّموا شجرتهم، وفترّقوا كلمتهم، وأفنوا أموالهم، وأبادوا رجالهم. واضطر بنو العباس إلى إقامة دعوتهم، ونشر كلمتهم، ومراعاة مملكتهم، وحراستها من آل على عليه السلام، نسقاً على عناد بنى أمية. فلما استقرت دولتهم، وأهيت صولتهم، حتى فهموا أن شجرة الطالبين متفرقة، والأغصان ذابله، والأفنان ناقصة الرى، مخضودة الشوك، يابس الشرب. فعندها استقرّوا وسكنوا، ولم يأمنوا حتى علموا أن جميع الرعايا فى البلاد والآفاق المشرقية والمغربية أعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله، يفضلون أصحابه عليهم، ولا يأنسون بذكرهم...

ثم انهمكت الخلفاء والملوك من العرب والعجم فى استعمالهم الكذب وارتكاب المنكرات، التى لا- تجب لمثلهم على سبيل النبوة المحمدية والخلافة العلوية التى فرضها الله تعالى وسنّها محمد صلى الله عليه وآله وأمر بها ونصّ عليها.

فاضطرّوا إلى وضع المدارس مشغلة للعوام التى ألفت بالقلوب والأوهام السماطات

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦١

الدسمة والملابس الفاخرة والأنعام، وسموا كلّ رئيس من الرعاة إماماً، ليصح لهم الخلافة المملوكة بينهم، ويصير الخليفة الغاصب لكلّ إمام منهم إماماً، وهم يعلمون أنهم يرتكبون الآثام ويأكلون الحرام، وأصلح الساكين بالمدرسة داعى الخليفة الغاصب، قائماً بعرضه، مناوئاً لمعاده، مرتقباً على من يطعن فيه، مكفراً لمن لا يواليه، يأخذ على ذلك الجوائز السنية، والمساكين العلية، والمراكب البهية، والمطاعم الشهية، والملابس الفاخرة، والمقامات الباهرة، والتنعم والتلذذ فى المنام، والتقلب فى مستراح الحمام، وأعلا مكانه فى المدرسة أن يناقض ويعارض ويدعى قيام الحجة على الروافض.

وتتابع الناس على ذلك طبقاً بعد طبق وجيلاً بعد جيل، واندرجوا عليه خلفاً إثر سلف، ونشأ مذهب الجبريين بين العوام، واندرج فى الخاص والعام، واستتر عمال الشياطين ومكراء الفراعنة من السلاطين، والعامى بعقده على هذه المذاهب أسرع من انعقاده على معرفة الله، وهو مذهب يغوث ويعوق ونسر، واشتغل علماء الجمهور بالخلاف والشقاق، وألقوا من تابعهم من الباعة والفلاحين فى يمين الطلاق، وغشيت المدارس وأحدث التفاضل والتنافس، وانتظم العالم على صورة من قال غيرها وإن كان صادقاً كفر، ومن التبس بسواها احتقر» (١).

كلام لأبى جعفر الإسكافى ... ص: ٣٦١

وقال الشيخ أبو جعفر الإسكافى فى الردّ على عثمانية الجاحظ: «لولا ما غلب على الناس من الجهل وحبّ التقليد، لم نحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانية، فقد علم الناس كافة: أن الدولة والسلطان لأرباب مقاتلتهم، وعرف كلّ أحد أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم وظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقيّة عنهم، والكرامة

(١) الكشكول فى ما جرى على آل الرسول: ١٩-٢٥.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٢

والجائزة لمن روى الأخبار والأحاديث فى فضل أبى بكر، وما كان من تأكيد بنى أمية لذلك، وما ولّده المحدثون من الأحاديث، طلباً لما فى أيديهم. فكانوا لا يألون جهداً- فى طول ما ملكوا- أن يخلعوا ذكر على وولده، ويطفئوا نورهم، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملوا الناس على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتل وأسير وشريد وهارب ومستخف ذليل وخائف مترقب.

حتى أن الفقيه والمحدث والقاص والمتكلم ليقدم إليه ويتوعد بغاية الإيعاد وأشد العقوبة أن لا يذكروا من فضائلهم، ولا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم، حتى بلغ من تقيّة المحدث أنه إذا ذكر حديثاً عن علي كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش. ولا يذكر علياً ولا يتفوّه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجي مارق، وناصب حق، ونابت مستبهم، وناشئ معاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود يتعرض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نفذ في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبه، ومواضع الطعن، وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه، وتأول مشهور فضائله، فمّرّة يتأولها بما لا يحتمل، ومّرّة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا تزدد مع ذلك إلا قوة ورفعة ووضوحاً واستنارة.

وقد علمت أن معاوية يزيد ومن كان بعدهما من بنى مروان أيام ملكهم - وذلك نحو ثمانين سنة - لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه وسوابقه...

وقد تعلمون أن بعض الملوك ربّما أحدثوا قولاً أو ديناً لهوى، فيحملون الناس على ذلك، حتى لا يعرفون غيره، كنحو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، وتوعد على ذلك، بدون ما صنع هو وجبابرة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٣

بنى أمية وطغاة بنى مروان بولد على وشيعته، وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها، لإمساك الآباء عنها، وكف المعلمين عن تعليمها، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبي ما عرفوها ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان، لألف العادة وطول الجهالة، لأنه إذا استولت على الرعيّة الغلبة، وطالت عليهم أيام التسلط، وشاعت فيهم المخافة، وشملتهم التقيّة، اتفقوا على التخاذل والتناكب، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم، وتنقص من ضمائرهم، وتنقص من مرائرهم، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها.

ولقد كان الحجاج ومن ولّاه كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراغته بنى أمية، على إخفاء محاسن على فضائله وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم، أحرص منهم على إسقاط قراءة عبد الله وأبي، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم، وفي اشتهاه فضل على عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم، بوارهم وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم، فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله، وحملوا الناس على كتمانها وسترها.

وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً، وحبهم إلا شغفاً وشدة، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة، وحبّتهم إلا وضوحاً وقوة، وفضلهم إلا ظهوراً، وشأنهم إلا علواً، وأقدارهم إلا إعظاماً، حتى أصبحوا بإهانتهم إيّاهم أعزّاء، وبإماتتهم ذكرهم أحياء، وما أرادوا به وبهم من الشرّ تحوّل خيراً.

فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزايه وسوابقه ما لم يتقدّمه السابقون، ولا ساواه فيه القاصدون، ولا يلحقه الطالبون، ولولا أنها كانت كالقبة المنصوبة في الشهرة، وكالسنن المحفوظة في الكثرة، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد، وكان الأمر كما وصفناه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٤

الأوقاف والرواتب لأنمة أتباع المذاهب الأربعة ... ص: ٣٦٤

إشارة

قال قدس سره: وما أظن أحداً من المحصّلين وقف على هذه المذاهب، فاختار غير الإمامية باطنياً، وإن كان في الظاهر يصير

إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتى تستمر لبني العباس الدعوة، ويشيدوا للعامّة اعتقاد إمامتهم... الشرح:

هذا الذي ذكره العلّامة طاب ثراه أمر ثابت في التواريخ، لا يسع أحداً إنكاره إطلاقاً، لكن ابن تيمية قد عرف بإنكار الحقائق والإباء عن قبولها وإن قال بها جميع الخلائق. ولنذكر طرفاً من تاريخ المدارس في البلاد، ثم نتعرض للأوقاف والرواتب والمشاهرات في بعضها، ونورد نتفاً من الأخبار المتعلقة بذلك، فنقول:

إنه لم يسمح المؤسسون للمدارس في مختلف البلدان الإسلامية أن يتعلّم أو يدرس أو يسكن فيها أحد من الشيعة، بل كانت المدارس كلّها لأهل المذاهب الأربعة فقط، وهم المستفيدون من أوقافها، غير أن المدارس:

منها: ما كان يدرّس فيها مذهب واحد من المذاهب الأربعة، كمدارس الشافعية وأشهرها النظامية ببغداد، والحنفية كمدرسه أبي حنيفة ببغداد، والحنبلية كمدرسه عبد القادر الجيلي ببغداد، والمالكية كمدرسه الصديريّة بدمشق.

ومنها: ما كان يدرّس فيها مذهبان من المذاهب الأربعة، فلم يسمح تدريس غيرهما منها فيها، كالتى كانت للحنفية والشافعية فقط. مثل مدرسه سعادة ببغداد، والظاهرية بدمشق. والتى كانت للحنفية والمالكية فقط، مثل المدرسه التى بناها الأمير سيف الدين منكوتر بالقاهرة سنة ٦٩٨. والتى كانت للشافعية والمالكية فقط، مثل المدرسه الحجازية بالقاهرة سنة ٧٦١. والتى كانت للشافعية والحنبلية، مثل المدرسه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٥

الشهابية بالمدينة المنورة. والتى كانت للمالكية والحنبلية، مثل المدرسه السيفية بحلب.

ومنها: ما كان يدرّس فيها ثلاثة مذاهب من المذاهب الأربعة، مثل المدرسه الفخرية بدمشق، التى شيدت سنة ٨٢١، وكانت للحنفية والمالكية والحنبلية.

ومنها: المدارس التى بنيت على المذاهب الأربعة، ومن أشهرها المستنصرية التى بناها المستنصر العباسى ببغداد، وافتتحت فى سنة ٦٣١.

ولما كان العلّامة طاب ثراه فى العراق، وقد عاصر أيام عظمة المستنصرية وازدهارها، وشاهدها وعرف أخبارها، فإننا نكتفى بالتكلم حولها، فنقول:

ذكر الذهبى فى حوادث سنة ٦٣١ من تاريخ الإسلام: «وفىها تكامل بناء المدرسه المستنصرية ببغداد، ونقل إليها الكتب، وهى مائة وستون حملاً، وعدّه فقهاؤها مائتان وثمانية وأربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة، وأربعة مدرسين، وشيخ حديث، وشيخ نحو، وشيخ قرأ، وشرط لكلّ مدرس أربعة معيدين، ويحضره اثنان وستون فقيهاً».

قال: «ثم رأيت نسخه كتاب وقفها فى خمس كرايس، والوقف عليها: عدّه ربا، وحوانيت ببغداد، وعدّه قرى كبار وصغار ما قيمته تسعمائة ألف دينار فيما يخال إلى، ولا أعلم وفقاً فى الدنيا يقارب وقفها أصلاً، سوى أوقاف جامع دمشق وقد يكون وقفها أوسع».

ثم ذكر الذهبى أوقاف المستنصرية من القرى والضياح، ذاكراً أسماءها ومساحاتها، ونحن نذكر المساحات فقط: ٣٧٠٠ جريب. ٦٤٠٠ جريب. ٥٠٥ جريب.

٥٥٠٠ جريب. ٣٩٩٠ جريب. ٣٠٠٠ جريب. ٤١٨٠ جريب. ٨١٠٠ جريب.

٣١٠٠ جريب. ٤٠٠٠ جريب. ٤٠٠٠ جريب. ١٠٠٠ جريب. ١٢٠٠ جريب.

٤٨٠٠ جريب. ٦٥٠٠ جريب. ٢٠٢٥٠ جريب. ٤٨٠٠ جريب. ٦٠٠٠ جريب.

٥٩٠٠ جريب. ٧٢٠٠ جريب. ٢٦٠٠ جريب. ٦٤٠٠ جريب. ٥٥٠٠ جريب.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٦

٢٥٠٠ جريب. ٤٦٠٠ جريب. ١٩٠٠٠ جريب.

قال الذهبي: «المرتقة من أوقاف هذه المدرسة على ما بلغني، نحو من خمسمائة نفر، المدرسون فمن دونهم، وبلغني أن تبين الوقف يكفي الجماعة ويبقى مخل هذه القرى مع كرى الرباع فضله. فكذا فليكن البر وإلا فلا. وحدثني الثقة: إن ارتفاع وقفها بلغ في بعض السنين وجاء نيلاً وسبعين ألف مثقال ذهباً». وذكر غير واحد من المؤرخين: «إن قيمة ما وقف عليها يساوي ألف ألف دينار، وأن وارداتها بلغت نيلاً وسبعين ألف مثقال من الذهب في السنة» (١). وقال الخزرجي: «أنفق عليها من المال ما يعجز عنه الحصر، ووقف عليها وقفاً جليلاً» (٢).

هذا فيما يتعلق بأوقاف المستنصرية.

ثم إنه قد عتبت رواتب للمدرسين وللمعدين وللطلبة في مختلف العلوم، بعد أن جعل لكل طائفة منهم شروطاً، ونحن نكتفي بذكر ما يتعلق بقسم الفقه في المدرسة المستنصرية للاختصار:

لقد شرط المستنصر في مدرسة الفقه الشروط الآتية (٣):

أن يكون لكل طائفة من الطوائف الأربع مدرس. وأن يكون لكل مدرس أربعة معيدين. وأن يكون لكل مدرس في اليوم عشرون رطلاً من الخبز، وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها. وأن يكون لكل مدرس فيها اثنا عشر ديناراً في الشهر. هذا غير ما كان يصل المدرسين من الخلع والعطايا والصلوات.

وكان تعيين المدرس يتم بصدر توقيع من الخليفة، وبعد ذلك يخلع عليه خلعة

(١) تاريخ المستنصرية ١٦٧/٢.

(٢) تاريخ المستنصرية ٩٢/١.

(٣) تاريخ المستنصرية ١١٥-١١٦/١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص: ٣٦٧

التدريس بدار الوزير، وقد يمطى بغلة فيحضر إلى المدرسة بالخلعة، ويرافقه صاحب الديوان ومعه الولاة والحجاب والصدور والأكابر وصاحب البريد، وجميع أرباب المناصب، احتراماً له، ثم يجلس سدة التدريس، فيلقى بحثه، ويحضر الأئمة والفقهاء والأعيان درسه الأول، وتكون عليه الطرحة - وهي لباس خاص يضعه المدرسون فوق العمامة - فإذا عزل عن التدريس توجه إلى داره بغير طرحة.

هذا بالنسبة إلى رواتب المدرسين وكيفية نصب المدرس. وجعل للمعدين وهم الذين يعيدون على الطلاب جميع ما يمليه عليهم المدرس، وقد تقدم أنه شرط أن يكون لكل مدرس أربعة معيدين - رواتب تخصصهم، وهي «١»: أن يكون للمعيد في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرفان طيبخاً. وأن يكون لكل معيد ثلاثة دنائير في الشهر.

وأما الطلاب، فقد شرط المستنصر في طلاب مدرسته: أن يكون عدده الفقهاء (يعني طلاب الفقه) مائتين وثمانية وأربعين رجلاً، وأن يكون من كل طائفة من المذاهب الأربعة اثنان وستون رجلاً، وأن يكون لكل طالب في كل شهر ديناران، وأن يجري لكل واحد منهم في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طيبخاً مما يطبخ في مطبخها، وأن يكون لكل طالب مقدار من اللحم ومن الحلوى والفاكهة والصابون والزيت والفرش والتعهد.

وقد جعل لكل طالب في الفقه - بالإضافة إلى ما ذكر من الجرايات والرواتب كلها - ديناراً إمامياً في كل شهر، وشرط أيضاً أن تضاعف المشاهرات في شهر رمضان «٢»، وذكروا أن هذه الرواتب والمشاهرات كلها كانت بالإضافة إلى ما يهتأ لهم من: الحبر والورق والأقلام، وما يحتاجون إليهم للكتابة والاستنساخ من اللوازم «٣».

(١) تاريخ المستنصرية ١ / ٢٢٩.

(٢) تاريخ المستنصرية ١ / ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) تاريخ المستنصرية ١ / ٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٨

وأنه رتب لجميع أرباب المشاهرات حمماً يدخلون إليه متى احتاجوا وفيه من يقوم بخدمتهم «١».

وكان المريض من أرباب هذا الوقف يطبب مجاناً، ويعطى ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأكحال السائلة والسكر والفرايج وغير ذلك «٢».

وقد رتب في المدرسة من الأمور الدالة على تفقده لأحوال أهل العلم، وكثرة فكرته فيما يقضى براحتهم وإزاحة عليلهم مما هو معروف لمن شاهد وسمع به. هذا عدا ما كان من صلوات وصدقات إلى من يرد من العلماء والزهاد والأدباء وسائر الطبقات «٣».

أقول: هذه خلاصة ما كان في المدرسة المستنصرية الموقوفة على المذاهب الأربعة فقط، من الرواتب والمجاهرات وغيرها لطلاب مدرسة الفقه فيها.. ولم نتعرض لما كان يجري لغيرهم فيها، من طلاب دار الحديث، ودار القرآن وغير ذلك.

ومن الجدير بالذكر، ويشهد بما ذكره العلامة رحمه الله، أن هذه الرواتب والمجاهرات لما انقطعت وقيل للفقهاء وغيرهم: من يرضى بالخبز وحده وإلا فما عندنا غيره، ثاروا على من بيده وقوف المدرسة، ونالوا منه، وأسمعوه قبيح الكلام، فحماه منهم بعضهم، وخلصه من أيديهم، فاتصل بذلك بالحكم وعزلوا صدر الوقوف!! «٤».

وأيضاً، فقد ذكروا بترجمة الحافظ ابن النجار: أنه لما ورد بغداد كانت عنده أموال، فلم يسكن داراً وقفية عرض عليه سكنائها، فلما فتحت المستنصرية عين عليه

(١) تاريخ المستنصرية ١ / ٧٣.

(٢) تاريخ المستنصرية ١ / ٥٨.

(٣) تاريخ المستنصرية ١ / ١٠٦.

(٤) تاريخ المستنصرية ١ / ٩٧، ١٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٦٩

مشتغلاً في علم الحديث، فأجاب إلى ذلك «١».

قال قدس سره: وكان أكبر مدرسي الشافعية في زماننا، حيث توفي أوصى بأن يتولى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد الكاظم عليه السلام، وأشهد عليه أنه على دين الإمامية! الشرح:

بعض علمائهم على دين الإمامية في الباطن ... ص: ٣٦٩

قال ابن تيمية: «الحكاية التي ذكرها عن بعض الأئمة المدرسين ذكر لي بعض البغداديين أنها كذب مفتري» «... ٢».

أقول: وجدنا في تراجم المدرسين الشافعية في المدرسة المستنصرية رجلين دفنا في حضرة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

أحدهما: عماد الدين محمد المرندي الشافعي سابقاً، المتوفى سنة ٦٨٠ أو ٦٨٥، وردت ترجمته في كتاب الحوادث الجامعة: عماد الدين أبو ذى الفقار محمد بن الأشرف ذى الفقار أبي جعفر محمد بن أبي الصمصام ذى الفقار الحسن المرندي الشافعي، مدرس المستنصرية. ولد بمرند سنة ٥٩٦، وتوفي في شعبان في سنة ٦٨٠، ودفن في حضرة الإمام موسى بن جعفر، وله من العمر ٨٤ سنة. وجاء

في تاريخ الإسلام للذهبي ومنتخب المختار أنه توفي سنة ٦٨٥.

قال ابن الفوطي: كان شيخاً فاضلاً زاهداً، قدم بغداد في شعبان سنة ٦٣٠ وأنزل في رباط الخلاطية. ولما فتحت المدرسة المستنصرية في رجب سنة ٣١ رتب فقيهاً بها، ثم عيّن عليه شرف الدين إقبال الشرايبي مدرّساً لمدرسته التي أنشأها بواسط سنة ٤٨،

(١) تاريخ المستنصرية ١/ ٣٣٧.

(٢) منهاج السنة ٤/ ١٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٧٠

فانحدر إليها ودرّس بها. ولما فتحت المدرسة المستنصرية بعد الواقعة سنة ٥٧ عيّن مدرّساً بها، وكان قد اشتغل على جدّه أبي الصمصام، وسمع صحيح البخاري على محمد ابن القطيعي شيخ دار المستنصرية. قال ابن الفوطي: وكتب لي بالإجازة، واجتمعت بخدمته لما قدمت من مراغة. وقد ورد ذكر عماد الدين في المقامات الزينية لابن الصيقل الجزري، حيث وصف بأنه رئيس الأصحاب أي أصحاب الشافعي، وركن الشريعة، وعلم الهدى «١».

والآخر: ابنه ذو الفقار القرشي المتوفى سنة ٦٨٥. ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي، وهو ابن عماد الدين المتقدم ذكره، الذي كان مدرّساً للشافعية بالمستنصرية أيضاً، ولد بخوى من آذربيجان في صفر سنة ٦٢٣، وتوفي في يوم الجمعة ٢٧ شعبان سنة ٦٨٥، ودفن عند والده بالمشهد الكاظمي، وشيعة قاضي القضاء والجماعة إلى مدفنه. قال الذهبي: نحوي، سمع ببغداد من الكاشغري وابن الخازن، ودرس بالمستنصرية. وقال ابن رافع: سمع من أبي بكر محمد بن سعيد ابن الخازن مسند الشافعي ومعجم الإسماعيلي، ومن إبراهيم بن عثمان الكاشغري شيخ دار السنة بالمستنصرية، كتبت عنه. وكان كريم الصحبة جميل الأخلاق... وقد أجاز لأبي محمد عبد العزيز البغدادي وللحافظ علم الدين البرزالي. وقد سمع من المقامات الزينية المجلس الأول فقط من منشئها ابن الصيقل الجزري سنة ٦٧٦ برواق المدرسة المستنصرية «٢».

هذا، ولقد كان ابن تيمية أسوة لمقلّديه حتى في إنكار وجود الأشخاص في هذا العالم! وقد اتبعه مقلّدوه في عصرنا فأنكر بعض الكتاب المعاصرين وجود الشيخ محمد مرعي الأنطاكي الحلبي، الذي اختار مذهب الشيعة الإمامية وكتب في ذلك كتاباً

(١) تاريخ المستنصرية ١/ ٢١٥-٢١٦.

(٢) تاريخ المستنصرية ١/ ٢١٦-٢١٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ١، ص: ٣٧١

أسماء (لماذا اخترت مذهب الشيعة). فكما أنكر ابن تيمية وجود الشيخ المرندي الشافعي ثم الشيعي مستنداً إلى من زعم أنه من البغداديين، كذلك هذا المعاصر أنكر وجود الشيخ الأنطاكي الحلبي مستنداً إلى شيخ في حلب فقال: «أما الكتب التي وصفوها وأساسها الكذب، فمن أمثلتها كتاب (المراجعات) وسيأتي كشف ما فيه، وكتاب (لماذا اخترت مذهب الشيعة) وهو يتضمن قصة مخترعة أو مؤامرة مصنوعة تتضمن أن عالماً من كبار علماء السنة يدعى (محمد مرعي الأمين الأنطاكي) قد ترك مذهب السنة وأخذ بمذهب الشيعة، بعد أن تبين له بطلان الأول، وهذا الأنطاكي يزعم أنه نزيل حلب، رغم أنه لا يعرفه من كبار علمائها أحد، والكتاب ملئ بالدس والكذب والإفتراء والتجني، مما لا يصدر إلا عن جاهل متعصب أو عن زنديق متستر بالتشيع».

ثم قال في هامشه: «سألت عنه بعض كبار علماء حلب، كالشيخ عبد الفتاح أبو غدة فأفاد أنه مجهول، مع زعم هذا الباطني بأنه يشغل قاضي القضاء على مذهب السنة في حلب» «١».

إلا- أن الشيخ محمد مرعي الأنطاكي جاء إلى العراق بصحبة أخيه الشيخ أحمد أمين الأنطاكي، ونزلا في مدينة كربلاء المقدسة

ضعفين على والدنا العلامة وكنا نقوم بخدمتهما، وفي دارنا ألف كتابه المذكور، وسمعنا منهما كيف اختارا مذهب الشيعة، وفي حوزتنا الآن صورة لهذا الشيخ، كما أن بعض زملائنا أخذ منه إجازة في الحديث وهي موجودة الآن بخطه عنده.

(١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. تأليف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ١٣١٢ / ٢ - ١٣٣٢.

الجزء (٢)

الوجه الخامس: من الوجوه الدالة على أن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... ص: ٥

إشارة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٧

الوجه الخامس

إن الإمامية لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق ... ص: ٧

قال قدس سره: إن الإمامية لم يذهبوا إلى التعصب في غير الحق.

فقد ذكر الغزالي والماوردي - وكانا إمامين للشافعية - أن تسطيح القبور هي المشروع، لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه! ... الشرح:

الغزالي هو: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ. له مؤلفات كثيرة في العلوم، أشهرها إحياء علوم الدين، له ترجمة في كافة المصادر، وقد أفردت بالتأليف أيضاً.

والماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد البصري الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، له الحاوي الكبير في فروع فقه الشافعي. له ترجمة في كافة المصادر كذلك، مثل: تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٢، سير أعلام النبلاء ١٨ / ٦٤، طبقات السبكي ٥ / ٢٦٧ وغيرها.

منعهم سنن الشريعة لأنها شعار للشيعة ... ص: ٧

تسطيح القبور ... ص: ٧

وما ذكره العلامة نصّ عليه الغزالي في كتابه (الوجيز) في الفقه، وأوضحه شارحه، وهذه عبارته: «التسنييم أفضل من التسطيح، مخالفة لشعار الروافض».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨

قال الشارح:

«الأفضل في شكل القبر التسطيح أو التسنييم؟ ظاهر المذهب: أن التسطيح أفضل، وقال مالك وأبو حنيفة رحمهم الله: التسنييم أفضل.

لنا: أن النبي صلى الله عليه وآله سَطَّحَ قبر ابنه إبراهيم. وعن القاسم بن محمد قال:

رأيت قبر النبي وأبي بكر وعمر مسطحاً.

وقال ابن أبي هريرة: إن الأفضل الآن العدول من التسطيح إلى التسنييم؛ لأن التسطيح صار شعاراً للروافض، فالأولى مخالفتهم وصيانة

البيت وأهله عن الاتهام بالبدعة. ومثله ما حكى عنه أن الجهر بالتسمية إذا صار في موضع شعاراً لهم فالمستحب الإسرار بها مخالفة

لهم، واحتج له بما روى أن النبي صَلَّى الله عليه وآله كان يقوم إذا بدت جنازة، فأخبر أن اليهود تفعل ذلك، فترك القيام بعد ذلك مخالفة لهم.

وهذا الوجه هو الذي أجاب به في الكتاب ومال إليه الشيخ أبو محمد رحمه الله، وتابعه القاضي الروياني.

لكن الجمهور على أن المذهب الأول، قالوا: ولو تركنا ما ثبت في السنة لإطابق بعض المبتدعة عليه لجرنا ذلك إلى ترك سنن كثيرة، وإذا اطرَد جرينا على الشيء، خرج عن أن يعدّ شعاراً للمبتدعة» (١).

وقال ابن قدامة: «وتسليم القبر أفضل من تسطيحه، وبه قال مالك وأبو حنيفة والثوري، وقال الشافعي: تسطيحه أفضل، قال: وبلغنا أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله سَطَّحَ قبر ابنه إبراهيم. وعن القاسم قال: رأيت قبر النبي وأبي بكر وعمر مسطحاً. ولنا: ما روى سفيان الثمار أنه قال: رأيت قبر النبي مسنماً. رواه البخاري بإسناده. وعن الحسن مثله، لأن التسطیح يشبه أبنية أهل الدنيا، وهو أشبه بشعار أهل البدع، فكان

(١) فتح العزيز في شرح الوجيز ٥/ ٢٢٩، مع المجموع للنووي ٥/ ٢٩٥ - ٢٩٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٩

مكروهاً. وحديثنا أثبت من حديثهم وأصح، فكان العمل به أولى» (١).

وذكر النووي القولين وأدلتهما فقال: «تسطيح القبر وتسليمه وأيهما أفضل؟ فيه وجهان.

والصحيح: التسطیح أفضل، وهو نصّ الشافعي في الأم ومختصر المزني، وبه قطع جمهور أصحابنا المتقدمين، وجماعات من المتأخرين منهم الماوردي والفوراني والبغوي وخلائق، وصححه جمهور الباقيين، كما صححه المصنف، وصرحوا بتضعيف التسليم كما صرح به المصنف.

والثاني: التسليم أفضل، حكاه المصنف عن أبي علي الطبري. والمشهور في كتب أصحابنا العراقيين والخراسانيين أنه قول علي بن أبي هريرة، وممن حكاه عنه القاضي أبو الطيب وابن الصباغ والشاشي وخلائق من الأصحاب. وممن رجح التسليم من الخراسانيين الشيخ أبو محمد الجويني والغزالي والزوياني والسرخسي، وادّعى القاضي حسين اتفاق الأصحاب، وليس كما قال، بل أكثر الأصحاب على تفضيل التسطیح، وهو نصّ الشافعي كما سبق، وهو مذهب مالك وداود.

وقال أبو حنيفة والثوري وأحمد - رحمهم الله - التسليم أفضل لكون التسطیح شعار الرافضة.

فلا يضّر موافقة الرافضي لنا في ذلك، ولو كانت موافقتهم لنا سبباً لترك ما وافقوا فيه لتركنا واجبات وسنناً كثيرة.

فإن قيل: صححت التسطیح، وقد ثبت في صحيح البخاري رحمه الله عن سفيان الثمار قال: رأيت قبر النبي مسنماً.

فالجواب: ما أجاب به البيهقي - رحمه الله، قال: صحّت رواية القاسم بن محمد

(١) المغني في الفقه الحنبلي ٢/ ٣٨٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٠

السابقة المذكورة في الكتاب، وصحت هذه الرواية، فنقول: القبر غُيّر عمّا كان، فكان أول الأمر مسطحاً كما قال القاسم، ثم لما سقط الجدار في زمن الوليد بن عبد الملك وقيل في زمن عمر بن عبد العزيز، أصلح فجعل مسنماً.

قال البيهقي: وحديث القاسم أصح وأولى أن يكون محفوظاً، والله أعلم» (١).

أقول:

فقد ظهر أن الأصل في هذه البدعة هم بنو أمية، وهم الذين بدّلوا دين الله، وعادوا أولياء الله، وخالفوهم حتى في مثل هذه المسائل،

وتبعهم من تبع من الفقهاء، والله العاصم.

جواز الصلاة على آحاد المسلمين ... ص: ١٠

قال قدس سره: وذكر الزمخشري وكان من أئمة الحنفية في تفسير قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ.....»

الشرح:

الزمخشري وهو: محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، صاحب (الكشاف) في التفسير، وغيره من التواليف الكثيرة الشهيرة، وكان حنفياً المذهب في الفروع، ومعتزلياً في الأصول، توفي سنة ٥٣٨. توجد ترجمته في: المنتظم: ١٠ / ١١٢، معجم الأدباء: ١٩ / ١٢٦، تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٢٨٣، طبقات الداوودي: ٢ / ٣١٤، سير أعلام النبلاء: ٢٠ / ١٥١، وغيرها. وقال ابن حجر: «تنبيه: اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيتها في تحية الحي، فقليل: يشرع مطلقاً، وقيل: بل تبعاً ولا يفرد لواحد، لكونه

(١) المجموع في شرح المذهب ٥ / ٢٩٧ - ٢٩٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١١

صار شعاراً للرافضة، ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني «١».

التختم في اليمين ... ص: ١١

قال قدس سره: وقال مصنف الهداية من الحنفية: المشروع التختم في اليمين، لكن لما اتخذته الرافضة عادةً جعلنا التختم في اليسار!

الشرح:

مصنف الهداية هو: علي بن أبي بكر عبد الجليل الفرغاني المرغيناني الحنفي، فقيه، محدث، مفسر، وله الهداية في الفقه الحنفي، وغيره من المصنفات، توفي سنة ٥٩٣. قال قدس سره: وأمثال ذلك كثير!

كيفية العمامة ... ص: ١١

الشرح:

كالسنة في العمامة، فإنهم بعد أن رووا السنة النبوية فيها قال بعضهم: «وصار اليوم شعاراً لفقهاء الإمامية، فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم» (٢). وهم في جميع هذه البدع تبع لإمام أهل البغي معاوية، فقد ذكر الزمخشري أن أول من اتخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاوية (٣).

ثم إن الغرض من مخالفة السنة النبوية في جميع هذه المواضع هو بغض أمير المؤمنين المحافظ عليها والمروج لها، وقد جاء التصريح بهذا في بعض تلك

(١) فتح الباري في شرح البخاري ١١ / ١٤٦.

(٢) شرح المواهب اللدنية ٥/ ١٣.

(٣) ربيع الأبرار ٤/ ٢٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢
المواضع، كقضية ترك التلبية.

فقد أخرج النسائي والبيهقي عن سعيد بن جبير قال: «كان ابن عباس بعرفة، فقال:

يا سعيد، ما لي لا أسمع الناس يثبون؟ فقلت: يخافون. فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاوية. اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي» (١).

قال السندی فی تعليق النسائي: «أى لأجل بغضه. أى وهو كان يتقيد بالسنن، فهؤلاء تركوها بغضاً له» (٢).

فالقوم إنما يخالفون ما عليه الإمامية بغضاً للنبي وأمير المؤمنين عليه السلام، فأى القوم أحق بأن يسمى ب (أهل السنة) إن كان المراد هو السنة النبوية لا الأموية؟!

قال قدس سره: فانظر إلى من يغير الشريعة ويبدل الأحكام التي ورد بها حديث النبي صلى الله عليه وآله ويذهب إلى ضد الصواب معاندةً لقوم معينين، هل يجوز أتباعه والمصير إلى أقواله؟

الشرح:

يعترف ابن تيمية بكل هذه المخالفات والتغيرات للشريعة المطهرة وأحكامها المحكمة، بل يوجهها بقوله: «ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم، فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السني من الرافضي، ومصلحة التميز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب» (٣).

قلت: قد عرفت من (السنى) أى التابع لسنة النبي صلى الله عليه وآله، ومن

(١) سنن النسائي ٥/ ٢٥٣، سنن البيهقي ٥/ ١١٣.

(٢) حاشية السندی على النسائي ٥/ ٢٥٣.

(٣) منهاج السنة ٤/ ١٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣

(الرافضي) أى الرافض لها.. فعرفت من يجب هجره ومخالفته!

إلا أن الرجل يرمى الإمامية بالتعصب، وأنه لا يعلم طائفة أعظم تعصباً في الباطل منهم، ثم يذكر أمثلة من تعصباتهم كقوله: «إن فيهم من حرم لحم الجمل لأن عائشة قاتلت على جمل» و «أنهم لا يذكرون اسم العشرة، بل يقولون تسعة وواحد؛ لكونه قد سمي به عشرة من الناس ييغضونهم» و «أنهم إذا وجدوا مسمى بعلى أو جعفر أو الحسن أو الحسين بادروا إلى إكرامه، مع أنه قد يكون فاسقاً» و «أنهم ييغضون أهل الشام؛ لكونهم كان فيهم أولاً من ييغض علياً» وأشياء من هذا القبيل!!

فانظر إلى هذا الرجل الذى يلقبه بعض متعصبيهم ب (شيخ الإسلام) كيف يعارض الأشياء التى ذكرها العلماء عن كبار أئمة القوم ممن (يغير الشريعة ويبدل الأحكام) مع ذكر أسماء القائلين.. بأشياء مضحكة يجلل علماء الإمامية من التفوّه بها فضلاً عن ذكرها فى الكتب والفتيا بها!!

قال قدس سره: مع أنهم ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة وأن النبي صلى الله عليه وآله قال: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فإن مصيرها إلى النار. وقال صلى الله عليه وآله: من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردّ ولو ردّوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم.

الشرح:

لا ريب في حرمة الابتداء في الدين، والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، راجع: المعجم المفهرس للأحاديث النبوية (بدع).

والحديث المذكور رواه أصحاب السنن وغيرهم ونصوا على صحته. أنظر فيض القدير «١».

(١) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٣٦/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤

من البدع والمحدثات الباقية إلى الآن ... ص: ١٤

ذكر الخلفاء في الخطبة ...! ص: ١٤

قال قدس سره: كذكر الخلفاء في خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ... الشرح:

اعترض عليه ابن تيمية قائلاً: «الجواب من وجوه:

أحدها: أن ذكر الخلفاء على المنبر كان عهد عمر بن عبد العزيز، بل قد روى أنه كان على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وحديث ضبّة بن محصن من أشهر الأحاديث، فروى الطلمنكي من حديث ميمون بن مهران قال: كان أبو موسى الأشعري إذا خطب بالبصرة يوم الجمعة - وكان والياً - صلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم ثنى بعمر بن الخطاب رضى الله عنه يدعو له. فقام ضبّة بن محصن العنزي فقال: أين أنت من ذكر صاحبه قبله تفضّله عليه - يعني أبا بكر؟ ... - ثم قعد. فلما فعل ذلك مراراً أمحكه أبو موسى، فكتب أبو موسى إلى عمر رضى الله عنه أن ضبّة يطعن علينا ويفعل.

فكتب عمر إلى ضبّة يأمره أن يخرج إليه، فبعث به أبو موسى، فلما قدم ضبّة المدينة على عمر رضى الله عنه قال له الحاجب: ضبّة العنزي بالباب، فأذن له، فلما دخل عليه قال: لا مرحباً بضبّة ولا أهلاً. قال ضبّة: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل ولا مال، فبم استحللت إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبت، ولا شيء أتيت؟ قال: ما الذي شجر بينك وبين عاملك؟ قلت: الآن أخبرك ... قال: فاندفع عمر باكياً وهو يقول:

أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لى ذنبي يغفر الله لك؟ قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين. ثم اندفع باكياً يقول: والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر»....

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥

قال: «الوجه الثانى: إنه قد قيل إن عمر بن عبد العزيز ذكر الخلفاء الأربعة لما كان بعض بنى أمية يسبون علياً، فعوّض عن ذلك بذكر الخلفاء والترضى عنهم ليمحو تلك السنة الفاسدة».

الوجه الثالث: «أن ما ذكره من إحداث المنصور وقصده بذلك باطل، فإن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما توليا الخلافة قبل المنصور وقبل بنى أمية، فلم يكن في ذكر المنصور لهما إرغام لأنفه ولأنوف بنى على، إلا لو كان بعض بنى تيم أو بعض بنى عدى منازعهم في الخلافة، ولم يكن أحد من هؤلاء ينازعهم فيها.

الوجه الرابع: «أن أهل السنة لا يقولون إن ذكر الخلفاء في الخطبة فرض»..

قال: «الوجه الخامس: إنه ليس كل خطباء السنة يذكرون الخلفاء في الخطبة، بل كثير من خطباء السنة بالمغرب وغيرها يذكرون أبا بكر وعمر وعثمان ويربّعون بذكر معاوية ولا يذكرون علياً. قالوا: هؤلاء اتفق المسلمون على إمامتهم دون على. فإن كان ذكر الخلفاء

بأسمائهم حسناً فبعض أهل السنة يفعلوه، وإن لم يكن حسناً فبعض أهل السنة يتركه. فالحق على التقديرين لا يخرج عن أهل السنة». الوجه السادس: «أن يقال: إن الذين اختاروا ذكر الخلفاء الراشدين على المنبر يوم الجمعة إنما فعلوه تعويضاً عن سب من يسبهم ويقدم فيهم ... فإنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة. والأحاديث في ذكر خلافتهم كثيرة. فلما كان في بنى أمية من يسب علياً - رضى الله عنه - ويقول: ليس هو من الخلفاء الراشدين. وتولى عمر بن عبد العزيز بعد أولئك فقليل: إنه أول من ذكر الخلفاء الراشدين الأربعة على المنبر». ... انتهى كلامه «١».

(١) منهاج السنة ١٥٥ / ٤ - ١٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦
أقول:

أما قوله: «إن ذكر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيز» فيبطله وجوه:
الأول: إن أحداً لم يذكر هذا الذى ادّعه الرجل بصيغة الجزم هنا ونسبه إلى (قليل) فى الوجهين الثانى والسادس، ولو كان لبان مع كثرة الدواعى على نقله.

والثانى: إن الكلام فى ذكر الخلفاء فى الخطبة، بأن يكون من فروضها أو سننها لا (على المنبر) مطلقاً.
والثالث: إن المعروف عن عمر بن عبد العزيز، كما فى الكامل لابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطى، أنه أمر بجعل قوله تعالى: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» أو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» ضمن الخطبة بدلاً مما أمر به معاوية من التعرض لأمير المؤمنين عليه السلام فيها بالسب واللعن «١»، الذى فعله عامه بنى أمية وعمّالهم ومن والاهم، لا كما يقول الرجل: «كان فى بنى أمية من يسب علياً»...

وإن شئت فراجع: الإصابة وأسد الغابة، لترى الخبر عن شهر بن حوشب أنه قال:
«أقام فلان خطباء يشتمون علياً رضى الله عنه وأرضاه ويقعون فيه..» «٢».

وفى العقد الفريد: «كتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر» «٣».

وأخرج مسلم وغيره أنه أمر سعد بن أبى وقاص بسبّه فامتنع «٤».

وقد ذكر المؤرخون كأبى الفداء والطبرى وابن كثير وابن الأثير وغيرهم، أن

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٤٣.

(٢) الإصابة ٢٧٨ / ١، أسد الغابة ١ / ١٣٤.

(٣) العقد الفريد ٣٠١ / ٢.

(٤) صحيح مسلم ١٢٠ / ٧ - ١٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧

الحسن بن على عليه السلام اشترط فى الصلح مع معاوية فيما اشترط: «أن لا يشتم علياً» «١» لكن معاوية لم يف بشيء من ذلك.
وفى معجم البلدان: «لعن على بن أبى طالب رضى الله عنه على منابر الشرق والغرب، ولم يلعن على منبر سجستان إلا مرة، وامتنعوا إلى بنى أمية حتى زادوا فى عهدهم: وأن لا يلعن على منبرهم أحد ... وأى شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخى رسول الله على منبرهم، وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة..» «٢».

فهذا ما فعله عمر بن عبد العزيز بدلاً عما فعله معاوية وبنو أمية.. تجاه أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه ولعنه. أما من سبّ عثمان ومعاوية فكان يجلده كما ذكر ابن تيمية نفسه «٣».

وأما قوله: «بل قد روى أنه كان على عهد عمر بن الخطاب» فيبطله وجوه:

الأول: إن هذا الحديث الذي وصفه بكونه «من أشهر الأحاديث» غير مخرج في شيء من الصحاح ولا السنن ولا المسانيد، ولا في شيء من الكتب المعتبرة عندهم المشهورة بين الناس، فالعجب منه كيف يردّ الحديث المعتبر إذا كان يضرّه بحجة أنه ليس في الصحيحين، وسيأتي قريباً نصّ كلامه في أحد الموارد، ويعتمد هنا على هذا الحديث ويورده بطوله، وحاله كما عرفت؟ والثاني: إن ما اشتمل عليه من الفضائل الموضوعه لأبي بكر يؤكد أنه حديث مكذوب.

والثالث: إنه على فرض صحّته يشتمل على مطاعن لعمر وأبي موسى الأشعري.

والرابع: إنه بغض النظر عن كلّ ما ذكر، لا يدلّ على أن ذكر الخلفاء كان على عهد

(١) لاحظ فيها حوادث سنة: ٤١.

(٢) معجم البلدان ٣ / ١٩١ «سجستان».

(٣) الصارم المسلول: ٢٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٨

عمر من فروض أو سنن الخطبة في مساجد المسلمين ومنابرهم، بل هو شيء كان يفعله أبو موسى وحده، ولم يكن معهوداً بين المسلمين.

وأما ما ذكره في الوجه الرابع، فيردّه: أن البدعة بذكره في الخطبة حاصله وإن لم تكن على سبيل الفرض.

وأما ما ذكره في الوجه الخامس عن كثير من خطبائهم بالمغرب.. فإنه - إن صحّ - ليس إلا تعصباً في بدعته، وبدعة عن تعصب، وهل يجوز الرجل حسناً فيما كان يفعله أولئك الخطباء حتى يكون الحق على التقديرين غير خارج عن أهل السنة؟!

وأما ما ذكره في الوجه السادس، فتكرار، واستدلاله بالحديث المذكور باطل:

أما أولاً: فلأن هذا الحديث يكذّبه واقع الحال بين الصّحابة أنفسهم، فلقد وجدناهم كثيراً ما يخالفون سنّة أبي بكر وعمر، والمفروض أنهما من الخلفاء الراشدين، بل لقد خالف الثاني منهما الأول في أكثر من مورد، وخالفهما ثالث القوم في موارد كثيرة حتى نقم عليه ذلك، وأمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام أبي في الشورى الإلتزام إلابسيرة النبي صلى الله عليه وآله، وسعى لرفع ما سنّه المتقدّمون عليه بين المسلمين كما هو معروف..

وعلى هذا، فلو كان هذا الحديث صادراً عن رسول الله حقاً، لما وقعت تلك الخلافات والمخالفات، وبهذا أشكل غير واحد من العلماء على هذا الحديث، واضطّروا إلى تأويله، وقد نصّ بعضهم على ضرورة ذلك «١».

وأما ثانياً: فلأنه ينتهي بجميع طرقه وأسانيده إلى (العرباض بن سارية) فهو الراوي الوحيد له، مع أنه - كما جاء في لفظ الحديث - وصيّته من النبي صلى الله عليه وآله، خاطب بها الأصحاب في المسجد وبعد الصّلاة، وكانت موعظةً بليغةً منه، ذرفت

(١) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ٢ / ٢٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٩

منها العيون، ووجلت منها القلوب.. كما جاء في الحديث، فلماذا لم يروه إلا (العرباض)؟!

وأما ثالثاً: فلأن هذه الوصيّة لم يتناقلها إلا - أهل الشام وهم في الانحراف عن أهل البيت، وأكثر رواته أهل حمص منهم

بالخصوص، وقد اشتهروا بالبغض والنصب لأمر المؤمنين عليه السلام في تلك العصور «١».

وأما رابعاً: فلأنه مما أعرض عنه البخاري ومسلم، وكذا النسائي من أصحاب السنن، وكثيراً ما يرد ابن تيمية الحديث بحجة أنه ليس في الصحيحين، ومن ذلك قوله في حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة:

«هذا الحديث ليس في الصحيحين، بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم وغيره، ولكن قد أورده أهل السنن كأبي داود والترمذي وابن ماجه، ورواه أهل المسانيد كالإمام أحمد» «٢».

قلت: ومن عجيب الإنفاق أن حديث: «عليكم بسنتي..» كذلك تماماً، فإنه (ليس في الصحيحين)، (بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث) كالحافظ القطان المتوفى سنة ٦٢٨ ونص على عدم صحته «٣». (لكن قد أورده أهل السنن كأبي داود والترمذي وابن ماجه) أي: إلا النسائي (ورواه أهل المسانيد كالإمام أحمد).

وأما خامساً: فلأنه متكلم في رجال أسانيدهم كلهم حتى (العرباض) الصحابي، ونحن نكتفي بالإشارة إلى أحوال رواته في الطبقة الأولى، إذ الرواة لهذا الحديث عن (العرباض) هم:

١- عبد الرحمن بن عمرو السلمي.

٢- حجر بن حجر.

(١) معجم البلدان - حمص.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٤٥٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٠

٣- يحيى بن أبي المطاع.

٤- معبد بن عبد الله بن هشام.

أما الرابع، فلم أجده إلا عند الحاكم حيث قال: «ومنهم: معبد بن عبد الله بن هشام القرشي» ثم قال: «وليس الطريق إليه من شرط هذا الكتاب فتركته» «١».

وأما الثالث، فلم يرو عنه إلا ابن ماجه «٢»، وقد قال ابن القطان: «لا أعرف حاله» «٣» وقد استبعد الأئمة لقيه العرباض.

قال الذهبي: «قد استبعد دحيم لقيه العرباض، فلعله أرسل عنه، فهذا في الشاميين كثير الوقوع، يروون عن من لم يلقوهم» «٤».

وكذا قال ابن حجر «٥».

وسبقهما ابن عساكر «٦».

وأما الثاني، فهو من أهل حمص، لم يرو عنه إلا أبو داود، وليس إلا هذا الحديث، لكن مقروناً بآخر - وهو عبد الرحمن بن عمرو، الذي سند كره - وقال القطان:

«لا يُعرف» «٧».

وأما الأول، فهو المعروف بروايته عن (العرباض)، وليس له رواية في السنن إلا هذا الحديث، قال ابن حجر: «وزعم القطان الفاسي إنه لا يصح لجهالة حاله» «٨».

(١) المستدرک علی الصحيحین ١/ ٩٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ٢٤٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١١ / ٢٤٥.

(٤) ميزان الاعتدال ٤ / ٤١٠.

(٥) تقريب التهذيب ٢ / ٣١٥.

(٦) تاريخ دمشق ١٨ / ١٨٦.

(٧) تهذيب التهذيب ٢ / ١٨٨.

(٨) تهذيب التهذيب ٦ / ٢١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١

وأما سادساً: فلأنه إن صحَّ، فالمراد من (الخلفاء الراشدين المهديين) فيه هم الإثنا عشر الذين عناهم بقوله في الحديث المتفق عليه: «الخلفاء بعدى اثنا عشر».

هذا، ولنا رسالة مفردة في تحقيق حال هذا الحديث، فمن شاء التفصيل فليرجع إليها.

وأما ما ذكره في الوجه الثالث، فسوء فهم لكلام العلامة رحمه الله، فإن المنصور العباسي لما قام ضده العلويون من بنى الحسن السبط عليه السلام وأقلقوه واضطرب عليه الأمر، قصد تضعيف جانب العلويين والتقليل من قدرهم والخط من شأنهم، برفع بنى تيم وعدى مطابقاً لاعتقاده، بل إن ذلك يقلل من شأن بنى العباس أيضاً فقال:

«لأرغمن أنفى وأنوفهم».

فهذا معنى الكلام والسبب في إحداث هذه البدعة التي استمر عليها الذين يسمون أنفسهم بأهل السنة.

غسل الرجلين في الوضوء ... ص: ٢١

قال قدس سره: وكمسح الرجلين الذى نص عليه الله تعالى فى كتابه العزيز فقال: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»، قال ابن عباس: عضوان مغسولان، وعضوان ممسوحان. فغيّروه وأوجبوا الغسل! الشرح:

أجاب عنه ابن تيمية بقوله: «الذين نقلوا الوضوء عن النبى صلى الله عليه وآله قولاً وفعلًا، والذين تعلّموا الوضوء منه، وتوضأوا على عهده، وهو يراهم ويقرّهم عليه ونقلوه إلى من بعدهم، أكثر من الذين نقلوا لفظ هذه الآية ... حتى نقلوا عنه من غير وجه فى الصحاح وغيرها أنه قال: ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٢

مع أن الغرض إذا كان مسح ظهر القدم كان غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطوائع. فإن جاز أن يقال إنهم كذبوا وأخطأوا فيما نقلوه عنه من ذلك، كان الكذب والخطأ فيما نقلوه من لفظ الآية أقرب إلى الجواز. وإن قيل: بل لفظ الآية ثبت بالتواتر الذى لا يمكن الخطأ فيه، فثبوت التواتر فى لفظ الوضوء عنه أولى وأكمل.

ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح جنس تحته نوعان: الإسالة وغير الإسالة، كما تقول العرب: تمسّحت للصلاة. فما كان بالإسالة فهو الغسل. وإذا خصّ أحد النوعين باسم الغسل فقد يخصّ النوع الآخر باسم المسح. فالمسح يقال على المسح العام الذى يندرج فيه الغسل، ويقال على الخاص الذى لا يندرج فيه الغسل ...

وفى القرآن ما يدلّ على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذى هو قسيم الغسل، بل المسح الذى الغسل قسم منه. فإنه قال: «إِلَى الْكَعْبَيْنِ» ولم يقل إلى الكعب، كما قال: «إِلَى الْمَرَافِقِ». فدلّ على أنه ليس فى الرجل كعب واحد كما فى كلّ يد مرفق واحد، بل فى كلّ رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين، وهذا هو الغسل، فإن من يمسح المسح الخاص يجعل المسح

لظهور القدمين.

وفى ذكره الغسل فى العضوين الأولين والمسح فى الآخرين تنبيه على أن هذين العضوين يجب فيهما المسح العام. فتارة يجزى المسح الخاص كما فى مسح الرأس والعمامة والمسح على الخفين، وتارة: لابد من المسح الكامل الذى هو الغسل كما فى الرجلين المكشوفتين.

وقد تواترت السنّة عن النبى صلى الله عليه وآله بالمسح على الخفين وغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنّة المتواترة... وفى ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلّة الصبّ فى الرجل، فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً...

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٣

وهذه الآية فيها قراءتان الخفض والنصب، فالذين قرأوا بالنصب قال غير واحد منهم: أعاد الأمر إلى الغسل. أى: وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين كالأيتين. ومن قال أنه عطف على محلّ الجارّ والمجرور يكون المعنى: وامسحوا برؤوسكم وامسحوا أرجلكم إلى الكعبين...

وفى الجملة: فالقرآن ليس فيه نفى إيجاب الغسل، بل فيه إيجاب المسح. فلو قدر أن السنّة أوجبت قدراً زائداً على ما أوجبه القرآن، لم يكن فى هذا رفعاً لموجب القرآن، فكيف إذا فسّرت به وبينت معناه، وهذا مبسوط فى موضعه «١».

أقول:

لا يخفى الاضطراب فى كلام الرجل على المتأمل فيه، بل هو فى الحقيقة اعتراف بالبدعة ومخالفة نصّ القرآن، وإلا: فأى معنى لقوله: «الذين نقلوا الوضوء عن النبى ... أكثر من الذين نقلوا لفظ هذه الآية»؟

وأى وجه لدعوى: «أن المسح جنس تحته نوعان: الإسالة وغير الإسالة» ... مع أن كلّ عربى يفهم التباين بين (الغسل) و (المسح)؟ ولماذا هذا الاستحسان بأنه: «فى ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلّة الصبّ فى الرجل»؟...

كلّ هذا لا داعى له إلا توجيه البدعة وتأكيدا.. بعد الاعتراف بأن القرآن «فيه إيجاب المسح ...» فهو معترف بما قال العلامة... ولو كان الرجل فقيهاً أو متفقهاً لبحث عن المسألة بحثاً علمياً مستنداً إلى الكتاب والسنّة اللذين هما المعتمد فى جميع البحوث، لا سيما الأحكام الشرعية، فإنها

(١) منهاج السنّة ١٧٦/٤.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤

مستنبطه منهما وهما المرجع فيها، وهذه المسألة من هذا القبيل.

فلنشرح المسألة ببعض التفصيل، ولننقل أقوال علمائهم وما اشتملت عليه من الاضطراب والتضليل، فيظهر أن الغسل بدعة والمسح هو الأصل الأصيل، فنقول:

ذهبت الشيعة الإثنا عشرية إلى أن الحكم فى الأرجل هو المسح فرضاً معيّناً، من غير خلاف بينهم، حتى أصبح من جملة شعائر مذهبهم التى بها يعرفون وعن غيرهم يميزون.

واختلف الآخرون، بين قائل بالمسح كذلك، وقائل بالجمع بين المسح والغسل، وقائل بالتخير بينهما، وقائل بالغسل على التعيين، وقد ظلّ هذا الخلاف قائماً بينهم، حتى استقرّ مذهب الجمهور من أهل السنّة على القول بالغسل، وذلك فى القرن الرابع، أى بعد الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠، وسنذكر رأيه فى المسألة فيما بعد.

والمهم الآن التأكيد على وجود القول بالمسح بين أهل السنّة سابقاً، وهذا ما جاء فى كلام غير واحد:

قال السرخسى: «من الناس من قال: وظيفة الطهارة فى الرجل المسح» «١».

وقال ابن رشد: «اتفق العلماء على أن الرجلين من أعضاء الوضوء، واختلفوا في نوع طهارتهما، فقال قوم: طهارتهما الغسل وهم الجمهور، وقال قوم: فرضهما المسح، وقال قوم: بل طهارتهما تجوز بالنوعين الغسل والمسح» (٢... ٢).
وقال ابن كثير: «وقد روى عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح» (٣).
ويزيد ما ذكرناه تأكيداً ووضوحاً قول أحدهم: «إن القول بكل من الغسل والمسح

(١) المبسوط في فقه الحنفية ٨ / ١.

(٢) بداية المجتهد ١٦ / ١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٥

مروى عن السلف من الصحابة والتابعين، ولكن العمل بالغسل أعظم وأكثر، وهو الذي غلب واستمر» (١).
تجد في هذه الكلمات أن القول بالمسح الذي عليه الشيعة، كان قولاً شائعاً بين الصحابة والتابعين وغيرهم، غير أن أهل السنة (أوجبوا الغسل) على التعيين في القرون المتأخرة (وهو الذي غلب واستمر)!

فما في ظاهر كلام بعضهم - كابن كثير - من اختصاص المسح بالشيعة وأنه ضلالة (٢) باطل.

بل لقد أفرط بعضهم، فنسب القول بالمسح إلى (أهل البدع)، كالشهاب الخفاجي حيث قال: «ومن أهل البدع من جوز المسح على الأرجل بدون الخف، مستنداً بظاهر الآية، وللشريف المرتضى كلام في تأييده تركناه لإجماع أهل السنة على خلافه» (٣).

وأقبح من ذلك كلام الآلوسى، فإنه كذب وشتم وأساء الأدب حيث قال: «وما يزعمه الإمامية من نسبة المسح إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأنس بن مالك وغيرهما، كذب مفترى عليهم... ونسبة جواز المسح إلى أبى العالية وعكرمة والشعبى، زور وبهتان أيضاً، وكذلك نسبة الجمع بين الغسل والمسح أو التخيير بينهما إلى الحسن البصرى عليه الرحمة، ومثله نسبة التخيير إلى محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ الكبير والتفسير الشهير.

وقد نشر رواة الشيعة هذه الأكاذيب المختلقة، ورواها بعض أهل السنة ممن لم يميز الصحيح والسقيم من الأخبار بلا تحقق ولا سند، واتسع الخرق على الراقع» (٤).

(١) تفسير المنار ٦ / ٢٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٨.

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ٣ / ٢٢١.

(٤) روح المعاني ٦ / ٧٧ - ٧٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٦

دلالة الكتاب على المسح ... ص: ٢٦

وأما ما أشار إليه العلامة طاب ثراه من دلالة الآية المباركة على المسح، فذاك ما اعترف به كبار أئمة القوم، غير أنهم زعموا دلالة السنة على الغسل:

قال السرخسى: «وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزل القرآن بغسلين ومسحين، يريد به القراءة بالكسر في قوله تعالى «وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» فإنه معطوف على الرأس. وكذلك القراءة بالنصب عطف على الرأس من حيث المحل، فإن الرأس محلّه من الأعراب

النصب، وإنما صار مخفوضاً بدخول حرف الجر، وهو كقول القائل:

معاوى إنا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

ولنا: إن النبي صلى الله عليه وآله واظب على غسل الرجلين» (١).

وقال ابن حزم: «فأما قولنا في الرجلين، فإن القرآن نزل بالمسح، قال الله تعالى «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ» وسواء قرئ بخفض اللام أو بفتحها هي على كل حال عطف على الرؤوس، إما على اللفظ وإما على الموضع، لا يجوز غير ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يحال بين المعطوف والمعطوف عليه بقضيته مبتدأة، وهكذا جاء عن ابن عباس: نزل القرآن بالمسح، يعنى في الرجلين في الوضوء. وقد قال بالمسح على الرجلين جماعة من السلف منهم: علي بن أبي طالب، وابن عباس والحسن وعكرمة والشعبي، وجماعة غيرهم، وهو قول الطبري، ورويت في ذلك آثار» فذكر بعضها، ثم قال: «وإنما قلنا بالغسل لما حدثنا» ... فذكر حديث «ويل للأعقاب» الذي سند كره «... ٢».

وقال ابن الهمام في شرح قول الماتن «ووجهه: إن قراءة نصب الرجل عطف على

(١) المبسوط في الفقه الحنفي ٨ / ١.

(٢) المحلى في الفقه ٥٦ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧

المغسول، وقراءة جرّها كذلك، والجرّ للمجاورة، قال: «وعليه أن يقال: بل هو عطف على المجرور، وقراءة النصب عطف على محلّ الرؤوس، وهو محلّ يظهر في الفصيح، وهذا أولى لتخريج القراءتين به على المطرد، بخلاف تخريج الجرّ على الجوار (قال): إطباق رواة وضوئه صلى الله عليه وآله على حكاية الغسل ليس غيره، فكانت السنّة قرينة منفصلة» (١).

وقال ابن قدامة: «وروى عن علي أنه مسح ... وحكى عن ابن عباس ... وروى عن أنس بن مالك ... وحكى عن الشعبي ... ولم يعلم من فقهاء المسلمين من يقول بالمسح على الرجلين غير من ذكرنا، إلا ما حكى عن ابن جرير أنه قال: هو مخير بين المسح والغسل، واحتج بظاهر الآية وبما روى عن ابن عباس ... ولنا: إن عبد الله بن زيد وعثمان حكيا وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله..» (٢).

وقد اعترف إمامهم الرازي بأن الآية دليل على وجوب المسح على كلتا القراءتين، وهذه عبارته:

«حجة من قال بوجوب المسح مبنّى على القراءتين المشهورتين في قوله:

«وَأَرْجُلَكُمْ» فقرأ ابن كثير وحزمة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجرّ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في روايته حفص عنه، بالنصب.

فنقول: أما القراءة بالجرّ، فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الأرجل.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: هذا كسر على الجوار كما في قوله: جحر ضبّ خرب، وقوله: كبير أناس في بجاد مزمل.

(١) شرح فتح القدير ١١ / ١.

(٢) المغنى في الفقه الحنبلي ١٢٠ - ١٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨

قلنا: هذا باطل من وجوه: الأول: إن الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر، وكلام الله يجب تنزيهه عنه. وثانيها: إن الكسر إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس، كما في قوله: جحر ضبّ خرب؛ فإن من المعلوم

بالضرورة أن الخرب لا- يكون نعتاً للصب بل للجحر، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل. وثالثها: إن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب.

وأما القراءة بالنصب، فقالوا أيضاً: إنها توجب المسح؛ وذلك لأن قوله: «وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ» فرووسكم في محلّ النصب ولكنها مجرورة بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محلّ الرؤوس، والجّر عطفاً على الظاهر. وهذا مذهب مشهور للنحاة. إذا ثبت هذا فنقول:

ظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله: «وَأَرْجُلُكُمْ» هو قوله: «وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ» ويجوز أن يكون هو قوله: «فَاغْسِلُوا» لكن العاملان إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى. فوجب أن يكون عامل النصب في قوله «وَأَرْجُلُكُمْ» هو قوله: «وَأَمْسَحُوا» فثبت أن قراءة «وَأَرْجُلُكُمْ» بنصب اللام توجب المسح أيضاً.

فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح.

ثم قالوا: ولا يجوز دفع ذلك بالأخبار، لأنها بأسرها من باب الآحاد، ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز». قال: «واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا إلّا من وجهين.

الأول: أن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس؛ فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط، فوجب المصير إليه. وعلى هذا الوجه يجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٩

والثاني: أن فرض الرجلين محدود إلى الكعبين والتحديد إنما جاء في المسح.

والقوم أجابوا عنه بوجهين، الأول: أن الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم. وعلى هذا التقدير فيجب المسح على ظهر القدمين. والثاني: أنهم سلّموا أن الكعبين عبارة عن العظمين الناتئين من جانبي السّاق، إلّا- أنهم التزموا أنه يجب أن يمسح ظهور القدمين إلى هذين الموضعين؛ وحينئذ لا يبقى هذا السؤال» إنتهى كلامه بلفظه «١».

أقول: يعني: ويبقى السؤال الأول، وسيأتى الجواب عنه.

وقال السندی: «وإنما كان المسح هو ظاهر الكتاب؛ لأن قراءة الجّر ظاهرة فيه، وحمل قراءة النصب عليها بجعل النصب على المحلّ أقرب من حمل قراءة النصب، كما صرح به النحاة» (٢).

وقال الشيخ إبراهيم الحلبي: «والصحيح أن الأرجل معطوفة على الرؤوس في القراءتين، ونصبها على المحلّ وجّها على اللفظ» (٣).

أقول:

ولنكتف بهذا القدر من تصريحات الأعلام بدلالة الآية المباركة بكتلتا القراءتين على المسح دون الغسل، وأن جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم كانوا يقولون بالمسح، وأن الدليل على القول بالغسل هو السنّة لا الكتاب.

لكنّ جماعة من القائلين بالغسل لمّا علموا بأن رفع اليد عن دلالة (الكتاب) لا يكون إلّا بدليل معتبر، وعلموا عدم دلالة (السنّة) على الغسل، ولا أقلّ من سقوطها للتعارض كما سنين، حاولوا صرف الآية المباركة عن المسح.

كأن تكون قراءة النصب دالّة على المسح، بزعم أنها بقرينة الأخبار ظاهرة في

(١) تفسير الرازي ١١/ ١٦١-١٦٢.

(٢) الحاشية على سنن ابن ماجه ١/ ٨٨.

(٣) غنية المتملى: ١٦.

الغسل عطفاً على «وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»، وتجعل بذلك راحته على قراءة الجِرِّ الظاهرة في المسح «١». لكنها محاولة يائسة، أما الأخبار فستتكلّم عليها، وأما العطف المذكور، فقد نصّ غير واحد من الأئمة على بطلانه، وجعلوه من القبيح الذي ينزّه كتاب الله تعالى عن هذا التخريج «٢».

وكان يزعم بأن لفظ (المسح) مشترك، فلا دلالة لقراءة الجِرِّ أيضاً. قال القرطبي:

«قال النحاس: ومن أحسن ما قيل فيه: أن المسح والغسل واجبان جميعاً، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين. قال ابن عطية: وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح في الرجلين هو الغسل. قلت: وهو الصحيح؛ فإن لفظ المسح مشترك، يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل» «... ٣».

وهي محاولة كسابقتها، فالعيني أورد هذا الوجه وقال: «وفيه نظر»، وقال الصاوي: «وهو بعيد» وقال صاحب المنار: «وهو تكلف ظاهر» «٤».

وكما أفرط بعضهم فزعم عدم دلالة الآية بقراءة الخفض على المسح - مع أن ذلك متفق عليه بينهم، حتى اعترف به القائلون بدلالة قراءة النصب على الغسل «٥» -، بين قائل بالكسر على الجوار، كالعيني وأبي البقاء والآلوسي «٦». لكن ردّه آخرون ونصّوا

(١) بداية المجتهد ١/ ١٥-١٦، أحكام القرآن لابن العربي المالكي ٢/ ٧٢.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٤٥١، عمدة القاري في شرح البخاري ٢/ ٢٣٨، غنية المتملى: ١٦.

(٣) تفسير القرطبي ٦/ ٩٦، وانظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٧، البحر المحيط ٣/ ٤٥١، تفسير الخازن ٢/ ٤٤١.

(٤) عمدة القاري ٢/ ٢٣٩، الصاوي على البيضاوي ١/ ٢٧٠، تفسير المنار ٦/ ٢٣٣.

(٥) المجموع في شرح المذهب ١/ ٤١٨، تفسير ابن كثير ٢/ ٢٧، فتح الباري ١/ ٢٣٢.

(٦) عمدة القاري ٢/ ٢٣٩، إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢١٠، روح المعاني ٦/ ٧٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣١

على أنه تأويل ضعيف جداً، وأنه قليل نادر مخالف للظاهر لا يجوز حمل الآية المباركة عليه، وأنه غلط عظيم، ونحو ذلك من الكلمات «... ١» وبين قائل: بأن الأرجل مجرورة بفعل محذوف يتعدى بالباء، أي: وافعلوا بأرجلكم الغسل، ثم حذف الفعل وحرف الجِرِّ. وهذا لم أجده إلا من أبي البقاء «٢» وقال أبو حيان: «هذا تأويل في غاية الضعف» «٣».

وجاء الزمخشري بفلسفة لا دليل عليها مطلقاً فقال: «قرأ جماعة «وَأَرْجُلُكُمْ» بالنصب، فدلّ على أن الأرجل مغسولة. فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجِرِّ ودخولها في حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصبّ الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن ليتّبه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها» «... ٤».

وهو كلام بارد جداً، ومن التفسير بالرأى المحرّم قطعاً، وقال أبو حيان: «وهو كما ترى في غاية التلفيق وتعمية في الأحكام» «٥».

أقول:

فالكتاب نصّ على وجوب مسح الرجلين، سواء قرئت الكلمة بالنصب أو بالجِرِّ، وكلّ هذه الأتوايل لصرف التنزيل عمّا يدلّ عليه أقوى دليل على عدم الدليل المعتبر من السنة على الغسل، كما سنرى بشيء من التفصيل، فنقول:

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٥١، تفسير الخازن ٢/ ٤٤١، حاشية السندی على ابن ماجه ١/ ٨٨، نيل الأوطار ١/ ٢٠٩، غنية المتملى: ١٦، تفسير

الرازي ١١/ ١٦١، النيسابوري ٦/ ٥٣، القرطبي ٦/ ٩٤، الشهاب على البيضاوي ٣/ ٢٢١، معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٥٥، وغيرها.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٣/ ٤٥٢.

(٣) البحر المحيط ٣ / ٤٥٢.

(٤) الكشف ١ / ٥٩٧.

(٥) البحر المحيط ٣ / ٤٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٢

دلالة السنة على المسح ... ص: ٣٢

إن الأحاديث الواردة عند القوم بأسانيدهم عن (الذين نقلوا الوضوء عن النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلًا، والذين تعلموا الوضوء منه، وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرّهم عليه ونقلوه إلى من بعدهم) والصريحة في (المسح) كثيرة، وفيها ما أخرج في الصحاح أو السنن وما نصّ الأئمة على صحته، ومن ذلك:

١- خبر عباد بن تميم عن أبيه تارة وأخرى عن عمه: إن النبي صلى الله عليه وآله توضأ ومسح على القدمين. أخرجه البخاري في تاريخه، وأحمد، وابن أبي شيبة، وابن أبي عمر، والبغوي، والباوردي، وغيرهم. وعنهم الحافظ ابن حجر وقال: «رجاله ثقات» (١).

وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢).

ورواه الطحاوي، وأضاف: «وأن عروه كان يفعل ذلك» (٣).

ورواه ابن الأثير (٤) وابن عبد البر ونصّ على صحته (٥).

٢- خبر رفاعه بن رافع عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنها لا تتم صلاة لأحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين».

قال العيني: «حسنه أبو علي الطوسي الحافظ، وأبو عيسى الترمذي، وأبو بكر

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١ / ٤٩٠.

(٢) عمدة القاري ٢ / ٢٤٠.

(٣) شرح معاني الآثار ١ / ٣٥.

(٤) أسد الغابة ١ / ٢١٧.

(٥) الاستيعاب ١ / ١٩٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٣

البنار، وصححه الحافظ ابن حبان، وابن حزم (١).

قلت: وأخرجه الطحاوي (٢) وابن ماجه (٣) والبيهقي (٤)، والحاكم وأصرّ على صحته، ووافقه الذهبي.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بعد أن أقام همام بن يحيى إسناده، فإنه حافظ ثقة، وكلّ من أفسد قوله فالحقول قول همام. ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما اتفقا فيه على عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. وقد روى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في التاريخ الكبير عن حجاج بن منهال، وحكم له بحفظه ثم قال: لم يقم حماد بن سلمة. حدّثنا بصحة ما ذكره البخاري ...

وقد أقام هذا الإسناد: داود بن قيس الفراء، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير ... ثم أورد الحديث بإسناده بطريق كلّ منهم عن رفاعه بن رافع .. (٥).

٣- خبر ابن عباس مع الربيع بنت معوذ. قال السيوطي: «أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن ماجه عن ابن عباس قال: أباي الناس إلاً الغسل، ولا أجد في كتاب الله إلاً المسح» (٦). قلت: هو في سنن ابن ماجه عنها، قالت: «أتاني ابن عباس فسألني عن هذا الحديث، تعني حديثها الذي ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله توضأ وغسل

(١) عمدة القاري ٢/ ٢٤٠.

(٢) شرح معاني الآثار ١/ ٣٥.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ١٥٦.

(٤) سنن البيهقي ١/ ٤٤.

(٥) المستدرک علی الصحيحین ١/ ٢٤٢.

(٦) الدر المنثور ٢/ ٢٦٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٤

رجليه، فقال ابن عباس: إن الناس أبوا إلاً الغسل ولا أجد في كتاب الله إلا المسح.

وفي الزوائد: «إسناده حسن» (١).

٤- خبر أنس بن مالك والحجاج بن يوسف. قال ابن كثير: «وقد روى عن طائفة من السلف ما يوهم القول بالمسح. قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عتيبة، حدثنا حميد قال: قال موسى بن أنس - ونحن عنده - يا أبا حمزة، إن الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه، فذكر الطهور فقال: إغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيهما. فقال الناس: كذب الحجاج. قال الله تعالى: «وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ» قال: وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما. إسناده صحيح إليه» (٢).

٥- خبر عثمان بن عفان. أخرجه أحمد في المسند، وأبو نعيم في الحلية، والبزار في مسنده، وأبو يعلى وصححه: قال المتقي: «عن حمران قال: رأيت عثمان دعا بماء فغسل كفيه ثلاثاً ومضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم ضحك، فقال: ألا تسألوني ما أضحكني؟ قلنا: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: أضحكني أن العبد إذا غسل وجهه حط الله عنه بكل خطيئة أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإذا مسح رأسه كان ذلك، وإذا طهر قدميه كان كذلك. حم، والبزار حل، ع، وصح» (٣).

٦- خبر عبد الله بن زيد المازني: إن النبي صلى الله عليه وآله «توضأ ومسح

(١) سنن ابن ماجه ١/ ١٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٧.

(٣) كنز العمال ٩/ ٤٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٥

بالماء على رجليه». قال المتقي: أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١).

٧- خبر عبد خير عن علي عليه السلام إنه «توضأ فمسح على ظهر قدميه وقال:

لولا- أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فعله لكان باطن القدم أحق من ظاهره» أو: «لو كان الدين بالرأى لكان باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما، ولكن رأيت رسول الله مسح على ظاهرهما».

وممن أخرجه: أحمد بن حنبل في المسند، ابن أبي شيبة، عبد الرزاق بن همام، الطحاوي، أبو داود، الدارمي، الدارقطني «٢».

٨- عن أنس بن مالك، أنه قال: «نزل القرآن بالمسح».

قال ابن كثير: «إسناده صحيح» «٣».

٩- عن أبي مالك الأشعري، أخرجه أحمد قال: «ثنا محمد بن جعفر، ثنا سعيد، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري: إنه قال لقومه: اجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما اجتمعوا قال:

هل فيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا- إلا- ابن أخت لنا. قال: ابن أخت القوم منهم. فدعا بجفنة فيها ماء، فتوضأ ومضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم صلى بهم» «... ٤».

فهذه طائفة من الأحاديث الصحيحة والآثار المعتبرة في مسح الرجلين، ونحن نكتفي بهذا القدر.

(١) كنز العمال ٩/ ٤٥١ رقم ٢٦٩٢٢.

(٢) كنز العمال ٩/ ٤٤٤ و ٦٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٣٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦

الإضطراب والتلاعب بالأحاديث ... ص: ٣٦

وبعد أن رأينا أن الآية المباركة دالة على المسح، والأحاديث الصحيحة الدالة على المسح كثيرة، نرى أتباع عثمان وبنى أمية يضطربون، فأول شيء فعلوه هو الوضع والتزوير والتلاعب بالأحاديث، فوضعوا أحاديث عن أمير المؤمنين وأتباعه في القول بالغسل، مع ذكرهم الإمام عليه السلام في أول القائلين بالمسح كما رأيت في كلام ابن حزم وغيره، وحرفوا غير واحد من الأحاديث والأخبار الصحيحة التي ذكرناها.

ولنكتف بالكلام على واحد منها وهو الخبر التاسع الذي نقلناه عن مسند أحمد بسنده عن أبي مالك الأشعري، فقد جاء هذا الحديث في مسند أحمد بأشكال خمسة..

أحدها: ما ذكرناه وفيه «المسح» وقد كان عن «محمد بن جعفر» وهو المعروف بغندر، عن «سعيد» وهو ابن أبي عروبة، عن «قتادة...»

والثاني: ما رواه وفيه «الغسل» وهو عن «عبد الرزاق عن معمر عن قتادة»..

قال أحمد: «فذكر حديث سعيد إلا أنه قال: وغسل قدميه» «١»!

والثالث: ما رواه بسنده عن «شهر بن حوشب» ... وليس فيه لا (المسح) ولا (الغسل)؛ إذ لم يبين كيفية الوضوء ولا ذكر الوضوء، قال:

«ثنا أبو النضر، ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري، عن شهر بن حوشب، ثنا عبد الرحمن بن غنم: أن أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال:

يا معشر الأشعريين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم صلاة النبي صلى الله عليه وآله صلى لنا بالمدينة، فاجتمعوا وجمعوا

نساءهم وأبناءهم، فتوضأ وأراهم كيف يتوضأ، فأحصى الوضوء إلى أماكنه، حتى لما أن فاء الفئ وانكسر الظل قام فأذن..» «٢».

(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٧

والرابع: ما رواه بسنده عن «شهر بن حوشب» ... وليس فيه ذكر الوضوء أصلاً:

قال: «ثنا محمد بن فضيل أنا داود بن أبي هند، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك الأشعري: أنه قال لقومه: قوموا صلّوا حتى أصلي لكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فصفوا خلفه فكبر ثم قرأ ثم كبر ثم ركع ثم رفع رأسه فكبر، ففعل ذلك في صلاته كلها» (١).

والخامس: ما رواه بسنده عن «شهر بن حوشب» ... وليس فيه لا ذكر الوضوء، ولا كيفية الصلاة!! قال: «ثنا أسود عن شريك، ثنا يحيى بن أبي كثير، وأبو النضر قالا ثنا الأشجعي أو قالا الأشعري - قال أبو عبد الرحمن: وجدت في كتاب أبي بخط يده:

حدّث عن الفضل بن العباس الواقفي، يعني الأنصاري من بني واقف، عن قرّة بن خالد، ثنا بديل، ثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم قال: قال أبو مالك الأشعري: ألا حدّثكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: وسلم عن يمينه وعن شماله، ثم قال: وهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. وذكر الحديث» (٢).

أقول:

والمهم أن ننظر في الأوّل والثاني، فالسند واحد والحديث واحد، إلا أنه عن «سعيد بن أبي عروبة عن قتادة» (المسح) وعن «معمر بن راشد عن قتادة» (الغسل)، فأيهما الأثبت؟

لقد جاء في ترجمة (سعيد) «٣» إن «أثبت الناس في قتادة: سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي، وشعبة، فمن حدّثك من هؤلاء الثلاثة بحديث يعني عن قتادة، فلا تبالي أن لا تسمعه من غيره».

(١) مسند أحمد ٥/ ٣٤٤.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٤٤.

(٣) تهذيب الكمال ١١/ ٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٨

وجاء فيه: «كان سعيد بن أبي عروبة أحفظ أصحاب قتادة» و «كان أعلم الناس بحديث قتادة» و «أثبت أصحاب قتادة: هشام وسعيد». وجاء في ترجمة (معمر) «١» عن يحيى بن معين: «إذا حدّثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا - عن الزهري وابن طاووس فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا». ولا يخفى أن (قتادة عراقي بصرى) وعن (العلل للدارقطني): «سئ الحفاظ لحديث قتادة والأعمش».

عمدة الدليل من السنة على الغسل ... ص: ٣٨

وقد لاحظنا أنهم، بعد الاعتراف بدلالة الكتاب على المسح، يقولون بضرورة رفع اليد عن ذلك، للأخبار الحاكية لأمره صلى الله عليه وآله بالغسل، وقد وجدنا النص على ذلك في العبارات المنقولة عنهم سابقاً، وكان منهم الفخر الرازي.. فنقول:

أولاً: إنا لا نسلم ورود الأخبار الكثيرة حتى من طرقهم بإيجاب الغسل، سلّمنا كثرتها، ولكنها أحاديث غير متواترة، إذ لو كانت متواترة لصرحوا بذلك، والآحاد لا يجوز أن تنسخ الكتاب كما ذكر الرازي وغيره.

ومن هنا يعلم أن الرازي أقرب إلى الحق والإنصاف في هذا الموضع من ابن تيمية الذي يقول: «إن جاز أن يقال إنهم كذبوا وأخطأوا فيما نقلوه عنه من ذلك، كان الكذب والخطأ فيما نقلوه من لفظ الآية أقرب إلى الجواز» هذا كلامه ونعوذ بالله منه! قال: «وإن قيل: بل

لفظ الآية ثبت بالتواتر الذي لا يمكن الخطأ فيه، فثبت التواتر في لفظ الوضوء عنه أولى وأكمل». وهل يقابل القرآن المتواتر الدال على وجوب المسح، بدعوى التواتر في (لفظ

(١) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٠، تهذيب الكمال ٢٨ / ٣١٢ الهامش.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٩

الوضوء) عن النبي صلى الله عليه وآله للدلالة على وجوب الغسل؟

وثانياً: أن تلك الأخبار معارضة بأخبار صحيحة مثلها، ومن أشهرها ما عن وصي الرسول وما عن حبر الأمة عبد الله بن عباس، وقد ذكر الرازي وغيره القول بوجوب المسح عنهما وعن أنس بن مالك وجماعة.

الكلام على حديث الأعقاب ... ص: ٣٩

ثم إن عمدة ما يستدلون به لوجوب الغسل، كما هو صريح جماعة «١» وتبعهم ابن تيمية، هو حديث «ويل للأعقاب من النار» حتى جعله القرطبي: «القاطع في الباب ...» وقد أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما «٢» ونحن نكتفي بالتكلم على ما رواه: أمّا سنداً، فمداره عند البخاري على «موسى بن إسماعيل التبوذكي» وهو ممن تكلم فيه من رجاله كما ذكر ابن حجر «٣»، ونقل عن الحافظ ابن خراش قوله فيه: «تكلم الناس فيه» ومن هنا أورده الذهبي في ميزانه «٤». ومداره عند مسلم على «جرير بن عبد الحميد الضبي» وهو أيضاً ممن تكلم فيه «٥» وذكر ابن حجر بترجمته كلمات حوله «٦» وأورده الذهبي في ميزانه «٧».

(١)

المبسوط ٨ / ١، معالم التنزيل ١٦ / ٢، المحلى ٥٦ / ٢، القرطبي ٩٤ / ٦، فتح الباري ٢١٣ / ١، أحكام القرآن لابن العربي ٧١ / ٢ - ٧٢، الكواكب الدراري ٨ / ٢ وغيرها.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٢١ و ٣٢ و ٤٩، صحيح مسلم ١ / ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) مقدمة فتح الباري: ٤٤٦.

(٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٠٠ / ٤.

(٥) مقدمة فتح الباري: ٣٩٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٢ / ٦٥.

(٧) ميزان الاعتدال ١ / ٣٩٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٤٠

وأما فقه الحديث ومدلوله، فيتوقف النظر فيه على ذكر متنه في الكتابين:

قال البخاري: «حدثنا موسى قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف النبي صلى الله عليه وآله عنا في سفره سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار. مرتين أو ثلاثاً».

وقال مسلم: «حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، وحدثنا إسحاق، أخبرنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبي يحيى، عن عبد الله بن عمرو قال:

رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضأوا وهم عجال، فانتبهنا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء». ولا يخفى: أن في لفظ مسلم ما يبين الإجمال الموجود في لفظ البخاري، ففي البخاري: «فجعلنا نتوضأ..» وليس فيه ذكر للأعقاب، لكنه عند مسلم «فانتبهنا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء، فقال رسول الله: ويل للأعقاب من النار» فلفظ مسلم يكون قرينه على المراد من لفظ الحديث عند البخاري.

بل في رواية ابن حجر للفظ مسلم كلمة تزيد المعنى وضوحاً، قال: «وفي أفراد مسلم: فانتبهنا إليهم وأعقابهم بيض تلوح لم يمسها الماء» «...».

وحينئذ يكون الحديث دالاً على (المسح) لا (الغسل) ولذا تمسك به من يقول بإجزاء المسح. قال الحافظ ابن حجر: «فتمسك بهذا الحديث من يقول بإجزاء المسح» «٢».

(١) فتح الباري في شرح البخاري ١/ ٢٣٢.
(٢) فتح الباري في شرح البخاري ١/ ٢٣٢.
شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٤١
وقد اعترف بدلالته على المسح: ابن رشد بقوله: «فهو أدل على جوازه منه على منعه، لأن الوعيد إنما تعلق فيه بترك التعميم لا بنوع الطهارة، بل سكت عن نوعها، وذلك دليل على جوازها. وجواز المسح هو أيضاً مروي عن بعض الصحابة والتابعين» «١».
وإليه أشار القسطلاني أيضاً «٢».

وقال صاحب المنار، بعد أن قال بأن هذا الحديث أصح أحاديث المسألة، ما نصه:
«وقد يتجاذب الاستدلال بهذا الحديث الطرفان، فللقائلين بالمسح أن يقولوا: إن الصحابة كانوا يمسحون، فهذا دليل على أن المسح كان هو المعروف عندهم، وإنما أنكر النبي عليهم عدم مسح أعقابهم» «٣».
أقول:

وهذا ما دعا بعضهم إلى التصرف في لفظ الحديث، وإسقاط القصة منه أو عدم ذكرها كاملة. فراجع وقارن «٤».
ومنهم من حَرَفَه حتى جاء ظاهراً في الغسل!! قال النسفي: «وقد صحَّ أن النبي صلى الله عليه وآله رأى قوماً يمسحون على أرجلهم فقال: ويل للأعقاب من النار» «٥».

وأفرط الزمخشري في التحريف فجعل لفظ (الوضوء) بدل (المسح) قال: «وعن ابن عمر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال: ويل للأعقاب من النار» «٦».

(١) بداية المجتهد ١/ ١٧.

(٢) إرشاد الساري في شرح البخاري ١/ ٢٤٨.

(٣) تفسير المنار ٦/ ٢٢٨.

(٤) سنن أبي داود ١/ ١٥، صحيح الترمذي ١/ ٥٨، سنن النسائي ١/ ٨٩، سنن ابن ماجه ١/ ١٥٤.

(٥) تفسير النسفي ١/ ٢٧١.

(٦) الكشف في تفسير القرآن ١/ ٥٩٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٤٢

ومن عجائب الأمور: أن أحمد يروى هذا الحديث بنفس سند مسلم بلفظين آخرين غير لفظه، كي يخرج عن دلالة على المسح «١».

اللجوء إلى الإحتياط ... ص: ٤٢

وعلى الجملة: فإن هذا الحديث - وهو أصح ما في الباب - لا يصلح للاستدلال على الغسل، وكأنَّ القوم ملتفتون إلى ذلك، فتراهم يلجأون إلى وجوه خارجة عن مقتضى الكتاب والسنة، فقال بعضهم بالإحتياط «٢».

قال الرازي: «والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الإحتياط فوجب المصير إليه».

لكنه مردود بوجوه:

أحدها: أن (الغسل) و (المسح) أمران متباينان، واشتمال الغسل على المسح لا يكفي في الخروج عن عهدة التكليف بالنسبة إلى المسح، وهل يقال بامثال من أمر بإحضار (إنسان) فجاء ب (حيوان)، بحجة أن (الحيوان) جنس يعم الإنسان وغيره؟

وكأنَّ ما ذكره الرازي هو المراد من قول ابن تيمية بعد الاعتراف بدلالة القرآن على وجوب المسح: «فلو قدر أن السنة أوجبت قدراً زائداً على ما أوجبه القرآن لم يكن في هذا رفعاً لموجب القرآن»....

وثانيها: إذا كان المفروض رفع اليد عن الكتاب ب «أن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل» كما ذكر، فالتكليف واضح متعين، وأى حاجة إلى الاستدلال بالإحتياط؟ لكن هذا الاستدلال أيضاً يشهد بعدم كثرة الأخبار الواردة بإيجاب الغسل

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٩٣/٢، ٢٠١/٢.

(٢) تفسير الرازي ١٦٢/١١، الجصاص ٤٢١/٢، روح المعاني ٧٨/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٤٣

بحيث تجوز رفع اليد عن القرآن.

وثالثها: إن وصلت النوبة العمل بالإحتياط بسبب التعارض بين الآيه والأخبار، فإن مقتضى الإحتياط ليس الغسل وحده، بل الجمع بين الغسل والمسح، كما ذكر هو عن داود الأصفهاني والناصر للحق من أئمة الزيدية.

وتلخص: أن ما ذهب إليه القوم من إيجاب الغسل تغيير للحكم الإلهي الذي نصَّ عليه في القرآن الكريم، وفي وجود الإختلاف بينهم في وجوبه - حتى ذهب بعضهم إلى الإحتياط كما عرفت، وبعضهم إلى التخيير كما نقل الرازي عن الحسن البصري - دلالة على ذلك.

ثم إن ابن تيمية، العاجز عن توجيه البدعة في الغسل، ذكر أجزاء المسح على العمامة وعلى الخفين، وأدعى تواتر السنة عن النبي بالمسح على الخفين.

أقول:

أمّا المسح على العمامة، فقال الرازي: «المسألة السابعة والثلاثون: لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة. وقال الأوزاعي والثوري وأحمد: يجوز. لنا: أن الآية دالة على أنه يجب المسح على الرأس ومسح العمامة ليس مسحاً للرأس».

أقول: ما ذهب إليه هو الحق الذي عليه الإمامية والدليل هو الدليل.

فقد ظهر أن الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو (المسح)، وأن (الغسل) بدعة ابتدعتها بعض القوم من السلف خلافاً لله والرسول وعناداً لأهل البيت الأطهار، ورؤجها حكام الجور وأئمة الباطل والضلال، وتبعهم من كان على شاكلتهم، وحملوا الناس على تلك البدعة إلى يومنا هذا.

وقد بقي على (المسح) عملاً بما جاءت به الشريعة المقدسة جماعة من أعلام الصَّحابة والتابعين.. واشتهر بذلك من الأئمة: أبو جعفر

محمد بن جرير الطبري، الإمام الشهير، صاحب المذهب المعروف عندهم، ومؤلف التفسير والتاريخ الكبيرين.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٤٤

ولقد شقّ على القوم ذهاب ابن جرير إلى (المسح) كما رأيت في عبارة ابن حزم وغيره.

فأبو حيان الأندلسي أخرج هذا الإمام من أهل السنّة وجعله من علماء الإماميّة! «١».

والسليمانى لم ينكر كونه من أهل السنّة وإنما قال: «كان يضع للروافض» «٢».

والذهبي نزّهه عمّا قيل فيه، وذكر أنه لم ير القول بالمسح في كتبه «٣».

والرازي وجماعة ينسبون إليه التخيير «٤».

وآخرون ينسبون إليه الجمع «٥».

والزّين العراقي وابن حجر العسقلاني خلطاً بينه وبين ابن جرير الإمامي «٦»!

هذا، وقد قال بجواز المسح جماعة من الأئمّة، كالشافعي «٧» وأحمد والثوري وابن جبير «٨» أيضاً، وما ذلك إلا لدلالة الكتاب على

المسح، وعدم وجود الدليل القاطع المجوّز لرفع اليد عنه.

وأما المسح على الخفين، فلا تجوّزه الإماميّة، والدليل هو الدليل كذلك، لأن المسح على الخفين ليس مسحاً للرجلين.

وهو المروى عن ابن عباس فإنه قال: «لأن أمسح على جلد حمار أحبّ إليّ من أن

(١) لسان الميزان ٥/ ١٠٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٧.

(٤) تفسير الرازي ١١/ ١٤١.

(٥) كصاحب المنار ٦/ ٢٢٨.

(٦) ذيل ميزان الاعتدال: ٣٠٤، لسان الميزان ٥/ ١٠٣.

(٧) أحكام القرآن ١/ ٥٠.

(٨) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح ١/ ٣١٥، نيل الأوطار ١/ ١٦٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٤٥

أمسح على الخفين».

وعن عائشة أنها قالت: «لأن تقطع قدماي أحبّ إليّ من أن أمسح على الخفين».

ذكرهما الرازي وقال: «وأما مالك، فإحدى الروايتين عنه أنه أنكر جواز المسح على الخفين، ولا نزاع أنه كان في علم الحديث

كالشمس الطالعة».

فأين التواتر الذي يدّعيه ابن تيمية؟ وهل الإماميّة هم المخالفون لهذه السنّة المتواترة؟

تحريم المتعتين ... ص: ٤٥

قال قدس سره: وكالمتعتين اللّتين ورد بهما القرآن، فقال في متعته الحج:

«فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ». وتأسف النبي صلى الله عليه وآله على فواتها لما حج قارناً وقال: لو استقبلت من

أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى. وقال في متعته النساء: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ».

واستمرَّ فعلها مدَّة زمان النبي صَلَّى الله عليه وآله، ومدَّة خلافة أبي بكر، وبعض خلافة عمر، إلى أن صعد المنبر وقال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما»!

الشرح:

أقول:

أما أن عمر نهى عن المتعتين، فهذا من الضروريات، وستقف على بعض الأخبار فيه.

وأما أنه قال هذا القول أو نحوه، فلا ريب فيه، وقد ذكره أعلام القوم في الفقه والحديث والتفسير: كالرازي والطحاوي وابن خلكان والبيهقي وابن رشد وابن حزم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٤٦

والجصاص والسرخسي والقرطبي وابن قدامة وابن القيم والسيوطي والمتقى «١».

فمنهم من نص على صحته كالسرخسي، ومنهم من نص على ثبوته كابن القيم.

وفي محاضرات الراغب الأصفهاني: «قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب. فقال:

كيف هذا، وعمر كان أشد الناس فيها؟ قال: لأن الخبر الصحيح قد أتى أنه صعد المنبر فقال: إن الله ورسوله أحلَّ لكم متعتين، وإني

أحرّمهما عليكم وأعاقب. فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه» «٢».

وفي بعض الروايات: أن النهي كان عن المتعتين و (حتى على خير العمل) في الأذان «٣».

أما متعة الحج، فقد أمر بها الله عز وجل حيث قال: «أَمِنْتُمْ مِمَّنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» وذلك بأن ينشئ الإنسان بالمتعة إحرامه في أشهر الحج من الميقات، فيأتي مكة ويطوف بالبيت ثم يسعى ثم يقصر ويحلّ من إحرامه، حتى ينشئ في نفس تلك السفرة إحراماً آخر للحج من مكة، والأفضل من المسجد الحرام، ويخرج إلى عرفات ثم المشعر إلى آخر أعمال الحج، فيكون متمتعاً بالعمرة إلى الحج.

وإنما سمى هذا الاسم لما فيه من المتعة، أي اللذة بإباحة محظورات الإحرام في

(١) تفسير الرازي ١٦٧/٥، شرح معاني الآثار ١٤٤/٢ و ١٤٦، وفيات الأعيان ١٥٠/٦، سنن البيهقي ٢٠٦/٧، بداية المجتهد ٢٦٨/١،

محلّى ١٠٧/٧، أحكام القرآن ٣٣٨/١ المبسوط في الفقه الحنفي ٢٧/٤، تفسير القرطبي ٣٩٢/٢، المغني ٥٧٢/٧، زاد المعاد ٢٠٥/٢،

الدر المنثور ١٤١/٢، كنز العمال ٥١٩/١٦ و ٥٢١ عن: ابن جرير، وسعيد بن منصور، والطحاوي وابن عساكر وغيرهم.

(٢) محاضرات الأدباء ٢١٤/٢.

(٣) شرح القوشجي على التجريد- باب الإمامة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٤٧

تلك المدّة المتخللة بين الإحرامين. وهذا ما كرهه عمر وتبعه عليه غيره وعلى رأسهم عثمان ومعاوية كما ستعلم.

وستعرف بعض الكلام في هذا المقام في الجواب عما ذكره ابن تيمية الذي قال:

«وما ذكره عن عمر رضي الله عنه فجوابه أن يقال:

أولاً: هب أن عمر قال قولاً خالفه فيه غيره من الصحابة والتابعين، حتى قال عمران بن حصين رضي الله عنه: تمتّعنا على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ونزل بها كتاب حتى قال فيها رجل برأيه ما شاء. أخرجاه في الصحيحين. فأهل السنّة متفقون على أن كلّ واحد من الناس يؤخذ بقوله ويترك إلا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وإن كان مقصوده الطعن على أهل السنّة مطلقاً، فهذا لا يرد عليهم،

وإن كان مقصوده أن عمر أخطأ في مسألة، فهم لا ينزهون عن الإقرار على الخطأ إلا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن أراد بالتمتع فسخ الحج إلى العمرة، فهذه مسألة نزاع بين الفقهاء... والصَّحابة كانوا متنازعين في هذا، فكثير منهم كان يأمر به، ونقل عن أبي ذر وطائفة أنهم منعوا عنه.. وإن قدحوا في عمر لكونه نهى عنها، فأبوذر كان أعظم نهياً عنها من عمر، وكان يقول: إن المتعة كانت خاصة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يتولون أبا ذر ويعظمونه. فإن كان الخطأ في هذه المسألة يوجب القدح فينبغي أن يقدحوا في أبي ذر، وإلا فكيف يقدح في عمر دونه وعمر أفضل وأفقه وأعلم منه» (١).

أقول:

هذا الكلام ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: من قوله: «هب» إلى «وإن أراد بالتمتع فسخ الحج». وفيه: أولاً: قوله: «هب أن عمر»... ظاهره التشكيك في أصل تحريم عمر متعة الحج،

(١) منهاج السنّة ١٨٤/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٤٨

وهذا ما سيصرّح به في الجواب الثاني، وستعرف كذبه.

وثانياً: قوله: «قال قولاً خالفه فيه من الصحابة والتابعين» فيه:

١- أنه لم يقل قولاً، بل حكم حكماً وتوعد من خالفه بالعقاب.

٢- أنه هو المخالف، لا أن غيره خالفه.

٣- وأنه المخالف لله وللرسول، لا لغيره من الصحابة والتابعين...

فليُنظر العاقل المنصف: أليس في هذا التعبير استهانة بالله والرسول، ومخالفة لنص الكتاب وعمل النبي الكريم صلى الله عليه وآله؟! وثالثاً: ما رواه عن عمران بن حصين الصحابي - الذي نصّ ابن القيم على أنه أعظم من عثمان (١) ونصّ الحافظان ابن عبد البر وابن حجر على أنه كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وذكرنا أنه كان يرى الحفظه وتكلمه وتسلم عليه (٢) - من الإنكار على عمر منع التمتع، يعدّ من الأخبار القطعية الثابتة، ولقد كان يؤكد إنكاره ولم يزل يكرّره حتى في مرض موته زمن معاوية، حيث كانت السنّة العمرية هي الجارية بين المسلمين.

فقد أخرج مسلم: «عن مطرف قال: بعث إلى عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: إني محدّثك بأحاديث لعلّ الله أن ينفعك بها بعدى، فإن عشت فاكتب عليّ، وإن متّ فحدّث بها إن شئت، إنه قد سلّم عليّ، واعلم أن نبي الله صلى الله عليه وآله قد جمع بين حج وعمرة، ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله صلى الله عليه وآله، فقال رجل برأيه فيها ما شاء» (٣).

قال الحافظ النووي بشرح أخبار إنكاره: «وهذه الروايات كلّها متفقّة على أن مراد عمران أن التمتع بالعمرة إلى الحج جائز، وكذلك القرآن، وفيه التصريح بالإنكار على

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ١/ ٢٠٨.

(٢) الإستهباب ٣/ ١٢٠٨، وأسد الغابة ٤/ ١٣٧.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٤٨، صحيح البخارى ٢/ ١٥٣، مسند أحمد ٤/ ٤٢٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٤٩

عمر بن الخطاب منع التمتع» (١).

وهذا التصريح بالإنكار مروى في الصحاح عن غير واحد من أعيان الصحابة:

منهم: أمير المؤمنين عليه السلام، أخرج مسلم عن عبد الله بن شقيق قال: «كان عثمان ينهى عن المتعة وكان على يأمر بها. فقال عثمان لعلی كلمة. ثم قال علی: لقد علمت - يا عثمان - إنا متعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عثمان: أجل» (٢). وعن سعيد بن المسيب قال: «اجتمع على وعثمان بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة والعمرة. فقال له علی: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا عنك. فقال علی: إني لا أستطيع أن أدعك» (٣). وفي صحيح البخاري وسنن النسائي والبيهقي ومسنند أحمد وغيرها - واللفظ للأول - عن مروان بن الحكم قال: «شهدت عثمان وعلياً وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما. فلما رأى علی أهل بهما: لييك بعمرة وحجة معاً. قال: ما كنت لأدع سنة النبي صلى الله عليه وآله لقول أحد» (٤). ومنهم: ابن عباس، فقد أخرج أحمد أنه قال: «تمتع النبي صلى الله عليه وآله فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عريّة!! قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون؛ أقول: قال النبي، ويقولون: نهى أبو بكر وعمر» (٥). ومنهم: سعد بن أبي وقاص، أخرج الترمذي عن محمد بن عبد الله بن نوفل أنه

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٨ / ٢٠٦.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٤٦، صحيح البخاري: باب جواز التمتع.

(٣) مسند أحمد ١ / ١٣٦.

(٤) صحيح البخاري ٢ / ١٥١، مسند أحمد ١ / ٩٥.

(٥) مسند أحمد ١ / ٣٣٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٥٠

سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس - وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج - «فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله تعالى. فقال سعد: بئسما قلت يا ابن أخي؟ فقال الضحاك: فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك. فقال سعد: قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وصنعناها معه. هذا حديث صحيح» (١). وكذا أخرجه النسائي (٢).

منهم: أبو موسى الأشعري، أخرج أحمد: «إنه كان يفتي بالمتعة. فقال له رجل:

رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في المتعة، حتى لقيه أبو موسى بعد فسأله عن ذلك. فقال عمر: قد علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قد فعله هو وأصحابه، ولكن كرهت أن يظنوا بهن معرسين في الأراك، ثم يروحون بالحج تقطر رؤوسهم» (٣).

ومنهم: جابر بن عبد الله، أخرج مسلم وغيره عن أبي نضرة قال: «كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها. قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله، فلما عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازل، فافصلوا حجكم من عمرتكم، وأبثوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة» (٤).

ومنهم: عبد الله بن عمر، أخرج الترمذي: «إن عبد الله بن عمر سئل عن متعة الحج. قال: هي حلال. فقال له السائل: إن أباك قد نهى عنها. فقال: أرايت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله، أأمر أبي نتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال

(١) سنن الترمذی ١٥٩ / ٢.

(٢) سنن النسائي ١٥٢ / ٥ - ١٥٣.

(٣) مسند أحمد ١ / ٥٠.

(٤) صحيح مسلم ٣٨ / ٤، السنن الكبرى ٢١ / ٥، مسند أحمد ١ / ٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٥١

الرجل: بل أمر رسول الله. قال: لقد صنعها رسول الله «١».

فظهر أنه لم يكن الذي كان من عمر «قولاً خالفه فيه غيره من الصحابة والتابعين» بل كان حكماً على خلاف القرآن والسنة النبوية، ولم يكن مجرد حكم بل هدد بالعقاب والضرب والزجم لمن فعله، مع اعترافه بأن ما أتى به برأيه مخالف لمحكم التنزيل وما أمر به الرسول وصنعه.

ثم إن عثمان ومعاوية مشيا على بدعته تلك، وزادا في التشدد على من لم يطع، حتى أصبح عمران بن حصين وأمثاله يكتمون السنة النبوية الشريفة خوفاً من السلطة الحاكمة.

ورابعاً: قوله: «فأهل السنة ... فهذا لا يرد عليهم» واضح البطلان، فأهل السنة متفقون على تعظيم أرباب البدع في الدين، والإقتداء بهم في الأصول والفروع، وتقديمتهم على الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأمر باتباعهم والتمسك بهم والاهتداء بهديهم، وهم العترة الطاهرة وأهل بيت النبوة عليهم السلام... فالطعن وارد على المبدعين وأتباعهم.

والقسم الثاني، وهو من قوله: «وإن أراد بالتمتع فسح الحج إلى العمرة» ... يشتمل على أمور كلها خارجة عن المقصود، إذ ليس (فسح الحج إلى العمرة) مراداً لا- لعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم الذين حرّموا متعة الحج، ولا- لأخيراً المؤمنين وغيره من عيون الصّحابة المدافعين عن السنة النبوية والدّاعين الناس إلى العمل بالكتاب والسنة ... وهذا واضح كلّ الوضوح من الروايات التي ذكرناها، فإن الموضوع فيها هو التمتع بالعمرة إلى الحج، مضافاً إلى قول الصحابة: «صنعها رسول الله» والنبى صلى الله عليه وآله لم يفسخ أبداً... هذا تمام الكلام على جوابه الأول.

(١) صحيح الترمذی ١٥٩ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٥٢

قال: «ويقال ثانياً: إن عمر رضى الله عنه لم يحرم متعة الحج، بل يثبت عنه أن الصبي بن معبد لما قال له: إني أحرممت بالحج والعمرة جميعاً، فقال له عمر: هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وآله. رواه النسائي وغيره. وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأمر بالمتعة، فيقولون له: إن أباك نهى عنها. فيقول: إن أبى لم يرد ما تقولون، فإذا ألحوا عليه أن أباك نهى عنها، قال: أمر رسول الله أحق أن تتبعوا أم عمر؟ وقد ثبت عن عمر أنه قال: لو حججت لتمتعت.

وإنما كان مراد عمر رضى الله عنه أن يأمر بما هو أفضل، وكان الناس لسهولة المتعة تركوا العمرة في غير أشهر الحج، فأراد أن لا يعرى البيت طول السنة، فإذا أفردوا الحج اعتمروا في سائر السنة، والإعتماد في غير أشهر الحج مع الحج في أشهر الحج أفضل من المتعة، باتفاق الفقهاء الأربعة وغيرهم.

ولذلك قال عمر وعلى رضى الله عنهما أن يسافر للحج سفراً وللعمره سفراً، وإلا فهما لم ينشئا الإحرام من دويره الأهل، ولا فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أحد من خلفائه.

والإمام إذا اختار لرعيته الأمر الفاضل، فالأمر بالشىء نهى عن ضده. فكان نهيه عن المتعة على وجه الاختيار لا على وجه التحريم.

وهو لم يقل: «أنا أحرمها».

وقد قيل: إنه نهى عن الفسخ، والفسخ حرام عند كثير من الفقهاء، وهو من مسائل الاجتهاد، فالفسخ يحرمه أبو حنيفة ومالك والشافعي، لكن أحمد وغيره من فقهاء الحديث لا. يحرمون الفسخ، بل يستحبونه، بل يوجبهم بعضهم، ولا يأخذون بقول عمر في المسألة، بل بقول علي وعمران بن حصين وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم^(١).

(١) منهاج السنّة ١٨٦/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٥٣
أقول:

وهذا الكلام يتلخص في مطلبين:

أحدهما: «أن عمر لم يحرم متعة الحج» وهو لم يقل أنا أحرمهما «وإنما كان مراد عمر أن يأمر بما هو أفضل» والإمام إذا اختار لرعيته الأمر الفاضل فالأمر بالشئ نهى عن ضده «فكان نهيه عن المتعة على وجه الاختيار لا على وجه التحريم». والثاني: «قيل إنه نهى عن الفسخ».

أما المطلب الثاني، فلا مورد له أصلاً كما تقدّم. وكأنه بنفسه ملتفت إلى سقوط هذا المطلب، لأنه ذكره تارة بعنوان «وإن أراد بالتمتع فسخ الحج إلى العمرة» وأخرى بعنوان «وقد قيل: إنه نهى عن الفسخ». وأما المطلب الأول فهو كذب محض:

أما أولاً: فلأنه قد ثبت عن عمر قوله: «وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما» أو «أضرب عليهما». وقد ذكرنا جماعة ممن رواه من الأعلام في كتبهم المعتبرة في العلوم المختلفة، وقد نصّ ابن القيم على ثبوت هذا القول من عمر. وفي (المحلى) رواه عن: أحمد بن محمد الطلمنكي بسنده عن أبي قلابه قال: قال عمر بن الخطاب...

و (الطلمنكي) هذا هو الذي اعتمد ابن تيمية على روايته قصّة ضبّة بن محصن مع أبي موسى الأشعري. وأما ثانياً: فللقوله فيما رواه جماعة ذكرنا بعضهم «إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازل، فافصلوا حجكم من عمرتكم، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلا رجتمه بالحجارة».

وأما ثالثاً: فللقول عبد الله بن عمر للشامي الذي سأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج: «هي حلال. فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها! فقال عبد الله بن عمر: أرايت إن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٥٤

كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله...»^(١).

وأما رابعاً: فللقول عمر: «والله إنى لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله، ولقد فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله، يعنى العمرة بالحج»^(٢).

هذا؛ ولا يعارض هذه الأخبار ما رواه عن النسائي عنه في قصّة الصبي بن معبد، لضعفه، ولا ما ذكره عن عمر من قوله: «لو حججت لتمتعت» إذ لم يعرف راويه، ولا ما نسبته إلى عبد الله من قوله: «إن أبي لم يرد ما تقولون» مع أنه تحريف للحديث الوارد عنه في الصحاح، وقد نقلناه آنفاً.

مضافاً إلى ما ذكره ابن كثير قال: «وكان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها: فيقول: خشيت أن يقع عليكم حجارة من السماء، قد فعلها رسول الله، أفسنته رسول الله تتبع أم سنّة عمر بن خطاب؟! «٣» ولو سلّمنا اعتبار هذه الأخبار الموضوعه قطعاً،

أمكن الجمع بينها وبين الأخبار المتواترة بحملها على صدورهما قبل صدر التحريم منه، فإن التمتع بالعمرة إلى الحج كان يفتى به ويعمل كما أمر الله ورسوله به، حتى فترة من توليه أمر الخلافة، ثم حرّمه من بعد، يشهد به ما جاء عن أبي موسى الأشعري: أنه كان يفتى بالتمتع على عهد عمر.

فقال له رجل: رويدك، فإنك لا تدري ما أحدث عمر...

نعم، لقد (أحدث) عمر.. وما أكثر ما أحدثوا! ولذا قال صلى الله عليه وآله: «إنه ليزاد من الحوض رجال من أصحابي ... فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك» (٤).

(١) صحيح الترمذى ١٥٩ / ٢.

(٢) صحيح النسائي ١٥٣ / ٥.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٥٩ / ٥.

(٤) صحيح البخارى ١٩١ / ٥ و ٢٤٠ / ٧ و ١٩٥ / ٧ و ٢٠٦ و ٢٠٧ / ٨ و ٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٥٥

وبالجملة.. فإن الرجل نهى عن المتعة هذه نهى تحريم، وإنكار ذلك من أى كان كذب.. وحينئذ، يسقط ما زعمه من أن مراد عمر كان كذا وكذا.. بل إن عمر قد ذكر بنفسه السبب الذى دعاه إلى النهى، حيث قال لأبى موسى، بعد اعترافه بالمخالفة لله والرسول: «كرهت أن يظّلوا بهنّ معرّسين فى الأراك ثم يروحون بالحج تقطر رؤوسهم».

ولقائل أن يقول: إن هذا الذى تدرّج به عمر هو ظاهر القضية، وأما فى الحقيقة، فإنه قد أراد إحياء سنّة الجاهليّة؛ فإنهم (كانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور فى الأرض) كما فى كتاب الحج من صحيح البخارى وصحيح مسلم. وفى سنن البيهقى عن ابن عباس: «والله ما أعر رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة فى ذى الحجة إلا- ليقطع بذلك أمر أهل الشرك» (١).

ولذا صحّ عنه صلى الله عليه وآله: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معى الهدى لأحللت. فقام سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله هى لنا أو للأبد؟ لا بل للأبد» أخرجه أرباب الصحاح كلّهم، وعقد له البخارى فى صحيحه باباً. هذا تمام الكلام فى متعة الحج بقدر الضرورة.

وأما متعة النساء، فقد قال ابن تيمية ما نصّه:

«وأما متعة النساء المتنازع فيها، فليس فى الآية نص صريح بحلّها، فإنه تعالى قال: «وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَتَيْنِ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَمَنْ لَمْ يَشْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ». فقوله: «فَمَا

(١) سنن البيهقى ٣٤٥ / ٤.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٥٦

اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» يشمل كلّ من دخل بها، أما من لم يدخل بها فإنها لا تستحق إلا نصف المهر...

فإن قيل: فى قراءة طائفة من السلف: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى.

قيل:

أولاً: ليست هذه القراءة متواترة، وغايتها أن تكون كأخبار الآحاد، ونحن لا ننكر أن المتعة أحلت فى أوّل الإسلام، لكن الكلام فى

دلالة القرآن عليها.

الثاني: أن يقال: إن كان هذا الحرف نزل، فلا ريب أنه ليس ثابتاً من القراءة المشهورة، فيكون منسوخاً، ويكون لما كانت المتعة مباحة، فلما حرمت نسخ هذا الحرف، أو يكون الأمر بالإيتاء في الوقت تنبيهاً على الإيتاء في النكاح المطلق. وغاية ما يقال: إنهما قراءتان وكلاهما حق، والأمر بالإيتاء في الاستمتاع إلى أجل واجب إذا كان ذلك حلالاً، وإنما يكون ذلك إذا كان الاستمتاع إلى أجل مسمى حلالاً. وهذا كان في أول الإسلام، فليس في الآية ما يدل على أن الاستمتاع بها إلى أجل مسمى حلال، فإنه لم يقل: وأحل لكم أن تستمتعوا بهنَّ إلى أجل مسمى. بل قال: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» فهذا يتناول ما وقع من الاستمتاع سواء كان حلالاً أم وطئ شبهة، ولهذا يجب المهر في النكاح الفاسد بالسنة والاتفاق، والمتمتع إذا اعتقد حل المتعة وفعلها فعليه المهر، وأما الاستمتاع المحرم فلم تتناوله الآية، فإنه لو استمتع بالمرأة من غير عقد مع مطاوعتها لكان زنا ولا مهر فيه، وإن كانت مستكرهة، ففيه نزاع مشهور.

وأما ما ذكره من نهى عمر عن متعة النساء، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه حرّم متعة النساء بعد الإحلال. هكذا رواه الثقات في الصحيحين وغيرهما عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية، عن أبيهما محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنه لما أباح المتعة: إنك

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٥٧

امرؤ تائه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله حرّم المتعة ولحوم الحمر الأهلية عام خبير. رواه عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة وأحفظهم لها أئمة الإسلام في زمنهم، مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما، ممن اتفق على علمهم وعدلهم وحفظهم، ولم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح يتلقّى بالقبول، ليس في أهل العلم من طعن فيه.

وكذلك ثبت في الصحيح أنه حرّمها في غزاة الفتح إلى يوم القيامة...

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي.

فأهل السنة يتبعون عمر وعلياً رضي الله عنهما وغيرهما من الخلفاء الراشدين، فيما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والشيعه خالفوا علياً فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله واتباعوا قول من خالفه.

وأيضاً: فإن الله تعالى إنما أباح في كتابه الزوجه وملك اليمين، والمتمتع بها ليست واحدة منهما، فإنها لو كانت زوجه لتوارثا، ولوجب عليها عده الوفاة، ولحقها الطلاق الثلاث. فإن هذه أحكام الزوجه في كتاب الله تعالى، فلما انتفى عنها لوازم النكاح دل على انتفاء النكاح، لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم.. فتكون حراماً بنص القرآن.. «١».

أقول:

ويتلخص كلام ابن تيمية هنا في نقاط:

١- الآية الكريمة لا تدل على حلّة نكاح المتعة.

٢- النبي صلى الله عليه وآله حرّم المتعة بعد الإحلال.

(١) منهاج السنة ٣/ ١٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٥٨

٣- أن الله أباح الزوجه وملك اليمين وحرّم ما عداهما، والمتمتع بها ليست بزوجه، لانتفاء لوازم النكاح فيها. فالمتعة حرام. ولا بد من توضيح الحال، وذكر دلائل الصّدق في كلام العلامة في فصول:

الفصل الأول:

حقيقته هذا النكاح هي: أن تزوج المرأة الحرة الكاملة نفسها من الرجل المسلم، بمهر مسمى إلى أجل مسمى فيقبل الرجل ذلك، ويعبر عنه بالنكاح المؤقت، ويعتبر فيه جميع ما يعتبر في النكاح الدائم، من كون العقد جامعاً لجميع شرائط الصحة، وعدم وجود المانع من نسب أو سبب وغيرهما، ويجوز فيه الوكالة كما تجوز في الدائم، ويلحق الولد بالأب كما يلحق به فيه، وتترتب عليه سائر الآثار المترتبة على النكاح الدائم، من الحرمة والمحرمية والعدّة ... إلا أن الافتراق بينهما يكون لا بالطلاق بل بانقضاء المدّة أو هبتها من قبل الزوج، وأن العدّة إن لم تكن في سنّ اليأس الشرعي قرآن إن كانت تحيض وإلا - فخمسة وأربعون يوماً، وأنه لا توارث بينهما، ولا نفقة لها عليه. وهذه أحكام دلّت عليها الأدلة الخاصة، ولا تقتضي أن تكون متعة النساء شيئاً في مقابل النكاح مثل ملك اليمين. هذه حقيقة متعة النساء.

ولا خلاف بين المسلمين في أن (المتعة نكاح)، نصّ على ذلك القرطبي وذكر طائفة من أحكامها حيث قال: «لم يختلف العلماء من السلف والخلف أن (المتعة نكاح إلى أجل) لا ميراث فيه، والفرقة تقع عند انقضاء الأجل من غير طلاق». ثم نقل عن ابن عطية كيفية هذا النكاح وأحكامه (١).

وكذا الطبري في تفسير الآية، حيث نقل عن السدي: «هذه هي المتعة، الرجل

(١) تفسير القرطبي ١٣٢ / ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٥٩

ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى» «... ١».

وبالجملة، فإنه لا خلاف بين المسلمين في أن هذا الفعل نكاح، وأنه مشروع بالضرورة من دين الإسلام ... وهذا أمر لا ينكره ابن تيمية.

الفصل الثاني:

إنه يدلّ على مشروعيته هذا النكاح قبل الإجماع: الكتاب والسنة.

أمّا الكتاب، فقد ورد في خصوص هذا النكاح قوله تعالى: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً» (٢).

. وقد قال جماعة من كبار الصحابة والتابعين المرجوع إليهم في قراءة القرآن وأحكامه، بنزول هذه الآية في المتعة ودلالتها عليها، حتى أنهم كانوا يقرأون الآية: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ.. وكتبوها كذلك في مصاحفهم ... فتكون نصّاً في المتعة. ومن هؤلاء: عبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، والسدي، وقتادة...

فراجع: الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والكشاف، والدر المنثور ... بتفسير الآية المباركة ... وراجع أيضاً: أحكام القرآن للجصاص، وسنن البيهقي، وشرح صحيح مسلم بن الحجاج، والمغني لابن قدامة (٣). بل ذكروا عن ابن عباس أنه قال: «والله لأنزلها الله كذلك. ثلاث مرات». وعنه وعن أبي التصريح بأنها غير منسوخة...

بل نصّ القرطبي على أن دلالتها على نكاح المتعة هو قول الجمهور، وهذه

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٥.

(٢) سورة النساء: ٢٤.

(٣) احكام القرآن ٢/ ١٨٥، سنن البيهقي ٧/ ٢٠٥، شرح صحيح مسلم ٩/ ١٧٩، المغني ٧/ ٥٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦٠

عبارته: «وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام».

لكن ابن تيمية أبهم الكلام لغرض التغطية على الواقع فقال:

«فإن قيل: ففي قراءة طائفة من السلف، فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى».

لكن ليس قراءة طائفة منهم فحسب، بل إنها قراءة الأئمة المرجوع إليهم في القرآن، فإنهم قرأوا وفَسَّروا الآية كذلك، وقال الجمهور-

لا طائفة من السلف فقط - بأن «المراد نكاح المتعة» فسقط قوله: «لكن الكلام في دلالة القرآن على ذلك».

على أن ابن عباس وائياً وغيرهما نصّوا على أن الآية غير منسوخة، وبقوا على حلّية المتعة حتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وحتى زمن معاوية، فسقط قوله:

«فيكون منسوخاً ويكون لما كانت المتعة مباحة، فلما حرّمت نسخ هذا الحرف».

فظهر سقوط دعواه أن الآية الكريمة لا تدلّ على حلّية نكاح المتعة.

الفصل الثالث:

إنه يدلّ من السنّة على مشروعيت هذا النكاح: الأحاديث الكثيرة المستفيضة المخرّجة في الصحاح وغيرها، ونحن نكتفي بإيراد واحد منها، أخرجه الشيخان وأحمد وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل. ثم قرأ عبد الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» (١)».

ولا يخفى ما يقصده ابن مسعود من قراءة الآية بعد نقله الحديث، فإنه كان من المنكرين للتحريم ومن القائلين بحلّية المتعة.

(١) صحيح البخاري: ٥/ ١٨٩ و ٦/ ١١٩، صحيح مسلم: ٤/ ١٣٠، مسند أحمد ١/ ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦١

الفصل الرابع:

إنه قد ثبت نهى عمر عن نكاح المتعة، فقد ثبت عنه أنه قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء».

وعن عطاء عن جابر بن عبد الله: «استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبى بكر وعمر، حتى إذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بامرأة - سماها جابر فنسيتها - فحملت المرأة، فبلغ ذلك عمر فدعاها فسألها فقالت: نعم. قال:

من أشهد؟ قال عطاء: لا أدري قالت: أمي أم وليها. قال: فهلّا غيرها. فذلك حين نهى عنها» (١)».

ومثله أخبار أخرى، وقد جاء فيها التهديد بالرجم (٢)».

فظهر أولاً: أن عمر بن الخطاب هو أول من نهى عن المتعة وذلك في آخر أيامه، فلا النبي صلى الله عليه وآله نهى عنها، ولا أبو بكر، ولا- عمر ... حتى أواخر أيامه. وفي خبر: أن رجلاً قدم من الشام، ومكث مع امرأة ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه خرج، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فأرسل إليه فقال: «ما حملك على الذي فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله ثم لم ينهانا عنه حتى قبضه الله، ثم مع أبي بكر فلم ينهانا حتى قبضه الله، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً. فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدّمت في نهى لرجمتك»

«٣».

وثانياً: إنه في جميع الأخبار ينسبون النهي إلى عمر، فيقولون: «نهي عنها عمر» و «قال رجل برأيه ما شاء»، ولا يوجد في شيء من الأخبار نسبة النهي إلى رسول الله

(١) المصنف ٧/ ٤٩٧، صحيح مسلم ٤/ ١٣١، مسند أحمد ٣/ ٣٠٤، سنن البيهقي ٧/ ٢٣٧، فتح الباري.

(٢) المصنف ٧/ ٥٠٣ الموطأ، سنن البيهقي ٥/ ٢١ و ٧/ ٢٠٦، الدر المنثور ٢/ ١٤١، كنز العمال ١٦/ ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢٢.

(٣) كنز العمال ١٦/ ٥٢٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦٢

صلى الله عليه وآله، ولا أبى بكر. ولو كان ثمة نهى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لما كان لنسبة النهي وما ترتب عليه من الآثار الفاسدة إلى عمر وجه أصلاً.

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقى» (١).

وعن ابن عباس: «ما كانت المتعة إلا رحمة من الله تعالى رحم بها عباده، ولولا نهى عمر عنها ما زنى إلا شقى» (٢).

ولهذا جعلوا تحريم المتعة من أولياته (٣).

بل إن عمر نفسه يقول: «متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهما» فلا- يخبر عن نهى لرسول الله، وإنما ينسب النهي إلى نفسه ويتوعد بالعقاب.

بل إنه لم يكذب الرجل الشامي لما أجابه بما سمعت، بل لما قال له: «ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً» اعترف بعدم النهي مطلقاً حتى تلك الساعة.

ولا يخفى ما تدل عليه كلمته (تحدث)!

وثالثاً: إن السبب في نهى عمر قضيه عمرو بن حريث أو قضيه أخرى تشبهها..

فلعله أيضاً لم ينه عنها لولا وقوع تلك القضية ونحوها..

ورابعاً: إنه وإن تابع عمر في تحريمه بعض السلف كعبد الله بن الزبير، لكن ثبت على القول بحلّية المتعة تبعاً للقرآن والسنة، أعلام الصحابة، وعلى رأسهم أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

قال ابن حزم: «وقد ثبت على تحليلها بعد رسول الله جماعة من السلف. منهم من الصحابة: أسماء بنت أبى بكر، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وابن عباس،

(١) الطبري، النيسابوري، الرازي، الدر المنثور، بتفسير الآية المباركة.

(٢) تفسير القرطبي ٥/ ١٣٠.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٣٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦٣

ومعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن حريث، وأبو سعيد الخدرى، وسلمة ومعبد ابنا أمية بن خلف. ورواه جابر عن جميع الصحابة مذهب رسول الله ومذهب أبى بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر».

قال: «ومن التابعين: طاووس وعطاء وسعيد بن جبير وسائر فقهاء مكة أعزها الله..» (١).

هذه عبارة ابن حزم الذى طالما اعتمد عليه ابن تيمية فى كتابه. ولم يذكر ابن حزم عمران بن الحصين وبعض الصحابة، وذكر ذلك القرطبي وأضاف عن ابن عبد البر قوله: «أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمن كلهم يرون المتعة حلالاً على مذهب ابن عباس» (٢).

ومن أشهر فقهاء مكة القائمين بالحلية: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي المتوفى سنة ١٤٩، وهو من كبار الفقهاء وأعلام التابعين وثقاة المحدثين ومن رجال الصحيحين، فقد ذكروا أنه تزوج نحواً من تسعين امرأة بنكاح المتعة. وذكر ابن خلكان: أن المأمون أمر أيام خلافته بأن ينادى بحلّة المتعة. قال: فدخل عليه محمد بن منصور وأبو العيّن فوجداه يستاك ويقول وهو متغيّظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما. قال: ومن أنت يا جُعَل حتى تنهى عمّا فعله رسول الله وأبو بكر. فأراد محمد بن منصور أن يكلمه، فأوماً إليه أبو العيّن وقال: رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول، نكلمه نحن؟ ودخل عليه يحيى بن أكثم فخلاً به وخوفه من الفتنة، ولم يزل به حتى صرف رأيه «٣».

فظهر بذلك سقوط دعوى أن النبي صلى الله عليه وآله حرّم المتعة بعد الإحلال.

(١) المحلّى ٥١٩/٩ - ٥٢٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٣٣/٥.

(٣) وفيات الأعيان ١٤٩/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٦٤

الفصل الخامس:

إنه لا يبقى ريب لدى العاقل المنصف، بعد الوقوف على ما ذكرنا، في أن ما روه عن الزهري عن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما... موضوع مختلف... لكنه لما كان مخزّجاً في الصحيحين وغيرهما، فلا بدّ من زيادة توضيح بالبحث في جهات: أولاً: بالنظر إلى الأدلة المتقدمة:

فبالنظر إلى ما ذكرنا في الفصول السابقة يظهر بطلان هذا الحديث وذلك:

١- لأن أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت كانوا على حلّة المتعة، وقد تبعهم شيعتهم على القول بذلك حتى اليوم.
٢- لأن ابن عباس رضى الله عنه كان على القول بحلّة المتعة حتى آخر أيامه، وهذا أمر ثابت، وبه صرّحت الروايات - ومن روايته الزهري أيضاً:-

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة عن عروة بن الزبير: «أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن أناساً - أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم - يفتنون بالمتعة، يعرض برجل، فناداه فقال: إنك لجلّف جاف. فلعمري، لقد كانت المتعة تفعل في عهد إمام المتقين - يريد رسول الله صلى الله عليه وآله - فقال له ابن الزبير: فجرب بنفسك، والله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك.

قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله: أنه بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها. فقال له أبو عمرة الأنصاري: مهلاً. قال: ما هي؟ والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين» «١».

وابن عباس هو الرجل المعروض به، وكان قد كُفّ بصره، فلذا قال ابن الزبير:

أعمى أبصارهم!

(١) صحيح مسلم ١٣٣/٤ - ١٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٦٥

وأخرج مسلم في الباب المذكور وأحمد وغيرهما حديث أبي نضرة قال: «كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعين. فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ثم نهانا عمر» «١...».

وهذا إنما كان في زمن حكومة ابن الزبير بمكة، أى بعد حوالى عشرين سنة من وفاة أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ثبت أن ابن عباس كان مستمرّ القول على جوازها وتبعه فقهاء مكة كما عرفت، ولا يجوز نسبة القول بما يخالف الله والرسول وأمير المؤمنين إلى ابن عباس، لو كان النبی حرم والإمام أبلغه حقاً؟

٣- لأن عمر بن الخطاب نفسه معترف بأنه هو الذى حرم ما كان حلالاً على عهد النبی صلی الله عليه وآله، والصحابه كلهم بقوا على الحلّية، وقد نسبوا كلهم التحريم إلى عمر. أقول:

وبهذه الوجوه يسقط أيضاً كلّ ما رُووه في هذا الباب من التحريم في عهد الرسول صلی الله عليه وآله، كالحديث في أنه حرمها في غزاة فتح مكة، وكالحديث في تحريمه في قصه أخرى غير خيبر والفتح. فإن هذه الأحاديث - بغض النظر عما في أسانيدھا واحداً واحداً. فمثلاً الحديث الذى دلّ على التحريم في فتح مكة، والذى استند إليه ابن تيمية وقال: «وكذلك ثبت في الصحيح أنه حرمها في غزاة الفتح إلى يوم القيامة» غير صحيح سنداً، كما سيأتى عن تلميذه ابن القيم، وكذلك الحديث في تحريمه في تبوك كما سيأتى عن ابن حجر - باطله بالوجوه المذكورة، فإنها تقتضى أن لا يكون تحريم، لا في عهد النبی ولا في عهد أبى بكر ولا في عهد عمر حتى أخريات أيامه.

(١) صحيح مسلم ٥٩ / ٤، مسند أحمد ٣ / ٣٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦٦

وباطلة أيضاً بالتعارض الموجود فيما بينها، حتى اضطرب القوم - الذين يرون صحّتها - في كيفية جمعها وتضاربت كلماتهم، فاضطروا إلى القول بأن المتعة أحلت ثم حرّمت ثم أحلت ثم حرّمت... فعنون مسلم «باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ واستقرّ حكمه إلى يوم القيامة» لكن الأخبار لم تنته بذلك، بل جاءت بالتحليل والتحريم حتى سبعة مواطن كما زعم القرطبي «١». وهذا ما دعا ابن القيم - تلميذ ابن تيمية - إلى أن يقول: «وهذا النسخ لا عهد بمثله في الشريعة ألّبتّه، ولا يقع مثله فيها» «٢». كما أن خصوص خبر الزهرى عن ابنى محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام في التحريم، مروى عندهم بنفس هذا السند، وفي بعضها أن التحريم كان في خيبر، وفي آخر كان في فتح مكة، وفي ثالث في حجة الوداع... وسترى. وثانياً: بالنظر إلى متنه. فيظهر كذبه أيضاً، وذلك:

١- لأنه قال: «إنك امرؤ تائه! إن رسول الله نهى عنها يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية».

وقد قال ابن حجر بشرحه عن السَّهيلي: «ويتصل بهذا الحديث تنبيه على إشكال، لأن فيه النهى عن نكاح المتعة يوم خيبر. وهذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الأثر» «٣».

وقال العيني في شرحه: «قال ابن عبد البر: وذكر النهى عن المتعة يوم خيبر غلط» «٤».

(١)

تفسير القرطبي ٥ / ١٣١.

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢ / ١٨٤.

(٣) فتح الباري ٩ / ١٣٨.

(٤) عمدة القارى ١٧ / ٢٤٦ - ٢٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦٧

وقال القسطلاني بشرحه: «وقال البيهقي: لا يعرفه أحد من أهل السير» (١).

وسياتى ما قال ابن القيم تلميذ ابن تيمية في هذه المسألة.

وبهذا يسقط عن الاعتبار كل حديث اشتمل على تحريم المتعة في خير، كهذا الذي اتفقوا على روايته.

وكذا ما أخرجه مسلم في باب نكاح المتعة، وأحمد في مسنده بسند فيه الزهري أيضاً، عن سبرة قال: «نهى رسول الله عن متعة النساء يوم خير» (٢).

وما أخرجه البخاري في كتاب النكاح بسنده عن الزهري أيضاً: «حدثنا مالك بن إسماعيل قال: حدثنا ابن عيينة أنه سمع الزهري يقول: أخبرني الحسن بن محمد بن علي وأخوه عبد الله عن أبيهما أن علياً قال لابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خير» (٣).

وما في الترمذي (٤) وفي النسائي لكن مع إبهام ابن عباس!! فقال: «عن أبيهما أن علياً بلغه أن رجلاً لا يرى بالمتعة بأساً، فقال: إنك تائه، إنه نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله عنها وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خير» (٥).

وما في المسند عن الزهري عنهما قال: وكان حسن أرضاهما في أنفسنا: «إن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خير» (٦).

(١) إرشاد الساري ٥٣٦/٦ و ٤١/٨.

(٢) صحيح مسلم ١٣٤/٤.

(٣) صحيح البخاري ١٢٩/٦.

(٤) سنن الترمذي ١٦٣/٣.

(٥) سنن النسائي ١٢٥/٦ - ١٢٦.

(٦) مسند أحمد ٧٩/١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٦٨

وما أخرجه مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن عن أبيهما محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: «نادى منادى رسول الله يوم خير: ألا إن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ينهاكم عن المتعة» (١).

وكذا غيرها مما أخرجه في صحاحهم ومسانيدهم..

وكل هذا باطل بالإجماع كما عرفت.

وقال ابن القيم تلميذ ابن تيمية: «وقصة خير لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات، ولا استأذنوا في ذلك رسول الله، ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر ألبتة، لا فعلاً ولا تحريماً» (٢).

وبما ذكرنا يظهر أن قول ابن تيمية: «وقد تنازع رواة حديث علي.. لا يحل مشكلتهم، لأنها محاولة فاشلة. قال ابن كثير: «وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي، بأنه وقع فيه تقديم وتأخير... وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا أبي الحجاج المزني. ومع هذا، ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحتها» (٣).

وأيضاً: فقول ابن تيمية: «وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن ذلك لما بلغه حديث النهي» مردود بأنه حديث مكذوب عليه، وقد نصّ ابن كثير أيضاً على أنه ما رجع.

وقال ابن حجر عن ابن بطال: «وروى عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة» (٤).

كما وضعوا عن جابر أيضاً حديثاً في تحريم النبي صلى الله عليه وآله المتعة في غزوة تبوك. وقد نصّ ابن حجر على أنه «لا يصح،

فإنه من طريق عباد بن كثير،

(١) الموطأ ٢/ ٧٤ بشرح السيوطي.

(٢) زاد المعاد ٢/ ١٨٤.

(٣) تاريخ ابن كثير ٤/ ٢٢٠.

(٤) فتح الباري ٩/ ١٣٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٦٩
وهو متروك «١».

٢- لأنه معارض بما أخرجه الشيخان عن الحسن بن محمد عن سلمة وجابر:

ففي صحيح مسلم: «عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن سلمة بن الأكوع وجابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتانا فأذن لنا في المتعة» (٢).

وفى صحيح البخاري عن عمرو بن الحسن بن محمد، عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع، قال: «كنا في جيش، فأتانا رسول رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أذن لكم أن تستمتعوا» (٣).

وهل يعقل أن يروى الرجل عن هذين الصحابين حكم تحليل عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يروى عنهما أولم يخبراه النسخ بالتحريم لو كان؟!

٣- لأنه معارض بما رواه الزهري عن عبد الله أنه نهى عنها في تبوك، فقد جاء في المنهاج: «وذكر غير مسلم عن علي: أن النبي نهى عنها في غزوة تبوك من رواية إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن عبد الله بن محمد بن علي، عن أبيه عن علي». قال نقلًا عن القاضي عياض: «ولم يتابعه أحد على هذا. وهو غلط منه» (٤).

أقول: فهذا غلط. وما رواه من النهي عنها في خيبر غلط كذلك.

٤- ولأنه معارض بما رواه الطبراني: «عن محمد بن الحنفية: قال تكلم علي وابن عباس في متعة النساء، فقال له علي: إنك رجل تائه، إن رسول الله نهى عن متعة النساء في حجة الوداع» (٥).

(١) فتح الباري ٩/ ١٣٩.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٣٠ - ١٣١.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ١٢٩.

(٤) المنهاج في شرح صحيح مسلم ٩/ ١٨٠.

(٥) المعجم الأوسط ٥/ ٣٤٥، مجمع الزوائد ٤/ ٢٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٧٠

ورواه الهيثمي عن الطبراني في الأوسط وقال: «رجاله رجال الصحيح» لكن تعقبه بقوله: «قلت: في الصحيح: النهي عنها يوم خيبر» (١).

٥- لأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول بمتعة الحج قطعاً كما عرفت بالتفصيل، لكنهم وضعوا عن عبد الله والحسن ابني محمد خلاف ذلك، ففي سنن البيهقي بسنده: «عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يا بني أفرد بالحج فإنه أفضل» (٢).

فكما هذا كذب، كذلك حديث الزهري عنهما هنا كذب! وكما أن ما وضعوه عن ابن مسعود وجابر - المستمزين في القول بالجواز

حتى بعد زمان عمر - كذب كما عرفت، كذلك حديث الزهري.

وثالثاً: بالنظر إلى سنده. وهو بالنظر إلى سنده أيضاً كذب وباطل، وذلك:

١- لأن مداره على (الزهري) وقد عرفت سابقاً القدح والطعن فيه بما يوجب الإعراض عما يرويه، ولا سيما فيما يخص علياً عليه السلام وبنيه.. فلا نعيد.

٢- ولأن مدار حديث (الزهري) على (عبد الله) و (الحسن) ابني محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى عليه.

أما (عبد الله)، فقد ذكروا أنه (كان شيعياً يجمع أحاديث السبائية).

وأما (الحسن)، (فكان مرجئاً). أنظر ترجمتهما في (تهذيب التهذيب) (٣) وغيره.

فكيف يستدلّ الرجل بحديث يرويه مرجئ، وقد نسبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية» (٤).

(١) مجمع الزوائد ٤/ ٢٦٥.

(٢) سنن البيهقي ٥/ ٥.

(٣) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٦ و ٦/ ١٥.

(٤) صحيح الترمذي ٤/ ٣٠٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٧١

وآخر شيعي، وهم ما زالوا يطرحون أحاديث الرجل إذا رمى بالتشيع؟

فإن قلت: لعله يستند إلى هذا الحديث ليكون أبلغ في الحجة على الإمامية؟

قلت: كيف، والراوى عنهما من أبغض الناس وأشدّهم انحرافاً عن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله؟

الفصل السادس:

إنه لا يبقى ريب لدى العاقل المنصف بعد الوقوف على ما ذكرنا، في بطلان القول بأن: «المتمتع بها ليست بزوجة، لانتفاء لوازم النكاح فيها فالمتعة حرام».

لأن المتعة (نكاح) قد ورد به الكتاب والسنة، وعمل به الأصحاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعهد أبي بكر وعهد عمر، حتى حرّمه عمر في أخريات أيامه (لرأى رآه) في قصة (عمرو بن حريث الصحابي) أو غيره...

وأنت تجد التعبير عن ذلك بالنكاح والتزوّج، وعن المستمتع بها بأنها (زوجة) في الأحاديث.. إلا أنه موقت، ويختلف عن الدائم في بعض الأحكام على اختلاف في بعضها، كالتوارث - مثلاً - حيث ذهب بعض الإمامية إلى ثبوته، كما لا يخفى على من راجع كتبهم في الفقه، مع مجامعته له في أكثرها، ومن الواضح أن الأحكام قد تختلف بحسب الأدلة، وليست هي بلوازم حتى لا تقبل التخلف..

قال الزمخشري: «فإن قلت: هل فيه دليل على تحريم المتعة؟ قلت: لا، لأن المنكوحة بنكاح المتعة من جملة الأزواج إذ صح النكاح» (١).

وقال ابن عبد البر: «أجمعوا على أن المتعة نكاح لا إظهار فيه، وأنه نكاح إلى أجل يقع فيه الفرقة بلا طلاق، ولا ميراث بينهما» (٢).

(١) الكشف في تفسير القرآن ٣/ ٢٦ - ٢٧.

(٢) تفسير القرطبي ٥/ ١٣٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٧٢

وهناك كلمات تقدّمت.

وهذا ما لا ريب فيه لأحد، ولذا لم نجد الاستدلال بانتفاء بعض الأحكام، في كلمات عمر ولا غيره ممن تابعه في النهي والتحريم.. وإنما حاول أتباعه فيما بعد أن يدافعوا عن عمر، فقال أكثرهم: بأن التحريم كان من النبي صَلَّى الله عليه وآله لا من عمر.. وقد عرفت بطلان هذه الدعوى وأنه ليس لها جدوى..

وكأنّ بعضهم قد التفت إلى بطلان ذلك، فاعترف بأن عمر هو المحرّم، لكن الواجب متابعتة!!

قال ابن القيم: «فإن قيل: فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث. وفيما ثبت عن عمر أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أنا أنهى عنهما: متعة النساء ومتعة الحج؟ قيل: الناس في هذا طائفتان:

طائفة تقول: إن عمر هو الذي حرّمها ونهى عنها، وقد أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأتباع ما سنّه الخلفاء الراشدون، ولم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جدّه، وقد تكلم فيه ابن معين، ولم ير البخاري إخراج حديثه في صحيحه مع شدة الحاجة إليه وكونه أصلاً من أصول الإسلام، ولو صح عنده لم يصبر عن إخراجها والاحتجاج به.

قالوا: ولو صح حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود، حتى يروى أنهم فعلوها ويحتج بالآية.

قالوا: وأيضاً، فلو صحّ لم يقل عمر: إنها كانت على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأنا أنهى عنها وأعاقب عليها، بل كان يقول: إنه صَلَّى الله عليه وآله حرّمها ونهى عنها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٧٣

قالوا: ولو صح لم تفعل على عهد الصديق وعهده عهد خلافة النبوة حقاً.

والطائفة الثانية: رأت صحة حديث سبرة، ولو لم يصح فقد صحّ حديث علي: إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حرّم متعة النساء. ووجب حمل حديث جابر على أن الذي أخبر منه بفعلها لم يبلغه التحريم، ولم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر، فلمّا وقع فيها النزاع ظهر تحريمها واشتهر. وبهذا تألف الأحاديث الواردة فيها. وبالله التوفيق» (١).

قلت:

بما ذكرنا من الوجوه الكثيرة على بطلان حديث الزهري عن علي عليه السلام وبما ذكره هو من الوجوه لقول الطائفة الأولى، ووضوح بطلان حمل حديث جابر على ما ذكره، وكيف يصدق هذا الحمل؟ وقد كان من أحاديثهم في الباب أنه نادى منادى رسول الله في خيبر بالتحريم؟ يظهر أن الحق مع الطائفة الأولى.. لكن من الواضح أنه يصعب عليهم الاعتراف بأن تحريم عمر بدعة في الدين، فاضطروا إلى التمسك بالحديث الباطل المفترى «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى» هذا الحديث الذي ظهر كذبه حتى أفصح بعض حفاظهم - كالحافظ ابن القطان - عن ذلك ونصّ على بطلانه.

وكأنّ آخرين لا يجدون بداً من الاعتراف بثبوت التحريم عن عمر، فادّعوا أن تحريمه كان مستنداً إلى ثبوت النسخ عنده عن النبي صَلَّى الله عليه وآله.

قال الرازي بعد نقل قول عمر: «متعتان كانتا..». «فلم يبق إلا أن يقال: كان مراده أن المتعة كانت مباحة في زمن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وأنا أنهى عنها، لما ثبت عندي أنه صَلَّى الله عليه وآله نسخه» (٢).

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) تفسير الرازي ٣/ ٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٧٤

وقال النووي: «محمول على أن الذي استمتع في عهد أبي بكر وعمر لم يبلغه النسخ» (١).

لكن لم يبينوا كيف ثبت النسخ عند عمر فقط، ولم يثبت عند علي عليه السلام وأبي بكر وابن عباس وابن مسعود وجابر.. وجمهور الصحابة..؟

وهلما أخبر عن هذا الناسخ الثابت عنده! حين قال له ناصحه وهو عمران بن سواده: «عابت أمتك منك أربعاً... قال: ذكروا أنك حرمت متعة النساء، وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضه ونفارق عن ثلاثه. قال: إن رسول الله أحلها في زمان ضرورة، ثم رجع الناس إلى سعة» (٢...).

ولعلّ منهم من يجيب عن تحريمه متعة النساء بما أجاب ابن حجر عن تحريمه متعة الحج من «أنه منع منه سداً للذريعة» (٣). لكنه في الحقيقة التزم بالإشكال واعترف بالضلال!

مسألة فذك ... ص: ٧٤

إشارة

قال قدس سره: ومنع أبو بكر فاطمة عليها السلام إرثها فقالت له: «يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي!» والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها وكان هو الغريم لها لأن الصدقة تحلّ له: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، على ما رواه عنه!

والقرآن يخالف ذلك، لأن الله تعالى قال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» (٤)

,

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٨٣/٩.

(٢) تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣، ٣/٢٩٠.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٣/٣٣٢.

(٤) سورة النساء: ١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٧٥

ولم يجعل الله تعالى ذلك خاصاً بالأمة دونه صلى الله عليه وآله.

وكذب روايتهم فقال تعالى: «وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» (١)

. وقال تعالى عن زكريّا: «وَأَنى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائى وَكَانَتِ امْرَأَتى عَاقِراً فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِئُنى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَغُوبَ» (٢).

ولما ذكرت فاطمة عليها السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها فذكاً قال لها: هات أسود أو أحمر يشهد لك بذلك! فجاءت بأم أيمن فشهدت لها بذلك فقال: امرأة لا يقبل قولها! وقد رووا جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أم أيمن امرأة من أهل الجنة».

فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فشهد لها فقال: هذا بعلك يجزه إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك! وقد رووا جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«على مع الحق والحق مع على يدور معه حيث دار، لن يفترقا حتى يردا على الحوض!»
 فغضبت فاطمة عليها السلام عند ذلك وانصرفت وحلفت أن لا تكلمه ولا صاحبه حتى تلقى أباهما وتشكو إليه.
 فلما حضرته الوفاة أوصت علياً أن يدفنها ليلاً، ولا يدع أحداً منهم يصلّي عليها!
 وقد روي جميعاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». ورووا جميعاً أنه صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله!»

(١) سورة النمل: ١٦.

(٢) سورة مريم: ٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٧٦

ولو كان هذا الخبر حقاً لما جاز له ترك البغلة التي خلفها النبي صلى الله عليه وآله، وسيفه وعمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، ولما حكم بها له لما ادّعاها العباس! ولكان أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى في كتابه عن الرجس مرتكبين ما لا يجوز، لأن الصدقة عليهم محرمة.

الشرح:

لقد كثر البحث منذ صدر الإسلام حول ما كان بين الزهراء الطاهرة عليها السلام وأبي بكر، وجرت فيه المناظرات، وألفت فيه الكتب. والذي ذكره العلامة رحمه الله هو: أنها طلبت إرثها من أبي بكر فمنعها، والتجأ إلى رواية انفرد بها، والقرآن يخالف ذلك. وأنها ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها فداها، فطلب منها البيئته، فجاءت بأمر أيمن وأمير المؤمنين عليه السلام فردّهما، مع ما ورد في حقهما عن النبي صلى الله عليه وآله.

ثم ذكر رحمه الله ممّا كان بعد ردّه إياها: أنها غضبت وحلفت ألا تكلمه حتى تلقى أباهما وتشكو إليه، مع ما ورد عنه صلى الله عليه وآله من التحذير من إغضاها وإيذاها. وأنها أوصت أن تدفن ليلاً. وأنها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر وأنصاره.

ثم ذكر من وجوه الإيراد على حديث أبي بكر: النقص. ببغلة النبي صلى الله عليه وآله وسيفه وعمامته عند أمير المؤمنين عليه السلام، والحكم بها للعباس لما ادّعاها، والحكم لجابر فيما ادّعه من مال البحرين، وأنه لو كان هذا الحديث حقاً لكان أهل البيت بادّعائهم مرتكبين ما لا يجوز لهم، لكنهم لا يرتكبون ذلك، لأن الله طهرهم من الرجس، فالحديث ليس بحق.

هذا خلاصة كلام العلامة كما لا يخفى على من راجعه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٧٧

كلام ابن تيمية ... ص: ٧٧

ويتلخص كلام ابن تيمية في الاعتراض عليه، كما لا يخفى على من راجعه كذلك «١» في:

١- الإنكار والتكذيب، فقد قال: «إن في هذا الكلام من الكذب والبهتان والكلام الفاسد ما لا يحصى إلا بكلفة» وإليك موارد من ذلك بعبارة:

أ- «إن ما ذكر من قول فاطمة رضي الله عنها: (أترث أباك ولا أترث أبي) لا نعلم صحته عنها».

ب- «قوله: والتجأ إلى رواية انفرد بها. كذب».

ج- «قوله: وكان هو الغريم لها. كذب».

د- «ادّعاء فاطمة رضي الله عنها ذلك (أن النبي وهبها فداها) كذب على فاطمة».

هـ- «إن علياً شهد لها فردٌ شهادته لكونه زوجها. فهذا مع كونه كذباً...»

و- «وأما الحديث الذي ذكره وزعم أنهم رواه جميعاً (في حق أم أيمن) فهذا الخبر لا يعرف في شيء من دواوين الإسلام، ولا نعرف عالماً من العلماء رواه... فهو كذب عليه صلى الله عليه وآله وعلى أهل العلم».

ز- «قوله: إنهم رواوا جميعاً أن رسول الله قال: على مع الحق والحق يدور معه..»

من أعظم الكلام كذباً وجهلاً. فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، فكيف يقال: إنهم جميعاً رواوا هذا الحديث؟ وهل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابة والعلماء أنهم رواوا حديثاً والحديث لا يعرف عن أحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب... وهو كذب قطعاً... فإنه كلام ينزه عنه رسول الله.

(١) منهاج السنّة ٢٢٨/٤ - ٢٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٧٨

ح- «إن ما ذكره عن فاطمة أمر لا يليق بها، ولا يحتج بذلك إلا رجل جاهل، يحسب أنه يمدحها وهو يجرحها، فإنه ليس فيما ذكر ما يوجب الغضب عليه، إذ لم يحكم - لو كان صحيحاً - إلا بالحق الذي لا يحلّ لمسلم أن يحكم بخلافه. ومن طلب أن يحكم له بغير حكم الله ورسوله فامتنع فغضب وحلف أن لا يكلم الحاكم، ولا صاحب الحاكم، لم يكن هذا ممّا يحمد عليه ولا ممّا يذمّ به الحاكم، بل هذا إلى أن يكون جرحاً أقرب منه إلى أن يكون مدحاً. ونحن نعلم أن ما يحكى عن فاطمة وغيرها من الصحابة من القوادح كثير منها كذب وبعضها كانوا فيه متأولين، وإذا كان بعضها ذنباً فليس القوم معصومين، بل هم مع كونهم أولياء الله من أهل الجنة، لهم ذنوب يغفرها الله لهم. وكذلك ما ذكر من حلفها أنها لا تكلمه ولا تصاحبه حتى تلقى أباه وتشتكى إليه، أمر لا يليق أن يذكر عن فاطمة، فإن الشكوى إنما تكون إلى الله تعالى».

ط- «وأما قوله: رواوا جميعاً أن النبي قال: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. فهذا كذب منه. ما رواوا هذا عن النبي، ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة، ولا الإسناد معروف عن النبي، لا صحيح ولا حسن».

ي- «وأما قوله: رواوا جميعاً أن فاطمة بضعة... فإن هذا الحديث لم يرو بهذا اللفظ، روى بغيره. كما ذكر في حديث خطبة على لابنه أبي جهل».

ك- «من نقل أن أبا بكر وعمر حكما بذلك لأحد (في البغلة) ... وتركا ذلك عند أحد على أن يكون ملكاً له؟ فهذا من أبين الكذب عليهما».

ل- «وكذلك ما ذكره من إيصائها أن تدفن ليلاً ولا يصلى عليها أحد منهم».

لا يحكيه عن فاطمة ويحتج به إلّا رجل جاهل، يطرق على فاطمة ما لا يليق بها. وهذا لو صحّ لكان بالذنب المغفور أولى منه بالسّعي المشكور»....

م- «أما قصّة فاطمة رضي الله عنها، فما ذكره من دعواها الهبة والشهادة المذكورة ونحو ذلك، لو كان صحيحاً، لكان بالقدح فيمن يحتجون له أشبه بالمدح».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٧٩

٢- الإفتراء والكذب: كفريّة خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ابنه أبي جهل، فإنه يعتمد عليها في غير موضع، ويدّعى أنها السبب في قوله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني... وينسب رواية ذلك إلى علي بن الحسين... وهذه عباراته المشتملة عليها وعلى أباطيل أخرى:

«ولو دار الحق مع علي حيثما دار لوجب أن يكون معصوماً كالنبي صلى الله عليه وآله، وهم من جهلهم يدّعون ذلك. ولكن من علم

أنه لم يكن بأولى بالعصمة من أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وليس فيهم من هو معصوم، علم كذبهم، وفتاويه من جنس فتاوى أبي بكر وعمر وعثمان، ليس هو أولى بالصواب منهم، ولا- في أقوالهم من الأقوال المرجوحة أكثر مما قاله، ولا كان ثناء النبي صلى الله عليه وآله ورضاه عنه، بأعظم من ثنائه عليهم ورضائه عنهم، بل لو قال القائل: إنه لا يعرف من النبي أنه عتب على عثمان في شيء وقد عتب على علي في غير موضع لما أبعد. فإنه لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل واشتكت فاطمة لأبيها وقالت: إن الناس يقولون إنك لا تغضب لبناتك فقام خطيباً، وقال: إن بني المغيرة استأذنوني أن يزوجوا بنتهم على بن أبي طالب، وإنني لا آذن ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويزوج ابنتهم، فإنما فاطمة بضعة مني.. وهو حديث ثابت صحيح أخرجه في الصحيحين». «أما قوله: رويوا جميعاً أن فاطمة بضعة مني من آذاها آذاني ومن آذاني آذى الله.

فإن هذا الحديث لم يرو بهذا اللفظ بل روى غيره، كما ذكر في حديث خطبة علي لابنه أبي جهل، والسبب داخل في اللفظ قطعاً، إذ اللفظ الوارد على السبب لا يجوز إخراج سببه منه، بل السبب يجب دخوله بالاتفاق، وقد قال في الحديث: (يربني ما رابها ويؤذني ما آذاها) ومعلوم قطعاً أن خطبة ابنه أبي جهل عليها رابها وآذاها، والنبي رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيداً لاحقاً بفاعله، لزم أن يلحق هذا الوعيد على بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيداً لاحقاً بفاعله، كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من علي. وإن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٨٠

قيل: إن علياً تاب من تلك الخطبة ورجع عنها. قيل: فهذا يقتضي أنه غير معصوم. وإذا جاز أن من راب فاطمة وآذاها يذهب بتوبته، جاز أن يذهب بغير ذلك من الحسنات الماحية، فإن ما هو أعظم من هذا الذنب تذهبه الحسنات الماحية والتوبة والمصائب المكفرة». «إن فاطمة إنما عظم آذاها لما في ذلك من أذى أبيها، فإذا دار الأمر بين أذى أبيها وآذاها، كان الاحتراز عن أذى أبيها واجب. وهذا حال أبي بكر وعمر، فإنهما احتزرا أن يؤذيا أباهما أو يربيان به شيء. فإنه عهد عهداً وأمر أمراً، فخانا إن غيرا عهده وأمره أن يغضب، لمخالفة أمره وعهده ويتأذى بذلك، وكل عاقل يعلم أن رسول الله إذا حكم بحكم وطلبت فاطمة أو غيرها ما يخالف ذلك الحكم، كان مراعاة حكم النبي أولى، فإن طاعته واجبة ومعصيته محرمة، ومن تأذى لطاعته كان مخطئاً في تأذيه بذلك، وكان الموافق لطاعته مصيباً في طاعته. وهذا بخلاف من آذاها لغرض بعينه لا لأجل طاعة الله ورسوله.

ومن تدبر حال أبي بكر في رعايته لأمر النبي، وأنه إنما قصد طاعة الرسول لا لأمر آخر، علم أن حاله أكمل وأفضل وأعلى من حال علي.. المقصود أنه لو قدر أن أبا بكر آذاها فلم يؤذها لغرض نفسه، بل ليطيع الله ورسوله، ويوصل الحق إلى مستحقه، وعلى رضى الله عنه كان قصده أن يتزوج عليها، فله في آذاها لغرض، بخلاف أبي بكر.

فعلم أن أبا بكر كان أبعد أن يذم بأذاها من علي، وأنه إنما قصد طاعة الله ورسوله بما لاحظ له فيه، بخلاف علي، فإنه كان له حظ فيما رابها به...

٣- التشكيكات الواهية والمناقشات الباردة في معاني الآيات الصريحة في توريث الأنبياء، والأحاديث في فضل الزهراء وأمير المؤمنين عليهم السلام وغيرهما.

٤- التكرار لما سبق في أوائل الكتاب، من دعوى وجوب الطاعة لمن يتولى الأمر ويستولى على شؤون المسلمين وإن كان غاصباً جائراً... يقول: «إن النصوص الواردة عن النبي في طاعة ولاء الأمور ولزوم الجماعة والصبر على ذلك، مشهورة كثيرة، بل لو

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٨١

قال قائل: إن النبي أمر بطاعة ولاء الأمور وإن استأثروا، والصبر على جورهم، وقال:

إنكم ستلقون بعدى إثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض. وقال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم، وأمثال ذلك. فلو قدر أن أبا بكر وعمر كانا ظالمين مستأثرين بالمال لأنفسهما، كان الواجب مع ذلك طاعتهما، والصبر على جورهما... أقول:

ويتلخص كلامنا في هذا المقام في مطالب، يظهر من خلالها الدليل على صدق العلامة فيما ذكره وكذب ابن تيمية فيما أنكره، فنقول: قول الزهراء لأبي بكر: أترث أباك؟.. فهو من خطبتها المشهورة، التي يغني النظر في متنها عن السؤال عن إسنادها، وهذه الخطبة رواها الإمامية وغيرهم بالأسانيد المتصلة، ومن رواتها من علماء الجمهور المتقدمين: أحمد بن أبي طاهر البغدادي المعروف بابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ «١»، رواها في كتابه (بلاغات النساء). وأبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣، رواها في كتابه (السقيفة وفدك) كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. قال: «وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته» «٢». وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤، بسنده عن عروة عن عائشة، كما في (الشافى في الإمامة) «٣» و (شرح النهج) «٤».

(١)

ترجم له الخطيب في تاريخه ٤/ ٤٣٣ وأثنى عليه، وكذا غيره.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١٠.

(٣) الشافى في الإمامة ٤ / ٦٩.

(٤) شرح النهج ١٦ / ٢٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨٢

والحديث أخرجه أحمد بلفظ: أنها قالت لأبي بكر: «أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ قال: لا بل أهله» «١».

والحلبى بلفظ: «أفى كتاب الله أن ترثك ابنتك ولا أرث أبى؟ قال: «فاستعبر أبو بكر باكياً، ثم نزل فكتب لها بفدك. ودخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها. قال: فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقه» «٢».

حديث «لا نورث» رواية انفرد بها أبو بكر

وهذا ما نصّ عليه كبار الحفاظ والمحدثين من أهل السنة، كأبى القاسم البغوى المتوفى سنة ٣١٧ وأبى بكر الشافعى المتوفى ٣٥٤

وابن عساكر المتوفى ٥٧١ والجلال السيوطى المتوفى ٩١١ وابن حجر المكى المتوفى ٩٧٣. والمتقى الهندى المتوفى ٩٧٥.

قال السيوطى: «أخرج أبو القاسم البغوى وأبو بكر الشافعى في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه صلى الله عليه وآله، فما وجدوا عند أحد في ذلك علماً. فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث» «٣». وقال ابن حجر المكى: «اختلفوا في ميراث النبى صلى الله عليه وآله، فما وجدوا عند أحد في ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله...» «٤».

(١) مسند أحمد ١ / ٤.

(٢) إنسان العيون ٣ / ٤٨٨.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٨.

(٤) الصواعق المحرقة: ٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨٣

وقال المتقي الهندي: «حم م د وابن جرير ه ق» (١).

ونص عليه كبار الأئمة الأصوليين في مباحث خبر الواحد من كتبهم الأصولية، وجعلوه من أهم أخبار الآحاد التي انفرد بها آحاد من الصحابة، ولتنقل طائفة من عباراتهم كذلك:

قال القاضي عضد الدين الإيجي بشرح قول ابن الحاجب: «يجب العمل بخبر الواحد العدل، خلافاً للقاساني ... لنا: تكرار العمل به كثيراً من الصحابة والتابعين شائعاً ذائعاً من غير نكير» ... قال: «قد ثبت جواز التعبد بخبر الواحد، وهو واقع، بمعنى أنه يجب العمل بخبر الواحد، وقد أنكره القاساني والرافضة وابن داود. والقائلون بالوقوع قد اختلفوا في طريق إثباته، والجمهور على أنه يجب، بدليل السمع، وقال أحمد والقفال وابن سريج وأبو الحسين البصري: بدليل العقل. لنا: إجماع الصحابة والتابعين، بدليل ما نقل عنهم من الاستدلال بخبر الواحد، وعملهم بها في الوقائع المختلفة التي لا تكاد تحصى، وقد تكرر ذلك مرة بعد أخرى، وشاع وذاع بينهم، ولم ينكر عليها أحد، وإلا نقل، وذلك يوجب العلم العادي باتفاقهم كالقول الصريح، وإن كان احتمال غيره قائماً في كل واحد واحد. فمن ذلك: أنه عمل أبو بكر بخبر المغيرة في ميراث الجدة، وعمل عمر ... وعمل الصحابة بخبر أبي بكر: الأئمة من قريش، و: الأنبياء يدفنون حيث يموتون. و: نحن معاصر الأنبياء لا نورث ... إلى غير ذلك مما لا يجدي استيعاب النظر فيه إلا التطويل» (٢ ... ٢).

وقال الرازي في المسألة: «المسلك الرابع: الإجماع، العمل بالخبر الذي لا يقطع

(١) كنز العمال ٥/ ٦٠٥.

(٢) شرح المختصر ٢/ ٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٨٤

بصحته مجمع عليه بين الصحابة، فيكون العمل به حقاً. إنما قلنا: إنه مجمع عليه بين الصحابة، لأن بعض الصحابة عمل بالخبر الذي لا يقطع بصحته، ولم ينقل عن أحد منهم إنكار على فاعله، وذلك يقتضي حصول الإجماع. وإنما قلنا: إن بعض الصحابة عمل به. لوجهين: الأول: وهو أنه روى بالتواتر: أن يوم السقيفة لما احتج أبو بكر رضى الله عنه على الأنصار بقوله عليه الصلاة والسلام: الأئمة من قريش، مع أنه مخصص لعوم قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قبلوه ولم ينكر عليه أحد... الثاني: الاستدلال بأمور لا ندعى التواتر في كل واحد منها، بل في مجموعها وتقريره: أن نبين أن الصحابة عملوا على وفق خبر الواحد، ثم نبين أنهم إنما عملوا به لا بغير. أما المقام الأول فيبانه من وجوه:

الأول: رجوع الصحابة إلى خبر الصديق في قوله عليه الصلاة والسلام: الأنبياء يدفنون حيث يموتون. وفي قوله: الأئمة من قريش. وفي قوله: نحن معاصر الأنبياء لا نورث (١ ... ١).

وقال الغزالي: «وكلام من ينكر خبر الواحد ولا يجعله حجة، في غاية الضعف، ولذلك ترك توريث فاطمة - رضى الله عنها - بقول أبي بكر: نحن معاصر الأنبياء لا نورث الحديث. فنحن نعلم أن تقدير كذب أبي بكر وكذب كل عدل، أبعد في النفس من تقدير كون آية المواريث مسوقة لتقدير المواريث، لا للقصد إلى بيان حكم النبي عليه الصلاة والسلام» (٢ ... ٢).

وقال الآمدي في مبحث حجية خبر الواحد: «ويدل على ذلك ما نقل عن

(١) المحصول في علم الأصول ٤/ ٣٦٧ - ٣٦٩.

(٢) المستصفى في علم الأصول ٢/ ٢٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٨٥

الصحابة من الوقائع المختلفة الخارجة عن العَدِّ والحصر، المتفقة على العمل بخبر الواحد ووجوب العمل به، فمن ذلك ما روى عن

أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه عمل بخبر المغيرة ... ومن ذلك عمل جميع الصحابة بما رواه أبو بكر الصديق من قوله: الأئمة من قريش، ومن قوله: الأنبياء يدفنون حيث يموتون. ومن قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» (١ ... ١).

وقال فى مبحث تخصيص الكتاب بخبر الواحد: «وخصوا قوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» الآية، بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لا يرث القاتل ... وبما رواه أبو بكر من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» (٢ ... ٢).

وقال علاء الدين البخارى: «وكذلك أصحابه عملوا بالآحاد، وحاجوا بها فى وقائع خارجة عن العد والحصر، من غير تكبر منكر ولا مدافعة دافع ...

ومنها: رجوعهم إلى خبر أبى بكر رضى الله عنه فى قوله عليه السلام: الأنبياء يدفنون حيث يموتون، وقوله عليه السلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة..» (٣ ... ٣).

وقال عبد العلى الأنصارى: «ولنا ثانياً: إجماع الصحابة على وجوب العمل بخبر العدل ... فمن ذلك أنه عمل الكل من الصحابة بخبر خليفة رسول الله أبى بكر الصديق:

الأئمة من قريش، ونحن معاشر الأنبياء لا نورث» (٤ ... ٤).

وقال نظام الدين الأنصارى فى مبحث وجوب قبول خبر الواحد، من (شرح المنار): «ولهم أيضاً: الإجماع، وتفصيله على ما فى التحرير أنه تواتر عن الصحابة

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ٢/ ٦٤-٦٦.

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام ٢/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) كشف الأسرار فى شرح أصول البزدوى ٢/ ٦٨٨.

(٤) فواتح الرحموت - شرح مسلم الثبوت - هامش المستصفى ٢/ ١٣٢.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨٦

رضوان الله تعالى عليهم فى وقائع خرجت عن الإحصاء يفيد مجموعها إجماعهم على وجوب القبول ... فلنعد جملة: منها: عمل أمير المؤمنين أبى بكر الصديق بخبر المغيرة...

وأيضاً: إن الإجماع قد ثبت على قبول خبر أبى بكر: الأئمة من قريش. و: نحن معاشر الأنبياء لا نورث...

وها هنا دغدغة: فإن ذلك يستلزم أن ينسخ الكتاب بخبر الواحد، فإنه قبل انعقاد الإجماع كان خبراً واحداً محضاً، وفى الكتاب توريث البنت مطلق. نعم، إن أبا بكر إذ سمع من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فلا شبهة عنده فإنه أتم من التواتر، فصَحَّ له ذلك مخصّصاً أو نسخاً، بخلاف مغيرة فإنه إنما خص أو نسخ بخبر الواحد. وبعد الإجماع فإنما الإنساخ والتقييد بخبر الواحد عند المحققين. والجواب: إن عمل أمير المؤمنين أبى بكر بمنزلة قوله وقول غيره من الصحابة: إن هذا منسوخ، وهو حجة فى النسخ، مع أن طاعة أولى الأمر واجبة».

أقول: والمتكلمون أيضاً يعترفون فى كتبهم الكلامية بانفراد أبى بكر فى رواية هذا الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ونحن نكتفى بذكر كلام بعضهم:

قال القاضى الإيجى وشارحه الشريف الجرجانى ما نصّه:

«شرائط الإمامة ما تقدّم، وكان أبو بكر مستجمعاً لها، يدلّ عليه كتب السير والتواريخ، ولا نسلم كونه ظالماً. قولهم: كان كافراً قبل البعثة، تقدّم الكلام فيه، حيث قلنا: الظالم من ارتكب معصية تسقط العدالة بلا توبة وإصلاح، فمن آمن عند البعثة وأصلح حاله لا

يكون ظالماً. قولهم: خالف الآية في منع الإرث. قلنا: لمعارضتها بقوله عليه السلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. فإن قيل: لابد لكم من بيان حجية ذلك الحديث الذي هو من قبيل الآحاد ومن بيان ترجيحه على الآية. قلنا: حجية خبر الواحد والترجيح مما لا حاجة لنا إليه ههنا، لأنه رضى الله عنه كان حاكماً بما

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨٧

سمعه من رسول الله، فلا اشتباه عنده في سنده» (١).

وقال سعد الدين التفتازاني: «فمما يقدح في إمامة أبي بكر - رضى الله عنه - أنه خالف كتاب الله تعالى في منع إرث النبي، بخبر رواه وهو: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وتخصيص الكتاب إنما يجوز بالخبر المتواتر دون الآحاد.

والجواب: إن خبر الواحد - وإن كان ظني المتن - قد يكون قطعي الدلالة، فيخصيص به عام الكتاب، لكونه ظني الدلالة وإن كان قطعي المتن، جمعاً بين الدليلين، وتام تحقيق ذلك في أصول الفقه. على أن الخبر المسموع من فم رسول الله إن لم يكن فوق المتواتر فلا خفاء في كونه بمنزلته، فيجوز للسامع المجتهد أن يخصص به عام الكتاب» (٢).

أقول: هذا كله بغض النظر عما جرى على لسان بعض كبار أئمتهم في الحديث والرجال، من أن الخبر من أصله موضوع، فاستمع إلى ما قاله الذهبي بترجمه الحافظ ابن خراش:

«ابن خراش الحافظ البارع الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش المروزي ثم البغدادي، سمع ... حدث عنه: أبو سهل القطان وأبو العباس بن عقدة وبكر بن محمد الصيرفي وغيرهم.

قال بكر بن محمد: سمعته يقول: شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات. وقال أبو نعيم: ما رأيت أحداً أحفظ من ابن خراش. قال ابن عدى الجرجاني: ذكر بشيء من التشيع وأرجو أنه لا يتعمد الكذب، سمعت ابن عقدة يقول: كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئاً من باب التشيع يقول: هذا لا ينفق إلا عندي وعندك. وسمعت عبدان يقول:

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٥٥.

(٢) شرح المقاصد ٢ / ٢٩٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨٨

حمل ابن خراش إلى بندار كان عندنا جزئين صنفهما في مثالب الشيخين، فأجازه بألفي درهم بنى له بها حجرة، فمات إذ فرغ منها.

وقال أبو زرعة محمد بن يوسف: خرّج ابن خراش مثالب الشيخين، وكان رافضياً.

وقال ابن عدى: سمعت عبدان يقول: قلت لابن خراش: حديث ما تركنا صدقة؟

قال: باطل، أتتهم مالک بن أوس بالكذب.

ثم قال عبدان: وقد روى مراسيل وصلها ومواقيف رفعها.

قلت: جهلة الرافضة لم يدروا الحديث ولا - السيرة ولا - كيف ثم! فأما أنت - أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في الترحال - فما عذرک عند الله مع خبرتك بالأمور؟ فأنت زنديق معاند للحق، فلا رضى الله عنك. مات ابن خراش إلى غير رحمة الله سنة ٢٨٣» (١).

وقال بترجمته أيضاً بعد أن أورد ما تقدّم: «قلت: هذا معثر مخذول، كان علمه وبألاً وسعيه ضلالاً، نعوذ بالله من الشقاء» (٢).

وقال أيضاً: «قلت: هذا والله الشيخ المعثر الذي ضلّ سعيه، فإنه كان حافظ زمانه، وله الرحلة الواسعة والاطلاع الكثير والإحاطة، وبعد هذا فما انتفع بعلمه، فلا عتب على حمير الرافضة وحوادث جزين ومشغرا» (٣).

تنبيه

ترجم الحافظ الخطيب ابن خراش، فذكر مشايخه والرواة عنه، وقال في وصفه: «وكان أحد الرّحّالين في الحديث إلى الأمصار بالعراق والشام ومصر وخراسان،

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨٤-٦٨٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٠.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٨٩
وممن يوصف بالحفظ والمعرفة».

فلم ينقل كلامه في حديث: نحن معاشر الأنبياء، وإنما أورد ما رواه الذهبي عن ابن عدي عن عبدان، ولكنه حرّف الكلام، فقال: «أنبأنا أبو سعد الماليني أخبر أن عبد الله بن عدي قال: سمعت عبدان يقول: أجاز بندار ابن خراش بألفي درهم، فبني بذلك حجرة ببغداد ليحدّث بها، فما متّع بها ومات حين فرغ منها» (١).

وابن الجوزي لم يورد لا هذا ولا ذاك، وإنما قال في ترجمته: «وكان أحد الرّحّالين في الحديث إلى الأمصار، وممن يوصف بالحفظ والمعرفة، إلا أنه ينيّز بالرفض» (٢).

وترجم له السيوطي أيضاً، فأورد كلامه في الحديث لكن محرّفاً، قال: «قال عبدان: قلت له: حديث ما تركنا صدقة؟ قال: باطل. قال: وقد روى مراسيل» (٣ ... ٣).

فأسقط من الكلام: «اتهم مالك بن أوس بالكذب».

أقول: ويشهد بكذب رواية أبي بكر عدم قبول الزهراء عليها السلام، وتكذيب علي عليه السلام والعباس كما ستعرف، وكذا عدم علم زوجات النبي صلى الله عليه وآله به، حيث أرسلن عثمان إلى أبي بكر يسألن ميراثهنّ من النبي صلى الله عليه وآله، وأخرجه أرباب الصحاح (٤).

بل منه يستفاد عدم علم عثمان أيضاً، وإلا لردّه ولم يبلغ طلبهنّ إلى أبي بكر، وكذا من سكوته في حديث آخر سنذكره.
بل إن أبا بكر قد كذب نفسه بكتابه بفدك ... كما عرفت.

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٩.

(٢) المنتظم ١٢/ ٣٦٢.

(٣) طبقات الحفاظ: ٣٠١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد ٥/ ١٥٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٩٠

وما أجود قول الفخر الرازي: «إن المحتاج إلى معرفة هذه المسألة ما كان إلّا فاطمة وعلى والعباس، وهؤلاء كانوا من أكابر الزهّاد والعلماء وأهل الدّين، وأمّا أبو بكر فإنه ما كان محتاجاً إلى معرفة هذه المسألة ألّبتّه، لأنه ما كان ممن يخطر بباله أنه يرث من الرسول، فكيف يليق بالرسول أن يبلغ هذه المسألة إلى من لا حاجة له إليها، ولا يبلغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجة» (١).
إنه كان هو الغريم لها، أي متهماً في روايته.

فهذا مما لا ريب فيه، فلو لا اتهام فاطمة عليها السلام إيّاه لما أصرت على طلبها، ولما هجرته بعد أن ردّها ...

وأيضاً، كان أبو بكر متهماً عند أمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن، حيث شهدا بكون الحق مع فاطمة عليها السلام.

وكذا عنده وعند العباس باعتراف عمر بن الخطاب، كما في حديث أخرجه مسلم عن مالك بن أوس قال قال عمر لهما: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله، فجئتما أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقة، فرأيتما كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنه لصديق بارّ راشد تابع للحق. ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وولي أبي بكر، فرأيتما كاذباً آثماً غادراً خائناً» (٢).

وفي آخر أخرجه أحمد والبخاري وقال: حسن الإسناد، عن ابن عباس قال: «لما قبض رسول الله واستخلف أبو بكر، خاصم العباس علياً في أشياء تركها رسول الله

(١) التفسير الكبير ٩/ ٢١٠.

(٢) صحيح مسلم ٥/ ١٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٩١

صلى الله عليه وآله. فقال أبو بكر: شيء تركه رسول الله فلم يحركه فلا- أحركه، فلمّا استخلف عمر اختصما إليه، فقال: شيء لم يحركه أبو بكر فلا- أحركه، فلما استخلف عثمان اختصما إليه، فسكت عثمان ونكس رأسه. قال ابن عباس: فخشيت أن يأخذه أبي، فضربت يدي بين كتفي العباس، فقلت: يا أبت أقسمت عليك إلا سلّمته» (١).

تنبيه

حرّف البخاري الحديث المشتمل على: «فرأيتما كاذباً آثماً غادراً خائناً»...

فتصرّف في هذه الجملة بأشكال مختلفة:

فأخرجه في باب فرض الخمس: «قال عمر: ثم توفي الله نبيّه صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله، والله يعلم أنه فيها لصديق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفي الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي بكر، فقبضتها سنتين من أمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وبما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصديق بارّ راشد تابع للحق» (٢).

وأخرجه في كتاب المغازي، باب حديث بني النضير: «ثم توفي النبي صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: فأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبضه أبو بكر فعمل به بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنتم حينئذ- فأقبل على علي وعباس وقال- تذكر أن أبا بكر فيه كما تقولان، والله يعلم أنه فيه لصديق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفي الله أبا بكر فقلت: أنا ولي رسول الله وأبي بكر، فقبضته سنتين من أمارتي أعمل فيه بما عمل فيه رسول الله وأبو بكر، والله يعلم أني فيه صادق بارّ راشد تابع للحق» (٣).

(١) كنز العمال ٥/ ٥٨٦-٥٨٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٤.

(٣) صحيح البخاري ٥/ ٢٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٩٢

وأخرجه في كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنته: «ثم توفي الله نبيّه صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبضها أبو بكر يعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنتم حينئذ- وأقبل على علي والعباس- تزعمان أن أبا بكر كذا وكذا، والله يعلم أنه فيها صادق بارّ راشد تابع للحق. ثم توفي الله أبا بكر فقلت: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر» (١).

وأخرجه في كتاب الفرائض، باب قول النبي صَلَّى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقة: «فتوفى الله نبيه صَلَّى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، ثم توفى الله أبا بكر فقلت: أنا ولي ولي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، فقبضتها سنتين أعمل فيها ما عمل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأبو بكر» (٢).
وأخرجه في كتاب الإعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع: «ثم توفى الله نبيه صَلَّى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، فقبضها أبو بكر فعمل فيها ما عمل فيها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وأنتما حينئذ - وأقبل على علي وعباس - فقال: تزعمان أن أبا بكر فيها كذا، والله يعلم أنه فيها صادق بار راشد تابع للحق. ثم توفى الله أبا بكر فقلت: أنا ولي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأبي بكر، فقبضتها سنتين أعمل فيها ما عمل به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأبو بكر» (٣).
هذا، وقد باح شراح البخاري بما حاول أن يكتمه، وهذا من آيات علو الحق، كالحافظ ابن حجر العسقلاني، فإنه ذكر تفسير ما أبهمه البخاري استناداً إلى ما وقع في

(١) صحيح البخاري ١٩١ / ٦.

(٢) صحيح البخاري ٨ / ٤.

(٣) صحيح البخاري ٨ / ١٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٩٣

رواية مسلم (١).

ادعاء فاطمة أن النبي وهبها فديكاً، وأن علياً شهد لها فردّ شهادته.

فهذا ما روته الرواة، قال الشهرستاني: «الخلاف السادس في أمر فديك والتوارث عن النبي عليه السلام، ودعوى فاطمة عليها السلام وراثته تارة وتمليكا أخرى» «... ٢».

فالزعماء عليها السلام ادّعت أن النبي صَلَّى الله عليه وآله وهبها فديكاً.. أما دعواها فصادقة، وذلك أن النبي صَلَّى الله عليه وآله لما أنزل الله عز وجل عليه: «وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» (٣)

أنحل فاطمة فديكاً، وقد روى هذا الخبر كبار الحفاظ والأئمة المحدثين من أهل السنة (٤)، ومنهم:

أبو بكر البرزاري المتوفى سنة ٢٩١.

وأبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧.

وابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧.

وابن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٠.

والحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥.

وأبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠.

وابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣.

ونور الدين الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧.

وشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨.

وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١.

(١) فتح الباري في شرح البخاري، باب فرض الخمس، وانظر ٢٣٨ / ١٣.

(٢) الملل والنحل ١/ ٢٥.

(٣) سورة الروم: ٣٨.

(٤) راجع: الدر المنثور ٤/ ١٧٧ ومجمع الزوائد: ٧/ ٤٩ وميزان الاعتدال ٣/ ١٣٥ وكنز العمال ٣/ ٧٦٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٩٤

وعلى المتقى الهندي المتوفى سنة ٩٧٥.

فكانت فدك في يدها على حياة النبي صلى الله عليه وآله، حتى انتزعها أبو بكر منها بعده.

حضورها عند أبي بكر ومطالبتها ثم شهادة أمير المؤمنين وأم أيمن.

فقد روى القصيدة غير واحد من أعلام أهل السنة: كالرازي في تفسير آية الفىء «١» وابن حجر المكي «٢»، والحلي في سيرته «٣»،

وياقوت الحموي «٤» والسمهودي «٥» وغيرهم...

وقد ذكر الكل أن علياً شهد لها بذلك، فرد أبو بكر شهادته كشهادة أم أيمن.

وبالجملة، فقد تجاوز الخبر حد الرواية وبلغ حد الدراية، وأضحى من الضروريات.

الحديث في شأن أم أيمن..

فمن رواه ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠. قال: «أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا فضيل بن مرزوق عن سفيان بن عتبة قال: كانت أم

أيمن تلطف النبي صلى الله عليه وآله وتقوم عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج

أم أيمن. فتزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد» «٦».

ورواه الحافظ ابن حجر بترجمتها عنه «٧».

(١)

التفسير الكبير ٢٩/ ٢٨٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢١.

(٣) السيرة الحلبية ٣/ ٤٨٦.

(٤) معجم البلدان ٤/ ٢٣٨.

(٥) وفاء الوفا ٣/ ٩٩٥.

(٦) الطبقات الكبرى ٨/ ٢٢٤.

(٧) الإصابة في معرفة الصحابة ٨/ ٣٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٩٥

حديث: «على مع الحق»...

فهو من الأحاديث القطعية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد رواه أكثر من عشرين صحابي، منهم:

أمير المؤمنين، أبو بكر، أبو ذر، عمار، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، سلمان، أبو أيوب الأنصاري، جابر بن عبد الله، سعد بن

أبي وقاص، عائشة، أم سلمة...

ورواه أكثر من مائة حافظ ومحدث وعالم... من أهل السنة.

فمن رواه قبل ابن تيمية:

الترمذي، في حديث بسنده عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد جاء فيه:

«رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار» (١).

والحاكم النيسابوري، رواه بسنده كذلك. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (٢).
وأخرج بسنده عن امرأة بنت عبد الرحمن قالت: «لما سار على إلى البصرة، دخل على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحق والحق معك، ولولا أني أكره أن أعصى الله ورسوله - فإنه أمرنا صلى الله عليه وآله أن نقر في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز على من نفسي، ابني عمر». قال الحاكم بعد أحاديث هذا ثالثها: «هذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاها». ووافقه الذهبي (٣).

(١) سنن الترمذي ٥ / ٢٩٧.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٣ / ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) المستدرک علی الصحيحین ٣ / ١١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٩٦

وأبو يعلى، عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا عند بيت النبي صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى. قال: الموفون المطيبون، إن الله يحب الحفص التقي. قال: ومروا على بن أبي طالب فقال: الحق مع ذا، والحق مع ذا» (١).

والبزار، عن سعد بن أبي وقاص في كلام له مع معاوية: «سمعت رسول الله يقول:

على مع الحق والحق مع علي حيث كان. قال: من سمع ذلك؟ قال: قاله في بيت أم سلمة.

قال: فأرسل إلى أم سلمة فسألتها فقالت: قد قاله رسول الله في بيتي» (٢ ...).

والطبراني، عن أم سلمة: أنها كانت تقول: «كان علي على الحق، من اتبعه اتبع الحق ومن تركه ترك الحق، عهد معهود قبل يومه هذا» (٣).

والخطيب البغدادي، روى بسنده «عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أم سلمة، فرأيتها تبكي وتذكر علياً وقالت: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة» (٤).

وابن عساكر «عن أبي ثابت مولى أبي ذر، قال: دخلت على أم سلمة..» (٥).

والزمخشري، روى حديث أبي ثابت المذكور بزيادة مهمة. وذلك أنه استأذن علي أم سلمة «فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت. ثم قالت:

يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً. قالت: وفقت، والذي نفسي بيده لقد سمعت

(١) مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٣٤ - ١٣٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٤ / ٣٢٢.

(٥) تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٩٧

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض» (١).

أقول: ومن الحديث الأخير يعلم اتحاد الحديثين: «على مع الحق والحق مع على» و «على مع القرآن والقرآن مع على»، مع أن كلاً منهما عبارة أخرى عن الآخر، وقد أخرجه كثير من الأئمة باللفظ الثاني، ومنهم: الحاكم النيسابوري والذهبي مصححين إياه «٢». أنها غضبت وحلفت أن لا تكلمه

ولم تزل مهاجرة له إلى أن توفيت ... فهو من الأخبار الثابتة كذلك، ويكفي أن نورد ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة قالت: «إن فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خبير. فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله، ولأعملن فيها بما عمل بها رسول الله.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً. فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت. وعاشت بعد النبي ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها. وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة» «٣».

(١) ربيع الأبرار ١/ ٨٢٨.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٢٤.

(٣) صحيح البخاري ٥/ ٨٢، صحيح مسلم ٥/ ١٥٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٩٨
حديث: يا فاطمة، إن الله يغضب لغضبك..

فمن رواته: الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام كما في مسنده «١».

والحافظ أبو موسى ابن المثنى البصري المتوفى سنة ٢٥٢ في معجمه «٢».

والحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧ «٣».

والحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ في مسنده «٤».

والحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ في معجمه «٥».

والحافظ الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ «٦».

والحافظ أبو سعد الخركوشي المتوفى سنة ٤٠٦ في شرف النبوة «٧».

والحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ في فضائل الصحابة «٨».

والحافظ أبو الحسن ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ «٩».

والحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ «١٠».

والحافظ أبو المظفر سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ «١١».

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٣٩.

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٣٩.

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٨/ ٢٦٦، شرح المواهب اللدنية ٣/ ٢٠٢.

(٤) كنز العمال ١٢/ ١١١.

(٥) المعجم الكبير ١/ ١٠٨.

- (٦) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٥٤.
- (٧) ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی: ٣٩.
- (٨) کنز العمال ١٢/ ١١١.
- (٩) أسد الغابة فی معرفة الصحابة ٥/ ٥٢٢.
- (١٠) کنز العمال ١٣/ ٦٧٤.
- (١١) تذکره خواص الأمة: ٣١٠.
- شرح منهاج الكرامة فی معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٩٩
- والحافظ محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ «١».
- والحافظ أبو الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢ «٢».
- والحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ «٣».
- والحافظ ابن حجر المكي المتوفى سنة ٩٥٤ «٤».
- والحافظ أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢ «٥».
- والحافظ علی المتقی الهندی المتوفى سنة «٦».
- حديث: فاطمة بضعة مني ...
- فقد اتفق عليه أرباب الصحاح والمسانيد المعتبرة، فقد أخرجه:
- البخاري في صحيحه «٧».
- ومسلم في صحيحه «٨».
- والترمذي في صحيحه «٩».
- والنسائي في خصائصه «١٠».
- وأبو داود في سننه «١١».

-
- (١) ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی: ٣٩.
- (٢) تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٥٠.
- (٣) الإصابة فی معرفة الصحابة ٨/ ٢٦٦، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٩٢.
- (٤) الصواعق المحرقة: ١٠٥.
- (٥) شرح المواهب اللدنية ٣/ ٢٠٢.
- (٦) كنز العمال ١٢/ ١١١ و ١٣/ ٦٧٤.
- (٧) صحيح البخاري ٤/ ٢١٠.
- (٨) صحيح مسلم ٧/ ١٤١.
- (٩) صحيح الترمذي ٥/ ٣٥٩، ٣٦٠.
- (١٠) الخصائص: ١٢٠.
- (١١) سنن أبي داود ١/ ٤٦٠.
- شرح منهاج الكرامة فی معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٠

وأحمد في مسنده «١».

والحاكم في مستدركه «٢».

والبيهقي في سننه «٣».

وأبو نعيم في حليته «٤».

وهذا القدر يكفي...

حكم أبي بكر وعمر في بغلة النبي وسيفه وعمارته

فقد أخرج أحمد في مسنده ما هو صريح في أن النبي صلى الله عليه وآله ترك أشياء عند علي أمير المؤمنين عليه السلام.

قال أحمد: «حدثني يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى العباس، عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله واستخلف أبو بكر، خاصم العباس علياً في أشياء تركها صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر رضي الله عنه: شيء تركه رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يحركه فلا أحرّكه، فلما استخلف عمر اختصما إليه، فقال: شيء لم يحركه أبو بكر فلست أحرّكه. قال: فلما استخلف عثمان رضي الله عنه اختصما إليه قال: فأسكت عثمان ونكس رأسه. قال ابن عباس: فخشيت أن يأخذه، فضربت يدي بين كتفي العباس فقلت: يا أبت أقسمت عليك إلا سلمته لعلّي. قال: فسلمه له» «٥».

ففي هذا الحديث لم يصرّح بالأشياء التي تركها النبي عند أمير المؤمنين، إلا أنه قد

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٣٢٦، ٣٢٨.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٥٩.

(٣) سنن البيهقي ٧/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٤٠ و ١٧٤.

(٥) مسند أحمد ١/ ١٣، وتقدم سابقاً أيضاً.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠١

صرّح في الروايات الأخرى وكلمات العلماء ببعض تلك المتروكات، فالقاضي عبد الجبار المعتزلي أرسل تركه صلى الله عليه وآله (السيف والبغلة والعمامة وغير ذلك) إرسال المسلّم، وذكر لذلك جواباً عن أبي علي الجبائي وأجاب السيد المرتضى عن الجواب «١».

وأورد ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج «٢».

وقال القاضي الفقيه أبو يعلى ابن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨- وهو الذي اعتمد عليه ابن تيمية في مواضع - في مبحث صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فأما صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله فمحصورة، لأنه قبض عنها فتعيت، وهي ثمانية» فذكرها، ثم قال: «فأما ما سوى هذه الصّدقات الثمانية من أمواله»... فذكر أشياء إلى أن قال: «وأما دور أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة، فكان قد أعطى كلّ واحدة منهنّ الدار التي تسكنها ووضّى بذلك لهنّ، فإن كان ذلك منه عطيةً تملكك فهي خارجة من صدقاته، وإن كان عطيةً سكنى وإرفاق فهي من جملة صدقاته، وقد دخلت اليوم في مسجده ولا أحسب منها ما هو خارج عنه» قال: «وأما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى هشام الكلبي عن عوانة بن الحكم: أن أبا بكر دفع إلى علي آل رسول الله ورايته وحذائه، وقال: ما سوى ذلك صدقة. وروى الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير، فإن كانت درعه المعروفة بالبراء، فقد حكى أنها كانت على الحسين بن علي يوم قتل.. وأما البردة... وأما

القضيب ... وأما الخاتم ... فهذا شرح ما قبض عنه رسول الله من صدقته وتركته. والله أعلم» (٣).
وفى شرح النهج عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري أنه قال أبو بكر: «قد

(١) المغنى في الإمامة ٢٠ ق ١ / ٣٣١، الشافى في الإمامة ٨٢ / ٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٦١.

(٣) الأحكام السلطانية: ١٩٩ - ٢٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٢

دفعت آله رسول الله صلى الله عليه وآله ودابته وحذاءه إلى على عليه السلام» «... ١».

وقد أذعن الفضل ابن روزبهان بالخبر فلم ينكره، إلا أنه حاول الإجابة عن الإشكال، فكان أقرب إلى الإنصاف من ابن تيمية المنكر لأصل الخبر.

وفى تاريخ ابن كثير: «باب آثار النبي صلى الله عليه وآله التي كان يختص بها في حياته، من ثياب وسلاح ومراكب» فذكر «الخاتم» و «السيف» و «النعل» و «القدح» و «المكحلة» و «البردة» و «الأفراس» و «المراكب».

إلا أنه أجمل الكلام جدًّا، ولم يشأ أن يصرح بما كان من أمرها من بعد وفاة النبي، مع أنه روى عن البيهقي: أن في الروايات أنه صلى الله عليه وآله مات عن بغلته البيضاء، وعن سلاحه، وعن أرض، وعن ثيابه وبغلته وخاتمه. نعم، ذكر: أن بغلته وهي الشهباء، قد عمرت بعده حتى كانت عند على بن أبي طالب في أيام خلافته.. «٢».

أنها أوصت أن تدفن ليلاً ولا يصلّى عليها أحد منهم

فهذا أيضاً من ضروريات تاريخ الإسلام، ومن رواته:

البخارى في باب فرض الخمس.

ومسلم في كتاب الجهاد والسير.

ابن سعد «٣».

الطحاوى «٤».

الطبرى «٥».

(١) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢١٤.

(٢) البداية والنهاية ٦ / ٣ - ١١.

(٣) الطبقات الكبرى ٨ / ٢٩ - ٣٠.

(٤) تاريخ الطبرى ٣ / ١٦٢.

(٥) تاريخ الطبرى ٢ / ٤٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٣

الحاكم النيسابورى «١».

البيهقى «٢».

أبو نعيم الإصفهاني «٣».

ابن عبد البر القرطبي «٤».

محيى الدين النووي «٥».

أبو بكر الهيثمي «٦».

ابن الأثير الجزري «٧».

ابن حجر العسقلاني «٨».

خطبة على ابنه أبي جهل خبر مقتعل ... ص: ١٠٣

وإذ قد عرفت كذب الرجل في تكذيباته، لم يبق عندك ريب في بطلان مناقشاته وتشكيكاته، لكن من الضروري إظهار حقيقة الأمر فيما افتروه على أمير المؤمنين عليه السلام من خطبة ابنه أبي جهل، هذه الفرية التي أصرّ عليها ابن تيمية في هذا الموضع، وردّ على أساسها على استدلال العلامة بالحديث الوارد في أن فاطمة بضعة من النبي صلى الله عليه وآله...

(١) المستدرک علی الصحيحین ١٦٢ / ٣.

(٢) السنن الكبرى ٣٠٠ / ٦.

(٣) حلية الأولياء ٤٣ / ٢.

(٤) الإستیعاب ١٨٩٨ / ٤.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٣٥٣ / ٢.

(٦) مجمع الزوائد ٢١١ / ٩.

(٧) أسد الغابة ٥٢٤ / ٥.

(٨) الإصابه ٣٧٨ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٤

فنقول: لابد من تحقيق هذا الخبر من جهات:

الجهة الأولى: سند الخبر:

إن أسانيد خبر هذه الخطبة في كتب القوم كلها تنتهي إلى:

١- المسور بن مخرمة.

٢- عبد الله بن العباس.

٣- علي بن الحسين - وهو الإمام زين العابدين عليه السلام -.

٤- عبد الله بن الزبير.

٥- محمد بن علي - وهو ابن الحنفية -.

٦- عروة بن الزبير.

٧- سويد بن غفلة.

٨- عامر الشعبي.

٩- ابن أبي مليكة.

١٠- رجل من أهل مكة.

وكل هذه الأسانيد ساقطة على ضوء كتب الرجال والقواعد المسلمة..

الحديث عن (عبد الله بن العباس)

رواه البزار والطبراني، وعنهما الهيثمي وقال: «فيه: عبيد الله بن تمام، وهو ضعيف» (١).

قلت: وهذا الرجل ذكره الحافظ ابن حجر، وذكر من مناكيره هذا الخبر، قال:

«ضعفه الدارقطني وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، روى أحاديث منكروة. وقال الساجي: كذاب يحدث بمناكير. وذكره ابن الجارود والعقيلي في

(١) مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٥

الضعفاء، وأورد له عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وآله: إن كنت متروجاً فرد علينا ابنتنا» (١).

والحديث عن (علي بن الحسين)

رواه ابن حجر العسقلاني، ثم قال: «وأصل الحديث في الصحيح من حديث المسور أنه حدث به علي بن الحسين» (٢). فالإمام عليه السلام يرويه - فيما يزعمون - عن المسور. وسيأتي الكلام عليه.

والحديث عن (عبد الله بن الزبير)

رواه الترمذي وأحمد والحاكم عن: أيوب السخيتاني عن ابن أبي مليكة عنه (٣).

قال الترمذي: يحتمل أن يكون ابن أبي مليكة سمعه من المسور وعبد الله بن الزبير جميعاً. قال ابن حجر: «ورجح الدارقطني وغيره طريق المسور، وهو أثبت بلا ريب، لأن المسور قد روى في هذا الحديث قطعة مطولة قد تقدمت في باب أصهار النبي. نعم، يحتمل أن يكون ابن الزبير سمع هذه القطعة فقط، أو سمعها من المسور فأرسلها» (٤).

قلت: إن كان عبد الله بن الزبير قد سمعها من المسور فأرسلها، فالكلام على حديث مسور سيأتي بالتفصيل. وإن كان هو الراوي بأن يكون قد سمع الخبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل، فإن عبد الله لا تسمع روايته مثل هذا الخبر؛ لأن عبد الله بن الزبير كان من أعداء أهل البيت، وهو السبب في انحراف والده الزبير عن علي عليه السلام، قال أمير المؤمنين: «ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ عبد الله» (٥).

(١) لسان الميزان ٩٧ / ٤.

(٢) المطالب العالیه بزوائد المسانيد الثمانية ٦٧ / ٤.

(٣) سنن الترمذي ٥ / ٣٦٠، مسند أحمد ٤ / ٥، المستدرک ٣ / ١٥٩.

(٤) فتح الباری - شرح صحيح البخاری ٦٨ / ٧.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ / ٩٠٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٦

والحديث عن (عروة بن الزبير)

رواه أبو داود بإسناده عن الزهري عنه (١). وهو مرسل، لأن عروة ولد في خلافة عمر.

مضافاً: إلى أن عروة من أشهر المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام.. كما لا يخفى، وإلى ما سيأتي من الكلام حول الزهري الراوي عنه.

والحديث عن (محمد بن علي)
رواه أحمد عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عنه «٢»، وهو مرسل كذلك، حسب اصطلاح القوم، فإن محمداً لم يسنده.
وأيضاً: عمرو بن دينار لم يسمع من محمد. وقال ابن حجر: «قال البخاري: لم يسمع عمرو بن دينار عن ابن عباس حديثه عن عمر في البكاء على الميت. قلت: ومقتضى ذلك أن يكون مدلساً» «٣».
والحديث عن (سويد بن غفلة)
رواه الحاكم عن أحمد بسنده عن الشعبي عنه، ثم صححه «٤». وهو مرسل كذلك، إذ لم يدرك سويد النبي صلى الله عليه وآله، كما لا يخفى على من راجع ترجمته.
والحديث عن (عامر الشعبي)
رواه أحمد في الفضائل، وهو في كنز العمال عن عبد الرزاق «٥». وهو مرسل كذلك، إذ المشهور أن مولد الشعبي كان لست سنين خلت من خلافة عمر «٦».

(١) سنن أبي داود ١/ ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) كتاب الفضائل: ٢٤١ رقم ٣٧٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧.

(٤) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٥٨.

(٥) كنز العمال ١٣/ ٦٧٧.

(٦) تهذيب التهذيب ٥/ ٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٧

هذا بغض النظر عن قوادحه، وعن الكلام في رجال السند، إذ الراوى عنه فيه:

زكريا بن أبي زائدة، وقد نصوا على أنه كان يدلس عن الشعبي ما لم يسمع منه «١».

والحديث عن (ابن أبي مليكة)

رواه المتقى «٢» وهو مرسل، كما هو واضح.

والحديث عن (رجل من أهل مكة)

رواه أحمد بلفظ: «عن أبي حنظلة أنه أخبره رجل من أهل مكة». ورواه الحاكم بلفظ: «عن أبي حنظلة رجل من أهل مكة». ولا يخفى وهنه.

الكلام على حديث مسور:

وهو الخبر الذي اتفقوا على نقله، والذي لم يخرج الشيخان سواء، وإذا ما راجعنا أسانيدهم وجدناها تنتهي إلى:

١- علي بن الحسين، وهو الإمام زين العابدين عليه السلام.

٢- عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة.

والراوى عن الإمام زين العابدين ليس إلّا: محمد بن شهاب الزهرى.

والراوى عن ابن أبي مليكة: الليث بن سعد وأيوب بن أبي تميمة السختياني.

ثم إن البخاري ومسلماً وغيرهما يروونه عن: أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهرى. وعن: الوليد بن كثير، عن محمد بن عمر بن حلحلة،

عن الزهري.

ويرويه مسلم عن: النعمان، عن الزهري.

وقبل أن نتكلم في (الزهري) و (ابن أبي مليكة) و (المسور) نفسه، لابد من إشارة عابرة إلى حال بعض هؤلاء، فنقول:
(أبو اليمان) هو (الحكم بن نافع) و (شعيب) هو (شعيب بن حمزة) كاتب

(١) تهذيب التهذيب ٣ / ٢٨٥.

(٢) كنز العمال ١٣ / ٦٧٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٨

(الزهري) وروايته، وقد تكلم العلماء في رواية أبي اليمان عن شعيب، حتى قال بعضهم: لم يسمع منه ولا كلمة «١». وهما من أهل حمص، وقد كانوا حينذاك من أشد الناس على علي وأكثرهم عداوة له «٢». وكان (الوليد بن كثير) أباضياً «٣».

و (النعمان) وهو (النعمان بن راشد الجزري): ضعفه القطان جداً، وقال أحمد:

مضطرب الحديث، وقال ابن معين: ضعيف، وقال البخاري وأبو حاتم: في حديثه وهم كثير، وقال ابن أبي حاتم: أدخله البخاري في الضعفاء، وقال أبو داود: ضعيف، وكذا قال النسائي والعقيلي «٤».

ثم إن (ابن أبي مليكة) كان قاضي عبد الله بن الزبير، ومؤذنه «٥».

وإن (الزهري) من أشهر المنحرفين عن أمير المؤمنين كذلك، فقد كان هو وعروة بن الزبير يجلسان في المسجد النبوي وينالان من الإمام عليه السلام «٦». ومما يشهد بذلك:

أولاً: روايته عن يزيد بن معاوية «٧».

وثانياً: سعيه وراء إنكار خصائص أمير المؤمنين، قال ابن عبد البر: «وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبد الرزاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري» «٨».

(١)

تهذيب التهذيب ٢ / ٣٨٠.

(٢) معجم البلدان ٢ / ٣٠٤.

(٣) تهذيب التهذيب ١١ / ١٣١.

(٤) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠٤.

(٥) تهذيب التهذيب ٥ / ٢٨٦.

(٦) شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٢.

(٧) الكاشف عن رجال الكتب الستة ٢ / ٣١١.

(٨) الاستيعاب ٢ / ٥٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٠٩

وثالثاً: وضعه الحديث عن لسان أهل البيت في الواقعة والشغب بينهم، من ذلك ما وضعه على لسان ابني محمد بن الحنفية، عن أمير المؤمنين أنه قال لابن عباس، وقد بلغه أنه يقول بالمتعة: «إنك رجل تائه، إن رسول الله نهى عنها يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر

الإنسية». هذا الحديث الذي حكم بطلانه كبار أئمة القوم، كاليهقي، وابن عبد البر، والسهيلي، وابن القيم، والقسطلاني، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

ورابعاً: كونه من عمال بني أمية ومشيدى سلطانهم، فقد ذكر الذهبي عن بعض الأئمة أنهم وصفوه بأنه كان شرطياً لبني أمية «١». وذكروا بترجمة الأعمش عن ابن معين أنه قال: «تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهري؟ الزهري يرى العرض والإجازة ويعمل لبني أمية، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان، ورع، عالم بالقرآن» «٢...»

بل جاء بترجمة الزهري في (رجال المشكاة) للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي: «إنه قد ابتلى بصحبة الأمراء بقله الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرهم، فيقولون: ألا ترى ما هم فيه وتسكت؟».

وقد خاطبه الإمام زين العابدين عليه السلام في كتاب له إليه يعظه فيه ويذكره الله والدار الآخرة، ويتبته على الآثار السيئة المترتبة على كونه في قصور السلاطين وقد جاء فيه: «إن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آنت وحشة الظالم، وسهلت له طريق الغي... جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم... إحذر فقد نبتت، وبادر فقد أجلت... أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة.. فأعرض عن كل ما أنت فيه.. ما لك

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٦، ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١١٠

لا تنتبه من نعستك؟ ولا تستقيل من عثرتك؟» «... ١».

أقول: فإذا كان هذا حال الزهري، وهذا موقف الإمام عليه السلام مما هو فيه، كيف تصدق أن يكون قد حدثه بهكذا حديث وفيه تنقيص على جدّه الرسول الأمين وأمه الزهراء، وأبيه أمير المؤمنين؟

وأما (المسور) فقد كانت أمارات النصب والعداء لأمر المؤمنين مجتمعاً فيه:

١- كان مع ابن الزبير، وكان ابن الزبير لا يقطع أمراً دونّه، وقد قتل في واقعة رمى الكعبة بالمنجنيق، بعد أن قاتل دون عبد الله، وولى ابن الزبير غسله.

٢- وكانت الخوارج تغشاه ويتحلونه.

٣- وكان إذا ذكر معاوية صلى عليه «٢».

هذا، وقد ذكروا أنه قد ولد بعد الهجرة بستين، فكم كانت سنّ عمره في وقت خطبة النبي صلى الله عليه وآله في القضية؟
الجهة الثانية: متن الخبر:

وفي متنه عن المسور في الكتابين المعروفين بالصحيحين إشكالات، ذكرها الشراح واضطربت كلماتهم وتناقضت في الإجابة عليها: أحدها: في قول (مسور): «وأنا يومئذ محتلم».

والثاني: في مناسبة هذه الحكاية لطلب السيف من الإمام السجاد؟

والثالث: في أنه لما طلب السيف من الإمام، ذكر له أنه سيذلل نفسه دون السيف رعاية لخاطره، مع أنه لم يراع خاطره في أنه حدثه بما فيه غضاضة عليه وعلى جدّه!

(١) جاء النص الكامل لهذا الكتاب في كتاب: تحف العقول عن آل الرسول: ٢٧٤-٢٧٧ لابن شعبة أحد قدماء الإمامية، وفي إحياء

العلوم للغزالي ١٤٣ / ٢ لكنه قال: «لما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه»!

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩١، تهذيب التهذيب ١٠ / ٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١١١

قال ابن حجر بشرح البخاري: «في رواية الزهري، عن علي بن حسين، عن المسور - الماضي في فرض الخمس -: يخطب الناس على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم.

قال ابن سيد الناس: هذا غلط ... والمسور لم يحتلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله، لأنه ولد بعد ابن الزبير، فيكون عمره عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله ثمان سنين» (١).

وقال في ترجمة المسور بعد ذكر الحديث: «وهو مشكل المأخذ، لأن المؤرخين لم يختلفوا أن مولده كان بعد الهجرة، وقصة خطبة علي كانت بعد مولد المسور بنحو ست سنين أو سبع سنين، فيكف يسمى محتلماً» (٢).

هذا بالنسبة إلى الإشكال الأول.

وبالنسبة إلى الثاني، قال الكرمانى: «فإن قلت: ما وجه مناسبة هذه الحكاية لطلب السيف؟ قلت: لعل غرضه منه أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحترز مما يوجب الكدورة بين الأقرباء، وكذلك أنت أيضاً ينبغي أن تحترز منه، وتعطيني هذا السيف حتى لا يتجدد بسببه كدورة أخرى.

أو: كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله يراعى جانب بنى أعمامه العبشمية، أنت راع جانب بنى أعمامك النوفلية، لأن المسور نوفلى.

أو: كما أنه صلى الله عليه وآله يحب رفاهية خاطر فاطمة، أنا أيضاً أحب رفاهية خاطر ك فأعطينه حتى أحفظه لك» (٣).

وأورد ابن حجر العسقلاني هذه الوجوه، بعد أن أشكل على الثاني منها بأن المسور زهري لا نوفلى، قال: «وهذا الأخير هو المعتمد، وما قبله ظاهر التكلف» (٤).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ٢٦٩.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ١٣٨.

(٣) الكواكب الدراري ١٣ / ٨٨.

(٤) فتح الباري ٦ / ١٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١١٢

لكن العيني لم يرض بهذا الوجه المعتمد! فقال: «إنما ذكر المسور قصة خطبة علي بنت أبي جهل ليعلم على بن الحسين زين العابدين بمحبته في فاطمة وفي نسلها، لما سمع من رسول الله» (١).

لكنه كلام بارد جداً، لأنه لا يجب عن السؤال عن وجه المناسبة ولا يرفع الإشكال بعد وجودها، فالإمام عليه السلام كان قادماً من العراق، مع تلك النسوة والأطفال، وبعد تلك الحوادث الرهيبة، وهل كان خاطره في رفاهية إلا من طرف السيف، فأراد المسور رفاهية خاطره من هذه الناحية أيضاً؟

وبالنسبة إلى الإشكال الثالث، قال ابن حجر في آخر كلامه السابق:

«وسأذكر إشكالاتاً يتعلّق بذلك في كتاب المناقب» فقال في كتاب المناقب:

«ولا أزال أتعجب من المسور كيف بالغ في تعصّبه لعلي بن الحسين حتى قال:

إنه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحداً منه حتى تزهق روحه، رعاية لكونه ابن ابن فاطمة، ولم يراع خاطره في أن في ظاهر سياق

الحديث غضاضة على علي بن الحسين، لما فيه من إيهام غرض من جدّه علي بن أبي طالب، حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة، حتى اقتضى أن يقع من النبي صلى الله عليه وآله في ذلك من الإنكار ما وقع؟ بل أتعجب من المسور تعجباً آخر أبلغ من ذلك وهو: أن يبذل نفسه دون السيف رعيةً لخاطر ولد ابن فاطمة، وما بذل نفسه دون ابن فاطمة نفسه - أعني: الحسين، والد علي الذي وقعت معه القصة - حتى قتل بأيدي ظلمة الولاة؟» (٢).

الجهة الثالثة: مدلول الخبر:

ثم إنه - بغض النظر عن التعارضات الموجودة في روايات القصة - لا بدّ من النظر

(١) عمدة القارى ٣٤ / ١٥.

(٢) فتح البارى ٩ / ٢٦٨ - ٢٦٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١١٣

فيها من الناحية الفقهية، والناحية الأخلاقية، لننظر: ما صنع على عليه السلام، وما فعلت فاطمة عليها السلام، وأى شيء صدر من النبي صلى الله عليه وآله حسب هذه الروايات؟

تقول الروايات: إن علياً خطب بنت أبي جهل. فأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، هذا على ناكح بنت أبي جهل، ورسول الله صعد المنبر وخطب الناس، وقد اشتمل كلامه على:

١- الثناء على صهر له من بنى عبد شمس.

٢- الخوف من أن تفتن فاطمة في دينها!

٣- إنه ليس يحرم حلالاً ولا يحل حراماً... ولكن لا يأذن!

٤- لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله. وفي لفظ: ليس لأحد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة رسول الله. وفي ثالث: لم يكن ذلك له...

٥- إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنته وينكح ابنتهم. وفي لفظ: إن كنت تزوجتها فردّ علينا ابنتنا...

٦- فاطمة بضعة مني...

أترى من الجائر وقوع هذه الأمور؟

لقد حار الشراح القائلون بصحة هذه الأخبار، لكونها في الصّحاح!

يقولون: إن علياً لم يأخذ إلا بعموم الجواز، والنبي صلى الله عليه وآله ليس يحرم حلالاً، وليس يعتبر الإذن من أبي الزوجة في تزوج الصهر بأخرى، كما ليس له حمله على طلاق زوجته إن تزوج عليها.. ومع ذلك يقول صلى الله عليه وآله: لا آذن، لا آذن، لا آذن...!!

إن هذه الأخبار إلّا أكاذيب، وإلّا فما الجواب؟

يقولون: إن فاطمة أخذتها الغيرة، والنبي أخذته الغيرة لابنته! وهذه افتراءات واضحة!

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١١٤

ولو سلّمنا.. فلماذا صعد المنبر وأعلن القصة وشهر؟

يقول ابن حجر: «وإنما خطب النبي ليشيع الحكم المذكور بين الناس ويأخذوا به، إما على سبيل الإيجاب وإما على سبيل الأولوية» (١).

وتبعه العيني (٢).

والمراد بالحكم: حكم الجمع بين بنت رسول الله وبنت عدو الله.

لكن ألفاظ الحديث مختلفة، ففي لفظ: «لا تجتمع» وفي آخر: «ليس لأحد» وفي ثالث: «لم يكن له ذلك».. ومن هنا اختلف العلماء في هذا الحكم:

قال النووي: «في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي صَلَّى الله عليه وآله بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي. وهذا بخلاف غيره.

قالوا: وقد أعلم صَلَّى الله عليه وآله بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلها يهلك من آذاه، فنهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين.

إحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي صَلَّى الله عليه وآله فيهلك من آذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقتة على علي وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة.

وقيل: ليس المراد به النهي عن جمعهما، بل معناه: أعلم من فضل الله أنهما لا يجتمعان، كما قال أنس بن النضر: والله لا تكسر ثنية الربيع.

ويحتمل: أن المراد بتحريم جمعهما، ويكون معنى: لا أحرم حلالاً. أي: لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه، وإذا حرّمه لم أحلّه ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت

(١) فتح الباري ٧/ ٦٨.

(٢) عمدة القاري ١٦/ ٢٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١١٥

عدو الله وبنت نبي الله «١».

وقال العيني: «نهى عن الجمع بينها وبين فاطمة ابنته لعلتين منصوصتين»... فذكر ما تقدّم كذلك.

أقول: وهل قوله: «إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق»... لا ينافي كمال شفقتة على علي وفاطمة؟

فاضطرّ ابن حجر إلى أن يقول بشرحه: «هذا محمول على أن بعض من يبغض علياً وشي به أنه مصمّ على ذلك، وإلا فلا يظنّ به أن يستمرّ على الخطبة بعد أن استشار النبي صَلَّى الله عليه وآله فمنعه. وسياق سويد بن غفلة يدلّ على أن ذلك وقع قبل أن تعلم به فاطمة، فكانه لما قيل لها ذلك وشكت إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله بعد أن أعلمه على أنه ترك، أنكر عليه ذلك.

وزاد في رواية الزهري: وإنني لست أحرم حلالاً ولا أحلل حراماً، ولكن والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبداً. وفي رواية مسلم: مكاناً واحداً أبداً. وفي رواية شعيب: عند رجل واحد أبداً.

قال ابن التين: أصح ما تحمل عليه هذه القصة: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله حرّم على علي أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبي جهل، لأنه علل بأن ذلك يؤذيه، وأذيته حرام بالاتفاق. ومعنى قوله: لا أحرم حلالاً. أي: هي له حلال لو لم تكن عنده فاطمة، وأمّا الجمع بينهما، الذي لا يستلزم تأذي النبي صَلَّى الله عليه وآله لتأذي فاطمة به، فلا.

وزعم غيره: إن السياق يشعر بأن ذلك مباح لعلّ، لكنه منعه النبي صَلَّى الله عليه وآله رعاية لخاطر فاطمة، وقبل هو ذلك امتثالاً لأمر النبي صَلَّى الله عليه وآله.

والذي يظهر لي: إنه لا يبعد أن يعدّ في خصائص النبي صَلَّى الله عليه وآله أن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١١٦

لا يترَوَّج على بناته. ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بفاطمة عليها السلام» (١).
أقول:

أنظر إلى الاضطراب في كلماتهم، ومحاولتهم تصحيح معنى الحديث ومدلوله ب (لعل) و (يحتمل) و (يحمل) ونحوها.
لكن إمامهم الأكبر البخاري صاحب الصحيح! لم يرض شيئاً من هذه الوجوه، فجعل كلام النبي صَلَّى الله عليه وآله خلعاً، ولذا أورده في باب الشقاق من كتاب الطلاق!! فردّ عليه القوم بما يبطله بشدة:
قال العيني: «قال ابن التين: ليس في الحديث دلالة على ما ترجم. أراد أنه لا- مطابقة بين الحديث والترجمة. وعن المهلب: حاول البخاري بإيراده أن يجعل قول النبي صَلَّى الله عليه وآله: (فلا آذن) خلعاً، ولا يقوى ذلك، لأنه قال في الخبر: (إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي) فدلّ على الطلاق، فإن أراد أن يستدلّ بالطلاق على الخلع فهو ضعيف.
وقيل في بيان المطابقة بين الحديث والترجمة: يمكن أن تؤخذ من كونه صَلَّى الله عليه وآله أشار بقوله: (فلا آذن) إلى أن علياً رضي الله تعالى عنه يترك الخطبة، فإذا ساغ جواز الإشارة بعدم النكاح التحق به جواز الإشارة بقطع النكاح. انتهى.
وأحسن من هذا وأوجه ما قاله الكرمانى بقوله: «أورد هذا الحديث هنا، لأن فاطمة رضي الله تعالى عنها ما كانت ترضى بذلك، وكان الشقاق بينها وبين علي رضي الله تعالى عنه متوقعاً، فأراد صَلَّى الله عليه وآله دفع وقوعه. انتهى.
وقيل: يحتمل أن يكون وجه المطابقة من باقى الحديث وهو: (إلا أن يريد علي أن يطلق ابنتي) فيكون من باب الإشارة بالخلع. وفيه تأمل» (٢).

(١) فتح الباري ٩/ ٢٧٠.

(٢) عمدة القارى في شرح البخارى ٢٠/ ٢٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١١٧

وقال القسطلاني: «استشكل وجه المطابقة بين الحديث والترجمة، وأجاب في الكواكب فأجاد: بأن كون فاطمة ما كانت ترضى بذلك، فكان الشقاق بينها وبين علي متوقعاً، فأراد النبي صَلَّى الله عليه وآله دفع وقوعه بمنع علي من ذلك بطريق الإيماء والإشارة.
وقيل غير ذلك ممّا فيه تكلف وتعسف» (١).

أقول: وهذا الوجه الذى استجوده القسطلاني من أردأ الوجوه، لأن ما كان من النبي صَلَّى الله عليه وآله لم يكن بطريق الإيماء والإشارة، بل كان بالخطبة والتنقيص والتهديد. والحاصل: إن الوجه الذى استظهره البخارى باطل جداً، والوجه الذى ذكرها القوم أيضاً كلّها ساقطة.

وتلخص: أن هذا الحديث باطل سنداً ومتناً ومدلولاً.. وإن القصّة إنما وضعها قوم نواصب، فجاء من بعدهم علماء الحديث عندهم، وحاولوا إصلاح الفاسد بأيّ وجه، لكنهم أخفقوا، وليتهم قالوا ببطلان القصّة وكذبها واعترفوا...
ثم جاء ابن تيمية وجعل هذا الحديث الكذب أساساً يبنى عليه تقولاته فى غير موضع من كتابه.

إعطاء أبى بكر المال لجابر بلا بينة ... ص: ١١٧

قال قدس سره: بعد ذلك جاء إليه مال البحرين وعنده جابر بن عبد الله الأنصارى، فقال له: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال لى: إذا أتى مال البحرين حثوث لك ثم حثوث لك - ثلاثاً، فقال له: تقدّم فخذ بعدتها. فأخذ من مال بيت المسلمين من غير بينة، بل لمجرد الدعوى.

الشرح:

وهذا الموضوع أيضاً من المواضع المشككة العديمة عن الجواب الصحيح.

(١) إرشاد السارى فى شرح البخارى ٨ / ١٥٢.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١١٨

أما الخبر، فقد أخرجه البخارى ومسلم فى غير موضع من كتابيهما، منها: فى كتاب الخمس، ومنها فى كتاب الكفالة، ومنها فى خلافة أبى بكر، كما ستعلم.

ورواه السيوطى قائلاً: «أخرجه الشيخان عن جابر» «... ١».

وقد أجاب ابن تيمية عن هذا الإشكال بقوله: «جابر لم يدع حقاً لغير ينتزع من ذلك الغير ويجعل له، وإنما طلب شيئاً من بيت المال يجوز للإمام أن يعطيه إياه ولو لم يعد به به النبى، فإذا وعد به كان أولى بالجواز، فلهذا لم يفتقر إلى بينة. ومثال هذا: أن يجئ شخص إلى عقار بيت المال فيدعيه لنفسه خاصة، فليس للإمام أن ينزعه من بيت المال ويدفعه إليه بلا حجة شرعية، وآخر يطلب شيئاً من المال المنقول الذى يجب قسمه على المسلمين من مال بيت المال، فهذا يجوز أن يعطى بغير بينة. ألا ترى أن صدقة رسول الله الموقوفة وصدقة غيره على المسلمين لا يجوز لأحد تملك أصلها. ويجوز أن يعطى من ريعها ما ينتفع به. فالمال الذى أعطى منه جابر هو المال الذى يقسم بين المسلمين، بخلاف أصول المال ... والإمام إذا أعطى أحداً من مال الفئ ونحوه من مال المسلمين لا يقال إنه أعطاه مال المسلمين من غير بينة، لأن القسم بين المسلمين وإعطاءهم لا يفتقر إلى بينة، بخلاف من يدعى أن أصل المال له دون المسلمين. نعم الإمام يقسم المال باجتهاده فى التقدير» «٢».

أقول:

قبل الورود فى البحث:

أولاً: لم يتمكن الرجل من تكذيب الحديث كما هو ديدنه، لكونه من أحاديث كتابى البخارى ومسلم.

وثانياً: ذكره جواز إعطاء الإمام ومنعه، وأنه يعطى باجتهاده ... وغير ذلك من

(١) تاريخ الخلفاء: ٧٩.

(٢) منهاج السنة ٤ / ٢٦١ - ٢٦٣.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١١٩

الأحكام ... خروج عن محل الكلام، كما لا يخفى على أولى الأفهام.

وثالثاً: تفريقه بين طلب أصل المال وطلب منافعه، بلا وجه فى محل الكلام.

ثم أقول: إنه لو تنزلنا عن أن عصمة الزهراء عليها السلام توجب قبول قولها بلا شاهد، ولو تنزلنا عن أنها صاحبة اليد وليس عليها إقامة البينة، ولو تنزلنا عن كفاية شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وحده، فكيف إذا انضم إليها شهادة غيره، لأن الله سبحانه قبل شهادته حيث قال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» «١»

والمراد بالشاهد هو على عليه السلام، كما روى السيوطى بتفسير الآية:

«أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم فى المعرفة عن على بن أبى طالب قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟

قال: أما تقرأ سورة هود: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»؟ رسول الله على بينة من ربه وأنا شاهد منه.

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي في الآية قال: رسول الله صلى الله عليه وآله علي بينه من ربه وأنا شاهد منه. وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي قال: قال رسول الله: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ» أنا، «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» علي «٢». وكما قبل الله ورسوله شهادة خزيمة وحده في قضية معروفة، فسمى لذلك بذى الشهادتين «٣». لو تنزلنا عن ذلك وأمثاله.. فإن الدليل الذي أقاموه لقبول أبي بكر دعوى جابر بن عبد الله الأنصاري بلا بينة، هو هو نفسه يقتضى قبول دعوى فاطمة الزهراء الصديقة،

(١) سورة هود: ١٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣/ ٣٢٤.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ١٦٦ - ١٦٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٠
بضعه الرسول الأكرم، حتى لو لم يشهد لها أحد أصلاً..
قال الكرمانى بشرح البخارى نقلاً عن الطحاوى: «وأما تصديق أبى بكر جابراً فى دعواه، فلقوله: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فهو وعيد، ولا يظن بأن مثله يقدم عليه» «١».
وقال ابن حجر بشرحه: «وفيه قبول خبر الواحد العدل من الصّحابة، ولو جرّ ذلك نفعاً لنفسه، لأن أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهداً على صحته دعواه» «٢».

وقال العيني بعد نقل كلام ابن حجر: «قلت: إنما لم يلتمس شاهداً منه، لأنه عدل بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا». فمثل جابر إن لم يكن من خير أمة فمن يكون؟ وأما السنة فقوله: «من كذب على متعمداً. الحديث. ولا يظن ذلك بمسلم فضلاً عن صحابى. فلو وقعت هذه المسألة اليوم فلا تقبل إلا بينة» «٣».

فنقول: مثل الزهراء عليها السلام إن لم تكن من خير أمة فمن يكون؟
وأن الكذب لا يظن بمسلم فضلاً عن صحابى فكيف بالزهراء عليها السلام؟
فهذا وجه استدلال الإمامية فى هذا المقام بقصة جابر، فهل يصلح ما ذكره ابن تيمية جواباً عنه؟

تسمية أبى بكر بالصديق ... ص: ١٢٠

قال قدس سره: وقد روت الجماعة كلهم أن النبى قال فى حق أبى ذر: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر»، ولم يسموه

(١) الكواكب الدرارى - شرح صحيح البخارى ١٠/ ١٢٥.

(٢) فتح البارى - شرح صحيح البخارى ٤/ ٣٨٩.

(٣) عمدة القارى - شرح صحيح البخارى ١٢/ ١٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢١
صديقاً وسموا أبا بكر بذلك، مع أنه لم يرو مثل ذلك فى حقه!
الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا الحديث لم يروه الجماعة كلهم، ولا هو فى الصحيحين، ولا هو فى السنن، بل هو مروى فى الجملة. وبتقدير صحته

وثبوته، فمن المعلوم أن هذا الحديث لم يرد به أن أبا ذر أصدق من جميع الخلق، فإن هذا يلزم منه أن يكون أصدق من النبي ومن سائر النبيين ومن علي بن أبي طالب، وهذا خلاف إجماع المسلمين كلهم من السنة والشيعة.

فعلم أن هذه الكلمة معناها: أن أبا ذر صادق، ليس غيره أكثر تحريماً للصديق منه، ولا يلزم إذا كان بمنزلة غيره في تحري الصدق أن يكون بمنزلة في كثرة الصديق والتصديق بالحق وفي عظم الحق الذي صدق فيه وصدق به، وذلك أنه يقال: فلان صادق للهجة إذا تحرى الصدق، وإن كان قليل العلم بما حدث به الأنبياء.

والنبي لم يقل: ما أقلت الغبراء أعظم تصديقاً من أبي ذر، بل قال: أصدق لهجة، والمدح للصديق الذي صدق الأنبياء ليس بمجرد كونه صادقاً بل في كونه مصدقاً للأنبياء، وتصديقه للنبي هو صدق خاص، فالمدح بهذا التصديق الذي هو صدق خاص نوع، والمدح بنفس كونه صادقاً نوع آخر، فكل صديق صادق وليس كل صادق صديقاً.

فالصديق قد يراد به الكامل في الصدق، وقد يراد به الكامل في التصديق، والصديق ليس فضيلته في مجرد تحري الصدق، بل في أنه علم ما أخبر به النبي جملة وتفصيلاً، وصدق ذلك تصديقاً كاملاً في العلم والقصد والقول والعمل، وهذا القدر لم يحصل لأبي ذر ولا لغيره.

فإن أبا ذر لم يعلم ما أخبر النبي كما علمه أبو بكر، ولا حصل له من التصديق المفصل كما حصل لأبي بكر، ولا حصل عنده من كمال التصديق معرفة ولا حال كما

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٢

حصل لأبي بكر، فإن أبا بكر أعرف منه وأعظم حباً لله ورسوله منه وأعظم نصراً لله ورسوله منه، وأعظم جهاداً بنفسه وماله منه، إلى غير ذلك من الصفات التي هي كمال الصديقية.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: صعد رسول الله أحداً معه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: أسكن أحد، وضرب برجله وقال: ليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان.

وفي الترمذي وغيره عن عائشة قالت: يا رسول الله: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف؟ قال: لا يا ابنه الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه» (١).

أقول:

أولاً: قوله: هذا الحديث لم يروه الجماعة، ولا هو في الصحيحين ولا هو في السنن. يكذبه أنه قد أخرجه من أصحاب السنن:

الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر. قال: وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي ذر. قال: وهذا حديث حسن».

وبسنده عن أبي ذر: «قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة، أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم عليه السلام. فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله أفنعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفوه له. قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» (٢).

(١) منهاج السنة ٢٦٤ / ٤ - ٢٦٨.

(٢) سنن الترمذي ٣٣٤ / ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٣

وابن ماجه، بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر» (١).

وأخرجه أصحاب المسانيد، كأحمد حيث روى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر» (٢). وهو في المستدرک من حديث أبي ذر، وعبد الله بن عمرو، وأبي الدرداء، قال: «هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه». وأقره الذهبي على التصحيح كما ذكره (٣). ومن رواه أيضاً: ابن سعد، والبعوى، وابن عبد البر، والهيثمي، وابن حجر العسقلاني وغيرهم. وثانياً: قوله: «لم يرد به أن أبا ذر أصدق من جميع الخلق، فإن هذا يلزم منه ... وهذا خلاف إجماع المسلمين..». فيقال في جوابه: نلتزم بكون معناه ذلك ونرفع اليد بقدر الإجماع، وأى مانع من ذلك؟ وثالثاً: قوله: «التصديق قد يراد به الكامل في الصدق، وقد يراد به الكامل في التصديق». اعتراف بصحة تسمية الكامل في الصدق (صدّيقاً). فلو كان المراد من الحديث هو (الكامل في الصدق) دون (الكامل في التصديق)، فلماذا لم يسموا أبا ذر ب (الصدّيق) بالإعتبار الأوّل؟ وهذا هو الإشكال.

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٥٥.

(٢) مسند أحمد ٢/ ١٦٣.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣/ ٣٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٤

ورابعاً: قوله: «فإن أبا ذر لم يعلم...»

توجيه لتسميتهم أبا بكر ب (الصدّيق) من عند أنفسهم، وإقرار بما ذكره العلامة رحمه الله من أنهم لم يسموا أبا ذر بهذا اللقب، مع ورود الحديث الصحيح به، وأنهم سموا أبا بكر به من عند أنفسهم.

وأما الحديثان اللذان ذكرهما ابن تيمية، فليسا - على فرض صحتهما عندهم - حجة علينا، مع أن الوارد في حق أبي ذر متفق عليه. لكن راوى الأوّل للبخارى هو (محمد بن بشار) وقد كذبه الفلاس، وتكلّم فيه غير واحد كما ذكر الذهبي (١) وابن حجر العسقلاني (٢).

وهو عن (قتادة عن أنس).

فأما (قتادة)، فقد تكلم فيه غير واحد وقالوا: كان يدلّس (٣).

وأما (أنس) فانحرفه عن على، وكذبه في أكثر من مورد معروف.

والحديث الثاني عن عائشة، وهي متهمّة في مثل هذه الموارد، وانحرفها عن على معروف كذلك.

على أن الراوى عنها: (عبد الرحمن بن سعيد بن وهب) لم يدر كها، كما نصّ الحفاظ (٤) فالرواية مرسلّة. أقول:

إن أخبار القوم المشتملة على وصف أبي بكر ب (الصدّيق) كثيرة، لكنها كلّها مكذوبة موضوعه، حتى اضطرّوا إلى درجها في أمثال (الموضوعات) و (اللاكي)

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٠.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٤٣٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٨٥، مقدمة فتح الباري: ٤٣٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٥

المصنوعة)، ومنها ما ذكره الذهبي وكذب به في (ميزان الاعتدال) وتبعه ابن حجر في (لسان الميزان). وقد وضعت تلك الأخبار في مقابلة الأحاديث الصحيحة المعتبرة من طرق القوم، في وصف أمير المؤمنين عليه السلام ب (الصديق) و (الصديق الأكبر).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترى». أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو بسند صحيح في سنن ابن ماجه والخصائص للنسائي «١». ورواه الطبري وابن الأثير وابن كثير في تواريخهم في ترجمة الإمام عليه السلام، وهو في تهذيب الكمال وتاريخ ابن عساكر، وله مصادر أخرى كثيرة.

تسمية أبي بكر (خليفة ...) ص: ١٢٥

قال قدس سره: وسمّوه خليفة رسول الله مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلفه في حياته ولا بعد وفاته عندهم! ولم يُسمّوا أمير المؤمنين عليه السلام خليفة رسول الله مع أنه استخلفه في عدّة مواطن، منها أنه استخلفه على المدينة في غزاة تبوك وقال له: «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك». أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». الشرح:

أجاب عنه ابن تيمية بقوله: «إن الخليفة إمّا أن يكون معناه: الذي يخلف غيره وإن كان لم يستخلفه، كما هو المعروف في اللغة، وهو قول الجمهور. وإمّا أن يكون معناه:

(١) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١١٢، سنن ابن ماجه ١/ ٤٤، خصائص على: ٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٦

من يستخلف غيره، كما قاله طائفة من أهل الظاهر والشيعة ونحوهم.

فإن كان الأول فأبو بكر خليفة رسول الله، لأنه خلفه بعد موته، ولم يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحد بعد موته إلا أبو بكر، فكان هو الخليفة دون غيره...

وأما إن قيل: إن الخليفة من استخلفه غيره كما قاله بعض أهل السنة وبعض الشيعة. فمن قاله من أهل السنة يقول: إن النبي استخلف أبا بكر إمّا بالنصّ الجلي كما قال بعضهم، وإمّا بالنصّ الخفي.. وعلى هذا التقدير فلم يستخلف بعد موته أحداً إلا أبا بكر. فلهذا كان هو الخليفة، فإن الخليفة المطلق هو من خلفه بعد موته أو استخلفه بعد موته. وهذان الوصفان لم يثبتا إلا لأبي بكر. فلهذا كان هو الخليفة. وأما استخلافه لعلي على المدينة فذلك ليس من خصائصه.. «١».

أقول:

إن (الخلافه) منصب إلهي كالنبوة، فكما لا يراد من (رسول الله) من ادّعى الرسالة أو من قال الناس برسالته، بل المراد من انتجبه الله لرسالته، كذلك لا يراد من (خليفة رسول الله) من ادّعى الخلافة أو من قال الناس بخلافته، بل المراد من استخلفه الرسول.

فهل استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر حتى يسمّى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

أمّا في حياته، فلم يدّعه أحد أبداً، وأمّا بعد وفاته، فقد نصّوا على عدمه.

وقد رووا عن أمير المؤمنين عليه السلام التصريح بعدمه.

وكذا عن عمر. فقد أخرج الشيخان عنه أنه قال حين طعن: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني، يعني رسول الله».

(١) منهاج السنة ٢٦٩ / ٤ - ٢٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٢٧

وكذلك رووا عن عائشة، فقد سئلت: «من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر».

قال النووي بشرحه: «فيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي على خلافته صريحاً، بل اجتمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولاً، ولذا ذكر حافظ النص ما معه، ولرجعوا إليه، لكن تنازعوا أولاً ولم يكن هناك نص، ثم اتفقوا على أبي بكر» (١).

ولذا قال ابن حجر المكي: «قال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج: لم ينص على أحد» (٢).

وكذا قال غيره من الأعلام، كصاحب المواقف، وصاحب المقاصد (٣) وغيرهما.

إذن، لا نص ولا قائل به من أهل السنة... فما ذكره ابن تيمية كذب، وتبين أن تسمية القوم أبا بكر ب (خليفة رسول الله) باطل. وسنتعرض لكلام غير ابن تيمية فيما سيأتي.

أمّا النصوص التي يتمسك بها الإمامية لخلافة علي عليه السلام، ومنها ما قاله صلى الله عليه وآله له بعد ما استخلفه على المدينة، فسند كرها في محلها.

وبما أشرنا إليه، من القول والاستخلاف معاً عند خروجه إلى تبوك، يظهر أن ذلك من خصائص علي عليه السلام، إذ لم يكن مجرد استخلاف كما كان لابن أم مكتوم وغيره فيما رووا، فلا تجوز المعارضة بتلك الاستخلافات، فلا تغفل.

ومن الكذب: تكذيبه الحديث بقوله: «وأما قوله: إنه قال: إن المدينة لا تصلح إلا

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١٥ / ١٥٤.

(٢) الصواعق المحرقة ١ / ٦٩ الفصل الرابع من الباب الأول.

(٣) شرح المواقف ٨ / ٣٥٤، شرح المقاصد ٢ / ٢٨٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٢٨

بي أو بك. فهذا كذب على النبي، لا يعرف في كتب الحديث المعتمدة».

فإن هذه الفقرة موجودة في سياق حديث: «أما ترضى أن تكون»... في رواية جماعة من أكابر حفاظ القوم في كتب الحديث المعتمدة. منهم الحاكم في (المستدرک) (١) والبزار في (مسنده) والعاقولي في (فوائد) (٢) وابن مردويه، وآخرون.. وقد صححه الحاكم أيضاً.

وفي رواية أخرجه ابن سعد وعنه ابن حجر في شرح البخاري وغيرهما أنه قال له: «لا بد من أن أقيم أو تقيم» (٣).

كان أبو بكر في جيش أسامة ... ص: ١٢٨

قال قدس سره: وأمر أسامة على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر، ومات ولم يعزله، ولم يسموه خليفة! ولما تولى أبو بكر غضب

أسامة وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني عليك فمن استخلفك علي؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه، وكانا يسميانه مدّة حياتهما أميراً.

الشرح:

أمّا أنه صلى الله عليه وآله أمر أسامة على الجيش، ومات صلى الله عليه وآله ولم يعزله عن إمارته، فهذا من ضروريات تاريخ صدر الإسلام، فلم لم يسموا من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ومات وهو أمير (خليفة)؟
وأمّا كون أبي بكر وعمر في الجيش الذين أمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة، فقد أنكره ابن تيمية بقوله:

(١) المستدرک علی الصحيحین، کتاب التفسیر ٢/ ٣٣٧.

(٢) نفحات الأزهار ١٨/ ٢٦٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤، فتح الباری: ٧/ ٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٢٩

«وأمّا قوله: أنه أمر أسامة رضى الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر، فمن الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث، فإن أبا بكر لم يكن في ذلك الجيش، بل كان النبي قد استخلفه من حين مرض إلى أن مات، وأسامة قد روى أنه قد عقد له الراية قبل مرضه، ثم لما مرض أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس، فصلّي بهم إلى أن مات النبي. فلو قدر أنه أمر بالخروج مع أسامة قبل المرض لكان أمره له بالصّلاة تلك المدة - مع إذنه لأسامة أن يسافر في مرضه - موجبا نسخ إمره أسامة عنه، فكيف إذا لم يؤمر عليه أسامة بحال» (١).

أقول:

أمّا تكذيبه كون أبي بكر وعمر في الجيش، فإنه هو الكاذب، لأن ذلك ممّا أجمع عليه المحذّثون والمؤرخون وأرباب السير كما سيأتى فيما بعد، ويكفى هنا أن ننقل عبارة ابن حجر في شرح البخارى في إثبات ذلك، فإنه قال:

«كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بيومين ... فبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة لواء بيده، فأخذه أسامة فدفعه إلى بريده وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلّم في ذلك قوم ... ثم اشتدّ برسول الله وجعه فقال: أنفذوا بعث أسامة ... وقد روى ذلك عن: الواقدي وابن سعد وابن إسحاق وابن الجوزي وابن عساكر..» (٢).

وأمّا دعواه أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر بالصّلاة، فهذه دعوى تحتاج إلى إثبات. وسنبحث عن القضية في محلّها المناسب بالتفصيل التام إن شاء الله، بما لا يدع مجالاً للشك في كون هذه الدعوى كاذبة كسابقته.

(١) منهاج السنّة ٤/ ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) فتح الباری في شرح صحيح البخارى ٨/ ١١٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٠

تسمية عمر (الفاروق ...) ص: ١٣٠

إشارة

قال: وسَمُوا عمر الفاروق ولم يسمُوا علياً عليه السلام بذلك، مع أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال فيه: هذا فاروق أمتي، يفرق بين الحق والباطل. وقال ابن عمر: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلا ببغضهم علياً.

الشرح:

أجاب عنه ابن تيمية بقوله «١»:

أولاً: أما هذان الحديثان، فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي، ولم يرو واحد منهما في كتب العلم المعتمدة، ولا لواحد منهما إسناد معروف.

ويقال ثانياً: من احتج في مسألة فرعية بحديث، فلا بد له أن يسنده، فكيف في مسائل أصول الدين؟ وإلا فمجرد قول القائل: قال رسول الله، ليس حجة باتفاق أهل العلم، ولو كان حجة لكان كل حديث قال فيه واحد من أهل السنة قال رسول الله، حجة. ونحن نقنع في هذا الباب بأن يروى الحديث بإسناد معروف بالصدق من أي طائفة كانوا...

ويقال ثالثاً: من المعلوم لكل من له خبرة أن أهل الحديث من أعظم الناس بحثاً عن أقوال النبي ... فلو ثبت عندهم أن النبي قال لعلی هذا لم يكن أحد من الناس أولى منهم باتباع قوله...

ويقال رابعاً: كل من الحديثين يعلم بالدليل أنه كذب لا يجوز نسبته إلى النبي «٢».

(١) منهاج السنة ٢٨٦ / ٤.

(٢) منهاج السنة ٢٩٠ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣١

أقول:

وحاصل هذه الوجوه الأربعة تكذيب الحديثين، والمطالبة بمن رواه من أهل العلم بالحديث مسنداً من أي طائفة، وأن دالتهما على أولوية أمير المؤمنين عليه السلام تامة. والجواب:

من رواة الحديث الأول ... ص: ١٣١

لقد روى الحديث الأول جماعة كبيرة من المحدثين الأعلام من المتقدمين على الرجل والمتأخرين عنه، ونحن نذكر هنا أسماء بعض رواة الذين روه مسنداً:

فمنهم: ابن عساكر الدمشقي، فإنه رواه بترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تأريخ دمشق، بسنده عن أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول:

«ستكون بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني وأول من يضافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء الأعلى، وهو الفاروق بين الحق والباطل «١».

ورواه بسند آخر عن سلمان وأبي ذر ولفظه ...: «وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل «٢ ... ٢».

ومنهم: ابن عبد البر، فإنه رواه بسنده بترجمة أبي ليلى الغفاري «٣».

ومنهم: ابن الأثير، فإنه رواه بسنده كذلك «٤».

(١) تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٥٠.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢ / ٤١.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٧٤٤ / ٤.

(٤) اسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٨٧ / ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٢

ومنهم: نور الدين الهيثمي، رواه عن الطبراني والبخاري عن أبي ذر وسلمان «١».

ومنهم: نور الدين الحلي، رواه عن مسند البزار «٢».

وكل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم حافظ عصره وإمام وقته، الموثوق به والمعتمد عليه والمرجوع إليه، كما لا يخفى على من راجع تراجمهم في كتبهم.

من رواية الحديث الثاني ... ص: ١٣٢

وأما الحديث الثاني، فإن الوارد في كتبهم بمعناه لا يحصى كثرة، لكننا نذكر هنا بعض من رواه باللفظ المذكور فقط:
* فمن رواه عن أبي سعيد الخدري:

الترمذي «٣».

وأحمد بن حنبل «٤».

والخطيب البغدادي «٥».

وابن الأثير «٦».

والنووي «٧».

والسيوطي «٨».

(١) مجمع الزوائد ١٠١ / ٩.

(٢) السيرة الحلبية ٣٨٠ / ١.

(٣) صحيح الترمذي ٥٩٣ / ٥ رقم: ٣٧١٧.

(٤) فضائل الصحابة ٥٧٩ / ٢ رقم: ٩٧٩.

(٥) تاريخ بغداد ١٥٣ / ١٣.

(٦) جامع الأصول ٤٧٣ / ٩.

(٧) تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٨ / ١.

(٨) تاريخ الخلفاء: ١٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٣

* ومن رواه عن جابر بن عبد الله الأنصاري:

أحمد بن حنبل «١».

وابن عبد البر «٢».

والهيثمي، عن طريق الطبراني والبزار «٣».

وابن حجر المكي، عن أحمد والترمذي «٤»:

* ومن رواه عن أبي ذر:

الحاكم النيسابوري «٥» والمحب الطبري «٦».

والمتقي الهندي «٧».

فهذه طائفة من مصادر الحديثين، فلماذا لم يسمّوا عليّاً ب (الفاروق) وسمّوا عمر بهذا الاسم؟ والحال أنه لم يرد ذلك في حديث ولو من طرقهم وفي واحد من كتبهم.

ولا يخفى أن الرجل لم يتعرّض لهذه الناحية أصلاً، وكأنه قد أطنب في كلامه لئلا يطالب بدليل معتبر على تسميتهم عمر ب (الفاروق). بل قد ذكر الكاندهلوي عن عمر بن شبة أنه روى عن ابن شهاب أنه قال: «بلغنا أن أهل الكتاب أوّل من قال لعمر الفاروق. ولم يبلغنا أن رسول الله صلى

(١) فضائل الصحابة ٢/ ٦٣٩ رقم: ١٠٨٦.

(٢) الإستهباب ٣/ ١١١٠.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٢.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٧٢.

(٥) المستدرک على الصحيحين ٣/ ١٢٩.

(٦) الرياض النضرة ١/ ٢١٤.

(٧) منتخب كنز العمال - هامش المسند - ٥/ ٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٤

الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئاً، ولم يبلغنا أن ابن عمر قال ذلك» «١».

تعظيمهم عائشة وقضاياها مع النبي وعلى ... ص: ١٣٤

إشارة

قال قدس سره: وعظّموا أمر عائشة على باقي نسوانه مع أنه صلى الله عليه وآله كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها! فقال لها: والله ما يُدِلُّتُ بها من هو خير منها: صدّقني إذ كذّبنی الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها!

الشرح

هذا الخبر أخرجه بهذا اللفظ أو ما يقاربه ابن عبد البر، وابن حجر العسقلاني بترجمتها، وكذا غيرهما من الأعلام، وابن تيمية لم ينكره صراحة ولم يجب عنه في الظاهر، غير أنه قال:

إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من السنة، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام...

وفي الصحيح عن عمرو بن العاص قال: قلت: يا رسول الله، أي النساء أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: ومن الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال عمرو: سمى رجلاً «٢».

فتراه يعترف بما ذكره العلامة - لكن مع عزو ذلك إلى كثير من أهل السنة!! - ثم يحتج لهم بما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري وأنس بن مالك وعمرو بن

(١) حياة الصحابة ٢ / ٢٢ - ٢٣.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٣٠١ - ٣٠٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٥

العاص، وهم رؤوس الكذب والخيانة!!

إنه ينسب القول بذلك إلى كثير من أهل السنّة، ليردّ بذلك على العلّامة حيث نسبته إلى أهل السنّة عامّة - كما هو ظاهر عبارته - لكنه يحتج له بما رواه المبطلون عن رجال البغي والعدوان، ولا يذكر قولاً آخر من أهل السنّة، بل يجيب عن الحديث في فضل خديجة - مع التشكيك في سنده - وهذه عبارته:

«وهؤلاء يقولون: قوله لخديجة: ما أبدلني الله خيراً منها - إن صح - معناه: ما أبدلني خيراً لي منها. فإن خديجة نفعته في أوّل الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه، لكونها نفعته وقت الحاجة.

وعائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أوّل النبوة، فكانت أفضل لهذه الزيادة، فإن الأُمّة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسنّ ما لم تبلغه غيرها، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي صلّى الله عليه وسلّم، لم تبلغ عنه شيئاً ولم تنتفع بها الأُمّة كما انتفعوا بعائشة.. وفي الجملة: الكلام في تفضيل عائشة وخديجة ليس هذا موضع استقصائه» (١).

أقول:

وأوّل ما فيه: نسبة المعنى المذكور إلى النبي صلّى الله عليه وآله، وهو خلاف ظاهر الحديث، وهو وإن عزا الكلام إلى غيره لكن سكوته عنه قبول له، فكيف يجوز لأحد أن يشهد على رسول الله بما هو خلاف ظاهر كلامه؟ ثم إنه كلام باطل، إذ أنه يعترف بحصول نفع له من خديجة لم يحصل من غيرها، ثم يدّعي أن النفع الحاصل من عائشة للأُمّة أكثر، وهل يفرق المسلم بين النفع الحاصل (له) و (للأُمّة)؟

(١) منهاج السنّة ٤ / ٣٠٣ - ٣٠٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٦

ثم أي نفع حصل من عائشة للأُمّة لم يحصل من غيرها؟

وهل كان من غيرها من الأزواج ما كان منها من إثارة الفتن وإيقاع النفاق والشقاق بين الأُمّة.

ثم إن تشكيكه في صحة الحديث وتصحيحه لما رواه في فضل عائشة، دليل آخر على أن الكلام المذكور له - ولا أقلّ من كونه موافقاً عليه - لكنه ينسبه إلى غيره لكونه عالماً بطلانه، وأنه مخالفه صريحاً لكلام الرسول صلّى الله عليه وآله!

ثم إن الرجل بعد أن ذكر جملة من الأكاذيب في فضل عائشة، وحمل الحديث في فضل خديجة - مع التشكيك في سنده - على خلاف المراد منه قال:

«الكلام في تفضيل عائشة ليس هذا موضع استقصائه».

ثم عاد مرّة إلى نقل موضوعات أخرى في فضل عائشة...

وكلّ ذلك أدلّة وشواهد على ما ذكره العلّامة.

إذاعة عائشة سرّ رسول الله ... ص: ١٣٦

قال قدس سره: وأذاعت سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله

الشرح:

أجاب ابن تيمية عن هذا بقوله:

«أولاً: أهل السنة يقولون: بل أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة.

ويقال ثانياً: بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة، فيكونان قد تابا منه، وهذا ظاهر لقوله تعالى «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» فدعاهما الله تعالى إلى التوبة، فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا، مع ما ثبت من علو درجاتهما.

ويقال ثالثاً: المذكور عن أزواجه كالمذكور عمّن شهد له بالجنة من أهل بيته

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٧

وغيرهم من أصحابه، فإن علياً لما خطب ابنه أبي جهل على فاطمة وقام النبي خطيباً...

وكذلك لما صالح النبي المشركين يوم الحديبية.. وأمر علياً أن يمحو اسمه فقال:

والله لا أمحوك» «... ١».

أقول:

قال الله تعالى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ* قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ* عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيَّابَاتٍ وَأَبْكَارًا» (٢).

فأخرج البخاري (٣) في كتاب المظالم والغصب، وفي كتاب التفسير، وفي كتاب الرضاع، وفي كتاب النكاح وغيرها، وكذا مسلم (٤) في الرضاع في غير موضع، وكذا غيرهما من أرباب الصحاح وكبار المحدثين والمفسرين: (أنهما عائشة وحفصة).

و (التظاهر) هو (التعاون بالإيذاء).

ولم تكن هذه القصّة هي المَرّة الأولى ولا- الأخيرة، حتى يقال بأن المرأتين تابتا إلى الله كما دعاهما عز وجل.. ولذا قال بعد ذلك «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ

(١) منهاج السنة ٣١٣/٤ - ٣١٥.

(٢) سورة التحريم: الآيات ١ - ٥.

(٣) صحيح البخاري ٧٠ - ١٦٧ و ٢٣٢/٧.

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١٨٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٣٨

وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» فلو كانتا قد تابتا لم يكن حاجة إلى ذلك.

بل إن ما صنعت عائشة مع أمير المؤمنين عليه السلام - وهو نفس رسول الله عليهما السلام بالكتاب والسنة - تظاهر عليه، ولعله لذا قال «وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، إذ المراد به فيما رواه القوم أنفسهم هو (علي بن أبي طالب) «١».

ثم إن هذا التظاهر على النبي صلى الله عليه وآله قد اقترن بأمور أخرى، فلم يكن ذنباً كسائر الذنوب التي يتاب منها فتكون كأن لم تكن، ولذا نزل فيه الوحي المبين المشتمل على التهديد.

لكن لم يكن من المرأتين - ولا سيما عائشة - إلا الاستمرار في الإيذاء للرسول بأنحاء مختلفة، حتى أن في بعض الموارد، حيث اطلع أبوها على ما فعلت، تناولها ضرباً شديداً ورسول الله صلى الله عليه وآله حاضر، كما رواه أرباب الصحاح والسنن، ولو أردنا تفصيل الكلام في ذلك لخرجنا عن المقصود.

وعلى الجملة، فإن عائشة ما تابت عمّا فعلت وما صغى قلبها، بل استمرت في نظائر ذلك الذي فعلت ونزل فيه القرآن المجيد... فما ذكره الرجل دفاعاً عنها غير مفيد، وتنظير أفعال عائشة ببعض ما صدر من بعض الصحابة غير سديد. وأما المعارضة بما وضعته يد الناصبة من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ابنه أبي جهل. فمردودة، بأن القصة موضوعه للكيد من رسول الله المصطفى وعلى المرتضى والصدّيق الكبرى، كما أثبتنا ذلك والحمد لله. وأما المعارضة بتوقف الإمام عليه السلام عن محو اسم النبي صلى الله عليه وآله عن كتاب الصلح، فإنما تدلّ على سوء فهم الرجل أو شدة تعصّبه، فالإعراض عن بيان

(١) فتح الباري ١٣/٢٧، الدر المنثور ٦/٢٤٤، كنز العمال ٢/٥٣٩ رقم: ٤٦٧٥، مجمع الزوائد ٩/١٩٤، الصواعق المحرقة: ١٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٣٩

سقوطها أولى كما لا يخفى، ويكفي أن نعلم بأن من علمائهم من يجعل هذه القصة مؤيدة لما رووا من تراجع أبي بكر عن موضعه في الصّلاة، مع أمر النبي صلى الله عليه وآله بأن يستمر، قال الشوكاني: «تقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدلّ على ما قاله البعض من أن سلوك طريق الأدب خير من الامتثال، ويؤيد ذلك عدم إنكاره على علي لما امتنع من محو اسمه في قصّة الحديبية» (١).

ومن العجيب أنه يجعل توقّف الإمام عن محو الاسم في قصّة الحديبية قدحاً ويتناسى اعتراض عمر على صلح النبي ولا يجعل شكّه في نبوّته قدحاً!

إخبار النبي بخروجها على علي ... ص: ١٣٩

قال قدس سره: وقال لها النبي صلى الله عليه وآله: إنك تقاتلين عليّاً وأنت ظالمة.

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما الحديث الذي رواه - وهو قوله لها: تقاتلين عليّاً وأنت ظالمة - فهذا لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين..» (٢).

أقول:

لو سلّمنا أن لا حديث بهذا اللفظ يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، فلا ريب في أنه صلى الله عليه وآله نهاها عن ذلك كما في حديث نباح كلاب الحوآب.

وأيضاً: لا ريب في أنها خرجت مع الزبير الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) نيل الأوطار ٣/١٦٩.

(٢) منهاج السنّة ٤/٣١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٤٠

وآله مثل هذا الكلام، وهو حديث معروف موجود في الكتب المعتمدة وله أسانيد معتبرة، بل لقد جعل من شواهد علمه صلى الله عليه وآله بالمغيبات، وأرسله غير واحد من الحفاظ في باب إخباره عن المغيبات إرسال المسلمات... ونحن نذكر هنا كلام الحافظ عياض بشرحه وبه الكفاية، فإنه قال في الفصل الذي عقده لتلك الأمور: «وأخبر في حديث رواه البيهقي من طرق، وهو ممّا أخبر به من المغيبات بمحاربة الزبير لعلّى وهو ظالم له، وكان صلى الله عليه وسلم رآهما يوماً - وكلّ منهما يضحك - فقال لعلّى: أتجبه؟ فقال: كيف لا أحبه وهو ابن عمّتي صفية وعلى ديني؟ فقال للزبير: أتجبه؟ فقال: كيف لا أحبه وهو ابن خالتي وعلى ديني؟ فقال: أمّا أنك ستقاتله وأنت له ظالم. فلما كان يوم الجمل قاتله، فبرز له على - رضى الله تعالى عنه - وقال: ناشدتك الله، أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: إنك ستقاتلني وأنت لى ظالم؟ قال: نعم ولكن أنسيته. وانصرف عنه. فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله، وأتى برأسه كما فصله المؤرخون. وممّا أخبر به من المغيبات نباح كلاب الحوآب على بعض أزواجه. يعنى: عائشة.. وأخبر في هذا الحديث أنه يقتل حولها ممن كان معها قتلى كثيرة، قيل: كانوا نحو ثلاثين ألفاً، وتنجو أى تسلم هى بعد ما كادت أى قاربت عدم النجاة، فنبحت كلاب الحوآب على عائشة عند خروجها إلى البصرة. وهذا الحديث صحيح كما مر، روى من طرق عديدة..» (١).

(١) نسيم الرياض - شرح شفاء القاضى عياض ٣/ ١٦٥. وحديث نباح كلاب الحوآب موجود فى مسند أحمد ٩٧/ ٦، والمستدرک ٣/ ١١٩ وغيرهما، ونص ابن حجر فى فتح البارى ٦/ ١٦٥، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤ على صحته. وهذا القدر يكفى. شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤١

مخالفتها لنص الكتاب ... ص: ١٤١

قال قدس سره: ثم إنها خالفت أمر الله تعالى فى قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ». الشرح:

نعم. إن عائشة خالفت فى خروجها - مع طلحة والزبير - إلى البصرة أمر الله فى قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» فهي خالفت أمر الله بالقرار فى البيت، وليتها خالفت فى غير ما خرجت له! لقد خالفت أمر الله فى فعل سمعت من قبل نهى النبى صلى الله عليه وآله عنه خاصة، لقد خالفت أمر الله متلبسة بالظلم، وفى إعانة (الظالم) بنص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله! لقد كان فى خروجها مفسدة وأى مفسدة، لا عليها فقط، بل على الإسلام والمسلمين..

لكن ابن تيمية يدعى تارة أنها خرجت «بقصد الإصلاح بين المسلمين» (١). وأخرى يقول: إنها اجتهدت «وإذا كان المجتهد مخطئاً فخطأ مغفور بالكتاب والسنة» (٢). وثالثه يقول: إنها ندمت على خروجها «فكانت إذا ذكرت خروجها تبكى حتى تبلّ خمارها» (٣).

أقول:

إن كانت تقصد الإصلاح بين المسلمين، فإن الإصلاح فرع النزاع والخلاف، وهل كان بين على أمير المؤمنين وبين طلحة والزبير نزاع على شىء، أو أنهما بايعاه ثم

(١) منهاج السنّة ٣١٦ / ٤.

(٢) منهاج السنّة ٣٢١ / ٤.

(٣) منهاج السنّة ٢٠٨ / ٦ و ٣١٦ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤٢

خرجا إلى مكة ناكثين للبيعة وناقضين للعهد؟

وأيضاً: إن كانت تقصد الإصلاح بين المسلمين، فهل كان يكون الإصلاح في البصرة حتى تخرج إليها في ملأ من الناس؟

وأيضاً: إن كانت تقصد الإصلاح، فلماذا ينهاها النبي صلى الله عليه وآله؟ وتنهاها أم سلمة أم المؤمنين؟ وينهاها رجال المسلمين؟

وهلّا خرجوا معها وساعدوها على الإصلاح؟

وإن كانت مجتهدة مخطئة في اجتهادها فلا خطأ، بل لها أجر وإن كان أقل من أجرها فيما لو كانت مصيبة، فلماذا الندم والبكاء؟

لكن الرجل عندما ادّعى أنها خرجت «بقصد الإصلاح» وأنها كانت «راكبة، لا قاتلت ولا أمرت بالقتال» قال: «هكذا ذكره غير واحد

من أهل المعرفة بالأخبار»!!

كأن الرجل يعلم بكذب ما يقول فيخرج عن عهده بنسبته إلى غيره!! ولننقل بعض «ما ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار» ولو

أردنا شرح القضية بالتفصيل، لخرجنا عن المقصود فنقول:

قال الطبري وغيره إنه بعد أن تولّى أمير المؤمنين عليه السلام أمر المسلمين:

«سأل طلحة والزبير أن يؤمّرها على الكوفة والبصرة فقال: تكونان عندي فأتجمل بكما فإني وحش لفراقكما» ثم روى الطبري عن

طلحة قوله: «ما لنا من هذا الأمر إلا كلبسة الكلب أنفه» (١).

قال الطبري: «ثم ظهرا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر، وابن عامر بها يجزّ الدنيا، وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير، وزيادة على

أربعمائة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة، فأداروا الرأي، فقالوا: نسير إلى على فنقاتله، فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٢٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤٣

المدينة، ولكننا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة. فاجتمع رأيهم على أن

يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة» (١).

فقلت أم سلمة لعائشة: «يا عائشة: إنك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، حجابك مضروب على حرمة، وقد جمع

القرآن ذلك فلا تندحيه، وسكن الله عقيرتك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد

فيك عهداً، بل قد نهاك عن الفرط في البلاد، ما كنت قائلة لو أن رسول الله قد عارضك بأطراف الفلوات ناصبة قلوبك قعوداً من

منهل إلى منهل؟ إن بعين الله مثواك وعلى رسول الله تعرضين»....

ثم إن عائشة سمعت في الطريق نباح الكلاب فقالت: «أى ماء هذا؟

فقالوا: الحوآب.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهي، قد سمعت رسول الله يقول -وعنده نساؤه-: ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب.

فأرادت الرجوع.

فأتاها عبد الله بن الزبير فقال: كذب من قال إن هذا الحوآب.

ولم يزل بها حتى مضت، فقدموا البصرة» (٢).

قالوا: «لما قدمت عائشة البصرة، كتبت إلى زيد بن صوحان:

من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان: أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم وانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذل عن علي.

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤٤

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر حبيبة رسول الله، أما بعد: فإني ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك.

قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين، أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا ونهتنا عنه» (١).

ثم إنها كتبت إلى حفصة بنت عمر:

«أما بعد، فإني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خائفاً، لما بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر، إن تقدم عقر وإن تأخر نحر.

فدعت حفصة جوارى لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن:

ما الخبر ما الخبر؟ على في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر!

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع الغناء.

فبلغ أم كلثوم بنت علي، فلبست جلابيها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت.

ف قالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل.

ف قالت حفصة: كفى رحمك الله، وأمرت بالكتاب فمزق، واستغفرت الله.

قال الطبري: «فقدموا البصرة وعليها عثمان بن حنيف. فقال لهم عثمان:

ما نقيم على صاحبكم؟

فقالوا: لم نره أولى بها منا وقد صنع ما صنع.

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤٥

قال: فإن الرجل أمرني، فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له، على أن أصلي بالناس حتى يأتينا كتابه.

فوقفوا عليه وكتب.

«فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما، قد ألبسوهما الدروع وظاهروا فوقها بالثياب، فأنهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأقيمت الصلاة، فتقدم عثمان ليصلي بهم، فأخذه طلحة والزبير وقدموا الزبير، فجاءت السيابة - وهم الشرط حرس بيت المال - فأخروا الزبير وقدموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير

فقدّموا الزبير وأخروا عثمان.

ولم يزلوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون الله يا أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلّى بالناس.

فلما انصرف من صلاته صاح بأصحابه المتسلّحين أن خذوا عثمان بن حنيف.

فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلما أسر ضرب ضرب الموت، ومنتف حجاباه وأشفار عينيه وكلّ شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السياجئة - وهم سبعون رجلاً - فانطلقوا بهم وبعثمان بين حنيف إلى عائشة.

فقال لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله.

فنادى عثمان: يا عائشة يا طلحة يا زبير، إن أخى سهل بن حنيف خليفة على بن أبى طالب على المدينة، وأقسم بالله، إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بنى أبيكم وأهلكم ورهطكم، فلا يبقى منكم أحداً.

فكفّوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه.

وأرسلت عائشة إلى الزبير: أن اقتل السياجئة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٤٦

فدبحهم - والله - الزبير كما يذبح الغنم....

«وكان الغدر بعثمان بن حنيف أول غدر كان في الإسلام...».

أقول:

هذا هو الإصلاح بين المسلمين؟

وهل كانت راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال؟

وهل كان بكاؤها - بعد ذلك - عن ندم أو عن خيبة أمل؟

فلنكتف بهذا القدر، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب التاريخ...

خروجها تقود الجيوش...! ص: ١٤٦

قال قدس سره: وخرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان وكانت هي كلّ وقت تأمر بقتله وتقول: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً.

الشرح

نعم، خرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً عليه السلام على غير ذنب.

وقول ابن تيمية: «هذا كذب عليها، فإنها لم تخرج لقصد القتال» «١» هو الكذب، وإلا فما معنى: «نسير إلى على فنقاتله»؟

وأى معنى لما كتبتّه إلى زيد بن صوحان؟

وأى معنى لما جاء في كتابها إلى حفصة؟

ثم ألم تأمر بقتل عثمان بن حنيف بعد الغدر به؟

ألم تأمر بقتل السبايجة من غير ذنب؟

ألم تحرّض الأزد وبنى ضبّة والقبائل الأخرى على القتال؟

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٤٧

ثم قال ابن تيمية: «وأما قوله: إن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان.

فجوابه من وجهين: أحدهما: أن يقال هذا من أظهر الكذب وأبينه، فإن جماهير المسلمين لم يأمرؤا بقتله ولا شاركوا في قتله ولا رضوا بقتله، وغاية ما يقال إنهم لم ينصروه حق النصرة، وأنه حصل نوع من الفتور والخذلان، حتى تمكن أولئك المفسدون، ولهم في ذلك تأويلات» (١).

أقول:

لقد اعترف الرجل بأن المسلمين قتلوا عثمان، غير أن جمعاً منهم باسروا القتل، وأن الآخرين خذلوه، وهذا ليس إلا تهدياً للعبارة، وإلا فمن المعلوم أن الجميع ما باسروا القتل، لأنه أمر غير ممكن ... وعلى الجملة، فإن خيار المسلمين هم الذين قتلوا عثمان وسائر الناس تبع لهم ...

ولو كان هذا الرجل يدعى أن الذين ثاروا على عثمان - وانتهى الأمر إلى قتله - هم الأقل، فليس لنا طائفة من الأكثر؟ ولماذا لم يدفعوا أولئك الأقلية المفسدين حسب تعبيره؟

لقد قتله الكل بين مباشر وخاذل «ولهم في ذلك تأويلات» كما قال، فأين الكذب في كلام العلامة؟

قال: «وأما قوله: إن عائشة كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان وتقول في كل وقت: اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً، ولما بلغها قتله فرحت بذلك.

فيقال له أولاً: أين النقل الثابت عن عائشة بذلك؟

ويقال ثانياً: إن المنقول عن عائشة يكذب ذلك ويبين أنها أنكرت قتله، وذمت من قتله ودعت على أخيها محمد وغيره لمشاركتهم في ذلك.

ويقال ثالثاً: هب أن واحداً من الصحابة عائشة أو غيرها قال في ذلك كلمة على

(١) منهاج السنة ٣٢٣/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٤٨

وجه الغضب، لإنكاره بعض ما ينكر، فليس قوله حجة ولا يقدر في إيمان القائل ولا المقول له» ... (١).

في أنها كانت من المحرضين ضد عثمان ... ص: ١٤٨

أقول:

أما أنها «كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان».

فمن ذلك قولها لمروان بن الحكم وقد طلب منها الإقامة بالمدينة لتدفع عن عثمان وهو محصور: «والله لا أفعل، وددت - والله - أنه في غرارة من غرائري، وأنى طوقت حملة حتى ألقيه في البحر».

وقولها لابن عباس: «إياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية».

وعن سعد بن أبي وقاص - وقد سئل: من قتل عثمان؟ - «قتله سيف سلته عائشة، وشحذه طلحه، وسمه علي» قال الراوي: «قلت: فما حال الزبير؟ قال: أشار بيده وصمت بلسانه».

وعن أم سلمة - لما جاءت إليها عائشة تخادعها على الخروج معها إلى البصرة -

«أنا أم سلمة، إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلّا نعتلاً».

وعن الأحنف بن قيس لما قالت له: «ويحك يا أحنف بم تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتله أمير المؤمنين عثمان؟ أمن قلبه عدد؟ أو أنك لا تطاع في العشي؟ قال:

«يا أم المؤمنين، ما كبرت السن ولا طال العهد، وإن عهدي بك عام أول تقولين فيه وتناين منه». وعن المغيرة بن شعبه في جواب قولها له: «يا أبا عبد الله، لو رأيتني يوم الجمل،

(١) منهاج السنة ٤ / ٣٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٤٩

قد أنفذت النصل هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدی».

قال: «وددت - والله - أن بعضها كان قتلک.

قالت: یرحمک الله، ولم تقول هذا؟

قال: لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان....

وعن عمار رضى الله عنه - وقد رآها باكية على عثمان - : «أنت بالأمس تحرضين عليه ثم أنت اليوم تبكينه؟».

وعن سعيد بن العاص أنه لقي مروان وأصحابه بذات عرق فقال: «أين تذهبون وشارككم على أعجاز الإبل؟ اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلکم، لا تقتلوا أنفسکم»....

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - في كتاب له إلى طلحة والزبير وعائشة -:

«وأنت يا عائشة، فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله، تطلين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين!

فخبريني، ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحترمة!

ثم إنك طلبت - على زعمك - دم عثمان، وما أنت وذاك، وعثمان رجل من بنى أمية وأنت من تيم!

ثم أنت بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعتلاً فقد كفر، ثم تطلين اليوم بدمه!

فاتقى الله وارجعي إلى بيتك وأسبلي عليك سترک».

وأما أنها كانت تقول: «اقتلوا نعتلاً».

فقد رأيت في بعض الكلمات المذكورة والآتي، رواه المؤرخون والمحدثون حتى في كتبهم في اللغة. فراجع كلاً من:

(النهاية في غريب الحديث) و (لسان العرب) و (القاموس) و (تاج العروس)

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥٠

وغيرها في كلمة (نعتل).

وأما «أن المنقول عنها أنها أنكرت»....

فهذا صحيح، ولكن بعد ما قتل.. كما عرفت من الكلمات المتقدمه، فهذا لا يكذب ما ذكره العلماء، والرجل يفهم هذا ولكن يغالط!

وكذا قوله: «هب أن واحداً...» فإنه مغالطة واضحة، فإن التحريض على القتل وتشبيه عثمان ب (نعتل) وهو رجل يهودي، وإخراجها

قميص رسول الله وشعره وهي تقول: «هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلى دينه»، وقولها لما بلغها قتله: «أبعده الله، ذلك بما قدمت يداه

وما الله بظلام للعبيد» وأمثال ذلك ... ليس «كلمة على وجه الغضب»، ولو كان كذلك لما اعترض عليها المعترضون قائلين: «إنك

كنت بالأمس»....

قال قدس سره: فلما بلغها قتله فرحت بذلك ثم سألت: من تولى الخلافة؟

فقالوا: على عليه السلام فخرجت لقتاله على دم عثمان!

فأتى ذنب كان لعلى عليه السلام على ذلك؟!

الشرح:

نعم، لقد أجمع المؤرخون على أن عائشة إنما نادى بدم عثمان بعد ما أبلغت بأن أمير المؤمنين عليه السلام قد تولى الخلافة، وذلك لأنها تريد لها طلحة ولم تشك في أنه هو صاحب الأمر:

قال الطبرى: «خرج ابن عباس، فمرّ بعائشة في الصّلى لمصل فقالت: يا ابن عباس، أنشدك الله، فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً، أن تخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يسر بسيرة ابن عمه أبى بكر».

وقال: «إن عائشة لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد ابن أم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥١

كلاب- وهو عبد بن أبى سلمة، ينسب إلى أمه-.

فقال له: مهيم؟

قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانية.

قالت: ثم صنعوا ماذا؟

قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على على بن أبى طالب.

فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. ردوني.

فانصرفت إلى مكة وهى تقول: قتل - والله - عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه.

فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمار حرفة لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر.

قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولى الأخير خير من قولى الأول...» (١).

قال قدس سره: وكيف استجاز طلحة والزبير مطاوعتها على ذلك؟ وبأى وجه يلقون رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أن الواحد منا لو تحدّث مع امرأة غيره وأخرجها من منزله وسافر بها، كان أشد الناس عداوة.

الشرح:

بل إنهما خدعاها وخذلاها، وكذا أتباعهما..

أمّا الزبير، فإنه لما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله، خرج عن الميدان واعتزل الحرب، فقال له ابنه عبد الله: «أين تدعنا؟ فقال:

«يا بنى أذكرنى أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته، فاخترت العار على النار» (٢... ٢).

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٤٣٤-٤٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٤/ ٤٥٩، مروج الذهب ٢/ ٦٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥٢

فهلاً أرجع عائشة إلى بيتها الذى أخرجها منه؟ وكيف لم يخبرها بالحق الذى ذكر به عسى أن تكفّ هى أيضاً عن المقاتلة، فلا يكون مزيد هتك وسفك دم!

وأمّا طلحة، فإنه بعد ما بعث إليه على أن ألقنى، فلقيه، قال له: أنشدك الله أسمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم

وال من والاه وعاد من عاداه؟ قال:

نعم. فقال له: فلم تقاتلني؟

وقال الطبري: «قال له: يا طلحة، جئت بعرض رسول الله تقاتل بها وخيأت عرسك في بيتك؟ أما بايعتني؟» «١».. بعد هذا الذي لم ينفعه.. واشتبتك الحرب.

قال مروان: لا أطلب بثاري بعد اليوم، ثم رماه بسهم فقتله وهو يقول: والله إن دم عثمان عند هذا، هو كان أشد الناس عليه، وما أطلب أثراً بعد عين. ثم التفت إلى أبان بن عثمان - وهو معه - فقال: لقد كفيتك أحد قتله أبيك «وكان طلحة أول قتيل».... فهلاً أرجعوا عائشة إلى بيت خدرها؟ وهلا رجعت هي بعد أن فقد الجيش الأميرين القائدين: طلحة والزبير، وقبل أن يقتل الآلاف من أولئك الأراذل الأجلاف؟

قال قدس سره: وكيف أطاعها على ذلك عشرات الألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما طلبت حقها من أبي بكر، ولا شخص واحد بكلمة واحدة! الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا من أعظم الحجج عليك! فإنه لا يشك عاقل أن القوم كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعظمونه، ويعظمون قبيلته وبنته أعظم مما يعظمون أبا بكر وعمر... فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال إن فاطمة - رضى

(١) تاريخ الطبري ٥٠٩/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٥٣

الله عنها - مظلومة، ولا أن لها حقاً عند أبي بكر وعمر، ولا أنهما ظلماها، ولا تكلم أحد في هذا بكلمة واحدة، دل ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة..» «١».

أقول:

فإذن، كانت عائشة على حق وأنها ليست ظالمة! فلماذا ندمت؟ وعمّا تابت كما زعمت؟

وكذا كان يزيد في قتله الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وسبى ذراريه ونسوته.. على حق، وأنه لم يكن ظالماً! لأن المسلمين كلهم كانوا معه بين من خاف مخالفته، ومن باشر في قتل الحسين بأمره، وبين من رضى بفعله وسكت وما تكلم ولا بكلمة واحدة.. ولذا قال بعض النواصب: «إنه قتل بسيف جدّه»!

وكذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفي على حق، ولم يظلم أحداً، لأن أحداً من المسلمين لم يعترض على أفعاله ولا تكلم بكلمة!! وهكذا...

لقد نسب هذا الرجل إلى المسلمين كافة القول بأن فاطمة كانت ظالمة، لأنها إذا لم تكن مظلومة فهي ظالمة لأبي بكر وعمر، وإذا لم تكن في دعواها عليهما صادقة فهي كاذبة آثمة!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم!!...

إن هذا الرجل وإن كان يحاول في الموارد المختلفة أن يخفي عداؤه لأهل البيت عليهم السلام، لكنه - كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه» - في بعض الموارد يكشف عن باطنه ويعرف حقيقته، وهذا المورد من تلك الموارد.

عجباً لهذا الرجل!! لما يقال: «إن المسلمين قتلوا عثمان» يقول: بأن قتله قليلون، وأما خيار المسلمين وسائر الناس فقد خذلوه. ولما يقال: «إن الناس قعدوا عن الدفاع

(١) منهاج السنة ٤ / ٣٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٥٤

عن حق الزهراء ولم يتكلم أحد بكلمة واحدة» يقول: فإذا كانوا يرونها غير مظلومة، أى ظالمة!!

تسميتهم عائشة فقط بأُم المؤمنين ... ص: ١٥٤

قال قدس سره: وسَمَّوها أُم المؤمنين ولم يسمَّوا غيرها بذلك! ولم يسمَّوا أخاها محمد بن أبى بكر - مع عظم شأنه وقرب منزلته من أبيه وأخته عائشة أم المؤمنين - خال المؤمنين.

الشرح:

استنكر ابن تيمية هذا القول، وقال بأنه «من البهتان الواضح الظاهر لكل أحد» قال:

«وما أدرى أهذا الرجل وأمثاله يتعمدون الكذب، أم أعمى الله بصائرهم لفرط هواهم، حتى خفى عليهم أن هذا كذب...»

وذلك أنه من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي يقال لها أم المؤمنين عائشة حفصة ... وقد قال الله تعالى: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً.

وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته ...

ولمَّا كنَّ بمنزلة الأمهات في حكم التحريم دون المحرمية، تنازع العلماء في إخوانهن هل يقال لأحدهم خال المؤمنين؟ فقيل: يقال لأحدهم خال المؤمنين، وعلى هذا، فهذا الحكم لا يختص بمعاوية...

والذين أطلقوا على الواحد من أولئك أنه خال المؤمنين لم ينازعوا في هذه الأحكام، ولكن قصدوا بذلك الإطلاق أن لأحدهم مصاهرة مع النبي، واشتهر ذكرهم لذلك عن معاوية، كما اشتهر أنه كاتب الوحي وقد كتب الوحي غيره...

ومعاوية لما كان له نصيب من الصحبة والاتصال برسول الله، وصار أقوام

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٥٥

يجعلونه كافراً أو فاسقاً ويستحلون لعنه ونحو ذلك، احتاج أهل العلم أن يذكروا ما له من الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم، ليرعى بذلك حق المتصلين برسول الله بحسب درجاتهم. وهذا القدر لو اجتهد فيه الرجل وأخطأ، لكان خيراً له من أن يجتهد في بغضهم ويخطئ» «... ١».

أقول:

لقد فكر الرجل وقدر، وفرّ وكرّ، وأرعد وأبرق، ثم اعترف بالحق ووقع في المأزق.. يقول العلامة: إن جميع نساء النبي صلى الله عليه وآله وآله أمهات المؤمنين بحسب الآية المباركة، والحكم المذكور منطبق على جميعهن بلا تفاوت، فلماذا يسمون «عائشة» ب «أم المؤمنين» وكذا ب «السيدة»، ولا يسمون بذلك «أم سلمة» وأمّثالها، بل يسمون أم سلمة ب «الزوجة النبي» وكذا غيرها، وهذا ما لا يخفى على من يراجع كتبهم في الحديث والسير، فانظر مثلاً ما يعنون به أحمد بن حنبل في مسنده لدى إيراد أخبارهن والنقل عنهن. بل لقد تبادوا في ذلك حتى وضعوه على لسان النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى المحب الطبري في (الرياض النضرة) حديثاً عنه صلى الله عليه وآله جاء فيه: «ثم قال: يا عائشة: أنا سيد المرسلين وأبوك أفضل الصديقين وأنت أم المؤمنين» (٢).

فإنه يفيد اختصاصها بهذه المنزلة كاختصاص النبي الأكرم بكونه «سيد المرسلين» واختصاص أبيها بما ذكر...

فأعود وأقول: «ما أدرى أهذا الرجل وأمثاله يتعمدون الكذب، أم أعمى الله بصائرهم لفرط هواهم؟! لأنهم إذا كانوا يرون جميع الأزواج أمهات المؤمنين، فما معنى وضعهم مثل هذا الحديث؟ وما معنى وصفهم لعائشة بذلك دون غيرها؟

(١) منهاج السنّة ٣٧٢ / ٤.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٥ / ١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥٦

ويقول العلامة رحمه الله: إنه بناء على صحة إطلاق «خال المؤمنين» على إخوة أزواج النبي صلى الله عليه وآله، فإن مقتضى القاعدة أن يكون أخو التي جعلوها أفضلهنّ أحق بأن يشتهر بهذا اللقب ويدعى به من أخى غيرها...

ولما كانت عائشة أفضلهنّ عندهم وأشهرهن بلقب «أم المؤمنين» و«السيدة»، كان ينبغي أن يكون أخوها «محمد بن أبي بكر» الأحق والأشهر بلقب «خال المؤمنين» لكنهم خصوا «عائشة» بلقب «أم المؤمنين» وجعلوا خال المؤمنين من بين إخوتهم «معاوية»، فلم يشتهر «محمد» باللقب المذكور، مع كونه أخا «عائشة» وابن أبي بكر خليفته الأول، ومع كونه أفضل وأتقى من معاوية، مع ما ورد في معاوية من اللعن والذم عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما سيأتي.

تسميتهم معاوية (خال المؤمنين ...) ص: ١٥٦

إشارة

قال قدس سره: وسمّوا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، لأنّ اخته أمّ حبيبته بنت أبي سفيان بعض زوجات الرسول صلى الله عليه وآله، واخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم من اخت معاوية ومن أبيها.

الشرح:

لقد اعترف ابن تيمية باشتهار معاوية بهذا اللقب، وهذا هو الإشكال.

وقال في وجه ذلك: إنه صار أقوام يجعلونه كافراً أو فاسقاً ويستحلّون لعنه ونحو ذلك، فاحتاج أهل العلم أن يذكروا ما له من الاتصال برسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم ليرعى بذلك حق المتصلين.

لكن يردّه:

أولاً: أن الذين كفّروه ولعنوه إنما اتّبَعوا في ذلك النبي صلى الله عليه وآله، ومن لعنه النبي صلى الله عليه وآله فقد برئ منه وأزال اتصاله به، فأى أهل علم يحتاج حينئذ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥٧

إلى أن يذكر ما له من الاتصال؟ اللهم إلا النواصب أعداء الرسول وأهل بيته!

وثانياً: إن «محمدًا» أيضاً له من الاتصال برسول الله صلى الله عليه وآله، وصار أعداء الله يجعلونه فاسقاً ويستحلّون دمه، فلماذا لا يراعى حقه بذكر ما له من الاتصال برسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهذا هو الإشكال الذي ذكره العلامة.

ولا- جواب له إلّاما ذكره العلامة من «محبّة محمد بن أبي بكر لعلى عليه السلام ومفارقة لأبيه، وبغض معاوية لعلى عليه السلام ومحاربتة له».

لعن النبي معاوية ... ص: ١٥٧

قال قدس سره: مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن معاوية الطليق ابن الطليق.

الشرح:

قال ابن تيمية: «أمّا قوله: أنه الطليق ابن الطليق. فهذا ليس نعت ذم، فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة وأطلقهم

النبي» «... ١».

أقول:

قال ابن الأثير: «الطلاق هم الذين خلّى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم، ولم يسترقهم، واحد هم طليق، فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله» «٢».

أليس هذا نعت ذم؟ فمن لم يسلم طوعاً تلك السنين المتماضية منذ البعثة إلى فتح مكة فوقع أسيراً، فكان يكون رقاً، لكنه صلى الله عليه وآله لم يسترقه بل منّ عليه فأطلق سبيله، كيف لا يذم؟ بل في عبارة الرجل نفسه إشارة إلى ذلك وإن كان لا يشعر! إنه يقول ... «وأطلقهم

(١) منهاج السنة ٣٨١ / ٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث: «طلق».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥٨

النبي» فلو لم يكن أسر واسترقاق فما معنى «وأطلقهم»؟

هذا، ولو لم يكن نعت ذم ونقص، فلماذا قال عمر: «هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، ثم في كذا وكذا. وليس فيها لطيق ولا لولد طليق، ولا لمسلمة الفتح شيء» «١».

وعن عبد الرحمن بن غنم الأشعري: «وأى مدخل لمعاوية في الشورى، وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة؟ وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب» «٢».

وفوق ذلك ما عن عائشة وقد قيل لها: ألا تعجيبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟ فقالت: «وما تعجب من ذلك؟ وهو سلطان الله يؤتيه للبرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائئ سنة، وكذلك غيره من الكفار» «٣».

أمره بقتله ... ص: ١٥٨

قال قدس سره: اللعين ابن اللعين. وقال صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه!

الشرح:

لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله غير مرّة في غير موقف، وإليك واحداً منها، وهو ما ذكره الإمام الحسن السبط وعبد الله بن عمر ومحمد بن أبي بكر وغيرهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال - وقد رأى أبا سفيان على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به - «لعن الله القائد والراكب والسائق» «٤».

(١) الطبقات الكبرى ٣ ق ١ / ٢٤٨، أسد الغابة ٣٨٧ / ٤.

(٢) الاستيعاب ٢ / ٨٥١، أسد الغابة ٣ / ٣١٨.

(٣) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٣١.

(٤) وقعه صفين: ٢٤٧، تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧، مجمع الزوائد ٧ / ٢٤٧، مروج الذهب ٢ / ٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٥٩

ولا يخفى أن ابن تيمية لم يتعرّض لكلمة العلامة هذه!

وإنما تكلم في الحديث المذكور فقال: «هذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل، وهو عند أهل

المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي، وهذا الرفض الراوى له لم يذكر له إسناداً حتى ينظر فيه، وقد ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات» (١)». أقول:

أولاً: هذا الحديث موجود في غير واحد «من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل» فهو في: (تاريخ بغداد) و (تاريخ الطبري) و (مسند الحسن بن سفيان) و (صحيح ابن حبان) و (كنوز الحقائق من كلام خير الخلائق للمناوي).
وثانياً: إنه ليس «عند أهل المعرفة بالحديث كذباً موضوعاً مختلقاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم» فقد صححه الذهبي - وهو عندهم إمام أهل المعرفة في الحديث - في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) (٢)».
وثالثاً: إنا نذكر له إسناداً واحداً - فللحديث طرق متعددة - لينظر فيه كما قال، وهو الإسناد الذي صححه الذهبي، وهو ما أخرجه ابن حبان عن طريق عباد بن يعقوب عن شريك عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود:
أمّا (عباد بن يعقوب) فمن رجال البخاري والترمذي وابن ماجه، ومن مشايخ أبي حاتم، والبخاري، والترمذي، وصالح جزرة، وابن خزيمة، وابن صاعد، وابن أبي داود، والقاسم المطرز، وغيرهم (٣)». وأما (شريك النخعي الكوفي) فمن رجال مسلم والبخاري في التعاليق

(١) منهاج السنّة ٣٨٠ / ٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٣٨٠ / ٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٩٥ / ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٠

وأصحاب السنن الأربعة (١)».

وأما (عاصم بن بهدلة الأسدي) فمن رجال الصحاح الستة (٢)».

وأما (زر بن جيش) فمن رجالها كذلك (٣)».

وأما (عبد الله بن مسعود) فمن أعظم الأصحاب عند المسلمين.

ورابعاً: ذكر أبي الفرج ابن الجوزي إياه في (الموضوعات) لا يقتضى سقوط الحديث.

أما أولاً: فلتصحح الذهبي إياه - كما عرفت - وهو عندهم أتقن وأدق من ابن الجوزي.

وأما ثانياً: فلأن ابن الجوزي متساهل في كتابه (الموضوعات)، وهذا ما نص عليه المحققون، قال النووي: «وقد أكثر جامع الموضوعات

في نحو مجلدين، أعنى أبا الفرج ابن الجوزي، فذكر كثيراً ممّا لا دليل على وضعه، بل هو ضعيف».

وقال السيوطي بشرحه: «قال الذهبي: ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسناً قوية» (٤)».

وأما ثالثاً: فلأن ابن الجوزي إنّما أورد الحديث من جهة قدحه في (عباد بن يعقوب الرواجني) وإذا عرفنا بطلان قدحه - لكون الرجل

ثقة يعتمد عليه أرباب الصحاح وكبار الأئمة - ظهر لنا بطلان إخراج له في (الموضوعات).

ولعلّ هذا من جملة شواهد من حكم من الأئمة كالنووي وابن حجر والسيوطي وغيرهم، على أن الرجل متساهل في الكتاب المذكور.

(١) تقريب التهذيب ٣٥١ / ١.

(٢) تقريب التهذيب ٣٨٣ / ١.

(٣) تقريب التهذيب ٢٥٩ / ١.

(٤) تدريب الراوى - شرح تقريب النواوى ١/ ٢٣٥ - ٢٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦١

ثم إن القوم المدافعين عن الظالمين والمحامين للمبطلين، قد حرّفوا لفظ هذا الحديث بجعل (معاوية) غير ابن أبى سفيان، أو جعل «فاقتلوه» لفظ «فاقبلوه». ولكن لفرط وضوح هذا التحريف والكذب الشنيع على رسول الله صلى الله عليه وآله، اضطرّ ابن الجوزى إلى التصريح بأن ذلك محرّف مكذوب «!!»
قال قدس سرّه: وكان من المؤلّفه قلوبهم.

الشرح:

إنّ من العجيب الغريب اعتراف ابن تيمية بهذا المعنى، والظاهر أنه لعدم الداعى الشديد عنده لإنكاره، وإلا، فإنه طالما أنكر الحقائق الثابتة المروية في كتب أبناء مذهبه المعتمدة!!

حارب الإمام الحق ... ص: ١٦١

قال قدس سرّه: وقاتل عليّاً عليه السلام، وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق، وكلّ من حارب إمام حق، فهو باغ ظالم.

الشرح:

أمّا أن الإمام عليه السلام «رابع الخلفاء إمام حق» فربما يوجد في بعض من يتولّاهم ابن تيمية من ينكر ذلك ويقول بإمامة معاوية بعد عثمان، كما روى ذلك أبو داود عن مروان وحزبه «٢». وقد ذكر ابن تيمية أن بعض المغاربة لم يكن يذكر عليّاً في خطبة الجمعة.
وربما يوجد في بعض من يتولّاهم الرجل من يدعو إلى خلع الإمام وجعل الأمر شورى، كما روى عن طلحة والزبير وعائشة القول بذلك في البصرة...

(١) الموضوعات ٢/ ٢٦.

(٢) سنن أبى داود - كتاب السنة ٢/ ٢٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٢

ولكن معاوية وفئته قد قاتلوا عليّاً عليه السلام، ولما كان ابن تيمية موالياً لهم جعل يدافع عنه بالأباطيل، فيقول:
أولاً: الباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق، وقد يكون متعمداً يعلم أنه باغ، وقد يكون بغية من شبهة أو شهوة وهو الغالب. وعلى كلّ تقدير، فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة، فإنهم لا ينزّهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد...

ويقال لهم ثانياً: إن قال الذابّ عن على: هؤلاء الذين قاتلهم على كانوا بغاة، فقد ثبت في الصحيح أن النبي قال لعمار رضى الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية» وهم قتلوا عمّاراً. فهنا للناس أقوال:

منهم من قدح في حديث عمار.

ومنهم من تأوله على أن الباغي الطالب، وهو تأويل ضعيف.

وأما السلف والأئمة، فيقول أكثرهم كأبى حنيفة و مالك وأحمد وغيرهم، لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداء، بل أمر إذا اقتتل طائفتان أن يصلح بينهما، ثم إن بغت إحداهما على الأخرى قوتلت التي تبغى، وهؤلاء قوتلوا ابتداء قبل أن يبتدؤا بقتال.

فإن قال الذائب عن علي: كان علي مجتهداً في ذلك.

قال له منازعه: ومعاوية كان مجتهداً في ذلك.

فإن قال: كان مجتهداً مصيباً.

ففي الناس من يقول له: ومعاوية كان مجتهداً مصيباً أيضاً، بناء على أن كل مجتهد مصيب، وهو قول الأشعري.

ومنهم من يقول: بل معاوية مجتهد مخطئ وخطأ المجتهد مغفور.

ومنهم من يقول: بل المصيب أحدهما لا بعينه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٣

ومن الفقهاء من يقول كلاهما كان مجتهداً، لكن على كان مجتهداً مصيباً ومعاوية كان مجتهداً مخطئاً. والمصيب له أجران والمخطئ له أجر.

ومن نازعه في أنه كان إمام حق، لم يمكن الرفض أن يحتجوا على إمامته بحجة إلا نقضها ذلك المعارض، ومن سلم له أنه كان إمام حق - كأهل السنة - فإنه يقول: الإمام الحق ليس معصوماً، ولا يجب على الإنسان أن يقاتل معه كل من خرج على طاعته.

ومن قاتل علياً - إن كان باغياً - فليس ذلك بمخرجه عن الإيمان ولا - بموجب له النيران، ولا مانع له من الجنان، فإن البغي إذا كان يتأول كان صاحبه مجتهداً. ولهذا اتفق أهل السنة على أنه تفسق واحدة من الطائفتين وإن قالوا في إحداهما أنهم كانوا بغاة، لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد المخطئ لا يكفر ولا يفسق، وإن تعمّد البغي فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة، كالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ودعاء المؤمنين وغير ذلك» (١).

تسميتهم معاوية (كتاب الوحي ...) ص: ١٦٣

إشارة

قال قدس سره: وسّمّوه كاتب الوحي ولم يكتب كلمته واحدة من الوحي، بل كان يكتب له صلى الله عليه وآله رسائل. وقد كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أربعة عشر نفساً يكتبون الوحي، أولهم وأخصهم وأقربهم إليه صلى الله عليه وآله على بن أبي طالب عليه السلام.

الشرح:

قال ابن تيمية: «فهذا قول بلا حجة ولا علم، فما الدليل على أنه لم يكتب له كلمة

(١) منهاج السنة ٣٩٥ / ٤

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٤

واحدة من الوحي وإنما كان يكتب له رسائل؟» (١).

أقول:

هذا من فرط جهل الرجل أو تعصبه، إذ على المدعى أن يقيم الدليل المقبول على مدّعه لا على المنكر فيما ينكره، كما هو معلوم. ثم إن الأصل في دعوى كتابته معاوية للنبي صلى الله عليه وآله هو: ما أخرجه مسلم، قال ابن حجر المكي في فضائل معاوية: «ومنها: إنه أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم» (٢ ...).

وهو - لو صح - يفيد كونه كاتباً لا كاتباً للوحي، لكنه باطل موضوع كما صرح كبار الأئمة كما ستعرف، ولندكر نصّه عند مسلم:

«حدّثني عباس بن عبد العظيم الغنبري وأحمد بن جعفر المعقري قالا: حدّثنا النضر - وهو ابن محمد اليماني - حدّثنا عكرمة، حدّثنا أبو زميل، حدّثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله، ثلاث أعطينهن.

قال: نعم.

قال: عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوّجكها.

قال: نعم.

قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك.

قال: نعم.

قال: وتؤمّرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين.

قال: نعم.

(١) منهاج السنّة ٤/ ٤٢٧.

(٢) تطهير الجنان واللسان - هامش الصواعق -: ١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٥

قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه، وذلك لأنه لم يكن يستل شيئاً إلا قال: نعم» (١). وهذه كلمات أهل العلم بالحديث فيه:

قال النووي: «واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال..» (٢).

وقال ابن القيم: «إن حديث عكرمة في الثلاث التي طلبها أبو سفيان من النبي صلى الله عليه وسلم، غلط ظاهر لا خفاء فيه.

قال أبو محمد ابن حزم: هو موضوع بلا شك، كذبه عكرمة بن عمار.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث وهم من بعض الرواة، لا شك فيه ولا تردد.

وقد اتهموا به عكرمة بن عمار..» (٣).

وقال الذهبي: «وفي صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس، في الثلاثة التي طلبها أبو سفيان» (٤). أقول:

فهذا هو الأصل في المسألة، وهذا حاله وهو في أحد الصحيحين!! ثم جاء بعد هؤلاء الوضاعين قوم استدّلوا بتلك الموضوعات، ولربما زادوا عليها أشياء من وضعهم! كما في هذا الحديث الموضوع، حيث وضع السابقون كون معاوية «كان يكتب بين يدي رسول الله» فأضاف بعض الكاذبين أنه «كان يكتب الوحي»!

قال ابن حجر المكي: «وقال المدائني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين العرب. أي: من وحي وغيره،

(١) صحيح مسلم - بشرح النووي - ١٦/ ٦٣.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٦/ ٦٣.

(٣) زاد المعاد في هدى خير العباد ١/ ٢٧.

(٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣/ ٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٦٦

فهو أمين رسول الله على وحى ربه» (١).

والجملة «أى من وحى وغيره» إضافة من عند ابن حجر لكلام المدائنى كذباً وتدليساً، إذ الكلام المذكور يوجد فى المصادر السابقة على ابن حجر المكي وليس فيه هذه الجملة، قال ابن حجر العسقلانى: «وقال المدائنى: كان زيد بن ثابت يكتب الوحى وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وآله فيما بينه وبين العرب». إنتهى (٢).

قال قدس سره: مع أن معاوية لم يزل مشركاً مدّة كون النبي صلى الله عليه وآله مبعوثاً يكذب بالوحى ويهزأ بالشرع! وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله ويكتب إلى أبيه صخر بين حرب يعيره بإسلامه، ويقول له: أصبوت إلى دين محمد، وكتب إليه:

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا بعد الذين بيدر أصبحوا فرقا

جدى وخالى وعمّ الأم ثالثهم قوماً وحفظه المهدى لنا الأرقا

فالموت أهون من قول الوشاء لنا خلى ابن هند عن العزى كذا فرقا

والفتح كان فى شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، ومعاوية حينئذ مقيم على الشرك هارب من النبي صلى الله عليه وآله لأنه قد هدر دمه فهرب إلى مكة، فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي صلى الله عليه وآله مضطراً فأظهر الإسلام، وكان إسلامه قبل موت النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر، وطرح نفسه على العباس فسأل فيه رسول الله فعفا عنه، ثم شفع إليه أن يشرفه ويضيفه إلى جملة الكتاب، فأجابه وجعله واحداً من أربعة عشر.

فكم كان يخصه من الكتابة فى هذه المدّة لو سلمنا أنه كان كاتب الوحى حتى استحق أن يوصف بذلك دون غيره.

(١) تطهير الجنان واللسان - هامش الصواعق -: ١٩.

(٢) الإصابة فى معرفة الصحابة ٣/ ٤٣٤.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٦٧

الشرح:

وهذه الامور الثابتة يقيناً، كلّها قرائن على كذب تسمية معاوية بكاتب الوحى، وأنّ هذه التسمية من البدع الباقية حتى الآن، وما زال بعضهم يصّر عليها تعصباً ومتابعةً للهوى.

ولقد تكلم ابن تيمية فى هذا الموضع وأطنب بما لا حاجة إلى إيراده، فإنّ العلامة طاب ثراه قد اقتدى بالإمام أبى محمد الحسن السبط الأكبر عليه الصّلاة والسّلام فى الاستدلال بأشعار معاوية على موقفه من النبي والإسلام - فيما رواه الزبير بن بكار، فى مفاخرة جرت بين الإمام بين رجالات من قریش، فى مجلس معاوية - فإنه بعد أن تكلم عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبى سفيان، والمغيرة بن شعبه، وجعلوا يسبون عليّاً عليه السلام، قال الإمام أبو محمد:

... «أما بعد، يا معاوية، فما هؤلاء شتمونى ولكنك شتمتنى ... أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق؟ أتنسى - يا معاوية - الشعر الذى كتبتة إلى أبيك لما همّ أن يسلم تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ...

فوالله لما أخفيت من أمرى أكبر مما أبديت» (١).

هذا، ومن المعلوم أن أبا سفيان لم يهجم بالإسلام قبل الفتح، فمعاوية قد كتب إليه بذلك بعد الفتح وهو هارب، ولا يكون تظاهره

بالإسلام إلا بعد مدّة مديدة من هذا الشعر.

ولا يخفى، أن الزبير بن بكار - الراوى للخبر - من ذرية الزبير بن العوام، وعداده

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٢٨٨ - ٢٨٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٨

في المنحرفين عن على أمير المؤمنين عليه السلام.

قال قدس سره: مع أن الزمخشري من مشايخ الحنفية ذكر في ربيع الأبرار أنه ادعى بنوّته أربعة نفر!

الشرح:

قال الزمخشري: «وكان معاوية يعزى إلى أربعة:

إلى مسافر بن أبي عمرو.

وإلى عماره بن الوليد.

وإلى العباس بن عبدالمطلب.

وإلى الصباح، مغنّ أسود كان لعمار» «... ١».

والزمخشري عنّي عن التعريف، وكتبه في العلوم المختلفة لا يستغنى عنها العلماء وأهل الفضل.

قال قدس سره: على أن من جملة كتبه الوحي: ابن أبي سرح، وارتدّ مشركاً، وفيه نزل: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما قوله: إنه نزل فيه: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» فهو باطل» «٢».

أقول:

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «حدّثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ... وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح.

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٣/ ٥٥١.

(٢) منهاج السنة ٤/ ٤٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٦٩

ذكر من قال ذلك: حدّثني ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالوا في سورة النحل ... وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمر، فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم» «١».

قلت: كذا في النسخة: «فاستجار له أبو عمرو» وهو خطأ أو تحريف.

فلقد رواه الحافظ السيوطي عن ابن جرير وفيه: «فاستجار له أبو بكر وعمر وعثمان بن عفان، فأجاره النبي» «٢».

وروى الحافظ ابن حجر الخبر عن يزيد عن عكرمة فنقص منه نزول الآية فيه، وذكر فيه: «فاستجار له عثمان فأجاره النبي» «٣».

أقول:

وكلّ هذه المحاولات - من التكذيب لأصل الخبر، والتحريف للفظه - إنما هي تغطية لعار يلحق القوم، إذ الرجل كان أخا عثمان من

الرضاعة، قالوا: أهدر النبي صلى الله عليه وآله دمه، وأمر بقتله في جماعة ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، لكن عثمان حافظ عليه فغيبه، حتى أتى به رسول الله فاستأمنه، فصمت عليه وآله الصلاة والسلام طويلاً ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمْتُ إلا ليقوم أحدكم فيضرب عنقه «٤».

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٢٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤ / ١٣٢.

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٢ / ٣١٧.

(٤) الإصابة ٢ / ٣١٧، الإستيعاب على هامش الإصابة ٢ / ٣٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧٠

موته على غير السنة ... ص: ١٧٠

قال قدس سره: وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله فسمعتة يقول: «يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي» فطلع معاوية.

الشرح:

قال ابن تيمية: «نحن نطالب بصحة هذا الحديث ... هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث التي يرجع إليها في معرفة الحديث، ولا له إسناد معروف.. وعبد الله بن عمر كان من أبعد الناس عن ثلب الصحابة» «... ١».

أقول:

من الطبيعي أن لا يوجد هذا في شيء من الكتب التي صنفها أنصار معاوية وآل أبي سفيان، وما أكثر ما كتموا مما هو أقل منه في الدلالة على كفر القوم وضلاتهم، ولكن تكفي رواية واحد من «أهل المعرفة بالحديث»، وهو أبو جعفر الطبري، فقد رواه ضمن كتاب كتبه واحد من «خلفاء الرسول وأمراء المؤمنين» عندهم، وهو المعتضد بالله العباسي.

قال الطبري: «ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أمية. وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءته فلم يقرأ، فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشأ للمعتضد بالله» وقد كان مما جاء فيه:

(١) منهاج السنة ٤ / ٤٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧١

وكان ممن عانده (يعني النبي) ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته ... أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله، في عدّة مواطن وعدّة مواضع ... ومنه: قول الرسول عليه السلام - وقد رآه مقبلاً على حمار يقوده به ويزيد ابنه يسوق به -: «لعن الله القائد والراكب والسائق»..

ومنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي، فطلع معاوية».

ومنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه «... ١».

هذا، وقد رواه مسنداً عن عبد الله بن عمر: نصر بن مزاحم قال:

«شريك، عن ليث، عن طاوس، عن عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت وهو على غير سنتي. فشقّ على ذلك، وتركت أبي يلبس ثيابه ويجئ، فطلع معاوية» (٢).

ورجال السند كلهم ثقات ومن رجال الصحاح، ونصر بن مزاحم وثقه ابن حبان، وتكلم بعضهم في أحاديثه كالعقيلي قال: «شيعي، في حديثه اضطراب وخطأ كثير» (٣)، والتكلم في الراوي أو في حديثه من أجل التشيع غير مسموع.

ويؤكد صحة هذا الحديث أن الحافظ البلاذري رواه عن طاووس بطريقين، فإنه قد رواه:

عن عبد الله بن صالح عن يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس.

وعن إسحاق عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه.

(١) تاريخ الطبري ١٠/ ٥٤.

(٢) وقعة صفين: ٢١٩.

(٣) لسان الميزان ٦/ ١٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٧٢

لكنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، لا عبد الله بن عمر بن الخطاب...

والسندان معتبران عندهم قطعاً.

وأما أن ابن عمر كان من أبعد الناس عن ثلب الصحابة، فيردّه -بالإضافة إلى ثبوت الخبر المذكور عنه- ما يروى من وجوه عن جماعته من التابعين عن ابن عمر أنه قال حين حضرته الوفاة: «ما أجدني آسى على شيء فاتني في الدنيا إلا أني لم أقاتل مع علي الفئه الباغية» (١).

هذا، ولولا ثبوت الخبر عن ابن عمر لما وضع الوضّاعون في مقابله: «الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع معاوية»...

ذكره الذهبي وقال: «خبر باطل» (٢).

لعن الله القائد والمقود ... ص: ١٧٢

قال قدس سرّه: وقام النبي صلى الله عليه وآله يوماً يخطب، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لعن الله القائد والمقود. أي يوم يكون لهذه الامّة من معاوية ذى الأستاه».

الشرح:

لم يكذب ابن تيمية هذا الحديث بصراحته، وكذا ابن روزبهان، غير أنه أشار إلى احتمال كون «يزيد» فيه هو «ابن أبي سفيان»، لأن ابن معاوية لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وكيف كان، فإن يزيد بن معاوية ملعون كما سيأتي، وفي حديث لعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وولديه معاوية ويزيداً، وهو الحديث الذي احتج به الإمام الحسن السبط في مفاخرته في مجلس معاوية، وأورده المعتضد

(١) المستدرک ٣/ ١١٥، الطبقات ٤/ ١٢٧، مجمع الزوائد ٣/ ١٨٢، أسد الغابة ٤/ ٣٣ وغيرها.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ١٣٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٧٣

العباسي في كتابه في لعن بني أمية، فمعاوية ملعون على لسانه على كل حال، وقد لعنه في جماعة: أمير المؤمنين عليه السلام ورجال من الصحابة والمؤمنون إلى يوم يبعثون.

محاربته علياً وقتله خيار الصحابة ... ص: ١٧٣

قال قدس سره: وبالف في محاربة علي عليه السلام، وقتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة.
الشرح:

أجاب ابن تيمية بما ملخصه بلفظه: «الذين قتلوا قتلوا من الطائفتين، قتل هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء ... وكان في العسكرين مثل الأشر النخعي وهاشم بن عتبة المرقال وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأبي الأعور السلمي، ونحوهم من المحرضين على القتال» (١). أقول:

أما محاربته علياً عليه السلام، فقد أورثت عليه وعلى أصحابه اللعن إلى يوم الدين، لوجوه كثيرة من الكتاب والسنة وغيرهما. وكلام العلامة في قتله كثيراً من خيار الصحابة عام، لكن الرجل خصّه بالذين قتلهم في الحرب فأجاب بما عرفت، فنقول: أولاً: الذين قتلهم معاوية منهم صبرا كثيرون، منهم: حجر بن عدى، قال ابن عبد البر: «كان حجر من فضلاء الصحابة» (٢) فإن معاوية أول من قتل مسلماً صبراً، قتل حجراً وأصحابه.. وقد اعترض عليه في ذلك من الصحابة والتابعين كثيرون، بل حكى عن ابن سيرين قوله: بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: يومى منك يا حجر طويل.

(١) منهاج السنة ٤/ ٤٦٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٢٣٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧٤

وبالجملة: فالأبرياء الذين قتلهم من الصحابة وسائر المسلمين في غير ساحة الحرب من أهل الحرمين واليمن والعراق وغيرهم، لا يحصون.

وثانياً: إنه لم يذكر في المحرضين على القتال عمار بن ياسر، مع كونه مع أمير المؤمنين عليه السلام ومن أشد الناس على معاوية وحزبه، حتى استشهد رضى الله تعالى عنه، فلماذا لم يذكره؟ لأن النبي - صلى الله عليه وآله - قد أخبر فيما تواتر عنه: أنه تقتله الفئة الباغية يدعوه إلى الجنة ويدعونه إلى النار (١).

فثبت بذلك أن معاوية باغ داع إلى النار، ومن كان هذا حاله فهو من أهل النار، وعليه اللعنة من الله العزيز القهار، القائل «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» * وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» (٢). وكان ابن تيمية يحاول - بعدم ذكر عمار - التملص والتخلص من هذا، كما حاول إمامه معاوية من قبل بما لا فائدة له فيه.

لعنه أمير المؤمنين ... ص: ١٧٤

قال قدس سره: ولعنه على المنابر، واستمر سبّه مدة ثمانين سنة إلى أن قطعه عمر بن عبد العزيز
الشرح:

إن هنا أموراً نذكرها باختصار:

الأول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذى سنّ بأمر من الله لعن معاوية وبني أمية قاطبة، وقد قال تعالى: «لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ» فاقتدى به المؤمنون في كل زمان، وكذا المنصفون من علماء العامة الأعيان.

(١) أخرجه أحمد والبخاري، كنز العمال ١١ / ٧٢٢ رقم: ٣٣٥٣١.

(٢) سورة القصص: ٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٧٥

الثاني: إن من المقطوع بصدوره عن النبي صَلَّى الله عليه وآله قوله: «من سب علياً فقد سبني» (١). ولا- ريب ولا- خلاف في أن من سبه- صَلَّى الله عليه وآله- فهو كافر.

والثالث: إن معاوية دأب على لعن أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعدها، واتخذ ذلك سنة جارية في الخطب وغيرها، حتى أنه كان يعترض على بعض كبار الصحابة إذا امتنع من سبه، فقد أخرج مسلم: «أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله، خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: أما ترضى.. وسمعت يقول يوم خيبر: لأعطين الراية.. ولما نزلت هذه الآية «فَقُلْ تَعَالَوْا»..» (٢... ٢). أقول:

ومن امتناع سعد بن أبي وقاص- وهو أحد العشرة المبشرة عندهم- يزيد فظاعة فعل معاوية ظهوراً ووضوحاً، وهذا ما حمل بعض أولياء معاوية على التلاعب بمتن الخبر كما سننبه عليه.

والرابع: إنه قد ذكر الجاحظ في كتابه الذي وضعه للنواصب والردّ على الإمامية:

إن معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم العن أبا تراب، فإنه ألحد في دينك وصدّ عن سبيلك، فalcنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً. قال: وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز. وروى فيه أيضاً: «إن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن هذا الرجل: فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم

(١) أخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ٣ / ١٢١.

(٢) صحيح مسلم ٧ / ١٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٧٦

عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر مفضلاً» (١).

والخامس: قال الحافظ السيوطي وغيره: «كان بنو أمية يستون على بن أبي طالب في الخطبة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله، وكتب إلى نوابه بإبطاله وقرأ مكانه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» الآية. فاستمرت قراءتها إلى الآن» (٢).

وبعد هذه الأمور التي ذكرناها بإيجاز، فاقراً ما يقول ابن تيمية واحكم عليه بما شئت، إنه يقول ما ملخصه:

«وأما ما ذكره من لعن علي، فإن التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم... ومعاوية رضي الله عنه وأصحابه كانوا يكفرون علياً» (٣).

أما ابن روزبهان، فلم يجد جواباً ولا مناصاً إلا بإنكار أصل القضية فقال:

«أما سب أمير المؤمنين- نعوذ بالله من هذا- فلم يثبت عند أرباب الثقة، وبالع العلماء في إنكار وقوعه..» (٤).

تنبيه:

قد تلاعب القوم بمتن خبر أمر معاوية سعد بن أبي وقاص بسب أمير المؤمنين وامتناعه عن ذلك، معتذراً بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله من خصائص الأمير عليه السلام، المتقدّم عن صحيح مسلم. لقد تلاعبوا بمتنه وتصرفوا بلفظه، فجاء في كتبهم بأنحاء مختلفة سنشير إليها فيما سيأتي إن شاء الله فانتظر.

(١) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ٩٠.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٤٣.

(٣) منهاج السنّة ٤ / ٤٦٩.

(٤) إبطال الباطل

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧٧

في أنه سم الحسن ... ص: ١٧٧

قال قدس سره: وسم الحسن

الشرح:

وأنكر ابن تيمية سم معاوية الحسن السبط الزكي عليه السلام فقال:

«هذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك بينة شرعية أو إقرار معتبر ولا نقل يجزم به. وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم ... والحسن رضى الله عنه قد نقل أنه مات مسموماً ... لكن يقال: إن امرأته سمته، ولا ريب أنه مات بالمدينة ومعاوية بالشام، فغاية ما يظن الظان أن معاوية أرسل إليها وأمرها بذلك، وقد يقال: بل سمته امرأته لغرض آخر.. وقد قيل: إن أباهما الأشعث بن قيس أمرها بذلك ... وإذا قيل:

إن معاوية أمر أباهما كان هذا ظناً محضاً، والنبى صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والظن فإن الظن من أكذب الحديث.. ثم إن الأشعث.. قد مات قبل الحسن بنحو عشرين سنين، فكيف يكون هو الذى أمر ابنته أن تسم الحسن. والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال وهو يحكم بين عباده» «... ١».

أقول:

إن هذا أحد المواضع التى يعرف فيها هذا الرجل على حقيقته، فإن كل هذا التشكيك واللف والدوران ليس إلا لتبرئة معاوية بن أبى سفيان، أو لتبرير ما فعله مع سيد شباب أهل الجنان، وإلّا فقد قال ابن روزبهان هنا: «من يرضى بمتابعه معاوية؟ ومن يجعله إماماً حتى يشنع عليه ابن المطهر؟ وقد ذكرنا أنه من الملوك وليس علينا أن نذب عنه» «٢».

(١) منهاج السنّة ٤ / ٤٦٩.

(٢) انظر: دلائل الصدق ٣ / ٣٨٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧٨

أقول:

إن الثابت عند أهل البيت - كما تفيد الأخبار الواردة عنهم - أن معاوية سم الحسن عليه السلام بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس.. وهذا ما يجده المتتبع لكتب الجمهور، وإن حاولوا أن لا يفصحوا عنه ويتكتموا عليه، والذى جاء «١» فيها نقاط:

١- إنه سقى السم غير مرة.

٢- كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سمًا.

٣- إن جعدة بنت الأشعث سقت الحسن السم في المرة الأخيرة، فاشتكى منه شكاء، فكان يوضع تحته طست وترفع أخرى، نحواً من أربعين يوماً، تفتت فيها كبده ولفظها عليه السلام.

٤- فقال الحسين: يا أبا محمد، أخبرني من سقاك؟ قال: ولم يا أخي؟

قال: أقتله والله قبل أن أدفئك، وإن لا أقدر عليه أو يكون بأرض تكلفت الشخصوص إليه. فقال: يا أخي، إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله. وأبى أن يسميه.

٥- وكانت جعدة قد سمّت الحسن بتدسيس معاوية إليها، وقد وعدت من قبل معاوية ويزيد أنها إن سمّت الحسن فسيزوجها يزيد، فلما مات الحسن أرسل إليها مائة ألف درهم وأخبرها إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لفينا لك بترويجه.

في قتل يزيد بن معاوية الحسين ... ص: ١٧٨

قال قدس سره: وقتل ابنه يزيد مولانا الحسين عليه السلام ونهب نساءه.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد- ترجمه الحسن بن علي: ٨٤، المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٧٦، مروج الذهب ٢/ ٥٠، مقاتل الطالبين: ٥٧، ترجمه الحسن بن علي من تاريخ دمشق: ٢١١، تهذيب الكمال ٦/ ٢٥١-٢٥٣، سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥، الإستهباب ١/ ٣٨٣، أسد الغابة ٢/ ٩ تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٧٩

الشرح:

قال ابن تيمية: «إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق. والحسين رضى الله عنه كان يظن أن أهل العراق ينصرونه.. فقاتلوه حتى قتل شهيداً مظلوماً، رضى الله عنه. ولما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره، ولم يسب له حريماً أصلاً، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلدهم...»

وقد اتفق الناس على أن معاوية رضى الله عنه وصّى يزيد برعاية حق الحسين وتعظيم قدره.. وإذا قيل: إن معاوية رضى الله عنه استخلف يزيد وبسبب ولايته فعل هذا. قيل: استخلافه إن كان جائزاً لم يضره ما فعل، وإن لم يكن جائزاً فذلك ذنب مستقل ولو لم يقتل الحسين» «... ١».

أقول:

قد تواترت أخبار الفريقين بأن النبي وأهل البيت وزوجات الرسول ... كانوا على علم باستشهاد الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في أرض الطف بالعراق، وحتى بعض الأبعاد كان قد بلغه الخبر، فقد أخرج ابن سعد بإسناده عن العريان بن الهيثم: «كان أبي يتبذّر، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لا نبدوا إلا وجدنا رجلاً من بنى أسد هناك. فقال له أبي: أراك ملازماً هذا المكان؟»

قال: بلغني أن حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج لعلّي أصادفه فأقتل معه.

فلما قتل الحسين قال أبي: إنطلقوا ننظر هل الأسدى فيمن قتل؟

وأتيينا المعركة فطوفنا، فإذا الأسدى مقتول» «٢».

(١) منهاج السنة ٤/ ٤٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ترجمة الحسين بن علي: ٥٠، تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٦-٢١٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٠

بل في بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وآله أعلن عن ذلك وأمر المسلمين بقوله: «فمن أدركه منكم فلينصره» (١).

وقال الحسين عليه السلام لابن عباس - لما نهى عن التوجه إلى العراق:

«أبا العباس، إنك شيخ قد كبرت.. لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي أن تستحل بي - يعني مكة - فبكي ابن عباس» (٢... ٢).

وقال: «والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل داخلًا منها بشبر، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتد علي كما اعتدت اليهود في السبت» (٣).

هذا، ومن ضروريات تاريخ الإسلام أن قتله كان بأمر من يزيد بن معاوية، ودعوى «اتفاق أهل النقل» على نفي ذلك كاذبة، وهذا طرف من أخبار «أهل النقل» وأقوالهم في ذلك:

قال اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢: «وملك يزيد بن معاوية.. وكان غائباً، فلما قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وهو عامل المدينة - إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إلي برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير. والسلام» (٤).

وقال اليعقوبي: «وأقبل الحسين من مكة يريد العراق، وكان يزيد قد ولي عبيد الله بن زياد العراق وكتب إليه: قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في

(١) تاريخ دمشق: ١٤/ ٢٢٤، أسد الغابة ١/ ١٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد - ترجمة الحسين: ٦١.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨١

القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلتني وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك» (١).

وقال ابن الأعمش المتوفى حدود سنة ٣٤١: «ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة: من عبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة: أما بعد، فإن معاوية كان عبداً لله من عباده، أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له، ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وغفرانه.. وقد كان عهد إلى عهداً وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن آخذ آل أبي تراب بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل...

ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فارة: أما بعد: فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيماً ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلي رأسه» (٢).

وقال الطبري المتوفى سنة ٣١٠: «ولم يكن ليزيد همة حين ولي الأمر إلا بيعته النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعته يزيد، حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولي عهده بعده، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً لله من عباده، أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له، فعاش بقدر ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً ومات براً تقياً. والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فارة: أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا. والسلام» (٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤١.

(٢) تاريخ ابن الأعمى المجلد ٣ / ٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٣٣٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٢

وقال الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨: «كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد، فإن معاوية كان عبداً لله أكرمه واستخلفه ومكّن له.. وأوصاني أن أحذر آل أبي تراب وجرأتهم على سفك الدماء، وقد علمت - يا وليد - أن الله تعالى منتقم للمظلوم عثمان بن عفان من آل أبي تراب بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل... ثم كتب صحيفة صغيرة كأنها أذن فارة: أما بعد، فخذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه. والسلام» (١).

وقال ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧: «فلما مات معاوية كان يزيد غائباً فقدم فبوع له، فكتب إلى الوليد بن عتبة - وإليه على العراق - خذ حسيناً وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا» (٢).

وقال الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨: «خرج الحسين، فكتب يزيد إلى ابن زياد نائبه:

إن حسيناً صائر إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وأنت من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً. فقتله ابن زياد، وبعث برأسه إليه» (٣).

وقال السيوطي المتوفى سنة ٩١١: «وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكة إلى العراق في عشرة ذى الحجة، ومعه طائفة من آل بيته رجالاً ونساء وصبياناً. فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله، فوجه إليه جيشاً أربعة آلاف، عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص» (٤) ...» (٤).

(١) مقتل الحسين ١ / ١٨٠.

(٢) الرد على المتعصب العنيد: ٣٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٠٥.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٢٠٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٣

هذا، وسيأتى كلام الآلوسى فى أن يزيد هو قاتل الحسين عليه السلام وأنه يلعن بلا كلام. أقول:

لقد كان أمر يزيد بقتل سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام أمراً مسلماً به ضرورياً، لا يشك فيه إلا الناصبى العنيد، وإنما أوردنا النصوص المذكورة لمزيد التأكيد، كما أنه لا بأس بإيراد نص ما كتبه ابن عباس إلى يزيد، فيما رواه «أهل النقل» - على تأمل فى بعض ما جاء فيه - كابن الأثير الجزرى، حيث قال:

«وقال شقيق بن سلمة (١): لما قتل الحسين ثار عبد الله بن الزبير، فدعا ابن عباس إلى بيعته فامتنع، وظن يزيد أن امتناعه تمسك منه ببيعته فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني أن الملاحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته وأنك اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا، فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزى الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما أنس من الأشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فأعلمهم بحاله، فإنهم منك أسمع الناس، ولك أطوع منهم للمحل». فكتب إليه ابن عباس:

«أما بعد، فقد جاءني كتابك، فأما تركي بيعه ابن الزبير، فوالله ما أرجو بذلك برك ولا حمدك، ولكن الله بالذي أنوى عليم. وزعمت أنك لست بناس برى، فاحبس أيها الإنسان برك عني فإنني حابس عنك برى. وسألت أن أحب الناس إليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير، فلا ولا سرور ولا كرامة. كيف؟ وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام،

(١) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل، الكوفي، ثقة مخضرم. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة. ع. تقريب التهذيب ١/ ٣٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٤

غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوين بالعراء، مقتولين بالظماء، لا مكفين ولا مؤسدين، تسفى عليهم الرياح، وينشى بهم عرج البطاح، حتى أتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنهم وأجنوهم، وبى وبهم لو عززت وجلست مجلسك الذي جلست.

فما أنس من الأشياء فلست بناس أطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرم الله، وتسيرك الخيول إليه، فما زلت بذلك حتى أشخصته إلى العراق، فخرج خائفاً يترقب، فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فطلب منكم الموادة وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلبه أنصاره واستئصال أهل بيته، وتعاونتم عليه كأنكم قتلتهم أهل بيت من الشرك والكفر.

فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودّي، وقد قتلت ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، ولا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً. والسلام» (١).

وهذا ولده وولّي عهده معاوية، الذي وصف بالشابّ الصالح ... يصرح بأن قاتل الحسين عليه السلام هو أبوه، وقد جعل تصريحه بذلك من آثار صلاحه.

قال ابن حجر المكي: «لم يخرج إلى الناس ولا صلى بهم، ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور، وكانت مدة خلافته أربعين يوماً... ومن صلاحه الظاهر: أنه لما ولي سعد المنبر فقال: إن هذه الخلافة جبل الله، وإن جدّي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منه على بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون، حتى أتته مئيتة فصار في قبره رهيناً بذنوبه. ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقصف عمره وانبت عقبه وصار في

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٩ الكامل في التاريخ ٤/ ١٢٧ - ١٢٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٥

قبره رهيناً بذنوبه.

ثم بكى وقال: إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عتره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأباح الخمر وخزب الكعبة. ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها، فشأنكم أمركم. والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً، ولئن كانت

شراً فكفى ذريةً أبي سفيان ما أصابوا منها.

ثم تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً على ما مر. فرحمه الله أنصف من أبيه، وعرف الأمر لأهله» (١). أقول:

فقول القائل: «إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين» كذب. ودعوى «اتفاق أهل النقل» على ذلك كذب آخر، فقد عرفنا إلى الآن أمره بقتل الحسين السبط في موضعين:

أحدهما: في كتابه إلى واليه على المدينة المنورة، يأمره بأخذ البيعة، في بدء الأمر.

والثاني: في كتابه إلى واليه على الكوفة، حين بلغه توجه الإمام إلى العراق.

تنبيه:

كما أنكر بعضهم أمر يزيد بقتل الحسين عليه السلام... فقد حاول بعضهم أن لا يرووا الكتابين على وجههما محاولة للتغطية على واقع الأمر:

فبالنسبة إلى كتابه إلى والي المدينة يقول البلاذري: «فلما توفي معاوية رحمه الله للنصف من رجب سنة ستين، وولي يزيد بن معاوية الأمر بعده، كتب يزيد إلى عامله الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أخذ البيعة على الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير» (٢). فما ذكر شيئاً من القتل وغيره.

وأبو الفداء يقول: «أرسل إلى عامله بالمدينة بإلزام الحسين وعبد الله بن الزبير

(١) الصواعق المحرقة: ١٣٤.

(٢) أنساب الأشراف ٣ / ١٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٦

وابن عمر بالبيعة» (١).

لكن الطبري وابن الجوزي يذكران العبارة: «خذ حسيناً و... بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبيعوا».

ويقول ابن خلدون: «فكتب إلى الوليد بموت معاوية، وأن يأخذ حسيناً وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصة» (٢).

لكن ابن سعد والمزني وابن الأثير لم يذكروا القتل ولا الأخذ الشديد... بل ذكروا الرفق والاستصلاح!! قالوا: «فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري - عامر بن لؤي - إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وهو على المدينة - أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبدأ به الحسين به علي، فإن أمير المؤمنين - رحمه الله - عهد إلى في أمره الرفق به واستصلاحه. فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعنده عبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاء معاوية، ودعاهما إلى البيعة ليزيد، فقالا: نصبح وننظر ما يصنع الناس» (٣).

ولا يخفى الاضطراب في العبارة، فأى ارتباط بين «وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي» وبين «إن أمير المؤمنين»؟...

ثم بعد ذلك كله.. لو كان المقصود هو الرفق به.. فلماذا عزله بعد أن رفق به؟

لقد أجمعت المصادر على أن الوليد لم يقبل من مروان نصيحته بأخذ البيعة - منه ومن الجماعة - في المجلس وإلّا فالقتل، وقال: «سبحان الله، أقتل الحسين وابن الزبير!» (٤). والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا

(١) المختصر في تاريخ البشر ١ / ١٨٩.

(٢) العبر في خبر من غبر ٥ / ٤٣.

(٣) ترجمه الحسين بن علي من طبقات ابن سعد: ٥٥، تهذيب الكمال ٦/ ٤١٤.

(٤) تاريخ الإسلام. حوادث ٦٠ ص ١٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٧

وملكها وأن قتلت حسيناً إن قال لا أباع، والله إنى لأظن أن أمراً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة» «١...» فترك القوم قائلاً للحسين: «انصرف على اسم الله» «٢» و «لم يشدد» «٣».

فلما بلغ الخبر يزيد كتب بعزل الوليد، نصّ على ذلك غير واحد:

قال ابن خلدون: «لما بلغ الخبر إلى يزيد بصنيع الوليد بن عتبة في أمر هؤلاء النفر، عزله عن المدينة واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق» «٤».

وقال ابن كثير: «عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة، لتفريطه» «٥».

وأما بالنسبة إلى كتابه إلى عبيد الله بن زياد... فمنهم من لم يذكره أصلاً، ومنهم من نسبه إلى غير يزيد، ومنهم من أورده وذكر فيه القتل، ومنهم من أسقطه عنه وروى سائره.

هذا.. وقد جاء في غير واحد من كتب «أهل النقل» أن يزيد عزل عامله على الكوفة النعمان بن بشير، الذي تهاون في أمر مسلم بن عقيل نائب الإمام عليه السلام بالكوفة قائلاً: «أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قوياً في معصية الله» فولّى ابن زياد وأمره بقتل مسلم «٦».

وقال البلاذري: «ولما كتب ابن زياد إلى يزيد بقتل مسلم، وبعثه إليه برأسه ورأس هاني بن عروة ورأس ابن صلح وما فعل بهم، كتب إليه يزيد: إنك لم تعد أن كنت كما

(١) الطبري ٥/ ٣٤٠، الكامل ٤/ ١٥، ابن كثير ٨/ ١٤٧.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨/ ١٤٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٤.

(٤) العبر ٥/ ٤٥.

(٥) تاريخ ابن كثير ٨/ ١٤٨.

(٦) أنساب الأشراف ٢/ ٧٨، المنتظم ٥/ ٣٢٥، الطبري ٥/ ٣٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٨

أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع، وحققت ظني بك. وقد بلغني أن حسيناً توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالخ وأذك العيون واحترس كلّ الاحتراس، فاحبس على الظنّة وخذ بالتهمة، غير أن لا تقاتل إلّا من قاتلك، واكتب إليّ في كلّ يوم بما يحدث من خبر إن شاء الله» «١».

وفي هذا الخبر أمور:

١- سروره بقتل مسلم وهاني وغيرهما.

٢- أمره بالأخذ بالظن والتهمة.

٣- أمره بأن يكتب إليه كلّ يوم بما يحدث.

فإذن.. كان يزيد- مضافاً إلى الأدلة والشواهد القائمة على أمره بقتل الحسين عليه السلام- عالماً بكلّ ما حدث في كربلاء يوماً فيوماً، ولم نجد في المصادر ما يشير- بأقل إشارة- إلى انزعاجه وعدم رضاه من عمل من أعمال عبيد الله وعمر بن سعد وغيرهما من أياديه

...وبهذا أيضا يظهر كذب ما يقال إنه: «لما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع على ذلك».

بل ذكرت المصادر أنه أظهر السرور بقتل الحسين عليه السلام وجلس للتهنئة وقال: بأن الرجل - يعني الحسين - لم يقرأ كتاب الله «تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ» ثم جعل ينكت بالخيزرانة بين شفتي الحسين وأنشأ يقول:

يَفْلَقُنْ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةً عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَى وَأَظْلَمَا

وجعل يقول: ما كنت أظن أبا عبد الله يبلغ هذا السن.

وروى الذهبي بإسناد له - نص على قوته - عن حمزة بن يزيد بن الحضرمي: إن

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٨٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٨٩

حاضنه يزيد قالت: «دخل رجل على يزيد فقال: أبشر، فقد أمكنك الله من الحسين، وجئ برأسه. قال: فوضع في طست، فأمر الغلام فكشف، فحين رآه خمر وجهه كأنه شم منه، فقلت لها: أقرع ثنياه بقضيب؟ قالت: إى والله.

ثم قال حمزة: وقد حدثني بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوباً بالشام ثلاثة أيام.

ثم إن أهله ونسائه أدخلوا عليه وقد قننوا في الحبال، فوقفوا بين يديه» (١).

وروى ابن الجوزي بإسناده عن الليث عن مجاهد قال: «جئ برأس الحسين بن علي، فوضع بين يدي يزيد بن معاوية، فتمثل بهذين البيتين:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لى بغيب لا تشل» (٢)

قال ابن الجوزي: «ولو أنه احترم الرأس حين وصوله، وصلى عليه ولم يتركه في طست، ولم يضربه بقضيب، ما الذي كان يضره وقد حصل مقصوده من القتل؟ ولكن أحقاد جاهلية، ودليلها ما تقدم من إنشاده: ليت أشياخي بيدر شهدوا»....

هذا، وسيأتى له شعر آخر عن غير واحد من المصادر يدلّ هو الآخر على كفره.

نعم، ذكروا أنه ندم وجعل يلعن ابن مرجان، وأمر بإكرام أهل البيت وإقامة المآتم على الحسين وأصحابه عليهم السلام.

وقد جمع غير واحد منهم بين أخبار السرور والندم بما ترى:

قال الطبري: «وحدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه، بعث

(١) ترجمة الحسين بن علي من طبقات ابن سعد: ٨٣، الرد على المتعصب العنيد: ٤٥-٤٩، الطبري ٥/ ٤٦٣-٤٦٥، المنتظم ٥/ ٣٤١-٣٤٢، ابن كثير ٨/ ١٩٠-١٩٢، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٩.

(٢) الرد على المتعصب العنيد ٤٢-٤٨، المنتظم ٥/ ٣٤٣، ابن كثير ٨/ ١٩٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٩٠

برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فسّر بقتلهم أولًا، وحسنت بذلك منزله عبيد الله عنده.

ثم لم يلبث إلا- قليلاً حتى ندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري، وحكمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقربته، لعن الله ابن

مرجائه، فإنه أخرجه واضطره، وقد كان سأل أن يخلّى سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين، حتى يتوفاه الله عز وجل، فلم يفعل، فأبى ذلك ورده عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً، ما لي ولا بن مرجئة، لعنه الله وغضب عليه» (١).

ونقله الذهبي عن الطبري، ولم يتعقبه بشيء (٢).

وكذا ابن الأثير، قال: «وقيل: لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنه وسبهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليّ لو احتملت الأذى..» (٣). وقال السيوطي: «ولما قتل الحسين وبنو أبيه بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسّر بقتلهم أولاً، ثم ندم لما مقتته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه» (٤).

وقال ابن حجر: «ولما أنزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهزها مع سبايا

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٦.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ص ٢٠، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٤/ ٨٧.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٩١

آل الحسين إلى يزيد، فلما وصلت إليه قيل: إنه ترحم عليه، وتكرّر لابن زياد وأرسل برأسه وبقية بنيهِ إلى المدينة. وقال سبط ابن الجوزي وغيره:

المشهور أنه جمع أهل الشام وجعل ينكت الرأس بالخيزران، وجمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثاني، بقرينة أنه بالغ في رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه» (١).

قلت:

ولعلّ من أهم أسباب بغض الناس ليزيد وسبهم إياه وتفرّقهم عنه، حتى التجأ إلى إظهار الندم ولعن ابن مرجئة، إنشاده أشعار ابن الزبيري، فقد نصّ غير واحد من «أهل النقل» بعد ذكر ذلك: «إنه والله ما بقي في عسكره أحد إلا تركه. أي عابه وذمّه» (٢).

قال ابن حجر: «قالت طائفة من أهل السنة بأنه كافر لذلك» (٣).

هذا، ومما يكشف عن أنه لم يكن صادقاً في إظهاره الندم: عدم تسليمه الرأس الشريف إلى أهل البيت كي يلحقوه بجسده الطاهر، بل أرسله - فيما يروون - إلى عامله بالمدينة المنورة، الذي قال: «وددت أنه لم يبعث به إلي» (٤).

هذا، وقد لعنه غير واحد من الأئمة الأعلام: كالسعد التفتازاني (٥) والجلال السيوطي (٦)، وجماعة من المتقدمين، وقد ذكر جماعة منهم ابن الجوزي في كتابه (الردّ على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد) الذي أورد فيه بعض الأدلة على لعن يزيد.

وممن فضل البحث في هذا المقام: الآلوسي البغدادي، إذ قال بتفسير قوله تعالى

(١) الصواعق المحرقة: ١١٩.

(٢) الرد على المتعصب العنيد: ٤٨، ابن كثير ٨/ ١٩٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٣١.

(٤) تاريخ الإسلام حوادث ٦١ ص ٢٠.

(٥) ستأتى عبارته.

(٦) تاريخ الخلفاء: ٢٠٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٩٢

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» ... بعد كلام له: «وعلى هذا القول لا توقف فى لعن يزيد، لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر فى جميع أيام تكليفه ... والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت ورضاه بقتل الحسين - على جدّه وعليه الصلاة والسلام - واستبشاره بذلك وإهانته لأهل بيته مما تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله آحاداً ...

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم ناصر السنة ابن الجوزى وسبقه القاضى أبو يعلى، وقال العلامة التفتازانى: لا نتوقّف فى شأنه بل فى إيمانه، لعنه الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعدائه. وممن صرّح بلعنه الجلال السيوطى عليه الرحمة.

وفى تاريخ ابن الوردى «١» وكتاب الوافى بالوفيات «٢»: أن السبى لما ورد من العراق على يزيد خرج، فلقى الأطفال والنساء من ذرية على والحسين رضى الله تعالى عنهما، والرؤس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثنية جيرون، فلما رأهم نعب غراب فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرق تلك الرؤس من شفا جيرون

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديونى

يعنى: إنه قتل بمن قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر، كجدّه عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما، وهذا كفر صريح، فإذا صح عنه فقد كفر به.

ومثله تمثله بقول عبد الله بن الزبعرى قبل إسلامه:

ليت أشياخى.. الأبيات.

وأفتى الغزالى - عفا الله عنه - بحرمة لعنه، وتعقب السفارينى من الحنابلة نقل

(١) تتمه المختصر فى أخبار البشر حوادث: ٦٠.

(٢) الوافى بالوفيات ١٢ / ٤٢٦.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٩٣

البرزنجى والهيثمى السابق عن أحمد رحمه الله تعالى فقال: المحفوظ عن الإمام أحمد خلاف ما نقلنا فى الفروع ما نصّه: من أصحابنا من أخرج الحجاج عن الإسلام فيتوجه عليه يزيد ونحوه، ونص أحمد خلاف ذلك، وعليه الأصحاب، ولا يجوز التخصيص باللعنة، خلافاً لأبى الحسين وابن الجوزى وغيرهما. وقال شيخ الإسلام - يعنى والله تعالى أعلم: ابن تيمية - ظاهر كلام أحمد الكراهة. قلت: والمختار ما ذهب إليه ابن الجوزى وأبو حسين القاضى ومن وافقهما.

إنتهى كلام السفارينى.

وأبو بكر ابن العربى المالكى - عليه من الله تعالى ما يستحق - أعظم الفرية، فزعم أن الحسين قتل بسيف جدّه، صلى الله عليه تعالى وسلّم. وله من الجهلة موافقون على ذلك «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا».

قال ابن الجوزى - عليه الرحمة - فى كتابه السرّ المصون: من الاعتقادات العامية التى غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة أن يقولوا: إن يزيد كان على الصواب، وإن الحسين - رضى الله تعالى عنه - أخطأ فى الخروج عليه، ولو نظروا فى السير لعلموا كيف عقدت له البيعة، وألزم الناس بها، ولقد فعل فى ذلك كلّ قبيح.

ثم لو قدّرنا صحة عقد البيعة، فقد بدت منه بواد كلّها توجب فسخ العقد، ولا يميل إلى ذلك إلا كلّ جاهل عامى المذهب يظن أنه يغبط بذلك الرافضة.

وأنا أقول: الذي يغلب على ظني أن الخبيث لم يكن مصداقاً برسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى وأهل حرم نبيه عليه الصلوة والسلام وعترته الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي، ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قدر، ولا أظن أن أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلا الصبر ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. ولو سلم أن الخبيث كان

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٩٤

مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان.

وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين.

والظاهر أنه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه.

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة، فلعن الله عز وجلّ عليهم أجمعين، وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم، ومن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين.

ويعجبنى قول شاعر العصر ذو الفضل الجلي عبد الباقي أفندي العمرى الموصلى، وقد سئل عن لعن يزيد اللعين:

يزيد على لعنى عريض جنباه فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا

ومن كان يخشى القال والقال والتصريح بلعن ذاك الضليل، فليقل: لعن الله عز وجلّ من رضى بقتل الحسين، ومن آذى عتره النبي صلى الله عليه وسلم بغير حق، ومن غصبهم حقهم، فإنه يكون لا عناءً له، لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في نفس الأمر.

ولا- يخالف في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها سوى ابن العربى الماز ذكره وموافقيه، فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضى بقتل الحسين رضى الله تعالى عنه، وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذى يكاد يزيد على ضلال يزيد» (١).

أقول:

وقد تشبث هؤلاء المانعون بأشياء يحكم بوهنها كل من يقف عليها، ويفهم بأن السبب الأصلى للمنع ليس شىء منها، ولا يبعد أن يكون السبب ما ذكره السعد

(١) روح المعانى ٢٦/ ٧٢-٧٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ١٩٥

التفتازانى بقوله:

«وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل البيت النبى صلى الله عليه وسلم، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، إذ تكاد تشهد به الجماد والعجماء. ويبكى له من فى الأرض والسماء، وتنهد منه الجبال وتنشق الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومزّ الدهور، فلعن الله على من أمر أو رضى أو سعى «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى».

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لم يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً عن أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض على ما يروى فى أدعيتهم ويجرى فى أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكليّة طريقاً إلى الاقتصاد فى الاعتقاد، وبحيث لا تزل الأقدام عن السواء ولا تضل الأفهام بالأهواء، وإلا فمن يخفى عليه الجواز والاستحقاق؟ وكيف لا يقع عليهما الاتفاق؟» (١).

قلت:

يشير إلى ما فى بعض أدعيتنا حيث نقول: اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصاة التى جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على ذلك، اللهم العنهم جميعاً.

إشارة إلى أبي سفيان وهند ... ص: ١٩٦

حمزة عليه السلام.

الشرح:

قال ابن تيمية: «لا ريب أن أبا سفيان بن حرب كان قائد المشركين يوم أحد، وكسرت ذلك اليوم ثنية النبي صلى الله عليه وسلم، كسرهما بعض المشركين، لكن لم يقل أحد أن أبا سفيان باشر ذلك» «... ١».

أقول:

لم أتحقق بعد من كان المباشر لذلك.

أمّا قوله: «لم يقل أحد إن أبا سفيان باشر ذلك» فنحن لا نصدّقه، إذ كثيراً ما نسب إلى العلماء شيئاً أو نفى أن يكون أحد قاله، ثم وجدنا خلاف كلامه في الكتب المعتمدة.

وكيف كان، ففي كون أبي سفيان قائد الجيش - في ذلك اليوم الذي كسرت فيه ثنية النبي - كفاية، ولا حاجة إلى المباشرة، وإلا فإن معاوية لم يباشر سمّ الحسن عليه السلام، ويزيد لم يباشر قتل الحسين عليه السلام.

ولم يتكلم ابن تيمية عن أكل هند كبّد حمزة عليه السلام بشيء، وهذا منه عجيب!! لأن كثيراً من القضايا الضرورية والحوادث المسلمة ناقش فيها بقله حياء!! غير أنه ذكر: «وكان هذا قبل إسلامهم، ثم بعد ذلك أسلموا وحسن إسلامهم وإسلام هند، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرمها» «٢».

وهذا كذب، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما بلغه إخراج هند كبّد حمزة، سأل عما إذا دخل في جوفها شيء من الكبّد، فقالوا: لا. فقال صلى الله عليه وآله:

«ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار» «٣».

(١) منهاج السنّة ٤ / ٤٧٤.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٤٧٤.

(٣) مسند أحمد ١ / ٤٦٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٩٧

تسمية خالد (سيف الله ...) ص: ١٩٧

إشارة

قال قدّس سرّه: وسَمّوا خالد بن الوليد سيف الله.

الشرح:

قال ابن تيمية: «أمّا تسمية خالد بـ «سيف الله» فليس هو مختصّاً به، بل هو «سيف من سيوف الله وسله الله على المشركين» هكذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي هو أوّل من سمّاه بهذا الاسم، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أيوب السخيتاني عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك.. وهذا لا يمنع أن يكون غيره سيفاً لله تعالى، بل هو يتضمن أن سيوف الله متعددة وهو واحد منها» «... ١».

أقول:

ظاهره أنهم لا يلقَّبون خالداً «سيف الله» وهذا منه كذب، وإن كنت في ريب فلاحظ كتبهم في الحديث والرجال وغيرها، ففي كتب الرجال مثلاً يعنونون «خالداً» هكذا:

قال ابن عبد البر: «وكان يقال له: سيف الله» (٢).

وقال المزي: «خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشي، المخزومي، أبو سليمان، الحجازي، سيف الله. وأمه: لبابة الصغرى بنت...» (٣).

وقال الذهبي: «خالد بن الوليد بن المغيرة... سيف الله تعالى» (٤...).

(١) منهاج السنة ٤ / ٤٧٨.

(٢) الاستيعاب ٢ / ٤٢٩.

(٣) تهذيب الكمال ٨ / ١٨٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٩٨

وقال ابن حجر: «خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، أبو سليمان، سيف الله» (١).

بل الأمر أكثر من ذلك، فقد جاء في بعض الأسانيد لدى الرواية عن خالد (٢)، حفيد خالد بن الوليد: «خالد بن المهاجر بن سيف الله» (٣)، فكان «سيف الله» أصبح عندهم علماً يقصدون به «خالد بن الوليد»!!

أقول:

هذا القدر يكفي لتبيين صدق العلامة وكذب ابن تيمية.

على الأحق بهذا اللقب ... ص: ١٩٨

قال قدس سره: عناداً لأمير المؤمنين عليه السلام، الذي هو أحق بهذا الاسم، حيث قتل بسيفه الكفار وثبتت بواسطه جهاده قواعد الدين.

الشرح:

وقول العلامة: «عناداً لأمير المؤمنين» ... إشارة إلى أن المعاندين لأمير المؤمنين قد عمدوا إلى تسمية أحد ألدّ الخصوم والمبغضين له - وهو خالد بن الوليد - عناداً له ...

أمّا كون خالد من أعداء الإمام عليه السلام، فذاك من الأمور التي يعلمها كلّ من له أدنى إلمام بالتواريخ والسير، في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته.

أمّا في حياته، فتلك كلمة بريدة بن الحصيب الشهيرة، المروية بالطرق الصحيحة، في قضية بعث النبي صلى الله عليه وآله جيشين إلى اليمن، على أحدهما:

على عليه السلام، وعلى الآخر: خالد بن الوليد.

(١) تهذيب التهذيب ٣ / ١٠٧.

(٢) ترجمته: في تهذيب التهذيب وتقريبه ١ / ٢١٩ وغيرهما.

(٣) راجع مثلاً: صحيح مسلم، هامش القسطلاني ١٣٣/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ١٩٩

قال بريدة: فكنت أبغض عليّاً وأحبّ خالداً لم أحبه إلا لبغضه عليّاً، حتى إذا غنموا وأصاب على جارية - فيما يروون - من الخمس، أخذها خالد فرصة ليشنع على علي ويسقطه من عين النبي صلى الله عليه وآله، فأرسل جماعة - فيهم بريدة - إلى المدينة يشيعون الخبر في الناس ويتكلمون في علي، وأرسل معهم كتاباً إلى النبي، فلما قرأ الكتاب احمرّ وجهه وقال لبريدة: أتبغض عليّاً؟ قال: نعم.

قال: لا تبغضه، فإن له في الخمس أكثر من ذلك، وهو لا يفعل إلى ما يؤمر به، إن عليّاً مني وأنا منه وهو وليكم من بعدى (١). وأما بعد وفاته، فقد كان خالد من المهاجرين لبیت الزهراء بضعة النبي (٢).

ولقد بلغ العداء به لعلي وأهل البيت عليهم السلام إلى حدّ استعدّ لأن يغتال عليّاً بأمر من أبي بكر. قال الحافظ أبو سعد السمعاني بترجمة الرواجي: «روى عنه جماعة من مشاهير الأئمة قبل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، لأنه لم يكن داعية إلى هواه، وروى عنه حديث أبي بكر رضى الله عنه أنه قال: لا يفعل خالد ما أمر به. سألت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني بالكوفة عن معنى هذا الأثر فقال: كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل عليّاً ثم ندم بعد ذلك فنهى عن ذلك» (٣). ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذا البغض وعمّا ستلقاه عترته من

(١) هذا حديث بحثنا عنه سنداً ودلالة بالتفصيل في الجزء (١٥) من كتابنا الكبير: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار.

(٢) معالم المدرستين ١/١٢٦.

(٣) الأنساب ٣/٩٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٠٠

«بنى مخزوم»:

فقد أخرج الحاكم بسنده أنه قال: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدى من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشدّ قومنا لنا بغضاً، بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» (١).

وأما دعوى أن النبي صلى الله عليه وآله سماه «سيف من سيوف الله سلّه على المشركين» كما ثبت في صحيح البخاري ... وأنه هكذا سماه، فنقول:

صريح كلامه أن التسمية كذلك كانت في غزوة مؤتة، وهذا ما نصّ عليه غيره:

قال ابن الأثير بعد كلام له: «ولعلّ هذا القول كان بعد غزوة مؤتة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما سمى خالداً سيفاً من سيوف الله فيها، فإنه خطب الناس وأعلمهم بقتل زيد وجعفر وابن رواحة وقال: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه» (٢).

لكن من القوم من تصرّف في هذا الحديث أيضاً، فنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سماه «سيف الله» على سبيل الحصر! قال ابن حجر بعد أن عنوانه ب «سيف الله» كما تقدّم: «أسلم بعد الحديبية وشهد مؤتة، ويومئذ سماه رسول الله: سيف الله» (٣).

وهذا شاهد آخر من شواهد صدق العلامة وكذب ابن تيمية، فإنهم لعنادهم مع أمير المؤمنين عليه السلام سمّوا خالداً باللقب المذكور، وحتى تصرّفوا في الحديث الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وآله!!

لكن الحديث كذب وإن كان في صحيح البخاري:

(١) المستدرک علی الصحيحین ٤/ ٤٨٧.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/ ٩٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٠١

سقوط الحديث سنداً

فلأنه عن: أحمد بن عبد الملك بن واقد، عن حماد بن زيد، عن أيوب السخيتاني، عن حميد بن هلال، عن أنس ...

وهذا السند متكلم فيه أولاً وآخرأ.

فأما أحمد بن واقد، فعن مغلطاي: ذكره الكلاباذي والباجي، قالوا: وهو متروك، وقال ابن نمير: أهل بلده يسيئون الثناء عليه فترك حديثه «١». ولهذا ذكره ابن حجر فيمن تكلم فيه من رجال البخاري وجعل يدافع عنه «٢».

وأما حميد بن هلال، فقد أورده العقيلي في ضعفائه، وابن الجوزي في ضعفائه، والذهبي في ميزانه «٣» وقال علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد القطان: كان ابن سيرين لا يرضى حميد بن هلال «٤».

سقوطه معني

فلأنه إن كان بلفظ «سيف الله» الظاهر في الحصر فباطل كما هو واضح، وإن كان بلفظ «سيف من سيوف الله» فباطل، إذ لا يليق بالنبي صلى الله عليه وآله أن ينعي زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس، فلا يصفهم بوصف ثم يخص خالداً بالكلام المذكور.

وعلى الجملة، فإن ظاهر سياق الحديث يقتضي الحصر كذلك، وهو باطل، كما اعترف ابن تيمية.

هذا كله، مضافاً إلى وصف عمر بن الخطاب خالداً بـ «عدو الله» كما جاء في تاريخ الطبري وغيره في قضية قتله مالكا وتزوجه بزوجه، فإن كان رسول الله قد سمى خالداً بما يدعون، فقد ردّ عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١)

تهذيب الكمال ٧/ ٤٠٣. الهامش.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٣٨٤.

(٣) تهذيب الكمال ١/ ٣٩٣. الهامش.

(٤) تهذيب الكمال ١/ ٣٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٠٢

علی سيف الله وسهمه ... ص: ٢٠٢

قال قدس سره: وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: على سيف الله وسهمه الله. وقال على عليه السلام على المنبر: أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه.

الشرح:

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: على سيف الله وسهمه الله، فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معروف، ومعناه باطل، فإن علياً ليس هو وحده سيف الله وسهمه. وهذه العبارة يقتضي ظاهرها الحصر»

«١».

أقول:

هذان الحديثان من الأحاديث المتفق عليها بين الفريقين، ولا ريب أن المتفق عليه أولى بالاستدلال من المنفرد به ولو كان صحيحاً عند المستدل، فكيف لو لم يكن بسند صحيح؟

وقد روى الحديث الأول من علماء أهل السنة: الخركوشي في (شرف النبوة) وعنه المحب الطبري:

«عن أنس بن مالك قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فذكر قولاً كثيراً، ثم قال: أين علي بن أبي طالب؟ فوثب إليه فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمه إلى صدره وقبل بين عينيه وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين، هذا أخي وابن عمي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكرب عني، هذا

(١) منهاج السنة ٤/ ٤٨٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٠٣

أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضه لعنة الله ولعنة اللعائن، والله منه برئ وأنا منه برئ، فمن أحب أن يبرأ من الله ومنى فليبرأ من علي، وليبلغ الشاهد الغائب. ثم قال: إجلس يا علي، قد عرف الله لك ذلك. أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة» (١).

هذا، وقد روى الشيخ الحافظ صدر الدين الحموي بإسناده عن أبي زبير عن جابر بن عبد الله قال:

«كنت يوماً مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حيطان المدينة ويد علي في يده، فمرّ بنخل فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء وهذا علي سيد الأوصياء أبو الأئمة الطاهرين. ثم مررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد رسول الله وهذا علي سيف الله. فالتفت النبي إلى علي فقال: يا علي سمه الصيحاني. فسمى من ذلك اليوم بالصيحاني» (٢).

ورواه عنه الحافظ الزرندي (٣) والحافظ السمهودي، في أسماء تمور المدينة المنورة (٤) من دون تكلم في سنده وإنما قالوا: «حديث غريب».

تنبيه:

قد روى خبر النخل الصيحاني في كتب أهل السنة عن أمير المؤمنين، وأبي بكر، لكن بلفظ ليس فيه «سيف الله»، ولما كان من أخبار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام التي يروونها بأسانيدهم، كان من المناسب ذكره في المقام.

وهو ما رواه بأساندهم عن أحمد بن نصر الذراع قال: حدّثنا صدقه بن موسى، حدّثنا أبي، حدّثنا علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٩٢.

(٢) فرائد السمطين ١/ ١٣٧.

(٣) نظم درر السمطين: ١٢٤.

(٤) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٠٤

محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسن، عن علي قال: «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ مررنا بنخل فصاحت نخلة أخرى: هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى، ثم جزناها فصاحت ثانيةً بثالثة: موسى وأخوه هارون، ثم جزناها فصاحت رابعةً

بخامسة: هذا نوح وإبراهيم، ثم جزناها فصاحت سادسة بسابعة: هذا محمد سيد المرسلين وهذا علي سيد الوصيين. فتبسم ثم قال: يا علي إنما سمى نخل المدينة صيحاناً لأنه صاح بفضلتي وفضلتك». أقول:

لقد أدرج ابن الجوزي هذا الخبر في (الموضوعات) ولم يتهم به إلا «أحمد ابن نصر الذراع» (١) هذا المحدث البغدادي المشهور، فلما راجعنا ترجمته عند الخطيب لم نجد فيه طعناً في الرجل نفسه عن أحد من رجال الحديث، بل وجدناه يقول: «في حديثه نكرة تدل على أنه ليس بثقة» (٢).

وهذا- كما ترى- قدح عن اجتهاد، فإنه لما رآه يروي أمثال هذا الحديث، مما يدل على فضائل وخصائص لعلي عليه السلام، قال: «في حديثه نكرة» لكنها برأيه «تدل على أنه ليس بثقة» ومثل هذا الطعن لا يسمع عند المحققين. ولعله لذا تعقب السيوطي كلام ابن الجوزي، فذكر الحديث بإسناد آخر عن أبي بكر، ولم يتكلم عليه بشيء (٣). كما أن من رواة الحديث الثاني منهم: الحافظ صدر الدين الحموي، حيث روى بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما استعصى على أهل مملكة قط إلا رميتهم»

(١) الموضوعات ١ / ٣٦٩.

(٢) تاريخ بغداد ٥ / ١٨٤.

(٣) اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٠٥
بسهم الله تعالى.

قيل: يا رسول الله، وما سهم الله تعالى؟

قال: علي بن أبي طالب. ما بعثته في سرية قط إلا أني رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملكاً أمامه وسحابة تظله، حتى يعطي الله النصر والظفر» (١).

هذا، وقد نقل القوم عن الحسن البصري وصفه الإمام عليه السلام ب «السهم» إذ أخبر بأنه ينسب إلى تنقص الإمام عليه السلام، فقال: «كان- والله- سهماً صائباً من مرامي الله عز وجل على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لم يكن بالثؤمة عن أمر الله، ولا- بالملومة في دين الله، ولا- بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موقنة، ذاك على بن أبي طالب، يا لكع». رواه ابن عبد البر، والمحب الطبري عن الخلعى، وابن عبد ربه، وغيرهم (٢).

خالد قبل التظاهر بالإسلام ... ص: ٢٠٥

قال قدس سره: وخالد لم يزل عدواً لرسول الله صلى الله عليه وآله مكذباً له.

وهو كان السبب في قتل المسلمين يوم احد وفي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وآله وفي قتل حمزة عليه السلام عمه. الشرح:

قال ابن تيمية: «وأما قوله: وخالد لم يزل عدواً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكذباً له.

فهذا كان قبل إسلامه، كما كان الصحابة كلهم مكذبين له قبل الإسلام، من

(١) فرائد السمطين ١/ ٢٢٢.

(٢) الإستيعاب ٣/ ١١١٠، ذخائر العقبى: ٧٩، مناقب علي لابن المغازلي: ٧٣، العقد الفريد ٢/ ١٩٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٠٦

بنى هاشم وغير بنى هاشم، مثل أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخيه ربيعة، وحزمة عمه، وعقيل، وغيرهم» (١). أقول:

أولاً: لم يتكلم على قول العلامة: «وهو كان السبب» بشيء، ولو أمكنه لفعل!!

وثانياً: صريح كلام العلامة ناظر إلى حال خالد قبل تظاهرة بالإسلام، فقوله: «فهذا كان قبل إسلامه» لا مورد له.

وثالثاً: لم يكن الصحابة كلهم مكذّبين له قبل الإسلام، فأمر المؤمنين عليه السلام صدّقه منذ اليوم الأوّل، وهذا ممّا يميّزه به عن غيره وفصله عند أعلام الصحابة وعقلاء المسلمين.

ورابعاً: كلام العلامة ناظر إلى «العداء» مضافاً إلى «التكذيب»، وابن تيمية أغفل الكلمة الأولى، وكأنه يزعم أن الصحابة كلهم كانوا قبل إسلامهم أعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا كذب.

وخامساً: لقد كان «عمر» من أشهر القوم في «العداء» و «التكذيب»، حتى أنه في قضيتة تظاهرة بالإسلام كان قد خرج شاهراً سيفه يريد قتل النبي صلى الله عليه وآله، وهي قضيتة معروفة عند الكلّ.. وكذلك كان أبو سفيان وبنو أمية ونظراؤهم.

خالد بعد التظاهر بالإسلام ... ص: ٢٠٦

قال قدس سرّه: ولما تظاهر بالإسلام بعثه النبي صلى الله عليه وآله إلى بنى جذيمة ليأخذ منهم الصدقات فخانه وخالفه على أمره، وقتل المسلمين فقام النبي صلى الله عليه وآله في أصحابه خطيباً بالإنكار عليه، رافعاً يديه إلى السماء حتى شوهد بياض إبطيه وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد! ثم أنفذ

(١) منهاج السنّة ٤/ ٤٨٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٠٧

إليهم أمير المؤمنين عليه السلام لتلافى فارطته، وأمره أن يسترضى القوم ففعل.

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا النقل فيه من الجهل والتحريف ما لا يخفى على من يعلم السيرة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فقالوا: صباناً صباناً، فلم يقبل ذلك منهم وقال: إن هذا ليس بإسلام، فقتلهم، فأنكر ذلك عليه من معه من أعيان الصحابة، كسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وغيرهما.

ولما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، لأنه خاف أن يطالبه الله بما جرى عليهم من العدوان، وقد قال تعالى: «فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ».

ثم أرسل علياً وأرسل معه مالاً، فأعطاهم نصف الديات، وضمن لهم ما تلف حتى ميلغ الكلب، ودفع إليهم ما بقي احتياطاً، لئلا يكون بقى شيء لم يعلم به.

ومع هذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعزل خالدًا عن الإمارة، بل ما زال يؤمره ويقدمه...

ويقال: إنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، وكان ذلك مما حرّكه على قتلهم، وعلى كان رسولاً في ذلك.

وأما قوله: إنه أمره أن يسترضى القوم من فعله. فكلام جاهل، وإنما أرسله لإنصافهم وضمان ما تلف لهم لا لمجرد الاسترضاء. وكذلك قوله عن خالد: إنه خانته وخالف أمره وقتل المسلمين، كذب على خالد، فإن خالداً لم يتعمد خيانه النبي صلى الله عليه وسلم ولا مخالفته أمره، ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده، ولكنه أخطأ» ... ١.

(١) منهاج السنة ٤ / ٤٨٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٠٨

في غارة خالد على بني جذيمة ص: ٢٠٨

أقول:

بل الجهل والتحريف في نقل ابن تيمية، كما لا يخفى على من يعلم السيرة. ولنوضح ذلك ضمن مطالب:

إنه بعث داعياً لا مقاتلاً ... ص: ٢٠٨

المطلب الأول: في أن خالداً بعث إليهم داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً:

يقول ابن تيمية: «أرسله إليهم بعد فتح مكة ليسلموا» فما معنى «ليسلموا»؟

لقد كانت بعوث رسول الله صلى الله عليه وآله مختلفه.

فتارة بعث إلى قوم ليقاتلوا حتى يسلموا، كما روى بالنسبة إلى بعث خالد إلى بني الحارث بن كعب، قال ابن إسحاق: «ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم..» ١.

وأخرى بعث إلى قوم يدعون إلى الإسلام، فإن استجابوا فهو وإلا لم يقاتلوا.

وقد كان بعث رسول الله خالداً إلى بني جذيمة من القسم الثاني، وهذا ما نص عليه أهل السيرة:

قال ابن إسحاق: «وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بني جذيمة، فأصاب منهم..»

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٩٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٠٩

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن جنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة، داعياً ولم يبعثه مقاتلاً» ... ١.

وقال الطبري: «وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة، وكان من أمره ما حدثنا به ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو إلى عز وجل ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بني جذيمة فأصاب منهم.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن جنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي بن

حسين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً» (٢... ٢).
 وقال ابن سعد: «قالوا: بعثه إلى بنى جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً» (٣... ٣).
 وقال ابن الجوزي: «بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً» (٤... ٤).
 وقال الذهبي: «قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا فيما حول مكة يدعون إلى الله تعالى، ولم يأمرهم بقتال، فكان ممن بعث: خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بنى جذيمة بن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٧.

(٤) المنتظم ٣/ ٣٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٠

عامر بن عبد مناة بن كنانة، فأصاب منهم» (١... ١).

وقال ابن الأثير: «وفي هذه السنة: كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً»... (٢... ٢).

وقال ابن خلدون: «ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا حول مكة ولم يأمرهم بقتال، ومن جملتهم خالد بن إلى إلى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فقتل منهم، وأخذ ذلك عليه» (٣... ٣).

وقال ابن كثير: «قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً» (٤... ٤).

وقال ابن حجر: «قال ابن سعد: بعث النبي صلى الله عليه وسلم إليهم خالد بن الوليد- في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار- داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً...»

قال ابن إسحاق: حدثني.. قال: بعث رسول الله خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بنى جذيمة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً» (٥... ٥).

وقال ابن سيد الناس: «بعثه صلى الله عليه وسلم إلى بنى جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً» (٦... ٦).

(١) تاريخ الإسلام- المغازي: ٥٦٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٤/ ٨١٠.

(٤) البداية والنهاية ٤/ ٣١٢.

(٥) فتح الباري ٨/ ٤٦.

(٦) عيون الأثر ٢/ ١٨٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١١

وقال الحلبي: «يدعوهم إلى الإسلام، أي: ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم بإسلامهم. ولم يأمره بمقاتلتهم، أي: إذا لم يسلموا» (١... ١).

وقال ابن القيم: «قال ابن سعد.. بعثه إلى بنى جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً» (٢... ٢).

أقول:

هذه كلمات علماء «السيرة» أوردناها بنصوصها إيضاحاً لصدق قول العلامة رحمه الله: «فخانه وخالفه في أمره» وأن الكذب هو تكذيبه ...

ولقد حاول ابن تيمية بقوله «ليسلموا» التمويه والتخديع، فإن النبي صلى الله عليه وآله لم يرسل خالداً إلى القوم «ليسلموا» أي: لأن يحملهم على الإسلام ولو بالسيف!! وإنما بعثه إليهم «داعياً» فقط. وإذ كان مبعوثاً إليهم «داعياً» فقط، ولم يؤمر بقتالهم أصلاً، لم يجز له قتلهم، سواء قالوا: «أسلمنا» أو «لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا: صلباً صلباً». وسواء قبل خالد ذلك منهم أو لم يقبل ذلك وقال: «إن هذا ليس بإسلام»! فإن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما أرسله داعياً فقط!! ولكن الحقيقة وواقع الأمر شيء آخر، كما ستعلم.

كانوا مسلمين ... ص: ٢١١

المطلب الثاني: في أن القوم كانوا مسلمين، وأنهم قد أقرّوا بالإسلام، وهذا ما نصّ عليه مشاهير الأئمة في التاريخ والسيرة، كابن إسحاق وابن هشام وابن جرير وابن سعد وغيرهم.

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٩.

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢ / ١٦٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٢

قال ابن سعد: «قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة، بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم خالد. فقال: ما أنتم؟

قالوا: مسلمون، قد صلبنا وصدّقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنّا فيها.

قال: فما بال السلاح عليكم؟

فقالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فحفظنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح.

قال: فضعوا السلاح. فوضعوه.

فقال لهم: استأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضهم ففرّقهم في أصحابه.

فلما كان في السحر، نادى خالد: من كان معه أسير فليدافه - والمدافّة الإجهاز عليه بالسيف - فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسرارهم.

فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد فقال: اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد.

وبعث على بن أبي طالب فودى لهم قتلهم وما ذهب منهم، ثم انصرف إلى رسول الله فأخبره «١».

هذا، وابن تيمية لم يذكر هنا إسلام القوم! إلا أنه صرح - في مبحث مطاعن

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ١٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٣

أبي بكر - بكونهم مسلمين وهذه عبارته:
«فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتله - مع قتله غير واحد من المسلمين من بنى جذيمة للتأويل - فلأن لا يقتله أبو بكر لقتله مالك بن نويرة بطريق الأولى والأخرى» (١).

السبب الأصلي للغارة ... ص: ٢١٣

المطلب الثالث: في السبب الأصلي لغارة خالد:
وأما بالنسبة إلى «العداوة» بين خالد وبنى جذيمة، فقد اضطر ابن تيمية إلى أن يصرح بها على الإجمال، بعنوان «يقال» قال: «ويقال: إنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، وكان ذلك مما حركه على قتلهم» ولولا تصريح علماء التاريخ والسيره بذلك وشرحهم للقضية بالتفصيل، لما ذكر ابن تيمية هذا المجلد أيضاً:
قال ابن جرير الطبري - وجماعة من الأئمة المتقدمين والمتأخرين - واللفظ له:
«بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سليم ومدلج وقبائل من غيرهم، فلما نزلوا على الغميصاء - وهي ماء من مياه بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة - على جماعتهم، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف - أبا عبد الرحمن بن عوف - والفاكه بن المغيرة، وكانا قد أقبلتا تاجر من اليمن، حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما، فلما كان الإسلام وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، سار حتى نزل ذلك الماء، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ... فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم».

(١) منهاج السنة ٥ / ٥٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢١٤

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.
ثم دعا على بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا علي، أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج ... ثم رجع إلى رسول الله فأخبره الخبر فقال: أصبت وأحسن.
ثم قام رسول الله فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه - حتى إنه ليرى بياض ما تحت منكبیه - وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات (١).

فظهر أن خالداً قتل قوماً مسلمين عملاً بأمر الجاهلية، وذلك أنهم قتلوا عمه الفاكه بن المغيرة!

وحتى بناء على عرف الجاهلية، لم يكن يجوز له القيام بما فعل، فقد جاء في السيرة في شرح القضية ما نصه:

«وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، ومع عفان ابنه عثمان ومع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من جذيمة بن عامر كان هلك باليمن إلى ورثته، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه وقتلوه، فقتل عوف بن عبد عوف والفاكه بن المغيرة، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد عوف فانطلقوا به. وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه».

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٥

فهت قريش بغزو بني جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم من ملأ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال. فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب» (١).

هذا، وقد اعترف خالد بعمله بأمر الجاهلية، في كلام شديد جرى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف: «فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام! فقال:

إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت. قد قتلت قاتل أبي، ولكنك تأرت بعَمَك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر»... (٢).

وهذا هو الذي تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله لا مرة بل مرّات! قال الحافظ السهيلي: «وذكر تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم مما فعل خالد، وهذا نحو مما روى عن عمر حين قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: إن في سيف خالد رهقاً، إن في سيف خالد رهقاً! فاقتله.

وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به، وكان مالك ارتدّ ثم راجع الإسلام ولم يظهر ذلك لخالد، وشهد عنده رجلان من الصحابة يرجوعه إلى الإسلام فلم يقبلهما، وتزوج امرأته، فلذلك قال عمر لأبي بكر: اقتله» (٣)...

قلت: وفي قصته مع بني جذيمة أيضاً، ردعه عمّا عزم عليه أكابر الصحابة الموجودين معه، كعبد الله بن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة، فلم يعأ بهما» (٤).

أما قصته مع مالك، فستأتي مفصّلة.

(١) الروض الآنف - شرح سيرة ابن هشام ٧/ ١٢٩.

(٢) الروض الآنف - شرح سيرة ابن هشام ٧/ ١٢٨، عيون الأثر في المغازي والسير ٢/ ١٨٦، زاد المعاد في هدى خير العباد ٢/ ١٦٨ وغيرها.

(٣) الروض الآنف - شرح سيرة ابن هشام ٧/ ١٥٩.

(٤) الروض الآنف - شرح سيرة ابن هشام ٧/ ١٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٦

اعتذار القوم لخالد...! ص: ٢١٦

المطلب الرابع: في الاعتذار لخالد.

وقد اضطرب القوم وتناقضت كلماتهم في الاعتذار لخالد بن الوليد...

والاعتذار له - بعد التصريح منهم بما سبق - عجيب جداً...

أمّا الاعتذار بأنهم قالوا: «صَبَأْنَا صَبَأَنَا» فلم يقبل خالد ذلك منهم - ... كما قال ابن تيمية - فهو بالنظر إلى ما تقدّم ساقط جداً، ولذا لم يذكره الأكثر، وحتى ابن القيم - تلميذ ابن تيمية - لم يعأ به، فإنه ذكر إسلام القوم واعتمده، ثم أورد ما قاله شيخه بعنوان «قد قيل»

وهذه عبارته:

«ذكر سريه خالد بن الوليد إلى بني جذيمة: قال ابن سعد: ولما رجع خالد ابن الوليد من هدم العزى - ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة - بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني

سليم، فانتهى إليهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا وأذنا فيها. قال: فما بال السلاح عليكم؟

قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم. وقد قيل: إنهم قالوا: صباناً صباناً ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا. قال: فضعوا السلاح، فوضعوه، فقال لهم: استأثروا...» (١).

ومن هنا قال الحلبي: «ولا يخفى أنه يبعد أن خالد بن الوليد - رضى الله تعالى عنه - إنما قتلهم لقولهم: صباناً ولم يقولوا أسلمنا» (٢). فذكر عذر آخر.. قال ابن إسحاق: «قد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ١٦٧ / ٢.

(٢) السيرة الحلبية ٢١١ / ٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٧

حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقتلهم لامتناعهم من الإسلام» (١).

وهذا أقبح من سابقه، فقد ثبت أنهم كانوا مسلمين، وأنهم بنوا المساجد في ديارهم وأذنوا فيها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لقواده: إذا رأيتم المساجد والأذان فيها فهم مسلمون يحرم قتلهم، ولذا قال عبد الرحمن بن عوف له - في الكلام الذي جرى بينهما -: «كيف تأخذ المسلمين بقتل رجل في الجاهلية؟ فقال خالد: ومن أخبركم أنهم أسلموا؟ فقال: أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالإسلام. فقال: جاءني أمر رسول الله أن أغير! فقال له عبد الرحمن بن عوف: كذبت على رسول الله. وإنما أخذت بثار عمك الفاكه» (٢).

على أنه لو كان خالد - أو المعتذر له بذلك - صادقاً، لوجب على النبي أن يتبرأ من هذا الخبر ويكذب المخبر ويؤاخذه على ذلك!! وحينئذ، التجأ بعضهم إلى الاستدلال بما وضعوه عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، من النهي عن الطعن في الصحابة والأمر بالإمساك عنهم!!

والتجأ آخرون إلى كتم القصة أو ذكرها محرفة أو مجملّة، فمنهم من يحاول أن لا يصرح بإسلام القوم، ومنهم لا يورد قصة الفاكه والكلام الذي جرى بين عبد الرحمن وخالد، ومنهم لا يذكر إرسال النبي صلى الله عليه وآله علياً إلى القوم، وهو:

إرسال النبي علياً ... ص: ٢١٧

المطلب الخامس: في إرسال النبي علياً إلى بني جذيمة:

قال العلامة رحمه الله: «ثم أنفذ إليه بأمير المؤمنين عليه السلام لتلافي فارطه

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٠ / ٢.

(٢) السيرة الحلبية ٢١١ / ٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٨

وأمره أن يسترضى القوم، ففعل» فلم يفهم ابن تيمية معنى هذا الكلام، أو فهمه وأراد التشويش عليه فقال:

«وأما قوله: إنه أمره أن يسترضى القوم من فعله. فكلام جاهل، فإنما أرسله لإنصافهم وضمان ما تلف لهم، لا لمجرد الاسترضاء» (١).

ومتى قال العلامة: إنه أرسل إليهم لمجرد الاسترضاء؟ فإن الإمام عليه السلام قد حمل إليهم - بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله - من المال ما ودى به لهم الدماء وما أصابهم من ضرر مالى ... وهذا ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أئمة السيرة.

لكن مقصود العلامة رحمه الله من «استرضاء القوم» هو إرضائهم بأخذ الديّة والتنازل عن المطالبة بالقود ... وقد رضى القوم بذلك، لكن اجتمعت على رضاهم أسباب:

أحدها: براءة رسول الله صلى الله عليه وآله من عمل خالد مرّات عديدة وعلى رؤوس الأشهاد، وغضبه على خالد وإعراضه عنه، كما نصّ عليه فى بعض الكتب.

والثانى: الأموال التى دفعت إليهم، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام أعطاهم أموالاً إضافية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

والثالث: حضور على عليه السلام عند القوم وجهوده التى بذلها فيهم، فالنبي صلى الله عليه وآله لم يرسل إليهم غيره، وهذا يدلّ على شدة اهتمامه بالأمر، فقد علم المسلمون كلّهم أن عليّاً عليه السلام كان من النبي بمنزلة رأسه من جسده وروحه من بدنه، فإذا أرسله إلى عمل أو قوم فكأنما قد حضر هو بنفسه.

وهكذا كان الأمر فى الوقائع المشابهة، فإنه كان إذا أراد تهديد قوم هددهم بإرسال على كما فى قضية أهل مكة والطائف حيث قال: «والذى نفسى بيده، لتقيمَنَّ الصلاة»

(١) منهاج السنّة ٤/ ٤٨٩.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢١٩

ولتؤتن الزكاة، أو لأبعثن إليكم رجلاً منى - أو كنفسى - يضرب أعناقكم، ثم أخذ بيد على.

وإذا أراد استرضاء قوم وتأليف قلوبهم وتحبيب نفوسهم، أرسل إليهم عليّاً، كما فى واقعة بنى جذيمة.

وإذا أراد إنذار قوم أرسل إليهم عليّاً، حتى أنه فى تبليغ الانذار إلى أهل مكة أرسل أولاً أبا بكر، فجاءه الوحى بما معناه: هذا العمل كان عليك أو على رجل هو كنفسك وهو على لا غيره، ولذا أرسل عليّاً خلف أبى بكر وعزله عمّا أمره به.

وهكذا كان على عليه السلام يبادر إلى القيام بما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله، كلّما تقاعس القوم عن الامتثال لأوامره أو تكاسلوا أو خالفوا..

فهذا مقصود العلامة رحمه الله، لأن خالداً قتل مسلمين برجل كافر قتل فى الجاهليّة، فكان لهم أن يطالبوا بالقصاص، لكن النبي صلى الله عليه وآله تبرأ من فعله، وكذا المسلمون كلّهم، ثم استرضى القوم بواسطة على أمير المؤمنين عليه السلام، حتى قبلوا الديّة، وانتهى الأمر، بالحكمة المحمدية والجهود العلوية.

ما فعله خالد بأهل اليمامة وهم مسلمون ... ص: ٢١٩

قال قدس سره: ولما قبض النبي صلى الله عليه وآله وأنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة، قتل منهم ألفاً ومائتى نفس مع تظاهرهم بالإسلام!

الشرح:

جاء التصريح بذلك فى كتاب كتبه أبو بكر إلى خالد بن الوليد، رواه المؤرخون، فروى الطبرى بإسناده عن ابن إسحاق قال: «ثم إن خالداً قال لمجاعة (١): «زوّجنى ابنتك. فقال له مجاعة: مهلاً، إنك قاطع

(١) وهو: مجاعة بن مرارة بن سلمى، كان من رؤساء بنى حنيقة، أسلم ووفد، وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرضاً باليمامة،

وكان ممن أسر يوم اليمامة، وقد تزوج خالد بنته في ذلك الوقت. وذكر المرزباني أنه عاش إلى عهد معاوية. الإصابة ٣/ ٣٦٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٢٠

ظهرى وظهرك معى عند صاحبك. قال: أيها الرجل زوّجنى، فزوّجه. فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتاباً يقطر الدم: لعمرى يا ابن أم خالد، إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد! قال: فلما نظر خالد فى الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأيسر - يعنى عمر بن الخطاب «١».

فما ذكر العلّامة رحمه الله موجود فى كتب القوم ورواياتهم.

لكن ابن تيمية يقول: «الله أكبر على هؤلاء المرتدّين المفترين أتباع المرتدّين، الذين برزوا بمعاداة الله ورسوله وكتابه ودينه، ومارقوا من الإسلام ونبذوه وراء ظهورهم، وشاقوا الله ورسوله وعباده المؤمنين، وتولّوا أهل الردّة والشقاق. فإن هذا الفصل وأمثاله من كلامهم يحقق أن هؤلاء القوم المتعصيين على الصديق رضى الله عنه وحزبه من جنس المرتدّين الكفار، كالمرتدّين الذين قاتلهم الصديق رضى الله عنه» «... ٢».

فاقرأ واحكم، من الكذاب المفترى؟ ومن المارق عن الإسلام، النابذ له وراء ظهره؟ المشاqq لله والرسول؟ أترى أن الحق يضيع والحقائق تتبدّل بمثل هذه الكلمات؟

الإشارة إلى مالك بن نويرة ... ص: ٢٢٠

قال قدس سرّه: وقتل مالك بن نويرة صبراً وهو مسلم، وعزّس بامراته، وسمّوا بنى حنيفه أهل الردّة لأنهم لم يحملوا الزكاة إلى أبى بكر لأنهم لم يعتقدوا

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٣٠٠.

(٢) منهاج السنّة ٤/ ٤٩٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٢١

إمامته، واستحلّ دماءهم وأموالهم ونساءهم حتى أنكر عمر عليه.

الشرح:

لم يتكلّم ابن تيمية هنا حول قضيه مالك وزوجته وعشيرته ... وستكلّم عليها بالتفصيل فى مباحث مطاعن أبى بكر، إن شاء الله تعالى.

قال قدس سرّه: فسّموا مانع الزكاة مرتدّاً ولم يسمّوا من استحلّ دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام مرتدّاً. مع أنهم سمعوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على حربك حربى وسلمك سلمى. ومحارب رسول الله كافر بالإجماع.

الشرح:

قال ابن تيمية: «هذا الحديث ليس فى شىء من كتب علماء الحديث المعروفة، ولا روى بإسناد معروف، ولو كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يجب أن يكونوا قد سمعوه، فإنه لم يسمع كلّ منهم كلّ ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا روى بإسناد معروف؟ بل كيف إذا علم أنه كذب موضوع على النبى صلى الله عليه وسلم باتّفاق أهل العلم بالحديث؟» «١».

فى قول النبى لعلّى وأهل البيت: أنا حرب لمن حاربكم ... ص: ٢٢١

أقول:

ما قال النبي صلى الله عليه وآله هذا في حق علي فحسب، بل قاله فيه وفي الزهراء وابنيهما عليهم الصلاة والسلام، فقل لابن تيمية وأتباعه «موتوا بِغَيْظِكُمْ» فقد:

أخرج أحمد عن تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن

(١) منهاج السنة ٤/ ٤٩٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٢٢

أبي هريرة قال: «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» (١).

وأخرج الترمذي قال: «حدثنا سليمان بن عبد الجبار البغدادي، حدثنا علي بن قادم، حدثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن السدي، عن صبيح مولى أم سلمة، عن زيد بن أرقم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (٢).

وأخرج ابن ماجه قال: «حدثنا الحسن بن علي الخلال وعلي بن المنذر قالوا: حدثنا أبو غسان، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن صبيح مولى أم سلمة، عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم» (٣).

وأخرج الطبراني قال: «حدثنا علي بن عبد العزيز ومحمد بن النضر الأزدي قالوا: ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن صبيح مولى أم سلمة، عن زيد بن أرقم: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم.

حدثنا محمد بن راشد، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا حسين بن محمد، ثنا سليمان بن قرم، عن أبي الجحاف عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولى أم سلمة - رضي الله عنها - عن جده، عن زيد بن أرقم قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على بيت فيه فاطمة وعلي وحسن وحسين - رضي الله عنهم - فقال: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٤٤٣.

(٢) صحيح الترمذي - كتاب المناقب، فضائل فاطمة ٥/ ٦٥٦.

(٣) سنن ابن ماجه - فضائل الحسن والحسين ١/ ٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٢٣

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة - رضي الله عنهم - وقال: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (١).

وأخرج الحاكم بإسناده عن أحمد بالسند واللفظ وقال: «هذا حديث حسن من حديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل عن تليد بن سليمان، فإنني لم أجده له رواية غيرها.

(قال): وله شاهد عن زيد بن أرقم حدثناه أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا مالك بن إسماعيل، ثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، عن صبيح مولى أم سلمة، عن زين بن أرقم، عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (٢). قلت:

ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وأخرجه الخطيب قال: «حدثنا محمد بن الحسين القطان، حدثنا عبد الباقي بن قانع القاضي، حدثنا أحمد بن علي الخزاز، حدثنا أحمد بن حاتم الطويل، حدثنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» (٣). قلت: وعبد الباقي بن قانع، هو الذي اعتمده ابن تيمية في إنكار أن يكون للإمام

(١) المعجم الكبير ٣/ ٤٠ رقم: ٢٦١٩، ٢٦٢٠، ٢٦٢١.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٤٩.

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ١٣٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٢٤

الحسن العسكري عليه السلام عقب، إن كان ابن قانع قد زعم ذلك، والعلم عند الله.

ورواه الذهبي في مواضع من (سير أعلام النبلاء) ولم يعلق على سنده بشيء، قال - بعد حديث رواه عن جامع الترمذي وتكلم على سنده - «وفي الجامع، لزيد بن أرقم:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ولا بينهما: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

قال: «أحمد بن حنبل: حدثنا تليد بن سليمان، حدثنا أبو الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» (١).

قال: «أحمد في مسنده: حدثنا تليد بن سليمان» ... (٢).

وروى ابن كثير الحديثين عن أبي هريرة وزيد بن أرقم بلا كلام في إسنادهما كذلك، قال: «وقال أحمد: حدثنا تليد بن سليمان... (قال) «وقد رواه النسائي من حديث أبي نعيم، وابن ماجه من حديث وكيع، وكلاهما من سفیان الثوري، عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف» (قال): «وقد رواه أسباط عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم، فذكره» (٣).

أقول: ويؤيده الأحاديث الكثيرة الواردة بتراجم أمير المؤمنين، والحسن والحسين، وأهل البيت، في كتب الحديث والفضائل، فلا نطيل بذكرها.

وأقول: وكان من أسباب اختيارنا هذا اللفظ هو التمهيد لما أشار إليه العلامة رحمه الله من عداة معاوية ويزيد لأمر المؤمنين والحسين عليهم السلام.

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٢٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٢٥

في أن حروب أمير المؤمنين كانت بأمر من رسول الله ... ص: ٢٢٥

هذا، ثم قال ابن تيمية:

«وعلى رضى الله عنه لم يكن قتاله يوم الجمل وصفين بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان رأياً رآه» (١). أقول:

وهذا كذب آخر، فقد روى العامة والخاصة عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» ومن رواه من أهل السنة:

١- أبو بكر البزار.

٢- وأبو القاسم الطبراني، وعنهما الحافظ الهيثمي قال: «وعن علي قال: عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي روايته: أمرت بقتال الناكثين. فذكره. رواه البزار والطبراني في الأوسط.

وأحد إسناده البزار رجاله رجال الصحيح، غير الربيع بن سعيد، ووثقه ابن حبان» (٢).

٣- أبو يعلى الموصلي، كما ستعلم من إسناده ابن عساكر.

٤- الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، كما في إسناده ابن عساكر. ورواه عنه المتقي حيث قال:

«عن علي قال: أمرت بقتال ثلاثة: القاسطين والناكثين والمارقين. فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فذكرهم، وأما المارقون فأهل النهروان - يعني الحرورية - ك في الأربعين. ك» (٣).

(١) منهاج السنة ٤/ ٤٩٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٨.

(٣) كنز العمال ١١/ ٢٩٢ رقم: ٣١٥٥٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٢٦

٥- الخطيب البغدادي، رواه بإسناده عن شريك عن الأعمش عن أبي سعيد عقيصا قال: «سمعت علياً يقول: أمرت بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، قال:

فالناكثين الذين فرغنا منهم، والقاسطين الذين نسير إليهم، والمارقين لم نرهم بعد. قال:

وكانوا أهل النهروان» (١).

وأخرج بترجمة خلد بن عبد الله العصري - تابعي حضر مع علي بن أبي طالب يوم النهروان - بسنده عنه قال: «سمعت أمير المؤمنين علياً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين» (٢).

٦- ابن عدى الجرجاني.

٧- عبد الغنى بن سعيد.

٨- الأصبهاني.

٩- ابن مندة.

رواه عنهم المتقي الهندي حيث قال: «عن علي قال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. عد، طس، وعبد الغنى بن سعيد في إيضاح الإشكال، والأصبهاني في الحجة، وابن مندة في غرائب شعبة. ك من طرق» (٣).

١٠- ابن عساكر. أخرجه بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من طرق، نذكر واحداً منها:

«أخبرنا أبو المظفر ابن القشيري، أنبأنا أبو سعد الجزرودي، أنبأنا أبو عمرو ابن حمدان. ح: وأخبرناه أبو سهل ابن سعدويه، أنبأنا

إبراهيم بن منصور- سبط بحرويه- أنبأنا أبو بكر ابن المقرئ قالاً: أنبأنا أبو يعلى الموصلي، أنبأنا إسماعيل بن

(١) موضح أو هام الجمع والتفريق ١/ ٣٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠.

(٣) كنز العمال ١١/ ٢٩٢ رقم: ٣١٥٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٢٧

موسى، أنبأنا الربيع بن سهل، عن سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة.

قال: سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين «١».

أقول:

نكتفي بهذا القدر، فلا نورد روايات غير ما ذكرناه عن علي عليه السلام، ولا رواياتهم عن غير علي: كأم سلمة، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري ... في هذا الباب ...

بين معاوية وإبليس ... ص: ٢٢٧

قال قدس سرّه: وقد أحسن بعض العقلاء في قوله: شرّ من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعته وجرى معه في ميدان معصيته! ولا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة وكان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة! ولما خلق الله تعالى آدم وجعله خليفه في الأرض وأمره بالسجود فاستكبر! فاستحق الطرد واللّعن.

الشرح:

قال ابن تيمية- فيما قال:- ما الدليل على أن إبليس كان أعبد الملائكة؟ وأنه كان يحمل العرش وحده ستة آلاف سنة؟ أو أنه كان من حملة العرش في الجملة؟ أو أنه كان طاووس الملائكة؟ أو أنه ما ترك في السماء رقعة ولا- في الأرض بقعة إلا وله فيها سجدة وركعة؟ ونحو ذلك مما يقوله بعض الناس؟ فإن هذا أمر إنما يعلم بالنقل الصادق، وليس في القرآن شيء من ذلك، ولا في ذلك خبر صحيح عن النبي صلى الله

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٢٨

عليه وسلم!! «١».

أقول:

قد دأب الرجل على أن يخالف العلامة في كلّ شيء، حتى في مثل هذه الأمور، مما لا يجب الاعتقاد به بالضرورة كي يحتاج إلى دليل قطعي من كتاب أو سنة ...

وإن مثل هذه الأشياء التي ذكرها العلامة طاب ثراه أوردها المفسّرون بتفسير قوله تعالى في سورة البقرة «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» فراجع تفاسير: الطبري والرازي والقرطبي والدر المنثور وغيرها «٢».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المسماء بالقاصعة: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدرى أمن سنى الدنيا أم من سنى الآخرة، عن كبر ساعه واحدة».

قال قدس سرّه: ومعاوية لم يزل في الإشراك وعبادة الأصنام، إلى أن أسلم بعد ظهور النبي صلى الله عليه وآله بمدة طويلة، ثم استكبر

عن طاعة الله في نصب أمير المؤمنين عليه السلام إماماً، وبايعه الكلّ بعد عثمان وجلس مكانه. فكان شراً من إبليس. الشرح:

قال ابن تيمية ما ملخصه بلفظه: «قوله: إن معاوية لم يزل في الاشراك إلى أن أسلم. به يظهر الفرق فيما قصد به الجمع، فإن معاوية أسلم بعد الكفر وإبليس كفر بعد إيمانه» قال: «قد ثبت إسلام معاوية والإسلام يجب ما قبله، فمن ادعى أنه ارتدّ بعد ذلك كان مدّعياً دعوى بلا دليل» قال: «من قال: إن معاوية استكبر عن طاعة الله في نصب

(١) منهاج السنّة ٤/ ٥٠٩.

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٣٤، تفسير الرازي ٢/ ٢٣٧، ١٤/ ٣١، القرطبي ١/ ٣٩٤، الدر المنثور ٤/ ٢٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٢٩

أمير المؤمنين؟ ولم قلت: إنه علم أن ولايته صحيحة وأن طاعته واجبة عليه؟ وبتقدير أن يكون علم ذلك فليس كل من عصى يكون مستكبراً عن طاعة الله، والمعصية تصدر تارة عن شهوة، وتارة عن كبر، وهل يحكم على كل عاص بأنه مستكبر عن طاعة الله كاستكبار إبليس؟» (١).

أقول:

لم يكن كلام العلامة بذاك الغموض حتى لا يدرك هذا الرجل مقصده، فإن الجامع بين «إبليس» و «معاوية» هو «الاستكبار عن طاعة الله». فكما أن «إبليس» بعد تلك العبادات والإطاعات استحق اللعن، لاستكباره عن السجود لآدم مع سجود كل الملائكة، فكذلك معاوية، فإنه بعد تظاهره بالإسلام وإقامته للصلاة وإيتائه للزكاة - كما ذكر ابن تيمية - في تلك المدّة من عمره، استكبر عن الانصياع للإمام الحق الواجب الإطاعة، واتبع غير سبيل المؤمنين، فاستحق اللعن. إلا أنه زاد على إبليس بدعوى الإمامة والخلافة، هذه الدعوى التي لم تكن من إبليس «فكان شراً من إبليس».

قول بعضهم بإمامة يزيد ... ص: ٢٢٩

إشارة

قال قدس سرّه: «وتمادى البعض في التعصّب حتى اعتقد إمامة يزيد بن معاوية، مع ما صدر عنه من الأفعال القبيحة، من قتل الإمام الحسين عليه السلام ونهب أمواله وسبى نسائه والدوران بهم في البلاد على الجمال بغير قتب، ومولانا زين العابدين مغلول اليدين. ولم يقنعوا بقتله حتى رضوا أضلاعه وصدره بالخيل وحملوا رؤوسهم على القنا.

(١) منهاج السنّة ٤/ ٥١٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٣٠

الشرح:

قال ابن تيمية ما حاصله بلفظه: «إن أراد أنه اعتقد أنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى، فهذا لم يعتقده أحد من علماء المسلمين، وإن اعتقد مثل هذا بعض الجهال، وإن أراد باعتقادهم إمامة يزيد أنهم يعتقدون أنه كان ملك جمهور المسلمين وخليفتهم في زمانه صاحب السيف، كما كان أمثاله من خلفاء بني أمية وبني العباس. فهذا أمر معلوم لكل أحد، ومن نازع في هذا كان مكابراً، فإن يزيد بويع بعد موت أبيه معاوية، وأمّا كونه براً أو فاجراً فذاك أمر آخر.

ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاجون إليهم فيه من طاعة الله، فتصلى خلفهم الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات، وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا ديناً... والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا. ولهذا لما أراد الحسين رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيراً، أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين أن لا يخرج، وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين، والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بيته.

وإذا تبين هذا فنقول: الناس في يزيد طرفان ووسط، قوم يعتقدون أنه كان من الصحابة أو من الخلفاء الراشدين المهديين أو من الأنبياء. وهذا كله باطل.

وقوم يعتقدون أنه كان كافراً منافقاً في الباطن وأنه كان له قصد في أخذ ثار كفار

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٣١

أقاربه من أهل المدينة وبنى هاشم، وأنه أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على ربي جيرون

نعق الغراب فقلت نح أو لا تنح فلقد قضيت من النبي ديوني

وأنه تمثل بشعر ابن الزبيري:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلناه بيدر فاعتدل

وكلا القولين باطل، يعلم بطلانه كل عاقل.

فإن الرجل ملك من ملوك المسلمين، وخليفة من الخلفاء الملوك. لا هذا ولا هذا.

وصار الناس في قتل الحسين - رضي الله عنه - ثلاثة أصناف، طرفين ووسطاً.

أحد الطرفين يقول: إنه قتل بحق، فإنه أراد أن يشق عصا المسلمين ويفرق الجماعة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم، فاقتلوه. قالوا: والحسين جاء وأمر المسلمين على رجل واحد، فأراد أن يفرق جماعتهم. وقال بعض هؤلاء: هو أول خارج خرج في الإسلام على ولاية الأمر.

والطرف الآخر قالوا: بل هو الإمام الواجب طاعته، الذي لا ينفذ أمر من أمور الإيمان إلا به، ولا تصلى جماعة ولا جمعة إلا خلف من يوليّه، ولا يجاهد عدو إلا بإذنه، ونحو ذلك.

وأما الوسط فهم أهل السنة، الذين يقولون لا هذا ولا هذا، بل يقولون: قتل مظلوماً شهيداً، ولم يكن متولياً لأمر الأمة، والحديث المذكور لا يتناوله، فإنه لما بلغه ما فعل بآبائه مسلم بن عقيل ترك طلب الأمر، وطلب أن يذهب إلى يزيد ابن عمه أو إلى الثغر أو إلى بلده، فلم يمكنه، وطلبوا منه أن يستأسر لهم، وهذا لم يكن واجباً عليه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٣٢

وصار الشيطان بسبب قتل الحسين - رضي الله عنه - يحدث للناس بدعتين:

بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضى إلى ذلك من سب السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوى الذنوب، حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب. وكان قصد من سن

ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياح للمصائب القديمة من أعظم ما حرّمه الله ورسوله.

وكذلك بدعة السرور والفرح.

وكانت الكوفة بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين، وكان رأسهم المختار بن أبي عبيد الكذاب، وقوم من الناصبة المبغضين لعلی رضى الله عنه وأولاده ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، فأحدث أولئك الحزن، وأحدث هؤلاء السرور، ولم يستحب أحد من أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا.

والذين نقلوا مصرع الحسين زادوا أشياء من الكذب، والمصنفون في أخبار قتل الحسين منهم من هو من أهل العلم كالبلغوي وابن أبي الدنيا وغيرهما.

ومع ذلك فيما يروونه آثار منقطعة وأمور باطلة، وقد روى بإسناد مجهول أن الرأس حمل إليه، وأنه هو الذي نكت على ثنياه، وهذا مع أنه لم يثبت ففي الحديث ما يدل على أنه كذب، فإن الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام وإنما كانوا بالعراق.

والذي نقله غير واحد أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه، وإن خبر قتله لما بلغ يزيد وأهله، ساءهم ذلك وبكوا على قتله وقال يزيد: لعن الله ابن مرجانة يعني عبيد الله بن زياد.

ولكنه مع ذلك، ما انتصر للحسين ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثأره.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٣٣

وأما ما ذكره من سبي نسائه والذراري، والدوران بهم في البلاد، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط، ولا استحلّت أمه محمد صلى الله عليه وسلم سبي بنى هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً، وفي الجملة، فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنها هاشمية، ولا سبي عيال الحسين، بل لما دخلوا إلى بيت يزيد قامت النياحة في بيته وأكرمهم وخيرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختاروا الرجوع إلى المدينة. ولا طيف برأس الحسين. وهذه الحوادث فيها من الأكاذيب ما ليس هذا موضع بسطه «(١)».

أقول:

إن الذي قاله العلامة رحمه الله هو «تمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقدوا إمامة يزيد بن معاوية»، فهو لم ينسب إلى أحد الاعتقاد بكون يزيد من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، كي يقال: «هذا لم يعتقد أحد من علماء المسلمين» بل يقول: بأن الاعتقاد بإمامة يزيد بن معاوية - مع الاعتراف بعدم كونه من الأئمة المهديين، وكونه من الأئمة الضالين المضلين - إنما هو من التمادى في التعصب

...

وهذا ما لم يجب عنه ابن تيمية، بل تكلم بكلام يستنتج منه كونه من هؤلاء المتمادين في التعصب، لأنه يرى يزيد «إماماً» تجب إطاعته وتحرم مخالفته، مع التصريح بأن «كونه براً أو فاجراً أمر آخر!! بل إنه يصرح بأن ما فعله الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام، وما فعله أهل المدينة المنورة ... كان مبغوضاً لله سبحانه، ومعنى ذلك كون يزيد في جميع ما فعل على حق وصواب.

لقد اضطرّ لاختلاق أقوال - أو أناس يقولون بتلك الأقوال - وإلا، فأى عاقل يعتقد

(١) منهاج السنة ٤/ ٥٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٣٤

بكون يزيد من الصحابة؟ أو كونه من الأنبياء؟

إنه ليس هناك غير قولين، أحدهما: هو القول بإمامته وحرمة القيام عليه، وهذا قول بعضهم - وهم المتمادون في التعصب - كالليث بن سعد. فقد روى يحيى بن بكير عن الليث بن سعد، قال الليث: توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا. فسماه الليث أمير المؤمنين بعد ذهاب ملكه وانقراض دولته، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا توفي يزيد «١».

وكابن العربي المالكي صاحب (العواصم من القواصم)، فقد قال كلمة يقشعرّ منها الجلد - كما عبّر ابن حجر المكي - نقلوها عنه مع التنديد به، قال ابن حجر المكي - في المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية -: «وكابن العربي المالكي، فإنه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد، إنه قال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جدّه، أي: بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد «٢...»».

وقال المناوي: «قيل لابن الجوزي - وهو على كرسى الوعظ - كيف يقال: يزيد قتل الحسين وهو بدمشق والحسين بالعراق؟ فقال: سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماكا وقد غلب على ابن العربي الغصّ من أهل البيت حتى قال: قتله بسيف جدّه «٣»».

وقد ذكر الحافظ السخاوي هذه الكلمة بترجمة ابن خلدون، نقلًا عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن شيخه الحافظ الهيثمي أنه بهذا السبب كان يلعن ابن خلدون وهو يبكي. قال السخاوي «وقد كان شيخنا أبو الحسن - يعنى الهيثمي -

(١) العواصم من القواصم: ٢٢٧. والليث بن سعد وإن كان عثمانى الهوى، إلا أنا غير واثقين الآن بصحة ما نسب إليه ابن العربي.

(٢) المنح المكية في شرح الهمزية: ٢٧١.

(٣) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ١/ ٢٠٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٣٥

يبالغ في الغصّ منه، فلما سألته عن سبب ذلك، ذكر أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي رضي الله عنهما في تاريخه فقال: قتل بسيف جدّه. ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة أردفها بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكي.

قال شيخنا في رفع الإصر: ولم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن، وكأنه ذكرها في النسخة التي رجع عنها «١».

أقول:

قد ذكر هذه اللفظة في مقدمته تاريخه عن ابن العربي المالكي وغلطه فيها حيث قال في كلام له حول الحسين عليه السلام: «وقد غلط القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم من القواصم ما معناه: إن الحسين قتل بشرع جدّه. وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء «٢»».

لكن كلام ابن خلدون يشتمل على مخاريق وأباطيل.. فإنه نسب الخروج إلى الحسين، وغلطه بصراحة - والعياذ بالله - واعتذر لمن كان مع يزيد من الصحابة، ونصّ على أنهم كانوا على حق، وأن الحسين باغ، كما أنه اعتذر لابن العربي بالغفلة...

أقول:

وابن تيمية - وإن لم نجد في كلامه تلك اللفظة - فكلماته تؤدي تؤدي تلك اللفظة، وكما استدللّ ابن العربي بما وضعوه عن النبي: «إنه سيكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» «٣» نراه يستدلّ بحديث موضوع آخر قائلاً: «وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: من جاءكم...»

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٤٧/٤. ترجمة ابن خلدون.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٢١٧.

(٣) العواصم من القواصم: ٢٣٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٣٦

ولقد تهادى ابن تيمية في التعصب حتى أنه جعل ينكر الحقائق التاريخية التي ذكرها أهل السنة أيضاً، وما ذلك إلا دفاعاً عن يزيد وبنى أمية، وتزيهاً له عن القضايا التي أصبحت ضرورية، وهو - على كل حال - يحاول تبرير ما فعله يزيد ... وحتى تمثله بشعر ابن الزبيري لم يذكره على واقعه ولم يورد الشعر بكامله، الذي هو كفر صريح، ونحن نذكر ذلك عن بعض الكتب المعتمدة:

روى أبو جرير الطبري كتاب المعتضد العباسي في بنى أمية، وقد جاء فيه حول معاوية ما نصه:

«ومنه إثارة بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمي، صاحب الديوك والفهود والقروود، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلما تمكن منه ما مكنه منه ووطأه له، وعصى الله ورسوله، طلب بثارات المشركين وطوائهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرّة الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش، مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، ظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره مظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القوم من ساداتكم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل

ولعت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا - يرجع إلى الله ولا - إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٣٧

ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم: سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجترأ على الله، وكفراً بدينه، وعداؤه لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته. فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمه ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته» (١).

فهذه هي الأبيات التي قالها يزيد، لكن ابن تيمية لا ينقل منها إلا بيتين، وتلميذه ابن كثير وإن لم يذكر البيت: «ولعت - أو: لعبت - هاشم بالملك» ... إلا أنه ذكر أربعة أبيات، فقد روى ما نصه:

«عن ليث، عن مجاهد، قال: لما جرى برأس الحسين، فوضع بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لي هتياً لا تسل

حين حكّت بفناء بركها واستحر القتل في عبد الأسل

قد قتلنا الضعف من أشرافكم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

قال مجاهد: نافق فيها، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه، أي ذمه وعابه».

(١) تاريخ الطبري ١٠ / ٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٣٨

قول بعضهم بكفره ولعنه ... ص: ٢٣٨

والقول الآخر: هو الحكم بكفر يزيد.

وقد كان هذا الشعر، وكذا الشعر الآخر الذي نقله ابن تيمية، وهو قوله: «لما بدت تلك الحمول وأشرفت» ... إلى آخر البيتين.. من الأدلة الدالة على كفره وإلحاده في الدين ... وابن تيمية ما أجاب عن ذلك بشيء، غير أنه قال ببطالان القول بكفره وأنه «يعلم بطلانه كل عاقل».

وقد فصل جماعة من أئمة القوم الكلام في هذا المقام، ونحن نكتفي هنا بذكر خلاصة ما قاله الشهاب الألوسي بتفسير قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» الذي نقلناه بطوله سابقاً: «واستدل بها أيضاً على جواز لعن يزيد - عليه من الله تعالى ما يستحق -.

نقل البرزنجي في الإشاعة والهيتمى في الصواعق: إن الإمام أحمد لما سأل ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن من لعنه الله تعالى في كتابه؟ فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عز وجل فلم أجد فيه لعن يزيد. فقال الإمام: إن الله تعالى يقول «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» الآية. وأى فساد وقطيعه أشد مما فعله يزيد. انتهى.

وعلى هذا القول لا توقف في لعن يزيد لكثرة أوصافه الخبيثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه، ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة، فقد روى الطبراني بسند حسن: اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل.

والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت ورضاه بقتل الحسين - على جدّه وعليه الصّلالة والسلام - واستبشاره وإهانته لأهل بيته مما تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٣٩

آحاداً، وفي الحديث: ستّ لعنتهم - وفي رواية: لعنهم الله وكلّ نبي - مجاب الدعوة:-

المحرّف لكتاب الله - وفي رواية: الزائد في كتاب الله - والمكذب بقدر الله، والمتسلّط بالجبروت ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ الله، والمستحلّ من عترتي، والتارك لسنتي.

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم: الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، وقال العلامة التفتازاني: لا - نتوقّف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعوانه. ومن صرّح بلعنه: الجلال السيوطي عليه الرحمة.

وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافي بالوفيات: إن السبي لَمّا ورد من العراق على يزيد خرج فلقي الأطفال والنساء من ذريّة علي والحسين - رضي الله عنهما - والرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنية جيرون، فلَمّا رأهم نعب غراب فأنشأ يقول:

لَمّا بدت تلك الحمول ... البيتين.

يعنى: إنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، كجدّه عتبة وخالد ولد عتبة وغيرهما. وهذا كفر صريح. فإذا صح عنه فقد كفر به، ومثله تمثله بقول عبد الله بن الزبيري قبل إسلامه:

ليت أشياخي ... الأبيات «١».

وعلى الجملة: فالعلماء في يزيد على قولين: «تمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقدوا بإمامته» وكان منهم: ابن العربي المالكي، وابن

تيمية، عليهما من الله ما يستحقان.

وجماعة كبيرة منهم يقولون بكفره واستحقاقه اللعن والعذاب، وكان منهم:

(١) روح المعاني ٧٢ / ٢٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٠

أبو يعلى الفراء وابن الجوزي والتفتازاني والسيوطي والآلوسي والشوكاني الذي قال:

«لقد أفرط بعض أهل العلم كالكرامية ومن وافقهم في الجمود على أحاديث الباب، فحكموا بأن الحسين السبط - رضى الله عنه وأرضاه - باغ على الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله. فيا للعجب من مقالات تقشعر الجلود ويتصدع من سماعها كل جلود» (١). وهو الذي رواه ابن الجوزي والبرزنجي وابن حجر صاحب الصواعق عن أحمد بن حنبل.

وبهذا يتبين القول في قتل مولانا الإمام الحسين عليه السلام. فمن قال بإمامة يزيد وحرمة مخالفته قال بأنه قتل بحق، وهذا ما صرح به ابن العربي وهو عقيدة ابن تيمية وإن لم يصرح كتصريحه، ومن قال بكفر يزيد وضلاله جعل قتل الحسين وآله «الطامة الكبرى» سواء في ذلك الشيعة الإمامية القائلين بأنه «هو الإمام الواجب طاعته» وغيرهم.. وبذلك يظهر ما في كلام ابن تيمية من الخلط والغلط.

وأما ما ذكره من أن الإمام عليه السلام: «لما بلغه ما فعل بابن عمه»... فكذب آخر من أكاذيب هذا المفتري، ولا يخفى ما في كلمته «إلى يزيد ابن عمه» من التدليس والتليس!! ذلك أن الإمام عليه السلام كان عازماً على الشهادة، وقد أعلن ذلك وصرح به في غير موطن، في أخبار كثيرة رواها الخاصة والعامة.

ومما أخرجه ابن عساكر والذهبي وابن كثير وغيرهم قوله عليه الصلاة والسلام:

«والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه» وأشار إلى قلبه الشريف - من جوفى، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة» (٢).

بل لقد أخبر جدّه وأبوه عن استشهاد عليه السلام وكانا يبيكان، والأخبار بذلك أيضاً كثيرة جداً.

(١)

نيل الأوطار ١٩٩ / ٧.

(٢) تاريخ ابن كثير ١٦٩ / ٨، تاريخ دمشق ٢١٦ / ١٤، تاريخ الإسلام ٣٤٥ / ٢ وغيرها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤١

ولنفصل الكلام في ذلك ردّاً على زعم ابن تيمية: أن الحزن والبكاء وإنشاد المراثي على الحسين عليه السلام بدعة أحدثها الشيطان!! فنقول:

إن أراد: أن الحزن والبكاء مطلقاً بدعة من الشيطان، فيردّه بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم عليه السلام كما في كتاب البخاري، وبكاءه على جعفر وزيد كما بترجمة زيد من كتاب الاستيعاب، وبكاءه يوم مات إحدى بناته، كما في كتاب البخاري كذلك، وبكاءه - والحاضرين معه - عند سعد، كما في باب البكاء عند المريض من كتاب البخاري، وباب البكاء على الميت من كتاب مسلم.

وأخرج أحمد أنه لما رجع من أحد، فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال - صلى الله عليه وآله -: «ولكن حمزة لا بواكى له» فجعلن يبكين ويندبن حمزة (١).

ففي هذا الحديث تقرير للبكاء وأمر به أيضاً...

أقول:

وبهذا القدر نكتفي، فلا نورد ما جاء في الكتاب والسنة من بكاء الأنبياء، ونبيينا صلى الله عليه وآله وسائر الأوصياء والأولياء. وأما إنشاد المراثي فما أكثره، ودونك منها الأشعار التي قيلت في رثاء رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل بيته وعشيرته وأصحابه، مذكورة بترجمته صلى الله عليه وآله أو بترجم القائلين كأبي سفيان، وأبي الهيثم ابن التيهان، وأبي ذؤيب الهذلي، وأبي الطفيل... وفي الحزن أيضاً أحاديث، فراجع باب التشديد في النياحة من كتاب مسلم، وباب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن، من كتاب البخاري.

(١) مسند أحمد ٢/ ٤٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٢

وإن أراد أن الحزن والبكاء وإنشاد المراثي.. على خصوص الحسين عليه السلام بدعة أحدثها الشيطان، فيكفي أن نورد من روايات العامة والخاصة في الكتب المعتمدة عندهم بعضها:

أخرج أحمد وابن سعد وغيرهما بأسنادهم: أنه لما وصل على عليه السلام - في طريقه إلى صفين - إلى أرض نينوى نادى: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله، بشطّ الفرات» فسئل عليه السلام: وما ذاك؟ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرائيل قبل، فحدثني أن ولدي الحسين يقتل بشطّ الفرات. قال فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال قلت: نعم. فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها. فلم أملك عيني أن فاضت» (١).

وإن شئت المزيد فراجع كتاب (مقدمة المجالس الفاخرة) وكتاب (سيرتنا وستتنا سيرة النبي وسنته) وكتاب (عبرات المصطفين في مقتل الحسين) وكتاب (زفرات الثقلين في مآتم الحسين) وغيرها، حيث أورد أصحاب هذه الكتب كثيراً من أخبار الحزن والبكاء والرثاء وغير ذلك على الحسين عليه السلام بالأسانيد الكثيرة الثابتة.

وأما أن الحسين عليه السلام قتل بأمر يزيد، فقد بحثنا عن ذلك بالتفصيل فيما سبق.

وأما رضى صدره الشريف، فرواه الطبري في (تاريخه) (٢) والبلاذري في (أنساب الأشراف) وغيرهما، واللفظ للأخير قال: «ونادى عمر بن سعد في أصحابه: من يتندب للحسين فيوطئه فرسه.

(١) مسند أحمد ١/ ٨٥، ترجمه الحسين بن علي من الطبقات الكبرى: ٤٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٤-٤٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٣

فانتدب عشرة منهم: إسحاق بن حيوة الحضرمي - وهو الذي سلب الحسين قميصه فبرص - فدا سوا الحسين بخيولهم حتى رَضُوا ظهره وصدره. وكان سنان ابن أنس شجاعاً وكانت به لوثه. وقال هشام بن محمد الكلبي: قال لي أبي محمد ابن السائب: أنا رأيته وهو يحدث في ثوبه، وكان هرب من المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الجزيرة ثم انصرف إلى الكوفة. قالوا: وأقبل سنان حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته:

أوقر ركابي فضةً وذهباً أنا قتلت الملك المحجّباً

قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً

وخيرهم في قومهم مركباً

وأما سبى نسائه وذرائه، فقد تقدم البحث عنه، ويقول ابن تيمية: «فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط..» لكنه هو الكاذب. قال الطبري في آخر مقتل الحسين عليه السلام: «وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض. عن قرّة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطن وجوههن قال ... فما نسيت من الأشياء لا- أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء. يا محمداً! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق...»

قال هشام: فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن رباح الجذامي، عن أبيه، عن الغاز بن ربيعة الجرشى - من حمير - قال ...: ثم إن عبيد الله أم بنساء الحسين وصبياناه فجهن، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٤

العائذى - عائذة قريش - ومع شمر بن ذى الجوشن، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد... وهكذا روى البلاذرى في أنساب الأشراف، واليعقوبى في تاريخه، وغيرهما..

وقد تقدم سابقاً ما يفيد للمقام.

وأما حمل الرأس الشريف إليه ونكته على ثنياه المباركة، فقد تقدّم سابقاً أيضاً، وقال البلاذرى في (أنساب الأشراف): «قالوا: ونصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة وجعل يدار به فيها. ثم دعا زحر بن قيس الجعفى فسرح معه رأس الحسين ورؤوس أصحابه وأهل بيته إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي».

وقال الهيثم بن عدي، عن عوانة: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد تمثّل بيت الحصين بن الحمان المرى:

يفلّقن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

حدّثني عمرو الناقد وعمر بن شبة قالوا: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن عمّه فضيل بن الزبير، عن أبي عمر البزار، عن محمد بن عمرو بن الحسين قال: لما وضع رأس الحسين بن علي بين يدي يزيد قال متمثلاً: يفلّقن هاماً...

قالوا: وجعل يزيد ينكت بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه، فقال أبو برزة الأسلمي: أتنتكت ثغر الحسين، لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً ربما رأيت رسول الله يرشفه. أما أنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد، ويجيء الحسين وشفيعه محمد. ثم قام. ويقال: إن هذا القائل رجل من الأنصار.

وحدّثني ابن برد الأنطاكي الفقيه عن أبي قال: ذكروا أن رجلاً من أهل الشام نظر إلى ابنه لعلّ فقال ليزيد: هب لي هذه! فأسمعته زينب كلاماً. فغضب يزيد وقال: لو شئت أن أهبطها له فعلت. أو نحو ذلك».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٥

وإليك طرماً مما رواه الحافظ الذهبي في (تاريخ الإسلام):

«قال يحيى بن بكير: حدّثني الليث بن سعد قال: أبى الحسين أن يستأسر، فقاتلوه فقتل، وقتل ابنه وأصحابه بالطف وانطلق بنيه: على وفاطمة وسكينة إلى عبيد الله بن زياد، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فجعل سكينة خلف سريره، لئلا ترى رأس أبيها، وعلى بن الحسين في غل. فضرب يزيد على ثنيتي الحسين رضى الله عنه وقال:

نفلق هاماً من أناس أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال على «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها» فثقل على يزيد أن تمثّل بيت، وتلا على آية فقال: «فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ». فقال: أما والله لو رآنا رسول الله مغلولين لأحبّ أن يحلّنا من الغلّ.

قال صدقت. حلّوهم...

كثير بن هشام: ثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن أبي زياد قال: لما أتى يزيد بن معاوية برأس الحسين جعل ينكت بمخضرة معه سنّه ويقول: ما كنت أظن أبا عبد الله بلغ هذا السن، وإذا لحيته ورأسه قد نصل من الخضاب الأسود» (١). وهذه الأخبار ونحوها موجودة في (تاريخ الطبري) و (المعجم الكبير للطبراني) و (الكامل لابن الأثير) و (مجمع الزوائد) و (البداية والنهاية) وغيرها (٢).

مما حدث في العالم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ... ص: ٢٤٥

قال قدس سره: مع أن مشايخهم رويوا أن يوم قتل الحسين عليه السلام قطرت السماء دماً! وقد ذكر الرافعي في شرح الوجيز وذكر ابن سعد في الطبقات أن

(١) تاريخ الإسلام ١٩ / ٥.

(٢) انظر: المعجم الكبير ٣ / ١٢٥، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٥، ترجمه الحسين من الطبقات: ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٢٠، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٧ و ٢٠٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٦

الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين عليه السلام ولم تر قبل ذلك! وقال أيضاً: ما رفع حجر في الدنيا إلا وتحتته الدم عيط! ولقد مطرت السماء مطراً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت. قال الزهري: ما بقي أحد من قاتلي الحسين إلا وعوقب في الدنيا، إما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة! الشرح:

قال ابن تيمية: «إن كثيراً مما روى في ذلك كذب، مثل كون السماء أمطرت دماً، ومثل كون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين، وكذلك قول القائل: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحتته دم عيط هو أيضاً كذب يّين. وأما قول الزهري.. فهذا ممكن»... (١).

أقول:

أما الخبر الأول، فنقله العلامة رحمه الله عن (شرح الوجيز) للرافعي.

وهو في (التاريخ الكبير)، للبخاري و (أنساب الأشراف) للبلاذري و (الطبقات الكبرى) لابن سعد، و (المعجم الكبير) للطبراني و (دلائل النبوة) لأبي نعيم الأصبهاني، و (تاريخ دمشق) لابن عساكر.

وروي الذهبي قال: «وقال جعفر بن سليمان: حدّثني أم سالم خالتي قالت: لما قتل الحسين، مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدر».

وأما الخبر الثاني، فنقله عن (الطبقات الكبرى) لابن سعد. وقال الذهبي:

«قال المدائني عن علي بن مدرّك، عن جدّه الأسود بن قيس قال: احمرّت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستّة أشهر يرى فيها كالدم. فحدّث بذلك شريكاً فقال لي: ما

(١) منهاج السنّة ٤ / ٥٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٤٧

أنت من الأسود؟ فقلت: هو جدّي أبو أمي. فقال: أما والله أن كان لصدوق الحديث.

وقال هشام بن حسان، عن ابن سيرين قال: تعلم هذه الحمره في الأفق مم؟ هو من يوم قتل الحسين. رواه سليمان بن حرب، عن حماد، عنه.

وقال جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد قال: قتل الحسين ولي أربع عشرة سنة، وصار الوس الذي في عساكرهم رماداً، واحمرت آفاق السماء، ونحروا ناقه في عساكرهم وكانوا يرون في لحمها النيران.

وأما قوله: «ما رفع حجر»... فهو مما رواه الطبراني وابن عساكر والهيثمي والذهبي والسيوطي وغيرهم عن الزهري، قال الذهبي: «وقال معمر بن راشد: أو ما عرف الزهري تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك؟ فقال الوليد: تعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فقال الزهري: إنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

وروى الواقدي، عن عمر بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه قال: أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال: ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

ورواه الحافظ الطبراني بإسناده عن ابن شهاب الزهري. قال الحافظ الهيثمي بعد أن أخرجه: «رجاله رجال الصحيح» «١».

وصية النبي بالحسين ... ص: ٢٤٧

قال قدس سره: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر الوصية للمسلمين في ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ويقول لهم: هؤلاء وديعتي عندكم، وأنزل الله تعالى فيهم: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١٩٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٤٨

الشرح:

قال ابن تيمية: فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها.

أقول:

ليس المقصود خصوص لفظ «الوصية» و «الوديعة» بل معناهما، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر وصية المسلمين في أهل بيته كلهم عليهم السلام ويأمر الأمة بحسن معاملتهم واتباعهم، ولعل من أحسن الأدلة والشواهد على ذلك حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين، وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل سنداً ودلالة في محله إن شاء الله تعالى.

وكذا في خصوص الحسن والحسين، وأي دليل أدل وأبلغ من الروايات الواردة في إيجاب حبهما والتحذير من بغضهما، فراجع:

مسند أحمد ٥/ ٣٦٩، صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجه في فضائلهما.

والمستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٦٦ و سنن البيهقي ٢/ ٢٦٣، وحلية الأولياء ٨/ ٣٠٥، وتاريخ بغداد ١/ ١٣٨ - ١٤٣ والإصابة والاستيعاب في ترجمتهما، ومجمع الزوائد ٩/ ١٨٠ وغيرها.

وأما الآية المباركة، فستكلم عن دلالتها على وجوب مودة أهل البيت واتباعهم، بالنظر إلى الروايات والأقوال، حيث يستدل بها العلامة رحمه الله.

توقف بعضهم في لعن يزيد ... ص: ٢٤٨

قال قدس سره: وتوقف جماعة ممن لا يقول بإمامته في لعنه مع أنه عندهم ظالم بقتل الحسين ونهب حريمه، وقد قال الله تعالى: «ألا

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٤٩

الشرح:

قد توقف جماعة ممن لا يقول بإمامة يزيد في لعنه، كتابه المسمى: إحياء علوم الدين «١».

وَأَلَّفَ عَبْدُ الْمَغِيثِ بْنُ زُهَيْرِ الْحَنْبَلِيِّ كِتَابًا فِي الْمَنْعِ مِنْ لَعْنِهِ، قَالَ ابْنُ الْعِمَادِ قَالَ الذَّهَبِيُّ: «أَتَى فِيهِ بِالْمَوْضُوعَاتِ» «٢».

وقد ردَّ عليه ابن الجوزي بكتاب: الردَّ على المتعصِّب العنيد المانع من لعن يزيد.

قال ابن كثير: «فأجاد وأصاب» «٣».

كما تقدَّم كلام الآلوسى وغيره في الردَّ على المتوقفين.

حديث ابن عباس في عذاب قاتل الحسين ... ص: ٢٤٩

وقال أبو الفرج بن الجوزي من شيوخ الحنابلة: عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله إنى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإنى قاتل بابتك فاطمة سبعين ألفاً وسبعين ألفاً!

الشرح:

هذا الحديث، رواه ابن الجوزي في كتاب (الرد على المتعصِّب العنيد المانع من لعن يزيد).

وأخرجه قبله الحافظ الخطيب البغدادي «٤» في تاريخه ١/ ١٤٢.

وعن طريقه رواه الحافظ ابن عساكر بترجمة الإمام من تاريخه «٥».

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٢٥.

(٢) شذرات الذهب ٤/ ٢٧٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٢/ ٣٢٨.

(٤) تاريخ بغداد ١/ ١٥٢.

(٥) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٢٥ و ٦٤/ ٢١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٥٠

وأخرجه قبلهم الحاكم في المستدرک «١» ٢/ ٢٩٠ و ٣/ ١٧٨ وصححه.

ولم يتكلم عليه ابن تيمية بشيء.

حكاية السدى ... ص: ٢٥٠

قال قدس سره: وحكى السدى وكان من فضلائهم قال: نزلت بكربلاء ومعى طعام للتجارة فنزلنا على رجل فتعشنا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقتلنا: ما شرك أحد في قتل الحسين إلا ومات أقبح موته! فقال الرجل: ما أكذبكم! أنا شركت في دمه وكنت فيمن قتله فما أصابنى شيء. قال: فما كان في آخر الليل إذا بالصياح! قلنا: ما الخبر؟ قالوا: قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعة، ثم دب الحريق في جسده فاحترق! قال السدى: فأنا والله رأيت أنه كأنه حَمَمَةٌ!

الشرح:

وهذا الخبر لم يتكلم عليه ابن تيمية بشيء. وقد أخرجه الحافظ ابن عساكر بأسانيد أكثرهم من مشاهير الأئمة والحفاظ، ولنذكر الخبر بنصه:

«أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، وأبو سعد أحمد بن محمد بن علي بن الزوزني، وأبو نصر المبارك بن أحمد بن علي البقال قالوا: أنبأنا أبو الحسين ابن النور، أنبأنا عيسى بن علي، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ، حدّثني أبو العباس أحمد بن يحيى، وأنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان.

حيلولة: وأخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنبأنا أبو طاهر أحمد بن الحسن قالوا: أنبأنا أبو علي ابن شاذان، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم، حدّثني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب:

(١) المستدرک علی الصحيحین ٢/ ٢٩٠ و ٣/ ١٧٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٥١

حدّثني عمر بن شبة، حدّثني عبيد بن جناد، أخبرني عطاء بن مسلم قال: قال السدي: أتيت كربلاء أبيع بها البز، فعمل لنا شيخ من طيء طعاماً، فتعشنا عنده، فذكرنا قتل الحسين، فقلت: ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوء ميتة. فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق، فأننا فيمن شرك في ذلك، فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه، فأخذت النار فيها، فذهب يطفئها بريقه، فأخذت النار في لحيته، فعدا، فألقى نفسه في الماء، فرأيت أنه حممة» (١).

ورواه بإسناد آخر وهو: «أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلمي، أنبأنا جدّي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان العدل، أنبأنا خيثمة بن سليمان بن حيدر القرشي، أنبأنا أحمد بن العلاء - أخو هلال - بالرقّة، أنبأنا عبيد بن جناد، أنبأنا عطاء بن مسلم عن ابن السدي عن أبيه» (... ٢).

كلام أحمد بن حنبل في يزيد ... ص: ٢٥١

قال قدس سرّه: وقد سأل مهنا بن يحيى أحمد بن حنبل عن يزيد فقال: هو الذي فعل ما فعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهب المدينة. وقال له صالح ولده يوماً: إن قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد. فقال: يا بني، وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: لم لا تلعه؟ فقال: وكيف لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن يزيد؟ فقال: في قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ». فهل يكون فساد أعظم من القتل.

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٣.

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٥٢

الشرح:

هذا النقل هو الثابت عن أحمد بن حنبل، ولذا أفتى الأئمة من أتباعه كالقاضي أبي يعلى الحنبلي والحافظ ابن الجوزي بلعن يزيد بن معاوية. وقد تقدّم نقله عن الشهاب الألوسي بتفسير الآية المباركة.

واقعة الحزة ... ص: ٢٥٢

قال قدس سرّه: ونهب المدينة ثلاثة أيام وسبى أهلها وقتل جمع من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين ما بلغ عددهم سبعمائة، وقتل من لم يعرف من عبدٍ أو حرٍّ أو امرأةٍ عشرة آلاف، وخاص الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وامتألت الروضة والمسجد.

الشرح:

هذه واقعة الحرّة، وقد ذكرت هذه الامور والقضايا في كتب التاريخ المعتمدة والمعتبرة عند القوم، بما لا يبقى مجالاً للتشكيك، وإن حاول ابن تيمية وبعض أتباعه ومن على شاكلته تبريرها وتنزيه يزيد بن معاوية عنها، ولكن لا يصلح العطار ما أفسده الدهر.

ضرب الكعبة بالمنجنيق ... ص: ٢٥٢

قال قدس سرّه: ثم ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدمها وأحرقها.

الشرح:

هذا في قضية عبد الله بن الزبير، وهو أيضاً من ضروريات التاريخ الإسلامي، غير أن ابن تيمية يقول: كان مقصودهم حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبة» (١) فاقراً واضحك!

(١) منهاج السنّة ٥٧٧ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٥٣

ومن الأحاديث في عذاب قاتل الحسين ... ص: ٢٥٣

قال قدس سرّه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن قاتل الحسين في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّت يده ورجلاه بسلاسل من نارٍ منكساً في النار حتى يقع في قعر جهنم وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة نتن ريحه، وهو فيها خالد ذائق للعذاب الأليم، كلها نضجت جلودهم بدل الله لهم الجلود حتى يذوقوا العذاب لا يفتّر عنهم ساعة ويسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عزّ وجلّ.

الشرح:

هذا الحديث رواه جماعة من محدثي أهل السنّة أيضاً، كابن المغازلي الشافعي في (المناقب) والخوارزمي المكي الحنفي في (مقتل الحسين) والصّبّان المصري في كتاب (إسعاف الراغبين).

فهو من أحاديث الفريقين.

وعن بعض حماة بني امية وأنصارهم رميه بالضعف.

قال قدس سرّه: وقال صلى الله عليه وآله: اشتدّ الله وغضبي على من أراق دم أهلي وآذاني في عترتي.

الشرح:

روى هذا الحديث جماعة من علماء القوم عن: علي عليه السلام، وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله، كالديلمي، وابن المغازلي، ومحب الدين الطبري، والسيوطي، والمناوي، وابن حجر الهيتمي المكي وغيرهم.

راجع: المناقب لابن المغازلي: ٢٩٢، الصواعق المحرقة: ١٨٤، إحياء الميت بفضائل أهل البيت - هامش إتحاف الأشراف -: ١١٥، كنوز

الحقائق من حديث خبر

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٥٤

الخلايق: ١٧، ذخائر العقبى: ٣٩ وغيرها.

وقد أورد الذهبي الحديث في (ميزانه) وتبعه ابن حجر في (لسانه) بترجمة:

محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي، نقلًا عن ابن عدى الجرجاني، وردّوا الحديث لكونه دالًّا على سوء عاقبة أوليائهم، وما اتهموا راويه إلا بالتشيع...

وعلى الجملة، فإن هذا الحديث من الأحاديث التي لا تقبلها النفوس الأموية التي يحملها أمثال الذهبي وابن تيمية، من أشياع أئمة الجور وأمراء الضلال.

أقول:

كانت تلك شواهد على تعصّب أهل السنّة في غير الحقّ، وموارد من بدعهم الباقية إلى هذا اليوم...

فكان ما ذكره العلامة هو الوجه الخامس من الوجوه الدالّة على وجوب اتّباع مذهب أهل البيت عليهم السّلام، فإنّه قد شرح رأى الطرفين في تلك المسائل، ووضعها أمام القارئ الحزّ المنصف المتدبّر، ليختار ما يراه الأحق بالإختيار والأولى بالاتباع، ولذا:

قال قدس سرّه: فليُنظر العاقل، أيّ الفريقين أحقّ بالأمن؟...

وهكذا ينتهي الوجه الخامس.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٥٥

الوجه السادس: من الوجوه الدالّة على أن مذهب الإمامية واجب الاتّباع ... ص: ٢٥٥

إشارة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٥٧

الوجه السادس

قال قدس سرّه: السادس: إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين وكمالاته لا تحصى، قد رواها المخالف والموافق. ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ولم ينقلوا في على طعنًا ألبته. اتّبعوا قوله وجعلوه إماماً لهم، حيث نزّهه المخالف والموافق، وتركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته.

ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم ونقلوه في المعتمد من كتبهم، ليكون حجّة عليهم يوم القيامة.

الشرح:

في هذه الفقرة من المتن نقاط ينبغي توضيحها والتأكيد عليها:

١- إن هذا الوجه استدلالٌ عقليّ وعليه سيرة العقلاء في سائر أمورهم، فإنه إذا دار الأمر بين أن يتّبع من له فضائل لا تحصى، اتّفق على روايتها الاتّباع له والاتّباع لغيره، أو يتّبع من ليست له تلك الفضائل حتى في رواية أتباعه، فمن الأولى بالاتباع عند العقلاء؟ وأيضاً، لو دار الأمر بين من نُقل عنه مطاعن حتى في كتب أتباعه، ومن لم ينقل عنه مطاعن حتى في كتب أتباع غيره، فمن الأولى بالاتباع عند العقلاء؟

٢- إن المراد من «الاتباع» لشخص، هو جعله الواسطة بيننا وبين الله ورسوله، وليكون العمل بقوله موجباً للنجاة في يوم القيامة، ومن الواضح أن ترتّب الأثر المذكور على اتّباع قول من اتفق الطرفان عليه هو المتيقّن فقط، والعقلاء يتركون سواه من أجله، لو دار الأمر بينه وبين غيره.

٣- إن المراد من «الموافق» هم الشيعة الإثنا عشرية، ومن «المخالف» هم جمهور أهل السنة القائلون بإمامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يشمل هذا

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٥٨

العنوان «الخوارج» و «الغلاة» المطرودين من طرف أهل السنة والشيعة جميعاً، فلا يعتبر بقول النواصب والخوارج الذين يكفرون علماً عليه السلام، ولا بقول الغلاة في علي، الذين يكفرون كل من خالفه.

قال ابن تيمية: إن الفضائل الثابتة في الأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلي «١». أقول:

لا شك أن أحمد بن حنبل الذي هو إمام ابن تيمية وسائر الحنابلة، أعلم بالأحاديث منه ومن أمثاله، وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي - في كتابه الذي ألفه في مناقب أبي حنيفة - أنه قال: «ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصّحاح مثل ما لعلي رضي الله عنه» «٢».

وقد نقل هذا الكلام عن أحمد جمع من كبار أئمة القوم، كالحاكم النيسابوري وابن حجر العسقلاني وغيرهما، وإن تصرّف بعض النقلة، فحذف من الكلام كلمة «بالأسانيد الصّحاح»، ووضع بعضهم مكان «الصّحاح» كلمة: «الجياد».

وليس أحمد بن حنبل وحده الذي قال هذا الكلام في حق أمير المؤمنين عليه السلام، بل الكلمة مروية في كتبهم المعتمدة عن غيره من كبار الأئمة، فقد قال ابن حجر: «وكذا قال النسائي وغير واحد، وفي هذا كفاية» «٣».

نعم، في هذا كفاية لثبوت صدق العلامة الحلّي وكذب ابن تيمية، والتفصيل في (المدخل) «٤».

(١) منهاج السنة ٧/٥.

(٢) كتاب مناقب أحمد بن حنبل، الباب ٢٠ في ذكر اعتقاده في الأصول ص ١٦٣.

(٣) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٨ وانظر: الاصابة ٤/ ٤٦٤ والاستيعاب ٣/ ١١٥، فتح الباري ٧/ ٨١.

(٤) دراسات في منهاج السنة: ٢٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٥٩

قال: والأحاديث التي ذكرها هذا، وذكر أنها في الصحيح عند الجمهور، وأنهم نقلوها في المعتمد من قولهم وكتبهم، هو من أبين الكذب على علماء الجمهور. فإن هذه الأحاديث التي ذكرها أكثرها كذب أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث «... ١».

أقول:

بأي وجه يحكم على تلك الأحاديث بأن أكثرها كذب أو ضعيف؟ إن تلك الأحاديث أكثرها معتبر قطعاً، لأنها إما في صحاح القوم ومسانيدهم، وإما هي معتبرة سنداً بشهادة علمائهم في الجرح والتعديل، وإما هي أحاديث متفق عليها بين الموافقين والمخالفين، فإن مثل هذه الأحاديث يوثق بصدورها عند أهل العقل والشرع... وعلى هذا، فمن ورد في فضله ومنقبته مثلها هو الأولى بالاتباع والإطاعة المطلقة في الدين والعقل ممن لم يرد في حقه.

وأما الأحاديث التي استند إليها العلامة، فسيأتي الكلام عليها سنداً ودلالةً، وسيُتضح كذب ابن تيمية هناك أيضاً.

قال: وأما ما ذكره من المطاعن، فلا يمكن أن يوجه على الخلفاء الثلاثة مطعن إلا وجه على ما هو مثله أو أعظم منه «٢».

أقول: سيتعرض العلامة لبعض ذلك، وسيُتضح الحق إن شاء الله هنالك.

قال معترضاً على قول العلامة «نزهة المخالف والموافق»: «هذا كذب بين، فإن علماً رضي الله عنه لم ينزهه المخالفون... فإن الخوارج متفقون على كفره وهم عند المسلمين خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته... والمروائيه الذين ينسبون علماً إلى الظلم...

وهؤلاء الخوارج كانوا ثمان عشرة فرقة «... ٣».

(١) منهاج السنة ٥/ ٦.

(٢) منهاج السنة ٥/ ٧.

(٣) منهاج السنة ٥/ ١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٦٠
أقول:

قد عرفت مقصود العلامة من كلامه، فهو لم ينكر وجود أعداء لأمير المؤمنين عليه السلام، كما أن أهل السنة لا ينكرون وجود من يعادى الذين غصبوا حقه والمذين حاربوه أو خالفوه من الصّحابة، بل يقول: بأن الجمهور القائلين بإمامة الشيخين يروون الفضائل الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وعلى، ويروون أيضاً مطاعن لأئمتهم، ولا- يروون عن رسول الله ولا- مطعنًا واحداً لعلى عليه السلام، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالاتباع من غيره، وهذا من أدلة الإمامية على القول بإمامته. ويبقى على العلامة أن يذكر بعض تلك الفضائل المروية في كتب الجمهور لعلى عليه السلام، وبعض تلك المطاعن المروية فيها لغيره، حتى تتم دعواه. ومن هنا شرع بذكر بعض الفضائل:

من فضائل أمير المؤمنين ... ص: ٢٦٠

قال قدس سره: فمن ذلك: ما رواه أبو الحسن الأندلسي في الجمع بين الصحاح الستة ... عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله أن قوله تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ»....

آية التطهير وحديث الكساء ... ص: ٢٦٠

الشرح:

من فضائله التي رواها المعتقدون بإمامته والمعتقدون بإمامة الشيخين، خبر نزول الآية المباركة وحديث الكساء، فإن رواته من علماء الجمهور القائلين بإمامة الشيخين كثيرون جداً «١» وعلى رأسهم أحمد بن حنبل ومسلم بن الحجاج النيسابوري

(١) مسند أحمد ٦/ ٢٩٢ و ٢٩٨ و ٣٢٣، صحيح مسلم ٧/ ١٣٠، سنن الترمذي ٥/ ٣٠-٣١ و ٢٣٨ و ٣٦١، المستدرک ٢/ ٤١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٦١

والترمذي وأمثالهم.

فهذا الحديث مِمَّا رواه المخالف والموافق، ويدلّ على فضيلة عظيمة لأمير المؤمنين، وهم لم يرووا مثله ولا أقل منه، في مثل تلك الكتب، في حقّ الشيخين ... فمن الأولى بالاتباع؟

هذا، وقد اعترف ابن تيمية بصحة هذا الحديث وثبوته، وذكر رواية القوم له عن أم سلمة أم المؤمنين وعن عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، ومن هنا لا نرى ضرورةً لتفصيل الكلام في الرواة والأسانيد.

قال ابن تيمية: «وأما حديث الكساء فهو صحيح» ... لكنه أجاب:

«هذا الحديث قد شرّكه فيه فاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، فليس هو من خصائصه ... وغايته ذلك أن يكون دعا لهم بأن

يكونوا من المتقين...

والصديق رضى الله عنه قد أخبر عنه بأنه «الأتقى* الذى يؤتى ماله يتزكى»....

وأيضاً، فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار» ... ١.

أقول:

فقد ظهر أن هذه الفضيلة غير واردة للشيخين حتى فى كتب القائلين بإمامتهما، أما أن فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشاركون علياً فى هذه الفضيلة، فذاك لا يضرر باستدلال العلامة الحلى، فإن الكلام يدور بين على والشيخين. على أن ثبوت مثل ذلك لزوجه وولديه يزيد فخرًا على فخر، كما لا يخفى على من له أدنى فهم! بل إنهم قد شاركوا رسول الله صلى الله عليه وآله فى الطهارة التى أرادها الله له، وهل فوق هذا من فضل وكمال؟

وأما إن «غاية ذلك أن يكون دعا لهم». فهذا تعصب قبيح:

(١) منهاج السنة ١٤/٥.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٦٢

أما أولاً: فلأنه ينافى صريح الآية المباركة، لأن «إنما» دالة على الحصر، وكلامه دال على عدم الحصر، فما ذكره رد على الله والرسول. أما ثانياً: فلأن فى كثير من «الصحيح» أن الآية نزلت، فدعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي ... فالله عز وجل يقول:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» ... والنبي صلى الله عليه وآله يعين «أهل البيت» وأنهم هؤلاء دون غيرهم. وأما ثالثاً: فلأنه لو كان المراد هو مجرد الدعاء لهم بأن يكونوا «من المتقين» و «الطهارة مأمور بها كل مؤمن» «فغاية هذا أن كون دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحذور»، فلا فضيلة فى الحديث، وهذا يناقض قوله من قبل «فعل أن هذه الفضيلة»!!!... وأما رابعاً: فلأنه لو كان «غاية ذلك أن يكون دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحذور»، فلماذا لم يأذن لأم سلمة بالدخول معهم؟! أكانت «من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس» ... فلا حاجة لها إلى الدعاء؟! أو لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يريد منها أن تكون «من المتقين»؟!...

وأما خامساً: فلو سلمنا أن «غاية هذا أن يكون دعاء لهم» ... لكن إذا كان الله سبحانه «يريد» والرسول «يدعو» - ودعاؤه مستجاب قطعاً- كان «أهل البيت» متصفين بالفعل بما دلت عليه الآية والحديث.

فقال: «والصديق قد أخبر الله عنه»....

وحاصله: إن غاية ما كان فى حق «أهل البيت» هو «الدعاء» وليس فى الآية ولا الحديث إشارة إلى «استجابة» هذا الدعاء، فقد يكون وقد لا يكون، وأما ما كان فى حق «أبى بكر»، فهو «الإخبار» فهو كائن، فأبو بكر أفضل من «أهل البيت»!

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٦٣

وفيه:

أولاً: فى «أهل البيت» فى الآية الكريمة شخص النبي صلى الله عليه وآله، ولا ريب فى أفضليته المطلقة.

وثانياً: فى «أهل البيت» فى الآية فاطمة الزهراء، وقد اعترف غير واحد من أعلام القوم بأفضليتها من أبى بكر:

فقد ذكر المناوى بشرح الحديث المتفق عليه بين المسلمين: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني»: «استدل به السهيلي (١) على أن من سبها كفر، لأنه يغضبه، وأنها أفضل من الشيخين».

وقال: «قال الشريف السمهودى: ومعلوم أن أولادها بضعة منها، فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثم لما رأت أم الفضل فى النوم أن

بضعه منه وضعت في حجرها، أولها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها. فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعه من تلك البضعة وإن تعددت الوسائط، ومن تأمل ذلك انبعث من قبله داعي الإجلال لهم وتجنب بغضهم على أي حال كانوا عليه.

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى صلى الله عليه وآله بتأذيه، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به، فالنبي صلى الله عليه وآله يتأذى، بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها، ولهذا عرف بالاستقراء معاملة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ

(١) عبد الرحمن بن عبد الله، العلامة الأندلسي، الحافظ العلم، صاحب التصانيف، برع في العربية واللغات والأخبار والأثر، وتصدر للإفادة، من أشهر مؤلفاته: الروض الأنف - شرح «السيرة النبوية» لابن هشام - توفي سنة ٥٨١، له ترجمة في: مرآة الجنان ٣ / ٤٢٢، النجوم الزهراء ٦ / ١١٠، العبر ٣ / ٨٢، الكامل في التاريخ ٩ / ١٧٢. شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٦٤. وَأَبْقَى» (١) «(٢)».

وثالثاً: في «أهل البيت» في الآية: الحسن والحسين، وإن نفس الدليل الذي أقامه الحافظ السهيلي وغيره على تفضيل الزهراء دليل على أفضلية الحسين، بالإضافة إلى الأدلة الأخرى، ومنها «آية التطهير» و«حديث الثقلين» الدالين على «العصمة»، ولا ريب في أفضلية المعصوم من غيره.

ورابعاً: في «أهل البيت» في الآية: أمير المؤمنين عليه السلام، وهي - مع أدلة غيرها لا تحصى - تدل على أفضليته على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وخامساً: كون المراد من الآية: «الْأَتْقَى» «... أبو بكر» هو قول انفرد القوم به، فلا يجوز أن يعارض به القول المتفق عليه.

وسادساً: كون المراد بها «أبو بكر» أول الكلام، وقد تقدم الكلام على ذلك.

وقال: «وأيضاً: فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ... فما دعا به النبي» «... ٣».

وحاصله: أفضلية «السابقين الأولين» ... من «أهل البيت» المذكورين.

ويرد عليه: ما ورد على كلامه السابق، فإن هذا فرع أن يكون الواقع من النبي صلى الله عليه وآله هو صرف «الدعاء».. وقد عرفت أن الآية تدل على أن الإرادة الإلهية تعلقت بإذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم تطهيراً، فهي دالة على عصمة «أهل البيت»، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وأعلن للأمة الإسلامية أنهم: هو وعلى وفاطمة والحسن والحسين.

(١) سورة طه ٢٠: ١٢٧.

(٢) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٤ / ٥٥٤.

(٣) منهاج السنة ٥ / ١٤ - ١٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٦٥

ثم إن قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» «... ١»

المراد فيه أمير المؤمنين عليه السلام، ويشهد بذلك تفسير قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (٢)

بعلی علیه السلام. فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«السَّبَقُ ثلاثه، السابق إلى موسى: يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى: صاحب ياسين، والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم على بن

أبي طالب».

قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه: حسين بن حسن الأشقر، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور، وبقي رجاله حديثهم حسن أو صحيح» (٣).

قلت:

«الحسين بن حسن الأشقر» من رجال النسائي في (صحيحه)، وقد ذكروا أن للنسائي شرطاً في صحيحه أشد من شرط الشيخين (٤)..
وقد روى عن الأشقر كبار الأئمة الأعلام: كأحمد بن حنبل، وابن معين، والفلاس، وابن سعد، وأمثالهم (٥).

وحكى الحافظ بترجمته، عن العقيلي، عن أحمد بن محمد بن هاني، قال:

قلت لأبي عبد الله - يعني ابن حنبل - تُحدث عن حسين الأشقر؟!

قال: لم يكن عندي ممن يكذب.

وذكر عنه التشيع، فقال له العباس بن عبد العظيم: أنه يحدث في أبي بكر وعمر.

وقلت أنا: يا أبا عبد الله! إنه صنف باباً في معابيهما.

فقال: ليس هذا بأهل أن يحدث عنه (٦).

(١)

سورة التوبة ٩: ١٠٠.

(٢) سورة الواقعة ٥٦: ١٠ و ١١.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٠٢.

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٠.

(٥) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩١.

(٦) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٦٦

وكان هذا هو السبب في تضعيف غير أحمد، قال الجوزجاني: غال، من الشتامين للخيرة (١).

ولذا يقولون: له مناكير، وأمثال هذه الكلمة مما لا يدل على طعنهم في الرجل نفسه، ولذا قال ابن معين: كان من الشيعة الغالية. فقل

له: فكيف حديثه؟! قال: لا بأس به. قيل: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه (٢).

ومن هنا قال الحافظ: «الحسين بن حسن الأشقر، الفزارى، الكوفى، صدوق، يهم ويغلو في التشيع، من العاشرة، مات سنة ٢٠٨، س» (٣).

وأما أبو بكر.. فلم يكن من السابقين الأولين:

قال أبو جعفر الطبرى: «وقال آخرون: أسلم قبل أبي بكر جماعة. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا كنانة بن جبلة، عن إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج بن الحجاج، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن

محمد بن سعد، قال: قلت لأبي:

أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟

فقال: لا؛ ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين؛ ولكن كان أفضلنا إسلاماً (٤).

أقول:

ولربما يشكل الاستدلال بنزول الآية وحديث الكساء من وجوه أخرى:

أحدها: إن إرادة إذهاب الرجز عن أهل البيت عليهم السلام إن كانت تشريعية، فلا فضيلة لهم، وإن كانت تكوينية، فلا تجتمع مع قول الإمامية بأن «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين».

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١.

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٢.

(٣) تقريب التهذيب ١ / ٢١٤.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٥٩ - ٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٦٧

والثاني: إن هذه الآية واردة في سياق الآيات النازلة في أزواج النبي صلى الله عليه وآله، فإما هي مختصة بهن، وإما يشاركن أهل البيت في معنى الآية.

والثالث: ما قيل من أن «الآل» يشمل «الأزواج» أيضاً، فلا اختصاص للآية بأهل بيته صلى الله عليه وآله. والجواب:

أما عن الأول، فإن الإرادة تكوينية، وهي دالة على فضيلة عظيمة لأهل البيت عليهم السلام، ولا منافاة مع تلك القاعدة، كما بين في محله في الكتب المطولة.

وأما عن الثاني، فإن السياق لا يصلح لأن يكون قرينه لرفع اليد عن الأحاديث الصحيحة المتفق عليها بين الفريقين، وكم من آية مدنية جاءت في سورة مكية وبالعكس.

على أن شمول الآية للأزواج إلى جنب أهل البيت عليهم السلام مما تكذبه نفس الأحاديث، خاصة ما ورد منها عن عائشة وأم سلمة، فكيف بدعوى اختصاصها بهن كما صدر عن بعض الخوارج؟

وأما عن الثالث، فإن القول المذكور دون إثباته خرط القتاد.

وعلى كل حال، فإن الآية شاملة لأمر المؤمنين عليه السلام ولا ربط لها بالشيخين أصلاً، فما ذكره العلامة الحلي هو الحق قطعاً.

هذا، وقد بحثنا عن آية التطهير في غير واحد من مؤلفاتنا المنتشرة.

آية النجوى وفضيلة أمير المؤمنين ... ص: ٢٦٧

قال قدس سره: وقال في قوله «إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» (١)

: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما عمل بهذه الآية غيري، وبى خفف الله تعالى عن هذه الأمة أمر هذه الآية».

(١)

سورة المجادلة: ١٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٦٨

الشرح:

قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» * أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (١).

فيه نقاط:

- ١- الأمر بتقديم الصدقة للفقراء بين يدي النجوى مع النبي صلى الله عليه وآله، وحيث كانوا يناجون به بكثرة ويتسابقون على ذلك، فقد كان في هذا الأمر نفع كبير للفقراء، ولمن أطاع وفعل ذلك فضل عظيم.
- ٢- الذم والتقريع للذين أشفقوا أن يقدموا الصدقة للفقراء بين يدي نجواهم، ولذا تركوا النجوى معه، فلم يسألوه عن شيء من الأحكام ولم يراجعوه في شيء من أمورهم الدينية والدنيوية، حتى لا يعطوا الصدقة. ومن الواضح أن الذم على ترك تقديم الصدقة فالنجوى، إنما يتوجه على المتمكنين من دفع الصدقة والمحتاجين إلى النجوى مع النبي والسؤال منه عن الأحكام وغيرها.
- ٣- نسخ الأمر بتقديم الصدقة والتوبة على من يقيم بالواجب. ومن المعلوم أن الحكم الشرعي إنما ينسخ إذا عمل به ولو مرة واحدة. وقد نصت أخبار الفريقين على أنه لم يعمل بهذه الآية إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت هذه الفضيلة من اختصاصاته. ومن رواته من أئمة أهل السنة الأعلام، من المفسرين: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

(١) سورة المجادلة: ١٢ و ١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٦٩

وابن أبي حاتم الرازي، صاحب التفسير الملتزم فيه بالصحة كما قالوا.

ومحيي السنة البغوي في تفسيره الذي أثنى عليه ابن تيمية.

والخازن البغدادي في تفسيره المعروف.

وأبو حيان الأندلسي في بحره المحيط.

وأبو الحسن الواحدي في أسباب النزول.

والفخر الرازي في تفسيره الكبير.

وابن كثير الدمشقي تلميذ ابن تيمية.

وجار الله الزمخشري في الكشف.

والقرطبي في تفسير الشهير.

وقاضي القضاة الشوكاني.

والقاضي البيضاوي.

وجلال الدين السيوطي.

وشهاب الدين الألوسي «١».

وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين.

ومن المحدثين:

ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى، وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني والحاكم وابن مردويه، وابن حبان

وغيرهم «٢».

(١) تفسير القرطبي ١٤/٢٨ وفي الطبعة الحديثة ١٢/٢٠ برقم ٣٣٧٨٨، تفسير البغوي ٤/٢٨٣، البحر المحيط ٨/٢٣٧، تفسير الخازن ٧/

٤٤، تفسير الرازي ٢٩/٢٧٢، الكشف ٤/٣٢٦، تفسير القرطبي ١٧/١٩٦، فتح القدير ٥/١٨٦، تفسير ابن كثير ٤/٣٢٦، الدر المنثور ٨/

٨٤، روح المعاني ٢٨/ ٢٨، أسباب النزول: ٢٣٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ١٥٣/ ٥، مسند أبي يعلى ١/ ٣٢٢، صحيح ابن حبان ١٥/ ٣٩١، نظم درر السمطين: ٩٠، المعيار والموازنة: ٧٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧٠

رووه بأسانيدهم عن: أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وابن عباس. وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر.

هذا، ولم يناقش أحد في ثبوت الخبر، حتى ابن تيمية الذي طالما يكابر في الثواب. ولتوضيح أن هذه فضيلة كبيرة من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ننقل بعض النصوص:

قال عبد الله بن عمر: «لقد كان لعلی ثلاثة لو كانت لی واحدة منهن كانت أحبَّ إلی من حمر النعم: تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى» (١).

وهل أصرح من هذا الكلام في الدلالة على الفضيلة والكمال لأمر المؤمنين ما لم يثبت لغيره؟

قال ابن روزهان: «هذا من روايات أهل السنة، وإن آية النجوى لم يعمل بها إلّا على، ولا كلام في أن هذا من فضائله التي عجزت الألسن عن الإحاطة بها».

وهذا إقرار من متعصب عنيد من علماء القوم!

وقال الخازن: «فإن قلت: في هذه الآية منقبة عظيمة لعلی بن أبي طالب، إذ لم يعمل بها أحدٌ غيره. قلت: هو كما قلت، وليس فيها طعن على غيره من الصحابة»....

أقول:

فبطل تشكيك إمامهم الرازي في دلالة القضية على الفضل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أن النيسابوري - التابع له في كثير من المواقع - تعقبه هنا قائلاً:

«هذا الكلام لا يخلو عن تعصب ما، ومن أين يلزمنا أن نثبت مفضوليته على رضى الله عنه في كل خصلة؟ ولم لا يجوز أن يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصحابة؟ فقد روى عن ابن عمر: كان لعلی رضى الله عنه ثلاث لو كانت لی واحدة

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ٣٠٢، الكشف ٤/ ٧٦، تفسير الثعلبي ٩/ ٢٦٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧١

منهن... وهل يقول منصف إن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله نقيصة؟ على أنه لم يرد في الآية نهى عن المناجاة، وإنما ورد تقديم الصدقة على المناجاة من جهتين: سدّ خلّة بعض الفقراء ومن جهة محبة نجوى الرسول فيها القرب وحلّ المسائل العويصة وإظهار أن نجواه أحبّ إلى المناجى من المال» (١).

هذا باختصار فيما يتعلّق بالنقطة الأولى من النقاط الثلاث المذكورة سابقاً. وقد ظهر أن ما ذكره العلامة هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن من حصلت له هذه الفضيلة العظيمة التي يتمناها الصحابة ويعترف بها كبار العلماء، هو المتعين للتأبّع دون غيره.

وأما بالنسبة إلى النقطة الثانية: فقد ذكروا وجوهاً للدفاع عن الصحابة، وكلّها وجوه ساقطة، لا تقاوم ظواهر الآية ودلالة الحديث، وأظن أن هذا هو السبب لمحاولة الرازي إنكار أصل الفضيلة، وتلك الوجوه هي:

١- إن المدّة بين الأمر بتقديم الصدقة بين يدى النجوى ونسخ هذا الأمر لم تُطل، فلم تكن هناك فرصة لإطاعة غير على لهذا الأمر.

٢- احتمال أن يكون الأمر نديباً لا وجوبياً، والمندوب يجوز تركه.

٣- احتمال أن لا يكون الشيوخ الثلاثة حاضرين عند نزول الآية الكريمة.

٤- احتمال أن لا يكون عندهم الداعي إلى المناجاة.

٥- كيف؟ وأبو بكر قد أنفق ماله كله في الصدقة، وعمر جاء بنصف ماله بلا حاجة إلى النجوى!

وهذا كل ما ذكره المعتقدون بإمامة الشيخين من المفسرين والمحدثين والمتكلمين الأشاعرة منهم والمعتزلة، وستكلم عليها بشرح البرهان الثامن عشر من براهين إمامة أمير المؤمنين من القرآن المبين. فانتظر.

(١) تفسير النيسابوري، ط هامش الطبري ٢٨/ ٢٤- ٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧٢

نزول قوله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...» ... ص: ٢٧٢

قال قدس سره: وعن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب. فقال طلحة بن شيبه:

معى مفاتيح البيت ولو أشار بئ فيه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بئ في المسجد، فقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ». الشرح:

هذا الحديث أخرجه جماعة من كبار الأئمة.

كعبد الرزاق الصنعاني، وأبي بكر ابن أبي شيبه، ومحمد بن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن المنذر النيسابوري، وابن عساكر، وأبي نعيم الإصفهاني، وأبي الشيخ الإصبهاني، وابن مردويه، والسيوطي رواه عنهم «١». ومن رواه ابن كثير الدمشقي كما سيأتي.

وأورده غير واحد من أعلام التفسير بذيّل الآية المباركة، كالطبري وابن كثير والسيوطي.

وذكره أبو الحسن الواحدى فى سبب نزولها.

وبرواية هؤلاء استند العلامة لما ذكر هذا الحديث من جملة فضائل أمير المؤمنين وكمالاته التى رواها الموافق يعنى القائل بإمامته، والمخالف يعنى القائل بإمامة الشيخين.

(١) الدر المنثور ٣/ ٢١٨.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧٣

وهو واضح الدلالة على المقصود، فإن مثله لم يرد فى حق غيره من الأصحاب على الإطلاق.

قال ابن تيمية: هذا اللفظ لا يعرف فى شى من كتب الحديث المعتمدة، بل دلالات الكذب عليه ظاهرة «١». أقول:

قد عرفت جمعاً من أعلام أهل السنة الرواة له فى كتبهم، وأن العلامة وغيره من علماء الإمامية قد اعتمدوا على رواية هؤلاء وأمثالهم، فإن كان كذباً فما ذنب العلامة؟

وهل يلتزم أذنب ابن تيمية بذلك؟

قال: ثم فيه قول على: صليت ستة أشهر قبل الناس. فهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة...

أقول: وهذا من الأمور الثابتة برواية الفريقين كذلك بالأسانيد الصحيحة كما سيأتي في محله، فلا يجوز الرد على استدلال العلامة هنا من هذه الناحية.

قال: وأما الحديث فيقال: الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ولفظه عن النعمان بن بشير...

أقول: هذه المعارضة باطلة لوجوه:

الأول: إنه حديث تفرد به المعتقدون بإمامة الشيخين، وكل حديث تفرد بنقله أحد الطرفين، فلا يجوز له الاحتجاج به على الطرف الآخر في مقام البحث والمناظرة، كما صرح به غير واحد من أعلام أهل السنة كذلك، كابن حزم الأندلسي (٢).

والثاني: إن الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره، ليس فيه ذكر لاسم أحد، فهو «قال رجل» و«قال آخر» و«قال آخر». أما الحديث الذي استدلل به العلامة ففيه أسماء

(١) منهاج السنة ١٨/٥.

(٢) الفصل في الملل والنحل ١٥٩/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧٤

القائلين بصراحة، فنقول:

١- أي فائدة في هذا الحديث في مقام المفاضلة بين الأشخاص؟!

٢- وأي مناقضة بين هذا الحديث والحديث الذي استشهد به العلامة؟!

٣- بل إن الحديث الذي استند إليه العلامة يصلح لأن يكون مفسراً لحديث مسلم، الذي أبهم فيه أسماء القائلين!

والثالث: لقد أورد غير واحد من أئمة التفسير عند القوم الحديث الذي استدلل به العلامة، بذيل الآية المباركة، بل إن بعضهم قدمه في الذكر على غيره من الأخبار والأقوال، وإليك ما جاء بتفسير ابن كثير - وهو الذي يعتمد عليه أتباع ابن تيمية كثيراً - فإنه قال:

«قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن عيينة، عن إسماعيل، عن الشعبي، قال: نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلموا في ذلك.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب...

وهكذا قال السدي إلا أنه قال: افتخر على والعباس وشيبه بن عثمان؛ وذكر نحوه.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن عمرو، عن الحسن، قال: نزلت في علي وعباس وشيبه، تكلموا في ذلك...

ورواه محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن؛ فذكر نحوه».

والرابع: إن ابن كثير كما قدم هذا الحديث في الذكر، فقد نصّ على أن حديث النعمان بن بشير «مرفوع» إذ أورده من بعد قائلاً:

«وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع، فلا بد من ذكره هنا: قال

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٧٥

عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن النعمان بن بشير» (١)...

وكيف يجوز معارضة ذاك الحديث المشهور بين الفريقين، بحديث انفرد به أحدهما وهو يعترف بأنه مرفوع؟

وقال القرطبي: «وظاهر هذه الآية أنها مبطله قول من افتخر من المشركين بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كما ذكره السدي، قال: افتخر عباس بالسقاية، وشيبه بالعمارة، وعلى بالإسلام والجهاد، فصّدق الله علياً وكذبهما... وهذا بين لا غبار عليه».

ثم إنه تعرض لحديث مسلم، وذكر فيه إشكالاً، وحاول دفعه بناء على وقوع التسامح في لفظ الحديث من بعض الرواة، فراجع «٢».

وبذلك يظهر أن في حديث مسلم إشكالاً في المعنى والدلالة أيضاً!

وقال الآلوسى بتفسير الآية وبيان المقصود بالخطاب في (أجعلتم): «الخطاب إمّا للمشركين على طريقته الالتفات، واختاره أكثر المحققين ... وإمّا لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة على الهجرة والجهاد، واستدلّ له بما أخرجه مسلم ... وبما روى من طرق أن الآية نزلت في علي كرم الله وجهه والعباس ... وأُريد هذا القول بأنه المناسب للاكتفاء في الردّ عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله تعالى للفريق الثاني» «... ٣».

أقول: ومن هذا الكلام يُفهم:

- ١- أن لا تعارض بين حديث مسلم وحديثنا، كما أشرنا من قبل.
- ٢- إن لحديثنا طرقاً لا طريق واحد، واعترف به الشوكاني أيضاً «٤».

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٥٥.

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٩١ - ٩٢.

(٣) روح المعاني ١٠/ ٦٧.

(٤) فتح القدير ٢/ ٣٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٧٦

٣- إنه كان بعض المؤمنين يؤثر السقاية والعمارة على الهجرة والجهاد! فجاءت الآية لتردّ عليهم قولهم، بأن الفضل للهجرة والجهاد دون غيرهما. وتلخص:

إن حديثنا معتبر سنداً، وهو عندهم بطرق، في أوثق مصادرهم في الحديث والتفسير، ودلالته على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام من سائر الصحابة واضحة؛ لأن الإمام قد استدلّ لأفضليته بما يقتضى الفضل على جميع الأمة، وقد صدّق الله سبحانه عليّاً عليه السلام في ما قاله، وإذا كان هو الأفضل، فهو الأولى بالإمامة والولاية العامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأما الحديث الوارد في كتاب مسلم، فلا يعارض الحديث المذكور، على إنه متفرد به، ومخدوش سنداً ودلالة باعتراف أئمتهم!

حديث الوصاية ... ص: ٢٧٦

قال قدس سره: ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال قلنا لسلمان: سل النبي صلى الله عليه وآله من وصيته؟ فقال له سلمان: يا رسول الله، من وصيِّك؟ فقال: يا سلمان، من كان وصى موسى؟ فقال: يوشع به نون. قال: فإن وصي ووارثي، يقضى ديني وينجز موعدي: علي بن أبي طالب».

الشرح:

هنا مطلبان:

الأول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله ما مات بلا وصيِّه.

والثاني: إن وصي رسول الله هو أمير المؤمنين عليه السلام لا غيره من الأصحاب مطلقاً.

وهذا المطلب الثاني - المثبت للأول - اتفق على روايته الموافق القائل بإمامته

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٧٧

وعلماء أهل السنّة القائلون بإمامة الشيخين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا ثبت رواية القوم هذا المطلب فقد تمّ مدّعى العلّامة

في هذا المقام.

وفي مقام الإثبات، أورد العلامة الحديث المذكور عن أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المشهور المعروف... وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري عن أنس وهذا نصه: «حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا إبراهيم بن الحسن الثعلبي، ثنا يحيى بن يعلى، عن ناصح بن عبد الله، عن سماك بن حرب، عن أبي سعيد الخدري، عن سلمان قال: قلت يا رسول الله لكل نبي وصي، فمن وصيك؟ فسكت عني. فلما كان بعد رأني فقال: يا سلمان! فأسرعت إليه قلت: لبيك. قال: تعلم من وصي موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون، قال:

لم؟ قلت: لأنه كان أعلمهم. قال: فإن وصي وموضع سري وخير من أترك بعدي، ينجز عدتي ويقضى ديني: علي بن أبي طالب» (١). وأخرجه ابن عساكر الدمشقي بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام بأسانيد:

«أخبرنا أبو الفضل الفضيلي، نا أبو القاسم الخليلي، نا أبو القاسم الخزاعي، نا الهيثم بن كليب الشاشي، نا محمد بن علي، نا يحيى الحماني، نا شريك، عن الأعمش، عن المنهال - يعني ابن عمرو - عن عباد - يعني ابن عبد الله الأسدي، عن علي قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «علي يقضى ديني، وينجز موعودي، وخير من خلفه في أهلي.

قرأت علي أبي محمد بن حمزة، عن أبي بكر الخطيب، نا الحسن بن أبي بكر، نا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، نا الحسن بن العباس الرازي، نا القاسم بن خليفة أبو محمد، نا أبو يحيى التيمي إسماعيل بن إبراهيم، عن مطير أبي خالد، عن

(١) المعجم الكبير ٢٢١/٦ برقم ٦٠٦٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٧٨

أنس بن مالك قال:

كنا إذا أردنا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا علي بن أبي طالب أو سلمان الفارسي أو ثابت بن معاذ الأنصاري، لأنهم كانوا أجراً أصحابه على سؤاله، فلما نزلت: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» (١)

وعلمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله نعت إليه نفسه قلنا لسلمان: سل رسول الله صلى الله عليه وآله من نسند إليه أمورنا، ويكون مفزعنا، ومن أحب الناس إليه؟ فلقية، فسأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، فخشي سلمان أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد مقته ووجد عليه، فلما كان بعد لقيه، قال: يا سلمان، يا أبا عبد الله، ألا أحدثك عما كنت سألتني؟ فقال: يا رسول الله إني خشيت أن تكون قد مقتني ووجدت علي، قال: «كلًا يا سلمان، إن أخي ووزيري وخليفتي في أهل بيتي وخير من تركت بعدي يقضى ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب.

قال الخطيب: مطير هذا مجهول.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، نا أبو القاسم بن مسعدة، نا حمزة بن يوسف، نا أبو أحمد بن عدي، نا ابن أبي سفيان، نا علي بن سهل، نا عبيد الله بن موسى، نا مطر الإسكاف عن أنس قال:

قال النبي صلى الله عليه وآله: علي أخى، وصاحبى، وابن عمى، وخير من أترك بعدي، يقضى ديني، وينجز موعدي.

قال: قلت له: أين لقيت أنساً؟ قال: بالخرية.

أخبرنا أبو القاسم الشحامى، وأبو المظفر القشيري، قالوا: نا أبو سعد الأديب، نا أبو سعيد الكرابيسي، نا أبو ليبي السامى، نا سويد بن سعيد، نا عمرو بن ثابت، عن مطر،

(١) سورة النصر، الآية الأولى.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٧٩

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن خليلي ووزيرى وخير من أخلف بعدى يقضى دينى وينجز موعودى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل، وأبو محمد هبة الله بن سهل، وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالوا: أنا أبو سعد الجزرودى، أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازى، نا يوسف بن عاصم الرازى، نا سويد بن سعيد، نا عمرو بن ثابت، عن مطر، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن خليلي ووزيرى وخليفتى فى أهلى وخير من أترك بعدى وينجز موعدى ويقضى دينى على بن أبى طالب» (١).

فهذه عدّة من أسانيد الحديث، وقد عرفت أنه من الأحاديث التى اتفق المخالف والموافق على روايتها فى فضل أمير المؤمنين وكمالها، مما لم ينقل مثله ولا الأقلّ منه فى حق غيره من الصحابة. فتم مقصود العلامة الحلى من ذكره فى هذا المقام.

لكن القوم لما رأوا عظمت مدلول هذا الحديث، اضطربوا واختلفت كلماتهم، ولنقدّم الكلام على سنده فى كتاب أحمد: قال ابن تيمية: إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ليس هو فى مسند الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد قد صنف كتاباً فى فضائل الصحابة...

وليس كلّ ما رواه يكون صحيحاً. ثم إن فى هذا الكتاب زيادات من روايات ابنه عبد الله، وزيادات من رواية القطيعى عن شيوخه، وهذه الزيادات التى رواها القطيعى غالبها كذب «... ٢».

فهذا كلامه، إذ حكم على الحديث بالوضع ولم يذكر أى دليل.

(١) تاريخ دمشق ٤٢/٥٦-٥٧.

(٢) منهاج السنة ٥/٢٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٨٠

أقول:

إن هذا الحديث فى كتاب الفضائل لأحمد، والعلامة لم ينسبه إلى المسند، وهو من زيادات القطيعى إذ قال: «حدّثنا هيثم بن خلف، حدّثنا محمد بن أبى عمر الدورى، حدّثنا شاذان، حدّثنا جعفر بن زياد، عن مطر، عن أنس يعنى ابن مالك- قال قلنا لسلمان: سل النبى» «... ١».

وقد تكلم فى «مطر» وهو «مطر بن ميمون المحاربى، ابن أبى مطر الإسكاف» هكذا ترجمه ابن عدى، وروى الحديث بإسناده عن عبيد الله بن موسى عن مطر عن أنس، ثم قال عن الرجل: «هو إلى الضّعف أقرب منه إلى الصدق» «٢».

فغايتة أن يكون ضعيفاً لا كذباً موضوعاً باتفاق أهل المعرفة بالحديث!

وكأن ابن تيمية قد تبع ابن الجوزى فى رمى الحديث بالوضع، فإنّه قد أدرجه فى كتابه فى الموضوعات قائلاً: «الحديث الرابع والعشرون: فى الوصية إليه، يرويه سلمان، وله أربع طرق» فذكر الطريق الثانى قال: «فيه مطر بن ميمون، قال البخارى: منكر الحديث، وقال أبو الفتح الأزدى: متروك الحديث. وفيه جعفر، وقد تكلموا فيه» «٣».

وفى كلامه نظر من وجوه:

الأول: إن حديث سلمان فى الوصية غير منحصر بالطرق الأربع التى ذكرها، فهو لم يذكر طريق الطبرانى الذى ذكرناه عن المعجم الكبير، وسيأتى التحقيق فيه.

والثانى: إن غاية الكلام فى «مطر» أنه منكر الحديث عند البخارى، وأمّا كلام الأزدى فلا يعبأ به، لضعف الأزدى نفسه كما نصّ عليه

الذهبي وغيره «٤»، فهل يكفي

(١) مناقب علي بن أبي طالب لأحمد بن حنبل: ١٢١ برقم ١٧٦.

(٢) الكامل في الضعفاء ٦ / ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٣) كتاب الموضوعات ١ / ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٤) ميزان الاعتدال ١ / ٦١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨١

هذا لأن يعدّ الحديث في الموضوعات؟

والثالث: قوله: «وفيه جعفر، وقد تكلموا فيه» مردود، بأن الرجل لم يتكلم فيه إلّا من جهة التشيع، والتشيع غير مضرّ كما نصّ عليه الحافظ ابن حجر «١» ولذا قال بترجمته: «صدوقٌ يتشيع» «٢».

ولهذه الأمور وأمثالها نصّ غير واحد من الأعلام على أن ابن الجوزي متسرّع في الحكم بالوضع، وأنه لا ينبغي أن يغترّ بذلك «٣...» ومن هنا فقد تعقّب الحافظ السيوطي في هذا المقام أيضاً «٤».

فإن كان ابن تيمية المغترّ بابن الجوزي، عالماً بحاله فما أشدّ تعصّبه، وإلّا فما أجهله!

هذا، وللحديث عن سلمان في هذا الباب غير ما ذكر من الأسانيد، فقد ذكرنا رواية الطبراني في الكبير، وليس فيه مطر ولا جعفر، وظاهر الطبراني قبول الحديث سنداً، فلذا اضطرّ لأن يؤول معناه فقال بعده ما نصه: «قوله: وصي» يعني: أنه أوصاه في أهله لا بالخلافة. وقوله: خير من أترك بعدى. يعني من أهل بيته» «٥».

لكنه تمحلّ واضح وتكلّف بين، بل المراد هو الخلافة من بعده، وهذا المعنى هو محلّ الحاجة للصحابة إذ طلبوا من سلمان أن يسأل عنه النبي صلى الله عليه وآله، وإلى ما ذكرنا أشار ابن كثير إذ قال: «وفي تأويل الطبراني - يبدو صحة الحديث وإن كان غير صحيح - نظر، والله أعلم» «٦».

(١)

مقدّمة فتح الباري: ٣٩٨.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ١٣٠.

(٣) انظر: تدريب الراوي ١ / ٢٣٥، الصواعق المحرقة: ٩٠، جواهر العقدين، الجزء الأوّل من القسم الثاني: ٧٣ ط بغداد، استجلاب ارتقاء الغرف: ٦١.

(٤) اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٥) المعجم الكبير ٦ / ٢٢١.

(٦) جامع المسانيد والسنن ٥ / ٣٨٣ برقم ٣٦٣٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨٢

إلا أن ابن كثير لم يذكر وجه الضعف، حتى رجعنا إلى الحافظ الهيثمي فوجدناه يقول: «وفي إسناده ناصح بن عبد الله، وهو متروك» «١».

أقول:

أولاً: الرجل ممن أخرج عنه الترمذي وابن ماجه «٢».

وثانياً: هو من مشايخ جمع من أئمة القوم كأبى حنيفة وهو من أقرانه «٣».

وثالثاً: قد وثقه أو مدحه غير واحد من الأكابر:

«قال ابن حبان: كان شيخاً صالحاً غلب عليه الصلاح، فكان يأتي بالشئ على التوهم، فلما فحش ذلك منه استحق الترك.

وقال أحمد بن حازم بن أبي غرزة: سمعت عبيد الله بن موسى وأبا نعيم يقولان جميعاً عن الحسن بن صالح قال: ناصح بن عبد الله المحملي نعم الرجل» «٤».

ورابعاً: قال ابن عدي - بعد أن أورد أحاديث له - «وهو في جملة متشيعي أهل الكوفة، وهو ممن يكتب حديثه» «٥».

وخامساً: إن السبب في تضعيف من ضعفه هو نقله لأحاديث الفضائل!! والمناقب بكثرة، وإليه أشار أبو حاتم «٦» وابن عدي، بل بهذا السبب قيل: «كان يذهب إلى الرفض» «٧»، وإليك عبارة الذهبي:

«قلت: كان من العابدين. ذكره الحسن بن صالح فقال: رجل صالح، نعم الرجل»

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١١٤.

(٢) تقريب التهذيب.

(٣) تهذيب الكمال ٢٩ / ٢٦١.

(٤) تهذيب الكمال ٢٩ / ٢٦٣.

(٥) الكامل ٧ / ٤٧ ونقله المزي في تهذيب الكمال ٢٩ / ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٦) الجرح والتعديل ٨ / ٥٠٢.

(٧) الضعفاء للعقيلي ٤ / ٣١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨٣

ثم روى ما يلي: «إسماعيل بن أبان، حدثنا ناصح أبو عبد الله عن سماك عن جابر قالوا:

يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا، يعني علياً.

يحيى بن يعلى المحاربي، عن ناصح بن عبد الله، عن سماك بن حرب، عن أبي سعيد الخدري عن سلمان قال قلت: يا رسول الله... هذا خبر منكر» «١».

فظهر، أن السبب الأصلي للقدح في الرجل رواية مثل هذه الأحاديث، فإن القوم لا يطيقون سماعها ولا يتحملون الراوى لها!

هذا، والأحاديث الواردة في الوصية لأمر المؤمنين وأنه عليه السلام هو الوصي لرسول الله صلى الله عليه وآله، كثيرة، ومن ذلك: عن ابن بريده، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكل نبي وصي ووارث وإن وصي ووارثي علي بن أبي طالب».

أخرجه الحاكم في تاريخه، وابن عساكر، وأبو القاسم البغوي، وابن عدي، والمحب الطبري وغيرهم من أعلام الحفاظ «٢».

وليس فيه من تكلم فيه إلّا «محمد بن حميد الرازي» لكنه من رجال الترمذي وأبي داود وابن ماجه، ووثقه أبو زرعة الرازي ويحيى بن معين فقال: «ثقة ليس به بأس، رازي كيس».

وحدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي، وقال ابن عدي - بعد أن ذكر له أحاديث - «وتكثر أحاديث

ابن حميد التي أنكرت عليه إن ذكرناها، على أن أحمد بن حنبل قد أثنى عليه خيراً لصلابته في السنة».

إلّا أن الجوزجاني الناصبي قال: «ردى المذهب» والبخاري قال: «في

(٢) تاريخ دمشق ٣٩٢ / ٤٢، الرياض النضرة ١٧٨ / ٢، تنزيه الشريعة الغراء ٣٥٦ / ١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨٤

حديثه نظر» (١).

وبما ذكرنا من الأحاديث في المسألة والتحقيق حولها كفاية لمن أراد الهداية.

صعود على منكب النبي لكسر الأصنام ... ص: ٢٨٤

قال قدس سره: وعن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: «انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله: اجلس، فصعد على منكبي فذهبت لأنهنض به، فرأى مني ضعفاً، فنزل. وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وآله وقال: إصعد على منكبي، فصعدت على منكبه، قال: فنهض بي. قال: فإنه تخيل لي أني لو شئت لثلت افق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت ازاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله: إقذف به، فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، وانطلقت أنا ورسول الله نستبق حتى توارينا البيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس».

الشرح:

قد أخرج غير واحد من الأئمة هذا الحديث بسند صحيح:

كأحمد بن حنبل في المسند «٢»، والنسائي صاحب السنن في خصائص أمير المؤمنين «٣»، والحاكم النيسابوري وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» «٤». ووافقه الذهبي في تلخيصه «٥».

(١) تهذيب الكمال ١٠١ / ٢٥، الكامل في الضعفاء ٢٧٥ / ٦.

(٢) مسند أحمد ٨٤ / ١.

(٣) خصائص علي: ١١٣.

(٤) المستدرک علی الصحيحین ٣٦٦ - ٣٦٧ و ٣ / ٥.

(٥) تلخيص المستدرک ط معه ١١٥ / ٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨٥

ورواه أيضاً: ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، ومحمد بن جرير الطبري. رواه عنهم المتقي الهندي «١».

قال ابن تيمية: إن هذا الحديث إن صح فليس فيه شيء من خصائص الأئمة ولا خصائص علي، فإن النبي كان يصلي وهو حامل امامة بنت أبي العاص بن الربيع.. «٢».

أقول:

أولاً: كان المقصود ذكر ما رواه الموافق والمخالف، لا الخصائص.

وثانياً: القضية من الخصائص بلا ريب.

وثالثاً: الحديث صحيح والتشكيك فيه تعصب.

ورابعاً: تنظير القضية بحمل امامة في الصلاة تعصب آخر.

قوله لفاطمة: ألا ترضين أني زوجتك ... ص: ٢٨٥

قال قدس سره: وعن معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة:

ألا ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟

الشرح:

روى حديث قول النبي صلى الله عليه وآله لبضعته الطاهرة كذلك، بهذا اللفظ أو نحوه، جمع من الأئمة الأعلام بأسانيد معتبرة لا مجال للتكلم فيها، ونحن نكتفي ببعض الروايات:

ففى مسند أحمد: «حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أبو أحمد، ثنا خالد - يعنى

(١) كنز العمال ١٣ / ١٧١.

(٢) منهاج السنة ٥ / ٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨٦

ابن طهمان - عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال: وضأت النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: هل لك فى فاطمة رضى الله عنها نعوذها؟ فقلت: نعم. فقام متوكئاً على فقال: أما أنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجراً لك، قال: فكأنه لم يكن على شىء، حتى دخلنا على فاطمة عليها السلام، فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزنى واشتدت فاقتي وطال سقمتى.

قال أبو عبد الرحمن: وجدت فى كتاب أبى بخط يده فى هذا الحديث قال: وأما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً» (١).

ورواه الطبرانى كذلك:

فرواه الهيثمى فى باب إسلام على عليه السلام قائلاً: «رواه أحمد والطبرانى. وفيه خالد بن طهمان. وثقه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله ثقات» (٢).

وفى باب علمه عليه السلام قال: «قد تقدم فى إسلامه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتى سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. رواه أحمد والطبرانى برجال وثقوا» (٣).

ورواه الطبرى عن أمير المؤمنين وصححه. فرواه عنه المتقى الهندى: «عن على قال: خطب أبو بكر وعمر وفاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى رسول الله عليهما. فقال عمر: أنت لها يا على. قال: ما لى من شىء إلادعى وجملى وسيفى.

فتعرض على ذات يوم لرسول الله. فقال: يا على، هل لك من شىء؟ قال: جملى ودعى أرهنهما. فزوجنى رسول الله فاطمة. فلما بلغ فاطمة ذلك بكت، فدخل عليها رسول الله، فقال: ما لك تبكين يا فاطمة؟ والله أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً

(١) مسند أحمد ٥ / ٢٦.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٠١.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١١٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٨٧

وأقدمهم سلماً. وفى لفظ: أولهم سلماً.

ابن جرير وصححه. والدولابى فى الذرية الطاهرة» (١).

ورواه ابن عساكر بأسانيد عديدة عن غير واحد من الأصحاب والصحابيات (٢).

ورواه جماعة آخرون من الحفاظ الأعلام كذلك.

أقول:

إن هذا الحديث الذي يشتمل على ثلاثة فضائل لأمير المؤمنين عليه السلام، قد اتفق على روايته المؤلف والمخالف، لكن كل واحدة منها مروية بأسانيد كثيرة تخصها، ولو أردنا التعرض لها لطال بنا المقام، والمهم فعلاً هو إثبات صحة ما ذكره العلامة رحمه الله. ولا يخفى أن هذا الموضع من المواضع التي أغفلها ابن تيمية، وكأن هذا الكلام لم يذكره العلامة حتى يرد عليه؟! مع أنه موجود في جميع نسخ كتاب منهاج الكرامة الموجودة بين أيدينا!!

حديث الصديقون ثلاثة ... ص: ٢٨٧

قال قدس سره: وعن ابن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصديقون ثلاثة، حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» وحزيل مؤمن آل فرعون الذي قال «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» وعلى بن أبي طالب وهو أفضلهم.

الشرح:

هذا الحديث أورده العلامة هنا، وفي الأدلة من الكتاب على إمامة أمير المؤمنين

(١) كنز العمال ١١٤/١٣.

(٢) تاريخ دمشق ١٢٦/٤٢ - ١٣٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٨٨

عليه السلام، في البرهان السادس والعشرون، كما سيأتي، فكان المقصود من إيراده هنا - كما ذكرنا غير مرة - أن فضائل أمير المؤمنين وكمالاته متفق عليها من الفريقين، فلذا نكتفي بذكر أسماء بعض رواته من أهل السنة الأعلام، ونرجئ البحث التفصيلي إلى هناك. فاعلم أن من رواة هذا الحديث:

١- أحمد بن حنبل.

٢- البخاري.

٣- أبو داود السجستاني.

٤- أبو القاسم الطبراني.

٥- أبو الحسن الدار قطني.

٦- ابن مردويه الإصفهاني.

٧- أبو نعيم الإصفهاني.

٨- الخطيب البغدادي.

٩- ابن عساكر الدمشقي.

١٠- الفخر الرازي.

١١- جلال الدين السيوطي.

١٢- علي المتقي الهندي.

فهؤلاء من رواته من الأعلام.

ويقول ابن تيمية - في الموضعين - بأن هذا الحديث كذب موضوع. فإن كان هؤلاء يروون الموضوعات فما ذنبنا؟ لكن ستعلم - في البرهان السادس والعشرين من القرآن - صحته سنداً. فانتظر.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٨٩

حديث أنت مني وأنا منك ... ص: ٢٨٩

قال قدس سره: وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي: أنت مني وأنا منك.
الشرح:

هذا حديث أخرجه البخاري في باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وأخرجه غيره من الأئمة الأعلام عند القوم، فهو صحيح بلا ريب ولا كلام.

وقد أذعن ابن تيمية بصحته فقال: «إن هذا حديث صحيح، أخرجاه في الصحيحين» ثم قال: «لكن هذا اللفظ قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم لطائفة من أصحابه» ... فذكر بعض الأحاديث فقال: «فتبين أن قوله لعلي: أنت مني وأنا منك، ليس من خصائصه، بل قال ذلك للأشعريين وقاله لجلبب» «١».

فيقال له:

أولاً: ما رويته مما انفرد به أصحابك، وقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام متفق عليه.
وثانياً: لو سلمنا صحته ما رويتموه من أنه قال هذا الكلام للأشعريين ولجلبب، فهل قاله لأحد من الثلاثة؟
وثالثاً: لقد عرفت ما هو المقصود في هذا المقام، فلا مناص لك من الإقرار به ...
فما ذكره العلامة هو الحق.

(١) منهاج السنّة ٥ / ٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٩٠

حديث ابن عباس في الفضائل العشر ... ص: ٢٩٠

قال قدس سره: وعن عمرو بن ميمون ...

الشرح:

هذا الحديث من أصح الأحاديث وأثبتها، ولا مجال لأهل العلم من أهل السنّة للمناقشة في سنده حتى على أصولهم، فكيف بابن تيمية وأمثاله!

ونحن هنا نذكر عدّة من الأئمة الرواة له، ونثبت صحته على ضوء كلماتهم، لكي يتبين تعصّب من يتكلّم فيه ضدّ الحق المبين وضلاله عن الصراط المستقيم ... فنقول:

أخرج جمع غفير من الأئمة الأعلام بأسانيدهم المعتبرة «عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة - أو سبعة - رهط فقالوا: ... فمنهم من رواه بتمامه ومنهم من روى بعضه ... ومن الرواة له:

أبو داود الطيالسي

وابن سعد

وأحمد بن حنبل

والترمذي

وابن أبي عاصم

وأبو بكر البزار

والنسائي

وأبو يعلى

والمحاملى

والطبراني

والحاكم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٩١

وابن عبد البر

وابن عساكر

والمزى

والذهبي

وابن كثير

والهيثمي

وابن حجر العسقلاني ... وغيرهم «١».

وممن أخرجه بتمامه من الأئمة: أحمد بن حنبل في المسند «٢».

فهذا من فضائل أمير المؤمنين وكمالاته التي لا تحصى، اتفق على روايته المؤلف والمخالف.

فقال ابن تيمية: إن هذا ليس مسنداً بل هو مرسلٌ لو ثبت عن عمرو بن ميمون.

وفيه ألفاظ هي كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله «٣».

أقول:

أما قوله «إن هذا ليس مسنداً بل هو مرسلٌ فجهدٌ أو تجاهلٌ:

ففي (المسند) و (الطبقات) و (كتاب السنّة) و (مسند البزار) و (الخصائص) و كتاب (المستدرک) وغيرها: «عن عمرو بن ميمون عن

ابن عباس» وجاء في (المعجم الكبير) في «مسند ابن عباس» عنوان: «عمرو بن ميمون عن ابن عباس» فأخرجه بطوله.

(١) صحيح الترمذی ٣٠٥/٥، كتاب السنّة ٥٨٨-٥٨٩ برقم ١٣٥١ كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/١٨٩، خصائص على: ٧٥، المعجم

الكبير ٧٧/١٢، المعجم الأوسط ٣/١٦٦، المستدرک على الصحيحین ٣/٤ و ٣/١٣٢، الاستيعاب ٣/١٠٩١، تاريخ دمشق ٩٧/٤٢ و ٩٩،

اسد الغابة ٨٩/٤، تهذيب الكمال ٢٠/٤٨١، البدايئة والنهاية ٧/٣٧٤، مجمع الزوائد ٩/١١٩، تهذيب التهذيب ٧/٢٩٥ وغيرها.

(٢) مسند أحمد ١/٣٣٠-٣٣١.

(٣) منهاج السنّة ٥/٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٩٢

وأما قوله: «لو ثبت عن عمرو بن ميمون» فكذلك:

فأبو داود الطيالسي يرويه: عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس.

والنسائي والبزار وغيرهما عن: محمد بن المثنى، عن يحيى بن حمّاد، عن أبي عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس

...

وهكذا الأسانيد الأخرى ... فلذا نصّ غير واحد من الأئمة على صحته:

كالحاكم النيسابوري، وابن عبد البر، والمزّي، والذهبي، وأبي بكر الهيثمي وابن حجر العسقلاني، وناهيك بهم في معرفة الحديث عندهم، قال ابن عبد البر والمزّي:

«هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد، لصحته وثقة نقلته» (١).

وإذا ثبت صحة سنده، فالمكذّب له هو الكاذب.

هذا، ولا يخفى أن هذه الفضائل من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا أدرجه النسائي في كتاب (خصائص علي)، ومن هنا أيضاً عنوانه الحافظ محبّ الدين الطبري المكي بقوله: «ذكر اختصاصه بعشر» في كتاب (الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة) (٢).

وتلخص: إن هذا الحديث رواه الموافق والمخالف لأمير المؤمنين عليه السلام، وليس في كتب المخالفين مثله - ولا أدون وأقل منه - في حق أبي بكر وتاليه.

ولا يخفى: أن كلّ واحد من هذه المناقب العشر له أسانيد خاصّة في كتب القوم، بالإضافة إلى هذا السند الجامع لها.

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٢: ١، تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٨١.

(٢) الرياض النضرة: ٣/ ١٧٤ - ١٧٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٩٣

أحاديث رواها الخوارزمي ... ص: ٢٩٣

إشارة

قال قدس سره: ومنها: ما رواه أخطب خوارزم

الشرح:

ثم إن العلامة رحمه الله أورد عدّة أحاديث من روايات أخطب خوارزم، فكان أوّل شيء ردّ عليه ابن تيمية أن قال: «إن أخطب خوارزم هذا، له مصنّف في هذا الباب، فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، فضلاً عن علماء الحديث، وليس هو من علماء الحديث ولا ممن يرجع إليه في هذا الشأن ألبتة» (١).

فأقول:

أوّلًا: كان مقصود العلامة في هذا المقام إيراد جملة من الأحاديث في فضائل وكمالات أمير المؤمنين عليه السلام اتفق على روايته الموافق والمخالف.

وثانيًا: إن هذه الأحاديث التي رواها عن أخطب خوارزم ليست مما ينفرد به هذا الرجل، وفي طرقها كثير من الأعلام، بل رواها غيره من علماء أهل السنة أيضاً كما سيظهر.

وثالثًا: إن أخطب خوارزم - وهو أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ - فقيه، محدّث، من علماء أهل السنة الكبار في القرنين الخامس والسادس، تخرّج بالزمخشري حتى قيل له: خليفه الزمخشري، ورحل في طلب العلم إلى البلاد كالحجاز والعراق، ولقى العلماء الكبار وأخذ عنهم وأجاز لهم.

وبالجملة، فإنه من فقهاء الحنفية، ومن علماء الدين، ومن رجال الأدب، كما يظهر من تراجمه في الكتب المشتهرة:

(١) منهاج السنّة ٥ / ٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٩٤

قال العماد الإصفهاني: «خطيب خوارزم، أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، من الأفاضل الأكابر فقهاً وأدباً، والأماثل الأكارم حسباً ونسباً» (١).

وقال الحافظ ابن النجار: «الموفق بن أحمد المكي، كان خطيب خوارزم، وكان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً بليغاً، ومن تلامذة الزمخشري» (٢).

وقال الصفدي: «كان متمكناً في العربية، غزير العلم، فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً. قرأ على الزمخشري، وله خطب وشعر ومناقب» (٣). وقال أبو الوفاء القرشي في طبقاته: «الموفق بن أحمد بن محمد المكي، خطيب خوارزم، استاذ ناصر بن عبد الله صاحب المغرب، أبو المؤيد، مولده في حدود سنة ٤٨٤. ذكره القفطي في أخبار النحاة. أديب فاضل له معرفة في الفقه والأدب. روى مصنفات محمد بن الحسن عن عمر بن محمد بن أحمد النسفي. ومات رحمه الله سنة ٥٦٨، وأخذ علم العربية عن الزمخشري» (٤).

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، عنه: نفحات الأزهار ١٩ / ١٤٧، لعماد الدين الكاتب الإصفهاني، المتوفى ٥٩٧، ترجم له في: معجم الأدباء ١٩ / ١١، وفيات الأعيان ٤ / ٢٣٣، العبر ٤ / ٢٩٩، طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ١٧٨، مرآة الجنان ٣ / ٤٩٢ وغيرها.

(٢) ذيل تاريخ بغداد، عنه: اليقين للسيد ابن طاووس ١٦٦، للحافظ محب الدين ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣، ترجم له في: تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٢٨، طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٩٨، الوافي بالوفيات ٥ / ٧، البداية والنهاية ١٣ / ١٩٧ وغيرها.

(٣) عنه: بغية الوعاة كما سيأتي، وتوجد ترجمة الصفدي صاحب الوافي بالوفيات المتوفى سنة ٧٦٧ في: الدرر الكامنة ٢ / ٨٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٦ / ٤ وغيرهما.

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣ / ٥٢٣، لأبي الوفاء عبد القادر القرشي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٥ وتوجد ترجمته في: حسن المحاضرة في محاسن مصر والقاهرة ١ / ٤٧١ وغيره. وأما القفطي فقد ذكر الموفق الخوارزمي في كتابه إنباه الرواة بأنباء النحاة ٣ / ٣٣٢ وهو الوزير: جمال الدين علي بن يوسف الشيباني، من وزراء حلب، المتوفى سنة ٦٤٦، توجد ترجمته في حسن المحاضرة ١ / ٥٥٤، بغية الوعاة ٣٥٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٢٩٥

وقال التقى الفاسي: «الموفق بن أحمد بن محمد بن محمد المكي، أبو المؤيد، العلامة، خطيب خوارزم، كان أديباً فصيحاً مفوهاً، خطب بخوارزم دهرًا، وأنشأ الخطب، وأقرأ الناس، وتخرج به جماعة، وتوفي بخوارزم في صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة. ذكره هكذا الذهبي في تاريخ الإسلام.

وذكره الشيخ محي الدين عبد القادر الحنفي في طبقات الحنفية وقال: ذكره القفطي في أخبار النحاة، أديب فاضل، له معرفة بالفقه والأدب. وروى مصنفات محمد بن الحسن عن عمر بن محمد بن أحمد النسفي» (١).

وقال الحافظ السيوطي: «الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق، أبو المؤيد، المعروف بأخطب خوارزم. قال الصفدي: كان متمكناً في العربية، غزير العلم، فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً. قرأ على الزمخشري، وله خطب وشعر. قال القفطي: وقرأ عليه ناصر المطرزي. ولد في حدود سنة ٤٨٤ ومات سنة ٥٦٨» (٢).

والخوارزمي - هذا - من كبار الحنفية في زمانه، فقد ترجم له في (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) و (الطبقات السنية في تراجم الحنفية) و (الفوائد البهية في تراجم الحنفية). وقد ألف الخوارزمي كتاباً في مناقب أبي حنيفة، طبع في حيدرآباد سنة ١٣٢١.

وفي كتاب (جامع مسانيد أبي حنيفة) تأليف محمد بن محمود الخوارزمي نقل

(١) العقد الثمين في أخبار البلد الأمين ٧/ ٣١٠، للتقى الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢. توجد ترجمته في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٧/ ١٨، طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٤٩ وغيرهما.

والذهبي صاحب تاريخ الاسلام المتوفى سنة ٧٤٨ غنى عن التعريف.

قلت: وذكره الذهبي في المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد لابن الديبشي: ٣٦٠ أيضاً.

وأما القفطي وأبو الوفاء عبد القادر الحنفي، فقد تقدم التعريف بهما.

(٢) بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة ٢/ ٣٠٨ للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١٠ وهو غني عن التعريف.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٩٦

كثير عن الموفق بن أحمد، واحتجاج بأقواله وأشعاره في مدح أبي حنيفة وغير ذلك، مع وصفه بأوصاف وألقاب جليئة كقوله: «الصدر العلامة أخطب خطباء الشرق والغرب صدر الأئمة» (١).

ولا يخفى أن صاحب جامع المسانيد المتوفى سنة ٦٦٥ من كبار أئمة الحنفية المعتمدين المشهورين.

وتلخص: إن أخطب خوارزم عالم فقيه محدث أديب خطيب... لا يمكن تجاهله وإنكار قدره ومنزلته بين أهل السنة.

وأما كتابه في الباب، فقد ذكر ابن تيمية أن فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى.

أقول:

وأى كتاب من كتب القوم ليس فيه من الأحاديث المكذوبة، وإن أصح كتبهم - وهما كتابا البخاري ومسلم المعروفان بالصحيحين - قد نصّ غير واحد من أئمتهم على عدّة كبيرة من أحاديثهما بالبطلان، وقد جمعنا كلمات بعضهم في رسالته تحت عنوان (الصحيحان في الميزان).

لقد ذكرنا مراراً: أن مقصود العلامة من ذكر هذه الأحاديث هو التذكير ببعض فضائل ومناقب أمير المؤمنين برواية المخالفين والموافقين، مما لم يرو في حق أئمة القوم، ولم يطعن في صحته إلا المتعصبون منهم.

ثم إن كتاب الخوارزمي في (مناقب الإمام علي) يشتمل على طرف من فضائل الإمام عليه السلام يرويها بالأسانيد عن مشايخه عن الصحابة، مع رعاية جميع أحكام الرواية، من دون أن يلتزم في أوله بالصحة، ومشايخه في الأكثر محدثون معروفون في

(١) انظر: جامع مسانيد أبي حنيفة ١/ ١٤، ٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٩٧

البلاد المختلفة، فمنهم من يروي عنه بالكتابة ومنهم بالإجازة وهكذا...

وليس الخوارزمي بأول من ألّف في (مناقب أمير المؤمنين) ولا بالآخر، فإن كثيراً من أكابر القوم من المتقدمين والمتأخرين يفتخرون برواية فضائله ومناقبه وكتابتها، بخلاف النواصب الذين لا يطيقون سماع واحدة منها!

هذا، وقد اشتهر هذا الكتاب في الأوساط العلمية واعتمد عليه جمع من علماء القوم في كتبهم المختلفة، مما يدل على اعتباره عندهم:

كالحافظ الكنجي الشافعي، في غير موضع من كتابه.

والحافظ الزرندی الحنفي.

وابن الصباغ المالكي.

والحافظ السمهودي الشافعي.

وابن حجر الهيثمي المكي.

وابن باثير المكي.

وعبد العزيز الدهلوي الحنفي.

وقد أوردنا نصوص عباراتهم في كتابنا الكبير «١».

الحديث الأول: لو أن عبداً عبد الله ... ص: ٢٩٧

رواه أبو المؤيد الموفق الخوارزمي بإسناده عن مسند زيد، فهو عن الحافظ شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني، عن شيخه أبي الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابه، قال: حدثني الشيخ أبو طاهر الحسين بن علي بن مسلمة، وهو يرويه عن زيد بن علي.

(١) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار ١٩/١٦٤ - ١٧٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٩٨

وزيد بن علي، يرويه عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه عن جدّه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي ...

وحاصل معنى الحديث: أن ولاية علي عليه السلام شرط للدخول في الجنة، فمن أبغضه لا- يدخلها ألبتة. وهذا المعنى وارد في أحاديث كثيرة يرويها أصحاب المسانيد والسنن بألفاظ مختلفة ... فلو أن أحداً أظهر الشهادتين وصلى وصام وحج وجاء بجميع الواجبات في الشريعة، وهو مبغض لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فهو منافق، بحكم قوله صلى الله عليه وآله: «يا علي، لا يحبك إلا- مؤمن ولا- يبغضك إلا- منافق» «١». وحكم المنافقين في الآخرة معلوم بالكتاب والسنة، وهذا هو السبب لتكذيبهم مثل هذه الأحاديث! بل إن نفس هذا المعنى وارد في أحاديث كثيرة نص بعض أئمتهم على صحته:

ففي حديث أخرجه الحاكم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«فلو أن رجلاً صنف بين الركن والمقام، فصلى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد، دخل النار» قال: «هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

ووافقه الذهبي في تلخيصه «٢».

وفي حديث آخر، أخرجه الطبراني وابن عساكر والخطيب وغيرهم، عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أن عبداً عبد الله بين الركن والمقام

(١) مسند الحميدي ١/ ٣١، السنن الكبرى للنسائي ٥/ ١٣٧، مسند أبي يعلى ١/ ٢٥١، المعجم الأوسط ٢/ ٣٣٧، كنز العمال ١١/ ٥٩٨، مسند أحمد ١/ ٩٥، سنن الترمذي ٥/ ٣٠٦، مجمع الزوائد ٩/ ١٣٣، فتح الباري ١/ ٦٠.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٢٩٩

ألف عام وألف عام، حتى يكون كالشئ البالي، ولقي الله مبغضاً لآل محمد، أكبه الله على منخره في نار جهنم» «١».

وفي حديث ثالث، أخرجه ابن عساكر وغيره، عن أبي امامة الباهلي عنه صلى الله عليه وآله: «ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام، ثم لم يدرك محبتنا [صحبتنا] لأكبه الله على منخره في النار، ثم تلا «قُلْ لَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» «٢».

ومثلها أحاديث أخرى عن غيرهم من الصحابة.

لكن الثابت في محله فوق ذلك أيضاً، لأن مقتضى الأدلة اشتراط ذلك بالقول بإمامته بعد رسول الله مباشرة، وليس هنا موضع تفصيل الكلام فيه.

والمهم: أن نعرف أن هذا المعنى وارد في كتب الموافقين والمخالفين بالأسانيد وبعضها صحيح، بالنسبة إلى أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين، أمّا ما ورد في الكتب بالنسبة إلى غيرهم من القدح والطعن، فلا- تجد شيئاً منه في أمير المؤمنين وأهل بيته، فأى الطرفين هو الأولي بالاتباع؟

الحديث الثاني: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلی ...! ص: ٢٩٩

وردّ هذا الحديث في غير واحد من كتب المعتقدين بخلافه أبي بكر، لكنهم لم يرووا مثله فيه، فلم ينقلوا أن سلمان كان يحبّ أبا بكر حتى يسأله رجل عن شدّة حبه له، فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من هذا الباب في حق أبي بكر بن أبي قحافة!

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، مجمع الزوائد ٩/ ١٧١، تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٢٨، الخصائص الكبرى ٢/ ٢٦٥، ذخائر العقبى: ١٨.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢/ ٦٥-٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٠

ولقد كذب به ابن تيمية! «١» وما أدري هل كذب سؤال الرجل من سلمان؟ أو سماع سلمان من رسول الله هذا الكلام؟ أو أصل أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قاله؟

أمّا أن رجلاً سأل سلمان وأجاب رضى الله عنه بذلك، فقد أخرجه الحاكم بإسناده عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال: «قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلی! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني».

وقد صحّحه الحاكم على شرط البخاري ومسلم.

ووافقه الذهبي «٢».

فاحكم على ابن تيمية وأتباعه بما يقتضيه الدين والإنصاف.

وأما أن رسول الله قال هذا الكلام، فقد أخرجه عدّة من الأئمة الأعلام من أهل السنّة، عن غير واحد من صحابته عليه وآله الصّلاة والسلام، ونكتفي بكلام الحافظ ابن عبد البر، لثلاً يطول بنا المقام. فإنه قال بترجمة الإمام على عليه السلام:

«قال صلى الله عليه وآله: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» «٣».

فليعرف ابن تيمية من كان في شك من أمره إلى هذه الساعة!!

الحديث الثالث: خلق الله من نور وجهه على ... ص: ٣٠٠

رواه أبو المؤيد الخوارزمي عن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد العطار

(٢) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٣٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١١٠١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠١

الهمداني «١» بإسناده من طريق محمد بن أحمد بن شاذان، عن هديبة بن خالد «٢»، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك.

وهذا من جملة الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حب الملائكة لأمر المؤمنين عليه السلام وشيعته واستغفارها لهم، وهي أحاديث كثيرة ومضامينها جلية.

ومن أطرف هذه الأحاديث ما رواه الخوارزمي أيضاً من طريق الحافظ أبي العباس ابن عقدة الكوفي «٣» عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر عبد الله بن عبد الرحمن قال: سمعت عثمان بن عفان قال سمعت عمر بن الخطاب:

سمعت أبا بكر بن أبي قحافة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يستبحون ويقصدون ويكتبون ثواب ذلك لمحبيه ومحبي ولده «٤».

وكذلك كانت عقيدة الصحابة فيه عليه السلام: ففي كتاب الفضائل لأحمد، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: «وذكر عنده علي بن أبي طالب فقال: إنكم لتذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل فوق بيته» «٥».

بل في حديث أخرجه ابن عساكر: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يستغفر بنفسه لشيعته علي عليه السلام، قاله في خطبة له رواها جابر ولفظه: «إن الله علمني أسماء أمتي كلها كما علم آدم الأسماء كلها، ومثل لي أمتي في الطين، فمر بي أصحاب الرايات،

(١) توجد ترجمته في الكامل في التاريخ ١١/ ٤١١.

(٢) صحف في الكتاب إلى: حديده بن غالب.

(٣) توجد ترجمته في الوافي بالوفيات ٧/ ٢٥٨، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٦.

(٤) مقتل الحسين ١/ ٩٧.

(٥) مناقب أحمد: ١٦٢ رقم ٢٣٧ من زيادات القطيعي.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٢

فاستغفرت لعلي وشيعته «١».

هذا، ولو أردنا تصحيح أسانيد ما روي في هذا الباب لطال بنا المقام، لكن المهم: هو أن هذه أحاديث رواها الموافق والمخالف، ولم يرد مثلها في حق أبي بكر حتى في كتب المعتقدين بإمامته ... فمن الأولى بالاتباع؟

الحديث الرابع عن ابن عمر: من أحب علياً ... ص: ٣٠٢

وهذا الحديث رواه الخوارزمي عن أبي العلاء العطار المتقدم، من طريق محمد بن أحمد بن شاذان، بإسناده عن مالك بن أنس عن نافع، عن ابن عمر قال قال رسول الله ... وقد ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال- وتبعه ابن حجر في لسانه- بترجمة ابن شاذان هذا، حيث أورد بعض رواياته في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ذلك هذا الحديث إذ قال:

«ولقد ساق أخطب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان أحاديث كثيرة باطله سمجة ركيكة في مناقب السيد علي رضي الله عنه. من ذلك بإسناد مظلم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً: من أحب علياً أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة» «٢».

ولكن شيخ الاسلام الجويني قد روى هذا الحديث بإسناده عن الخطيب الخوارزمي، وهذا نص كلامه:
«أنبأني الرشيد محمد بن أبي القاسم بن عمر المقرئ، عن محي الدين يوسف بن أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي إجازةً، عن ناصر بن أبي المكارم كتابه عن أبي المؤيد ابن أحمد الخطيب إذناً إن لم يكن سماعاً، قال: أنبأنا الحافظ الحسن بن

(١) تاريخ دمشق ١٤٩/٢٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٤٦٧/٣، لسان الميزان ٦٢/٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٣

أحمد أبو العلاء العطار، ونجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي قالوا: أنبأنا الشريف نور الهدى علي بن الحسن بن محمد بن علي أبو طالب الزينبي، عن الإمام محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان «... ١».

فأقول:

إن كل ما ذكره الذهبي دعاوى مجرّدة!

أولاً: لم يترجم الذهبي ابن شاذان ولم يذكر له كلمة مدح أو ذم من أحد من علماء الرجال، وكأنه إنما عنونه من أجل تكذيب رواياته في فضائل أمير المؤمنين ومناقبه! فبأي وجه عبّر عنه بالبدّال؟

وثانياً: كيف يصف رواياته في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بأنها «باطلة سمجة ركيكة»، والحال أن من بينها أحاديث قطعية وأخرى لها شواهد تقويها؟

وثالثاً: تعبيره عن أمير المؤمنين عليه السلام بـ «السيد علي» الذي لا ريب في أنه استخفاف بمقام الإمام عليه السلام، من القرائن الواضحة الدلالة على نصبه له عليه الصلاة والسلام.

ورابعاً: إن شيخ الإسلام الجويني من مشايخ الذهبي، كما في كتاب (المعجم المختص) الذي وضعه لذكر مشايخه.

وخامساً: الرشيد المقرئ، ترجم له الحافظ ابن حجر ووصفه بأوصاف جليّة كقوله: «كامل العقل متين الديانة، له فضل وصيانة» (٢).

وسادساً: محي الدين ابن الجوزي، ترجم له الذهبي وجماعه. وقد ذكر بترجمته:

«روى عنه: الدمياطي والرشيد بن أبي القاسم وجماعه. ودرس وأفتى وناظر وتصدّر للفقّه ووعظ، وكان صدراً كبيراً وافر الجلالة، ذا سمت وهيبه وعبارة فصيحته، روى به

(١) فرائد السمطين ٢/٢٥٨.

(٢) الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة ١٥٠/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٤

الملوك وبلغ أعلى المراتب، وكان محمود الطريقة محبباً إلى الرعية... قال شمس الدين ابن الفخر: أما رياسته وعقله فتنقل بالتواتر» (١).

وسابعاً: إن ناصر بن أبي المكارم - تلميذ الخطيب الخوارزمي - من فقهاء الحنفية، وكبار علماء الأدب والعربية، ترجم له في سائر كتب طبقات الأدباء والفقهاء (٢).

وثامناً: إن الخطيب الخوارزمي من الفقهاء والأدباء الكبار، كما تقدّم.

وتاسعاً: إن أبا العلاء العطار الهمداني من كبار الحفاظ الثقات، كما أشرنا من قبل.

فأقول: هل هؤلاء كلهم يروون هذا الحديث «الباطل»، «السمج» «الركيك» و «بإسناد مظلم»؟ إن كانوا عالمين بذلك، فلماذا يروون

هكذا حديث؟ وإن كانوا جاهلين، فكيف جهلوا والذهبي علم بذلك؟

ثم أقول: إن أغلب جمل هذا الحديث لها شواهد في الأحاديث الأخرى، فلو كان سنده ضعيفاً فإنه يقوى بغيره كما هي القاعدة المقررة عندهم. لكن قوله صَلَّى الله عليه وآله: «ألا، ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمته الله» هو الموجع لقلوب القوم، فيضطرهم إلى تكذيب مثل هذه الأحاديث المتفق عليها بين الفريقين! نسأل الله السلامة وحسن العاقبة!

الحديث الخامس: عن ابن مسعود ... ص: ٣٠٤

وهذا الحديث رواه ابن عساكر بترجمته أمير المؤمنين عليه السلام في سياق أحاديث رواها بأسانيد في حبه وبغضه، ونحن نقتصر بذكره مع ما قبله وبعده فقط، قال: «أنبأنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر.

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٣.

(٢) معجم الأدباء ٧/ ٢٠٢، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ١٩٠، وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٤٠٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٥

ح وأخبرنا أبو طاهر إبراهيم بن الحسن بن طاهر عنه، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، نا محمد بن يونس، حدثني أبي، نا محمد بن سليمان بن ميمون المخزومي، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أبيه قال: خطبنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يوم الجمعة فقال: «يا أيها الناس قدّموا قريشاً ولا تقدّموها، وتعلّموا منها ولا تعلّموها، قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم، وأمانه رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم. يا أيها الناس أوصيكم بحبّ ذي أقربيها أخى وابن عمى على بن أبي طالب، فإنه لا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، من أحبّه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذّبه الله عز وجل».

أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، نا عثمان بن محمد بن أبي شيبة - وسمعتنا أنا من عثمان ابن محمد - نا محمد بن فضيل، عن عبد الله بن عبد الرحمن أبي نصر، حدثني مساور الحميري، عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول لعلي: «لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق».

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، قالوا: أنا أبو سعد الأديب، أنا أبو عمرو بن حمدان. ح وأخبرتنا أم المجتبى فاطمة بنت ناصر، قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر بن المقرئ، أنا أبو يعلى، نا أبو هاشم الرفاعي، نا ابن فضيل، نا أبو نصر عبد الله بن عبد الرحمن، عن مساور الحميري، عن أمه، عن أم سلمة قالت:

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لعلي: «لا يحبّك منافق، ولا يبغضك مؤمن»

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٦

وقال ابن المقرئ: لا يحبّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

قالوا: وأنا أبو يعلى، أنا الحسن بن حماد - زاد ابن المقرئ: الكوفي - نا محمد بن فضيل، عن أبي نصر، عن مساور الحميري، عن أمه، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن».

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن النقور، أنا عيسى بن علي، نا عبد الله بن محمد، نا أحمد بن عمران الأخنسي قال: سمعت محمد بن فضيل، نا أبو نصر عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، عن مساور الحميري، عن أمه، عن أم سلمة قالت: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «ما يحبك إلا مؤمن، وما يبغضك إلا منافق».

أخبرنا أبو محمد بن طائوس، أنا أبو الغنائم بن أبي عثمان، نا محمد بن أحمد بن محمد بن رزقويه - إملاء - نا محمد بن أحمد بن يوسف بن يزيد الكوفي، نا أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن يزيد، عن أبيه، عن جده إسحاق بن يزيد، عن ابن عمر العنبري، عن زُفر، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر».

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا عاصم بن الحسن، أنا أبو عمر بن مهدي، أنا أبو العباس بن عقدة، نا الحسن بن علي بن بزيع، نا عمر بن إبراهيم، نا سوار بن مصعب الهمداني، عن الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أنه زعم آمن بي وما جئت به وهو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن».

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن، وأبو عبد الله البار، وأبو علي بن السبط، وأبو غالب محمد بن أحمد بن الحسين بن قرش، قالوا: أنا أبو الغنائم بن المأمون، نا علي بن عمر بن محمد الحربي، نا أحمد بن محمد الصيدلاني، نا الحسن بن عرفة، نا.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٠٧

ح وأخبرنا أبو المظفر بن أبي القاسم، أنا أبو سعد الأديب، أنا أبو عمرو بن حمدان.

ح وأخبرتنا أم المجتبى العلوية قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر بن المقرئ، قالوا: أنا أبو يعلى، نا الحسن بن عرفة، نا. وقال ابن المقرئ: عن سعيد بن محمد الوراق الثقفي.

ح وأخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن غانم بن عبد الواحد الخطيب وأبو زيد شكر بن أحمد بن محمد الأديب وأبو علي الحسن بن البغدادي ولقيته بنت المفضل بن عبد الخالق، قالوا: أنا القاسم بن الفضل بن أحمد، قالوا: أنا أبو الحسين محمد بن ...

وأنبأنا أبو القاسم بن بيان، وأخبرنا خالي أبو المكارم سلطان بن يحيى وأبو سليمان داود بن محمد عنه، قالوا: أنا أبو الحسن بن مخلد.

ح وأخبرنا أبو النجم بدر بن عبد الله الشيعي، أنا أبو بكر الخطيب، أنا أبو عمر بن مهدي، ومحمد بن أحمد بن رزق، ومحمد بن الحسين بن الفضل، وعبد الله بن يحيى السكري، ومحمد بن محمد بن محمد بن مخلد، قالوا: أنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار، نا أبو علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى، حدثني سعيد بن محمد الوراق، عن علي بن الحزوز قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول:

سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: «طوبى لمن أحبك، وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. لفظهم متقارب» (١).

الحديث السادس: لا يزول قدم عبد ... ص: ٣٠٧

وهذا الحديث من أهم الأحاديث وأصحها. قال الحافظ أبو بكر الهيثمي:

(١) تاريخ دمشق ٢٧٩/٤٢ - ٢٨١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٠٨

«وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن حننا أهل البيت.

رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه: حسين بن الحسن الأشقر، وهو ضعيف جداً، وقد وثقه ابن حبان مع أنه يشتم السلف.

وعن أبي برزة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة: عن جسده فيم أبلاه، وعمره فيم

أفناه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن حبنا أهل البيت. قيل: يا رسول الله! فما علامة حبكم؟ فضرب بيده على منكب على رضى الله عنه.

رواه الطبراني في الأوسط «١».

أقول:

أولاً: لم يتكلم في سند الحديث الثاني، مع أنه تكلم في الأول.

وثانياً: السائل: «يا رسول الله! فما علامة حبكم؟» هو: «عمر بن الخطاب»، وقد جاء هنا: «قيل».

وثالثاً: في ذيله: «وآية حبي حب هذا من بعدى»؛ ولم يذكره.

ورابعاً: كلامه في «حسين الأشقر» مردود، وقد أوضحنا وثاقه هذا الرجل في بحوثنا.

و «عن أبي الطفيل، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل به، وعن ماله مما اكتسبه، وفيم أنفق، وعن حب أهل البيت. فقيل: يا رسول الله! ومن هم؟ فأوماً بيده إلى على بن أبي طالب».

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦، وانظر: المعجم الكبير ١١/ ٨٤، والمعجم الأوسط ٩/ ١٥٥-١٥٦ و ٢/ ٣٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٠٩

أقول:

أخرجه ابن عساكر؛ «عن مشايخه، عن الباغندي، عن يعقوب بن إسحاق الطوسي، عن الحارث بن محمد المكفوف، عن أبي بكر بن عياش، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر» «١».

ولا مساغ للطعن في هذا الحديث سنداً.

نعم، هو من حيث المتن والدلالة مما لا تحتمله نفوس القوم، ولذا تراهم يصفونه بالبطلان، من غير جرح لأحد من رواه!!

فقد عنون الذهبي في ميزانه «الحارث بن محمد المعكوف» «٢» ولم يجرحه بشي، إلا أنه قال ما نصه: «أتى بخبر باطل؛ حدثنا أبو بكر بن عياش، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر مرفوعاً: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن حبنا أهل البيت؛ وأوماً إلى على. رواه أبو بكر بن الباغندي، عن يعقوب بن إسحاق الطوسي، عنه» «٣».

أكتفى بهذا، لئلا يطول بنا البحث، كما أكتفى بالإشارة إلى أن للقوم في هذا الحديث تصرفات، فلا بد من التحقيق عنه ممن كان أهلاً لذلك.

الحديث السابع: بأي لغة خاطبك ربك ...؟ ص: ٣٠٩

يشهد بصحته طائفتان من الأحاديث الثابتة عند الفريقين:

الأولى: ما ورد في أن النبي وعلياً -عليهما الصلاة والسلام- مخلوقان من نور واحد، وأن وجودهما كله نور لا يشوبه ظلمة، بخلاف سائر الصحابة، فقد كان في وجودهم ظلمة، ولذا كان أكثرهم -وبعضهم في أكثر عمره- مشركين.

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) كذا؛ لكن في لسان الميزان ٢/ ١٥٩، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٥٩: «المكفوف».

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ٤٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣١٠

والثانية: ما ورد في أن أمير المؤمنين عليه السلام أحب الناس إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله من سائر الناس على الإطلاق.

الحديث الثامن: لو أن الغياض أقلام ... ص: ٣١٠

أورده الذهبي في ميزانه بترجمة ابن شاذان، قال: «محمد بن أحمد بن علي بن الحسين [الحسن] بن شاذان. روى عن المعافي بن زكريا، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن الحسن بن محمد بن بهرام، عن يوسف بن موسى القطان، عن جرير، عن ليث، عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن الغياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي.

هذا كذب. رواه نور الهدى أبو طالب الزينبي عن هذا الشيخ» (١).

أقول:

لم يذكر لنا الذهبي - أو غيره ممن تبعه - السبب! وقد تقرّر أن الجرح غير المعلّل غير مقبول: قالوا: «ولا يقبل الجرح إلّا مبيّن السبب، لأنه يحصل بأمر واحد ولا يشق ذكره، ولأن الناس مختلفون في أسباب الجرح، فيطلق أحدهم الجرح بناءً على ما اعتقده جرحاً وليس بجرح في نفس الأمر، فلا بدّ من بيان سببه ليظهر هل هو قاذح أولاً؟

قال ابن الصلاح: وهذا ظاهر مقرّر في الفقه وأصوله، وذكر الخطيب أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث، كالشيخين وغيرهما» ... (٢).

وعلى الجملة، فإن تكذيب الذهبي لهذا الحديث لا يسمع بوجه.

وكيف يمكن إحصاء فضائل أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسلام للجنّ والإنس؟

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٦.

(٢) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ١/ ٢٥٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣١١

نعم، ذاك ممكن للملائكة، وقد ورد - في رواية الفريقين -: إن حافظي علي ليفتخران على سائر الحفظة، لأنهما لم يحصيا عليه سيئة قط!

ومن العجب أنهم يدعون لأبي بكر أنه أفضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأن فضائله لا تحصى، والحال أن كبار الأئمة كأحمد بن حنبل والنسائي يصرّحون بورود الأحاديث الصحيحة والمعتبرة في فضل علي عليه السلام ما لم يرد في حق غيره من الأصحاب مطلقاً...

الحديث التاسع: ان الله جعل لعلی فضائل ... ص: ٣١١

إشارة

وهذا الحديث أيضاً أورده بترجمة ابن شاذان قال: «وروى نور الهدى عنه:

حدّثنا الحسن بن أحمد المخلدي، عن حسين بن إسحاق، عن محمد بن زكريا، عن جعفر بن محمد بن عمّار، عن أبيه، عن جعفر بن

محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن علي ... ثم قال الذهبي: «هذا من أفضع ما وضع» (١).
أقول:

ورواه الحافظ أبو عبد الله الكنجي قائلاً: «ذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من آيات القرآن لا يمكن جعله علاوة كتاب واحد، بل ذكر شيء منها وذكر جميعها يقصر عنه باع الإحصاء، ويدلّك على صدق ما ذهب إليه مؤلف الكتاب محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي عفى الله عنه هو: ما أخبرنا الشيخ المقرئ أبو إسحاق بن بركة الكتبي - بالموصل - عن الإمام الحافظ صدر الحفاظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن العطار، عن الشريف الأجل نور الهدى أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي، عن محمد بن أحمد بن علي بن

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٢
الحسن بن شاذان ...

وبهذا الإسناد، عن ابن شاذان قال: حدّثني أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي من كتابه، عن الحسين بن إسحاق ... قلت: ما كتبناه إلا من حديث ابن شاذان. رواه الحافظ الهمداني في مناقبه وتابعه الخوارزمي» (١).

ترجمة أبي العلاء العطار ... ص: ٣١٢

فظهر أن للحافظ أبي العلاء العطار كتاباً في مناقب أمير المؤمنين، وقد روى هذا الحديث فيه، وإذا ما عرف الإنسان المؤمن المنصف هذا الحافظ في علمه وورعه وزهده، فسيكون القدر المتيقن له عدم جواز التسرع على الحكم بوضع هذا الحديث الشريف، وإليك طرفاً من أحواله من الكتب المعتمدة وخاصة من سير أعلام النبلاء:

قال الذهبي: «الإمام الحافظ المقرئ العلامة شيخ الإسلام أبو العلاء ... شيخ همدان بلا مدافعة ... قال أبو سعد السمعاني: هو حافظ متقن ومقرئ فاضل، حسن السيرة جميل الأمر مرضى الطريقة عزيز النفس، سخي بما يملكه، مكرم للغرباء، يعرف الحديث والقراءات والآداب معرفة حسنة، سمعت منه بهمدان.

وقال الحافظ عبد القادر: شيخنا أشهر من أن يعرف، تعدّد وجود مثله من أعصار كثيرة، على ما بلغنا من سير العلماء والمشايخ. أربى على أهل زمانه في كثرة السماعات مع تحصيل أصول ما يسمع وجودة النسخ وإتقان ما كتبه بخطه ... وبرع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلّق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير ... وكان يقرئ نصف نهاره الحديث ونصفه القرآن والعلم. ولا يغشى

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٢٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٣

السلطين ولا تأخذه في الله لومة لائم ... وكان حسن الصلاة، لم أر أحداً من مشايخنا أحسن صلاة منه ... وكان يفتح عليه من الدنيا جمل، فلم يدّخرها بل ينفقها على تلامذته، وكان عليه رسوم لأقوام، وما كان يبرح عليه ألف دينار همدانية أو أكثر من الدين مع كثرة ما كان يفتح عليه».

ثم قال الذهبي: «كان أبو العلاء الحافظ في القراءات أكبر منه في الحديث، مع كونه من أعيان أئمة الحديث، له عدّة رحلات إلى

بغداد وأصبهان ونيسابور» ثم روى بإسناده عنه حديثين «١».

وكذلك ترجم له في سائر كتب التاريخ والرجال.

وقال الصفدي: «وجمع بعضهم كتاباً في أخباره وأحواله وكراماته وما مدح به من الشعر وما كان عليه» «٢».

الحديث العاشر: لمبارزة علي ... ص: ٣١٣

قال الحاكم: «حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن عبد الرحمن، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قتل رجل من المشركين يوم الخندق، فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أعطوه الديّة. وقتل من بنى عامر بن لؤي عمرو بن عبد ود، قتله علي بن أبي طالب مبارزة.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وله شاهد عجيب: حدّثنا لؤلؤ بن عبد الله المقندري «٣» في قصر الخليفة ببغداد،

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠-٤٧.

(٢) الوافي بالوفيات ١١/ ٢٩٦.

(٣) في تاريخ بغداد: القيصرى.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٤

ثنا أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب المصرى بدمشق، ثنا أحمد بن عيسى الخشاب بتّيس، ثنا عمرو بن أبي سلمة، ثنا سفيان الثوري، عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمبارزة علي ... الحديث «١».

وقال الخطيب: «لؤلؤ بن عبد الله، أبو محمد القيصرى. حدّث عن ... حدّثنا عنه:

علي بن عبد العزيز الطاهري وأبو بكر البرقاني والقاضي أبو العلاء الواسطي ومحمد بن عمر بن بكير المقرئ.

أخبرنا الطاهري، حدّثنا لؤلؤ بن عبد الله القيصرى، حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النصيبى الصوفى بالموصل، حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن شدّاد، قال: حدّثنى محمد بن سنان الحنظلي، حدّثنى إسحاق بن بشر القرشى، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي ...

سألت البرقاني عن لؤلؤ القيصرى فقال: كان خادماً، حضر مجلس أصحاب الحديث، فعلقته عنه أحاديث. فقلت: فكيف حاله؟ قال لا أخبره.

قلت: ولم أسمع أحداً من شيوخنا يذكره إلا بالجميل «٢».

وأرسله سعد الدين التفتازانى إرسال المسلّم «٣».

فهل يصغى المؤمن المنصف لقول الذهبى: «قبح الله رافضياً افتراه» «٤».

ثم إن هذا الحديث قد ورد فى بعض الكتب المعتمدة للقوم بلفظ آخر:

قال فى المواقف: «تواتر مكافحته للحروب ولقاء الأبطال وقتل أكابر الجاهليّة، حتى قال عليه السلام يوم الأحزاب: لضربة على خير من عبادة الثقلين، وتواتر وقائعه

(١) المستدرک ٣/ ٣٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٩.

(٣) شرح المقاصد ٢ / ٣٠٠.

(٤) تلخيص المستدرک. ذيله ٣ / ٣٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٥
في خبير وغيره» (١).

وكذا أرسله إرسال المسلم في شرح المقاصد (٢).

وفي بعض الكتب أنه عليه السلام لما خرج إلى عمرو بن عبدود قال رسول الله:
«برز الإيمان كله إلى الشرك كله» (٣).

وعند المقارنة بين كل هذا المتفق على روايته بين الموافقين والمعتقدين لخلافه أبي بكر، وبين ما ثبت بالقطع واليقين، من فرار أبي بكر وغيره في أحد وحين، يظهر من الأولى بالاتباع، وهذا هو مقصود العلامة الحلّي!

الحديث الحادي عشر: حديث سعد في مجلس معاوية ... ص: ٣١٥

وهذا من جملة الأخبار الثابتة، حتى أن ابن تيمية ما وسعه تكذيبه فقال: «فهذا حديث صحيح. رواه مسلم في صحيحه وفيه ثلاث فضائل لعلّي.

قال: «لكن ليست من خصائص الأئمة ولا من خصائص علي» ... قال: «فإنه استخلف على المدينة غير واحد ... وكذلك قوله: لأعطين الراية رجلاً ... وهذا الحديث أصح ما روى لعلّي من الفضائل، أخرجاه في الصحيحين من غير وجه. وليس هذا الوصف مختصاً بالأئمة ولا بعلي، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقى وكل مؤمن تقى يحب الله ورسوله ... وكذلك حديث المباهلة، شرکه فيه فاطمة وحسن وحسين» (٤ ... ٤).

أقول: الكلام هنا في ثلاث جهات:

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٧١.

(٢) شرح المقاصد ٢ / ٣٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣ / ٢٦١.

(٤) منهاج السنة ٥ / ٤٤ - ٤٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٦

الأولى: إن هذا الحديث صحيح باصطلاح القوم بحيث اعترف ابن تيمية أيضاً بذلك، فلم تبق حاجةً لذكر أسانيده ومخرجه من أئمة القوم، فهذه جهة السند.

الثانية: الدلالة، وفيها أمور نشير إليها:

١- عداة معاوية لأمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى أنه كان يأمر بسبّه.

٢- عدم جواز سب علي عليه الصلوة والسلام، لأنه كان محبوباً عند الله ورسوله، بل كان نفس رسول الله، ولذا جعله الخليفة له ونزله من نفسه بمنزلة هارون من موسى.

فكيف يجوز سب من اختص عند الله ورسوله بالمنازل التي قال سعد: «لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم».

٣- والمنازل المذكورة في هذا الحديث هي:

حديث المنزلة. وحديث خبير، وحديث آية المباهلة.

أقول:

أما هذه الأحاديث، فسيأتى بيان كون كل منها خصيصةً لأمر المؤمنين عليه السلام - تدل على إمامته وولايته العامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله - بالفصل - بالتفصيل، حيث يتعرّض العلامة له إن شاء الله. وسيظهر هناك أن ليس كلام ابن تيمية إلا مغالطة ومجادلة بالباطل.

لكن دلالة الحديث - بكل صراحة ووضوح - على بغض معاوية لأمر المؤمنين وهو نفس رسول الله في حياته وخليفته بعد وفاته، مما يصعب على أتباع معاوية وأنصار بنى أمية الاعتراف به، بل يحاولون كتمانهم إذ لم يمكنهم إنكاره، ولذا تراهم يحرفون لفظ الخبر، فتجده في كتبهم بأنحاء مختلفة:

ففى صحيح مسلم وسنن الترمذى: «أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٧

وسلم فلن أسبّه، لأن تكون لى واحدة منهن أحبّ إلى من حمر النعم» (١ ...).

وفى المستدرک: «قال معاوية لسعد بن أبى وقاص: ما يمنعك أن تسبّ ابن أبى طالب؟ فقال: لا أسبّ ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله» (٢ ...).

وفى بعض الكتب: «قدم معاوية فى بعض حجّاته، فدخل على سعد، فذكروا عليّاً، فنال منه، فغضب سعد» (٣ ...).

ورواه ابن كثير، فحذف منه: «فنال منه فغضب سعد» (٤ ...).

وفى كتاب المناقب لأحمد: «إنه ذكر على عند رجل وعنده سعد بن أبى وقاص.

فقال له سعد: أتذكر عليّاً» (٥ ...؟).

وعند النسائي عن سعد: «كنت جالساً، فتنقّصوا على بن أبى طالب، فقلت: لقد سمعت» (٦ ...).

وجاء بعضهم، فحذف القصة كلّها، وروى عن سعد رأساً فقال: «عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على ثلاث خلال» (٧ ...).

هذا، ولا يخفى الاختلاف فى الثلاثة، فبعضهم روى فيها حديث الغدير وبعضهم حديث المباهلة، والله العالم.

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٢٠، سنن الترمذى ٥/ ٣٠١.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣/ ١٠٨.

(٣) المصنف ٧/ ٤٩٦.

(٤) البداية والنهاية ٧/ ٣٧٦.

(٥) المناقب لاحمد بن حنبل: ١٤٨ برقم ٢١٧ وهو من زيادات القطيعى.

(٦) خصائص على: ٥٠.

(٧) حلية الأولياء ٤/ ٣٥٦.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣١٨

الحديث الثانى عشر: المناشدة فى الشورى ... ص: ٣١٨

أما قصّة الشورى، فالكلام عليها على ضوء كتب القوم طويل، وعمدة البحث عنها فى جهتين:

١- جهة الكبرى. فلا بدّ من التحقيق عن أصل الشورى في الإمامة، وأنه هل تثبت عن هذا الطريق أولاً؟ وهل فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله في خصوص الإمامة والخلافة؟ هل فعل ذلك أبو بكر؟ وعلى فرض الثبوت، فما هي ضوابطها؟ ومن هم أهل الشورى؟ وكيف تعيينهم؟ وهذا البحث يعود إلى أصل مباحث الإمامة.

٢- جهة الصغرى. فلا بدّ من التحقيق على ضوء أخبار القوم عن الشورى التي وضعها عمر بن الخطاب طريقاً لتعيين الخليفة من بعده، وعن أسبابها، وعن أشخاصها، وعن الخصوصيات التي أخذها عمر فيها، وعن كيفية وقوعها، وعما دار في مجلسها. وهذا بحث طويل أيضاً، ليس هذا موضعه.

وأما مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام الحاضرين، من جملة وقائعها... فمن الطبيعي أن لا يروى القوم المناشدة بكاملها وبالأسانيد المتكثرة في الكتب المشتهرة... وهذا ليس بعجيب منهم.

إن ممّا لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وآله كان يخطب على الناس في كلّ جمعة، فلو أن القوم ضبطوا لنا خطبه صلى الله عليه وآله هذه فقط ورووها لنا، لكانت بأيدينا مئات الخطب من رسول الله صلى الله عليه وآله. بل لقد نصّ واحد على أنه صلى الله عليه وآله قد خطب الناس يوم الغدير خطبةً بليغةً طويلة: شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣١٩. ففي مسند أحمد: «فخطبنا» (١).

وفي المستدرک: «قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول» (٢). وفي مجمع الزوائد: «فوالله ما من شيء يكون إلى يوم الساعة إلا قد أخبرنا به يومئذ، ثم قال أيها الناس»... (٣). والحاصل: إن الأمانة على السنّة النبويّة لم ينقلوا لنا السنّة، وما نقلوه فكثيراً ما تصرفوا فيه وحرّفوه، ووقع فيه الزيادة والنقصان... فكيف بمثل كلام أمير المؤمنين في مجلس الشورى، الذي ناشد القوم فضائله ومناقبه الخاصّة به، والدالّة على أفضلّيته والمستلزمة لإمامته وولايته بلا فصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ثم يأتي ابن تيمية فيقول: «وأما قوله: عن عامر بن واثله، وما ذكره يوم الشورى، فهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولم يقل على رضى الله عنه يوم الشورى شيئاً من هذا ولا ما يشابهه» (٤). أقول:

لكنّا بعد التتبع وجدنا لهذا الخبر أسانيد عديده فيها أئمة كبار، فمن ذلك:

١- ما رواه الحافظ الفخر أبو عبد الله الكنجي الشافعي قال: «أخبرنا أبو بكر ابن الخازن، أخبرنا أبو زرعة، أخبرنا أبو بكر ابن خلف، أخبرنا الحاكم، أخبرنا أبو بكر ابن أبي دارم الحافظ بالكوفة من أصل كتابه، حدّثنا منذر بن محمد بن منذر، حدّثنا أبي، حدّثني عمي، حدّثنا أبي، عن أبان بن تغلب، عن عامر بن واثله قال: كنت على الباب

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٧٢.

(٢) المستدرک ٣/ ١١٠.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٠٥.

(٤) منهاج السنّة ٥/ ٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٢٠.

يوم الشورى» ... (١).

٢- ما رواه الحافظ ابن عساكر قال: «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أنبأنا أبو الفضل أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن بNDAR، أنبأنا أبو الحسن العتيقي، أنبأنا أبو الحسن الدار قطني، أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد، أنبأنا يحيى بن زكريا بن شيبان، أنبأنا يعقوب بن معبد، حدّثنى مثني أبو عبد الله، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عاصم بن ضمره وهيبه وعن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي وعن عامر بن واثله قالوا: قال علي بن أبي طالب يوم الشورى» ... (٢).

٣- ما رواه أبو المؤيد الخوارزمي قال: «وأخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفاظ أبو النجيب، سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المعروف بالمرزوي- فيما كتب إلّى من همدان- أخبرني الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد- فيما أذن لي في الرواية عنه- أخبرني الشيخ الأديب أبو علي عبد الرزاق بن عمر بن إبراهيم الطهراني سنة ٤٧٣، أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدّثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني.

قال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني:

وأخبرنا بهذا الحديث عاليًا: الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الإصبهاني في كتابه إلّى من إصبهان سنة ٤٨٨ عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدّثنى سليمان بن محمد بن أحمد، حدّثنى علي بن سعد الرازي، حدّثنى محمد بن حميد، حدّثنى زاهر بن سليمان، عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل عامر بن واثله» ... (٣).

(١) كفاية الطالب: ٣٨٦.

(٢) فرائد السمطين ٨٧ / ١.

(٣) المناقب: ٣١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٢١

ورواه شيخ الإسلام الحموي يأسناده عن طريق الخوارزمي، قال:

«أخبرني الشيخ الإمام تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله الخازن البغدادي المعروف بابن الساعي قال: أنبأنا الإمام برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي إجازة قال: أنبأنا أخطب خوارزم» ... (١).

٤- ما رواه الحافظ الفقيه ابن المغازلي الشافعي قال: «أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد البيّع البغدادي، أخبرنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي، حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد- المعروف بابن عقدة- الحافظ، حدّثنا جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي، حدّثنا نصر- وهو ابن مزاحم- حدّثنا الحكم بن مسكين، حدّثنا أبو الجارود وابن طارق، عن عامر بن واثله.

وأبو ساسان وأبو حمزة عن أبي إسحاق السبيعي، عن عامر بن واثله» ... (٢).

٥- ما رواه الحافظ ابن عبد البر، قال: «حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا قاسم، حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا عمرو بن حماد القناد قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي، عن معروف بن خربوذ، عن زياد بن المنذر، عن سعيد بن محمد الأزدي، عن أبي الطفيل» ... (٣).

٦- ما رواه الحافظ العقيلي- بترجمة الحارث بن محمد- عن أبي الطفيل قال:

«حدّثنى آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال: الحارث بن محمد عن أبي الطفيل:

كنت على الباب يوم الشورى. رواه زافر عن الحارث، ولم يبين سماعه منه، ولم يتابع زافر عليه.

قال: وهذا الحديث حدّثناه محمد بن أحمد الوراميني قال: حدّثنا يحيى بن

(١) فرائد السمطين ١/ ٣١٩.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ١٣٦ برقم ١٥٥.

(٣) الاستيعاب ٣/ ١٠٩٨ روى شرطاً من المناشدة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٢٢

المغيرة الرازي قال: حدثنا زافر عن رجل عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني. قال أبو الطفيل: كنت على الباب يوم الشورى «...» ١.

أقول: فقد ظهر:

أولاً: إن للحديث طرقاً عديدة لا طريقاً واحداً.

وثانياً: إن في الطرق والأسانيد عدة كبيرة من كبار الأئمة والحفاظ ومنهم:

١- أبو العباس ابن عقدة.

٢- الحاكم النيسابوري.

٣- أبو الحسن الدار قطني.

٤- أبو الحسن العتيقي.

٥- أبو علي الحداد.

٦- ابن مردويه الأصبهاني.

٧- سليمان بن إبراهيم الأصبهاني.

وثالثاً: إن ابن عساكر رواه بطريقين، أحدهما ما تقدم، والآخر قوله:

«أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أنا أبو بكر محمد بن المظفر، أنا أبو الحسن العتيقي، أنا يوسف بن أحمد، أنا أبو جعفر العقيلي... إلى آخر ما تقدم في الطريق السادس، الذي عقبه العقيلي بقوله:

«هكذا حدثنا محمد بن أحمد، عن يحيى بن المغيرة، عن زافر، عن رجل، عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل. فيه رجلين مجهولين «٢»: رجل لين لم يسمه زافر، والحارث بن محمد.

حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا زافر، حدثنا

(١) الضعفاء الكبير ١/ ٢١١.

(٢) كذا.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٢٣

الحارث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن علي. فذكر الحديث نحوه.

وهذا عمل محمد بن حميد، أسقط الرجل وأراد أن يجوز «١» الحديث. والصواب ما قاله يحيى بن المغيرة- ويحيى بن المغيرة ثقة:- وهذا الحديث لا أصل له عن علي «٢».

وأورد ابن عساكر كلام العقيلي هذا عقيب الحديث بالسند الثاني كذلك «٣».

وفي ميزان الاعتدال: «الحارث بن محمد عن أبي الطفيل. قال ابن عدي: مجهول.

وروى زافر بن سليمان عنه عن أبي الطفيل: كنت على الباب يوم الشورى. لم يتابع زافر عليه. قاله البخاري. وقال العقيلي:

حدثنا محمد بن أحمد الوراميني... فهذا عمل ابن حميد أراد أن يجوده.

قلت: فأفسده. وهو خبر منكر.

قال: كنت على الباب يوم الشورى ... وذكر الحديث.

فهذا غير صحيح، وحاشا أمير المؤمنين من قول هذا «٤».

وتبعه ابن حجر ثم قال: «ولما ساقه العقيلي من طريق يحيى بن المغيرة قال: فيه مجهولان: الحارث والرجل. وأما رواية محمد بن حميد،

فإنه أراد أن يجود السند، والصواب ما قال يحيى بن المغيرة: وهذا الحديث لا أصل له عن علي.

وقال ابن حبان في الثقات: روى عن أبي الطفيل إن كان سمع منه.

قلت: ولعل الآفة في هذا الحديث من زافر «٥».

(١)

كذا ولعله: يجود.

(٢) الضعفاء الكبير ١ / ٢١١ - ٢١٢.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٣٣ - ٤٣٦.

(٤) ميزان الاعتدال ١ / ٤٤١ - ٤٤٢.

(٥) لسان الميزان ٢ / ١٩٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٢٤

وقد أدرج ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، ولم يذكر له إلا هذا السند فقال: «أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك قال: أنبأنا

محمد بن المظفر قال: أنبأنا أبو الحسن العتيقي قال حدثنا يوسف بن الدخيل، حدثنا أبو جعفر العقيلي، حدثنا...

هذا حديث موضوع لا أصل له. وزافر مطعون فيه، قال ابن حبان: عامية ما يرويه لا يتابع عليه، وكانت له أحاديث مقلوبة. ثم قد رواه

عن رجل لم يسمه ولعله الذي وضعه.

قال العقيلي: وقد حدثني به جعفر بن محمد قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، وأسقط الرجل المجهول. قال: وهذا عمل ابن حميد،

والصواب ما قاله يحيى بن المغيرة عن رجل. قال: وهذا الحديث لا أصل له عن علي.

وقد ذكرنا عن أبي زرعة وابن وارة أنهما كذبا محمد بن حميد «١».

وتبعه الجلال السيوطي كذلك قال: «قلت: قال في الميزان: هذا خبر منكر غير صحيح، وحاشا أمير المؤمنين من قول هذا. وقال في

اللسان: لعل الآفة في هذا الحديث من زافر. والله أعلم» «٢».

فأنت ترى أنهم لا ينقلون الرواية إلّا عن طريق العقيلي، ثم يقلّدونه فيما قال...

وقد عرفت أن له عدّة أسانيد، وأن في رواته أئمة كباراً يعتمدون على روايتهم في سائر المواضع.

كأبي الحسن الدارقطني، الذي رواه عنه ابن عساكر ولم يتكلم على سنده بشيء مع أنه تكلم على السند الثاني كما سيأتي، بل إن ابن

حجر المكي يقول بذيل قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» «٣ ...»

بعد كلام لصاحب الكشف:

«ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلّق بها تنميماً للفائدة فنقول:

(١) الموضوعات ١ / ٣٧٨ - ٣٨٠.

(٢) اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٦٣.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٦١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٢٥

«صَحَّ عنه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمَنْبَرِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ إِنَّ رَحِمَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُ... وَأَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِي: أَنَّ عَلِيًّا يَوْمَ الشُّورَى احْتَجَّ عَلَى أَهْلِهَا فَقَالَ لَهُمْ: انْشَدُكُمْ اللَّهَ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي الرَّحِمِ مِنِّي، وَمَنْ جَعَلَهُ نَفْسَهُ وَأَبْنَاءَهُ أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ نِسَاءَهُ، غَيْرِي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا. الْحَدِيثُ «١».

وَيَقُولُ السَّمْعُودِيُّ، فِي ذِكْرِ أَنَّ رَحِمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... «وَأَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِي، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حَمْزَةَ وَهَبِيرَةَ وَعَمْرُو «٢» بَنَ وَائِلَةَ قَالُوا: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَوْمَ الشُّورَى: وَاللَّهِ لَا أُحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ قَرَشِيهِمْ وَلَا عَرِيَّتِهِمْ وَلَا عَجْمِيَّتِهِمْ رَدَّهُ، وَلَا يَقُولُ بِخِلَافِهِ... وَأَخْرَجَ أَيْضًا الْقَصَّةَ مَطْوَلَةً عَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ الْكِنَانِيِّ وَأَنَّهُمْ أَقْعَدُوهُ عَلَى الْبَابِ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ، وَذَكَرَ احْتِجَاجَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِمْ -إِلَى أَنْ قَالَ- فَأَنْشَدَكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: أَنْتَ أَبُو وَلَدِي وَأَنَا أَبُو وَلَدِكَ، غَيْرِي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا.

ثم أخرجه عن عمرو بن وائل قال: كنت على الباب الذي فيه الشورى. فذكر الحديث بطوله «٣».

فابن حجر والسمهودي يعتمدان على رواية الدارقطني هذه بلا غمز في سندها.

و «أبو الحسن الدارقطني» قال الذهبي: «الإمام الحافظ المجود شيخ الإسلام علم الجهابذة ... كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا، انتهت إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث

(١) الصواعق المحرقة ٢/ ٤٥٣، الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم، الآية التاسعة.

(٢) كذا، والصحيح: عامر.

(٣) جواهر العقدين ٢٧٨ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، والجزء الأول من القسم الثاني ط بغداد ص: ١٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٢٦

ورجاله ... ثم أورد كلام الحاكم والخطيب وغيرهما من الأعلام، حتى نقل عن القاضي أبي الطيب الطبري قوله: «كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث» فراجع ترجمته له فإنها طويلة «١».

وأما الإيرادات على رواية العقيلي منه وممن قلده، فكلها مردودة:

فأما «زافر»، فقد وثقه أحمد وابن معين، وقال أبو داود: ثقة، كان رجلاً صالحاً، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وقد أخرج عنه من أرباب الصحاح: الترمذي والنسائي وابن ماجه «٢».

وأما «محمد بن حميد الرازي» فقد أخرج حديثه: الترمذي وأبو داود وابن ماجه، وروى عنه أحمد والذهلي وابن معين وأمثالهم من الأئمة، وعن الصاغاني أنه سئل:

تحدث عن ابن حميد؟ فقال: ما لي لا أحدث عنه! وقد حدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ... هذا، وقد تكلم فيه جماعة أيضاً «٣».

وأما قول العقيلي في محمد بن حميد أنه «أسقط الرجل وأراد أن يجود الحديث فيردّه أن محمد بن حميد رواه عن زاهر بن سليمان، عن الحارث بن محمد ... فذكر الراوي كما تقدّم في رواية ابن مردويه، وليس فيه «عن رجل» كي يزعم أنه أسقطه حتى يجود الحديث! وتذكرت هنا قول الذهبي - في مورد - مخاطباً للعقيلي: أفما لك عقل يا عقيلي؟! «٤» وبهذا يبطل كلام ابن الجوزي وغيره ممن قلّد العقيلي ...

على أن في كلامهم تهافتاً واضحاً، فمنهم من جعل الآفة من الرجل الذي لم يسمه

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٤٩ - ٤٦١.

(٢) تهذيب التهذيب ٣ / ٢٦٢.

(٣) تهذيب الكمال ٢٥ / ٩٧.

(٤) ميزان الاعتدال ٣ / ١٤٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٢٧

محمد بن حميد، ومنهم من جعلها من زافر، ومنهم من جعلها من الحارث بن محمد...

وقد عرفت أن هناك أسانيد ليس فيها أحدٌ من ذكر، ولو فرض كون زافر أو محمد بن حميد من الضعفاء، قد توبع في روايته على ما أخرجه غير واحد من أئمة القوم بأسانيدهم كما عرفت.

أحاديث رواها أبو عمر الزاهد ... ص: ٣٢٧

إشارة

قال قدس سره: ومنها: ما رواه أبو عمر الزاهد:

الشرح:

أبو عمرو الزاهد هو: المحدث اللغوي محمد بن عبد الواحد البغدادي، المعروف بـ «غلام ثعلب». ولد سنة ٢٦١. وحديث عنه كبار الأئمة في الحديث، كالحاكم النيسابوري والقاضي المحاملي وابن مندة وابن رزقويه وأمثالهم.

قال الخطيب: «سمعت غير واحد يحكي عن أبي عمر الزاهد: أن الأشراف والكتاب وأهل الأدب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها، وكان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تروى في فضائل معاوية، فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدى بقرائه ذلك الجزء...»

قال: وكان جماعة من أهل الأدب يطعنون على أبي عمر ولا يوثقونه في علم اللغة...

قال: فأما الحديث، فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه ويصدقونه» وتوفي سنة ٣٤٥ هـ (١).

(١) تاريخ الخطيب ٣ / ١٦٠ وانظر: سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٠٨، المنتظم ٦ / ٣٨٠، معجم الأدباء ١٨ / ٢٢٦، تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٧٣ وغيرها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٢٨

قلت: فظهر السر في نقل العلامة عن أبي عمر الزاهد، مع أن الأحاديث التي رواها موجودة في سائر المصادر كما سيأتي، وذلك:

أولاً: إنه كان من المتعصبين لبني أمية، بحيث قد ألف جزء فيه فضائل معاوية، وكان لا يقرى أحداً شيئاً حتى يبتدى بقرائه ذلك الجزء!! وقد ثبت أن لا فضيلة ومنقبة لمعاوية أصلاً.

وثانياً: إن شيوخ الحديث من أهل السنة أجمعوا على وثاقته وصدقوه.

الحديث الأول: عن ابن عباس: لعلي أربع خصال ... ص: ٣٢٨

وكما تقدّم، فإن أبا عمر الزاهد من مشايخ الحاكم، وقد أخرج الحاكم هذا الحديث عن أبي عمر حيث قال: «حدّثني أبو عمرو (١)» محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب إملاء ببغداد، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا زكريا بن يحيى المصرى، حدّثني المفضّل بن فضالة، حدّثني سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعلّى أربع خصال، ليست لأحد، هو أوّل عربى وأعجمى صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو الذى كان لواؤه معه فى كلّ زحف، والذى صبر معه يوم المهراس، وهو الذى غسله ودخله قبره» (٢).

وأخرجه الحافظ ابن عبد البر قال: «حدّثنا أحمد بن محمد قال: حدّثنا أحمد بن الفضل قال: حدّثنا محمد بن جرير قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله الدقاق قال: حدّثنا مفضل بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس» (٣) ... وأخرجه ابن عساكر بإسناده عن مفضل بن صالح الأسدى ...

(١)

كذا.

(٢) المستدرک على الصحيحين ١١١ / ٣.

(٣) الاستيعاب ١٠٩٠ / ٣.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٢٩

وبإسناد آخر من طريق أبى بكر بن خلف عن مفضل «... ١».

ورواه المؤيد الخوارزمى من طريق الحافظ البيهقى عن مفضل «... ٢».

ورواه الحافظ أبو العباس الطبرى عن ابن عبد البر «... ٣».

فهذا طرف من أسانيد هذا الحديث ... وقد عرفت التصريح بكون هذه الخصال خصائص للإمام عليه السلام. لكن ابن تيمية كذب به. أمّا الذهبي، فقد ذكر فى تلخيص المستدرک: «قلت: فيه زكريا بن يحيى الوقار، وهو متهم».

قلت: قد قلّد الذهبي ابن عدى، لكن فى اللسان: ذكره ابن حبان فى الثقات فقال:

يخطئ ويخالف ... ثم قال ابن حجر: وقد سمع أبو حاتم الرازى من زكريا الوقار وروى عنه «٤». على أنه قد توبع فى حديثه كما عرفت.

هذا، وقد جاء فى الحديث التصريح بأن ليس لأحد تلك الخصال غيره، على أن لكل واحد منها شواهد عديدة فى الأحاديث الأخرى.

لكن ابن تيمية يقول: كان لواؤه معه فى كلّ زحف، من الكذب المعلوم، إذ لواء النبى كان يوم أحد مع مصعب بن عمير ...

قال: وكذلك قوله: وهو الذى صبر معه يوم حنين، وقد علم أنه لم يكن أقرب إليه من العباس بن عبد المطلب وأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

قال: وأمّا غسله صلّى الله عليه وسلم وإدخاله قبره، فاشترك فيه أهل بيته.

قال: وكذلك قوله: هو أوّل عربى وأعجمى صلّى. يناقض ما هو المعروف عن

(١) تاريخ دمشق ٧٢ / ٤٢ - ٧٣.

(٢) مناقب أمير المؤمنين: ٥٨.

(٣) الرياض النضرة ٢ / ٢٠٢.

(٤) لسان الميزان ٢/ ٤٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٣٠

ابن عباس. هذا موجز كلام ابن تيمية بألفاظه «١».

وموجز الجواب هو أنه: لو سلمنا أن لواء النبي صلى الله عليه وآله يوم كذا كان بيد غير أمير المؤمنين، كمصعب والزبير ... فهو لم يكن بيد أبي بكر في موطن.

ولو سلمنا أن أقرب الناس إليه في حنين كان العباس أو أبو سفيان بن الحارث ...

فلم يكن أبو بكر ... بل أين كان أبو بكر وعمر؟! ...

ولو سلمنا أن أهل بيت علي عليه السلام شاركوه في غسل النبي ودفنه ... فلم يكن أبو بكر! ...

المهم، أن نعرف أن لعلي عليه السلام فضائل ومناقب لم يدعها لأبي بكر أتباعه المعتقدون بإمامته ... فكيف يفضّلونه ويقدمونه على علي؟ فأما العباس وأبو سفيان بن الحارث والزبير ومصعب ... فلم يدع أحدٌ لهم الإمامة، وعلى عليه السلام أفضل منهم بالإجماع. لكن هذا دأب ابن تيمية - كسائر أنصار بني أمية أعداء النبي وآله - وقد تذكّرت أن معمرًا سأل الزهري عن كاتب يوم الحديبية: «فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء - يعني بني أمية - لقالوا: عثمان» «٢».

هذا، ويكفي أن نورد هنا رواية ابن سعد - الذي هو أعلم وأقدم من ابن تيمية -:

«إن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله يوم بدر وفي كل مشهد» «٣».

ورواية أحمد - وهو إمام ابن تيمية - بإسناده عن مالك بن دينار قال: «سألت سعيد بن جبيرة قلت: يا أبا عبد الله، من كان حامل راية رسول الله؟ قال: فنظر إليّ وقال:

كأنك رخي البال، فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء قلت: ألا تعجبون من سعيد،

(١) منهاج السنة ٥/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) المصنف لعبد الرزاق بن همام ٥/ ٣٤٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٣١

إني سألت من كان حامل راية رسول الله؟ فنظر إليّ وقال: إنك لرخي البال. قالوا: رأيت حين تسأله وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت. كان حاملها علي. كان حاملها علي «١».

قال الهيثمي: «وعن ابن عباس: إن راية النبي صلى الله عليه وسلم كانت تكون مع علي بن أبي طالب وراية الأنصار مع سعد بن عباد، وكان إذا استحر القتال كان النبي مما يكون تحت راية الأنصار. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير عثمان بن زفر الشامي وهو ثقة» «٢».

وكذلك قال الحافظ الصالحى الدمشقى «٣».

الحديث الثاني: حديث المعراج ... ص: ٣٣١

لم يتكلم ابن تيمية على سنده وإنما قال: «إن هذا من كذب الجهال الذين لا يحسنون أن يكذبوا، فإن المعراج كان بمكة قبل الهجرة ... وقوله: أما ترضى ... قاله في غزوة تبوك وهي آخر الغزوات عام تسع من الهجرة» «٤».

وهذا ملخص كلامه بلفظه، فهو يكذب هذا الخبر من جهة أن المعراج كان بمكة، والحديث: أما ترضى ... كان بالمدينة عام تسع،

فكيف يقال: إن الملائكة ليلة المعراج سمعوا قوله: أما ترضى؟...

أقول:

سواء كان ابن تيمية جاهلاً أو يتجاهل، فإن الإشكال يندفع إذا علمنا أن رسول الله

(١) المناقب: ٣٥٨.

(٢) مجمع الزوائد ٥ / ٣٢١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ٧ / ٣٧١.

(٤) منهاج السنة ٥ / ٦٦ - ٦٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٢

صلى الله عليه وآله قال لعلی: أما ترضى ... في مواطن عديدة، وليس في غزوة تبوك فقط، وسيأتي تفصيل الكلام في محله إن شاء الله، فانتظر.

والشيء المهم الذي أغفله ابن تيمية في هذا الحديث هو: اشتياق الملائكة لأمر المؤمنين عليه الصلاة والسلام، ولهذا المعنى شواهد كثيرة في أخبار القوم، والحال أنه لا يوجد حديث واحد من هذا القبيل يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي بكر بن أبي قحافة، فمن الأفضل والأولى بالاتباع؟

الحديث الثالث: أنا الفتى ... ص: ٣٣٢

قال ابن تيمية: هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة الموضوعه باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وكذبه معروف من غير جهة الإسناد من وجوه:

منها: إن لفظ الفتى في الكتاب والسنة ولغة العرب، ليس من أسماء المدح كما ليس هو من أسماء الذم، ولكنه بمنزلة الشاب والكهل والشيخ ونحو ذلك. والذين قالوا عن إبراهيم «سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» هم الكفار ولم يقصدوا مدحه بذلك. وإنما الفتى كالشاب والحدث.

ومنها: إن النبي أجل من أن يفتخر بجده وابن عمه.

ومنها: إن النبي لم يؤاخ علياً ولا غيره، وحديث المؤاخاة لعلی ومؤاخاه أبي بكر لعمر من الأكاذيب.

ومنها: إن هذه المناداة يوم بدر كذب.

ومنها: إن ذا الفقار لم يكن لعلی، وإنما كان سيفاً من سيوف أبي جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر.

ومنها: إن النبي كان بعد النبوة كهلاً قد تعدى سن الفتيان «١».

(١) منهاج السنة ٥ / ٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٣

أقول:

وحيث أنه لم يتكلم في سند الحديث، فنحن أيضاً لا نتعرض للبحث السندی.

وأما الوجوه التي ذكرها، فكلها مردودة، وعمدتها كلامه في معنى «الفتى» وهو عجيب جداً؟ وكأن الرجل ليس بعربي فلا يفهم العربية؟! انظر إلى كلام أشهر الكتب اللغوية، في معنى «الفتى» و«الفتوة» واستشهاد به «لا فتى إلا على» مرسلًا إياه إرسال المسلم،

حيث قال:

«والفتوة- بالضم والتشديد ...- الكرم والسخاء. هذا لغة. وفي عرف أهل التحقيق: أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة، وصاحب الفتوة يقال له: الفتى. ومنه: لا فتى إلا على. وقول الشاعر: فإن فتى الفتیان من راح واغتندى لضّرّ عدوّ أو لنفع صديق وعبر عنها في الشريعة بمكارم الأخلاق» «... ١».

وأما النداء ب «لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار»، فقد رواه كبار أئمة الحديث والتاريخ والسيرة من أهل السنة: كابن هشام في السيرة، وعنه الحافظ السهيلي «٢» والحافظ الصالحى «٣».

والحسن بن عرفة العبدري بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام. ورواه ابن عساكر «٤» والمحب الطبري «٥» وابن كثير «٦» من طريق الحسن بن عرفة.

(١) تاج العروس في شرح القاموس ١٠ / ٢٧٦.

(٢) الروض الأنف ٦ / ٢٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ٤ / ٢٢٩.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢ / ٧١.

(٥) ذخائر العقبى ٧٤ والرياض النضرة ٢ / ١٩٠.

(٦) البداية والنهاية ٧ / ٣٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٤

وابن جرير الطبري في تاريخه «١» وكذلك ابن الأثير «٢».

وبما ذكرنا كفاية لمن أراد الهداية.

وبذلك يظهر الجواب عن سائر كلمات ابن تيمية. وبالله التوفيق.

الحديث الرابع: عن أبي ذر ... ص: ٣٣٤

هذا أحد الأحاديث الواردة في الباب وهي كثيرة. وفي هذا الحديث عدم نفع الأعمال إلا بحب على عليه السلام.

وفي بعضها الآخر: أنه إن لم يدرك محبة أهل البيت - عليهم السلام - أكبه الله على منخريه في النار، ومن ذلك: ما أخرجه الطبراني وابن عساكر، وعنهما الحافظ أبو عبد الله الكنجي حيث قال:

«أخبرنا الحافظ يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي بحلب، أخبرنا محمد بن إسماعيل بن محمد الطرسوسي، أخبرنا أبو منصور محمد بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أبو الحسن ابن فادشاه، أخبرنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، أخبرنا الحسين بن إدريس التستري، حدثنا أبو عثمان طالوت بن عباد الصيرفي البصري، حدثنا فضال بن جبير، حدثنا أبو امامة الباهلي قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنها أصلها وعلى فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها. فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى.

ولو أن عبداً عبد الله بين الصيفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك صحبتنا [محبتنا] أكبه الله على منخريه في النار. ثم تلا «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

(١) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

(٢) الكامل في التاريخ ١٥٤/٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٥
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

قلت: هذا حديث حسن عال. رواه الطبراني في معجمه كما أخرجه سواه.

ورواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى «١».

وفي بعضها الآخر، إضافته أنه إذا عمل تلك الأعمال وكان مبغضاً لعلی عليه السلام أكتبه الله في النار على منخريه... وهي أحاديث كثيرة.

ومن الأحاديث ما ورد بالأسانيد المستفيضة بل المتواترة في أنه: ويل لمن أبغضه، ولا بأس بذكر هذا الحديث الذي أخرجه ابن عساكر بأسانيده إذ قال:

«أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله، أنا أبو طاهر أحمد بن محمود، أنا أبو بكر بن المقرئ، نا أبو عروبة، نا هلال بن بشر.

ح وأخبرنا أبو سهل محمد بن إبراهيم بن سعدويه، أنا أبو الفضل الرازي، أنا جعفر بن عبد الله، نا محمد بن هارون، نا أبو الحسن هلال بن بشر البصري.

ح وأخبرنا أبو القاسم بن طاهر، أنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن، نا الحاكم أبو القاسم بشر بن محمد بن محمد بن ياسين - إملأء - أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، نا هلال بن بشر، نا عبد الله بن موسى أبو بشر الطويل، عن أبي هاشم صاحب - وفي حديث أبي عروبة: بياع - الرمان، عن زاذان عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله - وفي حديث الخلال النبي صلى الله عليه وآله - يقول لعلی:

محبك محبي ومبغضك مبغضى.

أخبرنا أبو عبد الله الفراوي، وأبو المظفر بن القشيري، وأبو القاسم الشحامى، قالوا: أنا سعيد بن محمد البحرى.

أخبرنا أبو عبد الله الفراوي، أنا أبو القاسم القشيري، وأحمد بن منصور بن خلف.

ح وأخبرنا أبو عبد الله أيضاً، وأبو محمد السیدی، وأبو القاسم الشحامى، قالوا: أنا

(١) كفاية الطالب: ١٧٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٦

أبو يعلى الصابونى، قالوا: أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود الحسنى، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرقى، أنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس.

أن النبي صلى الله عليه وآله نظر إلى على بن أبى طالب فقال: «أنت سيد فى الدنيا، سيد فى الآخرة، من أحببك فقد أحببني، وحبيبك حبيب الله، ومن أبغضك فقد أبغضنى، وبغضك بغض الله، والويل لمن أبغضك من بعدى.

أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال: قرى على سعيد بن محمد بن أحمد البحرى وأنا حاضر، أنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن زكريا بن حرب المزكى ابن أخى أحمد، نا أيوب الزاهد، نا أحمد بن حمدون بن عمارة الحافظ، نا أحمد بن الأزهر، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهرى، نا عبيد الله بن عبد الله، عن عبد الله بن عباس قال:

نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى على بن أبى طالب فقال: أنت سيد فى الدنيا، وسيد فى الآخرة، والويل لمن أبغضك من بعدى.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن الخلال أنا محمد بن عثمان النفري، نا الحسين بن إسماعيل المحاملي، نا أحمد بن محمد بن سواده، نا عمرو بن عبد الغفار، نا نصير بن عبد الأشعث، حدّثني كثير النواء، عن أبي مريم الخولاني، عن عاصم بن ضمرة، قال: سمعت علياً يقول: إن محمداً صَلَّى الله عليه وآله أخذ بيدي ذات يوم فقال: من مات وهو يبغضك ففي ميتة جاهلية، يحاسب بما عمل في الإسلام، ومن عاش بعدك وهو يحبك ختم الله له بالأمن والايامن [كَلَمَّا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَغَرَبَتْ حَتَّى يَرِدَ عَلَى الْحَوْضِ] «١».

(١) تاريخ دمشق ٢٩٢/٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٧

أحاديث رواها صاحب الفردوس ... ص: ٣٣٧

إشارة

قال قدس سره: ومنها: ما نقله صاحب الفردوس في كتابه.

الشرح:

هو أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني المتوفى سنة ٥٠٩.

قال الذهبي: «المحدث الحافظ، مفيد همدان ومصنف تاريخها ومصنف كتاب الفردوس» «... ١».

قال: «وكان صلباً في السنّة» «٢».

وقال السبكي: «شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فنا خسرو، الحافظ أبو شجاع الديلمي، مؤرخ همدان ومصنف كتاب الفردوس. ولد

سنة ٤٤٥. مات في تاسع شهر رجب سنة ٥٠٩» «٣».

وقال ابن العماد: «ذكره ابن الصّلاح فقال: كان محدثاً واسع الرحلة حسن الخلق والخلق، ذكياً، صلباً في السنّة، قليل الكلام. صنف

تصانيف اشتهرت عنها منها كتاب الفردوس» «٤».

وكذلك قال غيره من العلماء الأعلام بترجمته.

فانظر إلى كلام ابن تيمية: «إن كتاب الفردوس فيه من الأحاديث الموضوعات ما شاء الله، ومصنّفه شيرويه بن شهردار الديلمي وإن

كان من طلبة الحديث ورواته، فإن هذه الأحاديث التي جمعها وحذف أسانيدنا نقلها من غير اعتبار لصحتها وضعفها

(١) تذكرة الحفاظ ١٢٥٩/٤.

(٢) نفس المصدر ١٢٥٩/٤.

(٣) طبقات الشافعية ١١١-١١٢/٧.

(٤) شذرات الذهب ٢٤/٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٣٨

وموضوعها، فلماذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة جداً» «١».

أقول:

إنهم يصفونه بالحافظ المحدث ... وهذا يقول عنه: من طلبة الحديث!

وأما أن في كتابه موضوعات، فهذا حق، وكذلك سائر كتبهم حتى ما كتبه البخاري ومسلم واشتهروا عندهم بالصحيحين. ثم إن هذا الأحاديث التي رواها الديلمي «الصلب في السنة» لم ينفرد بها، بل رواها غيره من أعلامهم «الصلبين في السنة» كذلك:

الحديث الأول: حب على حسنة لا تضر معها سيئة ... ص: ٣٣٨

هذا الحديث بهذا اللفظ عن معاذ بن جبل، وقد رواه من طريق الديلمي غير واحد من الأعلام كالمنأوى في كنوز الحقائق من حديث غير الخلائق.

ورواه الموفق الخوارزمي من طريق الطبراني عن أنس بن مالك «٢».

وهو مروى عندهم عن غيرهما أيضاً.

والأحاديث في الباب بالألفاظ المختلفة كثيرة جداً:

منها: ما جاء بلفظ أن حبه يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب.

رواه الخطيب «٣» ومن طريقه ابن عساكر «٤»، غير أنه قال: رجال إسناده الذين بعد محمد بن سلمة كلهم معروفون ثقات. والحديث باطل مركب على هذا الإسناد وهذا زور بين!!

(١) منهاج السنة ٥/ ٧٣.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٤١٧.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٣٩

ومنها: ما ورد بتفسير قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ* وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» (١).

فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحسنة حَبْنَا والسيئة بغضنا».

رواه شيخ الإسلام الحموي بإسناد له عن الحافظ أبي علي الحداد، عن الحافظ أبي نعيم، بإسناده عن أبي عبد الله الجدلي عنه عليه السلام.

وبإسناد آخر من طريق الحسين بن الحكم الحبري بإسناده عنه «٢».

ومنها: ما ورد بتفسير قوله تعالى «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» (٣).

حيث فسروا «حسنة» بحب على وأهل البيت عليهم السلام، فراجع التفسير «٤».

وأى سيئة تبقى في مقابل حسنة زاد الله في حسناتها؟!

لكن ابن تيمية يقول: «هذا الحديث مما يشهد المسلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقوله، فإن حب الله ورسوله أعظم من حب على، والسيئات تضر مع ذلك» «... ٥».

أولاً: أى فرق بين حب الله والرسول وحب على؟ أترى أن من زعم أنه محب لله والرسول وهو مبغض لعلى يقبل منه دعواه وعمله؟

أليس رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا؟»

(١) سورة النمل: ٨٩ - ٩٠.

(٢) فرائد السمطين ٢/ ٢٩٩، الرقم ٥٥٥.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٧.

(٥) منهاج السنّة ٥/ ٧٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٤٠

أليس رسول الله يقول: «من زعم أنه آمن بى وما جئت به وهو ييغض عليّ، فهو كاذب ليس بمؤمن»؟ «١» وثانياً: إن المراد أن السيئة لا تبقى ولا تؤثر مع هذه الحسنه، وهل لا يفهم ابن تيمية هذا المعنى؟!

الحديث الثاني: حب آل محمد خير من عبادة سنة ... ص: ٣٤٠

رواه الديلمي في كتابه «٢».

وكذب به ابن تيمية وقال: «عبادة سنة فيها الإيمان والصّيلوات الخمس كلّ يوم وصوم شهر رمضان. وقد أجمع المسلمون على أن هذا لا يقوم مقامه حب آل محمد شهراً فضلاً عن حبهم يوماً» «٣».

أقول:

وكذلك حبّ النبي صلى الله عليه وآله، فإن مقتضى هذا الكلام أن تكون عبادة سنة - كما ذكر - لا يقوم مقامه حبّ النبي شهراً فضلاً عن حبه يوماً! لكن أحداً من المسلمين لا يلتزم بذلك فضلاً عن جميعهم!

لكن حبه وحبّ أهل بيته الأطهار واحد، والفصل بينهما باطلٌ بالكتاب والسنة المعتمدة وبالاتفاق من أتباعهما.

الحديث الثالث: كنت جالساً عند النبي ... ص: ٣٤٠

رواه - قبل الديلمي - أبو بكر الخطيب بإسناده حيث قال:

(١) انظر: تاريخ دمشق ٢٦٨ / ٤٢ و ٢٨٠.

(٢) فردوس الأخبار ٢ / ١٤٢ برقم ٢٧٢١.

(٣) منهاج السنّة ٥ / ٧٥ - ٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٤١

«محمد بن الأشعث بن أحمد بن محمد بن العباس أبو الحسن الطائى المروزي.

قدم بغداد وحديث بها عن الحسين بن محمد بن مصعب السنجي. روى عنه محمد بن إسماعيل الوراق.

أخبرني عبد العزيز بن علي الوراق قال: نبأنا محمد بن إسماعيل الوراق قال: نبأنا أبو الحسن محمد بن الأشعث بن أحمد بن محمد بن العباس الطائى المروزي - قدم علينا للحج - قال: نبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي قال: نبأنا علي بن المثنى الطهوى قال: نبأنا عبيد الله بن موسى قال: حدثني مطر بن أبي مطر عن أنس بن مالك قال:

كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى علياً مقبلاً فقال: أنا وهذا حجّة على أمتي يوم القيامة» «١».

وقد تكلم فيه ابن الجوزي ومن تبعه «٢». وقال الذهبي بترجمة مطر بعد روايته «هذا باطل» قال: «وله إسناد آخر فقال ابن زيدان البجلي:

حدّثنا عبد الرحمن بن سراج، حدّثنا عبيد الله بن موسى، عن مطر، عن أنس...
على بن سهل، حدّثنا عبيد الله، حدّثنا مطر الإسكاف عن أنس، مرفوعاً: على أخى وصاحبى وابن عمى وخير من أترك بعدى، يقضى دينى وينجز موعدى.

قلت لمطر: أين لقيت أنساً؟ قال: بالخريبة.

قال الذهبي: المتهم بهذا وما قبله مطر. فإن عبيد الله ثقة شيعى ولكنه آثم بروايه هذا الإفك» (٣).
أقول:

لكن مطر من رجال ابن ماجه، وقد رأيت أن الخطيب روى الحديث ولم يتكلم

(١) تاريخ بغداد ٨٦ / ٢.

(٢) الموضوعات ٣٨٢ / ١، اللآلى المصنوعة ٣٦٥ / ١.

(٣) ميزان الاعتدال ١٢٧ / ٤ - ١٢٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٤٢

عليه بشيء رغم تكلمه في بعض الأحاديث كما سبق، والقوم لم يبينوا السبب في نكارة الحديث.

الحديث الرابع: لو اجتمع الناس على حبّ على ... ص: ٣٤٢

وهذا حق لا مريه فيه، لأنّ حبّ على عليه السلام حبّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وكلّ محبّ مطيع لمن أحبّه، وهل ابن تيمية لا يدرى هذه الحقيقة فيقول: «لو اجتمعوا على حبّ على لم ينفعهم ذلك، حتى يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ويعملوا صالحاً» (١ ... ١) ثم يذكر الآيات من الكتاب والأحاديث النبوية؟

أحاديث رواها الكنجى ... ص: ٣٤٢

إشارة

قال قدس سره:: ومنها: ما رواه أبو عبد الله الحافظ الشافعى.

الشرح:

هو: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجى الشافعى، فقيه، محدّث، حافظ، رحل إلى البلاد، وحضر على المشايخ الكبار، وسمع الكثير، وروى وصنّف، حدّث بفضائل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام بالأسانيد في الجامع بدمشق، فثار عليه بعض النواصب وقتلوه وبقروا بطنه في شهر رمضان، في اليوم التاسع والعشرين منه بعد صلاة الصبح، عام ٦٥٨.

قال ابن شامة: «وفي ٢٩ من رمضان، قتل بالجامع الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجى، وكان من أهل العلم والحديث، لكنه كان فيه كثرة كلام وميل إلى مذهب الرافضة، جمع لهم كتباً توافق أغراضهم ... فانتدب له من تأذى منه وألبّ عليه بعد صلاة

(١) منهاج السنّة ٧٦ / ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٤٣

الصبح، فقتل وبقر بطنه» (١ ... ١).

وقال الذهبي: «والمحدث المفيد فخر الدين محمد بن يوسف الكنجي، قتل بجامع دمشق، لدبره وفضوله» (٢).

وقال ابن كثير: «وقتل العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً» (٣ ...).

وكذا في بعض المصادر الأخرى.

وكتابه (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب) يشتمل على عدّة كبيرة من الفضائل والمناقب، رواها بأسانيده المتصلة، وهو مطبوع موجود.

الحديث الأول: عن أبي برزة ... ص: ٣٤٣

هذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة الحفاظ، كأبي نعيم الإصفهاني، وهذا لفظه: «حدّثنا أبو بكر الطلحي، ثنا محمد بن علي بن دحيم، ثنا عباد بن سعيد بن عباد الجعفي، ثنا محمد بن عثمان بن أبي البهلول، حدّثني صالح بن أبي الأسود، عن أبي المطهر الرازي، عن الأعشى الثقفي عن سلام الجعفي عن أبي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٤ ...).

ورواه الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبي علي الحدّاد عن أبي نعيم الحافظ (٥ ...).

ولم يتكلّم على سنده بشيء.

وأخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناد آخر قال:

(١) ذيل الروضتين: ٢٠٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٤ ١٤٤١ من توفي سنة ٦٥٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣/٢٥٦.

(٤) حلية الأولياء ١/٦٦-٦٧.

(٥) تاريخ دمشق ٤٢/٢٩٠-٢٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٤٤

«حدّثنا محمد بن حميد، ثنا علي بن سراج المصري، ثنا محمد بن فيروز، ثنا أبو عمرو لاهز بن عبد الله، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه قال ثنا أنس بن مالك قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي برزة الأسلمي فقال له - وأنا أسمع - يا أبا برزة، إن ربّ العالمين عهد إلّي عهداً في علي» (١ ...).

وأخرجه الحافظ ابن عدي بترجمة «لاhez» وقال:

«وهذا بهذا الإسناد باطل وهو منكر الإسناد منكر المتن، لأن سليمان التيمي عن هشام بن عروة عن أبيه عن أنس. لا أعرف بهذا الاسناد غير هذا. ولاhez بن عبد الله مجهول لا يعرف، والبلاء منه. ولا أعرف للاhez غير هذا الحديث» (٢).

وأخرجه الحافظ الخطيب بترجمة «لاhez» كذلك ثم قال: «لم أر للاhez بن عبد الله غير هذا الحديث، حدّثني أحمد بن محمد المستملي، أخبرنا محمد بن جعفر الوراق قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي قال: لاهز بن عبد الله التيمي البغدادي غير ثقة ولا مأمون. وهو أيضاً مجهول» (٣).

وأخرجه عنهم الحافظ ابن عساكر، ثم أورد كلام ابن عدي (٤).

وأخرجه بإسناد آخر له غير ما تقدم فقال: «أخبرنا أبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدى، أنا أبو الفرج الشاهد، أنا أبو الحسن محمد بن جعفر النجار النحوي، أنا أبو عبد الله محمد بن القاسم المحاربي، نا عباد بن يعقوب، أنا علي بن هاشم، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن عون بن عبيد الله، عن أبي جعفر وعن عمر بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى عهد

إلى في على عهداً،

(١) حلية الأولياء ١/ ٦٦.

(٢) الكامل في الضعفاء ٧/ ١٤١.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ١٠٢.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٢٩ - ٣٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٤٥

قلت: ربّ بينه لى. قال: إسمع يا محمد....

ثم قال ابن عساكر: «هذا مرسل» (١).

أقول:

يردّه أن الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام لا يروى إلا عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمر بن على إنما رواه عن أبيه أمير المؤمنين، ولو كان في الحديث مطعن لذكره، لكنه حديث معتبر بلا ريب، لأن رجاله ثقات بلا كلام.

و «عبد بن يعقوب» الرواجنى من رجال البخارى والترمذى وابن ماجه. قال ابن حجر:

«صدوق رافضى، حديثه فى البخارى مقرون، بالغ ابن حبان فقال: يستحق الترك» (٢).

و «على بن هاشم» بن البريد من رجال البخارى فى المتابعات ومسلم والأربعة وقال ابن حجر: «صدوق يتشيع» (٣).

وبقى الكلام فى «لا هز» قالوا فى الحديث: إنه باطل. ولا هز يروى المناكير...

وهو ردّ للأحاديث بلا دليل، ومن العجب قول ابن حجر فى اللسان: «قال ابن عدى: بغدادى مجهول يحدث عن الثقات بالمناكير»...

ثم قال بعد أن أورد الحديث: «وهذا باطل قاله ابن عدى. قلت: إى والله من أكبر الموضوعات، وعلى فلعن الله من لا يحبّه» (٤).

أما أولاً: فقد ردّ الحديث بلا دليل وهو غير جائز.

وأما ثانياً: فقد حكى عن ابن عدى أنه يحدث عن الثقات بالمناكير، لكننا لم نجد هذا الكلام فى الكامل، بل لقد نصّ ابن عدى على أنه لا يعرف للرجل هذا غير هذا

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧٠.

(٢) تقريب التهذيب ١/ ٤٧٠.

(٣) تقريب التهذيب ١/ ٧٠٤.

(٤) لسان الميزان ٦/ ٢٣٦ - ٢٣٧.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٤٦

الحديث، وكذلك نقل عنه الخطيب، فأين «يحدث عن الثقات بالمناكير»؟

نعم، ظاهر الخطيب - فى مقام ردّ الحديث - هو الاستناد إلى طعن أبى الفتح الأزدى فى لاهز... فإن كان هذا هو الدليل فالأمر سهلاً، لأنهم قد نصّوا على ضعف الأزدى نفسه وعدم الاعتماد على تجريحاته...

قال الذهبي: «لا يلتفت إلى قول الأزدى، فإن فى لسانه فى الجرح رهقاً» (١).

وقال ابن حجر: «قدّمت غير مرّة: أن الأزدى لا يعتبر تجريحه، لضعفه هو» (٢).

وبعد، فقد قال ابن تيمية فى الردّ على العلّامة:

«هذا كذب بالموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث والعلم. ومجرد رواية صاحب الحلية لا تفيد ولا تدل على الصحة، فإن صاحب الحلية قد روى في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى والأولياء وغيرهم أحاديث ضعيفة بل موضوعة باتفاق العلماء» (٣). أقول:

أولاً: إن احتجاج الإمامية برواية أبي نعيم الحافظ أو غيره إنما هو من باب الإلزام، لأن هذا الرجل وأمثاله حفاظ معتمدون عندهم وكتبهم معروفة ومشهورة بينهم.

وثانياً: قوله: إن صاحب الحلية يروى الأحاديث الموضوعة، حق ثابت، لكن هذا لا يختص به، بل المحدثون السابقون عليه أيضاً كذلك وإن سميت رواياتهم بالصحيح.

وثالثاً: قد عرفت أن للحديث طرقاً عديدة، ولو كان في بعضها ضعف ما، فإن بعضها الآخر يقويه.

ورابعاً: إن مثل هذا الحديث غير وارد في شيء من كتب الفريقين في حق أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، فمن الأولى بالاتباع؟

(١) ميزان الاعتدال ١ / ٦١.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٤٣٠.

(٣) منهاج السنة ٥ / ٧٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٤٧

الحديثان الثاني والثالث ... ص: ٣٤٧

لم يقل فيهما ابن تيمية إلا «وكذلك حديث عمار وابن عباس، كلاهما من الموضوعات» (١).

لكن الحافظ أبو عبد الله الكنجي - المتقدم على ابن تيمية - قال بعد حديث عمار من طريق ابن بطّة العكبري المتوفى سنة ٣٨٧: «حديث عال حسن مشهور، اسند عند أهل النقل» (٢).

ولقد صدق أبو عبد الله الحافظ الكنجي ... فانظر إلى نبذة من طرق هذا الحديث عند أهل النقل:

قال الحافظ ابن عساكر: «أنبأنا أبو علي الحداد، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن ريدة، نا سليمان بن أحمد الطبراني، نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا أحمد بن طارق الواشبي، نا عمرو بن ثابت، عن محمد بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه أبي عبيدة، عن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب، فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو القاسم بن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف، أنا أبو أحمد بن عدي، أنا محمد بن عبيد الله بن فضيل، نا عبد الوهاب بن الضحاك، نا ابن عياش، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصى من آمن بي وصدقني بولاية علي فمن تولاه تولاني، ومن تولاني تولي الله.

(١) منهاج السنة ٥ / ٨٠.

(٢) كفاية الطالب: ٧٤ أول الباب الخامس.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٤٨

قال: وأنا أبو أحمد، أنا جعفر بن أحمد بن علي بن بيان، نا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني ابن لهيعة، حدثني محمد بن عبيد الله،

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تولّى علي بن أبي طالب، فذكر نحوه.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو محمد وأبو الغنائم ابنا أبي عثمان وأبو القاسم بن البصري، وأبو طاهر الخوارزمي، وعلي بن محمد الأنباري، قالوا: أنا أبو عمر بن مهدي، وأنا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه، نا جدي، نا عبد العزيز بن الخطاب - ثقة صدوق كوفي، سكن البصرة «١» - نا علي بن هاشم، عن ابن أبي رافع، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصى من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولّى الله، ومن أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا عاصم بن الحسن، أنا أبو عمر بن مهدي، أنا أبو العباس بن عقدة، نا الحسن بن عتبة الكندي، نا بكار بن بسر، نا علي بن القاسم أبو الحسن الكندي، عن محمد بن عبيد الله، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن عمار بن ياسر قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أوصى من آمن بي وصدّقني بالولاية لعلّي، فإنه من تولاه تولاني، ومن تولاني تولّى الله، ومن أحبّه أحبّني، ومن أحبّني أحبّ الله، ومن أبغضه أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله «٢». وقد أقرّ الهيثمي أن الطبراني رواه بإسنادين ثم قال:

(١) وفي تقريب التهذيب ١/ ٥٠٨: صدوق.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٤٩

«أحسبُ فيهما جماعةً ضعفاء وقد وثّقوا» «١».

فانظر كيف يحاربون النبي والوصي؟!

وأما حديث ابن عباس الذي رواه الحافظ أبو عبد الله بإسناده «٢»:

فقد رواه جماعة من الأعلام، كالمحبّ الطبري «٣»، وابن المغازلي «٤» وأخطب خوارزم والمتقى الهندي «٥» وغيرهم.

لكنّ هذا الحديث - برواية غير ابن عباس من الصحابة - من أصحّ الأحاديث وأثبتها، ومن ذلك:

ما أخرجه الحاكم - وصحّحه وأقرّه الذهبي - بإسناده عن أبي عبد الله الجدلي قال:

«دخلت على أم سلمة - رضي الله عنها - فقالت لي: أئسبُ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ فقلت: معاذ الله - أو: سبحان الله - أو

كلمة نحوه - فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سبّ علياً فقد سبّني.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقد رواه بكير بن عثمان البجلي عن أبي إسحاق بزيادة ألفاظ «٦».

قال قدس سره: والأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى. لكن اقتصرنا في هذا المختصر على هذا القدر.

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) كفاية الطالب: ٨٢ - ٨٤.

(٣) الرياض النضرة ٢/ ١٦٦.

(٤) مناقب الإمام علي: ٣١٢.

(٥) منتخب كنز العمال. هامش المسند ٥/ ٣٠.

(٦) المستدرک علی الصحيحین ٣/ ١٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٥٠

المطاعن في الجماعة ... ص: ٣٥٠

قال قدس سره: وأما المطاعن في الجماعة: فقد نقل أتباعهم الجمهور منها شيئاً كثيراً، حتى صنف الكلبي كتاباً كله في مثالب الصحابة، ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت عليهم السلام. وقد ذكر غيره منهم أشياء كثيرة، ونحن نذكر شيئاً يسيراً منها: الشرح:

إن هذا الفصل هو القسم الثاني من الوجه السادس من الوجوه التي أقامها العلامة لإثبات أن مذهب الإمامية واجب الاتباع، وقد كان القسم الأول منه في ذكر شيء يسير من فضائل ومناقب أمير المؤمنين التي اتفق على روايتها الموافق والمخالف ... كما تقدم. والمقصود من «المطاعن» ومن ذكرها في هذا المقام هو: بيان أنه لو دار الأمر بين أن يتبع صاحب المناقب التي يرويها له المعتقدون بإمامته وغير المعتقدين، أو يتبع من لم ترو في حقه تلك المناقب، بل رويت في كتب أتباعه نقائص له، فإنه لا شك في أن الحق أتباع الأول دون الثاني. فهذا هو المقصود هنا...

ويزداد هذا المقصود وضوحاً: إذا علمنا بأن الجمهور لما قالوا بثبوت الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيعة والاختيار، لأن خلافة أبي بكر وقعت كذلك...

اضطروا لأن يضعوا ضابطه لاختيار الخليفة، فذكروا شروطاً يجب أن تتوفر فيه:

قال في شرح المواقف: «المقصد الثاني: في شروط الإمامة: الجمهور على أن أهل الإمامة ومستحقها:

من هو مجتهد في الأصول والفروع ليقوم بأمور الدين، متمكناً من إقامة الحجج

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٥١

وحل الشبه في العقائد الدينية، مستقلاً بالفتوى في النوازل والأحكام في الوقائع نصاً واستنباطاً، لأن أهم مقاصد الإمامة حفظ العقائد وفصل الحكومات ورفع المخاصمات، ولم يتم ذلك بدون هذا الشرط.

ذو رأى وبصارة بتدبير الحرب والسلم وترتيب الجيوش وحفظ الثغور، ليقوم بأمور الملك.

شجاع قوى القلب، ليقوى على الذب عن الحوزة والحفظ لبيضة الإسلام، بالثبات في المعارك. كما روى: أنه عليه السلام وقف بعد انهزام المسلمين في الصف قائلاً:

[أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب]

ولا يهوله أيضاً إقامة الحدود وضرب الرقاب.

وقيل: لا يشترط في الإمامة هذه الصفات الثلاث، لأنها لا توجد الآن مجتمعة...

نعم، يجب أن يكون عدلاً في الظاهر، لئلا يجوز ... عاقلاً، ليصلح للتصرفات الشرعية والملكية. بالغاً، لقصور عقل الصبي. ذكراً، إذ

النساء ناقصات عقل ودين. حرّاً، لئلا يشغله خدمة السيد عن وظائف الإمامة...

فهذه الصفات التي هي الثمان أو الخمس شروط معتبرة في الإمامة بالإجماع...

وهنا صفات أخرى في اشتراطها خلاف:

الأولى: أن يكون قرشيًا...

الثانية: أن يكون هاشميًا...

الثالثة: أن يكون عالمًا بجميع مسائل الدين، أصولها وفروعها، بالفعل لا بالقوة...

الرابعة: ظهور المعجزة على يده، إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامة والعصمة «١».

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٤٩ - ٣٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٥٢

فظهر أن هناك شروطاً أجمع القوم على وجوبها في الإمامة، وإلا لم تنعقد...

لكن القوم أنفسهم قد رووا في كتبهم في حق أبي بكر وعمر وعثمان ما يدل بكل وضوح على انتفاء هذه الشروط فيهم، بل على اتصافهم بما ينافيها، فيكون اعتقادهم بإمامة هؤلاء - والحال هذه - مخالفاً للإجماع!!
فهذا هو المقصود من ذكر العلامة بعض رواياته في عدد من تلك الموارد، وسنحاول توضيح مقصوده، بالاستناد إلى روايات القوم وبلاستشهاد بكلمات علمائهم في كل مورد.

ما رواه عن أبي بكر ... ص: ٣٥٢

المورد الأول ... ص: ٣٥٢

قال قدس سره: منها: ما رواه عن أبي بكر أنه قال على المنبر...

الشرح:

أما أن أبا بكر قال هذا الكلام، فذاك موجود في روايات أتباعه، نذكر هنا بعضها:

قال ابن سعد: «أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا هشام بن عروة - قال عبيد الله: أظنه عن أبيه - قال: لما ولي أبو بكر، خطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسنّ النبي...
أيها الناس، إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني» «١».
وفي رواية ابن راهويه عن الحسن البصري: «إن أبا بكر الصديق خطب فقال: أما والله ما أنا بخيركم... أفتظنون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»

(١) الطبقات الكبرى ٣ / ١٨٢ - ١٨٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٥٣

إذن لا أقوم بها. إن رسول الله كان يعصم بالوحي وكان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا اوثر في أشعاركم وأبشاركم» «١».

وفي تاريخ الطبري بإسناد آخر: «ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا اوثر في أشعاركم وأبشاركم».

وأخرج الطبراني: «حدثنا منتصر بن محمد، نا عبد الله بن عمرو بن أبان، نا عبد الرحيم بن سليمان، عن أبي أيوب الإفريقي، ثنا عيسى بن سليمان، عن زيد بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويع، فخطب الناس فقال:
يا أيها الناس، إنني قد أقلتكم رأيكم، إنني لست بخيركم، فبايعوا خيركم، فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت والله خيرنا. فقال:

يا أيها الناس، إن الناس دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، فهم عوَاد الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يطلبكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لى شيطاناً يحضرني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني، لا أمثل بأشعاركم وأبشاركم.

يا أيها الناس، تفقدوا ضرائب غلمانكم، إنه لا ينبغي للحم نبت من سحت أن يدخل الجنة، ألا و راعوني بأبصاركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني، وإن أطعت الله فأطيعوني، وإن عصيت الله فاعصوني.

لم يرو هذا الحديث عن أبي أيوب الإفريقي إلا عبد الرحمن بن سليمان. تفرد به عبد الله بن عمر بن أبان «٢».

وكذلك تجد الخبر في الصواعق المحرقة وتاريخ الخلفاء والرياض النضرة «٣» وغيرها من كتب الحديث والتاريخ والكلام.

(١) كنز العمال ٥/ ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٢) المعجم الأوسط ٨/ ٢٦٧.

(٣) الرياض النضرة ١/ ٣٨، الإمامة والسياسة ١/ ٦، الصواعق ١/ ١٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٥٤

بل إن ابن تيمية أيضاً يصدق بهذا الخبر ويزعم أنه من أكبر فضائل أبي بكر كما سيأتي، وكذلك صدق به القاضي عبد الجبار المعتزلي وغيره ... إلا أنهم حاولوا الإجابة عن ذلك.

وكان بعضهم قد التفت إلى سقوط تلك المحاولات للدفاع عن أبي بكر، فانبهروا قبل كل شيء لتكذيب الخبر أو التشكيك فيه، فيقول ابن روزبهان:

«هذا ليس من روايات أهل السنة بل من روايات الروافض، وإن سلمنا صحته فإن لكل إنسان شيطاناً» ... ١.

وكذلك قال عبد العزيز الدهلوي، قال: «هذه الرواية لم تصح في كتب أهل السنة حتى يتم الإلزام بها، بل الصحيح الثابت عندهم خلافه» ... ٢.

وتبعه الآلوسي في مختصره إذ قال: «ويجاب: بأن هذا غير ثابت عندنا، فلا إلزام، بل الثابت أنه أوصى عمر قبل الوفاة فقال» ... ٣.

وهذا عجيب منهم، خاصة من الأخير، لأنهم يقلدون ابن تيمية وهم عيال عليه في ردودهم على الإمامية، وهو يقول بأن القضية من أكبر فضائل أبي بكر!!

لكن ذلك يكشف عن شدة اضطرابهم كما أشرنا من قبل ... والآن، فانظر إلى كلماتهم في مقام الدفاع عن أبي بكر، فقد قال ابن تيمية:

«والجواب أن يقال: هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق وأدلتها على أنه لم يكن طالب رئاسة ولا كان ظالماً، وأنه إنما كان يأمر الناس بطاعة الله ورسوله فقال لهم: إن استقمت ...

والشيطان الذي يعتريه يعتري جميع بني آدم ... ومقصود الصديق بذلك: إني

(١) انظر كتاب دلائل الصدق لنهج الحق ٣/ ١٤.

(٢) التحفة الاثنا عشرية: ٢٦٩، المطعن الثامن.

(٣) مختصر التحفة الاثنا عشرية: ٢٧٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٥٥

لست معصوماً كالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا حق.

وقول القائل: كيف تجوز إمامة من يستعين على تقويمه بالرعية، كلام جاهل بحقيقة الإمامة، فإن الإمام ليس هو رباً للرعية حتى

يستغنى عنهم ... لكن إذا كان أكملهم علماً وقدره، ورحمته كان ذلك أصح لأحوالهم» (١).
أقول:

لكن هذا الكلام مغالطة وخروج عن البحث، فمن يدعى أن الإمام ربّ للرعية؟
ومن يدعى العصمة لأبي بكر؟

وكم فرق بين من يخبر عن نفسه ويعترف بأن له شيطاناً مقترناً به يعتريه فيطيعه ويزيغ قلبه، فيطلب من الناس ويعتذر إليهم أن يجانبوه ثم لا يحاسبوه، وبين من قال:
«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» (٢)؟

وكم فرق بين من في قلبه زيغ ومن كان راسخاً في العلم؟ قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» (٣).

وكيف يكون من يزيغه شيطانه - فيطلب من الناس أن لا - يطيعوه في زيغه بل يستعين بهم على تقويمه - مصداقاً لمن أمر الله تعالى بإطاعته إطاعة مطلقه وجعلها في سياق إطاعته وإطاعة رسوله، إذ قال: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

(١) منهاج السنّة ٥/ ٤٦٣.

(٢) كلمة مشهورة لأمر المؤمنين على، موجودة في كتب الفريقين.

(٣) سورة آل عمران: ٦-٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٥٦

الأمر منكم؟ (١)

ثم نقول لهم وهم يقولون بضرورة الأفضلية في الإمام، وقبح تقدّم المفضول في الإمامة، كما نصّ عليه ابن تيمية في منهاجه غير مرّة: إن مقتضى هذا الكلام الثابت عن أبي بكر هو أن يكون مفضولاً بالنسبة إلى عمر، لأنكم رويتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حقه: «ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره»؟ ...

وإذا كان هذا مدحاً لعمر، فما قاله أبو بكر عن نفسه يكون دالاً على نقصه وموجباً للذم له بالضرورة.

ثم قال ابن تيمية: استعانة على برعيته وحاجته إليهم كانت أكثر من استعانة أبي بكر» ثم استشهد بما يروونه من قول عبيدة السلماني للإمام عليه السلام في مسألة بيع أمهات الأولاد: «رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة. وكان يقول: اقضوا كما كنتم تقضون فإنني أكره الخلاف، حتى يكون الناس جماعةً أو أموت كما مات أصحابي» (٢).

لكن هذه القضية - بناءً على ثبوتها - على خلاف مدعى ابن تيمية أدلّ، فإنها من موارد مخالفة الأئمة لأمر المؤمنين وعدم إطاعتها له في أحكامه، وهو الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله «على مع الحق والحق مع على، اللهم أدر الحق معه حيثما دار» (٣). وقال صلى الله عليه وآله لَمَّا أُرْسِلَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيَثْبِتَ لِسَانَكَ» قال عليه السلام: «فما شككت في قضاء بعد» (٤).

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) منهاج السنّة ٥/ ٤٦٥.

(٣) مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٥.

(٤) مسند أحمد ١ / ٨٣، سنن أبي داود ٢ / ١٦٠، السنن الكبرى للبيهقي ١٠ / ٨٦، كنز العمال ١٣ / ١١٣، مسند أبي يعلى ١ / ٣٦٣، السنن الكبرى للنسائي ٥ / ١١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٥٧

بل ذلك صريح كلامه مع عبدة- إن ثبت- فقد قال: «فإني أكره الخلاف»...

ولا- شك أن من لم يطعه كان على الباطل، وهذا ذم لهم لا- له ... بخلاف إقرار واعتراف أبي بكر بأن له شيطاناً يزيغه عن الحق ويحمله على الظلم والباطل.

ومن القوم من حمل كلام أبي بكر على طلب المشورة من الناس «١». وبطلانه أوضح كما لا يخفى.

ومنهم من نقض «٢» بقضية آدم وحواء إذ قال تعالى: «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» «٣»

فإن كان نقصاً لكان في تلك القضية نقص عليهما، بل كل الأنبياء جميعاً إذ قال تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ» «٤».

وبطلانه واضح كذلك، لما تقدّم من أن كلام أبي بكر صريح في وجود الشيطان معه وإطاعته له. وأما آدم وسائر الأنبياء والمرسلين فهم معصومون بالإجماع من المعاصي.

المورد الثاني ... ص: ٢٥٧

إشارة

قال قدس سره: وقال أقيلوني فلست بخيركم...

الشرح:

هذه الجملة مشتملة على ثلاثة أمور:

الأولى: الإستقالة.

والثانية: تعليل الاستقالة بأنه ليس بخيرهم.

والثالثة: أفضليته على عليه السلام من أبي بكر.

(١)

؟؟؟؟؟ (٢) ؟؟؟؟؟؟

(٣) سورة البقرة: ٣٦.

(٤) سورة الحج: ٥٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٥٨

وهكذا ذكر العلامة في (نهج الحق) فقال: «ومنها قول أبي بكر: أقيلوني فلست بخيركم وعلى فيكم. فإن كان صادقاً لم يصلح للإمامة وإلا لم يصلح لها أيضاً».

وتناقضت كلمات المدافعين عن أبي بكر، فقال ابن تيمية:

«والجواب: إن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث ولا له إسناد معلوم، فإنه لم يقل: وعلى فيكم» (١).
وظاهره قبول الخبر إلا كلمة «وعلى فيكم».

وقال ابن روزبهان في جواب كلام العلامة في (نهج الحق): «إن صحَّ هذا فهو من باب التواضع» (٢ ... ٢).
وظاهره التشكيك في كل الكلام.

وقال الدهلوي: «المطعن العاشر: قول أبي بكر: لست بخيركم وعلى فيكم ...»

والجواب: أولاً: هذه الرواية غير موجودة في شيء من كتب أهل السنة، لا بطريق صحيح ولا ضعيف، فكان عليهم إيرادها من كتب أهل السنة ثم المطالبة بالجواب، وإلزام أهل السنة بافتراءات الشيعة من غاية الجهل ... وقد زاد بعض علماء الشيعة لفظ «أقولوني» (٣ ... ٣).
واختلاف كلماتهم يكشف عن اضطرابهم، لعدم وجود الجواب الصحيح عندهم.

بل لقد وقع بعضهم في التناقض، كابن روزبهان، الذي ذكر في موضع آخر وجود الخبر بكامله في الصحيح، وهذا نص عبارته هناك بقدر الحاجة في جواب كلام للعلامة: «إنه بينا في هذا رواية الصحيح، فإن أرباب الصحيح ذكروا في بيعه على

(١) منهاج السنة ٥ / ٤٦٧.

(٢) انظر دلائل الصدق

(٣) التحفة الإثنا عشرية: ٢٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٥٩

لأبي بكر أن بنى هاشم لم يبايعوا أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة، ولم يتعرض أبو بكر لهم وتركهم على حالهم، وكانوا يترددون عند أبي بكر ويدخلون في المشاورات والمصالح والمهمات وتدير الجيوش. فلما توفيت فاطمة بعث أمير المؤمنين على أبي بكر وقال: ائتنى وحدك. فجاءه أبو بكر في بيته، فجلسا وتحدثا.

ثم قال على لأبي بكر: إنك استأثرت هذا الأمر دوننا، ما كنا نمنعك عن هذا الأمر ولا نحن نراك غير أهل لهذا، ولكن كان ينبغي أن تؤخره إلى حضورنا.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، كان الأنصار يدعون هذا الأمر لأنفسهم، وكانوا يريدون أن ينصبوا أميراً منهم، وكان يخاف منهم الفتنة، فتسارعت إلى إطفاء الفتنة وأخذت بيعة الأنصار. وإن كان لك في هذا الأمر رغبة، فأنا أخطب الناس وأقبل بيعتهم وأبايعك والناس. فقال أمير المؤمنين: الموعد بيني وبينك بعد صلاة الظهر.

فلما صلوا الظهر رقى أبو بكر المنبر وقال:

أقولوني، فلست بخيركم وعلى فيكم» (١ ... ١).

وعلى كل حال، فقد اتفقت كلماتهم على كلمة «لست بخيركم» فلتكن هذه الكلمة هي القدر المتيقن وبها الكفاية، لأنه قد تقرّر عند الجمهور اشتراط أن يكون الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الخليفة له. فإذا ثبتت هذه الكلمة عن أبي بكر قلنا:

أولاً: إنه بهذه الكلمة يبطل ما روى من قول عمر في السقيفة مخاطباً أبا بكر: «أنت سيدنا وخيرنا» (٢ ... ٢).

وثانياً: إنه بهذه الكلمة يسقط أبو بكر عن الولاية، لأنه قد أعلن بها عن عدم أهليته

(١) انظر دلائل الصدق ٣ / ٨١ - ٨٢.

(٢) صحيح البخاري ٤ / ١٩٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٦٠

لها، لأن المفروض أنه لم يقل ذلك هزلاً ولا امتحاناً لمن بايعه من الناس.

لكن كلمة «أقولني» موجودة في المصادر سواء بهذا اللفظ أو نحوه، وقد عقد الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري لذلك باباً في أحوال أبي بكر، إذ قال: «ذكر استقاله أبي بكر من البيعة: عن زيد بن أسلم قال: دخل عمر على أبي بكر وهو أخذ بطرف لسانه، وهو يقول: إن هذا أوردني الموارد، ثم قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم. قال عمر: والله لا نقتيلك ولا نستقتيلك. ثلاثاً.

خرجه حمزة بن الحارث.

وعن أبي الجحاف قال: قام أبو بكر بعد ما بوع له وباع له على وأصحابه، فأقام ثلاثاً يقول: أيها الناس قد أقتلكم بيعتكم هل من كاره؟ قال: فيقوم على في أوائل الناس يقول: لا والله لا نقتيلك ولا نستقتيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا الذي يؤخرك.

خرجه ابن السمان في الموافقة.

وعنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كل يوم يقول: قد أقتلكم بيعتكم فبايعوا من شئتم قال: فيقوم على بن أبي طالب فيقول: لا والله لا نقتيلك ولا نستقتيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا الذي يؤخرك.

خرجه الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية وابن السمان في الموافقة.

وأبو الجحاف هذا هو داود بن أبي عوف البرجمي التميمي مولاهم، كوفي ثقة، روى عن غير واحد من التابعين، وهو حديث مرسل عن الطريقين.

وعن جعفر عن أبيه قال: لما استخلف أبو بكر خير الناس سبعة أيام، فلما كان اليوم السابع، أتاه على بن أبي طالب فقال: لا نقتيلك ولا نستقتيلك، ولولا أنا رأيناك أهلاً ما بايعناك.

خرجه ابن السمان في الموافقة.

وعن سويد بن غفلة: قال لما بايع الناس أبا بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦١

قال: يا أيها الناس أذكر بالله، أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجله قال: فقام إليه على بن أبي طالب ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر والأخرى على العصا وقال: والله لا نقتيلك ولا نستقتيلك، قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك.

خرجه في فضائله وقال: هو سند حيث روى في هذا المعنى. وسويد بن غفلة أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي «١».

وفي جامع الأصول عن كتاب رزين: «قال أنس: فسمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: أصدع المنبر. فبايعه الناس عامّة. وخطب أبو بكر في اليوم الثالث، فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم: أما بعد، أيها الناس، إن الذي رأيتم مني لم يكن حرصاً على ولايتكم، ولكنني خفت الفتنة والاختلاف. وقد رددت أمركم إليكم، فولّوا من شئتم.

فقالوا: لا نقتيلك» «٢».

وفي تاريخ الخميس ما نصّه:

«ذكر غير ابن حبان: إن أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقلبهم في بيعتهم ويستقبلهم فيما تحمّله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كلّ ذلك يقولون له: والله لا نقتيلك ولا نستقتيلك» «... ٣».

وأما كلمة «وعلى فيكم» فقد اعترف ابن روزبهان بوجودها في الروايات، والله العالم بقصد أبي بكر منها، فقد كان بعض مشايخنا يرى أن الكلمة هذه كانت إيعازاً منه إلى ضرورة القضاء على الإمام عليه السلام.

وكيف كان، فإن الظاهر من روايات القضية تكرر الكلام من أبي بكر، لأن في

(٢) جامع الأصول ٤ / ٤٨١.

(٣) تاريخ الخميس - ذكر بيعة أبي بكر، من الموطن الحادي عشر.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦٢

بعضها أنه قاله بعد ثلاثة أيام من البيعة، وفي البعض الآخر أنه كان بعد وفاة الصديقه الزهراء عليها السلام ... والله العالم.
هذا كله بالنسبة إلى السند والمتن ... وقد رأيت أن لا مناص لهم من الإذعان، والإنكار ليس إلا مكابرة...
ثم حاول القوم الإجابة من حيث الدلالة، فذكروا وجوهاً.

الوجه الأول ...: ص: ٣٦٢

أما ابن تيمية، فلم يذكر وجهاً مهماً إلا حمل الكلام على التواضع، وقد ذكر غيره هذا الوجه أيضاً.
قال ابن روزبهان: إن صح هذا فهو من باب التواضع وتأليف قلوب التابعين، وحق الإمام أن لا يفضل نفسه على الرعية ولا يتكبر عليهم.
وقال ابن كثير: ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم،
فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى [عندي] حتى أزيح علتهم إن شاء الله،
والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في
قوم قط إلا -عهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم
يرحكم الله. وهذا إسناد صحيح.
فقوله رضى الله عنه: «وليتكم ولست بخيركم» من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضى الله عنهم.
ويرد هذا الوجه:

١- تكرر هذا الكلام من أبي بكر، وحمله على التواضع مع تكرر خلاف الظاهر جداً.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦٣

٢- إن التواضع وهضم النفس في أمر الدين والخلافة غير معقول، كيف؟

ولا يبقى حينئذ وثوق بالكلام لعدم العلم بقصده. قاله الشهيد التستري.

٣- إن الألفاظ الموجودة في روايات القوم للكلام، لا تدع مجالاً للحمل على التواضع أصلاً، انظر مثلاً قوله ...: «إن هذا أوردني
الموارد» ... وقوله: «أذكر بالله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجله» وقوله حالفاً على عدم خيريته: «أما والله ما أنا بخيركم»
وأمثال ذلك من العبارات.

ولعله من هنا لم يذكر بعضهم - كالدهلوي ومقلده الآلوسى - هذا الوجه في مقام الدفاع عن أبي بكر.

الوجه الثاني ...: ص: ٣٦٣

قال ابن روزبهان: «وهذا من باب الإستظهار بترك الإيالة والحكومة، كما روى أن أمير المؤمنين كان يقول: «لا تسوى الخلافة عندي
نعلاً مخصوصاً» (١).

وقال الدهلوي: إن هذا الكلام دليل على عدم طمعه وحبّه للرئاسة والإمامة (٢).

وقد سبقهما إلى هذا الوجه قاضى القضاء المعتزلى وغيره قالوا: إن هذا الكلام من أبى بكر لبيان الزهد فى الإمارة ...

والجواب عن هذا الوجه هو: إنه ينافي تعليله الاستقالة بعدم الخيرية.

وكم فرق بينه وبين ما روى عن أمير المؤمنين؟

الوجه الثالث ص: ٣٦٣

كون إمامته حقاً لا ينافي جواز الاستقالة وعدم كونها معصية، لأن المفروض انعقاد إمامته بالاختيار. قاله ابن أبي الحديد «٣».

(١) انظر: دلائل الصدق ٣ / ٢٥.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية: ٢٧٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦٤

والجواب: إنه لا يجوز له الاستقالة حتى بناءً على أن الإمامة بالاختيار، لأن البيعة عقد من العقود، وقد قال الله عز وجل «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ».

الوجه الرابع ص: ٣٦٤

قال ابن روزبهان: «وقد قيل أنه قال هذا بعد ما شكوا بعض أصحاب رسول الله استثنائه للخلافة من غير انتظار لحضورهم» «١».

وجوابه يظهر مما تقدم من رواياتهم في الباب ... ولعله تنبه إلى ضعف كلامه فنسبه إلى «القييل».

الوجه الخامس ص: ٣٦٤

قال الدهلوي وتبعه الآلوسي - واللفظ للثاني - «ثبت في الصحيفة الكاملة، وهي من الكتب الصحيحة عندهم، من قول الإمام السجاد رضي الله عنه: أنا الذي أفنت الذنوب عمره. فإن كان صادقاً بهذا الكلام لم يكن لائقاً للإمامة، لأن الفاسق المرتكب للذنوب لا يصلح للإمامة. وكذا إن كان كاذباً فكذلك لما مر. فما هو جوابهم فهو جوابنا.

والجواب: إنه كلام باطل جداً. إذ كيف يريد إلزام الامامية بقياس واضح البطلان عندهم جداً؟

الإمام السجاد الذي لقبه النبي صلى الله عليه وآله ب «سيد العابدين» إمام معصوم، فما جاء في كلامه وكلام غيره من الأئمة من هذا القليل وكذلك ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام ... كل ذلك محمول على الاعتراف بالتقصير أمام الله سبحانه وتعالى.

وأما أبو بكر، فلا يدعى أحداً له العصمة أبداً، وقد اعترف على رؤوس الأشهاد مرة بعد أخرى بعدم أهليته للإمامة، فكيف يعارض كلامه بكلام الإمام السجاد المذكور ونحوه؟

(١) انظر: دلائل الصدق ٣ / ٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦٥

وعلى الجملة، كم فرق بين مناجاة معصوم مع الله واعترافه بالتقصير أمامه، واعتراف عبد غير معصوم أمام الناس بالنقص والقصور؟!

المورد الثالث ... ص: ٣٦٥

إشارة

قال قدس سره: وقال عمر: كانت بيعه أبي بكر فلتةً وقى الله المسلمين شرّها.

الشرح:

وقبل الورود في بيان ذلك نوضح أن مقولة عمر هذه لم تكن له وحده، وإنما قالها لما بلغته عن جماعة من أعلام الصحابة، قالوا: والله لو مات - أي عمر - لبايعنا فلاناً - أي علياً - وقد كانت بيعه أبي بكر فلتةً ... فقال عمر: نعم كانت بيعه أبي بكر فلتةً ولكن الله وقى شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه «١».

فظهر: أن هذه الكلمة قد قالها جماعة من الأصحاب، وقد قررها وأقر بها عمر بن الخطاب، في خطبة الجمعة، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لكن القوم قد اضطربوا في توجيه معنى هذه الكلمة، ولربما اضطروا إلى تحريف لفظها:

قال ابن روزبهان في جواب كلام العلامة في هذا المقام:

«لم يصح عندنا رواية هذا الخبر. وإن صح كان تحذيراً من أن ينفرد الناس بلا حضور العامة بالبيعة، ولهذا سمّاه بالفتنة، وكان ذلك لضرورة داعية إليه»... .

ففي هذا الكلام ثلاثة أمور:

الأول: التكذيب للخبر من أصله.

والثاني: التصرف في لفظه من «الفتنة» إلى «الفتنة».

والثالث: تأويل اللفظ وتوجيه المعنى.

(١) صحيح البخاري ٢٦/٨، صحيح مسلم ١٤/٢، تاريخ الطبري ٢/٤٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٦٦

وقال في شرح المواقف:

«وأما قوله في بيعه أبي بكر، فمعناه أن الإقدام على مثله بلا مشاورة الغير وتحصيل الاتفاق منه، مظنة للفتنة العظيمة، فلا يقدم عليه أحد، على أني أقدمت عليه فسلمت وتيسر الأمر بلا تبعه» «١».

وقال في شرح المقاصد:

«والجواب: إن المعنى: كانت فجأةً وبغتةً وقى الله شرّ الخلاف الذي يكاد يظهر عندها، فمن عاد إلى مثل تلك المخالفة الموجبة لتبديد الكلمة فاقتلوه.

وكيف يتصور منه القدح في إمامه أبي بكر، مع ما علم من مبالغته في تعظيمه وفي انعقاد البيعة له؟» «٢ ...».

وقال ابن تيمية:

«والجواب: إن لفظ الحديث سيأتي. قال فيه: فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعه أبي بكر فلتةً تمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن وقى الله شرّها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. ومعناه: إن بيعه أبي بكر بودر إليها من غير تريث ولا انتظار، لكونه كان متعيناً لهذا الأمر، كما قال عمر: ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر.

وكان ظهور فضيلة أبي بكر على من سواه وتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم له على سائر الصحابة أمراً ظاهراً معلوماً، فكانت دلالة النصوص على تعيينه تغني عن مشاورة وانتظار وتريث، بخلاف غيره، فإنه لا تجوز مبايعته إلا بعد المشاورة والانتظار والتريث، فمن بايع غير أبي بكر من غير انتظار وتشاور، لم يكن له ذلك. وهذا، قد جاء مفسراً في حديث عمر هذا في خطبته المشهورة الثابتة في

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٥٨.

(٢) شرح المقاصد ٥ / ٢٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٦٧

الصحيح، التي خطب بها مرجعه من الحج في آخر عمره، وهذه الخطبة معروفة عند أهل العلم، وقد رواها البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال... فأورد الخطبة كاملة (١). أقول:

وفي هذا الكلام ثلاثة أمور كذلك:

الأول: تصحيح الخبر. فتكذيبه من ابن رزيهان أو غيره جهل أو كذب.

والثاني: دعوى دلالة النصوص على تعيين أبي بكر.

والثالث: توجيه المعنى وتأويل اللفظ.

وقال عبد العزيز الدهلوي في التحفة:

«والجواب: قد وقع هذا الكلام من عمر جواباً لشخص كان يقول في حياته: لو مات عمر لباعيت فلاناً وجعلته خليفه، لأن بيعه أبي بكر أيضاً كانت فلتة من رجل أو رجلين ... فمعنى كلام عمر في جواب هذا السائل هو: إن بيعه الواحد أو الاثنين بلا تأمل ومراجعة للمجتهدين ومشورة لأهل الحل والعقد، غير صحيحة» (٢ ... ٢).

وفي مختصر التحفة:

«والجواب: إن هذا الكلام صدر من عمر في زجر رجل كان يقول: إن مات عمر أبايع فلاناً وحدي أو مع آخر، كما كان في مبايعه أبي بكر. ثم استقر الأمر عليها. فمعنى كلام الفاروق في ردّه لهذا القول: إن بيعه رجل أو رجلين شخصاً من غير تأمل سابق ومراجعة أهل الحل والعقد ليست بصحيحة» (٣ ... ٣).

(١) منهاج السنّة ٥ / ٤٦٩ - ٤٧٠.

(٢) التحفة الاثنا عشرية: ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية: ٢٧٥، الباب الثامن.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٦٨

أقول:

وفي هذا الكلام أيضاً أمور ثلاثة:

الأول: الإعراف بصحة الخبر وثبوته.

والثاني: دعوى دلالة القرائن كإمامة الصلاة ونحوها على خلافة أبي بكر.

والثالث: إنه قد ثبت عند أهل السنّة وصحّ أن سعد بن عباد وأمر المؤمنين علياً والزبير، قد بايعوا أبا بكر بعد تلك المناقشة، واعتذروا

له عن التخلّف في أوّل الأمر.

هذا، ولا يخفى موارد الفرق بين أصل كلام الدهلوى، وما جاء فى عبارة الآلوسى بترجمته.
أقول:

فإنكار أصل الخبر باطل مردود، فلا كلام من جهة السند، وتبقى:

١- جهة المتن والدلالة ... ص: ٣٦٨

وقد عرفت أن اللفظة هي «الفتنة» لا «الفتنة» كما فى كلام ابن روزبهان.

ويظهر كيفية ضبط لفظه «الفتنة» ومدلولها فى هذا الخبر، بعد معرفته قائل الكلمة والوقوف على شىء من تفاصيل القضية، فاعلم: إنه وإن أبهم البخارى وغيره اسم من قال تلك الكلمة فى «منى»، فجاء فى روايتهم: «بلغنى أن قائلًا منكم يقول: واللّه لو مات عمر بايعت فلانًا». ... لكنّ الحافظ ابن حجر يبيّن وعين «القائل» و «فلانًا»، فقال فى مقدمه فتح البارى:

«لم يسمّ القائل ولا الناقل، ثم وجدته فى الأنساب للبلاذرى، بإسناد قوى، من رواية هشام بن يوسف، عن معمر، عن الزهرى، بالإسناد المذكور فى الأصل [أى فى البخارى نفسه] ولفظه: قال عمر: بلغنى أن الزبير قال: لو قد مات عمر بايعنا عليًا».

هذا الزبير نفسه- الذى كان فى قضية السقيفة فى بيت الزهراء، وخرج مصلتا

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٦٩

سيفه، وأحاطوا به، وأخذوا السيف من يده- ينتظر الفرصة، فهو لم يتمكّن فى ذلك الوقت أن يفعل شيئًا لصالح أمير المؤمنين، وما يزال ينتظر الفرصة.

وهناك أقوال أخرى فى المراد من فلان وفلان، لكن السند القوى الذى وافق عليه ابن حجر العسقلانى وأيده هذا، لأن الزبير وعليًا لم يكونا وحدهما فى منى، وإنما كانت هناك جلسة، وهؤلاء مجتمعون، فكان مع الزبير ومع على غيرهما من عيون الصحابة وأعيان الأصحاب.

ثم يقول ابن حجر: «فى مسند البزار والجعديات بإسناد ضعيف: أن المراد بالذى يبايع له طلحة بن عبيد الله» (١).

إنه- بحسب هذه الرواية- كان ينتظر بعض الأصحاب فرصة موت عمر حتى يبايع طلحة، وطلحة ينتظر ذلك حتى يبايع له! وفى تاريخ الطبرى وغيره (٢): إن القائل لبايعنا عليًا هو عمار بدل الزبير ... وعمار من أصحاب أمير المؤمنين منذ اليوم الأول. أقول:

بل كلاهما، ومعهما غيرهما من الأصحاب أيضًا، ولذا جاء فى كلام ابن حجر:

«ووقع فى رواية ابن إسحاق أن من قال ذلك كان أكثر من واحد» (٣).

لكن العجيب هو اضطراب القوم فى هذا الموضع أيضًا! ...

فابن حجر- الذى نصّ على ما تقدّم فى المقدّمه، وذكر رواية البلاذرى وأنها بسند قوى- لم يتعرّض لذلك بشرح الحديث أصلًا، بل ذكر هناك خبر طلحة- الذى نصّ على ضعفه فى المقدّمه- فقال:

(١) مقدمه فتح البارى: ٣٣٧.

(٢) تاريخ الطبرى، الطبقات الكبرى ٢/ ٦٥، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٠٥، البدايه والنهائيه.

(٣) فتح البارى فى شرح البخارى ١٢/ ١٢٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٧٠

«قوله: لقد بايعت فلاناً. هو طلحة بن عبيد الله. أخرجه البزار من طريق أبي معشر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه» (١).

لكن عندما نراجع القسطلاني في شرح الحديث، نجده يذكر ما ذكره ابن حجر في المقدمة فيقول بشرح «لو قد مات عمر لبايعت فلاناً»:

«قال في المقدمة- يعني قال ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري-: في مسند البزار والجعديات بإسناد ضعيف: إن المراد... قال: ثم وجدته في الأنساب للبلاذري بإسناد قوى من رواية هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري بالإسناد المذكور في الأصل، ولفظه: قال عمر: بلغني إن الزبير قال: لو قد مات عمر لبايعنا علياً... الحديث. وهذا أصح».

ويقول القسطلاني: «وقال في الشرح: قوله: لقد بايعت فلاناً، هو طلحة بن عبيد الله، أخرجه البزار».

قرأنا هذا من شرح البخاري لابن حجر.

ثم ذكر: «قال بعض الناس لو قد مات أمير المؤمنين أقمنا فلاناً، يعنون طلحة بن عبيد الله، ونقل ابن بطال عن المهلب: أن الذي عنوا أنهم يبايعونه رجل من الأنصار، ولم يذكر مستنده» (٢).

وأما الكرمانى، فلم يتعرض لشيء من هذه القضايا أصلاً، وإنما ذكر أن كلمة «لو» حرف يجب أن تدخل على فعل، فلماذا دخلت لو على حرف آخر «لو قد مات»، لماذا كلمة «لو» التي هي حرف دخلت على «قد» التي هي حرف؟ «لو» يجب أن تدخل على فعل، فلماذا دخلت على حرف؟ هذا ما ذكره الكرمانى في شرح الحديث، وكأنه ليس هناك شيء أبداً.

(١) فتح الباري في شرح البخاري ١٢ / ١٢٩.

(٢) إرشاد الساري ١٠ / ١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٧١

وأما العيني - وهو دائماً يتعقب ابن حجر العسقلاني، لأن العسقلاني شافعي، والعيني حنفي، وبين الشوافع والحنفية خاصة في المسائل الفقهية خلاف شديد ونزاعات كثيرة - فليس له هنا أي تعقيب، وحتى أنه لم يتعرض للحديث الذي ذكره ابن حجر العسقلاني، وإنما ذكر رأى غيره، فلم يذكر شيئاً عن ابن حجر العسقلاني أصلاً، وإنما جاء في شرح العيني: قوله: «لو قد مات عمر» كلمة: قد، مقحمة: لأن لو لازم أن يدخل على الفعل، وقيل قد، في تقدير الفعل، ومعناه: لو تحقق موت عمر. قوله: لقد بايعت فلاناً يعني: طلحة بن عبيد الله، وقال الكرمانى: هو رجل من الأنصار، وكذا نقله ابن بطال عن المهلب، لكن لم يذكر مستنده في ذلك». وهذا غاية ما ذكره العيني في شرح البخاري (١).

فتلخص مما ذكرنا: إن القائل بأن بيعه أبي بكر كانت فلتة، هم جماعة وليس رجلاً واحداً. وإنهم كانوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ينتظرون موت عمر حتى يبايعونه.

وإن عمر - الذي لا يريد أن يكون الأمر لعلي عليه السلام - لما بلغته الكلمة غضب، وأراد أن يقوم خطيباً بمنى ويحذر الناس من هؤلاء ...!

فلما منعه أصحابه من ذلك حتى يقدم المدينة، قال: «أما والله - إن شاء الله - لأقومنَّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة».

وهناك - وفي أول جمعة أقامها - خطب ... وذكر الكلمة التي قالها أصحاب أمير المؤمنين، وأقر بها ... ثم هدّد بقتل المبايع والمبايع له، وهناك طرح فكرة الشورى، وتعين الخليفة عن طريقها ...

ثم رتب الشورى بحيث لا يصل الأمر إلى علي عليه السلام!

(١) عمدة القارى ٢٤/ ٨، ذيل الرقم ٦٨٣٠ باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٧٢

وعلى ضوء ما تقدّم، يظهر مقصود أصحاب الإمام عليه السلام ومرادهم من كلمة «الفلته ...» فهم يريدون الإعلان عن عدم رضاهم بخلافه أبى بكر، وعن تقصيرهم فى حق على عليه السلام، وعن ندمهم على تفويت تلك الفرصة، فلو بادروا إلى بيعه الإمام عليه السلام قبل السقيفة أو فى حينها لما كان ما كان، فلا بدّ من انتهاز فرصة موت عمر، حتى لا يتكرّر التقصير ولا تستمرّ الحسرة. ولكنّ القوم الذين يعلمون بهذا المعنى قطعاً، لا يريدون الاعتراف به، ولذا تراهم يتناقضون فى بيان معنى «الفلته»، وبعضهم لما رأى أن شيئاً من تلك المعانى لا يخلّصهم من الورطة - وهو لا يريد الإقرار بالحقيقة - لم يجد مناصاً من إنكار أصل القضية، وهى موجودة فى البخارى وغيره، ومشهورة بين أهل العلم كما قال ابن تيمية!!

وعلى الجملة، فقد اختلفت كلماتهم فى معنى لفظه «الفلته» واضطربت توجيهاتهم للكلمة، لكنّها كلّها بمعزل عن الحق والصواب، إذ يحاولون تأويل الكلمة بما يتناسب وعقيدتهم فى بيعه أبى بكر، وإن صدرت من بعضهم بعض الإشارات بشرح قوله عمر: وقى الله شرّها.

ولا بأس بأن ننقل هنا ما جاء فى تاج العروس، حيث قال:

«الفلته - بالفتح - آخر ليلة من الشهر، وفى الصباح: آخر ليلة من كلّ شهر، أو آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام، كآخر يوم من جمادى الآخرة. وذلك أن يرى فيه الرجل ثاره، فربما تولى فيه، فإذا كان الغد دخل الشهر الحرام ففاته ... وفى الحديث: إن بيعه أبى بكر كانت فلتة فوقى الله شرّها.

قيل: الفلته هنا مشتقة من الفلته آخر ليلة من الأشهر الحرم، فيختلفون فيها أمن الحلّ هى أم من الحرم، فيسارع الموتور إلى درك الثأر، فيكثر الفساد ويسفك الدماء.

فشبه أيام النبى صلى الله عليه وسلم بالأشهر الحرم ويوم موته بالفلته فى وقوع الشرّ، من ارتداد العرب وتوقّف الأنصار عن الطاعة ومنع من منع الزكاة، والجري على عادة

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٧٣

العرب فى أن لا يسود القبيلة إلا رجل منها.

ونقل ابن سيده عن أبى عبيد: أراد فجاء، وكانت كذلك، لأنها لم ينتظر بها العوام ...

وقال الأزهرى: إنما معنى الفلته: البغته ...

وقال ابن الأثير: أراد بالفلته الفجاءة ...

وقيل: أراد بالفلته الخلسة، أى إن الإمامة يوم السقيفة مالت الأنفس إلى تولّيها ولذلك كثر فيها التشاجر ...

ووجدت فى بعض المجاميع: قال على بن سراج: كان فى جوارى جارّ يتّهم بالتشيع، وما بان ذلك منه فى حال من الحالات إلا فى هجاء امرأته، فإنه قال فى تطبيقها:

ما كنت من شكلى ولا كنت من شكلك يا طالقة البتّه

غلطت فى أمرى أغلوطه فأذكرتنى بيعه الفلته» (١)

أقول:

إنه لما كانت الكلمة من أصحاب أمير المؤمنين، وهم قد قالوها فى مقام التحسير وبيان الغصّة على إضاعة الفرصة والندم على التوانى، فليس مرادهم «الفجاءة» ولا «البغته»، بل يجوز أن يكون المراد هو المعنى الأول، المذكور فى الصحاح والقاموس وغيرهما، ويجوز أن

يكون المراد هو المعنى الأخير المذكور في الشعر عن بعض من يَتَّهَم بالتشيع...
ومع ذلك كله، فإنهم لا يذكرون المعنى المراد الظاهر فيه اللفظ، وخاصّةً مع القرائن المذكورة.
نعم، قد وجدت في كلام البدر الزركشي في شرح الحديث ما يلي:

(١) تاج العروس في شرح القاموس ١/ ٥٦٨-٥٦٩ «فلت».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٧٤

«والفلته- بفتح الفاء في المشهور- كل شيء فعل من غير رويّة.

وروى سحنون عن أشهب أنه كان يقولها بضمّ الفاء، وهو انفلات الشيء من الشيء، قال: ولا يجوز الفتح، لأن معناه: ما يندم عليه. ولم يكن بيعه أبي بكر ممّا يندم عليه.

وعلى الرواية المشهورة، فالمراد بها بغته وفجأة، لأنه لم ينتظر بها العوام، وإنما ابتدرها الصّحابة من المهاجرين وعامة الأنصار، لعلمهم أنه ليس لأبي بكر منازع ولا يحتاج في أمره إلى نظر ولا مشاوره، وإنما عوجل بها مخافة انتشار الأمر والشقاق حتى يطمع بها من ليس بموضع لها، فلهذا كانت الفلته التي وقى الله بها الشرّ المخوف.

هكذا ذكره أحمد بن خالد في مسنده. حكى ذلك كله عيسى بن سهل في كتاب غريب ألفاظ البخاري «١».

فالحمد لله الذي أجرى على لسانهم الحق الذي طالما حاولوا كتمه، فاضطربوا وتخبّطوا... فإن اللفظة إن كانت بضمّ الفاء، فهي دالة على المعنى المقصود، وهو «انفلات الشيء من الشيء»، لأنّ الخلافة قد انفلتت- في عقيدة الزبير وعمار وأمثالهما، الذين قالوا الكلمة في منى- من يد أمير المؤمنين وخرجت عن محلّها الذي أراده الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وإن كانت بفتح اللام، فدلالته على المقصود أوضح وأتم، لأنهم أرادوا بهذه الكلمة إظهار الندم على توانيهم وسكوتهم وخضوعهم للأمر الواقع، فكانوا يتحينون الفرصة للاستدراك وإرجاع الأمر إلى محلّه والحق إلى صاحبه.

ولا يخفى أن «أشهب» الذي نقل عنه الكلام المذكور في معنى «الفلته» هو:

«أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي ثم العامري ثم بنى جعده بن

(١) التنقيح في شرح الصحيح ٣/ ١٢١٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٧٥

كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من أنفسهم» فهو عربي أصيل، وهو إمام فقيه كما وصفوه، وهو مفتي مصر. ولد سنة ١٤٠ وتوفي سنة ٢٠٤ «١».

وإلى هنا ظهر معنى «الفلته» التي قالها غير واحد من الصحابة الكبار، وأقرّها عمر بن الخطاب إلا أنه قال: «وقى الله شرّها».

٢- كيف كانت بيعه أبي بكر...؟ ص: ٣٧٥

ثم إن عمر بن الخطاب حكى لنا طرفاً من وقائع السقيفة، واشتملت خطبته على نقاط نتعرّض لها بقدر الحاجة:

١- قول عمر: «خالف عنا على والزبير ومن معهما» فأقول:

أولاً: إن مقتضى الأحاديث الصحيحة، كقوله صلى الله عليه وآله: «على مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار» «٢» هو كون الحق مع علي في كلّ الأحوال، فكان علي غيره من الأصحاب قاطبة متابعته وإطاعته.

وثانياً: إنه لم تكن المخالفة فقط، بل إنه عليه السلام كان يرى الأمر لنفسه، للنصوص الواردة في حقّه، ولأفضليّته من غيره بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله على الإطلاق.

٢- قول أبي بكر: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم» قال عمر: «فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا».

فإن هذا الكلام من أبي بكر دليل واضح على عدم تعيينه للأمر، من الله ورسوله، وإلّا لما أرجع إلى أحد الرجلين.

(١) توجد ترجمته في تهذيب الكمال ٣/ ٢٩٦، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠، تهذيب التهذيب ١/ ٣١٤، حسن المحاضرة في محاسن مصر والقاهرة ١/ ٣٠٥ وغيرها.

(٢) مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٧٦

بل هو إقرار منه بعدم أفضليّته منهما، وقد تقرّر عند الجمهور - كما ذكر ابن تيمية أيضاً مراراً - لزوم أفضليّة الإمام وقبح تقدّم المفضول.

وكذلك حاله عند سائر الأصحاب، فلم يكن عندهم دليل على تعيينه أصلاً، ولذا قال الحافظ: «قال القرطبي في المفهم: لو كان عند أحد من المهاجرين والأنصار نصّ من النبي صلّى الله عليه وسلّم على تعيين أحد بعينه للخلافة، لما اختلفوا في ذلك ولا تعارضوا فيه. قال: وهذا قول جمهور أهل السنّة» (١).

٣- قول عمر: «ونزونا على سعد بن عباد، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباد، فقلت:

قتل الله سعد بن عباد» وفي رواية الطبري: «فقال عمر: قتله الله، إنه منافق» (٢).

وفيه نقاط:

الأولى: مخالفة سعد بن عباد وأتباعه.

والثانية: دعاء عمر بن الخطاب عليه.

والثالثة: كون سعد منافقاً.

وهنا مطلبان:

أحدهما: المناقب التي يذكرونها لسعد بن عباد، فإنها تكذب دعوى نفاقه، وتردّ على الدعاء عليه.

والثاني: هل إن سعداً بايع أبا بكر فيما بعد أو أنه مات ولم يبايع؟

وسياتى بيان المطلبين، في الكلام على احتجاجهم لإمامة أبي بكر بالإجماع من الصحابة، فانتظر.

٤- قول عمر: «فكسر اللّغظ وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار،

(١) فتح الباري ٧/ ٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٢، ص: ٣٧٧

ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد....

يدلّ على عدم كون بيعه أبي بكر عن مشورة من المسلمين، وقد صرح من قبل بخلاف على والزيير ومن معهما ... ولذا، فقد نصّ غير

واحد من أئمة القوم على أن الإمامة تثبت ببيعة الواحد والاثنين، لأنّ خلافة أبي بكر انعقدت ببيعة وحده أو هو وأبو عبيدة بن الجراح (١)».

٥- قول عمر: «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغزّه أن يقتل». يدلّ بكلّ وضوح على بطلان الإمامة والخلافة بلا مشورة من المسلمين، وكلمات العلماء صريحة في دلالة على هذا المعنى. وبيعة أبي بكر لم تكن عن مشورة من المسلمين. أليست هذه الكلمات قدحاً في خلافة أبي بكر؟ قال التفتازاني: «كيف يتصوّر منه القدح في إمامة أبي بكر، مع ما علم من مبالغته في تعظيمه وفي انعقاد البيعة له؟...؟ فما هو الجواب إذن؟

وهذا أحد مواضع اضطراب القوم وتحيرهم الشديد في حلّ الإشكال: منهم: من اكتفى بالقول: «كان ذلك لضرورة داعية إليه» (٢).

ومنهم: من قال: «فمعناه: إن الإقدام على مثله بلا مشاورة الغير وتحصيل الاتفاق منه مظنة للفتنة العظيمة، فلا يقدمّ عليه أحد، على أنني أقدمت عليه فسلمت وتيسر الأمر بلا تبعه» (٣).

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى: ٢٣، شرح المواقف ٨ / ٣٥٢، شرح المقاصد ٥ / ٢٥٤.

(٢) ابن روزبهان. انظر دلائل الصدق ٣ / ١٨.

(٣) شرح المواقف ٨ / ٣٥٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٧٨ وأنت ترى أن لا محصّل لمثل هذه الكلمات...

ومنهم: من قال: «معناه: إن بيعة أبي بكر بودر إليها من غير تريث ولا انتظار، لكونه كان متعيناً لهذا الأمر، وكان ظهور فضيلة أبي بكر على من سواه وتقدير رسول الله له على سائر الصحابة، أمراً ظاهراً معلوماً، فكانت دلالة النصوص على تعيينه تغني عن مشاورة وانتظار وتريث، بخلاف غيره» (١).

لكن دعوى وجود النصوص على تعيين أبي بكر، باطلة مردودة، فقد تقدّم ما هو صريح في أن لا نصّ على إمامة أبي بكر من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبذلك صرح كبار علمائهم أيضاً (٢) وحتى ابن تيمية نفسه (٣).

ومن هنا ترى أن بعضهم يدعى «القرائن» ولا يقول «النصوص».

ومنهم من يقول: «واستند من قال إنه نصّ على خلافة أبي بكر بأصول كلية وقرائن حالية، تقضى بأنه أحق بالإمامة وأولى بالخلافة» (٤).

ومنهم من يعين القرينة فيقول: «وبيعة أبي بكر وإن كانت فجأة بسبب مناقشة الأنصار وعدم وجود فرصة للمشورة، فقد حلت محلّها وصادفت أهلها، للدلائل الدالة على ذلك والقرائن القائمة على ما هنالك، كإمامة الصلاة ونحوها» (٥).

ومنهم من يقول: «أشار إشارة قويّة - يفهمها كلّ ذى لبّ وعقل - إلى الصديق» (٦).

فانظر إلى التناقضات في الكلمات!

أمّا النصّ مفقود، والمدعى له كاذب.

(٢) شرح المواقف ٨ / ٣٥٤، السيرة النبوية لابن كثير ٤ / ٤٩٦.

(٣) منهاج السنة ٥ / ٤٧٠.

(٤) ابن حجر في فتح الباري ٧ / ٢٦.

(٥) مختصر التحفة: ٢٧٥.

(٦) ابن كثير في السيرة النبوية ٤ / ٤٩٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٢، ص: ٣٧٩

وأما المشورة، فغير حاصلة باعترافهم.

وأما الإجماع، فدعوى باطلة، وسيأتي التفصيل في محله.

وأما القرائن المزعومة، فعمدتها صلاته في مرض النبي صلى الله عليه وآله، ولكن قد ثبت أنها لم تكن بأمر منه، وأنه قد حضرها بنفسه وعزل أبا بكر عنها... وعلى فرض التسليم، فلا قريظة لذلك بالنسبة إلى الإمامة العامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وسيأتي الكلام حول هذه الصلاة في محله إن شاء الله.

ولعله من هنا تنزل ابن كثير، فادعى الإشارة القوية المفهمة التي يفهمها كل ذي لب، ولكن كيف لم يفهمها على الزهراء والزيير ومن معهم وسعد بن عباد ومن تبعه وسائر الأنصار، فمنهم من مات ولم يبائع أصلاً، ومنهم من هدد بالقتل فبايع مكرهاً؟... الله يعلم!!

الجزء (٣)

المورد الرابع: قال قدس سره: «وقال أبو بكر عند موته: ليتني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حق...؟» ص: ٥

الشرح:

وهذا مورد آخر ذكره علماؤنا عن كتب القوم، للدلالة على عدم أهليته أبي بكر للإمامة، ولإثبات بطلان خلافته. وقد أجاب المدافعون عنه بوجوه:

قال ابن تيمية: الجواب: إن هذا كذب على أبي بكر، وهو لم يذكر له إسناداً.

ومعلوم أن من احتج في أي مسألة كانت بشيء من النقل، فلا بد أن يذكر اسناداً تقوم به الحجة، فكيف بمن يطعن في السابقين الأولين بمجرد حكاية لا إسناد لها؟ ثم يقال:

هذا يقدر فيما يدعونه من النص على علي، فإنه لو كان قد نصّ على علي لم يكن للأنصار فيه حق ولم يكن في ذلك شك «١».

وقال التفتازاني: «والجواب: إن هذا - على تقدير صحته - لا يدلّ على الشك، بل على عدم النص» «٢».

وقال ابن روزبهان: «إن صحّ هذا، فمن باب الاحتياط وزياد الإيقان، وأنه لما دفع الأنصار عن الخلافة، كانت تقواه تدعوه إلى طلب النص. فأما حديث الأئمة في قریش،

(١) منهاج السنة ٥ / ٤٨٢.

(٢) شرح المقاصد ٢ / ٢٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦

فلم يروه أبو بكر، بل رواه غيره من الصحابة، وكان هو لا يعتمد على خبر الواحد، وكان تمنى أن يسمع هو بنفسه عن رسول الله صلى

اللَّهِ عليه وسلَّم عدم حقيَّة الأنصار في الخلافة. وهذا من غاية تقواه وحرصه على زيادة العلم والإيقان» (١).

أقول:

وفي هذا الموضوع أيضاً لا تخلو كلماتهم من التهافت كما سيَتضح، وهي تتلخص في ثلاثة وجوه، أهمها الطعن في الخبر سنداً، بل لقد كَذَّب به ابن تيمية صراحةً. ونحن نورد النصَّ الكامل للخبر بسنده عند أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ثم نذكر أسماء عدَّة آخرين من رواة في الكتب المختلفة، وبعد ثبوت الخبر والوقوف على متنه الكامل، لا تبقى قيمةً للمكابرات في معناه ومدلوله، وإن كُنَّا سنتعرَّض لها حيث يذكر العلامة الخبر مرةً أخرى في فصل أن من تقدَّمه لم يكن إماماً... فانتظر. وهذا نصُّ الخبر بسنده كما رواه الطبري حيث قال:

«حدَّثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدَّثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، قال: حدَّثنا الليث بن سعد، قال: حدَّثنا علوان، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفِّي فيه؛ فأصابه مهتماً.

فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارئاً!

فقال أبو بكر رضي الله عنه: أترأه؟

قال: نعم.

قال: إني وليت أمركم خيركم في نفسي؛ فكلِّكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه؛ ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبله حتى تتخذوا ستور الحرير

(١) انظر: دلائل الصدق ٣/ ٢٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧

ونضائد الديباج، وتألّموا الاضطجاع على الصوف الأذري؛ كما يألم أحدكم أن ينام على حسك؛ واللّه لأن يقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أوّل ضالّ بالناس غداً، فتصدّونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هادي الطريق، إنما هو الفجر أو البجر.

فقلت له: خَفَضَ عليك رحمك الله؛ فإن هذا يهيضك في أمرك. إنما الناس في أمرك بين رجلين: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك، وصاحبك كما تحب؛ ولا نعلمك أردت إلّا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وأنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أجل، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتَهَنّ ووددت أني تركتَهَنّ، وثلاث تركتَهَنّ ووددت أني فعلتَهَنّ؛ وثلاث ووددت أني سألت عنهنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

فأما الثلاث اللّاتي ووددت أني تركتَهَنّ؛ فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب، ووددت أني لم أكن حرّقت الفجاءة السّلمى، وأنّي كنت قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً. ووددت أني يوم سقيفه بنى ساعده كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً؛ وكنت وزيراً.

وأما اللّاتي تركتَهَنّ؛ فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إليّ أنه لا يرى شراً إلّا أعان عليه. ووددت أني حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرّدة؛ كنت أقمت بذى القصة؛ فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً. ووددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام، كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله - ومدّ يديه -.

ووددت أنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: لمن هذا الأمر

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨

فلا ينازعه أحد، ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب؟ ووددت أنى كنت سألته عن ميراث ابنه الأخ والعمه؛ فإن فى نفسى منهما شيئاً.

قال لى يونس: قال لنا يحيى: ثم قدم علينا علوان بعد وفاء الليث، فسألته عن هذا الحديث، فحدثنى به كما حدثنى الليث بن سعد حرفاً حرفاً؛ وأخبرنى أنه هو حدث به الليث بن سعد، وسألته عن اسم أبيه، فأخبرنى أنه علوان بن داود. وحدثنى محمد بن إسماعيل المرادى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح المصرى، قال: حدثنى الليث، عن علوان بن صالح، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال - ثم ذكر نحوه، ولم يقل فيه: «عن أبيه» «١». أقول:

وفى هذا الخبر مطالب مهمّة.

الأول: إنه قد ولى أبو بكر عمر بن الخطاب الأمر من بعده، بلا نص من الله ورسوله - صلى الله عليه وآله - فى ذلك. والثانى: إنه ولاء بلا مشورة من المسلمين.

والثالث: إن كبار الصحابة لم يكونوا راضين بتولية عمر، وأنهم قد اعترضوا على ذلك، ممّا يدل على عدم أهليّته للخلافة عندهم. والرابع: إن أبا بكر قد ذمّ كبار الأصحاب، وجعلهم طلاب الدنيا وزخارفها وزبارجها. والخامس: دلالة الخبر على جهل أبى بكر بالأحكام الشرعيّة والفرائض الإلهيّة. والسادس: إقراره على قيامه ببعض الأمور الدالّة على عدم أهليّته للخلافة،

(١) تاريخ الطبرى ٢ / ٦١٩ - ٦٢٠.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩
بكلّ وضوح.

وسياأتى التوضيح لبعض هذه القضايا فى موضع آخر إن شاء الله.
ومن رواة الخبر أيضاً:

سعيد بن منصور: وقال إنه حسن «١».

وأبو عبيد القاسم بن سلام «٢» وعن طريقه أخرج الحاكم.

وابن قتيبة «٣» وابن عساكر

وخيثمة بن سليمان الطرابلسى «٤» والحاكم النيسابورى «٥» وابن عبد ربّه «٦» والمسعودى «٧» وأبو بكر الباقلانى «٨» وجار الله الزمخشري «٩»

(١) انظر: كنز العمال ٥ / ٦٣٣ رقم ١٤١١٣.

(٢) كتاب الأموال ١٧٤ رقم ٣٥٣، وقد حرّف اللفظ فوضع بدل «وددت أنى لم أكشف بيت فاطمة» جملة «وددت أنى لم أكن فعلت كذا وكذا».

(٣) الإمامة والسياسة ١ / ٣٦.

(٤) كنز العمال ٥ / ٦٣٣.

(٥) المستدرک ٣٤٣ / ٤.

(٦) العقد الفريد ٩٣ / ٤.

(٧) مروج الذهب ٣١٧ / ٢.

(٨) إعجاز القرآن: ١٣٨.

(٩) الفائق في غريب الحديث ٨٩ / ١، أساس البلاغة: ٦٧٣، «ورم».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠

وابن الأثير الجزري «١» وابن منظور «٢» وهؤلاء كلهم أئمة كبار عند القوم كما بتراجمهم في الكتب، وهم لا يكذبون على أبي بكر، خاصة مثل هذا الحديث، ومع ذلك، فقد رأيت كيف يتأكد الطبري من السند ويؤكد عليه؟

لكن بعض المتأخرين يحاول التشكيك في صحة السند من جهة «علوان بن داود» بلا حجة أصلاً، وقد ذكره ابن أبي حاتم بعنوان «علوان بن إسماعيل» فقال: «روى عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف. روى عنه: الليث وأبو صالح وابن عفير. سمعت أبي يقول ذلك» «٣».

وأورده ابن حبان في الثقات «٤».

المورد الخامس: قال قدس سره: وقال عند احتضاره: ليت أُمِّي لم تلدني. يا ليتني كنت تبنه في لُبْنه ... ص: ١٠

الشرح:

قال ابن تيمية: «والجواب: إن تكلمه بهذا عند الموت غير معروف بل هو باطل بلا ريب، بل الثابت عنه أنه لما احتضر وتمثلت عنده عائشة بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ

(١) النهاية في غريب الحديث ٧٧ / ١.

(٢) لسان العرب ١٥ / ٩ و ١٢ / ٦٣٤.

(٣) الجرح والتعديل ٣٨ - ٣٩ / ٧.

(٤) كتاب الثقات ٨ / ٥٢٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١

ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ» «١».

ولكن نقل عنه أنه قال في صحته: ليت أُمِّي لم تلدني، ونحو هذا.

قاله خوفاً- إن صحَّ النقل عنه- ومثل هذا الكلام منقول عن جماعة أنهم قالوه خوفاً وهيبه من أهوال القيامة» ثم نقل كلاماً عن أبي ذر وعن عبد الله بن مسعود، ثم قال:

«والكلام في مثل هذا الكلام هل هو مشروع أو لا؟ له موضع آخر» «... ٢».

أقول:

أولاً: كيف يقول بطلان هذا الكلام ثم يقول: ولكن نقل عنه؟ ... وهل كان البحث حول أنه قاله عند احتضاره أو في صحته؟

وثانياً: إنه لم يتكلم على الحديث الذي استشهد به العلامة، بل أقر الاستشهاد بنقل الخبر الثابت عنه المشتمل على الآية المباركة

المفيدة لنفس ذلك المعنى، فيتّم استدلال العلامة رحمه الله.

وثالثاً: لقد فرّ من البحث عن دلاله هذا الكلام ومشروعيته من مثل أبي بكر الخليفة - بزعمهم - لرسول الله صلى الله عليه وآله! وأما صدور مثله عن سائر الناس، فلا ينقض استدلال العلامة وغيره من أصحابنا كما هو واضح.

المورد السادس: قال قدس سره: وقال أبو بكر: ليتني في ظلّ بني ساعدة ضربت يدي على يد أحد الرجلين ... ص: ١١

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) منهاج السنّة ٥ / ٤٨٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢

الشرح: أقول:

دلّلته على عدم صلوحه عند نفسه لها - لا سيما مع قوله: «وددت أني سألت رسول الله: هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟» وقوله: «وليتكم ولست بخيركم» واضحة تماماً.

وابن تيمية بالرغم من تكذيبه الخبر سابقاً بصراحته، اكتفى هنا بالتشكيك فقال:

«إن هذا إن كان قاله، فهو أدلّ دليل على أنّ علياً لم يكن هو الإمام، وذلك أن قائل هذا إنما يقوله خوفاً من الله أن يضيّع حق الولاية، وأنه إذا ولي غيره وكان وزيراً له كان أبرأ للذمّة. فلو كان على هو الإمام لكانت توليته لأحد الرجلين إضاعةً للإمامة أيضاً، وكان يكون وزيراً لظالم غيره، وكان قد باع آخرته بدنياه غيره. وهذا لا يفعله من يخاف الله ويطلب براءة ذمته» (١).

لكن التشكيك أيضاً باطل، فقد عرفت أن رواة الخبر هم كبار الأئمة عندهم، وأنه من الأخبار المعروفة والمشهورة بينهم. وما ذكره ابن تيمية في الجواب، متّخذ من القاضي المعتزلي عبد الجبار بن أحمد، فقد ذكر أن تميمه أن يبائع لم يكن ذمّاً، لأن من اشتدّ التكليف عليه فهو يتمنى خلافه (٢).

ولكن هذا الكلام من جملة تناقضات أبي بكر، الدالّة - في الأقل - على شكّه في صلوحه للإمامة والولاية، لأنه قد طلبها في السقيفة واستدلّ بما دفع الأنصار عنها، ثم لما خطب اعترف قائلاً: «لست بخيركم» ثم زعم: «إن الذي رأيتم مني لم يكن حرصاً على ولايتكم ولكنني خفت الفتنة والاختلاف» ومعنى ذلك: أن قيامه بالأمر في ذلك

(١) منهاج السنّة ٥ / ٤٨٥.

(٢) المغني في الامامة ج ٢٠ ق ١ ص ٣٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣

الوقت، كان من أجل دفع الفتنة فكان تكليفاً، فلماذا استمرّ وبقي - مع علمه بعدم أهليته ووجود من هو خير منه - حتى يتمنى في آخر عمره الخروج عن التكليف؟

على أنه لو كان صادقاً، فلماذا عهد بالأمر لمن بعده، مع شدّة مخالفه كبار الصحابة، وحتى ذكرّوه بالله والآخرة؟

لقد كان على أبي بكر لو كان قال هذا الكلام خوفاً من الله أن يضيّع حق الولاية - كما يزعم ابن تيمية - أن لا يتصدّى الأمر أوّل يوم من ولايته، ولا يعهد به في آخر يوم من عمره.

لقد ضيّع الرجل حق الولاية حقّاً، ولم يبق له شيئاً في الآخرة حتى يبيعه بدنياه غيره!!

المورد السابع: قال قدس سره: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته مرة بعد أخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة. وكان الثلاثة معه ... ص: ١٣

الشرح:

قد تقدّم بعض الكلام على هذا المورد سابقاً...

وإن بعث أسامة بن زيد من ضروريات التاريخ، وكذا تأكيد النبي صلى الله عليه وآله عليه، وكذا كون الثلاثة فيه، ولذا كان هذا الموضوع من أشدّ المواضع إشكالاً وأكثرها أهميّة، وما زال القوم في اضطراب وحيرة في حلّ المشكلة ورفع الإشكال. وقد ذكر علماؤنا الإشكال من جهات.

فانبرى علماء القوم للدفاع عن أبي بكر وغيره، وبذلوا قصارى جهودهم في سبيل ذلك، وقد وجدت المعتزلة أكثر اهتماماً بالمسألة من الأشاعرة، إذ رأيت أن صاحبى المواقف والمقاصد لا يتعرّضان لها أصلاً، وقد يشهد ذلك بعدم اقتناعهم بما شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٤

قيل في مقام الدفاع عن أبي بكر! وكيف كان، فإن الأصل في ذلك هم المعتزلة، وقد ذكروا وجوهاً عديدة:

أحدها: إن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة، وحكى عن أبي على الجبائي الاستدلال لذلك بأن النبي ولّاه الصلاة في مرضه.

والثاني: إن الأمر لا يلزم الفور، فلا يلزم من تأخر أبي بكر عن النفوذ أن يكون عاصياً.

والثالث: إن الأمر بإنفاذ جيش أسامة لا بدّ وأن يكون مشروطاً بالمصلحة، وبأن لا يعرض ما هو أهمّ منه، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ وإن أعقب ضرراً في الدين.

والرابع: إن الرسول صلى الله عليه وآله إنما يأمر بما يتعلّق بمصالح الدنيا من الحروب وغيرها عن اجتهاده، وليس بواجب أن يكون ذلك عن وحي «... ١».

وأمثال ذلك من الوجوه التي هي في الواقع معاذير.

والعمدة هو الوجه الأول.

ومن هنا، فقد اهتمّ به ابن تيمية كثيراً، وجعل يكرر الإنكار مراراً ويكذب بالخبر تكراراً، من ذلك قوله- في هذا الموضوع -: «والجواب: إن هذا من الكذب المتفق على أنه كذب عند كلّ من يعرف السيرة، ولم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر أو عثمان في جيش أسامة، وإنما روى ذلك في عمر. وكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة وقد استخلفه يصلى بالمسلمين مدّة مرضه» «... ٢».

فهو لا يكذب فقط، بل يدعى إجماع علماء النقل، ويقول بأنه من الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث ... وهكذا الكلمات الأخرى.

(١) المغنى في الإمامة ج ٢٠ ق ١ ص ٣٤٦-٣٤٩.

(٢) هذا كلامه هنا ج ٥ ص ٤٨٦، وانظر: ٢٧٦/٤، ٤٩١/٥، ٣٢٠/٦، ٢٩٢/٨، ٢٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٥

أقول:

إن هذه القضية مهمّة جدّاً، فإنه إذا كان أبو بكر في جيش أسامة، فإن الإشكال يثبت، وإمامته بعد رسول الله تسقط، لما تقدّم من وجوه الإشكال، ويسقط أيضاً استدلالهم بما روه من أمر النبي صلى الله عليه وآله بالصلاة في مكانه، لوضوح كذب تلك الأحاديث كلّها، فلا مناص لهم من إنكار كونه في جيش أسامة، حتى يتخلّصوا من الإشكال، وليتمكّنوا من الاستدلال بحديث الصلاة، على ما

سيأتي توضيحه قريباً.

فالقضية مهمة جداً...

أما ابن تيمية، فقد تعود إنكار الحقائق ونفى الثوابت... وقد رأينا كيف يصّر على التكذيب ويدّعي الإجماع عليه!!... إلا أنها جرأة عظيمة لا يقدم عليها من يخاف الله والدار الآخرة والحساب على ما يلفظ من قول أو يكتب من كتاب! ولذا نرى كلمات القوم مختلفة!

فمنهم: من يلتجأ إلى الإنكار لكن بلا إصرار، كابن كثير، فجاءت كلمته أهون من كلام شيخه، فإنه يقول: «وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب. ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتدّ به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي، فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين؟ ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم، فقد استثناءه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام» (١).

(١) السيرة النبوية ٤ / ٤٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٦

فهو لا يقول «كذب» فضلاً عن أن يدّعي الإجماع، وإنما يقول: «غلط» ودليله هو «الصلاة»، ثم على فرض كونه في الجيش يجيب عن الإشكال بوجه سيأتي الكلام عليه.

ومنهم: من يختلف كلامه، كالذهبي، فإنه قال في سيره: «استعمله النبي صلى الله عليه وسلم لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار، فلم يسر حتى توفي رسول الله» (١).

أما في تاريخ الإسلام، فقد نصّ على وجود أبي بكر كما سيأتي.

وكابن حجر العسقلاني، فقد أجمل الكلام في الإصابة إذ قال: «وكان أمره على جيش عظيم، فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه» (٢).

أما في تهذيب التهذيب، فقد نصّ على وجود أبي بكر كما سيأتي.

ومنهم: من ترجم لأسامة ولم يتعرّض لقضية بعثه أصلاً، كابن عبد البر! (٣) ومنهم: من يتعرّض للبعث لا بصورة مستقلة، بل في سياق روايات، كأبي الربيع الكلاعي الأندلسي حيث يقول: «وعن عروة بن الزبير وغيره من العلماء: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطن الناس في بعث أسامة بن زيد وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة أمر غلاماً حدثاً على جلّة المهاجرين والأنصار. فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلت في إمارته، لقد قلت في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وأن كان أبوه لخليق بها. ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكمش الناس في جهازهم.

واستعزّ برسول الله وجعه، فخرج أسامة وخرج جيشه معه، حتى نزلوا الجرف

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٩٧.

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ١ / ٢٠٢.

(٣) الاستيعاب ١ / ٧٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٧

من المدينة على فرسخ، فضرِب به عسكره وتنام إليه الناس.

وثقل رسول الله فأقام أسامه والناس، لينظروا ما الله قاض في رسوله عليه السلام» (١).

ومنهم من يذكر البعض وأن فيهم عمر بن الخطاب، فلا يذكر أبا بكر ولا ينفى...

كابن الأثير فإنه قال: «أما أسامه، فإن النبي استعمله على جيش، وأمره أن يسير إلى الشام أيضاً، وفيهم عمر بن الخطاب، فلما اشتد المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم، أوصى أن يسير جيش أسامه» (... ٢).

لكن وجود أبي بكر في جيش أسامه من القضايا الثابتة التي لا تقبل الجدل أبداً، وقد روى ذلك كبار المؤرخين والمحدثين من أهل السنة:

كالبلاذري (٣) والواقدي وابن سعد وابن إسحاق وابن الجوزي وابن عساكر، كما نقل عنهم الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (٤). وابن سيد الناس (٥).

والذهبي، قال: «استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش فيه أبو بكر وعمر، فلم ينفذ حتى توفي النبي» (... ٦).

والمزني، حيث قال: «استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش فيه أبو بكر وعمر» (... ٧).

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ٣٨ / ٢.

(٢) أسد الغابة ١ / ٦٦.

(٣) أنساب الأشراف ١ / ٤٧٤.

(٤) فتح الباري في شرح البخاري ٨ / ١٥٢.

(٥) عيون الأثر ٢ / ٣٥٢.

(٦) تاريخ الإسلام. المغازي: ٣٤٠.

(٧) تهذيب الكمال ٢ / ٣٤٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٨

وابن حجر العسقلاني، إذ قال: «استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش فيه أبو بكر وعمر» (... ١).

والصالحى الدمشقى، قال ...: «فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة. منهم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص» (... ٢).

وابن الأثير الجزري في تاريخه (٣).

ونور الدين الحلبي في سيرته (٤).

فتلخص: أن أبا بكر كان في جيش أسامه كعمر بن الخطاب- الذي اعترف بوجوده ابن تيمية كغيره- وأنه لا- فائدة في المكابرة والإنكار، ولذا نرى أن صاحب التحفة الإثنا عشرية لا يقلد ابن تيمية في هذه القضية، بل يقلد تلميذه ابن كثير في دعوى الاستثناء، فيدعن بوجوده في الجيش إلا أن أمره بالخروج قد نسخ بنصبه للإمامة (٥).

ولكن الإنكار كان خيراً له من هذا الوجه، لأن تلك الصلاة التي يزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر بأن يصلي بالناس في مكانه، إن كانت صلاة واحدة، فقد ثبت في صحاحهم أنه صلى الله عليه وآله قد خرج بين رجلين، وصلى تلك الصلاة بنفسه، فاضطروا إلى دعوى أنه صلى في مكان النبي أياماً، لكنه كان يأمر بإنفاذ جيش أسامه إلى آخر ساعة من حياته، فكيف يتقدم الناسخ على المنسوخ؟ بل الأمر بالعكس،

- (١) تهذيب التهذيب ١/ ١٨٢ ترجمة أسامة.
 - (٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦/ ٢٤٨.
 - (٣) الكامل في التاريخ ٣/ ٣١٧.
 - (٤) السيرة الحلبية ٣/ ٢٢٧.
 - (٥) التحفة الإثنا عشرية: ٢٦٥، ومختصر التحفة: ٢٧٢.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩
- فلو كان قد أمره بالصلاة فقد نسخ بأمره بالخروج مع أسامة.
- لكن الحق أن صلاة أبي بكر لم تكن بأمر من النبي صلى الله عليه وآله مطلقاً كما سيأتى! وقد حققنا ذلك في رسالته مفردة أيضاً.
- والحمد لله.
- وأما سائر المعاذير التي ذكرها القاضي عبد الجبار وغيره، فهي أوهن من بيت العنكبوت، ولا تليق للبحث والنظر، ولعله من هنا جاء في التحفة الإثنا عشرية بعد ذكره بعض التعليلات: «فالإمام لو خالف أمراً واحداً فلا ضير. فتدبر».
- هذا، ولنا رسالته مستقلة في قضية بعث أسامة، نسأل الله التوفيق لإتمامها ونشرها.

المورد الثامن: قال قدس سره: وأيضاً: لم يولّ أبا بكر عملاً ألبته في وقته ... ولما أنفذه بسورة براءة ردّه ... ص: ١٩

الشرح:

هذا من جملة ما يذكره أصحابنا في مقام نفى أهلية أبي بكر للإمامة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إنهم يقولون بأنه قد ولى من هو أدنى من أبي بكر منزلةً - بزعمهم - لأمر مختلف، كقيادة الجيش، وتعليم الناس وأمثال ذلك، فلو كان أشجع ممن ولاه قيادة الجيش، أو كان أفقه ممن أمره بتعليم الناس القرآن والحلال والحرام والسنن وأمثال ذلك، فلماذا لم يولّه رسول الله شيئاً من هذه الوظائف؟

بل الأمر بالعكس، فقد ثبت - قريباً - أنه كان في جيش أسامة مع عمر وغيره من أعيان الصحابة، وأسامة لم يبلغ العشرين من عمره، فإذا كان أسامة أصح وأليق عند الله ورسوله في تلك الإمارة من أبي بكر، فكيف يصلح أبو بكر لأن يكون أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين؟

نعم، أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر بسورة براءة، لكنّه ردّه بعد ثلاثة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠

أيام بوحى من الله تعالى، فمن لا يرتضيه الله ورسوله لإبلاغ عشر آيات من القرآن لأهل مكة، كيف يصلح لأن يكون مبلغ القرآن كله والأحكام جميعها إلى المسلمين كافة إلى يوم القيامة؟

هذا ما يقوله علماؤنا بالنظر إلى روايات أهل السنة، وهذه نصوص عدّة منها من أشهر كتبهم وبالأسانيد الموثوق بها:

١- أخرج أحمد بإسناده عن أبي بكر: «إن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه براءة لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فأجله إلى مدته والله برىء من المشركين ورسوله.

قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي: إحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت. ففعل.

فلما قدم على النبي أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله، حدث فيّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني» (١).

٢- أخرج أحمد بإسناده عن علي عليه السلام قال: «لَمَّا نَزَلَتْ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةِ عَلَى النَّبِيِّ، دَعَا النَّبِيَّ أَبَا بَكْرٍ فَبِعْثَهُ بِهَا لِيَقْرَأَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ دَعَانِي النَّبِيُّ فَقَالَ لِي: أَدْرِكْ أَبَا بَكْرٍ، فحِثْمًا لِحَقَّتْهُ فَخَذَ الْكِتَابَ مِنْهُ، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَاقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَلَحَقَتْهُ بِالْجَحْفَةِ فَأَخَذَتِ الْكِتَابَ مِنْهُ.

ورجع أبو بكر إلى النبي، فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» (٢).

٣- أخرج أحمد بإسناده عن أنس: «إن رسول الله بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل

(١) مسند أحمد ٣/ ١.

(٢) مسند أحمد ١/ ١٥١، الخصائص: ٩١، المستدرک ٣/ ٥١، تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٦-٣٤٧، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣/ ٢٠٩. شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢١ مكية. قال: ثم دعاه فبعث بها علياً» (١).

٤- أخرج الترمذي عن زيد بن شبيب قال: «سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا» (٢).

٥- أخرج الحاكم بإسناده عن ابن عمر في حديث قال: «إن رسول الله بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلى أهل مكة. فانطلقا فإذا هما براكب، فقالا: من هذا؟ قال: أنا علي يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ علي الكتاب فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة.

فقالا: ما لنا يا رسول الله؟

قال: ما لكما إلا خير، ولكن قيل لي: لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك» (٣).

فهذا ما يقوله علماؤنا ... فماذا يقول المدافعون عن أبي بكر - معترلة وأشاعرة - في الجواب؟

أجاب القاضي عبد الجبار: إنه لو سلم، إنه لم يولّه حاجته إليه بحضرته، وإن ذلك رفعة له، ولو كان للعمل على تركه فضل، لكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما أفضل من أكابر الصحابة لأنه ولّاهما.

ثم ادّعى أن ولاية أبي بكر على الموسم والحج قد ثبتت بلا خلاف، ولم يصح أنه عزله. ولا يدلّ رجوعه إلى النبي مستفهماً على العزل.

(١) مسند أحمد ٣/ ٢٨٣، وكذا الحديث عن أنس عند الترمذي في السنن ٤/ ٣٣٩، الخصائص: ٩١، البداية والنهاية ٥/ ٤٦، إرشاد الساري ٧/ ١٣٦ روح المعاني ٣/ ٢٦٨.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٠.

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣/ ٥١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٢

وحكى عن أبي علي في أخذ سورة البراءة منه: إن من عادة العرب أن سيّداً من سادات قبائلهم، إذا عقد عقد القوم، فإن ذلك العقد لا ينحلّ إلا أن يحلّه هو أو بعض سادات قومه ...

ثم ادّعى أنه قد ولّاه الصلاة في حال مرضه، وذلك أشرف الولايات (١).

وقال ابن تيمية: «والجواب: هذا من أبين الكذب، فإنه من المعلوم المتواتر عند أهل التفسير والمغازي والسير والحديث والفقه وغيرهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ... وفيها أمر أبا بكر بالمناداة في الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ولم يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر على مثل هذه الولاية. فولاية أبي بكر كانت من خصائصه ... ولم يستخلف على الصلاة أحداً كاستخلاف أبي بكر ...»

وأما قول الرافضي: إنه لما أنفذه براءة رده ... فهذا من الكذب المعلوم أنه كذب.

فإن النبي لما أمر أبا بكر على الحج ذهب كما أمره، وأقام الحج في ذلك العام، عام تسع للناس، ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج ...

وكان بين النبي والمشركون عهود مطلقة ... قالوا: وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته، فبعث علياً لأجل فسخ العهود «... ٢».

وقال في شرح المواقف: «قلنا: لا نسلم أنه لم يولّه شيئاً، بل أمره على الحجيج سنة تسع من الهجرة بعد فتح مكة في رمضان سنة ثمان. وأمره بالصلاة بالناس في مرضه الذي توفي فيه. وإنما أتبعه علياً في تلك السنة بعد خروجه من المدينة، لأن عادة العرب في أخذ العهود ونبذها أن يتولاه الرجل بنفسه أو أحد من بنى عمه، ولم يعزله

(١) المغنى في الامامة ج ٢٠ ق ١ ص ٣٥٠-٣٥١، ملخصاً.

(٢) منهاج السنة ٤/٤٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣

عما ولّاه من أمر الحجيج. قولهم: عزله عن الصلاة، كذب، وما نقلوه فيه مختلق «... ١».

وقال ابن روزبهان- في جواب العلامة- إنه تولّى الحج في سنة تسع من الهجرة.

وأما بعث على بقراءة سورة براءة ونبذ العهود ...

ثم جعل يسبّ العلامة ويشتمه كما يفعل السوقة «٢».

أقول:

فأنت ترى أنهم عيال على القاضي المعتزلي، فما قالوه متخذ منه حتى في بعض الألفاظ، فهم لا يذكرون إلا أماره الحج وقضية الصلاة.

ومعنى ذلك أنه إذا تبين واقع الحال في القضيتين، فهم مضطرون إلى التسليم بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يولّه شيئاً ... فنقول:

أمّا قضية إبلاغ سورة براءة، فيقول القوم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر إلى مكة أميراً للحاج، وأمره أن يقرأ الآيات من سورة البراءة على المشركين في الموسم، فلما خرج أبو بكر بدا لرسول الله في أمر تبليغ الآيات، فبعث علياً لتبليغها، وبقيت أماره الحج لأبي بكر، فيكون قد ولّاه صلى الله عليه وآله شيئاً من الأمور في حياته ...

قالوا: وإنما أتبع النبي علياً أبا بكر ليأخذ منه الآيات فيبلغها، لأن الآيات كانت مشتملة على نبذ العهود التي كانت بينه وبينه صلى الله عليه وآله وبين المشركين، ومن عادة العرب في أخذ العهود ونبذها أن يتولاه الرجل بنفسه أو أحد من بنى عمه.

فكلامهم يشتمل على أمور ثلاثة:

الأول: الإقرار بأن علياً عليه السلام هو الذي أبلغ الآيات، بعد أن كان المأمور بتبليغها أبو بكر.

(١) شرح المواقف ٨/٣٥٦.

(٢) انظر: دلائل الصدق ٣/٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤

والثاني: دعوى أن أبا بكر دخل مكة، وكانت إماره الحاج في تلك السنة معه.

والثالث: السبب في تبليغ على الآيات دون أبي بكر.

فنقول:

أما الإقرار ببعث أمير المؤمنين خلف أبي بكر وأخذه الآيات منه ... فلم يكن لهم مناص منه ...

وأما الدعوى بأن النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر على الحجيج ولم يعزله عمّا ولاه، فليس لها شاهد في الأحاديث المذكورة ونحوها، بل كلّ ما هنالك أنه: بعثه «ببراءة لأهل مكة» ثم بيّن البراءة في الحديث الأول بقوله: «بعثه ببراءة لأهل مكة»

لا يحج». ... ويفيد الحديث الثاني أن هذه الأمور هي مفاد «عشر آيات في سورة براءة ...»

وذلك ما أخذه منه على عليه السلام وبلغه ... كما هو مفاد الأحاديث الأول والثاني والرابع ... فأين إماره الحج؟

ثم إن هذه الأحاديث وغيرها صريحة في أن عليّاً لحق أبا بكر - أو أبا بكر وعمر كما في بعض الأحاديث - في الطريق، وردّ أبا بكر من حيث أدركه، وفي بعضها أنه لحقه «بالجحفه» ... ورجع أبو بكر إلى المدينة ... فأين أماره الحج؟

إنه لم يكن في الواقع إلا أنه صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر بإبلاغ أهل مكة: «أن لا يطوف بالبيت عريان» ... وهي مفاد الآيات من سورة البراءة، ثم أمر عليّاً عليه السلام أن يدركه في بعض الطريق فيأخذ منه الكتاب ويبلغه أهل مكة بنفسه ويرجع أبو بكر إلى المدينة ...

أما أن السبب في ذلك ... فليس في الأحاديث إلا أن النبي صلى الله عليه وآله نزل عليه جبرائيل فقال: «لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك» كما هو نصّ الحديث الثاني وغيره ...

فقولهم: «لأن عادة العرب» ... لا دليل عليه، بل في الأحاديث قرائن عديدة على أن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٥

السبب ليس ما ذكره، ومنها:

أولاً: إنه لو كان عادة العرب في ذلك ما ذكر، فلماذا خالفها النبي صلى الله عليه وآله بإرسال أبي بكر؟ أكان جاهلاً بتلك العادة، أم كان عالماً بها فخالفها عمداً تساهلاً بتنفيذ حكم الله عز وجل؟

وثانياً: لو كان السبب ذلك، فلماذا جاء أبو بكر يبكي مخافة أن يكون قد نزل فيه شيء؟ أكان جاهلاً بتلك العادة أم ماذا؟

فتلخص: إنه لم يكن بعث أبي بكر لإماره الحج، وإنما لإبلاغ البراءة، والنبي أرسل عليّاً عليه السلام خلفه بأمر من الله، ليأخذ ذلك منه، فيكون قائماً مقام النبي صلى الله عليه وآله في أداء تلك الوظيفة ... فيظهر أنه الصالح لذلك ...

ولذا كانت هذه القضية خصيصة من خصائصه الدالة على إمامته وخلافته، ولذا روى عن بعض أكابر الصحابة أنهم كانوا يتمنون أن تكون لهم هذه المنقبة العظيمة والخصيصة الرفيعة، فهذا سعد بن أبي وقاص ... قال الحارث بن مالك:

«خرجت إلى مكة، فلقيت سعد بن مالك فقلت له: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال:

شهدت له أربعاً لأن يكون لي إحداهن أحبّ إليّ من الدنيا، أعمر فيها ما عمّر نوح: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة من مشركي قريش، فسار بها يوماً وليلاً ثم قال لعلي: إلحق أبا بكر فخذها منه فبلغها وردّ عليّ أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال:

يا رسول الله هل نزل فيّ شيء؟ ...» ١.

وأيضاً: فقد وردت هذه القضية في حديث المناقب العشر التي اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام، المروي عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، والذي قال الأئمة: وهذا الحديث من أصح الأحاديث وأثبتها، ونصّ غير واحد منهم كالحافظ

(١) كنز العمال ٢/ ٤١٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٦

أبي العباس الطبري على كون ما جاء فيه من المناقب خصائص لأمير المؤمنين لا يشاركه فيها أحد من الصحابة ... وقد تقدّم الكلام عليه بالتفصيل سابقاً. فراجع.

المورد التاسع: قال قدس سره: وقطع يسار سارق ... ص: ٢٦

الشرح:

إن حكم القطع من أوليات الأحكام في الشريعة، يعلم به أدنى الطلبة، فإن كان أبو بكر عالمًا به فخالف الحكم الشرعي، فهذا ظلم وفسق، وإن كان جاهلاً به، فكيف يتصدى الإمامة وهو جاهل بأبسط الأحكام الشرعية؟
لقد تقرّر عند القوم القائلين بثبوت الإمامة بالبيعة، ضرورة اتصاف الإمام بالعدالة والعلم، وهذه القضية تدلّ على انتفاء شرط الإمامة في أبي بكر. فما هو الجواب؟

لقد اختلفوا في الجواب واضطربوا، فذكروا وجوهاً هي في الأغلب «لعلّ» و «يمكن»:

قال في شرح المواقف: «وأما قطع اليسار، فلعله من غلط الجلّاد، أو رآه في المرّة الثالثة من السرقة، وهو رأى الأكثر من العلماء» (١).
وقال في الصواعق: «وأما قطعه يسار السارق، فيحتمل أنه خطأ من الجلّاد، ويحتمل أنه لسرقة ثالثة، ومن أين لهم أنه للسرقة الأولى وأنه قال للجلّاد: إقطع يساره؟

وعلى التنزل، فالآية شاملة لما فعله، فيحتمل أنه كان يرى بقاءها على إطلاقها، وإن قطعه صلى الله عليه وسلم اليمين في الأولى ليس على الحتم، بل الإمام مخير في ذلك.
وعلى فرض الإجماع في المسألة، فيحتمل أنهم أجمعوا على ذلك بعده، بناءً على انعقاد الإجماع في مثل ذلك، وفيه خلاف محله كتب الأصول. وقراءة أيماهما يحتمل

(١) شرح المواقف ٨/ ٣٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧

أنها لم تبلغه.

فعلى كلّ تقدير، لا يتوجّه عليه في ذلك عتب ولا اعتراض بوجه من الوجوه» (١).

أقول:

إن أوّل شيء في هذه الكلمات هو الإقرار بوقوع الحادثة، وأنها قضية مخالفة للكتاب والسنة، ثم محاولة الجواب بالإحتمالات التي لا يصغى إليها، لعدم ابتنائها على شواهد وقرائن، وبعضها سخيّف جداً كما لا يخفى.
فإنما الإعراض عن هذه التوجيهات الباردة والاعتراف بالحقيقة، وإما إنكار أصل القضية صوناً لماء وجه الخليفة وحفظاً لمذهب أهل السنة القائلين بإمامته!

أما الإنكار، فلا يجزأ عليه إلا مثل ابن تيمية! ...

وأما الاعتراف بالحقيقة، فقد وجدناه من بعض أصحاب الحواشي في الكتب العقائدية، فإنه قال: «وقد قطع يسار السارق وهو خلاف الشرع. والظاهر أن القضاء بغير علم ذنب وما كان هو معصوماً» (٢).

وسواء اعترفوا أولاً، فإن هذا الطعن وارد، والمورد من الموارد الدالة على عدم أهلية أبي بكر للإمامة، على أصول أهل السنة.

المورد العاشر: قال قدس سره: وأحرق الفجاءة السلمي بالنار ... ص: ٢٧

الشرح:

وهذا مورد آخر من موارد ظلم أبي بكر أو جهله، فهو على كل حال غير صالح للإمامة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) الصواعق المحرقة ١ / ٨٨.

(٢) تعليقه على شرح الخطابي للعقائد النسفية، لإسماعيل القرمانى المعروف بقره كمال، المتوفى سنة ٩٢٠. توجد ترجمته في معجم المؤلفين ٢ / ٢٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٨

أما القضية، فثابتة يقيناً، فإنها من جملة الأمور التي تمنى أبو بكر عدم فعلها، وقد ذكرنا الخبر عن تاريخ الطبري وغيره من مصادر القوم المعتمدة (١)، فلا سبيل للمناقشة في ثبوت القضية (٢)، بل حتى ابن تيمية لم يتكلم في هذه الجهة وسنذكر عبارته، مضافاً إلى أنه يدل على مخالفة أبي بكر لحكم الله في الواقعة، وإلا لما تأسف على ما فعل وتمنى أن لو سأل! وإذا كان الخبر ثابتاً، وأبو بكر بالمخالفة معترفاً، فأى فائدة للتأويلات والتوجيهات التي تصدر من أتباعه عادة؟ ولعله من هنا لم يذكر ابن تيمية لما فعله أبو بكر تأويلاً، وإنما اكتفى في مقام الدفاع عنه بالجواب النقضى الذى يزعمونه من فعل أمير المؤمنين، وسيأتى. وأما التوجيهات:

ففى شرح المواقف: «إحراق فجاءة إنما كان باجتهاده، وعدم قبول توبته لأنه زنديق، ولا تقبل توبته الزنديق فى الأصح» (٣). وفى الصواعق المحرقة: «وإذا ثبت أنه مجتهد فلا عتب عليه فى التحريق، لأن ذلك الرجل كان زنديقاً، وفى قبول توبته خلاف، وأما النهى عن التحريق، فيحتمل أنه لم يبلغه وتأوله على غير نحو الزنديق» (٤). لكن لا تعرض فى شرح المواقف لنهى النبى صلى الله عليه وآله عن الإحراق، كما فى صحيح البخارى (٥).

(١)

واعترف بإحراق أبي بكر الفجاءة بالخصوص أيضاً الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٦ / ٩٢.

(٢) وقد ذكر ابن عبد البر اسم الرجل ومجمل القضية بترجمة طريفة بن حاجز من الاستيعاب ٢ / ٧٧٦، وكذا الطبري فى التاريخ ٣ / ٢٢٤.

(٣) شرح المواقف ٨ / ٣٥٧.

(٤) الصواعق المحرقة: ٣٢.

(٥) صحيح البخارى ٤ / ٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩

أمّا فى الصواعق، فقد نبيّه على أن اجتهد أبى بكر مخالف للنصّ. فأجاب: باحتمال أنه «لم يبلغه»، لكن هذا قدح فى أبى بكر فاستدركه بأنه يحتمل أنه بلغه لكن «تأوله».

ثم إن هذا كله مبنى على أن يكون الرجل زنديقاً، لكنه لم يكن زنديقاً، وكان يقول:

«أنا مسلم» كما ذكر فى شرح المواقف، بل قيل: إنه كان يلهج بالشهادتين حتى احترق وصار فحمه، وغاية ما هناك أنه قطع الطرق

ونهب أموال المسلمين، كما ذكر المؤرخون كالطبري، ومثله لا يكون زنديقاً...

ولذا عدل بعض المعتزلة المدافعين عن أبي بكر كابن أبي الحديد، إلى التوجيه بأسلوب آخر فقال:

«والجواب: إن الفجاءة جاء إلى أبي بكر كابن أبي الحديد، إلى التوجيه بأسلوب آخر فقال: فلما خرج قطع الطريق ونهب أموال المسلمين وأهل الردّة جميعاً، وقتل كان من وجد - كما فعلت الخوارج حيث خرجت - فلما ظفر به أبو بكر حرّقه بالنار إرهاباً لأمثاله من أهل الفساد ونحوه، وللإمام أن يخصّ النصّ العام بالقياس الجليّ عندنا» (١).

فتراه لم يدع زندقته الرجل، بل ذكر له توجيهاً ثبت في محله بطلانه جداً...

وحيث رأى بعض المتكلمين الأشاعرة سقوط هذا التوجيه كغيره، اضطرّ إلى أن يقول: «إحراقه فجاءة السلمي بالنار من غلظه في اجتهداه، فكهم مثله للمجتهدين» (٢).

لكن الاعتراف بغلط أبي بكر في الاجتهاد لا يبرء ساحته، ولا يكون له عذراً يوم القيامة، مع وجود النص الصريح الصحيح في حرمة التحريق بالنار، فهو قادح في عداله أبي بكر وخلافته.

ولذا اضطرّ بعضهم كالشيخ عبد العزيز الدهلوي في كتاب التحفة

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ / ٢٢٢.

(٢) شرح التجريد للقوشجي: ٣٧٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٠

الإثنا عشرية (١) إلى إنكار أصل القضية، ودعوى أنها من افتراءات الشيعة.

فإنكار أصل القضية يشهد بأن لا- توجيه صحيح لها، لكن الإنكار لا يجدي، فالقضية من المسلّمات، والمصادر الناقلة لها كثيرة ومعتبرة، وإلا لما احتاج الآخرون إلى تلك التوجيهات الفاسدة الباردة...

وفوق ذلك كله ... كلام أبي بكر في آخر حياته ... الدالّ على ثبوت القضية وسقوط كلّ التوجيهات: «وددت أني لم أكن حرّقت الفجاءة السلمي»....

وتلخص: إن الإنكار والتكذيب باطل.

وإن التوجيه بالاجتهاد باطل، لا سيّما وأنه في مقابل النص.

واحتمال عدم بلوغه باطل كذلك، كاحتمال أخذه بالقياس...

بغض النظر عن التناقضات بين هذه الاحتمالات.

والحق هو الاعتراف بالحقيقة ورفع اليد عن المكابرة، فإنها لا تجدي نفعاً.

كدعواهم أن الإحراق قد صدر من أمير المؤمنين على عليه السلام أيضاً، وهذا ما ذكره ابن تيمية في مقام الجواب إذ قال:

«والجواب: إن الإحراق بالنار عن علي أشهر وأظهر منه عن أبي بكر، في الصحيح: إن علياً أتى بقوم زنادقة من غلاة الشيعة فحرّقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرّقهم بالنار، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه. فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن أم الفضل، ما أسقطه على الهنات.

فعليّ أحرق جماعةً بالنار. فإن كان ما فعله أبو بكر منكراً ففعل علي أنكر منه، وإن كان فعل علي مما لا ينكر مثله على الأئمة، فأبو بكر أولى أن لا ينكر عليه» (٢).

(٢) منهاج السنّة ٥ / ٤٩٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣١
أقول:

لكن هذا تعصّب من ابن تيمية أو جهل، لأن من شرط المناقضة والمعارضة كون الخبرين معتبرين، وليس هذا الشرط موجوداً في هذا المقام، لأن خبر إحراق أبي بكر للفجاءة ثابت عند القائلين بإمامته، وتأويلاتهم لما فعله ساقطة، ولذا اعترف بعضهم بالحق والحقيقة، لكن الحديث الذي ذكره هذا الرجل غير مقبول عند القائلين بإمامة علي وعصمته...

على أنه حديث باطل مكذوب من أصله وإن كان في البخاري ونحوه، لأن ابن عباس من تلامذة أمير المؤمنين وأصحابه، وإقدامه على تخطئه أمير المؤمنين عليه السلام كذب عليه مطلقاً.

وأيضاً: ففي هذا الحدث المزعوم أن القوم كانوا زنادقة غلاة، أما الفجاءة، فقد ذكر إسلامه واحتملوا زندقته حملاً لفعل أبي بكر على الصّحة من أجل المحافظة على إمامته وولايته.

وأيضاً: فإن هذا الحديث - الذي يعتمد عليه ابن تيمية ويريد أن ينقض به استدلال الإمامية - يضره، لأن معتمده فيه رواية ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله، لكن هذه الرواية تدلّ على مخالفة أبي بكر للحكم الإلهي والسنّة النبويّة بإحراق الفجاءة. وأما أصحابنا فلا يعتبرون هذا الحديث أصلاً، فلا يعارض به استدلالهم.

المورد الحادي عشر: قال قدس سره: وخفي عليه أكثر أحكام الشريعة فلم يعرف حكم الكلالة ... ص: ٣١

الشرح:

إنما مثل العلامة وغيره بجهل أبي بكر بحكم الكلالة - كمصداق للمورد - من حيث أن لفظ «الكلالة» عربي، يعرف مفهومه كلّ إنسان من أهل اللّغة، وأن حكمه مصرّح به في الكتاب المجيد، يعلم به أقلّ المؤمنين من أهل القرآن والسنّة النبويّة، فما معنى قول

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٢

أبي بكر لما سئل عن حكمها: «أقول فيها برأبي، فإن كان صواباً فمن الله... إلا الجهل؟

قال التفتازاني: «والجواب - بعد التسليم - إن هذا لا يقدح في الإجتهد، فكم مثله للمجتهدين؟» (١).

وكذلك قال القوشجي في شرح التجريد، والمولوي الهندي في التحفة والآلوسي في مختصرها (٢).

فهم - في الحقيقة - يعترفون بجهل أبي بكر ويسمّونه اجتهداً!

لكن ابن تيمية يزعم: «إن هذا من أعظم علمه» (٣).

وهذا عجيب جداً!!

وعلى كلّ حال، فابن تيمية وغيره معترفون بصحّة الخبر، فأى فائدة لتشكيك التفتازاني؟

نعم، لو يمكنهم الإنكار، فإنه أولى من الحمل والتأويل بما لا يليق، لكن أنّي لهم ذلك؟!

المورد الثاني عشر: قال قدس سره: وقضى في الجدّ سبعين قضية ... ص: ٣٢

إشارة

الشرح:

وهذا من موارد جهله بالأحكام الشرعية المبيّنة لعموم أفراد الأمة!

وقد أجاب القاضي العضد بأنه: «غير بدع من المجتهد البحث عن مدارك الأحكام» (٤).
وتبعه غيره كالتفتازاني وشارح التجريد والهندي وغيرهم.

(١) شرح المقاصد ٢/ ٢٩٣.

(٢) مختصر التحفة الإثنا عشرية: ٢٨٠.

(٣) منهاج السنة ٥/ ٥٠١.

(٤) المواقف ٣/ ٥٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣

فهم معترفون بجهله بالحكم واحتياجه إلى غيره في العلم، ولا مناص لهم من الاعتراف، إذ الأحاديث الواردة في ذلك عندهم صحيحة لا يمكن ردّها ولا تأويلها بنحو من الأنحاء.
فهذه بعض موارد جهل الرجل المانع من تصديّه للأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

قال قدس سره: فأى نسبة إلى من قال: سلوني ...؟ ... ص: ٣٣

الشرح:

قول على أمير المؤمنين عليه السلام: سلوني ... من أصحّ الأخبار المتفق عليها بين الفريقين، رواه القوم بترجمته عليه السلام من كتب الرجال وفي مناقبه وفصائله في كتب الحديث والكلام، كابن سعد في الطبقات والحاكم في المستدرک وابن عبد البر في الإستيعاب وغيرهم. وإليك بعض ذلك:

روى المزی بترجمته: «عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول:

سلوني، فوالله لا تسألوني عن شئ إلا أخبرتكم، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل» (١).

ورواه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (٢).

وروى المتقي: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإني لا أسئل عن شئ دون العرش إلا أخبرت عنه. ابن النجار» (٣).

وعلى الجملة، فإنه لا يسع أحداً إنكار هذا الكلام.

هذا، وقد كابر بعض المعتزلة في دلالة هذا الكلام على إحاطته بالعلوم بالفعل،

(١) تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٨٧.

(٢) فتح الباري ٨/ ٤٥٩.

(٣) كنز العمال ١٣/ ١٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٤

بل يدلّ على عظم المحلّ فقط، ثم زعم بعضهم أن قوله: «لو ثنيت لى الوسادة» يدلّ على جواز الحكم بما نسخ، وهذا باطل، وأخذه ابن تيمية في منهاجه (١).

لكن شارح المواقف نصّ على أن «غرضه عليه السلام إحاطة علمه بما في هذه الكتب الأربعة، لا جواز الحكم بما نسخ منها، فلا يتّجه عليه اعتراض أبي هاشم بأن التوراة منسوخة فكيف يجوز الحكم بها؟ ويدلّ على ما ذكرناه قوله: «والله ما من آية نزلت ... ويؤيده أن

أول كلامه مشتمل على الفرض والتقدير، وليس يلزم منه جواز الحكم، كما يشهد به الفطرة السليمة» (٢).
وقد يكون مراده عليه السلام التعريض بمن تقدمه من الجهلة بالأب، والكلالة...
ونحوهما من الأوليات، فيريد أن لو أطاعت الأمة حكم الله ورسوله فيه ومكنته، لانقاد أهل الأديان السابقة واهتدت به إلى الإسلام، فكان تصدى أولئك سبباً لبقائهم على ضلالتهم إلى يوم القيامة.

قال قدس سره: وعن البيهقي في كتابه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أراد أن ينظر إلى آدم ... ص: ٣٤

الشرح:

فمن كان قد اجتمع فيه ما تفرق في الأنبياء عليهم السلام، كيف يتقدم عليه من هو أدنى في العلم بالقرآن والأحكام من أقل الطلبة؟
والحديث المذكور، رواه عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله (٣).

(١) منهاج السنّة ٥ / ٥٠٩.

(٢) شرح المواقف ٨ / ٣٧٠.

(٣) انظر: معجم الأدباء ١٧ / ٢٠٠ بترجمته محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب المعروف بابن المفجّع، الذي نظم هذا الحديث الشريف في قصيدة سمّيت بالأشباه، أوردتها ياقوت الحموي في كتابه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥

وناهيك بهذا السند صحه واعتباراً.

ومن رواته: أحمد بن حنبل، كما عن كتاب (الصحائف في علم الكلام) لشمس الدين السمرقندي.

وأبو حاتم الرازي، فيما رواه العاصمي من طريقه في كتابه (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى) (١).

وابن بطّة العكبري، فيما رواه الحافظ الكنجي من طريقه في كتابه (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب) (٢).

والحاكم النيسابوري في تاريخه، ومن طريقه روى الخوارزمي في كتابه: (مناقب علي بن أبي طالب) (٣).

وأبو بكر ابن مردويه، ومن طريقه رواه الخوارزمي كذلك (٤).

والحاكمي القزويني، وعنه روى الحافظ أبو العباس الطبري في كتابه: (الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة) (٥).

ورواه الملاء الاربلي في سيرته (٦).

وأما رواية البيهقي، فقد وردت في عدة كتب معروفة مثل (مطالب السؤل) و (المناقب للخوارزمي) و (الفصول المهمة) وغيرها.

ثم إننا قد صححنا غير واحد من أسانيد الحديث على ضوء كلمات علماء القوم في الحديث والرجال.

(١) زين الفتى في تفسير سورة هل أتى - مخطوط.

(٢) كفاية الطالب: ١٢١.

(٣) المناقب: ٨٣.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٤٠.

(٥) الرياض النضرة، المجلد الثاني ص ١٩٦.

(٦) وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين ٥ / ١٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٦

وأيضاً، فقد نصّ الحافظ السيوطي وغيره على أن البيهقي لا يروى في مصنفاته حديثاً موضوعاً «١». هذا، وقد بحثنا عن هذا الحديث في مجلد خاص من كتابنا الكبير: (نفحات الأزهار) فراجعته. وعلى الجملة، فإن تكذيب ابن تيمية وغيره لهذا الحديث الشريف «٢» تعصبٌ بحت.

قال قدس سره: قال أبو عمر الزاهد قال أبو العباس ثعلب: لا نعلم أحداً قال بعد نبينا سلونى، من شئت إلى محمد صلى الله عليه وآله إلا علياً ... ص: ٣٦

الشرح:

أبو عمر الزاهد، تقدّم التعريف به.

أمّا أبو العباس ثعلب فهو استاذہ. قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء:

«العلامة المحدث، إمام النحو ... سمع ... وعنه: نفطويه ... وأبو عمر الزاهد ... قال الخطيب: ثقة حجة دين صالح مشهور بالحفظ ... مات سنة ٢٩١» «٣».

هذا، وقد نقل مثل هذا الكلام عن غير واحد من الأعلام، كسعيد بن المسيب، فإنه قال: «ما كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد يقول سلونى غير على بن أبى طالب» «٤». وسيأتى بعض الكلام عن علم على عليه السلام فيما بعد. فانتظر.

(١) اللآلى المصنوعة ١٢ / ١ كتاب التوحيد.

(٢) منهاج السنّة ٥ / ٥١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥.

(٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٨٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٧

المورد الثالث عشر: قال قدس سره: وأهمل حدود الله، فلم يقتص من خالد بن الوليد ... ص: ٣٧

الشرح:

قد تقدّم الكلام على هذا المورد بالتفصيل. فراجعته.

المورد الرابع عشر: قال قدس سره: وخالف أمر الله تعالى في توريث بنت النبي صلى الله عليه وآله ومنعها فديكاً ... ص: ٣٧

الشرح:

وتقدّم الكلام على هذا المورد أيضاً بالتفصيل. فراجعته.

المورد الخامس عشر: قال قدس سره: وتسمى خليفة رسول الله من غير أن يستخلفه ... ص: ٣٧

الشرح:

وهذا زور وبهتان منه على الله ورسوله، ومن يصدر منه مثله كيف يصلح لأن يكون إماماً للمسلمين؟

وقال العلامة في نهج الحق: «قالوا: إنه سمي نفسه خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب إلى الأطراف بذلك، وهذا كذب صريح على رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه لم يستخلفه، واختلف الناس فيه، فالإمامية قالوا: إنه مات صلى الله عليه وآله عن وصية وأنه استخلف أمير المؤمنين عليه السلام إماماً بعده. وقالت السنة كافة: إنه مات بغير وصية ولم يستخلف أحداً، وأن إمامه أبي بكر لم تثبت بالنص إجماعاً بل ببيعة عمر بن الخطاب وأصحابه، وهم أربعة: عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأسيد بن حضير وسالم مولى أبي حذيفة لا غير. وقال عمر: إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف. وهذا تصريح بعدم استخلاف

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٨

رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً. وقد كان الأولى أن يقال إنه خليفه عمر لأنه هو الذي استخلفه». أقول:

إن «الإمامة» و «الخلافه» متصادقان، وللإمام والخليفه عن رسول الله «الولاية» المطلقة، ولا خلاف بين الفريقين في تعريف الإمامة بعد النبي، قال في شرح المواقف: «الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص» «١». وقال العلامة الحلي: «الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص» «٢». هذا أولاً.

وثانياً: قد تقرّر عند القوم أن الإمامة تثبت بالبيعة والاختيار، كما تثبت بالنص من الله والرسول «٣». وثالثاً: قد نصّ القوم على أن لا نصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله على أبي بكر، وإنما تثبت إمامته باختيار الناس له «٤». وبالنظر إلى ما تقدّم، يرد الإشكال على أبي بكر: أنه لماذا تسمّى خليفه رسول الله، ورسول الله لم يستخلفه؟ بل الأولى أن يقال: إنه خليفه عمر، لأنه هو الذي استخلفه وثبتت إمامته ببيعته، كما نصّ على ذلك غير واحد من أئمتهم. فهذا هو الإشكال، فما هو الجواب؟

أجاب ابن روزبهان بما نصه: «ما أجهل هذا الرجل باللغة، فإن الخليفه فعيله بمعنى الخالف، وخليفه الرجل من يأتي خلفه، ولا يتوقف إطلاق الخليفه المضافة إلى

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٤٥.

(٢) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ٩٣.

(٣) شرح المواقف ٨ / ٣٥١.

(٤) شرح المواقف ٨ / ٣٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٩

شخص باستخلافه إياه، فمعنى خليفه رسول الله: الذي تولّى الخلافة بعده، سواء استخلفه أم لم يستخلفه، فلو سلّمنا أن أبا بكر هو سمي نفسه بهذا الاسم، فإنه لا يكون كذباً لما ذكرنا. ثم لا شك أن علياً خاطبه في أيام خلافته بخليفه رسول الله، ولو كان كذباً لما تكلم به ولا خاطبه به. ولكن للشيعة في أمثال هذه المضائق سعة من التقيّة. والظاهر أن القوم خاطبوه بذلك، ولو أنه سمي نفسه بهذا صح كما ذكرناه فلا طعن» «١» انتهى.

أقول:

وهذا الكلام يشتمل على وجوه:

الأول: التشكيك في أنه سَمِيَ نفسه، بل سَمَاه الناس.

والجواب: إنه كتب إلى الآفاق: من أبي بكر خليفة رسول الله... وهذا ثابت لا مجال لإنكاره، ولذا لم ينكره مثل ابن تيمية.

والثاني: حمل «الخليفة» في محلّ البحث على المعنى اللغوي.

والجواب: إن هذا خروج عن البحث، فإن المراد هو الخلافة بالمعنى الذي توافق الطرفان عليه كما تقدّم. ولذا أشار ابن تيمية إلى أن بعضهم زعم استخلاف النبي أبا بكر كما سذكروه، فما جاء به هذا الأشعري الفارسي ردّاً على العلامة الحلّي جهل أو تجاهل.

والثالث: إن أمير المؤمنين عليه السلام خاطبه بذلك.

والجواب: أوّلًا: أين السند الصحيح المتفق عليه بين الطرفين في أنه خاطبه بخليفة رسول الله؟ وثانيًا: إن كان ذلك فهو محمول على التقيّة كما ذكر.

وبما ذكرنا سقط دفاع ابن تيمية وابن روزبهان عن أبي بكر.

وكأنّ بعض القوم لمّا التفت إلى سقوط ما ذكره، التجأ إلى دعوى أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قد استخلف أبا بكر. وحينئذ يتوجّه السؤال: أين الدليل الثابت سنداً

(١) انظر: دلائل الصدق ٣/ ٧-٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٤٠

ودلالة على ذلك؟

فاضطرب القوم في الجواب، فمنهم من أقّر بعدم النصّ مطلقاً وأن خلافة أبي بكر كانت بالبيعة والإختيار كما تقدّم. ومنهم من ادّعى النصّ، واختلفوا بين من يدّعي النصّ الجليّ ومن يدّعي النصّ الخفيّ، لكن إثبات النصّ الجليّ حتى من طرقهم المكذوبة مستحيل. فاضطّروا إلى التمسك بحديث نصبه للصّلاة في مرضه، وجعلوه نصّاً خفياً، ولكن قد ثبت أن صلاة أبي بكر تلك لم تكن بأمر من النبي صَلَّى الله عليه وآله، بل خرج يتهادى بين رجلين وصلّاها هو... ثم إنهم يعلمون بأن النيابة في الصّلاة لا تستلزم النيابة العامة في أمور الدين والدنيا. وقد تقدّم بعض الكلام على هذا المورد في الكتاب سابقاً. وسيأتى بالتفصيل في محله من الكتاب إن شاء الله. وتلخص: ثبوت الطعن والحمد لله رب العالمين.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٤١

ما رووه عن عمر بن الخطاب ... ص: ٤١

المورد الأول: قال قدس سره: ومنها: ما رووه عن عمر ... ص: ٤١

روى أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء: انه لما احتضر قال... وقال لابن عباس عند احتضاره: لو أن لي ملء الأرض... فلينظر المنصف العاقل قول الرجلين عند احتضارهما. وقول على عليه السلام: متى ألقاها. الشرح:

نعم، لقد تمّنّى أبو بكر ما تمّنّى عند احتضاره، وكلّ واحد من الأمور التسعة التي ذكرها الحديث من تمّنياته يكفي لعدم أهليته لأن يقوم مقام النبي صَلَّى الله عليه وآله، ولسوء حسابه في القيامة.

وعمر أيضاً، كان شريكه في كلّ ما قال وفعل، مضافاً إلى ما كان منه زمن حكومته.

وإليك بعض ما رووا عن عمر من تمّنياته كما في (كنز العمال):

«٣٥٩١٢- عن الضحّاك قال: قال عمر: يا ليتني كنت كبش أهلي، سمّوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون، زارهم بعض من يحبون، فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديداً، ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً (هناد حل، هب).

٣٥٩١٣- عن جابر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: جعلني الله فداك! قال: إذن يهينك الله (ابن جرير).

٣٥٩١٤- عن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنه من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنه! ليتني لم أخلق! ليتني لم أك شيئاً! ليت أمي لم تلدني! ليتني كنت نسياً منسياً (ابن المبارك وابن سعد، ش ومسدد، كر).

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٤٢

٣٥٩١٥- عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ؟ «هَيْلُ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُورًا» فقال عمر: يا ليتها تمت (ابن المبارك وأبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر).

٣٥٩١٦- عن عمر قال: لو نادى مناد من السماء: يا أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا هو، ولو نادى مناد: أيها الناس، إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون أنا هو (حل).

٣٥٩١٧- عن ابن عمر: أن عمر لقي أبا موسى الأشعري فقال له: يا أبا موسى! أيسرك أن عملك الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلس لك، وأنت خرجت من عملك كفافاً خيره بشره وشره بخيره كفافاً لا لك ولا عليك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! والله، لقد قدمت البصرة وأن الجفاء فيهم لفاش، فعلمتهم القرآن والسنة؟ وغزوت بهم في سبيل الله وإني لأرجو بذلك فضله. قال عمر: لكن وددت أني خرجت من عملي خيره بشره وشره بخيره كفافاً لا على ولا لي، وخلص لي عملي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المخلص (كر) «١».

المورد الثاني: قال قدس سره: وروى صاحب الجمع بين الصحاح الستة في مسند ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أخرجوا عني ... ص: ٤٢

الشرح:

هذا إشارة إلى حديث القرطاس أو الدواة والكتف، وممانعة عمر من كتابة الكتاب، وما قاله، فقال رسول الله: اخرجوا عني ... وقال العلامة في نهج الحق: «نقل الجمهور عن عمر مطاعن كثيرة منها:

(١) كنز العمال ١٢ / ١٩٦ - ٦٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٤٣

قوله عن النبي صلى الله عليه وآله لما طلب في حال مرضه دواء وكتفاً ليكتب فيه كتاباً لا يختلفون بعده، وأراد أن ينصّ حال موته على ابن عمه على عليه السلام فمنعه عمر وقال: إن نبيكم ليهجر. فوقع الغوغاء وشجر النبي صلى الله عليه وآله فقال أهله: لا ينبغي عند النبي هذه الغوغاء. فاختلفوا فقال بعضهم: احضروا ما طلب، ومنع آخرون. فقال النبي: أبعادوا. هذا الكلام في صحيح مسلم. وهل يجوز مواجهة العامي بهذا السفه فكيف بسيد المرسلين؟. أقول:

ونحن نورد أولاً نصوص الخبر من صحاح القوم ومسانيدهم ثم نتكلم:

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: «لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. قال النبي صلى الله عليه وآله: «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا

اللغو والاختلاف عند النبي.

قال لهم رسول الله: قوموا (عنى خ ل) - قال عبيد الله بن عبد الله بن مسعود: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم» (١).

وهذا الحديث أخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه (٢).

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث ابن عباس (٣).

ورواه سائر أصحاب السنن والمسانيد والأخبار، كأبي يعلى الموصلي في

(١) صحيح البخارى ٩/ ٧.

(٢) صحيح مسلم ٧٦/ ٥.

(٣) مسند أحمد ١/ ٣٢٤ - ٣٢٥ و ٣٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٤٤

مسنده، والبيهقي في دلائله، والبلاذري في أنساب الأشراف، والطبرى في تاريخه...

وغيرهم (١).

وقد روى في بعض الكتب عن جابر أيضاً (٢).

وفى بعض الألفاظ بدل: «إن النبي قد غلب عليه الوجع» جملة: «هجر رسول الله»، فقد أخرج البخارى عن ابن عباس أنه قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس؟» ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال: «اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا- ينبغى عند نبي تنازع. فقالوا: «هجر رسول الله قال: دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعوني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، (قال): ونسيت الثالثة».

وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً في آخر كتاب الوصايا من صحيحه.

وأحمد من حديث ابن عباس في مسنده، ورواه سائر المحدثين.

وأخرج مسلم في كتاب الوصايا من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس، قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس» ثم جعل تسيل دموه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائتوني بالكتف والدواء أو اللوح والدواء، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقالوا: إن رسول الله يهجر».

ويظهر من التأمل فى الأخبار أن قائل «هَجَرَ» هو عمر بن الخطاب ثم تبعه من تبعه من الحاضرين.

(١) مسند أبى يعلى ٢٩٨/ ٤، دلائل النبوة ٧/ ١٨١، أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٦ تاريخ الطبرى ٢/ ٤٣٦، الكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٠.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٤٥

وقد تقدّم فى الحديث الصحيح عن ابن عباس قوله: فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبى كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر - أى يقول: هجر رسول الله.

وفى رواية أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن عمر قال: «لما مرض النبى قال:

ائتوني بصحيفة ودواء أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر:

ألا- تسمعون ما يقول رسول الله؟ قال عمر: فقلت: أنكن صواحبات يوسف، إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح ركبتن عنقه؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهن فإنهن خير منكم».

هذا، وقد جاء التصريح في كلام بعض الأعلام، بأن قائل ذلك هو عمر.

فقد أخرج أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالإسناد إلى ابن عباس، قال: «لما حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله: أثتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده، قال: فقال عمر كلمه معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف، غضب صلى الله عليه وآله فقال: قوموا» (١ ... ١).

وقال أبو حامد الغزالي: «ولمّا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال قبل موته: إيتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر، وأذكر لكم من المستحق لها بعدى، فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل يهدو» (٢). وسيأتي كلام ابن الأثير في كتاب (النهاية).

(١) شرح نهج البلاغة ٥١ / ٦.

(٢) سّر العالمين وكشف ما في الدارين: ٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٤٦

وقال العكبري في (التبيان- شرح ديوان المتنبى) بشرح قول المتنبى:

أنطق فيك هجراً بعد علمي بأنك خير من تحت السماء

قال: «الهجّر، القبيح من الكلام والفحش، وهجر إذا هذى، وهو ما يقوله المحموم عند الحمى. ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل ليهجّر، على عادة العرب».

وقال يوسف الأعرور الواسطى في رسالته في الرد على الشيعة:

«وأما ما ذكروه في عمر. فمنها قولهم: إنه منع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد أن يكتبه فى مرض موته وقال: إن الرجل ليهجّر» فأجاب:

«فأما: إن الرجل ليهجّر، يعنى كلامه حينئذ أى فى مرضه خارج عن حدّ الصحّة، يعنى من جهة الكثرة والعلة ونحو ذلك، لاحتمال الشّيهو عليه من إشغال المرض القلب الذى هو وعاء للإيعاء، ومثل ذلك واقع للبشر فى حال المرض، للأنبياء وغيرهم. وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم الشّيهو فى حال الصحّة، كحديث ذى اليمين فى تسليمه من صلاة العصر على ركعتين. فالشّيهو فى المرض أقرب احتمال» (١).

وقال الخفاجى: «وفى بعض طرقه- أى طرق هذا الحديث- المروية عنه قال عمر: «إن النبى يهجّر. بفتح أوله وضم ثالثه، أى: يأتى بهجر من القول. وهو على تقدير الإستفهام الإنكارى، وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والإعراض عنها كما قيل.

وهذه رواية الإسماعيلي من طريق ابن خلاد عن سفيان.

وفى رواية- كما فى البخارى- هجر، ماض بدون استفهام» (٢).

فتراهم يعترفون بأن قائل الكلمة هو عمر، ونسبة الهجر إليه صلى الله عليه وآله غير جائز، لأنه إنكار لعصمته، وإنكارها ردّ على القرآن لدلالته عليها بكلّ وضوح،

(١) الرسالة المعارضة في الرد على الرافضة - مخطوط.

(٢) نسيم الرياض - شرح شفاء القاضي عياض ٢٧٨ / ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٤٧

وإنكار لنبوته، فما الحيلة حينئذ؟

فبعضهم قال: إن «هجر» هو على الإستفهام، فهمة الإستفهام مقدرة، وهو إنكارى لا حقيقى...

وبعضهم، قدر الهمزة، وضبط الكلمة بضم الهاء وسكون الجيم والراء، على أنه مصدر.

وبعضهم - لما رأى أن تقدير الهمزة خلاف الأصل، وحمل الكلام على الإستفهام الإنكارى خلاف الظاهر - أضاف إلى اللفظ همزة الإستفهام.

وبعضهم أراد التأكيد على ذلك فأضاف كلمة: «استفهموه».

وبعضهم لم يقتنع بهذه التصرفات، فوضع «غلب عليه الوجد» في مكان: «هجر».

وقد تقدم ما يشهد على بعض هذه التصرفات، وإليك الشاهد على البعض الآخر:

قال ابن حجر بشرح البخارى: «قوله: فقالوا ما شأنه أهجر، بالهمزة لجميع رواة البخارى. وفي الرواية التى فى الجهاد بلفظ فقالوا: هجر

بغير همزة، ووقع للكشمينى هناك فقالوا هجر هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعاد هجر مرتين. قال عياض:

معنى أهجر أفحش يقال: هجر الرجل إذا هذى وأهجر إذا أفحش. وتعب بأنه يستلزم أن يكون بسكون الهاء والروايات كلها إنما هى

بفتحها. وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القرطبي تلخيصاً حسناً ثم لخصته من كلامه وحاصله:

أن قولهم هجر، الراجح فيه إثبات همزة الإستفهام وبفتحات على أنه فعل ماض، قال، لبعضهم أهجر بضم الهاء وسكون الجيم والتنوين

على أنه مفعول بفعل مضمر، أى أقال هجر. والهجر بالضم ثم السكون الهذيان. والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذى لا ينتظم

ولا يعتد به لعدم فائدة، ووقوع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم مستحيل، لأنه معصوم فى صحته ومرضه، لقوله تعالى «وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَى» ولقوله صلى الله عليه وسلم: إني لا أقول فى الغضب والرضى إلّا حقاً. وإذا عرف ذلك،

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٤٨

فإنما قاله من قاله منكراً على من توقف فى امثال أمره بإحضار الكتف والدواء، فكأنه قال كيف تتوقف؟ أتظن أنه كغيره يقول

الهذيان فى مرضه؟ امثل أمره وأحضر ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق. قال: هذا أحسن الأجوبة. قال: ويحتمل أن بعضهم قال ذلك من

شك عرض له، ولكن يبعد أن لا ينكره الباقر عليه مع كونهم من كبار الصحابة، ولو أنكروه عليه لنقل. ويحتمل أن يكون الذى قال

ذلك صدر عن دهش وحيرة كما أصاب كثيراً منهم عند موته. وقال غيره: يحتمل أن يكون قائل ذلك أراد أنه اشتد وجعه وأطلق

اللزام وأراد الملزوم، لأن الهذيان الذى يقع للمريض ينشأ عن شدة وجعه...

قلت: ويظهر لى ترجيح ثالث الاحتمالات التى ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله فى الإسلام، وكان يعهد أن

من يشتد عليه الوجد قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله، لجواز وقوع ذلك. ولهذا وقع فى الرواية الثانية: فقال بعضهم: أنه قد

غلب عليه الوجد. ووقع عند الإسماعيلى من طريق محمد بن خلاد عن سفيان فى هذا الحديث: قالوا ما شأنه يهجر؟ استفهموه. وعند

ابن سعد من طريق أخرى عن سعيد بن جبير أن نبى الله يهجر» (١).

وقال العيني فى شرح البخارى:

«وفى كتاب الجهاد هجر بدون الهمزة. وفى رواية الكشمينى هناك هجر هجر رسول الله بتكرار لفظ هجر. وقال عياض: معنى هجر

أفحش، ويقال هجر الرجل إذا هذى وأهجر إذا أفحش.

قلت: نسبة مثل هذا إلى النبي لا- يجوز، لأن وقوع مثل هذا الفعل عنه عليه الصّلاة والسلام مستحيل، لأنه معصوم في كلّ حاله في صحته ومرضه لقوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» ولقوله: إني لا أقول في الغضب والرضا إلّا حقاً. وقد تكلموا في هذا

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخارى ١٠١ / ٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٤٩

الموضع كثيراً وأكثره لا- يجدى نفعاً. والذي ينبغي أن يقال: إن الذين قالوا ما شأنه أهجر أو هجر بالهمزة وبدونها، هم الذين كانوا قريبي العهد بالإسلام ولم يكونوا عالمين بأن هذا القول لا يليق أن يقال في حقه عليه السلام، لأنهم ظنوا أنه مثل غيره من حيث الطبيعة البشرية، إذا اشتد الوجع على واحد منهم تكلم من غير تحرّ في كلامه» (١).

وقال ابن الأثير في مادة هجر: «ومنه حديث مرض النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ أى: اختلف كلامه بسبب المرض، على سبيل الإستفهام، أى: هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض. وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل إخبار فيكون إمّا من الفحش أو الهذيان، والقائل كان عمر ولا يظنّ به ذلك» (٢).

وقال النووى بشرح صحيح مسلم:

«أهجر، أى: اختلف كلامه بسبب المرض، على الإستفهام، أى: هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض. ولا يجعل إخباراً فيكون من الفحش والهذيان.

والقائل عمر، ولا يظنّ به ذلك» (٣).

وقال القاضى الخفاجى بشرح الشفاء:

«وأما الاختلاف الذى وقع عنده، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة من أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه: ائتوني بدواء أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدى، فقال عمر: إنّ الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله، فلغظ الناس، فقال: اخرجوا عني، لا ينبغي التنازع لدى. فقال ابن عباس: الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله. وهذا مما يطعن به الرافضة على عمر. وقال صاحب الملل والنحل: هو أوّل

(١) عمدة القارى فى شرح البخارى ١٨ / ٦٢.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر «هجر» ٥ / ٢٤٦، شرح الشفا للقارى- على هامش نسيم الرياض - ٤ / ٢٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم. انظر: تشييد المطاعن ٢ / ٤١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٥٠

اختلاف فى وقع فى الإسلام» (١).

بل إن هذا مما يطعن به عليه كلّ دين عارف بمقام النبوة، محبّ للنبي صلى الله عليه وآله، متعبّد بأوامره ونواهيه ... والأحاديث كلّها فى كتب القوم وهى صحيحة، وليس للشيعة دخل فى روايتها أو تدوينها...

وبعد، فهل هناك سبيل لإنكار منع عمر من كتابة الكتاب، وكونه سبباً لحرمان الأمة بل سائر الناس من خير ذلك الكتاب؟

لقد أحسن الحافظ ابن حزم حيث قال بعد إيراد الحديث: «هذه زلّة العالم التى حدّر منها الناس قديماً، وقد كان فى سابق علم الله تعالى أن يكون بيننا الاختلاف، وتضلّ طائفة وتهتدى بهدى الله أخرى، فلذلك نطق عمر ومن وافقه بما نطقوا به، ممّا كان سبباً إلى حرمان الخير بالكتاب الذى لو كتبه لم يضلّ بعده» (٢).

لكنه أخطأ لو أراد الجبر!

وعلى الجملة، ففي هذه القضية عدّة طعون:

منها: نسبته النبي صلى الله عليه وآله إلى الهجر وهذا هو الكفر، والله تعالى يقول:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» (٣)

ويقول «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٤)

ويقول: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» (٥).

(١) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض ٢٧٨ / ٤ وفيه تحريف.

(٢) إحكام الأحكام ٩٨٤ / ٧.

(٣) سورة التكوير: ١٩ - ٢٢.

(٤) سورة الحاقة: ٤٠ - ٤٣.

(٥) سورة النجم: ٢ - ٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٥١

ومنها: منعه من كتابة الكتاب قائلاً: «حسبنا كتاب الله» ردّ صريح على الله والرسول، قال الله تعالى: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (١)

وقال:

«وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» (٢)

وقال: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» (٣ ...).

ومنها: كونه السبب في حرمان الأمة من خير ذلك الكتاب، وفي ضلال من ضلّ أو بقاء من كان ضالاً على ضلالته، إلى يوم القيامة.

ومنها: إن النبي صلى الله عليه وآله طرد عمر وأتباعه من حضرته قائلاً: «قوموا عني» ومن كان مطروداً من النبي صلى الله عليه وآله كيف يليق لأن يقوم مقامه من بعده؟

ومنها: إنه وأصحابه قد آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فشملهم قوله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» (٤).

وكل واحد من وجوه الطعن هذه وغيرها، يكفي دليلاً لعدم أهلية الرجل للإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا، فقد اختلفت الكلمات القوم في هذا المورد وتناقضت.

فمنهم: من حاول الدفاع والتبرير فقط.

ومنهم: من زعم حسن ما فعله عمر!

ومنهم: من يقول: اشتبه في اجتهاده.

(١)

سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة النساء ٨٠.

(٣) سورة الجن: ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٥٢

وهذا كلام ابن تيمية في هذا المقام:

«وأما عمر، فاشتبه عليه هل كان قول النبي صلى الله عليه وسلم من شدة المرض أو كان من أقواله المعروفة، والمرض جائز على الأنبياء، ولهذا قال: ماله؟ أهجر؟ فشك في ذلك ولم يجزم بأنه هجر، والشك جائز على عمر فإنه لا معصوم إلا النبي، لا سيما وقد شك بشبهه، فإن النبي كان مريضاً، فلم يدر أكلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض، أو كان من كلامه المعروف الذي يجب قبوله» (١).

فنقول:

أولاً: لم يكن طلب الدواء والكتف من عمر خاصة، وما كان هو المخاطب بهذا الأمر، فما الذي دعاه إلى المداخلة في القضية إن كان مشتبهاً؟

وثانياً: إن اللفظ الذي أورده محرف، فقد تقدم أنه نسب الهجر إلى النبي صلى الله عليه وآله صراحةً.

وثالثاً: هل إن كلام النبي صلى الله عليه وآله ينقسم إلى ما يجب قبوله وما لا يجب؟ إن التحفظ على ماء وجه عمر قد دعا ابن تيمية إلى إنكار عصمة النبي والرد على كتاب الله، فهل فهم ابن تيمية ما يقول؟

ورابعاً: إن كان الرجل لا يدرى وهو يريد الإستفهام، فلماذا وضعوا على لسانه - بدلاً عن كلمة الهجر - أنه قال: «إن النبي قد غلب عليه الوجع»؟ فهو إذاً يدرى وليس بمشتبه.

وخامساً: لقد اتفقت جميع روايات القوم على أنه - بعد ما منع من أن يقرب إلى النبي الدواء والكتف - قال: «حسبنا كتاب الله»، وهل هذا كلام من هو مشتبه لا يدرى؟

وسادساً: لقد روي أنه جعل يجادل النسوة اللاتي طالبن بأن يؤتى بالدواء والكتف إلى النبي صلى الله عليه وآله.

(١) منهاج السنة ٢٤/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٥٣

هذا موجز الكلام على هذا المورد، ولنا فيه رسالته مستقلة، تعرضنا فيها لسائر الروايات والكلمات، نسأل الله التوفيق لنشرها.

المورد الثالث: قال قدس سره: وقال لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله: والله ما مات محمد ... ص: ٥٣

الشرح:

قال في نهج الحق: إنه قد بلغ من قلة المعرفة أنه لم يعلم أن الموت يجوز على النبي صلى الله عليه وآله، بل أنكر ذلك لما قالوا: مات رسول الله، فقال: والله ما مات محمد حتى ...

ومن هذه حاله كيف يجوز أن يكون إماماً واجب الطاعة على جميع الخلق؟ (١) أقول:

وعلى الجملة، فإن الأمر لا يخلو من أن يكون جهلاً أو ضلالاً في العقيدة، أو يكون وراء هذا الإنكار غرض آخر. فإن كان قوله عن جهل، فالجاهل بمثل هذا الأمر الواضح الموجود في القرآن الكريم بكل صراحة، وأخبر به النبي صلى الله عليه وآله مرة بعد مرة، كيف يليق للإمامة؟ وإن كان عن عقيدة باطلة، فالحال أسوء، لأنه رد على القرآن. وإن كان الاحتمال الثالث كما في كلام بعض الأعلام، ولذا لما جاء أبو بكر وأسكته سكت، فتلك دسيسه وخديعة، وخيانة للدين والأمة.

وهذه بعض الأحاديث في المورد:

«عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: إن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح، قال إسماعيل يعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما

مات رسول الله. قالت:

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٥٤

وقال عمر والله ما كان يقع في نفسى إلا ذاك، وليبعثه الله فليقطع أيدى رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، قال: بأبى أنت وأمى، طبت حياً وميتاً، والذي نفسى بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإنه قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» وقال: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً» الحديث «١».

و «عن عائشة قالت: لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عمر والمغيرة بن شعبه فدخلوا عليه، فكشفنا الثوب عن وجهه، فقال عمر: واغيثاه ما أشد غشى رسول الله، ثم قام، فلما انتهيا إلى الباب قال المغيرة: يا عمر مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: كذبت ما مات رسول الله ولكنك رجل تحوشك فتنة ولن يموت رسول الله حتى يفنى المنافقين. ثم جاء أبو بكر وعمر يخطب الناس فقال له أبو بكر: اسكت فسكت، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» ثم قرأ «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» حتى فرغ من الآية. ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم قال: أيها الناس، هذا أبو بكر ذو شبيبة المسلمين فبايعوه. فبايعه الناس. ابن سعد «٢».

و «عن عكرمة قال: لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، وقام عمر خطيباً يوعد المنافقين وقال: إن رسول الله لم

(١) صحيح البخارى ١٩٣/٤ - ١٩٤.

(٢) كنز العمال ٧/ ٢٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٥٥

يمت ولكن إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، لا يموت رسول الله حتى يقطع أيدى أقوام وألسنتهم، فلم يزل عمر يتكلم حتى ازبد شدقه، فقال العباس: إن رسول الله يأسن كما يأسن البشر، وإن رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم، أيमित أحدكم إمامته ويميته إمامتين؟ هو أكرم على الله من ذلك «١».

و «عن عروة قال: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويوعد من قال مات بالقتل والقطع ويقول: إن رسول الله في غشيته، لو قد قام قتل وقطع، وعمر بن أم مكتوم قائم في مؤخر المسجد يقرأ «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» إلى قوله «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»، والناس في المسجد قد ملاؤه بكون ويموجون لا يسمعون، فخرج عباس بن عبدالمطلب على الناس فقال: يا أيها الناس، هل من أحد منكم من عهد من رسول الله في وفاته فيحدثنا؟

قالوا: لا. قال: هل عندك يا عمر من علم؟ قال: لا، قال العباس: أشهد أيها الناس أن أحداً لا يشهد على النبي صلى الله عليه وسلم بعهد عهده إليه في وفاته، والله الذى لا إله إلا هو، لقد ذاق رسول الله الموت.

فأقبل أبو بكر من السنح على دابته حتى نزل بباب المسجد، ثم أقبل مكروباً حزيناً، فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له، فدخل ورسول الله قد توفى على الفراش والنسوة حوله، فخمرن وجوههن واستترن من أبى بكر إلا ما كان من عائشة، فكشف من رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحني عليه يقبله ويبكى ويقول: ليس ما يقول ابن الخطاب بشيء، توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ما أطيبك حيًّا وما أطيبك ميتًا، ثم غشاه بالثوب.

ثم خرج سريعاً إلى المسجد يتوطأ رقاب الناس حتى أتى المنبر، وجلس عمر

(١) كنز العمال ٧/ ١٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٥٦

حين رأى أبا بكر مقبلاً إليه، فقام أبو بكر إلى جانب المنبر ثم نادى الناس، فجلسوا وأنصتوا، فتشهد أبو بكر وقال: إن الله نعى نبيكم إلى نفسه وهو حي بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم، فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله، قال الله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» إلى قوله «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» فقال عمر: هذه الآية في القرآن؟ فوالله ما علمت أن هذه الآية نزلت قبل اليوم «١».

ثم لا يخفى إصراره على الإنكار، واشتمال الروايات على نقاط:

الأول: اليمين على عدم موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

والثاني: توعد من قال: «مات» بالقتل والقطع.

والثالث: إنه لم يزل يتكلم حتى ازبد شدقه، والناس في المسجد قد ملأوه بكون، وعمر بن أم مكتوم يقرأ الآية، والمغيرة قال: يا عمر، مات - والله - رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فقال عمر: كذبت ... أقول:

أما ابن تيمية، فلم يجب على كلام العلامة هنا بشيء أصلاً، ولماذا؟

وأما غيره ممن سبق ولحق، من المعتزلة والأشاعرة، فقد تحيروا في توجيه ما كان من عمر في هذا المورد واضطربوا، وقالوا ما كان ترك القول به أفضل وأقر لهم كما فعل ابن تيمية!

فالقاضي المعتزلي في المغني في الإمامة قال: «هذا لا يصح، لأنه قد روى أنه قال:

كيف يموت وقد قال الله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» وقال: «لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا»، فلذلك نفى موته عليه السلام، لأنه حمل الآية على أنه خبر عن ذلك في حال حياته، حتى قال له أبو بكر: إن الله وعده بذلك وسيفعله، وتلا عليه أبو بكر ما تلى،

(١) كنز العمال ٧/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٥٧

فأيقن عند ذلك بموته، وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت لا أنه منع من موته».

وهذا حمل للنصوص على ما لا تحتمله أبداً...

على أنه لو كان ظاناً تأخر الموت لا منكرراً لأصله، فلماذا سكت لما تلا عليه أبو بكر ما تلا، وهو لا يدل إلا على أصل الموت؟

والسعد التفتازاني قد أخذ كلام المعتزلي وأورده في الدفاع عن عمر قال:

«ومنها: أنه لم يكن عالماً بالقرآن، حتى شك في موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يسكن إليه حتى تلا عليه أبو بكر قوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فقال: كأنني لم أسمع هذه الآية.

فالجواب: إن ذلك كان لتشوش البال واضطراب الحال والذهول عن جليات الأحوال، أو لأنه فهم من قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» وقوله: «لَيَسْخِرنَّ لَهُنَّ الْأَرْضَ» أنه يبقى إلى تمام هذه الأمور وظهورها غايه الظهور.

وفى قوله: كأنى لم أسمع، دلالة على أنه سمعها وعلمها لكن ذهل عنها أو حملها على معنى آخر، أى: كأنى لم أسمعها سماع اطلاع على هذا المعنى، بل إنه يموت بعد تمام الأمور» (١).

وقد كتبنا فى جوابه: إن كلا الوجهين تأويل بارد وتوجيه باطل.

أمّا الأول، فلأنه لو كان تشوش باله واضطراب حاله إلى هذا الحدّ بمجرّد سماع قولهم مات النبى، للزم أن يزول عقله بالكليّة لما تحقق عنده موت النبى بقول أبى بكر، لكنه بادر إلى السقيفة مرتاح البال، وجعل يزور فى نفسه كلاماً ليقوله للأنصار فيخصمهم به، ثم حضرها وفعل هناك ثم خارجها ما فعل، حتى أتم الأمر لأبى بكر.

(١) شرح المقاصد ٢/ ٢٩٤.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٥٨

ثم إن السعد لم يذكر السبب «لتشوش البال واضطراب الحال والذهول عن جليات الأحوال»، فإن كان السبب محبة النبى صلى الله عليه وآله عليه وآله والتألم من فقد، كان اللّازم أن يكون من جملة الذين تولّوا تجهيز النبى ودفنه، لا المعرضين عن ذلك، الغاصبين لثرائه... وأيضاً: لو كان السبب فى الإنكار ما ذكر، لما جعل القوم كلام أبى بكر له دليلاً على أعلميته كما فى كلام الكرماني فى شرح الحديث فى كتاب البخارى: «وفيه فضيلة عظيمة لأبى بكر ورجحان علمه على عمر وغيره» (١).

وقال: «وفيه: فضل علمه ورجاحه رأيه، وفيه دلالة على عظم منزلته عند الصحابة حين مالوا إليه» (٢).

وأيضاً: لو كان ما ذكر هو السبب، فلماذا لم يكذب خبر موته صلى الله عليه وآله يوم أحد؟ قال السيوطى: «أخرج ابن جرير عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخى بنى عدى بنى النجار قال: انتهى أنس بن النصر عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟

قالوا: قتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، واستقبل القوم فقاتل حتى قتل» (٣).

وأما الثانى: فلأن المعنى الذى يزعم أنه فهمه من الآيات لا ينافيه الآية: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»، فلماذا سكن حين تلاها أبو بكر عليه ولم يقل له: لا دلالة فى الآية على من جوّز بالآيات الموت عليه صلى الله عليه وآله فى المستقبل وأنكره فى هذه الحال؟ وقال ابن روزبهان فى جواب العلامة: «واختلفوا فى ذلك الحال الذى غلبه حتى

(١) الكواكب الدرارى، فضائل عمر ٤/ ٢١٠.

(٢) الكواكب الدرارى - شرح صحيح البخارى، كتاب الجنائز ٧/ ٥٣.

(٣) الدر المنثور ٢/ ٨١.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٥٩

حكم بأن النبى لم يمت، فقال بعضهم: أراد أن لا يستولى المنافقون، وخاف أن لو اشتهر موت النبى قبل البيعة لخليفه، تشتت أمر الإسلام، فأراد أن يظهر القوة والشوكة على المنافقين ليرتدعوا عما همّوا به من إيقاع الفتنة والإيضاع خلال المسلمين كما كان دأبهم. وقال بعضهم: كان هذا الحال من غلبة حكم المحيية، وشدة المصيبة قلبه كان لا يأذن له أن يحكم بموت النبى، وهذا كان أمر عمّ جميع المؤمنين بعد النبى، حتى جنّ بعضهم وعمى بعضهم من كثرة الهم واختلّ بعضهم، فغلب عمر شدة حال المصيبة فخرج عن حال العلم والمعرفة وتكلّم بعدم موته، وأنه ذهب إلى مناجاة ربه. وأمثال هذا لا يكون طعناً» (١).

ففى هذا الكلام - الذى نصّ فيه على قول عمر بأن النبى صلى الله عليه وآله لم يمت، فسقط إنكار القاضى المعتزلى ومن تبعه - ذكر

توجيهين، أحدهما: الخوف من استيلاء المنافقين، والآخر: غلبة المحبة وشدة المصيبة. وكلاهما بارد باطل.

أما الأول: فإن الرجل لما سمع الآية من أبي بكر سكت واعتذر قائلاً: كأنى لم أسمعها! وأما الثاني، فقد تقدّم الجواب عنه.

ولكن ما ذكره ابن روزبهان أولاً عن بعضهم هو ما أشرنا إليه سابقاً من الإحتمال الثالث، فإنه خاف من استيلاء غير أبي بكر وحزبه - وهو منهم - وليس المقصود أهل النفاق في المدينة، بل أهل الولاية لأمر المؤمنين عليه الصّلاة والسلام، فأراد أن لا يطلع الناس على موت النبي صلى الله عليه وآله، حتى لا يجتمعوا فيبايعوا علياً عليه السلام كما عاهدوا النبي على ذلك.

(١) انظر: دلائل الصدق ٣/ ١٢٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٠

وعلى الجملة، فإن موقف عمر بن الخطاب بعد موت النبي صلى الله عليه وآله من المؤمنين التابعين للنبي وأمر المؤمنين، هو نفس موقفه منهم لما بلغه عنهم يقولون: «كانت بيعه أبي بكر فلتته، ولو مات عمر لبايعنا علياً» حيث صعد المنبر وزعم أن هؤلاء يريدون أن يغصبوا المسلمين حقهم، وهدد بقتل المبايع والمبايع له... فالتوجيه الأول في كلام ابن روزبهان هو الصحيح، لكن لا نلّا يستولى المنافقون، بل نلّا يستولى المؤمنون، اللهم إلا أن يقصد بـ «المنافقون» أصحاب أمير المؤمنين - والعياذ بالله - كعمار والمقداد وأبي ذر وسلمان وأمثالهم من الأخيار، وقد كان الزبير وآخرون مع هؤلاء أيضاً في ذلك الوقت!

المورد الرابع: قال قدس سره: ولما وعظت فاطمة عليها السلام أبا بكر في فدك كتب لها كتاباً وردّها عليها، فخرجت من عنده فلقبها عمر فخرق الكتاب ... ص: ٦٠

الشرح:

قد بحثنا عن قضية فدك في هذا الكتاب سابقاً، وفي غيره، وكتبنا فيها رسالةً مستقلةً، فليراجع من أراد التفصيل. وأما أن عمر أخذ الكتاب في فدك وشقه، فهذا مروى في كتب الفريقين، وما اتفق عليه الفريقان في مثل هذه الأمور فتأبّت يقيناً، ولا تجدى المكابرة بالإنكار أو المحاولة للتوجيه، فإن ما فعله ظلم لا ينكر وذنب لا يغفر، ومثل هذا الشخص كيف يليق لأن يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله.

المورد الخامس: قال قدس سره: وعطل حدّ الله تعالى، فلم يحد المغيرة بن شعبه ... ص: ٦٠

الشرح:

وهذه القضية من جملة المؤاخذات الكبيرة لعمر بن الخطاب النافية أهليته

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦١

للإمامة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال العلامة في نهج الحق: «إنه عطل حدّ الله تعالى في المغيرة بن شعبه لما شهد عليه بالزنا، ولقّن الشاهد الرابع الامتناع من الشهادة وقال له: أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلاً من المسلمين. فتلجج في شهادته اتباعاً لهواه، فلمّا فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدّهم وفضحهم. فتجنّب أن يفضح المغيرة وهو واحد قد فعل المنكر ووجب عليه الحدّ، وفضح ثلاثه، مع تعطيله حكم الله ووضعه الحدّ في

غير موضعه «... ١».

أقول:

هذه القضية موجودة في سائر كتب الفقه والحديث والتاريخ والرجال، ولم ينكرها في الأصل أحد من المتكلمين، إلا أن مورد البحث منها «تلقين عمر» الشاهد الرابع «الامتناع من الشهادة»، فإن بعضهم لم يرووا هذه النقطة حفظاً لماء وجه عمر، وبعضهم لما رأى أن لا مناص من الإقرار به جعل يوجّهه.

وهذه هي القصّة كما رواها بعضهم:

قال قاضي القضاة ابن خلّكان الشافعي في تاريخه: «وأما حديث المغيرة بن شعبه الثقفي والشهادة عليه، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميراً على البصرة، وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار، وكان أبو بكره يلقاه، فيقول: أين يذهب الأمير؟ فيقول: في حاجة، فيقول: إن الأمير يزار ولا يزور. قالوا: وكان يذهب إلى امرأة يقال لها: أم جميل بنت عمرو، وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشمي. وقال ابن الكلبي في كتاب «جمهرة النسب»: هي أم جميل بنت الأقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعبه بن الهرم، وعددهم في الأنصار، وزاد غير

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٨٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٢

ابن الكلبي، فقال: الهرم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، والله أعلم. قال الراوي: فبينما أبو بكره في غرفة مع إخوته، وهم نافع وزباد المذكوران وشبل بن معبد، والجميع أولاد سميّة المذكورة، فهم إخوة لأم، وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة، فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته، ونظر القوم فإذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع، فقال أبو بكره: هذه بليّة قد ابتليت بها فانظروا، فانظروا حتى أثبتوا، فنزل أبو بكره فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا، قال: وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر، ومضى أبو بكره فقال: لا- والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت فقال الناس: دعوه فليصل فإنه الأمير واكتبوا بذلك إلى عمر، فكتبوا إليه، فأمرهم أن يقدموا عليه جميعاً المغيرة والشهود.

فلما قدموا عليه جلس عمر، فدعا بالشهود والمغيرة، فتقدم أبو بكره فقال له:

رأيت بين فخذيها، قال: نعم والله لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألفت في النظر، فقال أبو بكره: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به. فقال عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيت يلع فيها ولوج المروء في المكحلة. فقال: نعم أشهد على ذلك، فقال: فاذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكره. قال: لا حتى تشهد أنه ولج فيه ولوج الميل في المكحلة. قال: نعم حتى بلغ قذذه.

قلت: القذذ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان.

فقال عمر: إذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك.

ثم دعا الثالث فقال له: على ما تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبي. فقال له عمر إذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٣

ثم كتب إلى زياد وكان غائباً، فقدم، فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصار، فلما رآه مقبلاً قال: إنّي أرى رجلاً لا يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين، ثم إن عمر رفع رأسه إليه فقال: ما عندك يا سلح الحباري؟

ف قيل: إن المغيرة قام إلى زياد فقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

قال الراوى: فقال له المغيرة: يا زياد، اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة، فإن الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا- أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت، فلا- يحملنك سوء منظر رأيتك على أن تتجاوز إلى ما لم تر، فوالله لو كنت بين بطنى ووطنها ما رأيت أن يسلك ذكرك فيها.

قال: فدمعت عينا زياد، واحمر وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين، أما إن أحق ما حق القوم فليس عندي، ولكن رأيت مجلساً، وسمعت نفساً حثيثاً، وانتهازاً، ورأيتك مستبطنها، فقال له عمر رضى الله عنه: رأيتك يدخل كالميل في المكحلة؟ فقال: لا.

وقيل: قال زياد: رأيتك رافعاً رجلها، فرأيت خصيتيه تردد إلى ما بين فخذيها ورأيت حفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً، فقال عمر رضى الله عنه: رأيتك يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا.

فقال عمر رضى الله عنه: الله أكبر، قم يا مغيرة إليهم فاضربهم، فقام إلى أبى بكره فضربه ثمانين، وضرب الباقيين، وأعجبه قول زياد، ودرأ الحد عن المغيرة.

فقال أبو بكره بعد أن ضرب: أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا، فهم عمر رضى الله عنه أن يضربه حداً ثانياً، فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن ضربته فارجم صاحبك، فتركه، واستتاب عمر أبى بكره فقال: إنما تستبينى لتقبل شهادتى، فقال: أجل، فقال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا.

فلما ضربوا الحد قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذى أخزاكم، فقال عمر رضى الله عنه: بل أخزى الله مكاناً رأوك فيه.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٤

وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة: أن أبى بكره لما جلد، أمرت أمه بشاة فذبحت، وجعلت جلدها على ظهره، فكان يقال: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

وحكى عبد الرحمن بن أبى بكره: أن أباه حلف لا يكلم زياداً ما عاش.

فلما مات أبو بكره كان قد أوصى أن لا يصلّى عليه زياد وأن يصلّى عليه أبو برزة الأسلمى، وكان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينهما، وبلغ ذلك زياداً فخرج إلى الكوفة.

وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره.

ثم إن أم جميل وافت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالموسم، والمغيرة هناك فقال له عمر: أتعرف هذه المرأة يا مغيرة؟ قال: نعم، هذه أم كلثوم بنت على، فقال عمر:

أتتجاهل على؟ والله ما أظن أبى بكره كذب عليك، وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.

قلت: ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى أول باب عدد الشهود فى كتاب «المهذب»: وشهد على المغيرة ثلاثة: أبو بكره ونافع وشبل بن معبد، وقال زياد: رأيت استأ تنبو، ونفساً يعلو، ورجلين كأنهما أذنا حمار، ولا أدري ما وراء ذلك. فجلد عمر الثلاثة، ولم يحد المغيرة.

قلت: وقد تكلم الفقهاء على قول على رضى الله عنه لعمر: «إن ضربته فارجم صاحبك»، فقال أبو نصر بن الصباغ المقدم ذكره، وهو صاحب كتاب «الشامل فى المذهب»: يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد، وإن كان هو الأول فقد جلدته عليه، والله أعلم.

وذكر عمر بن شبة فى أخبار البصرة أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال لعمر رضى الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعنى البحرين، فقال: ومن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٥

يشهد لك بذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة، فأبى أن يجيز شهادته» (١).

وذكر أبو الوليد بن شحنة الحنفى هذه القصة في حوادث السنة ١٧ من تاريخه.

وقال النووى بترجمة زياد بن أبيه في تهذيب الأسماء:

«زياد بن سمية المذكور في المهذب في مواضع من كتاب الحدود. وهو أحد الأربعة الشهود بالزنا» (٢ ... ٢).

وقال ابن الحديد:

«قلت: أما المغيرة، فلا شك عندي أنه زنا بالامراة، ولكنى لست أخطيء عمر في درء الحد عنه» (٣ ... ٣).

قال: «وقد روى المدائنى: إن المغيرة كان أزنى الناس فى الجاهلية، فلما دخل فى الإسلام قيده الإسلام، وبقيت عنده منه بقية ظهرت

فى أيام ولاية البصرة» (٤ ... ٤).

وقال ابن حبان:

«وبعد موت عتبة بن غزوان والى البصرة، أمر عمر على البصرة أبا موسى الأشعري. وكان المغيرة على بها، فشهد أبو بكره وشبل بن

معد البجلي ونافع وزياد على المغيرة بما شهدوا، فبعث عمر إلى أبى موسى الاشعري أن أشخص إلى المغيرة.

ففعّل ذلك أبو موسى» (٥ ... ٥).

وقد روى أبو الفرج الإصفهاني القصة بالأسانيد فقال:

«قضية الزنا: حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وأحمد بن عبيد الله بن عمار،

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٣٦٤ - ٣٦٧.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٩٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٢/ ٢٣١.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٢/ ٢٣٩.

(٥) الثقات ٢/ ٢١٦.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٦

قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا على بن محمد النوفلى، عن محمد بن سليمان الباقلانى، عن قتادة، عن غنيم بن قيس، قال:

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء، فلقية أبو بكره، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان. فأخذ

بتلابيه وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

وحدّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضى الله عنه: أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز، قالا: حدّثنا عمر بن

شبة، فرواه عن جماعة من رجاله، بحكايات متفرقة.

قال عمر بن شبة: حدّثنى أبو بكر العليمى، قال: أخبرنا هشام، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه، عن أبى بكره.

قال عمر بن شبة: وحدّثنا عمرو بن عاصم، قال: حدّثنا حماد بن سلمة، عن على بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبى بكره.

قال أبو زيد عمر بن شبة: وحدّثنا على بن محمد بن حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبي. قال: وحدّثنا محمد بن عبد الله

الأنصارى، قال: حدّثنا عوف، عن قسامه بن زهير.

قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقدى: حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكره، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحدثان.

قال: وحدّثنى محمد بن الجهم، عن على بن أبى هاشم، عن إسماعيل بن أبى عبلة، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك:

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، وكان أبو بكره يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتى حاجة.

فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يزار ولا يزور.

قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبى بكره. قال: فيينا أبو بكره في غرفه له مع

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٧

أصحابه وأخويه نافع وزيد، ورجل آخر يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفه جارتها تلك بحذاء غرفه أبى بكره. فضربت الريح باب المرأة ففتحت. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها. فقال أبو بكره: هذه بليء ابتليت بها، فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكره فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا. قال: وذهب ليصلي بالناس الظهر، فمنعه أبو بكره، وقال له: لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصل، فإنه الأمير، واكتبوا بذلكم إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعاً، المغيرة والشهود.

وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى: وبعث عمر بأبى موسى الأشعري على البصرة. وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبه. قال: قال على بن هاشم في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين: نتركه يتجهز ثلاثاً، ثم يخرج.

قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المريد، ودخلنا المسجد، فإذا هم يصلون: الرجال والنساء مختلطين. فدخل رجل على المغيرة، فقال له: إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد، عليه بُزُنُس. فقال له المغيرة: ما جاء زائراً ولا تاجراً. فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده، فلما رأنا قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثاً. وقال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته.

فقال له المغيرة: لقد علمت ما وجهت فيه، فألاً تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء. فقال له: المغيرة: فإنني أحب أن أقيم ثلاثاً لأتجهز. فقال: قد عزم على أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك، حتى أرحلك إليه. قال: إن شئت شفعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين. قال: وكيف؟ قال:

تؤجلني إلى الظهر، وتمسك الكتاب في يدك. قالوا: فقد رئي أبو موسى يمشي مقبلاً

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٨

ومدبراً وإن الكتاب لفي يده معلّقاً بخيط. فتجهز المغيرة، وبعث إلى أبى موسى بعقيلة، جارية عربية من سبي اليمامة، من بنى حنيفة؛ ويقال إنها مولدة الطائف، ومعها خادم لها. وسار المغيرة حين صلى الظهر، حتى قدم على عمر. وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاري: فلما قدم على عمر. قال له: إنه قد شهد عليك بأمر إن كان حقاً لأن تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك.

قال أبو زيد: وحدثني الحكم بن موسى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، عن مصعب بن سعد:

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلس، ودعا المغيرة والشهود. فتقدم أبو بكره. فقال له: أرايته بين فخذيهما، قال: نعم والله لكأنى أنظر إلى تشريم جذرى بفخذيهما. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به؟

فقال له عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيتك يلج فيه كما يلج المروء في المكحلة. فقال:

نعم أشهد على ذلك. فقال له: إذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبى بكره. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلج فيه ولوج المروء في المكحلة. فقال: نعم حتى بلغ قذذه. فقال: إذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك.

ثم دعا الثالث، فقال: علام تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبي. فقال له على بن أبى طالب عليه السلام: إذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك.

قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. وبكى إلى أمهات المؤمنين، حتى بكين معه، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقدم على عمر. فلما رآه جلس له في المسجد، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار. قال المغيرة: ومعى كلمة قد رفعتها لأكلم القوم. قال:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٦٩

فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزى الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحدّثنا عفان، قال: حدّثنا السري بن يحيى، قال: حدّثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهدي، قال: لما شهد عند عمر الشاهد الأول على المغيرة، تغير لذلك لون عمر. ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً. ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه فرفع عمر رأسه إليه، وقال له: ما عندك يا سلح العقاب. وصاح أبو عثمان صيحة تحكى صيحة عمر. قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى على.

وقال آخرون: قال المغيرة: فقممت إلى زياد، فقلت له: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

ثم قلت: يا زياد، اذكر الله، واذكر موقف يوم القيامة، فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت، فلا يحملك شرّ منظر رأيته على أن تتجاوز به إلى ما لم تر، فوالله لو كنت بين بطنى وبطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها. قال: فترنفت عيناه، واحمرّ وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين، أما أن أحق ما حقّ القوم فليس ذلك عندي؛ ولكني رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفساً حثيثاً وانبهاراً، ورأيت مستبطنها. فقال له: رأيته يدخله كالميل في المكحلة. فقال: لا.

وقال غير هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيته رافعاً برجليها. ورأيت خصيتيه تترددان بين فخذيها، ورأيت حفزاً شديداً، وسمعت نفساً عالياً. فقال له: رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قم إليهم فاضربهم. فقام إلى أبي بكره، فضربه ثمانين، وضرب الباقيين، وأعجبه قول زياد، ودرأ عن المغيرة الرجم.

فقال أبو بكره بعد أن ضرب: إني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا. فهم عمر بضربه، فقال له على عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. ونهاه عن ذلك.

قال: يعنى أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين، فوجب ذلك الرجم على المغيرة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧٠

قال: واستتاب عمر أبا بكره. فقال: إنما تستبينى لتقبل شهادتى. قال: أجل. قال:

لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا.

قال: فلمّا ضربوا الحدّ، قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذى أخزاكم. فقال له عمر: اسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه.

قال: وأقام أبو بكره على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى رقط فخذيها.

قال: وتاب الاثنان، فقبلت شهادتهما.

قال: وكان أبو بكره بعد ذلك إذا دعى إلى شهادة يقول: اطلب غيرى، فإن زياداً قد أفسد على شهادتى.

قال أبو زيد: وحدّثني سليمان بن داود بن علي، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال:

لما ضرب أبو بكره أمرت أمّه بشاء فذبحت، وجعلت جلدها على ظهره. قال:

فكان أبى يقول: ماذاك إلا من ضرب شديد.

حدّثنا ابن عمار والجوهري قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا علي بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كانت أم جميل بنت عمر، التى رمى بها المغيرة بن شعبه بالكوفة، تختلف إلى المغيرة فى حوائجها، فيقضيها لها. قال: ووافقت عمر

بالموسم والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت علي. فقال له عمر: أتتجاهل علي؟ والله ما أظن أبا بكره كذب عليك، وما رأيت إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.

حدثني أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن عباد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره. وقال غيره: لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره. شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٧١

حسان يهجو المغيرة

أخبرني ابن عمار والجوهري قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المدائني، قال:

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصيدة:

لو أن للؤم ينسب كان عبدا قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين والإسلام لما بدت لك غدوة ذات النّصيف

وراجعت الصّبا وذكرت عهداً من القينات والغمز اللطيف «١»

أقول:

ومن ذلك كله يظهر: أن شهادة الأربعة كلّهم كانت حاصلة، وحتى أن عمر نفسه واثق بتحقيق الزنا من المغيرة، لوجود كلمات من عمر في الأخبار وقرائن تشهد بذلك...

إلا أنه قد أفهم زياد بن أبيه أنه لا يريد إجراء الحدّ على المغيرة لحاجة في نفسه...

ولذا نرى أن غير واحد من المدافعين عن عمر لا ينكرون ذلك، وإنما يحاولون توجيهه، فقد أجاب قاضي القضاء.

«بأنه أراد صرف الحدّ عنه واحتال في دفعه».

قال السيد المرتضى: «كيف يجوز أن يحتال في صرف الحدّ عن واحد ويوقع ثلاثة فيه وفي الفضيحة؟ مع أن عمر كان كلّما رأى المغيرة يقول: قد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء» (٢).

فأنت ترى أن القاضي لا ينكر أن عمر عزم على إسقاط ما ثبت من الحدّ على المغيرة. هذا أولاً.

وثانياً: كيف جاز له إيقاع الثلاثة في الحدّ وفي الفضيحة؟

وثالثاً: كيف؟ والثلاثة من الصحابة والقوم يصرون على عدالة جميع الصحابة؟

(١) الأغاني ٨ (١٥-١٦) ٣٣٠-٣٣٣.

(٢) وأورده العلامة في نهج الحق: ٢٨٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٧٢

كيف ورمى مثل المغيرة الصحابي بالزنا؟

ونحو كلام القاضي المذكور كلام غيره، فلا نذكره.

وأما ابن تيمية، فأراح نفسه بالمغالطة فإنه قال: «إن جماهير العلماء على ما فعله عمر في قصّة المغيرة، وأن البيّنة إذا لم تكمل حدّ الشهود، ومن قال بالقول الآخر لم يناع في أن هذه مسألة اجتهاد»... فاحكم عليه بما يقتضيه الدين والإنصاف!

المورد السادس: قال قدس سره: وكان يعطى أزواج النبي صلى الله عليه وآله من بيت المال أكثر مما ينبغي ... ص: ٧٢

هذا من القضايا الثابتة، فقد ذكروا أنه قد فرض لأزواج النبي صلى الله عليه وآله عشرة آلاف إلا عائشة، فإنه قد فرض لها اثني عشر ألف درهم، قال الطبري:

«وفضّل عائشة بألفين لمحبة رسول الله إياها» (١).

وقال ابن الجوزي: «ثم فرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة عشرة آلاف، وفضّل عائشة بألفين فأبت، فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله، فإذا أخذت فشأنك (قال) واستثنى من الزوجات جویریة و صفیة وميمون، ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف» (٢).

فقال قاضي القضاة المعتزلي: «شبهة لهم أخرى، وأحد ما طعنوا به ونقموا عليه:

أنه كان يعطى من بيت المال ما لا يجوز، حتى كان يعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كلّ سنة» ثم أجاب: «بأن دفعه إلى الأزواج من حيث أن لهنّ حقاً في بيت المال، وللإمام أن ذلك على قدر ما يراه، وهذا الفعل مما قد فعله من قبله ومن بعده،

(١) انظر: الأموال لأبي عبيد: ٢٢٦، الأحكام السلطانية: ١٧٧، تاريخ الطبري ٣/ ١٠٩ وغيرها.

(٢) سيرة عمر بن الخطاب: ٨٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٧٣

ولو كان منكراً لما استمر عليه أمير المؤمنين عليه السلام وقد ثبت استمراره عليه، ولو كان ذلك طعناً لوجب إذا كان يدفع إلى الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال أن يكون في حكم الخائن. وكلّ ذلك يبطل ما قالوه.

فقال السيد المرتضى علم الهدى في الجواب: «يقال له: أما تفضيل الأزواج، فإنه لا يجوز، لأنه لا سبب فيهن يقتضى ذلك...»

وقوله: إن لهنّ حقاً في بيت المال. صحيح، إلا أنه لا يقتضى تفضيلهنّ على غيرهنّ، وما عيب بدفع حقهنّ وإنما عيب بالزيادة عليه.

وما نعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام استمرّ على ذلك، وإن كان صحيحاً كما ادّعى فالمسبب الدّاعي إلى الاستمرار على جميع الأحكام.

فأما تعلّقه بدفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن والحسين صلى الله عليه وآله وغيرهما من بيت المال. فعجيب» (١ ... ١).

وأما ابن تيمية فغالط - كما هو دأبه - قال: «فالجواب: أمّا حفصة فكان ينقصها من العطاء، لكونه ابنته كما نقص عبد الله بن عمر. وهذا من كمال احتياطة في العدل وخوفه مقام ربّه ونهيّه نفسه عن الهوى. وهو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل، فيعطى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أعظم مما يعطى غيرهنّ من النساء» (٢ ... ٢).

أقول:

وهذا هو الإشكال. وأمّا أنه كان ينقص حفصة من العطاء لكونه ابنته، فمغالطة واضحة، كان ينقصها من أى مقدار؟ وهل نقصها لكونها ابنته؟ إنه قد فضّل أزواج النبي على غيرهنّ فأعطى كلّ واحدة عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين، لأن النبي كان يحبها!! فلم يزد حفصة لأنه ما كان يحبها مثلها، لا أنه نقصها لأنها ابنته!

(١) المغنى ج ٢٠ ق ٢ ص ١٥، والشافى ٤/ ١٨٧.

(٢) منهاج السنة ٦/ ٣٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٧٤

وأما أنه نقص، فهذا ما لا نعلمه ولا يهّمنا.

إن كثيراً من هؤلاء يريدون الدفاع عن مشايخهم لكنهم لا يعلمون كيف يدافعون؟ ويتكلمون وكأنهم لا يفهمون ما يقولون!!

المورد السابع: قال قدس سره: وغير حكم الله تعالى في المتعتين ... ص: ٧٤

الشرح:

قد تقدّم الكلام بالتفصيل عن المتعتين، فلا نعيد، ومن المعلوم أن من يغيّر حكم الله الثابت لا يصلح لأن يقوم مقام الرسول. لكن ننبه على أن كلمة «المتعتين» صحت في (منهاج ابن تيمية) إلى «المنفيتين» وهل هو عن عمد أو سهو؟

المورد الثامن: قال قدس سره: وكان قليل المعرفة بالأحكام ... ص: ٧٤

إشارة

الشرح:

لا يخفى أن من الصفات المجمع على اعتبارها واشترائها في الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو: أن يكون عارفاً بالأحكام، ومن وظائفه حفظها وتعليمها ونشرها بين الأناس ... لكن هذا الشرط كان مفقوداً في عمر بن الخطاب، فكيف يصلح ويليق لأن ينوب مناب النبي سلام الله عليه وعلى آله الأطياب؟ وقد تعرّض العلّامة لموارد من جهل عمر، منها:

١- أمره برجم المرأة الحامل ... ص: ٧٤

وهذا من القضايا الثابتة بحسب روايات القوم، فقد روي أنه أتى عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور، فأمر برجمها، فتلّقها على فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر عمر

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧٥

برجمها. فردّها على وقال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟ ولعلّك انتهزها أو أخفتها؟ قال: قد كان ذلك. قال: أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له، فخلّا سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا على لهلك عمر» (١). وقد أورد الفخر الرازي هذه القضية في حجج الشيعة على أن علياً أفضل الصحابة قال: «الحجة الثالثة: إن علياً رضى الله عنه كان أعلم الصحابة، والأعلم أفضل.

إنما قلنا: إنه كان أعلم الصحابة للإجمال والتفصيل. أما الإجمال ... وأما التفصيل، فيدلّ على ذلك وجوه ... الثالث:

وروي أن امرأة أقرت بالزنا وكانت حاملاً، فأمر عمر برجمها فقال علي: إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ فترك عمر رجمها وقال: لولا على لهلك عمر.

فإن قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها، فظنّ أنها ليس بحامل، فلمّا تبّنه على رضى الله عنه ترك رجمها. قلنا: هذا يقتضى أن عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء. وهذا أشدّ من الأوّل» (٢).

وكأن هذه القضية متكرّرة من عمر، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد نهاه عن رجم حامل أخرى فقال عمر: «كلّ أحد أفقه منّي» (٣). وفي قضية ثالثة قالوا: إن الذي نهاه عن الرجم هو معاذ بن جبل، فقال عمر هناك:

«لولا معاذ هلك عمر» (٤).

(١) الرياض النضرة ٢/ ١٩٦، مطالب السؤل: ٧٦-٧٧، المناقب للخوارزمي: ٨١.

(٢) كتاب الأربعين في أصول الدين: ٣٠٣.

(٣) الرياض النضرة ٢/ ١٩٦، ذخائر العقبى: ٨١.

(٤) كنز العمال ١٣/ ٥٨٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧٦
أقول:

وقد تحير القوم كيف يدافعون عن عمر؟

قال قاضي القضاء المعزلي - بعد إيراد خبر معاذ: - «وهذا غير لازم، لأنه ليس في الخبر أنه أمر برجمها مع علمه بأنها حامل ... وإنما قال ما قال في معاذ لأنه تنبهه على أنها حامل».

وأجاب السيد علم الهدى: «يقال له: ما تأولت به في الخبر من التأويل بعيد، لأنه لو كان الخبر على ما ظننته لم يكن تنبيه معاذ له على هذا الوجه، بل كان يجب أن يتنبه بأن يقول له: هي حامل، ولا يقول له: إن كان لك سبيل عليها فلا سبيل لك على ما في بطنها، لأن هذا القول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بأنها حامل، وأقل ما يجب لو كان الأمر على ما ظنه صاحب الكتاب أن يقول لمعاذ: ما ذهب عليّ أن الحامل لا- ترجم، وإنما أمرت برجمها لفقد علمي بحملها ... وقد كان يجب أيضاً أن يسأل عن الحمل، لأنه أحد الموانع من الرجم» (١).

أقول: وهذا ما أشار إليه الفخر الرازي في كلامه المزبور من أنه أشّر من الأول.

فاضطرّ الفخر إلى أن يجب عن الحجّة الثالثة بقوله:

«قلنا: لم لا- يجوز أن يقال: إنه حصل له هذه العلوم الكثيرة بعد أبي بكر، وذلك لأنه عاش بعده زماناً طويلاً، فلعله حصّلها في هذه المدة، فلم قلت: إنه في زمان حياة أبي بكر كان أعلم منه؟» (٢).

أقول: هذا كلّ ما قاله الفخر الرازي في الجواب، فانظر هل تراه دافعاً للإشكال عن عمر وعن أبي بكر، وأنصف؟!

وابن روزبهان، اضطرّ لأن يقول: الأئمة المجتهدون قد يعرض لهم الخطأ في الأحكام، إما لغفلة أو نسيان أو عروض حالة تدعو إلى الاستعجال في الحكم، والإنسان

(١) الشافي في الإمامة ٤/ ١٨٠.

(٢) الأربعين في اصول الدين: ٣١٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧٧

لا يخلو عن السهو والنسيان، والعلماء وأرباب الفتوى يرجعونهم إلى حكم الحق «... ١».

وهو كما ترى إقراراً بجهل عمر وأعلميّة الإمام عليه السلام...

وكذلك في شرح المواقف في مبحث الأفضليّة (٢)، فإنه بعد أن أورد القضية وغيرها كشواهد لأعلميّة الإمام على عليه السلام وأفضليّته، ومع ذلك، خلص إلى القول بأفضليّة الشيخين من أمير المؤمنين عليه السلام، لأن الصحابة قالوا بذلك، وحسن الظنّ بهم يقتضى اتّباعهم فيه!

وأما ابن تيمية فقال: «والجواب: إن هذه القضية إن كانت صحيحة فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل فأخبره عليّ بحملها... وإما أن يكون عمر قد غاب عنه كون الحامل لا ترجم، فلما ذكره على ذكر ذلك ولهذا أمسك» «... ٣».

فاقرأ واحكم بإنصاف.

٢- أمره برجم مجنونة ... ص: ٧٧

قال قدس سره: وأمر برجم مجنونة فقال له على ...

الشرح:

وهذه القضية أيضاً من القضايا الثابتة، فقد رواها:

أحمد بن حنبل، وعبد الرزاق، والبخاري، وأبو داود، وابن عبد البر، والحاكم، والبيهقي، والذهبي وغيرهم «٤». وفي بعض رواياتهم أنها كانت حبلية أيضاً.

(١) دلائل الصدق ٣ / ١٣٠.

(٢) شرح المواقف ٨ / ٣٧٢.

(٣) منهاج السنّة ٦ / ٤٢.

(٤) صحيح البخاري ٨ / ٢١٢، مسند أحمد ١ / ١٤٠، سنن أبي داود ٢ / ٣٣٩، الاستيعاب ٣ / ١١٠٢ - ١١٠٣، المستدرک ٤ / ٣٨٩، كنز العمال ٥ / ٤٥١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧٨

ولم ينقل إنكار هذه القضية إلا عن الكابلي صاحب (الصواعق الموققة)، وإلا فإن القوم - حتى أشدهم تعصياً في سائر الموارد كابن تيمية - يذعنون بصحة الخبر، لكونه في البخاري ومسند أحمد وغيرهما، وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي ...

إلا أنهم يحاولون الدفاع عن عمر كسائر الموارد بالتأويلات والاحتمالات.

ولعل أقوى احتمالاتهم أنه كان جاهلاً بحالها ... لكن لفظ الحديث في مصادرهم يأبى هذا التوجيه، ففي رواية أبي داود: «عن ابن عباس قال: أتى عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم، فمرّ بها على بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بنى فلان زنت، فأمر بها أن ترجم. قال فقال: ارجعوا بها. ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرء...».

لأن في هذا الحديث قرائن على علمه بحالها:

الأولى: إنه لو كان جاهلاً بحالها - وهو يعلم بحكم الحد في الزنا - لما شاور الصحابة فيها، بل حكم بإجراء الحد عليها.

والثانية: قول الناس، إنها مجنونة بنى فلان، يشهد بكون جنونها معلوماً ومشهوراً بين الناس، فجعل عمر بحالها حينئذ بعيداً جداً.

والثالثة: قول الإمام عليه السلام لعمر: أما علمت ... فإنه شاهد علمه بحالها وإلا لقال له بدل ذلك: أما علمت إنها مجنونة بنى فلان ...

ووجه آخر ذكره أبو سليمان الخطابي إذ قال بعد الحديث المزبور:

«قلت: لم يأمر عمر برجم مجنونة مطبق عليها في الجنون، ولا يجوز أن يخفى هذا ولا على أحد ممن بحضرته، ولكن هذه المرأة كانت

تجنّ مرة وتفتق أخرى، فرأى عمر أن لا يسقط عنها الحد لما يصيبها من الجنون، إذ كان الزنا منها في حال الإفاقة،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٧٩

ورأى على كرم الله وجهه أن الجنون شبهة يدرء بها الحد عمّن يتلى به، والحدود تدرء بالشبهات، لعلها قد أصابت ما أصابت وهي

في بقية من بلائها، فوافق اجتهد عمر اجتهداه في ذلك، فدرأ عنها الحد. والله أعلم بالصواب» «١».

إذن، كان يعلم بجنونها، فمن دافع عنه بأنه لم يكن يعلم فقد كابر.

لكن هذا الحمل أيضاً مردود، فليس في الحديث أقل شاهد عليه، بل قول الناس: «هذه مجنونة بنى فلان» ظاهر في كون جنونها مطبقاً. وأيضاً قول الإمام عليه السلام: أما علمت ... ظاهر في ذلك ... وأيضاً: لو كان اجتهد عمر ذلك وكان له وجه، لم يكن لقوله: «لولا على لهلك عمر» معنى، لأن مثل هذا الكلام متضمن للإقرار بالخطأ والاشتباه. وعلى الجملة، فإن الإقرار بجهل عمر وخطئه - كما اضطر إليه بعضهم - أولى من هذه التوجيهات الباردة، ومن أنكر أصل القضية منهم فقد أراد الفرار من هذا الإقرار.

٣ - منعه من المغالاة في المهر ... ص: ٧٩

قال العلامة: وقال في خطبته له: من غالى في مهر امرأة جعلته في بيت المال ... الشرح:

إن خبر نهى عمر عن المغالاة في الصداق، رواه المفسرون بتفسير قوله تعالى: «وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ فَنُطِئَتْ» (٢)

، كالقرطبي والزمخشري والنيسابوري وابن كثير والخازن والسيوطي وغيرهم. والمحدثون أيضاً رَوَوْه بالأسانيد، كعبد الرزاق وسعيد بن منصور وأبي يعلى الموصلي وابن المنذر وعبد بن حميد كما في الدر المنثور، وأحمد بن حنبل والطبراني وابن حبان، كما في (الدرر المنتشرة في الأحاديث)

(١) معالم السنن ٢٦٧/٣.

(٢) سورة النساء: ٢٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٨٠

(المشتهرة) وجماعة آخرون.

بل إن هذا الخبر متواتر كما قال الحاكم: «فقد تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وهذا الباب لى مجموع في جزء كبير ولم يخرجاه» (١). وقد أقره الذهبي على تواتر أسانيد الخطبة.

ومن هنا، لم أجد أحداً من المتكلمين يخدش في سند الخبر.

وفي هذه القضية دلالة على جهل فطيع بالقرآن والسريعة، حتى أن امرأة ذكرته وأقر بجهله بل قال: كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت، بل فيها دلالة على الجهل المركب، لأنه قد حرّم المغالاة في المهر وهدد بوضعه في بيت المال، زاعماً أن في ذلك ترويحاً للدين وخدمة للمسلمين.

وقد حاول بعض القوم الدفاع عنه:

فقال قاضي القضاة المعتزلي: إنه طلب الاستحباب في ترك المغالاة، والتواضع في قوله: كل الناس أفقه من عمر.

قال العلامة: وهذا خطأ، فإنه لا يجوز ارتكاب المحرم - وهو أخذ المهر وجعله في بيت المال - لأجل فعل مستحب. والرواية منافية، لأن المروى أنه حرّمه ومنعه حتى قالت المرأة: كيف تمنعنا ما أحلّ الله لنا في محكم كتابه. وأما التواضع، فإنه لو كان الأمر كما قال عمر، لاقتضى إظهار القبيح وتصويب الخطأ، ولو كان العذر صحيحاً لكان هو المصيب والمرأة مخطئة.

وابن روزهان تبع القاضي المعتزلي، وقال في جواب العلامة: «لم يرتكب المحرم بل هدد به، ولالإمام أن يهدد ويوعد بالقتل والتعزير والاستصلاح، فأوعد الناس وهددهم بأخذ المال إن لم يتركوا المغالاة، فلا يكون ارتكاب محرم، ولم يرووا أنه أخذ

(١) المستدرک علی الصحیحین ١٧٧ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨١

شيئاً من المهور الغالية ووضعها في بيت المال، ولو فعله لارتكب محرماً على زعمه». أقول:

نعم، لولا- المرأة، وأن الناس كلهم أفقه من عمر حتى المخدرات ... لفعل، ولبقى فعله ديناً يعملون به، كما في التراويح والمتعين وغيرهما.

ولكن صاحب المواقف وغيره لما التفتوا إلى عدم الجدوى في الدفاع بمثل هذا الكلام، اعترفوا بخطأ عمر ثم قالوا: بأنه لا ينافي الاجتهاد ولا يقدح في الإمامة «١».

وأضاف ابن تيمية أن إقرار عمر بخطئه فضيلة فقال: إن هذه القضية دليل على كمال فضل عمر ودينه وتقواه ورجوعه إلى الحق إذا تبين له، وأنه يقبل الحق حتى من امرأة، ويتواضع له «... ٢».

هكذا يقول هنا مع تصريحه في أكثر من موضع في كتابه بفتح تقدم المفضل على الفاضل ...

٤- شرب قدامة الخمر وجهل عمر ... ص: ٨١

قال قدس سره: ولم يحد قدامة بن مظعون في الخمر، لأنه تلا عليه ...

الشرح:

هو: قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، القرشي الجمحي، يكنى أبا عمرو. وقيل أبا عمر. والأول أشهر وأكثر. أمه امرأة من بني جمح، وهو خال عبد الله وحفصة ابني عمر بن الخطاب. وكانت تحته صفيئة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب. هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه: عثمان بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، ثم شهد بدرًا وسائر المشاهد، واستعمله عمر بن الخطاب على البحرين، ثم

(١) شرح المواقف ٨ / ٢٨١.

(٢) منهاج السنة ٦ / ٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨٢

عزله، وولّى عثمان بن أبي العاص.

وكان سبب عزله ما رواه معمر عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مظعون على البحرين - وهو خال عبد الله وحفصة ابني عمر بن الخطاب - فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر بن الخطاب من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قدامة شرب فسكر، وإني رأيت حدًا من حدود الله حقًا عليّ أن أرفعه إليك. فقال عمر: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة. فدعى أبو هريرة فقال: بم تشهد؟ فقال: لم أره يشرب، ولكني رأيته سكران يقىء، فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة.

ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين. فقدم، فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله. فقال عمر: أخصيم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد. فقال: قد أدّيت شهادتك.

قال: فصمت الجارود، ثم غدا على عمر فقال: أقم على هذا حدّ الله. فقال عمر: ما أراك إلا خصيماً، وما شهد معك إلا رجل واحد.

فقال الجارود: إني أنشدك الله! قال عمر:

لتمسكن لسانك أو لأسوءنك، فقال: يا عمر، أما والله ما ذلك بالحق أن يشرب الخمر ابن عمك وتسوءني.

فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنه الوليد فسلها - وهي امرأة قدامة - فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها فأقامت الشهادة على زوجها.

فقال عمر لقدامة: إني حاذك. فقال: لو شربت كما يقولون، ما كان لكم أن تحدوني. فقال عمر: لم؟ قال قدامة: قال الله عز وجل: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... الآية» (١). قال السيوطي: «أخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم - وصححه - عن

(١) انظر: الاستيعاب ٣/ ١٢٧٧ - ١٢٧٨، الإصابة ٥/ ٣٢٣، أسد الغابة ٤/ ١٩٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨٣

ابن عباس ... حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب، فأمر به أن يجلد، فقال:

لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله. قال: وفي أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ قال: فإن الله تعالى يقول في كتابه: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا... شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بداراً وأحدًا والخندق والمشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه؟ فقال ابن عباس: هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين وحجة على الباقين، عذراً للماضين لأنهم لقوا الله قبل أن حرم عليهم الخمر، وحجة على الباقين، لأن الله يقول: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ» ... حتى بلغ الآية الأخرى. فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله نهى أن يشرب الخمر. فقال عمر: فماذا ترون؟ فقال علي بن أبي طالب: نرى أنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، وعلى المفترى ثمانون جلدة. فأمر عمر فجلد ثمانين» (١). أقول:

أولاً: كان قدامة بن مظعون من أقرباء عمر القربيين.

وثانياً: كان عامله على البحرين.

وثالثاً: إنه قد ثبت شربه للخمر بالبيئة والإقرار.

ورابعاً: إن الأصحاب الحاضرين سكتوا عن جهل أو خوف من عمر!

وخامساً: إنه لما استدلل بالآية توقف عمر عن إجراء الحد عليه، فإن كان من أجل قرابته، فهذا نقص، وإن كان لجهله بالحكم الشرعي، فكذاك ... فتكون القضية من موارد الطعن على كل تقدير.

ولا يخفى أنه قد أبهم بعض المحدثين اسم الرجل حفظاً لماء وجه عمر وقدامة كليهما!!

(١) الدر المنثور ٢/ ٣١٦ بتفسير الآيات في تحريم الخمر في سورة المائدة: ٩٠ - ٩٢ والخبر في المستدرک ٤/ ٣٧٦ ووافقه الذهبي على التصحيح.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨٤

وقد روى ابن تيمية الخبر «١»، ولم يجب عن الطعن بشيء، بل جعل البحث في مقدار الحد الواجب على شارب الخمر، متوهماً أنه سيعرف بذلك ذهن القارئ عن مورد الطعن، وهذه طريقته في مواضع كثيرة.

٥- جهله في حكم إجهاض المرأة خوفاً منه ... ص: ٨٤

قال قدس سره: وأرسل إلى حامل يستدعيها فأجهضت خوفاً...

الشرح:

قال ابن تيمية: «الجواب: إن هذه مسألة اجتهاد تنازع فيها العلماء، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة رضي الله عنهم في الحوادث «...»».

أقول:

فهو لم ينكر صحة الخبر، وإنما حملها على المشورة، والحال أنه ليس في الخبر أنه شاور، بل جهل الحكم، والصحابة الحاضرون أيضاً جهلوا، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام أفهمه، فمن الأولى بالإمامة؟!

٦- تنازع المرأتين في الطفل وجهله بالحكم ... ص: ٨٤

قال قدس سره: وتنازعت امرأتان في طفل فلم يعلم الحكم وفزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام...

الشرح:

قال ابن تيمية: إن هذه قضية لم يذكر لها إسناداً ولا يعرف صحتها ولا أعلم أحداً من أهل العلم ذكرها، ولا تعرف عن عمر وعلى، ولكن هي معروفة عن سليمان بن

(١) منهاج السنة ٨٤ / ٦

(٢) منهاج السنة ٨٧ / ٦

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨٥

داود صلى الله عليه وآله، وقد ثبت ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة... فإن كان بعض الصحابة على أو غيره، سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعها أبو هريرة أو سمعوها من أبي هريرة، فهذا غير مستبعد «...» ١.

أقول:

فانظر كيف يحاول التقليل من أهمية علم أمير المؤمنين؟ وكيف يريد الدفاع عن عمر؟

أولاً: لقد نقل هذه القصة قبل العلامة وابن تيمية غير واحد من كبار «أهل العلم» كالشيخ المفيد البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ «٢» وابن شهر آشوب السروي المتوفى سنة ٥٨٨ «٣»، اللهم إلا أن ينكر كون هؤلاء من أهل العلم لتشيعهم!

وثانياً: جاء في آخر الرواية عند أصحابنا: «وهذا حكم سليمان في صغره».

وثالثاً: وجود القصة في الصحيحين عن سليمان عليه السلام لا يضّر باستدلال أصحابنا بها على جهل عمر، بل يقوّيه، لأنه يدلّ على أعلمية أبي هريرة أيضاً من عمر ومن سائر الصحابة الذين كانوا عنده!

٧- أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر ... ص: ٨٥

قال قدس سره: وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر فقال له على...

الشرح:

وهذه القضية ثابتة كذلك، فقد أخرجت في كتب التفسير والحديث والكلام «٤».

- (١) منهاج السنّة ٩٢/٦ - ٩٣.
- (٢) الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد ١/ ٢٠٥.
- (٣) مناقب آل أبي طالب ٢/ ١٨٨.
- (٤) تفسير الرازي ٦/ ١٢٧، الدر المنثور ١/ ٢٨٨ و ٦/ ٤٠، السنن الكبرى ٧/ ٤٤٢، الرياض النضرة ٢/ ١٩٤، الأربعين في أصول الدين: ٤٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨٦

فقال ابن تيمية: «والجواب: إن عمر كان يستشير الصّحابة... والولادة لسته أشهر نادرة إلى الغاية، والأمور النادرة قد لا تخطر بالبال، فأجرى عمر ذلك على الأمر المعتاد المعروف في النساء» «... ١».

أقول:

وهذا الكلام يشتمل على جوابين:

أحدهما: حمل القضية على التشاور، فهو قد شاور علياً عليه السلام فأجابه بما ذكر فعمل عليه.

والثاني: حملها على النسيان، لكونها نادرة إلى الغاية.

ألا ترى التهافت بين الوجهين؟ فإنه إن كان ناسياً فهو مستعلم مستفهم لا مشاور، وإن كان له علم فيريد الوقوف على ما يعلمه غيره من الصحابة في المسألة عن طريق المشورة، فهو ليس بناس للحكم.

وعلى كل حال، يريد ابن تيمية الفرار من الإقرار بجهل عمر.

ولكن علياً عليه السلام أفضل وأولى من عمر بالإمامة، لكونه مستحضراً للقرآن الكريم وما تدلّ عليه آياته، لو كان عمر ناسياً!!

المورد التاسع: قال قدس سره: وكان يضطرب في الأحكام، ففضى في الجدّ بمائة قضية ... ص: ٨٦

الشرح:

قضايا عمر في إرث الجدّ عجيبه، وإليك بعض أخبارهم في ذلك كما رواها المتقى الهندي:

«٣٠٦١١- عن سعيد بن المسيب عن عمر قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم

- (١) منهاج السنّة ٩٣/٦ - ٩٥.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٨٧
- كيف قسم الجدّ؟ قال: ما سؤالك عن ذلك يا عمر، إني أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك. قال سعيد بن المسيب: فمات عمر قبل أن يعلم ذلك. (عب، حق وأبو الشيخ في الفرائض).
- ٣٠٦١٢- عن عمر قال: إني قضية في الجدّ قضايا مختلفات لم آل فيها عن الحق. (عب).
- ٣٠٦١٣- عن عبيدة السلماني قال: لقد حفظت من عمر بن الخطاب في الجدّ مائة قضية مختلفة كلّها ينقض بعضها بعضاً (ش، حق، وابن سعد، عب).
- ٣٠٦١٤- عن ابن سيرين إن عمر قال: أشهدكم أني لم أقض في الجدّ قضاء (عب).
- ٣٠٦٣٢- عن الحسن: إن عمر بن الخطاب نشد الناس فقال: من منكم عنده علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجد، فليقم ... (ص).

٣٠٦٣٣- حدثنا أبو معشر عن عيسى بن عيسى الحنات قال: سألت عمر بن الخطاب الناس: أيكم سمع رسول الله قال في الجد شيئاً...؟ (ص).

٣٠٦٢٦- عن مروان: إن عمر حين طعن قال: إني كنت قضيت في الجد قضاءً، فإن شئتم أن تأخذوا به فافعلوا (... عب، هق) أقول:

فهل من شك في جهل عمر بالمسألة؟ وهل يجوز أن يتصدى الجاهل للحكم بين الناس؟ ومن الطبيعي وقوعه والحال هذه في الخطأ وهو غير معذور! إذن، هو الجهل، لا الاجتهاد وتبدل الرأي على أثر تجديد النظر في الأدلة، فلا فائدة في الحمل على الاجتهاد أو التشاور مع الصيابة، وهذا هو المقصود.

المورد العاشر: قال قدس سره: وكان يفضل في الغنيمة والعطاء وأوجب الله تعالى التسوية ... ص: ٨٧

الشرح:

وهذا أحد الموارد المهمة، فإن الله تعالى قد أوجب التسوية، وأهل السنة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٨٨

القائلون بنبوت الإمامة بالإختيار أجمعوا على أن من شروطه أن يكون المختار عدلاً لا يجور، وكيف يصلح الجائر، المفترق بين أفراد الأمة، لأن يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله في إدارة أمورها المادية والمعنوية؟ ثم إن هذه القضية من الأمور الثابتة عنه، ولذا لم ينكرها حتى مثل ابن تيمية الساعي وراء إنكار الحقائق بكل جهد، نعم، حاولوا التوجيه والتبرير بالاجتهاد كما في كلمات القاضي عبد الجبار والرازي وابن تيمية وغيرهم، ولا حاجة إلى إيراد نصوص عباراتهم بعد ظهور بطلانها بمخالفة الكتاب والعقل والسيرة النبوية المعتمدة.

المورد الحادي عشر: قال قدس سره: وقال بالرأي والحدس والظن ... ص: ٨٨

الشرح:

لا-ريب أن لله في كل واقعة حكماً، وأحكامه تعالى موجودة في آيات الكتاب والأحاديث الصحيحة الواردة عن رسوله، ولا يفهمها إلا العلماء بالكتاب والسنة.

وأيضاً، فإن وظيفة الحاكم هو العمل بالأحكام وتطبيقها بين الأمة.

والظاهر أن الذي كان من أبي بكر- غالباً- هو الإعلان عن الجهل وتمني السؤال من النبي صلى الله عليه وآله.

لكن عمر كثيراً ما أفتى بالرأي والحدس والظن، تاركاً الكتاب والسنة، فإنه- مع اعترافه بالجهل- لم يرجع إلى باب مدينة العلم لأخذ العلم والفتيا عن علم، وأقدم على الفتيا في مختلف القضايا بفتاوى متناقضة، ومن أجلى موارد ذلك الثابتة بلا شك، مسألة إرث الجد، كما تقدم ... ولا حاجة هنا إلى ذكر غيره كما لا حاجة إلى إيراد كلمات القوم في الدفاع عنه.

المورد الثاني عشر: قال قدس سره: وجعل الأمر شورى من بعده ... ص: ٨٨

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٨٩

الشرح:

قضية الشورى من أهم قضايا صدر الإسلام، ومن أكبر المؤاخذات على عمر بن الخطاب، وينبغي البحث في مقامات:

الأول: في أصل ثبوت الإمامة بالشورى.

والثاني: في شورى عمر بن الخطاب.

والثالث: في وقائع الشورى.

فأقول:

أما المقام الأول: فملخص الكلام فيه هو: إن الإمامة لا تثبت لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يقوم أحد مقامه في شئونه- عدا النبوة- إلا بالنص من الله عز وجل عليه، لما تقرّر من أنها نيابة عامية عن النبي صلى الله عليه وآله، وكما لا تثبت النبوة لأحد بالوصية أو البيعة أو الشورى أو غيرها إلا بتعيين من الله عز وجل، كذلك النيابة العامة عنه، فمن قام النص الشرعي على إمامته من الكتاب والسنة كان الخليفة والإمام بعد رسول الله شرعاً، ووجبت طاعته والانقياد له من الله عز وجل على كافة أفراد المكلفين من الأمة، وإلا فلا ولاية شرعاً له على أحد أصلاً.

والأدلة النقلية والعقلية على هذا المقام كثيرة، تعرّضنا لبعضها سابقاً.

وأما المقام الثاني، فإن الثابت عن عمر بن الخطاب أنه لم يكن يعتقد بالشورى ولا غيرها إلا النص.

وأيضاً، فإنه ما كان يعتقد باشتراط كون الإمام من قريش.

وأيضاً، فإنه ما كان يعتقد باشتراط كون الإمام حراً.

وأيضاً، فإنه ما كان يعتقد باشتراط الأفضلية في الإمام.

وهذه الأمور نستكشفها من أسفه على عدم وجود سالم مولى أبي حذيفة في ذلك الوقت:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩٠

لقد روي في الكتب المعتمدة عن عمر أنه قال: «لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى» وذلك بعد أن طعن، فجعلها شورى «١».

فمن هو سالم؟

هو: سالم بن معقل، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. من أهل فارس من اصطخر، وقيل: من عجم الفرس من كرمه، قالوا: كان من فضلاء الموالى ومن خيار الصحابة، أعتقته مولاته زوج أبي حذيفة، فتولّى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة، كان عمر بن الخطاب يفرط في الثناء عليه، قتل يوم اليمامة سنة ١٢ من الهجرة «٢».

ولما كان استخلاف عمر إياه- لو كان حياً- على خلاف القواعد العقلية والنقلية عندهم في الإمامة، اضطرّ بعضهم إلى تأويل كلام عمر:

قال ابن عبد البر: «وهذا عندي على أنه كان يصدر فيها عن رأيه».

وتبعه ابن تيمية إذ قال: «وأما ما يروى من ذكره لسالم مولى أبي حذيفة، فقد علم أن عمر وغيره من الصحابة كانوا يعلمون أن الإمامة في قريش ... بل من الممكن، أنه كان يولّيه ولاية جزئية أو يستشيرهم فيمن يولّى ونحو ذلك» «٣».

وهذا التأويل- على ما فيه من النظر- مخالف لظاهر الكلام وبعيد عنه كلّ البعد، ولذا، فقد ورد كلامه بلفظ أوضح وأصرح، فيما رواه عدّة من الأعلام وهو قوله: «لو كان سالم حياً لما تخالجنى فيه الشك» «٤».

بل جاء الكلام نصّاً في الاستخلاف في رواية بعضهم- وأظنه هو الأصل إلا أنهم

(١) الاستيعاب ٢/ ٥٦٨، الوافي بالوفيات ١٥/ ٥٨، عمدة القارى في شرح البخارى ١٦/ ٢٤٦.

(٢) تأويل مختلف الحديث ٢٨٥، المحصول في علم الأصول ٤/ ٣٢٢ شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٦٦ وغيرها.

(٣) منهاج السنة ٦/ ١٥١.

(٤) تأويل مختلف الحديث: ٢٨٥، المحصول في علم الأصول ٣٢٢ / ٤ شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٦٥ وغيرها.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٩١

حرفوه إلى اللفظين المتقدمين - فقد روى الزيلعي أنه قال:

«لو كان سالم حياً لاستخلفته» (١).

بل في رواية ابن سعد: «لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقت به:

سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح» (٢).

وعلى الجملة، فإنه كان يرى النص لا غير، ولو كان سالم حياً لنص عليه واستخلفه، والسؤال الآن هو: إنه لماذا لم ينص على أحد من

الصحابه؟ أما كان يرى لها أهلاً غير سالم مولى أبي حذيفة؟

لماذا جعلها شوري على خلاف عقيدته، وخالف فيه من تقدمه؟

لكن الحقيقة هي أنه في الواقع لم يعمل على خلاف رأيه، إذ الشورى التي طرحها كانت صوريّة، وهو كان قد عهد بالأمر إلى عثمان،

فكان يريد ولا يريد غيره أبداً. كما سيظهر ... بل لقد اشتهر ذلك في حياة عمر، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد تضمن شرح ابن

حجر العسقلاني لحديث البخاري بعضها حيث قال:

«قوله: فلما اجتمعوا تشهد عبدالرحمن.

وفي رواية إبراهيم بن طهمان: جلس عبدالرحمن على المنبر. وفي رواية سعيد بن عامر: فلما صلى صهيب بالناس صلاة الصبح، جاء

عبدالرحمن يتخطى حتى صعد المنبر، فجاء رسول سعد يقول لعبد الرحمن: ارفع رأسك وانظر لأمّة محمد وبائع لنفسك.

قوله: أمّا بعد.

زاد سعيد بن عامر: فأعلن عبد الرحمن، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، يا علي، إني نظرت في أمر الناس، فلم أراهم يعدلون

بعثمان. أي: لا يجعلون له مساوياً

(١) تخريج الأحاديث والآثار ٢ / ٢٥٠ رقم ٦٨٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٣ / ٣٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٩٢

بل يرجّحونه.

قوله: فلا تجعل علي نفسك سبيلًا.

أي: من الملامة إذا لم توافق الجماعة. وهذا ظاهر في أن عبدالرحمن لم يتردد عند البيعة في عثمان. ولكن قد تقدّم في رواية عمرو بن

ميمون التصريح بأنه بدأ بعلي فأخذ بيده فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت، والله

عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك

يا عثمان، فبايعه وبايع له علي.

وطريق الجمع بينهما: إن عمرو بن ميمون حفظ ما لم يحفظه الآخر. ويحتمل أن يكون الآخر حفظه لكن طوى بعض الرواة ذكره.

ويحتمل: أن يكون ذلك وقع في الليل لما تكلم معهما واحد بعد واحد فأخذ علي كل منهما العهد والميثاق، فلما أصبح عرض علي

على فلم يوافق على بعض الشروط وعرض على عثمان فقبل. ويؤيده رواية عاصم بن بهدلة عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن

عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟ فقال: ما ذنبى، بدأت بعلي فقلت له: اباعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر

وعمر، فقال: فيما استطعت. وعرضتها على عثمان فقبل. أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند عن سفيان بن وكيع عن أبي بكر

بن عياش عنه.

وسفيان بن وكيع ضعيف.

وقد أخرج أحمد من طريق زائدة عن عاصم عن أبي وائل قال: قال الوليد بن عقبة لعبد الرحمن بن عوف: مالك جفوت أمير المؤمنين - يعني عثمان -؟ فذكر قصته وفيها قول عثمان: وأما قوله سيرة عمر، فإنني لا أطيقها ولا هو. وفي هذا إشارة إلى أنه بايعه على أن يسير سيرة عمر، فعاتبه على تركها. ويمكن أن يؤخذ من هذا ضعف رواية سفيان بن وكيع، إذ لو كان استخلف بشرط أن يسير بسيرة عمر لم يكن ما أجاب به عذراً في الترك.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩٣

قال ابن التين: وإنما قال لعلي ذلك دون من سواه، لأن غيره لم يكن يطمع في الخلافة مع وجوده ووجود عثمان، وسكوت من حضر من أهل الشورى والمهاجرين والأنصار وامراء الأجناد، دليل على تصديقهم عبد الرحمن فيما قال وعلى الرضا بعثمان. قلت: وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق حارثة بن مضرب قال: حجبت في خلافة عمر، فلم أرهم يشكون أن الخليفة بعده عثمان. وأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده من طريق صحيح قال قال لي عمر: من ترى قومك يؤمرون بعدى؟ قال قلت: قد نظر الناس إلى عثمان وشهروه لها.

وأخرج البغوي في معجمه وخيشمة في فضائل الصحابة بسند صحيح، عن حارثة بن مضرب: حجبت مع عمر، فكان الحادي يحدو أن الأمير بعده عثمان بن عفان.

قوله: فقال.

أى: عبد الرحمن مخاطباً لعثمان: ابايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفين من بعده. فبايعه «١».

أقول:

ومن الشواهد أيضاً ما أخرجه ابن عساكر، قال:

«قرأت على أبي غالب بن البنا، عن أبي مُحَمَّد الجوهري، أنا أَبُو عمر بن حَيَّوِيَّة، أنا أَحْمَد بن معروف، نا الْحُسَيْن بن الفهم، نا مُحَمَّد بن سعد، أنا الوليد بن عطاء بن الأغز، وأحمد بن مُحَمَّد بن الوليد الأزرقى، قالوا: نا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى، عن جده أن سعيد بن العاص أتى عمر يستزيده في داره التي بالبلاط، وخطط أعمامه مع رسول الله فقال عمر: صل الغداة معى وَعَبَّشْ [ثم] اذكرنى حاجتك قال: ففعلت حتى إذا هو انصرف قلت: يا أمير المؤمنين حاجتى التى أمرتنى أن أذكرها لك، قال: فوثب

(١) فتح البارى في شرح صحيح البخارى ١٦٨/١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩٤

معى ثم قال: امض نحو داره حتى انتهيت إليها فزادنى وخط لي برجله فقلت: يا أمير المؤمنين زدنى فإنه نبت لي نابتة من ولد وأهل. فقال: حسبك. وأختبىء عندك أن سيلى هذا الأمر بعدى من يصل رحمك ويقضى حاجتك، قال: فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان وأخذها عن شورى ورضاً، فوصلنى وأحسن وقضى حاجتى وأشركنى فى أمانته «١».

وبعد، فلماذا الشورى الصورية؟

إنه قد اضطر إلى ذلك وبمشورة من عبد الرحمن بن عوف، لما أبلغه كلام القائلين فى منى: «لو مات عمر لبايعنا علياً». وقد تقدّم منا بعض الكلام حول ذلك.

وأما المقام الثالث، فقد أشار العلامة فى كلامه إلى نقاط:

١- إنه قد جمع فيمن يختار بين المفضول والفاضل، لأن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من سائر رجال الشورى قطعاً، ولأن بين

الخمسبة الباقية من هو أفضل من غيره يقيناً، والحال أنه قد تقرّر كتاباً وسنّة وعقلاً أن الفاضل مقدّم على المفضول، فكيف جعلهم سواء؟

٢- إنه جعل الشورى في عدد معيّن وأشخاص معينين، فحصر الإمامة فيهم دون غيرهم.

٣- إنه عيّن الأجل وجعله ثلاثة أيام.

٤- إنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة ثلاثة أيام، مع أنهم - عندهم - من العشرة المبشرة بالجنة، وأمر بقتل من خالف الأربعة منهم، وبقتل من خالف الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن.

٥- إنه طعن في كلّ واحد ممن اختاره للشورى، وهذه قرينه أخرى على أنها

(١) تاريخ دمشق - ترجمة سعيد بن العاص ١١٩ / ٢١، ولعلّها: في إمامته.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩٥

شورى صورته اضطرّ إليها لدفع أمير المؤمنين على عليه السلام.

٦- إنه جعل الرأي إلى عبد الرحمن بن عوف - بعد أن وصفه بالضّعف والقصور - فكان هو المحور، وعلى يده انتهى الأمر إلى حيث أراد عمر!

أقول:

هذه النقاط أمور مسلّمة عند الكلّ، بل كادت تعدّ من ضروريات تاريخ الإسلام، وقد رواها البخاري وابن سعد وابن جرير الطبري وابن عبد ربّه القرطبي واليعقوبي وابن الأثير وأبو الفداء وغيرهم.

وهناك نقاط أخرى لم يتعرّض لها العلّامة رحمه الله، ولعلّ من أهمّها:

١- إن عبد الرحمن - بعد أن قوّض تعيين الخليفة إليه - دعا عليّاً عليه السلام واشترط عليه العمل بالكتاب والسنة وأن يسير بسيرة الشيخين ... جاء ذلك في:

صحيح البخاري، ومسند أحمد، وتاريخ الطبري، والكامل، والمنتظم، وتاريخ الخلفاء، والصواعق، والفصول في الأصول، والابهاج في شرح المنهاج، وغير ذلك من كتب الحديث والتاريخ وأصول الفقه «١».

٢- قال على عليه السلام لعبد الرحمن: ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون. واللّه ما وليت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك، واللّه كلّ يوم في شأن. رواه الطبري وابن الأثير وأبو الفداء وغيرهم «٢».

٣- إن عبد الرحمن مات وهو مهاجر لعثمان، لأنه لما علم بأنه يريد الأمر من بعده لبني أمية وأنه سوف لا يعهد إليه، هجره ولم يكلمه إلى أن مات، ولعلّ عليّاً عليه السلام

(١) البخاري - بشرح ابن حجر ١٣ / ١٦٨، مسند أحمد ١ / ٧٥، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠١، الكامل لابن الأثير ٣ / ٧١، المنتظم لابن الجوزي ٤ / ٣٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٠، الصواعق ١ / ٣٠٩، الفصول في الأصول للسخسي ٤ / ٥٥، الابهاج للسبكي ٣ / ٢٧٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٧، الكامل في التاريخ ٣ / ٧١، المختصر في أخبار البشر ١ / ١٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩٦

إلى ذلك أشار بقوله له «واللّه كلّ يوم في شأن» وقوله: «سيلغ الكتاب أجله».

وقد ذكر مهاجرة عبد الرحمن لعثمان في غير واحد من كتب القوم، مثل كتاب المعارف والعقد الفريد والمختصر في أخبار البشر وغيرها «١».

٤- السبب في دخول أمير المؤمنين عليه السلام في الشورى مع علمه بما سينتهى إليه المجلس، كما أخبر عن ذلك من قبل بقوله لعنه العباس: «لقد عدل عنا، لأن سعداً لا يخالف عبدالرحمن لأنه ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان، فلا يختلفون، فيوليها أحدهم الآخر» (٢)، هو عدم تعاونه عليه السلام معهم في حرمانه، بل ليتضح للمسلمين دسيتهم في ذلك، ولينتهازها فرصة لتذكيرهم بأحقية بالإمامة والولاية منذ اليوم الأول، وتلك نصوص احتجاجه عليهم مذكورة في كتبهم بالأسانيد، وقد تكلمنا عليه بالإيجاز سابقاً.

٥- وأما السبب في البيعة فواضح، فإن عبد الرحمن قد قال له: «يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل علي نفسك سبيلاً» (٣) ثم إنه بعد أن بايع عثمان على الكتاب والسنة وسيرة الشيخين قال: «يا أبا طلحة، ما الذي أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة. فقال عبد الرحمن لعلي: بايع إذن وإلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به. فقال: لقد علمتم أني أحق بها من غيري» (٤).

فهذه أهم أخبار الشورى...

(١) المعارف لابن قتيبة: ٥٥٠ (المتهاجرون)، العقد الفريد ٢٧٩/٤، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١/١٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٩٤، الكامل ٣/٦٧، تاريخ أبي الفداء ١/١٦٦، العقد الفريد ٤/٢٥٦.

(٣) صحيح البخاري ٨/١٢٣ وانظر فتح الباري ١٣/١٧٠.

(٤) شرح نهج البلاغة ٦/١٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٩٧

والآن... فانظر ماذا يقول المدافعون عن عمر، المبررون لأفعاله؟

أجاب قاضي القضاة: بأن الأمور الظاهرة لا يجوز أن يعترض عليها بأخبار آحاد غير صحيحة، والأمر في الشورى ظاهر وأن الجماعة دخلت فيها بالرضا، ولا- يجب القدح في الأفعال بالظنون، بل يجب حملها على ظاهر الصيحة دون الاحتمال، كما يجب مثله في الألفاظ، ويجب إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضي حسن الظن به أن يحمل فعله على ما يطابقها. وقد علمنا أن حال عمر وما كان عليه من النصيحة للمسلمين يمنع من صرف أمره في الشورى إلى الأغراض التي يظنها القوم.

أقول: هذا موجز كلامه «١»، ومحصله حمل فعل عمر على الصيحة لحسن الظن به.

وأجاب التفتازاني كذلك، فقد قال: «من نظر بعين الإنصاف وسمع ما اشتهر من عمر في الأطراف، علم جلالة محله عما تدعيه الأعداء وبراءة ساحته عما يفتريه أهل البدع والأهواء، وجزم بأنه كان الغاية في العدل والسداد والاستقامة على سبيل الرشاد» (٢... ٢).

وكذلك ابن روزبهان، فقد أجاب قائلاً: «إن أمر الشورى أدلّ الدلائل على تقوى عمر وخوفه من الله تعالى، لأنه احتاط فيه كمال الإحتياط»... ثم كذب بعض الأخبار، كخبر قدح عمر في أصحاب الشورى واحداً واحداً لكنه قال بعد ذلك: «ثم إنا لو فرضنا صحة ما ذكر، فإنه لم يذكر المعائب القادحة للإمامة، بل هذا من مناصحة الناس، فذكر ما كان من العيوب» فرجع الأمر إلى حسن الظن بعمر...

فهو- كالتفتازاني- عيال على قاضي القضاة المعتزلي، بل قد صرح هنا باسمه ووافقه على كلامه.

وهو محصل كلام ابن تيمية، وهذه تتف من كلامه الطويل الذي شَرَق فيه وغَرَب

(١) المغني في الإمامة ج ٢٠ ق ٢ ص ٢١-٢٦.

(٢) شرح المقاصد ٢/٢٩٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٩٨

تضييعاً للحق وتعتيماً للحقيقة، قال: «والجواب: إن هذا الكلام كله لا يخرج عن قسمين: إما كذب في النقل وإما قدح في الحق. فإن منه ما هو كذب معلوم الكذب أو غير معلوم الصدق، وما علم أنه صدق فليس فيه ما يوجب الطعن على عمر، بل ذلك معدود من فضائله ومحاسنه التي ختم الله بها عمله...»

ومن هذا الباب أمر الشورى، فإن عمر بن الخطاب كان كثير المشاورة للصّحابة، وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن هؤلاء الستة أحق من غيرهم، وجعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحداً منهم ويكون غيره أصلح لهم، وهذا أحسن اجتهد إمام عالم عادل ناصح لا هوى له... فرأى الأمر في الستة متقارباً، فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض فلذلك المفضل مزية أخرى ليست للآخر، فترك التعيين خوفاً من الله تعالى، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة، وإذا كان من الأمور أمور لا يمكن دفعها فتلك لا تدخل في التكليف! ومما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس على غاية ما يمكن من الصلاح لا لرفع الفساد بالكلية! ولا ريب أن الستة الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض الذين عينهم عمر، لا يوجد أفضل منهم وإن كان في كل منهم ما كرهه، فإن غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم... وإذا كان الواحد من هؤلاء له ذنوب، فغيرهم أعظم ذنباً وأقل حسنة! «... ١».

وقال ابن حجر العسقلاني: «وفي قصة عمر هذه من الفوائد: شفقتة على المسلمين، ونصيحته لهم وإقامته السنة فيهم، وشدة خوفه من ربه، واهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه» «٢».

(١) منهاج السنّة ١٥٠ / ٦.

(٢) فتح الباري ٥٦ / ٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٩٩
أقول:

لكنهم مع ذلك يواجهون مشاكل لا يجدون مناصاً من الإشارة إليها والمحاولة لحلّها، فيقعون في التهافت والتناقض، أو يضطرون إلى التكذيب للحقائق والإنكار لما جاءت به من طرقهم الأخبار! فمثلاً:

لا ريب ولا خلاف في أن الستة لم يكونوا في مرتبة واحدة من الفضيلة، وقد ثبت كتاباً وسنة وعقلاً تقدّم الفاضل وقبح تقدّم المفضل عليه، وأنه لا تصح ولايته مع وجوده، بل ذكر ابن تيمية أن ذلك كان رأى عمر أيضاً، فانظر إلى تناقضاتهم في الجواب: فقيل: إنهم كانوا متقاربين في الفضيلة. وقيل: إنه وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضل مزية أخرى ليست للآخر. وقيل: كان يعلم أن المفضل منهم لا يتقدّم على الفاضل. وقيل: يجوز استخلاف المفضل لمصلحة يراها الإمام. وفي مقابل هذه الأقوال كلام ابن بطال إذ قال:

«فيه دليل على جواز تولية المفضل على الأفضل منه، لأن ذلك لو لم يجر لم يجعل الأمر شورى إلى ستة أنفس، مع علمه أن بعضهم أفضل من بعض (قال) ويدل على ذلك أيضاً قول أبي بكر: قد رضى لكم أحد الرجلين عمر وأبو عبيدة، مع علمه بأنه أفضل منهما». بل لقد استشكل ابن بطال مخالفة عمر لمن تقدّمه، فقد جعل عمر الخلافة في ستة ووكّل ذلك إلى اجتهدهم، ولم يصنع ما صنع أبو بكر في اجتهداه فيه، لأنه إن كان لا يرى جواز تولية المفضل على الفاضل، فصنيعه يدلّ على أن من عدا الستة كان مفضولاً بالنسبة إليهم، وإذا عرف ذلك، فلم يخف عليه أفضليّة بعض الستة على بعض.

وإن كان يرى جواز ولاية المفضل على الفاضل، فمن ولّاه منهم أو من غيرهم كان ممكناً».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٠

وقد أجاب ابن حجر قائلاً: «والجواب عن الأوّل يدخل فيه الجواب عن الثانی وهو: إنه تعارض عنده صنيع النبي صلى الله عليه وسلم

حيث لم يصرح باستخلاف شخص بعينه، وصنيع أبي بكر حيث صرح، فتلك طريق تجمع التنصيص وعدم التعيين. وإن شئت قل: تجمع الاستخلاف وترك تعيين الخليفة. وقد أشار بذلك إلى قوله: لا أتقلدها حياً وميتاً» ... ١». والإنصاف ورود الإشكال كما لا يخفى على أهله، لأن النبي صلى الله عليه وآله قد استخلف وما مات بلا وصية. على أن قوله «تعارض» ... باطل جداً، لأن أبا بكر مأمور بالتأسي برسول الله والإنقياد له، لكونه أحد أفراد أمته، ولأن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله معصوم دونه، فكيف يصلح لأن يكون صنيعه في عرض صنيع رسول الله ومعارضاً له؟ وهذا من مثل ابن حجر عجيب، لكنه من ضيق الخناق. فإما يلتزم بقول أبي بكر وعمر بجواز تولية المفضل، وإما يلتزم ببطلان صنيعهما. وفي أن عمر ذكر لكل من الستة عيباً قادحاً ... تناقضت كلماتهم بين منكر لأصل الخبر، وبين معترف به زاعماً أن الواجب على الخليفة هو ما يمكن من الصلاح لا رفع الفساد بالكلية، فإن هذا ممتنع حتى على الأنبياء، والجماعة كانوا أفضل الناس وإن كان في كل منهم ما يكره وكان له ذنوب! وبين من يحمل ذلك على ديانة عمر وخوفه من ربه! وفي أنه أمر بضرب عتق من خالف، وضرب رقابهم جميعاً إن انقضت الثلاثة أيام من دون تعيين للخليفة، فمنهم من كذب، قال ابن تيمية: «هذا من الكذب على عمر، ولم ينقل هذا أحد من أهل العلم بإسناد يعرف، ولا أمر عمر قط بقتل الستة الذين يعلم أنهم خيار الأمة، وكيف يأمر بقتلهم» ... ٢». وهذا دأب ابن تيمية في إنكار الحقائق

(١) فتح الباري ٥٧/٧.

(٢) منهاج السنة ١٧٣/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠١

وتكذيب الثابتات، بل إن هذا يعدّ من ضروريات تاريخ صدر الإسلام وهو مذكور في كتب التاريخ والحديث. ولذا اضطرّ بعضهم إلى أن يوجهوا الأمر بالقتل بأنه من كثرة نصيحة عمر للمسلمين وشدة اهتمامه بالأمر، بل منهم من يصحح القتل كقاضى القضاء المعتزلى ووافقه ابن روزبهان الأشعري.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٢

ما روه عن عثمان ... ص: ١٠٢

المورد الأول: قال قدس سره: وأما عثمان، فإنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ... ص: ١٠٢

إشارة

الشرح:

هذا أحد موارد الطعن في عثمان، وأحد الأمور التي نقم عليها الناس وأدت إلى قتله ... وقد ذكر العلامة وغيره أسماء بعض الذين ولّاهم أمور المسلمين وهم فساق لا يصلحون لذلك:

١- الوليد بن عقبة ... ص: ١٠٢

قال قدس سره: واستعمل الوليد بن عقبة، حتى ...

الشرح:

وهو أخو عثمان لأُمّه، يكنى أبا وهب، أسلم يوم الفتح، ولا خلاف بين العلماء في نزول قوله تعالى «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» (١) فيه «٢»، فقد سمّاه الله تعالى فاسقاً، ومع ذلك ولّاه عثمان على الكوفة! وقد تعجّب عبد الله بن مسعود من ذلك، فقد روى أنه لما قدم الكوفة أتاه ابن مسعود فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت أميراً. فقال ابن مسعود: «ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس» (٣). قال ابن عبد البر: «أخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي مشهورة كبيرة، يسمح بنا ذكرها هنا، ونذكر منها طرفاً:

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) الاستيعاب ٤/ ١٥٥٤.

(٣) المصدر ٤/ ١٥٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٣

ذكر عمر بن شبّه قال: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم. (قال) وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله: أزيدكم - بعد أن صلى الصبح أربعاً - مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار» (١).

أقول: وإنما اكتفينا بكلام ابن عبد البر للاختصار، ولأنه من الحفاظ الكبار، وإلا، فإن ما ذكره موجود في سائر الكتب والأسفار. وأي فائدة في قول التفتازاني في الدفاع عن عثمان بأن ذلك غير قادح «إذ لا اطلاع له على السرائر، وإنما عليه الأخذ بالظاهر والعزل عند تحقق الفسق» (٢).

لأننا نقول:

أولاً: لقد كان الوليد مشهوراً بالفسق قبل ذلك، والله سمّاه فاسقاً، فكيف ولّاه على الكوفة وهو عالم بحاله؟

وثانياً: إنه لم يعزل من ظهر منه الفسق، كما سيأتي في الكلام عن سعيد بن العاص.

هذا، وفي كلامه تصريح بوجود الفسق والفساق بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأما ابن تيمية، فلم يجب بل جعل يتهم ويسب! قال:

«والجواب: أن يقال: نواب على خانوه وعصوه أكثر مما خان عمّال عثمان له وعصوه» ... (٣).

(١) الاستيعاب ٤/ ١٥٥٤، ١٥٥٥.

(٢) شرح المقاصد ٢/ ٢٩٥.

(٣) منهاج السنة ٦/ ١٨٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٤

أقول:

هكذا شرع كلامه، وهو يعلم أن الكلام ليس في الخيانة والعصيان للإمام، بل الكلام في تولية الإمام من يعلم بفسقه وتأميره على الناس... ثم إنه في طرف على يقول «نواب على»، وفي طرف عثمان يقول: «عمّال عثمان» ولا يخفى عليك الفرق بين «النائب» و«العامل».

ثم جعل يسب الرافضة... بل طعن في الإمام عليه السلام إذ قال بأن تولية الأقارب على بعض البلاد أهون من الوصية بالخلافة للولد... وهذه كلمة كبيرة خرجت من فم الرجل، والله حسيبه على كلماته والخصيم محمد وأهل بيته... فإن إمامة الإمام الحسن السبط بعد أمير المؤمنين عليه السلام كانت بنصب من الله ونص من رسوله صلى الله عليه وآله.

لكن الرجل يريد الدفاع عن عثمان، وفي كل مورد يريد إظهار النصب والعدوان، لآل البيت الذين نزل بطهارتهم صريح القرآن! ثم إنه عقد فصلاً قال: «والقاعدة الكلية في هذا أن لا نعتقد أن أحداً معصوم بعد النبي، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التي تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يتلون بمصائب يكفر الله عنهم بها، وقد يكفر عنهم بغير ذلك. فكل ما ينقل عن عثمان غايته أن يكون ذنباً أو خطأ، وعثمان قد حصلت له أسباب المغفرة من وجوه كثيرة» «... ١» ثم جعل يشرح هذه القاعدة في صفحات كثيرة، تهجم فيها على الشيعة وطعن في الإمام على عبارات شنيعة.

فنقول:

أولاً: كل ذلك خروج عن البحث، فإننا نريد أن نثبت - على ضوء قواعد أهل السنة

(١) منهاج السنة ٧/٦ - ١٩٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٠٥

ورواياتهم - أن عثمان لم يكن أهلاً للإمامة والخلافة.

وثانياً: لقد اعترف بصدور الخطأ والذنب ممن يعتقد بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. ولكنه ادعى أن ذنوبهم مغفورة عند الله، إلا أن مثل هذه الدعوى لا تصدر إلا من معصوم لا يتكلم إلا من قبل الله. وثالثاً: إنه قد ثبت بنص الكتاب والسنة الثابتة المتفق عليها عصمة علي وأهل البيت عليهم السلام... والتفصيل في محله.

٢- سعيد بن العاص ... ص: ١٠٥

قال قدس سره: واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة...

الشرح:

وهو: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية. ولد عام الهجرة، وقيل: بل ولد سنة إحدى. وتوفي في حكومة معاوية سنة تسع وخمسين.

قال العلامة في نهج الحق: «واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة وظهرت منه أشياء منكرة، وقال: إنما السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شاءت وتترك منه ما شاءت، حتى قالوا له: أتجعل ما أفاد الله علينا بستاناً لك ولقومك؟ وأفضى الأمر إلى أن منعه من دخولها، وتكلموا فيه وفي عثمان كلاماً ظاهراً، حتى كادوا يخلعون عثمان، فاضطر حينئذ إلى إجابتهم وعزل قهراً لا باختيار عثمان» «١».

أقول:

قد ذكر ذلك علماء أهل السنة في كتبهم المعتمدة، كابن سعد والطبري وابن عبد البر وابن عساكر وابن الأثير وغيرهم. وإليك عبارة تاريخ دمشق نقلاً عن المؤرخين ببعض التفاصيل.

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٠٦

«قالوا: ولم يزل سعيد بن العاص في ناحية عثمان بن عفان للقرابة، فلما عزل عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن الكوفة، دعا سعيد بن العاص فاستعمله عليها، فلما قدم الكوفة قدمها شاباً مترفاً ليست له سابقة فقال: لا أصعد المنبر حتى يطهر، فأمر به فغسل، ثم صعد المنبر فخطب أهل الكوفة وتكلم بكلام قصير بهم فيه، ونسبهم إلى الشقاق والخلاف فقال: إنما هذا السواد بستان لا غيلم من قريش. فشكوه إلى عثمان فقال: كلما رأى أحدكم من أمير جفوة أرادنا أن نعرله.

وقدم سعيد بن العاص المدينة وافداً على عثمان، فبعث إلى وجوه المهاجرين والأنصار بصلات وكساً، وبعث إلى علي بن أبي طالب أيضاً فقبل ما بعث به إليه، وقال علي: إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد تفويقاً، والله لئن بقيت لهم لانفضت منهم من ذلك نفص القصاب التراب الودمة.

ثم انصرف سعيد بن العاص إلى الكوفة فأضرب بأهلها إضراراً شديداً وعمل عليها خمس سنين إلا شهراً. وقال مرة بالكوفة: من رأى الهلال منكم؟ وذلك في فطر رمضان، فقال القوم: ما رأيناه، فقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: أنا رأيته، فقال له سعيد: بعينك هذه العوراء رأيته من بين القوم؟ فقال هاشم: تعيرني بعيني وإنما فقت في سبيل الله، وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك، ثم أصبح هاشم في داره مفطراً، وغدا الناس عنده، فبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه فضربه وحرّق داره.

فخرجت أم الحكم بعتبة بن أبي وقاص - وكانت من المهاجرات - ونافع بن عتبة بن أبي وقاص من الكوفة حتى قدما المدينة، فذكر لسعد بن أبي وقاص ما صنع سعيد بهاشم، فأتى سعد عثمان فذكر له ذلك، فقال عثمان: سعيد لكم بهاشم، اضربوه بضره، ودار سعيد لكم بدار هاشم فأحرقوها كما حرّق داره، فخرج عمر بن سعد بن أبي وقاص - وهو يومئذ غلام يسعي - حتى أشعل النار في دار سعيد بالمدينة، فبلغ الخبر عائشة، فأرسلت إلى سعد بن أبي وقاص تطلب إليه وتسأله أن يكف، ففعل.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٧

ورحل من الكوفة إلى عثمان الأشتر مالك بن الحارث ويزيد بن مكنف وثابت بن قيس وكميل بن زياد النخعي وزيد وصعصعة ابنا صوحان العبدان والحارث بن عبد الله الأعور وجندب بن زهير وأبو زينب الأزديان وأصفر بن قيس الحارثي، يسألونه عزل سعيد بن العاص عنهم، ورحل سعيد وافداً على عثمان فوافقهم عنده، فأبى عثمان أن يعزله عنهم، وأمره أن يرجع إلى عمله.

فخرج الأشتر من ليلته في نفر من أصحابه فسار عشر ليال إلى الكوفة، واستولى عليها وصعد على المنبر فقال: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن هذا السواد بستان لا غيلمه من قريش، والسواد مساقط رؤوسكم، ومراكز رماحكم، وفيؤكم وفيء آبائكم، فمن كان يرى لله عليه حقاً فلينهض إلى الجرة، فخرج الناس فعسكروا بالجرة - وهي بين الكوفة والحيرة - وأقبل سعيد بن العاص حتى نزل العذيب، فدعا الأشتر يزيد بن قيس الأرحبي وعبد الله بن كنانة العبدى - وكانا محريين - ففقد لكل واحد منهما على خمسمائة فارس وقال لهما: سيرا إلى سعيد بن العاص فأزعجاه وألحقاه بصاحبه، فإن أبي فاضربا عنقه، وأتياني برأسه.

فأتياه فقالا له: إرحل إلى صاحبك، فقال: إبلى أنضاء أعلفها أياماً، ونقدم المصر فنشترى حوائجنا ونترود ثم أرتحل. فقالا: لا والله ولا ساعة، لترتلن أو لنضربن عنقك، فلما رأى الجدّ منهما ارتحل لاحقاً بعثمان وأتيا الأشتر فأخبراه.

وانصرف الأشتر من معسكره إلى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله يا أهل الكوفة، ما غضبت إلا لله ولكم، وقد ألحقنا هذا الرجل بصاحبه وقد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم وثغركم وحذيفه بن اليمان على فيئكم، ثم نزل وقال: يا أبا موسى إصعد. فقال أبو موسى: ما كنت لأفعل، ولكن هلموا فبايعوا لأمر المؤمنين عثمان، وجدّدوا له البيعة في أعناقكم. فأجابه الناس إلى ذلك، فقبل ولايتهم وجدّد البيعة لعثمان في رقابهم، وكتب إلى عثمان بما صنع، فأعجب ذلك

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٨

عثمان وسره، فقال عتبة بن الوغل شاعر أهل الكوفة:

تصدّق علينا يا ابن عثمان واحتسب وأمر علينا الأشعري ليالياً

فقال عثمان: نعم، وشهوراً وسنين إن بقيت.

وكان الذي صنع أهل الكوفة بسعيد بن العاص أوّل وهن دخل على عثمان حين اجترى عليه، ولم يزل أبو موسى والياً لعثمان على الكوفة حتى قتل عثمان، ولم يزل سعيد بن العاص حين رجع عن الكوفة بالمدينة، حتى وثب الناس بعثمان فحصره، فلم يزل سعيد في الدار معه يلزمه فيمن يلزمه، لم يفارقه ويقاقل دونه «... ١».

٣- عبد الله بن أبي سرح «٢...» ص: ١٠٨

قال قدس سرّه: وولّى عبد الله بن أبي سرح مصر...

الشرح:

وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

إرتدّ في عهد النبي صلّى الله عليه وآله وكان من كتّاب الوحى، فلحق بالكفار، فأهدر النبي دمه، فستره عثمان بن عفان يوم الفتح، مع أن النبي صلّى الله عليه وآله كان قد قال في ذلك اليوم: «أربعة لا أؤمنهم فى حلّ ولا فى حرم» وأحدهم ابن أبي سرح، فجاء به إلى النبي، فاستوبه منه، فعفا عنه.

قالوا: وكان رجل من الأنصار قد نذر أن يقتل ابن أبي سرح، إذ رآه إطاعة لأمر النبي صلّى الله عليه وآله، فلمّا وجده عند النبي - وكان يأبى أن يبايعه - هاب قتله، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله: انتظرتك أن توفى نذرك. قال: يا رسول الله هبتك، أفلا

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢١/ ١١٤-١١٦.

(٢) نقلنا أخباره عن: تاريخ دمشق ٢٩/ ١٩-٢٤، الكامل فى التاريخ ٣/ ٨٨، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٥٧ وغيرها.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٠٩

أومضت. قال: إنه ليس لنبي أن يغمز أو يومض. وفى رواية: إنه صلّى الله عليه وآله قال لمن حوله: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآنى كففت يدي عن بيعته فيقتله.

قالوا: وقد كان عمرو بن العاص عاملاً لعثمان على مصر، فعزله عن الخراج وأقره على الصّلاة والجند، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج، فتباغيا، فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان: إن عمرو بن العاص كسر على الخراج. وكتب عمرو إلى عثمان: إن عبد الله بن سعد قد كسر على مكيدة الحرب. فكتب عثمان إلى عمرو: أن انصرف، فعزله وولّى عبد الله بن سعد الجند والصّلاة مع الخراج بمصر. فقدم عمرو مغضباً، فدخل على عثمان وعليه جبّة محشوّه قطناً، فقال له: ما حشو جبّتك؟ قال:

عمرو، قال: قد علمت ولم أرد هذا، إنما سألت أظن هو أم غيره؟ قال: لكنى قد أحبيت أن أعلمك أن فيها عمرو بن العاص.

وكان ابن سعيد فى حشد فى حمل المال ليصدّق حديثه وما كان يكتب به إلى عثمان، فحمل أكثر مما كان يحمل، فلما قدم ذلك على عثمان، أرسل إلى عمرو، فدخل عليه، فقال: هل علمت - يا أبا عبد الله - أن اللقاح قد درّت بعدك؟ قال: إنكم أعجفتهم أولادها. ثم أقام عمرو بالمدينة.

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن الزهرى قال:

«قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان، وما كان شأن الناس وشأنه، ولم خذله أصحاب محمد؟

فقال: قتل عثمان مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، ومن خذله كان معذوراً.

قلت: وكيف كان ذلك؟

قال: إن عثمان لما ولّى، كره ولايته نفر من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله، لأن

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١٠

عثمان كان يحبّ قومه، فولى الناس اثنتى عشرة سنة، وكان كثيراً ما يولّى بنى أمية ممن لم يكن [له] مع رسول الله صلّى الله عليه وآله صحبة، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله، وكان عثمان يستعقب فيهم، فلا يعزلهم، فلمّا كان فى

الست حجج الأواخر استأثر بنى عمه، فولاهم، وما أشرك معهم، وأمرهم بتقوى الله، ولّى عبد الله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود، وأبى ذر، وعمار بن ياسر، فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبى ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد خنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر.

وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح، فكتب إليه كتاباً يتهده فيه، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان، فقتله.

فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل، فزولوا المسجد، وشكوا إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بن عفان بكلام شديد، وأرسلت عائشة إليه، فقالت: تقدّم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلّا واحدة، فهذا قد قتل منهم رجلاً، فأنصفهم من عاملك.

ودخل عليه على بن أبي طالب، وكان متكلم القوم، فقال: إنما يسائلونك رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قبله دماً، فاعزله عنهم، واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه، فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليّه عليكم مكانه، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر، فقال: استعمل عليه محمد بن أبي بكر، فكتب عهده، وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١١١

[فخرج] محمد ومن معه، فلمّا كان على مسيرة ثلاث من المدينة، إذا هم بغلام أسود [على بعير] يخطب البعير خطباً، كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ما قصّيتك؟ وما شأنك؟ هارب أو طالب؟ فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين؛ وجّهني إلى عامل مصر، [فقال له رجل: هذا عامل مصر] قال: ليس هذا أريد وأخبر [بأمره] محمد بن أبي بكر، فبعث في طلبه رجلاً، فأخذه، فجاء به، قال فنظر إليه، فقال: غلام من أنت؟ فأقبل مرّة يقول أنا غلام أمير المؤمنين، ومرّة يقول أنا غلام مروان، حتى عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر، قال: بماذا؟ قال: برسالة، قال: معك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً، وكانت معه إداوة قد يبست، فيها شيء يتقلقل، فحرّكه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة، فإذا فيها كتاب: من عثمان إلى ابن أبي سرح. فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثم فك الكتاب بمحضر منهم، فإذا فيه: إذا أتاك فلان ومحمد وفلان، فاحتل قتلهم، وأبطل كتابه، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إلّي يتظلم منك، ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله، فلما قرءوا الكتاب فزعوا وأزمعوا، فرجعوا إلى المدينة، وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه، ودفع الكتاب إلى رجل منهم.

وقدموا المدينة، فجمعوا طلحة، والزبير، وعلياً، وسعداً، ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، ثم فضّوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصّة الغلام، وأقروهم الكتاب، فلم يبق أحد من المدينة إلّا -حق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبى ذر وعمار، حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتم لما قرأوا الكتاب، وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بنى تيم وغيرهم.

فلما رأى ذلك على بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب محمد

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١١٢

صلى الله عليه وآله، كلهم بدرى، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، فقال له على: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب، ولا أمر به، ولا علم به.

قال له على: فإلخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت

هذا الكتاب، ولا أمرت به، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط، وأما الخطّ فعرفوا أنه خط مروان، وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبى، وكان مروان عنده في الدار.

فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكوا في أمره، وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل، إلا أن قوماً قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبخته ونعرف حال الكتاب، وكيف يؤمر بقتل رجل من أصحاب محمد بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه، وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان، ولزموا بيوتهم، وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان، وخشى عليه القتل، وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء، فأشرف على الناس، فقال:

أفيكم علي؟ فقالوا: لا، أفيكم سعد؟ قالوا: لا، فسكت، ثم قال: ألا أحد يبلغ فيسقيننا ماء، فبلغ ذلك علياً، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة، فما كادت تصل إليه وجرح في سببها عدّة من موالى بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه، فبلغ علياً أن عثمان يرا د قتله، فقال: إنما أردنا منه مروان، فأما قتل عثمان فلا، وقال للحسن وللحسين: إذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه، وبعث عدّة من أصحاب محمد أبناءهم، يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان، ويسألونه إخراج مروان» (١).

(١) تاريخ دمشق ٣٩/ ٤١٥-٤١٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١٣
بقي أن نذكر:

إن عمرو بن العاص لمّا أقام بالمدينة، أنكحه عثمان أخته لأمّه: أم كلثوم ابنة عقبه بن أبي معيط، إلا أن ذلك لم يزل حقه على عثمان لأنه نزعه عن مصر، ولذا، لمّا قام الناس ضدّ عثمان دخل عليه نفر من قومه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن عمراً هو الذي أغرى بك. فأخرجه عثمان، فطلق عمرو امرأته، ونزل السبع من أرض فلسطين، فقال عمرو حين أخرج:

لنخضب لحيه غدرت وخانت بأحمر من دماء الخوف قانٍ

ولمّا بلغه قتل عثمان قال: قد علمت العرب أني إذا حككت قرحة أدميتها (١).

أقول:

هذه خلاصة القصّة، وهي مذكورة في سائر كتب القوم، يقول ابن تيمية:

«إن هذا كذب على عثمان، وقد حلف عثمان أنه لم يكتب شيئاً من ذلك، وهو الصادق البارّ بلا يمين. وغاية ما قيل: إن مروان كتب بغير علمه وأنهم طلبوا أن يسلم إليهم مروان ليقتلوه فامتنع... وأما قوله: أمر بقتل محمد بن أبي بكر. فهذا من الكذب المعلوم على عثمان... وإن ثبت أن عثمان أمر بقتل محمد بن أبي بكر، لم يطعن على عثمان، بل عثمان إن كان أمر بقتل محمد بن أبي بكر أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان، لأن عثمان إمام هدى، وخليفه راشد... وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد بن أبي بكر...» (٢).

أقول:

إن كان ما رواه القوم بأسانيدهم وذكره في كتبهم كذباً على عثمان، فهم الكاذبون، وأما أن عثمان خليفه راشد... فهذا أول الكلام وإلّا لم يطعن عليه الطاعون، ولم يقم ضده المسلمون...

(١) تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٦.

(٢) منهاج السنّة ٦/ ٢٤٤-٢٤٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١١٤
وعلى الجملة ... فإن ابن تيمية لا يوجد عنده دليل يدافع به عن إمامة عثمان بن عفان و مروان ...

٤- معاوية بن أبي سفيان ... ص: ١١٤

قال قدس سره: وولّى معاوية الشام ...
الشرح:

وقد تقدّم بعض الكلام على معاوية بن أبي سفيان سابقاً ... ولا يخفى أن أول من أمر معاوية على الشام هو عمر بن الخطاب، فلما جاء عثمان جمع الشام كله لمعاوية، وقد صرح بهذا ابن تيمية أيضاً.

٥- عبد الله بن عامر ... ص: ١١٤

قال قدس سره: وولّى عبد الله بن عامر العراق ...
الشرح:

وهو: عبد الله بن عامر بن كريز ... وهو ابن خال عثمان بن عفان، أم عثمان أروى بنت كريز. ولد بعد الهجرة بأربع سنين، وتوفى النبي صلى الله عليه وآله وله ثلاث عشرة سنة. ومات سنة تسع وخمسين وقيل ستين.
ولّى عثمان عبد الله بن عامر البصرة وفارس في حدائه سنة، إذ كان ابن أربع أو خمس وعشرين سنة، فعزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وعزل عثمان بن أبي العاص عن فارس.
وقد كان ولاية ابن عامر على البصرة وغيرها من جملة ما نقم الناس به عثمان «١»، فهو الذي سيّر عامر بن عبد قيس التميمي - المعروف بين الناس بالصّلاح والزهد

(١) الإستيعاب ١/ ٣٦٦ ترجمه حكيم بن جبلة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١١٥

والنسك - من البصرة إلى الشام، فأعظم الناس إشخاصه وإزعاجه وكان مما نقم به على عثمان «١»، وهو الذي تصرف في أموال المسلمين هناك، حتى دفع إلى عبد الله بن خالد بن أسيد - وهو زوج ابنة عثمان - ستمائة ألف درهم «... ٢».
فإن كان كل ذلك بأمر من عثمان فالمصيبة أعظم.

ولما قام المسلمون على عثمان، يريدون منه عزل أمرائه على البلاد، أرسل إلى معاوية وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإلى سعيد بن العاص وإلى عمرو بن العاص وإلى عبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم في أمره. فقال له عبد الله بن عامر:
رأيت لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك، فلا يكون همّ أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه «٣».

لكن ابن عامر ومعاوية لما كتب إليهما عثمان يستنجدهما لم يغنيا عنه شيئاً!!

فلما استنجد بأمير المؤمنين عليه السلام يطلب منه الوساطة، قال أمير المؤمنين عليه السلام لسعد بن أبي وقاص: «والله ما زلت أذب عنه حتى أنى لأستحيي، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحتهم أن تنحيهم استغشني حتى جاء ما ترى» «٤».

بل جاء في الأخبار أن أمير المؤمنين عليه السلام صرح بذلك عثمان، فجعل عثمان يدافع عن تولية ابن عامر قائلاً للإمام عليه السلام: «فلم تلومني إن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟» (٥).

(١)

الإنساب ٥/ ٥٧، المعارف: ٨٤ و ١٩٤، الإصابة ٥/ ٦٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٨.

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٣٧٣، الكامل ٣/ ١٤٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٠.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٣٧٧، الكامل ٣/ ١٧٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١٦

ومن هنا، فقد خاطبه محمد بن أبي بكر- في الساعات الأخيرة من عمره- قائلاً «ما أغنى عنك معاوية! وما أغنى عنك ابن عامر!» (١).

ثم كان عبد الله بن عامر من أصحاب طلحة والزبير، ثم من أصحاب معاوية، وكان والياً من قبله على البصرة ثلاث سنين.

هذا. وابن تيمية لم ينكر كون الرجل من الأشقياء، وإنما قال في جواب العلامة ما نصّه:

«الجواب: إن عبد الله بن عامر له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا ينكر ... وإذا فعل منكراً فذنبه عليه. فمن قال: إن عثمان رضى بالمنكر الذي فعله» (٢).

قلت: بل ذكرت الكتب والروايات أن أعماله في البصرة كانت بأمر من عثمان.

٦- مروان بن الحكم ... ص: ١١٦

قال قدس سره: وولى مروان أمره، وألقى إليه مقاليد أموره، ودفع إليه خاتمه، فحدث من ذلك قتل عثمان، فحدث من الفتنة بين الأمة ما حدث.

الشرح:

وهذا من الأمور المسلّمة الثابتة من أحوال عثمان وتاريخ صدر الإسلام- وفيما ذكرنا من البحوث إشارات إلى ذلك- ويكفي أن ابن تيمية أيضاً غير منكر لذلك، فإنه قال في الجواب:

«إن قتل عثمان والفتنة لم يكن سببها مروان وحده، بل اجتمعت أمور متعددة من جملتها أمور تنكر من مروان، وعثمان كان قد كبر وكانوا يفعلون أشياء لا يعلمونه بها...

ولما قدم المفسدون الذين أرادوا قتل عثمان ... وقد قيل: إنه زور عليه كتاب بقتلهم

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٠٦.

(٢) منهاج السنة ٦/ ٢٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١٧

وأنهم أخذوه في الطريق ... غايته أن يكون مروان قد أذنب في إرادته قتلهم ولكن لم يتم غرضه. ومن سعى في قتل إنسان ولم يقتله لم يجب قتله، فما كان يجب قتل مروان بمثل هذا. نعم، ينبغي الاحتراز ممن يفعل مثل هذا وتأخيره وتأديبه ونحو ذلك. أما الدم فأمر عظيم» (١).

قلت: لكن الكتاب كان مختوماً بختم عثمان ... كما ذكر الرواة من أهل السنة، وليس مما «قد قيل» بل هو أمر ثابت قطعي، والقوم لم يريدوا قتل مروان ولا عثمان، وإنما طالبوا من عثمان عزل مروان وغيره من الولاة الأشرار من أقربائه ... فأبى عثمان، فانتهى الأمر إلى قتله وكان ما كان ...

المورد الثاني: قال قدس سره: وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت مال المسلمين ... ص: ١١٧

الشرح:

وهذا أيضاً من الأمور الثابتة القطعية، حتى أن المدافعين عنه قد اعترفوا به وحاولوا الجواب، قال العلامة في نهج الحق: إنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي اعتدت للمسلمين. دفع إلى أربعة من قريش - وزوجهم بيناته - أربعمئة ألف دينار، وأعطى مروان مائة ألف دينار. أجاب قاضي القضاة: بأنه ربما كان من ماله. واعترضه المرتضى رحمه الله: بأن المنقول خلاف ذلك. فقد روى الواقدي أن عثمان قال: إن أبا بكر وعمر كانا يناولان من هذا المال ذوى أرحامهما، وإنى ناولت منه صلةً رحمة. وروى الواقدي: أنه بعث إليه أبو موسى الأشعري بمال عظيم من البصرة، فقسمه عثمان بين ولده وأهله بالصّحاف. وروى الواقدي أيضاً قال: قدمت إبل من

(١) منهاج السنة ٢٤٨/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١٨

البصرة فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص، وولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاة فبلغت ثلاثمئة ألف فوهبها له. وأنكر الناس على عثمان إعطائه سعيد بن العاص مائة ألف «١». أقول:

والحارث بن الحكم بن أبي العاص هو أخو مروان وصهر عثمان على ابنته عائشة ... وهذه القضايا التي رويت عن الواقدي رواها أو روى نحوها غيره من المؤرخين، كالبلاذري وابن قتيبة والطبري وغيرهم. وكان أول ما اعتذر به لعثمان هو احتمال كون تلك الأموال من ماله الخاص. لكن الرواة قد رووا عنه التصريح بكونها من بيت المال. ثم اعتذر بأنه إنما أعطاهم لحاجتهم إلى ذلك. وهذا العذر مردود كذلك، لأنها كانت عطايا فوق ما تقتضيه الحاجة. ثم اعتذر بأنها كانت لمصالح لا يعلمها إلا هو. وهذا أفسد مما قبله، لأنه لا مصلحة للمسلمين في إعطاء الآلاف المؤلفة لمروان وسائر أصحابه وبناته! وأية مصلحة هذه لا يعلمها أحد من المسلمين حتى قاموا عليه بسببها ولم يوافق أحد منهم فيها؟ وآخر الأعذار هو أن الأصل أن تحمل أعمال الخلفاء الراشدين على الصواب. ولكن هذا الأصل مما لم يعلم به أحد من الذين نصبوا هؤلاء للخلافة وسمّوهم بالراشدين ... فإن الذين قاموا ضد عثمان، وحركوا الناس، أو خذلوه فلم يمنعوهم عنه، هم طلحة والزبير وعمرو بن العاص وعائشة وأتباعهم. أمّا ابن تيمية، فقد طالب بالنقل الثابت للعطايا، فقال:

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٩٣-٢٩٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١١٩

فالجواب أن يقال: أين النقل الثابت بهذا؟ نعم، كان يعطى أقاربه عطاءً كثيراً، ويعطى غير أقاربه أيضاً، وكان محسناً إلى جميع المسلمين، وأما هذا القدر الكثير، فيحتاج إلى نقل ثابت «١».

قلت:

لا يخفى ما اشتمل عليه كلامه:

أولاً: «كان يعطى أقاربه عطاءً كثيراً»، فهو يعترف بكثرة العطاء لهم، لكن لا يدعى أنه كان يعطيهم من ماله ولا يصرح بكونه من بيت المال!

وثانياً: «يعطى غير أقاربه أيضاً»، فلا يدعى العطاء الكثير لغير أقاربه، لعدم وجود ذلك أصلاً.

ثم إنه يطالب بالنقل الثابت بهذا القدر الكثير، فنقول:

فأى مقدار هو الذى اعترفت به بقولك «عطاءً كثيراً»؟

وأى نقل هو النقل الثابت برأيك؟ ولو كان مجالاً للتشكيك فى ثبوت النقل بذلك لشكك غيرك من قبلك!

ثم اضطر لأن يكذب جميع القائلين بذلك والرواة له من أبناء مذهبه فقال:

ثم يقال ثانياً: هذا من الكذب البين، فإنه لا عثمان ولا غيره من الخلفاء الراشدين أعطوا أحداً ما يقارب هذا المبلغ...

لكن روى جميع المؤرخين والمؤلفين من أهل السنة بالوضع على عثمان بما يوجب الطعن فى عدالته وخلافته... لا يصدر إلّا من مثل ابن تيمية من أهل التهور والمجازفة والجرأة...

وعلى الجملة، فإن عمدة الكلام هو تصرفه فى بيت المال وإيثاره لأهله وأقاربه

(١) منهاج السنة ٦/ ٢٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٠

دون سائر المسلمين، الأمر الذى نقم عليه به المسلمون وقاموا يطالبون بخلعه، وانتهى الأمر إلى قتله... فما ذكره فى الدفاع عنه وتخطئه المسلمين - لا سيما الذين ولّوه من أهل الحل والعقد كما يدعون - لا ينفعه بحال من الأحوال.

المورد الثالث: قال قدس سره: وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفره ... ص: ١٢٠

الشرح:

عبد الله بن مسعود يعدّ من أكبر وأشهر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وله فى كتبهم فضائل يروونها بحقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى أنهم روى عنه أنه قال: «تمسّكوا بعهد ابن مسعود» «١» وأنه قال: «رضيت لكم ما رضى به ابن أم عبد» «٢» يعنى: عبد الله بن مسعود.

ولكن لا حجة فى الحديثين، لسقوط الأوّل منهما سنداً، ولأن الثانى وارد فى الحديث بعد أن قال ابن مسعود: رضيت بالله ربّاً... فكان النبى راضياً بما رضى به ابن مسعود... وقد أوضحنا ذلك فى كتابنا الكبير «٣».

ولكن القائلين بصحة الحديثين، وبجلالة قدر ابن مسعود، ملزمون باقتضاء ذلك ضلالة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وكونهما ظالمين مخالفين لأمر الله ورسوله!

وذلك لما ورد عندهم من منع عمر ابن مسعود من الإفتاء وحبسه فى المدينة المنورة، فقد أخرج الدارمى بإسناده أن عمر قال لابن

مسعود: «ألم أنبأ - أو أنبت - أنك تفتي ولست بأمر! ول حارها من تولي قارها» (٤).

(١)

سنن الترمذی ٣٣٦ / ٥.

(٢) المستدرک ٣ / ٣١٩.

(٣) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار ٣ / ٦٥ - ٧٥.

(٤) سنن الدارمی ١ / ٦١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢١

وأخرج ابن سعد بإسناده: «قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله؟ قال: أحسبه قال: ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتى مات» (١).
وقال الذهبي: «إن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله» (٢).

وأما قضية عثمان مع ابن مسعود فتأبته عندهم كذلك:

قال اليعقوبي - في قصة المصاحف بعد كلام له -: «أمر به عثمان فجزّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً... واعتلّ ابن مسعود فأتاه عثمان يعود، فقال له:

ما كلامٌ بلغني عنك؟

قال: ذكرت الذي فعلت بي. إنك أمرت بي فوطئ جوفى، فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر. ومنعتني عطائي.

قال: فإني أقيدك من نفسي، فافعل بي مثل الذي فعل بك.

قال: ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء.

قال: هذا عطاؤك فخذ.

قال: منعني وأنا محتاج إليه تعطينيه وأنا غني عنه؟! لا حاجة لي به.

فانصرف، فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمار بن ياسر، وكان عثمان غائباً، فستر أمره، فلما انصرف رأى

عثمان القبر فقال: قبر من هذا؟

فقال: قبر عبد الله بن مسعود.

قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟

(١) الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٢

فقالوا: ولي أمره عمار بن ياسر، وذكر أنه أوصى ألا يخبره به.

ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد، فصلى عليه عمار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليمًا» (١).

وفي المعارف في خلافة عثمان: «وكان مما نعموا على عثمان: أنه ... طلب إليه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمئة ألف

درهم من بيت مال المسلمين.

فقال عبد الله بن مسعود في ذلك، فضربه إلى أن دق له ضلعين» (٢ ...).

وفي (الرياض النضرة ٢/ ١٦٣) و (الخميس ٢/ ٢٦١) و (تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٨) واللفظ للأول: «فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حق على عثمان، وزاد ذلك غضب من غضب لأجل ابن مسعود وأبي ذر وعمار». وانظر:

تاريخ الطبري والكمال في التاريخ والعقد الفريد وأسد الغابة وغيرها.

ومع هذا كله، فقد كذب ابن تيمية الخبر قائلاً: «فهذا كذب باتفاق أهل العلم» (٣)!

وكذلك كذب به ابن رزبهان قائلاً: «ضرب عثمان عبد الله بن مسعود مما لا رواية فيه أصلاً إلا لأهل الرفض، وأجمع الرواة من أهل السنة أن هذا كذب وافتراء، وكيف يضرب عثمان عبد الله بن مسعود وهو من أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن علمائهم» (٤ ...).

قلت: وهذا هو الإشكال، ورواة الخبر من أهل السنة لا من الروافض، فإن كانوا

(١) تاريخ يعقوبى ٢/ ١٧٠ - ١٧١.

(٢) المعارف: ١٩٤.

(٣) منهاج السنة ٦/ ٢٥٢.

(٤) انظر: دلائل الصدق ٣/ ٢٧٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٣

كاذبين على عثمان فما ذنبنا؟ بل القضية ثابتة لورودها في أخبارنا أيضاً، لكن القوم يسعون للستر على عثمان، ويشهد بذلك الاعتذار له بالأعداء المختلف، كقولهم: إن للإمام تأديب غيره، وقولهم: إن الذى ضربه بعض موالى عثمان لما سمع وقيعته فيه، وقولهم: كل منهما مجتهد فلا يعترض بما فعله أحدهما مع الآخر...

هذا، والذى يستفاد من الروايات: تعدد السبب فى ضرب ابن مسعود - بل تكرره أيضاً - لأن ابن مسعود قد خالف عثمان وقام بما يغضبه عليه فى أمور متعددة مهمة:

١- قضية دفن أبى ذر الغفارى فى الربرة، لأن من الطبيعى أن يتأذى عثمان من تجهيز ودفن من نفاه، لا سيما والقائم بذلك هو ابن مسعود صاحب المقام الجليل بين الصحابة، لأن فى ذلك رداً واضحاً على عثمان وما فعله بأبى ذر.

٢- قضية حرق المصاحف. وهى قضية معروفة ثابتة، وموقف ابن مسعود ممّا فعله عثمان واضح معروف لا يمكن لأحد إنكاره.

٣- قضية تصرف عثمان فى بيت المال وإيثاره أهله وذويه بأموال المسلمين، فقد كان ابن مسعود من جملة المعترضين والناقمين كسائر كبار الصحابة والتابعين.

المورد الرابع: قال قدس سره: وضرب عماراً حتى صار به فتق، وقد قال فيه النبى ... ص: ١٢٣

إشارة

الشرح:

الحديث الذى ذكره مخرج فى الصحيحين وغيرهما من كتب القوم، ومثله أحاديث أخرى فى فضل عمار بن ياسر - رضى الله عنه -

متفق عليها بين الفريقين، منها: قوله صَلَّى الله عليه وآله: «واهدتوا بهدى عمار» فإن معناه صحيح، لأنه كان من أتباع أمير المؤمنين وأصحابه...

لكن القوم لم يهتدوا بهديه، فمثلاً: لما جهل عمر بن الخطاب بمسألة التيمم وذكره عمار قال عمر له: «إتق الله يا عمار. قال: يا أمير المؤمنين، إن شئت لم أذكره ما

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٤

عشت - أو: ما حييت - قال: كلاً والله، ولكن نوليّك من ذلك ما تولّيت» (١).

وكذلك القضايا الأخرى التي وقعت بين عمار وسائر كبار الصحابة، كعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم، في قضايا مختلفة، وكذلك طلحة والزبير وعائشة في قضية حرب الجمل وخروجهم على علي عليه السلام وعمار معه...

وأما قضية عثمان وما فعله بعمار، فثابته كذلك في كتب القوم، وهي من جملة ما أنكره الناس على عثمان، وإليك بعض الكلمات: قال ابن قتيبة: «ما أنكر الناس على عثمان رحمه الله - قال: وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي عليه السلام، فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه... ثم تعاهد القوم، ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان - والكتاب في يد عمار - جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال:

نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك قال: ومن هم؟ قال:

لا - أخبرك بهم، قال: فلم اجترأت عليّ من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين، إن هذا العبد الأسود - يعني عماراً - قد جزأ عليك الناس وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه.

قال عثمان: إضربوه. فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه، فجزّوه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلم فأدخل منزلها.

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٦٥، صحيح مسلم ١/ ١٩٣، تفسير الطبري ٥/ ١٥٩، عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ٤/ ١٩، جامع الأصول ٨/ ١٤٩، ١٥١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٥

وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا، لأقتلن به رجلاً عظيماً من بنى أمية، فقال عثمان: لست هناك» (١).

وقال ابن عبد ربّه: «ومن حديث الأعمش - يرويه أبو بكر بن أبي شيبة - قال: كتب أصحاب عثمان عييه وما ينقم الناس عليه في صحيفه، فقالوا: من يذهب بها إليه؟ فقال عمار: أنا، فذهب بها إليه، فلما قرأها قال: أرغم الله أنفك، قال: وبأنف أبي بكر وعمر، قال: فقام إليه فوطئه حتى غشى عليه.

ثم ندم عثمان وبعث إليه طلحة والزبير يقولان: إخترا احدى ثلاث، إمّا أن تعفو وإمّا أن تأخذ الأرض وإمّا أن تقتص، فقال: والله لا قبلت واحدة منها حتى ألقى الله. قال أبو بكر:

فذكرت هذا الحديث للحسن بن صالح فقال: ما كان على عثمان أكثر مما صنع» (٢).

وقال المسعودي: «وفي سنة خمس وثلاثين، كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه، وظهر عليه النكير، لأشياء ذكروها من فعله، منها: ما

كان بينه وبين عبد الله بن مسعود وانحرف هذيل عن عثمان من أجله، ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتق والضرب وانحرف بنى مخزوم عن عثمان من أجله» ... ٣.

وقال ابن عبد البر: «وللحلف والولاء اللذين بين بنى مخزوم وبين عمار وأبيه ياسر، كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب، حتى انفتق له فتق في بطنه ورغموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا: والله لئن مات لاقتلنا به أحداً غير عثمان» ٤.

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٥٠-٥١.

(٢) العقد الفريد ٢/ ١٩٢.

(٣) مروج الذهب ٢/ ٣٣٨.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١١٣٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٦

وقال اليعقوبي: «فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمار بن ياسر وكان عثمان غائباً، فستر أمره، فلما انصرف رأى القبر، فقال قبر من هذا؟

فقيل: قبر عبد الله بن مسعود، قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولي أمره عمار بن ياسر، وذكر أنه أوصى أن لا يخبر به، ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد، فصلى عليه عمار، وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلى على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليمًا» ١.

وروى الطبري وابن الأثير في قصّة مسير الحسن عليه السلام وعمّار رضى الله عنه إلى الكوفة- واللفظ للأول: «فأقبلا- حتى دخلا المسجد، فكان أول من أتاها مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، على ما قتلتم عثمان رضى الله عنه؟ قال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا، فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين» ٢.

وفى (النهاية) و (تاج العروس) و (لسان العرب) فى مادة «صبر»: «وفى حديث عمار حين ضربه عثمان، فلما عوتب فى ضربه إياه قال: هذى يدى لعمار فليصطبر.

معناه: فليقتصص».

رسول الله: من عادى عماراً عاداه الله ... ص: ١٢٦

إذا عرفت ذلك وأحطت خبراً بصنيع عثمان، فلنورد طرفاً من الأحاديث الواردة فى ذم بغض عمار رضى الله عنه: قال ابن عبد البر: «ومن حديث خالد بن الوليد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أبغض عماراً أبغضه الله تعالى. قال خالد: فما زلت أحبه من يومئذ» ٣.

(١) تاريخ اليعقوبى ٢/ ١٧٠-١٧١.

(٢) الطبرى ٣/ ٤٩٧، الكامل ٣/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) الإستيعاب ٣/ ١١٣٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٧

وقال الحافظ ابن حجر: «عن خالد بن الوليد قال: كان بينى وبين عمار كلام فأغلظت له، فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء

خالد فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله» (١).

وفى أسد الغابة عن أحمد بن حنبل والمشكاة والمرقاة واللفظ للأول: «عن علقمة عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكوني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: فجعل يغلظ له ولا يزيده إلا غلظه والنبي ساكت لا يتكلم، فبكى عمار فقال: يا رسول الله ألا تراه؟ فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال: من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله.

قال خالد: فخرجت، فما كان شيء أحب إلي من رضى عمار، فلقيته فرضي» (٢).

وروى المتقي الهندي: «كف يا خالد عن عمار، فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله ومن يلعن عماراً يلعنه الله. ابن عساكر عن ابن عباس. من يحقر عماراً يحقره الله، ومن يسب عماراً يسبه الله، ومن يبغض عماراً يبغضه الله. ع. وابن قانع. طب. ض عن خالد بن الوليد. يا خالد: لا تسب عماراً، إنه من يعادى عماراً يعاديه الله، ومن يبغض عماراً يبغضه الله، ومن يسب عماراً يسبه الله ومن يسفه عماراً يسفه الله، ومن يحقر عماراً يحقره الله. ظ وسمويه، طب. ك. عن خالد بن الوليد» (٣).

وقال نور الدين الحلبي: «وفي الحديث: من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله. عمار يزول مع الحق حيث يزول. [عمار] خلط الإيمان بلحمه ودمه.

(١) الإصابة ٤/ ٤٧٤.

(٢) اسد الغابة ٤/ ٤٥، مشكاة المصابيح ٥/ ٦٤١ هامش المرقاة.

(٣) كنز العمال ١٣/ ٥٣٣ و ٥٣٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٢٨

عمار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما. وجاء: إن عماراً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحباً بالطيب المطيب، إن عمار بن ياسر حشى ما بين أخصص قدميه إلى شحمه أذنه إيماناً، وفي رواية: إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد في سريته كان فيها خالد أميراً، فلما جاء إليه صلى الله عليه وسلم استبأ عنده، فقال خالد: يا رسول الله أيسرك أن هذا العبد الأجحد يشتمني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خالد، لا تسب عماراً، فإن من سب عماراً فقد سب الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله، ومن لعن عماراً لعنه الله، ثم إن عماراً قام مغضباً، فقام خالد فتبعه حتى أخذ بثوبه واعتذر إليه فرضي عنه» (١).

أقول:

وهنا أيضاً حاولوا الدفاع عن عثمان وتبرير ما فعل، فزعم بعضهم: إن الذى ضربه بعض غلمان عثمان، وأضاف آخر فقال: بغير إذنه. لكن الأكثر قالوا: إن عماراً قد أساء الأدب، وللإمام أن يعزر ويؤدب، وهذا كلام القاضى عبد الجبار والتفتازانى وابن تيمية، فإنه قال: «وفى الجملة، فإذا قيل: إن عثمان ضرب ابن مسعود أو عماراً، فهذا لا يقدر فى أحد منهم، فإننا نشهد أن الثلاثة فى الجنة وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين. وقد قدمنا أن ولى الله قد يصدر منه ما يستحق العقوبة الشرعية فكيف بالتعزير؟».

قالوا هذا ونحوه، وكأنهم قد تناسوا ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله فى الثناء على عمار ومدحه، والتحذير من سبه وبغضه، فكيف بالضرب الموجب لغشوته؟

وكانهم فهموا منه ما لم يفهمه كبار الصحابة والتابعين، الذين أنكروا على عثمان ضرب عمار وإهانته!!

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٢٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٢٩

المورد الخامس: قال قدس سره: وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله ... ص: ١٢٩

الحكم بن أبي العاص عم عثمان عن المدينة ومعه ابنه مروان، فلم يزل طريداً هو وابنه ...
الشرح:

وقد ذكر رحمه الله في نهج الحق هذا المورد بتفصيل أكثر فقال:

إنه ردّ الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان قد طرده وأبعده عن المدينة، وامتنع أبو بكر من رده فصار عثمان بذلك مخالفاً للسنة، ولسيره من تقدّم، مدّعياً على رسول الله صلى الله عليه وآله، عاملاً بدعواه من غير بينة. أجاب قاضي القضاة: بأنه قد نقل أن عثمان لما عوتب على ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله.

اعترضه المرتضى: بأن قول قاضي القضاة هذا لم يسمع من أحد، ولا نقل في كتاب، ولا يعلم من أين نقله القاضي، أو في أي كتاب وجده، فإن الناس كلّهم رووا خلافه. قال الواقدي، من طرق مختلفة وغيره: إن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح، أخرج النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف وقال: لا يساكنني في بلد أبداً، لأنه كان يتظاهر بعداؤه رسول الله صلى الله عليه وآله، والواقعة فيه، حتى بلغ به الأمر إلى أنه كان يعيب النبي في مشيه، فطرده النبي وأبعده ولعنه، ولم يبق أحد يعرفه إلا بأنه طريد رسول الله، فجاء عثمان إلى النبي، وكلمه فيه فأبى، ثم جاء إلى أبي بكر وعمر، زمن ولايتهما، فكلمهما فيه، فأغلظا عليه القول وزبرا، وقال له عمر: يخرج رسول الله، وتأمرنى أن أدخله، والله لو أدخلته لم آمن من قول قائل: غير عهد رسول الله، وكيف أخالف رسول الله، فأياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

فكيف يحسن من القاضي هذا العذر، وهما اعتذر به عثمان عند أبي بكر وعمر،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٣٠

وسلم من تهجينهما إياه، وخلص من عتابهما عليه، مع أنه لما رده جاءه على عليه السلام، وطلحة والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، فقالوا: «إنك أدخلت الحكم ومن معه، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أخرجهم، وإننا نذكرك الله، والإسلام، ومعادك، فإن لك معاداً ومنقلباً، وقد أبت ذلك الولاية قبلك، ولم يطمع أحد أن يكلمهما فيهم، وهذا شيء نخاف الله فيه عليك...»

فقال عثمان: إن قرابتهم مني ما تعلمون، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم، ولن يضركم مكانهم شيئاً، وفي الناس من هو شرّ منهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا أحد شرّ منه ولا منهم، ثم قال: هل تعلم عمر يقول: «والله ليحملن بنى أبي معيط على رقاب الناس؟ والله لئن فعل ليقتلنه؟» فقال عثمان: ما كان منكم أحد يكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه، وينال في المقدرة ما نلت، إلا كان سيدخله، وفي الناس هو شرّ منه. فغضب على وقال: «والله، لتأتينا بشر من هذا إن سلمت، وسترى يا عثمان غب ما تفعل».

فهلاً اعتذر عند علي ومن معه بما اعتذر به القاضي.

أقول:

وموجز الكلام حول الحكم بن أبي العاص وقضيته «١» هو:

إن الحكم كان جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله في الجاهلية، وكان أشدّ جيرانه أذى له في الإسلام، قدم المدينة بعد فتح مكة، فكان يؤذى النبي صلى الله عليه وآله، فكان يجلس عنده، فإذا تكلم صلى الله عليه وآله اختلج، فبصر به النبي فقال: كن كذلك، فما زال يختلج حتى مات. وفي يوم من الأيام، أطلع على رسول الله من باب بيته - وهو عند بعض نساءه - فخرج صلى الله عليه وآله بالعتزة

وقال: من عذيري من

(١) اسد الغابة ٣٤ / ٢، الاستيعاب ٣٥٩ / ١، السيرة الحلبية ٥٠٩ / ١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣١

هذا الوزغة، لو أدركته لفقات عينه. ولعنه وولده ... ونفاه إلى الطائف قائلاً: لا يساكنني.

وأما لعنه، فالأحاديث متعددة. من ذلك:

إنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرّف صوته فقال: ائذنوا له لعنه الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم، ذوو مكر وخديعة، يعطون الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق.

وفي آخر: إنه صلى الله عليه وآله قال: «يدخل عليكم رجل لعين» فدخل الحكم.

وقد أخبر بذلك عن رسول الله جمع من الصحابة، كعائشة وعبد الله بن الزبير وغيرهما.

هذا، بالإضافة إلى أنه من الشجرة الملعونة في القرآن، والأحاديث الواردة في ذيل تلك الآية كثيرة.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله قد توفى والحكم في المنفى، فجعل عثمان يسعى من ذلك الوقت في إعادته إلى المدينة، فكلم أبا بكر فأبى، ثم كلم عمر في حكومته فأبى ذلك وكان جواب كل منهما: ما كنت لأوى طرداء رسول الله. وعند بعضهم: أنهما قالاً:

لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله. وروى بعضهم أنه قال لأبي بكر: عمتي. فقال أبو بكر:

عمك إلى النار، هيهات هيهات أن أغير شيئاً فعله رسول الله، والله لا رددته أبداً.

فلما مات أبو بكر كلم عمر في ذلك فقال له: ويحك يا عثمان، تتكلم في لعين رسول الله وطريده وعدوّ الله وعدوّ رسوله؟!!

فلما ولي عثمان ردّ الحكم ومن معه إلى المدينة.

قالوا: فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار، وأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة عليه وقالوا، فادّعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد وعده رده إلى المدينة، لكن أحداً من الصحابة لم يصدّقه، بل كان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه.

لكن عثمان ما اكتفى بردّ الحكم وإيوائه، بل أعطاه مئآت الآلاف من الدراهم، ففي

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣٢

رواية جماعة: أنه أعطاه صدقات قضاعة فبلغت ثلاث مائة ألف. وفي رواية أخرى: أنه لما آواه أعطاه مائة ألف، فقالوا: إن ذلك كان مما نقم الناس على عثمان.

لكن علماء القوم في القرون اللاحقة يحاولون الدفاع عنه، وقد كان عمدة ما ذكروا لذلك: دعوى إذن النبي صلى الله عليه وآله له في رده وإيوائه، وكلها دعاوى لا يسندها أي دليل، والدعوى المجردة لا تسمع في أي باب من أي أحد، ولنستمع إلى دفاع ابن تيمية عنه، فإنه قال:

«والجواب: إن الحكم بن أبي العاص كان من مسلمة الفتح، وكانوا ألفى رجل، ومروان ابنه كان صغيراً إذ ذاك ... فلم يكن لمروان ذنب يطرد عليه على عهد النبي، ولم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة في حياة النبي، فإن كان قد طرده، فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة..

وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه وقالوا: هو ذهب باختياره.

وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح ولا لها إسناد يعرف به أمرها.

ومن الناس من يروى أنه حاكى النبي في مشيته، ومنهم من يقول غير ذلك ويقولون إنه نفاه إلى الطائف، واللقاء ليس فيهم من هاجر بل قال النبي: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ... فلم يكن اللقاء تسكن بالمدينة.

فإن كان قد طرده، فإنما طرده من مكة لا من المدينة ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة، وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه كما تقدم وقالوا: هو ذهب باختياره.

والطرد هو النفي ... وإذا كان النبي قد عزّر رجلاً بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان ... وإذا كان كذلك فالنفي كان في آخر الهجرة، فلم تطل مدّته في زمن أبي بكر وعمر، فلما كان عثمان طالت مدّته.

وقد كان عثمان شفع في عبد الله بن أبي سرح إلى النبي ... فقبل النبي شفاعته فيه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٣٣

وبإيعه، فكيف لا- يقبل شفاعته في الحكم؟ وقد رووا أن عثمان سأل النبي أن يرده فأذن له في ذلك، ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن أبي سرح، وقصة عبد الله ثابتة معروفة بالإسناد الثابت، وأما قصة الحكم فعامة من ذكرها إنما ذكرها مرسله ...

والمعلوم من فضائل عثمان ... ممّا يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع، ويجعل لعثمان ذنب بأمر لا يعرف حقيقته، بل مثل هذا مثل الذين يعارضون المحكم بالمشابهة، وهذا من فعل الذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون الفتنة، ولا ريب أن الرفض من شرار الزائعين الذين يتبعون الفتنة الذين ذمهم الله ورسوله.

وبالجملة، فنحن نعلم قطعاً أن النبي لم يكن يأمر بنفي أحد دائماً ثم يرده عثمان معصيةً لله ورسوله، ولا ينكر عليه المسلمون، وكان عثمان أتقى لله من أن يقدم على مثل هذا، بل هذا مما يدخله الاجتهاد، فلعلّ أبا بكر وعمر لم يرّاه لأنه لم يطلب ذلك منهما وطلبه من عثمان فأجابه إلى ذلك، أو لعلّه لم يتبين لهما توبته وتبين ذلك لعثمان.

وغاية ما يقدر أن يكون هذا خطأ من الاجتهاد أو ذنباً. وقد تقدّم الكلام على ذلك» (١).

أقول:

هذا تمام كلام ابن تيمية:

فمنه: ما لا- دخل له في البحث، فلا نتعرض له، كقوله: إن كان طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة.

ومنه: إنكاراً للحقيقة الثابتة وتكذيب للعلماء الكبار من أهل السنة الرواة للخبر.

ومنه: دعوى طعن كثير من أهل العلم في نفيه وقولهم هو ذهب باختياره. فمن

(١) منهاج السنة ٦/ ٢٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٣٤

هم هؤلاء الكثرة من أهل العلم؟ كأنه يقصد نفسه ومن حوله من طلبته!!

ومنه: التناقض الواضح، فهو في حين يحاول ردّ خبر الطرد فيقول: قصة نفي الحكم ليست في الصحاح ... وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه.

يعتمد على خبر سؤال عثمان النبي صلى الله عليه وآله في ردّ الحكم قائلاً: «وقد رووا أن عثمان سأل النبي أن يرده فأذن له في ذلك» فهذا تناقض، لأن هذا الخبر ليس في الصحاح، ثم من الذين «رووا»؟ لماذا لا يذكر أسماؤهم ولا أسماءهم؟

ومنه: كتم الحقائق، فإن أبا بكر وعمر ما كان إباؤهما عن ردّ الحكم عن اجتهاد منهما، بل قال أبو بكر «هيهات هيهات أن أغير شيئاً فعله رسول الله، والله لا رددته أبداً» وعن عمر أنه قال: «ويحك يا عثمان، تتكلم في لعين رسول الله وطريده وعدوّ الله وعدوّ رسوله». وعثمان ما كان إرجاعه للحكم اجتهاداً منه، بل صله لرحمه كما قال هو، هذا الرحم الذي نصّ أبو بكر وعمر والمسلمون على أنه

«عدوّ الله وعدوّ رسوله»!

وأيضاً قال: «ولا ينكر عليه ذلك المسلمون» فكنتم الحقيقة الواضحة في أن قصة إيواء الحكم من جملة أسباب قيام المسلمين ضدّ عثمان.

ثم التجأ ابن تيمية إلى الاحتمالات، فاحتمل ما لا أساس له أبداً، كاحتمال توبة الحكم في زمن عثمان، واحتمال أن الحكم قد طلب منه إرجاعه إلى المدينة ولم يطلب ذلك من أبي بكر وعمر... فهذه احتمالات لا توجد في شيء من الروايات والكلمات. حتى اضطرّ بالتالي إلى أن يقول- وكأنه يشعر بسقوط ما قال- «وغاية ما يقدر أن يكون هذا خطأ من الإجتهد أو ذنباً» ولكن: لن يصلح العطار ما أفسده الدهر.

المورد السادس: قال قدس سره: ونفى أبانر إلى الربهة ... ص: ١٣٤

الشرح:

وهذا أيضاً من موارد الطعن على عثمان. فهو تارة: يرّد من لعنه رسول الله صلّى

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣٥

الله عليه وآله وطرده، وأخرى: يطرد من أحبه رسول الله وقربه وأدناه.

وفضائل أبي ذر ومناقبه كثيرة:

ففي الصحيح عن بريده عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان» ١.

أما أن عثمان نفاه من المدينة، فذاك ما وردت به رواياتهم وصرّحت به كلماتهم.

قال البلاذري:

أمر أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه، من بنى كنانة بن خزيمة.

قالوا: لئما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول بشّر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قول الله عز وجل: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ» الآية. فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر نائلاً مولاه أن انته عما يبلغني عنك. فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله، فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إلي وخير لي من أن أسخط الله برضاه، فأغضب عثمان ذلك وأحفظه، فتصابر وكفّ.

وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال أبوذر: يا بن اليهوديين، أتعلّمنا ديننا؟ فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي، الحق بمكتبك، وكان مكتبه بالشام إلا أنه كان قدم حاجباً ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله فيأذن له في ذلك، وإنما صار مكتبه بالشام، لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعا: إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «إذا بلغ البناء سلعا فالهرب»، فأذن لي آت الشام

(١) سنن الترمذی ٥/ ٢٩٩، ابن ماجه ١/ ٥٣، المستدرک ٣/ ١٣٠ وصححه. وهو بترجمته من الاستيعاب والإصابة وحلیه الأولیاء لأبی نعیم الإصفهانی.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣٦

فأغزو هناك، فأذن له.

وكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار فقال:

إن كانت من عطائي الذي حرمتموني عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها.

وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إلي بمال؟ وردّها. وبنى معاوية

الخضراء بدمشق فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية.

وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيى،

وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه. فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أباذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن

كانت لكم به حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد فاحمل جندباً إلى على أغلظ مركب وأوعره،

فوجه معاوية من سار به الليل والنهار، فلما قدم أبوذر المدينة جعل يقول: يستعمل الصبيان ويحمي الحمى ويقرب أولاد الطلقاء. فبعث

إليه عثمان إلحق بأبي أرض شئت، فقال: بمكة، فقال: لا، قال: فبيت المقدس، قال: لا، قال: فأحد المصريين، قال: لا، ولكني مسيرك

إلى الربذة، فسير إليها، فلم يزل بها حتى مات.

ويقال: إن عثمان قال لأبي ذر حين قدم من الشام: قربنا يا أباذر خير لك من بعدنا، يغدى عليك باللحاق ويراح. فقال: لا حاجة لي في

دنياكم، ولكني آتي الربذة، فأذن له في ذلك فأتاها ومات بها.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن هشام بن الغار، حدثنا مكحول قال: قدم حبيب بن مسلمة من أرمينية، فمر بأبي ذر بالربذة،

فعرض عليه خادمين معه ونفقة، فأبى قبول ذلك، فقال له: ما أتى بك هاهنا؟ قال: نفسي، رأيت ما هاهنا أسلم لي.

حدثني محمد عن الواقدي عن عبد الله بن سمعان عن أبيه أنه قيل لعثمان: إن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣٧

أبا ذر يقول: إنك أخرجته إلى الربذة، فقال: سبحان الله، ما كان من هذا شيء قط، وإنني لأعرف فضله وقديم إسلامه، وما كنا نعدّ في

أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أكل شوكه منه.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن فضيل بن خديج عن كميل بن زياد قال: كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذر

باللحاق بالشام، وكنت بها في العام المقبل حين سيّره إلى الربذة.

وحدثني بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: تكلم أبو ذر بشيء كرهه عثمان فكذّبه فقال: ما ظننت أن أحداً

يكذّبنني بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أقلت الغبراء ولا أطبقت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، ثم سيّره إلى

الربذة. فكان أبوذر يقول: ما ترك الحق لي صديقاً، فلما سار إلى الربذة قال:

ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً.

قال: وشيع على أبا ذر، فأراد مروان منعه منه، فضرب على بسوطه بين أذني راحلته، وجرى بين على وعثمان في ذلك كلام حتى قال

عثمان: ما أنت عندى بأفضل منه، وتغالظا، فأنكر الناس قول عثمان ودخلوا بينهما حتى اصطلحا.

وقد روى أيضاً: أنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله، فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا، فقال

عثمان: يا عاص أير أبيه، أتراني ندمت على تسيره؟ وأمر فدفع في قفاه وقال: إلحق بمكانه، فلما تهياً للخروج جاءت بنو مخزوم إلى

على فسألوه أن يكلم عثمان فيه، فقال له على: يا عثمان إتق الله، فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسيرك، ثم أنت

الآن تريد أن تنفي نظيره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه، فقال على: رم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون

فقالوا: إن كنت كلماً كلمك رجل سيّره ونفيته، فإن هذا شيء لا يسوغ، فكفّ عن عمار.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٣٨

حدثني محمد عن الواقدي عن موسى بن عبيدة عن [عبد الله بن] خراش الكعبي قال: وجدت أباذر بالربذة في مظلة شعر فقال: ما زال

بى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك الحق لى صديقاً.

حدّثني محمد عن الواقدي عن شيبان النحوي عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قلت لأبي ذر: ما أنزلك الربذة قال: نصحي لعثمان ومعاوية.

محمد عن الواقدي عن طلحة بن محمد عن بشر بن حوشب الفزاري عن أبيه قال: كان أهلي بالشربة، فجلبت غنماً لي إلى المدينة فمررت بالربذة وإذا بها شيخ أبيض الرأس واللحية، قلت: من هذا؟ قالوا: أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا هو في حفش ومعه قطعة من غنم، فقلت: والله ما هذا البلد بمحلة لبني غفار، فقال: أخرجت كارهاً. فقال بشر بن حوشب فحدثت بهذا الحديث سعيد بن المسيب، فأنكر أن يكون عثمان أخرجه وقال: إنما خرج أبو ذر إليها راغباً في سكنائها.

وقال أبو مخنف: لما حضرت أباذر الوفاء بالربذة، أقبل ركب من أهل الكوفة فيهم جرير بن عبد الله البجلي، ومالك بن الحارث الأشتر النخعي، والأسود بن يزيد بن قيس بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس بن يزيد عمّ الأسود في عدة آخرين، فسألوا عنه ليسلموا عليه فوجدوه وقد توفي، فقال جرير: هذه غنيمة ساقها الله إلينا، فحنطه جرير وكفنه ودفنه وصلى عليه - ويقال بل صلى عليه الأشر - وحملوا امرأته حتى أتوا بها المدينة، وكانت وفاته لأربع سنين بقيت من خلافة عثمان، وقال الواقدي: صلى عليه ابن مسعود بالربذة في آخر ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين.

وحديثنا عفان بن مسلم، حديثنا معتمر بن سليمان، حديثنا أيوب، حديثنا سليمان بن المغيرة، حديثنا حميد بن هلال: أن رفقة خرجوا من الكوفة لحجة أو عمرة فأتوا الربذة، فبعثوا رجلاً يشتري لهم شاء، فأتى على خباء فقال: هل عندكم جزرة؟ فقالت أم ذر: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قالت: مات أبو ذر والناس خلوف، وليس عنده أحد يغسله

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٣٩

ويجئ، وقد دعا الله أن يوفق قوماً صالحين يغسلونه ويدفنونه، فرجع الرجل فأعلمهم، فأقبلوا مسارعين ومعهم الكفن والحنوط، فقاموا بأمره حتى أجنوه.

وروى الواقدي عن هشيم في إسناده: أن أبا ذر رضى الله عنه مات، فقالت امرأته:

بينا أنا جالسة عنده وقد توفي، إذ أقبل ركب فسلموا فقالوا: ما فعل أبو ذر؟ قلت: هو هذا ميتاً قد عجزت عن غسله ودفنه، فأنخوا فحفروا له وغسلوه. وأخرج جرير بن عبد الله حنوطاً وكفنوا فحنطه وكفنه، ثم دفنوه وحملوها إلى المدينة، فقالت: حدّثني أبو ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنك تموت بأرض غربة وأخبرني أنه يلي دفني رهط صالحون».

وحديث عن هشام بن العوام بن حوشب عن رجل من بني ثعلبة بن سعد قال:

رأيت أبا ذر وقوم يقولون له فعل بك هذا الرجل وفعل، يعنون عثمان، فهل أنت ناصب لنا راية فتجتمع إلى الرجال؟ فقال: لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت، فإنه من أذلّ السلطان فلا توبة له، فراجعوا «١».

أقول:

في هذا المقام مطالب:

الأول: إن السبب الأصلي لتكلم أبي ذر في عثمان هو تصرفاته في أموال المسلمين وتبذيراته لبيت المال، وقد ورد هذا المعنى في رواياتهم، وروى الواقدي:

«إن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له: لا أنعم الله بك علينا يا جنيدب. فقال أبوذر:

أنا جنيدب وسمّاني رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله، فاخترت اسم رسول الله الذي سمّاني به على اسمي. فقال عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: أن يد الله مغلوله وأن الله فقير ونحن أغنياء! فقال أبو ذر: لو كنتم تزعمونه لأنفقتم مال الله في عباده، ولكني

(١) جمل من أنساب الأشراف ١٦٦/٦ - ١٧١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٤٠

أشهد لسمعت رسول الله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودين الله دخلًا. فقال للجماعة: هل سمعتم هذا من رسول الله؟

فقال علي والحاضرون: سمعنا رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر. فنفاه إلى الريدة» (١).

الثاني: إن عثمان أخرج أبا ذر في بادئ الأمر إلى الشام، وكأنه كان يظن أنه سيحذر معاوية ويمسك من تكلمه ... ففي بعض الروايات أنه قال عثمان لأبي ذر: «ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي، إحق بمكتبك. وكان مكتبه بالشام» وهذه رواية البلاذري، وفي رواية قال له: «ما أكثر أذاك لي، غيب وجهك عني فقد آذيتني، فخرج أبو ذر إلى الشام» (٢). وفي رواية ابن حجر: «فأمره أن يلحق بالشام» (٣) وفي رواية اليعقوبي «فسيره إلى الشام إلى معاوية» (٤).

الثالث: لكن أبا ذر لم يسكت على أعمال معاوية في الشام، قال اليعقوبي:

وكان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس، حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه، وكان يقف على باب دمشق إذا صلى صلاة الصبح فيقول:

جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الأمرين المعروف والتاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له (٥).

وأخرج ابن سعد عن الأحنف أنه جلس إلى أبي ذر بالشام فقال له أبوذر: قم عني

(١) انظر: شرح نهج البلاغة ٨ / ٢٥٨.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٦٣٠.

(٣) فتح الباري ٣ / ٢١٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧١ - ١٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٤١

لا أعدك بشر. فقلت له: كيف تعدني بشر؟ قال: إن هذا - يعني معاوية - نادى مناديه ألا يجالسنى أحد» (١).

الرابع: قال البلاذري: وكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار ... فكتب معاوية إلى عثمان فيه ... وفي رواية المسعودي أنه كتب إلى عثمان: «إن أباذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فأحمله إليك» (٢).

وفي رواية البخاري - بعبارة مهذبة موجزة - عن زيد بن وهب قال: «مرت بالريذة، فقلت لأبي ذر: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ» فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم. فكتب يشكوني إلى عثمان. فكتب عثمان: إقدم المدينة» (٣ ...).

لكن عثمان لم يكتب إلى أبي ذر: أقدم المدينة، بل كتب إلى معاوية أن يحمله، ولكن كيف؟

الخامس: قال البلاذري: فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد، فاحمل جندباً إلى على أغلظ مركب وأوعره. فوجه معاوية من سار به الليل والنهار....

وفى رواية المسعودي: «فحمله على بعير عليه قتب يابس، معه خمسة من الصقالبة يطيطون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذها وكاد أن يتلف، فقبل له: إنك تموت من ذلك. فقال: هيهات لن أموت حتى أنفي، وذكر جوامع ما ينزل به بعد ومن يتولى دفنه» (٤ ... ٤).

(١) الطبقات الكبرى ٢٢٩ / ٤.

(٢) مروج الذهب ٦٣٠ / ٢.

(٣) صحيح البخاري ١١١ / ٢.

(٤) مروج الذهب ٦٣٠ / ٢ بين عثمان وأبي ذر.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٤٢

أى: أشار إلى ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله مما سيصيبه من الأذى من بعده، وسنذكر نحن بعض الأحاديث.

هذا، وسنذكر أيضاً أن غير واحد من أعلام القوم - كالطبري وغيره - كتموا خبر كيفية حمل أبي ذر إلى المدينة.

السادس: ثم أدخل أبوذر على عثمان، فروى الواقدي وغيره من أهل الأخبار أنه قال له: «أنت الذى فعلت ما فعلت؟ فقال له أبوذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغششتني. فقال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أغلت الشام علينا. فقال له أبوذر: أتبع سنه صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟ قال أبو ذر: والله ما وجدت لى عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا على في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلم على وكان حاضراً وقال: اشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ».

قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحب ذكره وأجابه على بمثله.

قال: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلموه، فمكث كذلك أياماً، ثم أمر أن يؤتى به فأتى به، فلما وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان، أما رأيت رسول الله ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتبشش بى بطش جبار.

قال: أخرج عنا من بلادنا. فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك. فإلى أين أخرج؟ فقال:

حيث شئت. قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد. قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق، قال: لا، قال: ولم؟ قال: تقدم على قوم أهل شبه وطعن في الأمة. قال: فأخرج إلى مصر. قال: لا. قال: فإلى أين أخرج؟ قال:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٤٣

حيث شئت. قال أبوذر: فهو إذن التعرّب بعد الهجرة. أخرج إلى نجد؟ فقال عثمان:

الشرف الأبعد أقصى فأقصى، إمض على وجهك هذا ولا تعدّون الربذة، فسر إليها.

فخرج إليها.

وفى رواية يعقوبى: «فلم يقيم بالمدينة إلا - أياماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها. قال: أخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا. قال: فإلى البصرة؟ قال: لا. قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها. يا مروان، أخرج به ولا تدع أحداً يكلمه حتى يخرج، فأخرجه على جمل ومعه امرأته وبنته» (١ ... ١).

وفى رواية المسعودي: «فقال له عثمان: وار عني وجهك. فقال: أسير إلى مكة؟

قال: لا والله - إلى أن قال - أبو ذر: فسيرني حيث شئت من البلاد. قال: فإني مسيرك إلى الربذة. قال: الله أكبر، صدق رسول الله، قد

أخبرني بكل ما أنا لاق» «... ٢».

لكن البخاري حاول التكتّم على كلّ هذا، فروى عن أبي ذر أنه لما قدم المدينة قال: «فكثر الناس عليّ كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنخيت فكنت قريباً» «٣».

وقد تقدّم في رواية البلاذري: «فلما قدم أبوذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان وتحمي الحمى وتقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: إلحق بأيّ أرض شئت. فقال: بمكة، فقال: لا، قال: فبيت المقدس، قال: لا. قال: فبأحد المصرين، قال: لا، ولكني مسيرك إلى الربذة. فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات».

وقال ابن حجر بشرح حديث البخاري: «وفي رواية الطبري: أنهم كثروا عليه

(١) تاريخ اليعقوبي ١٧٢ / ٢.

(٢) مروج الذهب ٦٣١ / ٢.

(٣) صحيح البخاري ١١١ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٤٤

يسألونه عن سبب خروجه من الشام، قال: فخشي عثمان على أهل المدينة ما خشيه معاوية على أهل الشام» «١».

السابع: وذكروا موقف أمير المؤمنين عليه السلام من نفى أبي ذر إلى الربذة، قال البلاذري: «وشيع على أباذر، فأراد مروان منعه منه، فضرب على بسوطه بين أذني راحلته»....

وقال المسعودي: «فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها، إذ طلع عليه على بن أبي طالب ومعه ابنه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي، إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أباذر في مسيره وشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه على بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته وقال: تنح نحاك الله إلى النار. ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودّعه وانصرف.

فلما أراد الإنصراف بكى أبوذر وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله. فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به على بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ؟ ردّ رسولی عمّا وجّهته له وفعل كذا، والله لنعطيه حقه، فلما رجع على استقبله الناس فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أباذر. فقال على: «غضب الخيل على اللجم». ثم جاء. فلما كان بالعشى جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت على ورددت رسولی وأمری؟ قال: أما مروان فإنه استقبلني يردّني فرددته عن ردّي؟ وأما أمرک فلم أردّه. قال عثمان: أولم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ فقال على: أوكل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة لله والحق في

(١) فتح الباري ٢١٨ / ٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٤٥

خلافه، اتبعنا فيه أمرک؟ بالله لا نفعل. قال عثمان: أقد مروان. قال: وما أقيده؟ قال:

ضربت بين أذني راحلته، قال على: أما راحلتي فهي تلك. فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقاً. قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندی بأفضل منه.

فغضب على بن أبي طالب وقال: «إلى تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك، وأمي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك. فغضب عثمان واحمرّ وجهه فقام ودخل داره وانصرف على، فاجتمع إليه أهل بيته

ورجال من المهاجرين والأنصار، فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان، شكوا إليهم علياً وقال: إنه يعينني ويظهر من يعينني، يريد بذلك أباذر وعمار بن ياسر وغيرهما. فدخل الناس بينهما وقال له علي: واللّه ما أردت تشييع أبي ذر إلا الله» (١).
وقال اليعقوبي: «فخرج علي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبوذر علياً قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيته ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله، فلم أصبر حتى أبكي. فذهب علي يكلّمه، فقال مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد. فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: تنح نحاك الله إلى النار.
ثم شيّعه وكلّمه بكلام يطول شرحه. وتكلّم كل رجل من القوم وانصرفوا، وانصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه وبين علي في هذا بعض الوحشة وتلاحيا كلاماً» (٢).
الثامن: قد وردت رواية كلام الإمام في كتبنا، وهذا نصّه في كتابه نهج البلاغة، أنه قال لأبي ذر لما نفى إلى الربدّة:

(١) مروج الذهب ٢ / ٦٣١ - ٦٣٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٤٦

«يا أبا ذر، إنك غضبت لله فارح من غضبت له. إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك ما في أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك. وستعلم من البرامج غداً والأكثر حسداً. ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله، لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمنوك».

قال ابن أبي الحديد في الشرح: فتكلّم عقيل ... ثم تكلم الحسن ... ثم تكلم الحسين ... ثم تكلم عمار ... فذكر كلامهم ... وفيه الأمر بالصبر وتحمل الأذى في الله» (١).

التاسع: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر أبا ذر عما سيلقيه وأمره بالصبر والاستقامة والتحمل ...

أخرج الحاكم عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أباذر، كيف أنت إذا كنت في حثالة؟» وشبك بين أصابعه. قلت: يا رسول الله، فما تأمرني؟ قال:

إصبر إصبر إصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم» (٢).

وأخرج ابن سعد عنه قال قال النبي: «يا أباذر، كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالنفى؟ قال: قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضرب بسيفي حتى ألحق به.

فقال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ إصبر حتى تلقاني» (٣).

العاشر: ولذلك صبر أبوذر وصبر الناس الذين غضبوا له، كما روى البلاذري بإسناده: «رأيت أباذر وقوم يقولون له: فعل بك هذا الرجل وفعل، يعنون عثمان، فهل

(١) شرح نهج البلاغة ٨ / ٢٥٤.

(٢) المستدرک ٣ / ٣٤٣ وقد صحّحه.

(٣) الطبقات الكبرى ٤ / ٢٢٦ وانظر: مسند أحمد ٥ / ١٧٨، ١٨٠ وفتح الباري ٣ / ٢١٨ وغيرهما.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٤٧

أنت ناصب لنا رايه فتجتمع إليك الرجال؟ فقال: لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع، لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت»....

ورواه ابن سعد وعنه ابن عساكر والذهبي «١».

أقول:

هذه نتف من أخبار القضية كما يروون، فإن رجعت إلى كلام المدافعين عن عثمان والمبشرين لأفعاله، تجدهم مضطربين وعلى أنفسهم منقسمين.

فمنهم: من لا يكذب بالأخبار، بل يقول بأن عثمان إمام، وللإمام أن يؤدب الرعية بما يراه من المصلحة.

ومنهم: من يكذب النفي ويقول بأن أباذر خرج إلى الربذة باختيار من نفسه.

ومنهم: من يروى ويحاول التخفيف وتلطيف العبارات.

ومنهم: من يكتف، فلا يروى، ولا يكلف نفسه التبرير.

ومنهم: من لا يروى ويصرح قائلاً بأن هنا أخباراً وروايات فيها أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها. وهذا كلام محمد بن جرير الطبري ومن تبعه كابن الأثير في تاريخه.

وهلّم معي، لننظر في كلام ابن تيمية، فإنه قال:

«فالجواب: إن أباذر سكن الربذة ومات بها، لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس، فإن أباذر رضى الله عنه كان رجلاً صالحاً زاهداً، وكان من مذهبه أن الزهد واجب ... وقد وافق أباذر على هذا طائفة من النساك ... وأما الخلفاء الراشدون وجماهير الصحابة والتابعين فعلى خلاف هذا القول ... وكان أباذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجبه الله عليهم، ويدمهم على ما لم يدمهم الله عليه ... ولم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض من الأغراض» «٢».

(١) الطبقات الكبرى ٢٢٧/٤، تاريخ دمشق ٢٠١/٦٦ - ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ٧١/٢.

(٢) منهاج السنة ٢٧٢/٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٤٨

أقول:

هذا تلخيص كلامه بلفظه، فأعرضه على ما تقدّم من روايات أعلام قومه. يقول ابن تيمية: «سكن الربذة» ولا يقول: «نفى إلى الربذة» وقد عرفت أن كبار المؤرخين يروون أنه قد نفاه عثمان إليها ... مضافاً إلى تصريح الشهرستاني بذلك في (الملل والنحل) والحبلى في (السيرة) وابن حجر المكي في (الصواعق) وابن الأثير في (أسد الغابة) وابن عبد البر في (الاستيعاب) والتفتازاني في (شرح المقاصد)، وكذا كل من ذكر الخبر ثم حاول الدفاع عن عثمان وتبرير ما منه صدر.

ويقول ابن تيمية: «لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس» ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول - في الحديث الصحيح عند القوم كما تقدّم - «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء؟» ... فالنبي يخبر عما سيقع بينه وبين «الأمرء» وابن تيمية يقول «الناس» هذا أولاً.

وثانياً: إن السبب ليس إيجابه الزهد، بل تحريمه التصرف في بيت المال من عثمان وذويه، وتسليط أهل الفسق والجور من أقربائه على المسلمين ... وهذا هو حكم الله ورسوله.

وأما قوله: «لم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض» فكذب واضح، فهو الذي سيّره أولاً إلى الشام، ثم أمر معاوية بحمله منها إلى المدينة بالكيفية المذكورة في الأخبار، ثم هو الذي أهانه وهذّده بالقتل، وهو الذي سيّره إلى الربذة، الأمر الذي كان أحد أسباب قيام المسلمين ضده ونقمتهم عليه، حتى انتهى إلى قتله!

المورد السابع: قال قدس سره: وضع حدود الله، فلم يُقد عبید الله بن عمر حين قتل الهرمزان ... ص: ١٤٨

الشرح:

قال العلامة في نهج الحق ما نصّه:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٤٩

ومنها: إنه عطل الحدّ الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب، حيث قتل الهرمزان مسلماً، فلم يقده به، وكان أمير المؤمنين يطلبه لذلك.

قال القاضي: إن للإمام أن يعفو، ولم يثبت أن أمير المؤمنين كان يطلبه ليقتله، بل ليضع من قدره.

أجاب المرتضى رحمه الله: بأنه ليس له أن يعفو، وله جماعة من فارس لم يقدموا خوفاً، وكان الواجب أن يؤمنهم عثمان حتى يقدموا ويطلبوا بدمه، ثم لو لم يكن له ولي لم يكن لعثمان العفو.

أما أولاً: فلأنه قتل في أيام عمر وكان هو وليّ الدم، وقد أوصى عمر بأن يقتل عبيد الله إن لم تقم البيّنة العادلة على الهرمزان وجفينة أنهما أمرا أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه بقتله، وكانت وصيته إلى أهل الشورى.

فلما مات عمر طلب المسلمون قتل عبيد الله كما أوصى عمر فدافع وعلمهم، وحمله إلى الكوفة وأقطعه بها داراً وأرضاً، فنقم المسلمون منه ذلك وأكثروا الكلام فيه.

وأما ثانياً: فلأنه حق لجميع المسلمين، فلا يكون للإمام العفو عنه، وأمير المؤمنين عليه السلام إنما طلبه ليقتله، لأنه مرّ عليه يوماً، فقال له أمير المؤمنين:

أما والله لئن ظفرت بك يوماً من الدهر لأضربن عنقك، فلهذا خرج مع معاوية.

أقول: هنا مطالب.

الأول: إن الهرمزان كان من المسلمين، وقد ورد ذكره في كتب الصحابة، قال ابن حجر:

(الهرمزان) الفارسي كان من ملوك فارس واسر في فتوح العراق وأسلم على يد عمر، ثم كان مقيماً عنده بالمدينة واستشاره في قتال الفرس. وقال القاضي إسماعيل بن إسحاق: حدّثنا يحيى بن عبد الحميد حدّثنا عباد بن العوام عن حصين عن عبد الله بن شداد قال: كتب النبي صلى الله عليه وآله إلى الهرمزان من محمد رسول الله، إنني

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٠

أدعوك إلى الإسلام أسلم تسلم. الحديث.

وقال الشافعي: أنبأنا الثقفى وابن أبي شيبة، حدّثنا مروان بن معاوية كلاهما عن حميد عن أنس: حاصرنا تستر فنزل الهرمزان على حكم عمر فقدم به عليه فاستفخمه فقال له: تكلم، لا بأس. وكان ذلك تأمينا من عمر. هكذا جاء مختصراً.

ورواها على بن حجر في فوائد إسماعيل بن جعفر مطوّلة قال: عن حميد عن أنس: بعثنى أبو موسى بالهرمزان إلى عمر وكان نزل على حكمه، فجعل عمر يكلمه فجعل لا يرجع إليه الكلام فقال له: تكلم فقال له: أكلام حتى أم كلام ميت؟ قال: تكلم لا بأس عليك، قال: كنا وأنتم يا معشر العرب ما خلّى الله بيننا وبينكم نستعبدكم، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يد ان، فذكر قصته معه في تأمينه قال: فأسلم الهرمزان وفرض له عمر.

وقال يحيى بن آدم في كتاب الخراج عن الحسن بن صالح عن إسماعيل بن أبي خالد قال: فرض عمر للهرمزان في ألفين.

وقال على بن عاصم عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أنس: قدم الهرمزان على عمر، فذكر قصّة أمانه فقال عمر: أخرجوه عني سيّروه في البحر، ثم قال كلاماً فسألت عنه فقل لي أنه قال: اللهم اكسر به، فانزل في سفينة فسارت غير بعيد ففتحت ألواحها، فوقعت في البحر، فذكرت قوله اكسر به ولم يقل غرقه، فطمعت في النجاة فسيحت فنجوت فأسلمت.

وروى الحميدى في النوادر عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن شهاب، عن عبد الله بن خليفة: رأيت الهرمزان مع عمر رافعاً يديه

يدعو ويهمل.

وأخرج الكرايسى فى أدب القضاء بسند صحيح إلى سعيد بن المسيب: إن عبد الرحمن بن أبى بكر قال لما قتل عمر: إنى مررت بالهرمزان وجفينه وأبى لؤلؤة وهم نجى، فلما رأونى ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فانظروا شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥١

إلى الخنجر الذى قتل به عمر، فإذا هو الذى وصفه، فانطلق عبيد الله بن عمر فأخذ سيفه حين سمع ذلك من عبد الرحمن، فأتى الهرمزان فقتله وقتل جفينه وقتل بنت أبى لؤلؤة صغيرة، وأراد قتل كل سبى بالمدينة، فمنعوه، فلما استخلف عثمان قال له عمرو بن العاص: أن هذا الأمر كان وليس لك على الناس سلطان. فذهب دم الهرمزان هدرًا» (١).

وقال ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى موسى بن يعقوب عن أبى وجزة عن أبيه قال: رأيت عبيد الله يومئذ وإنه ليناصى عثمان، وإن عثمان ليقول:

قاتلك الله، قتلت رجلاً يصلّى وصبيّة صغيرة وآخر من ذمه رسول الله صلى الله عليه وآله، ما فى الحق تركك. قال: فعجبت لعثمان حين ولّى كيف تركه، ولكن عرفت أن عمرو بن العاص كان دخل فى ذلك، فلفته عن رأيه» (٢).

الثانى: لقد كان الهرمزان مسلماً عند جميع المهاجرين والأنصار، وقد أجمعوا على أن يقاد به عبيد الله، وهذا ممّا اتفق القوم على روايته، فعن الزهرى:

«لما استخلف عثمان، دعا المهاجرين والأنصار فقال: أشيروا علىّ فى قتل هذا الذى فتق فى الدّين ما فتق، فأجمع رأى المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجعون عثمان على قتله» (٣ ...).

والثالث: وأمّا أمير المؤمنين، فقد بقى مصرّاً على قتله، وكان يقول: «لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولى سلطان لاقتصصت منه» (٤).

والرابع: ثم إن الإمام عليه السلام أراد أن يقتصّ منه، قالوا: فهرب إلى معاوية وكان

(١) الإصابة ٦/ ٤٤٨ - ٤٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٥/ ١٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٥/ ١٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٥/ ١٧، تاريخ دمشق ٣٨/ ٦٧.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٢

معه فى صفين فقتل.

هذا، وقد جاء المدافعون عن عثمان يدّعون أنه قد عفى عن عبيد الله. إلا أنه كلام باطل جدّاً، وقد ردّ عليه علماء القوم أيضاً، قال ابن حجر: «لأن عليّاً استمرّ حريصاً على أن قتله بالهرمزان، وقد قالوا إنه هرب لما ولّى الخلافة إلى الشام، فكان مع معاوية إلى أن قتل معه بصفين، ولا خلاف فى أنه قتل بصفين مع معاوية، واختلف فى قاتله، وكان قتله فى ربيع الأول سنة ٣٦» (١).

قال ابن عساكر: «قد قيل إن عثمان إنما ترك قتله، لأن ابن الهرمزان عفا عنه، ثم روى الخبر فى ذلك، وهو عن «سيف بن عمر» الكذاب بالانفاق» (٢)، ويكذّبه كلام ابن حجر السابق، وكذا ابن الأثير إذ قال: «وهذا أيضاً فيه نظر، فإنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلّى أن يقتله، وقد أراد قتله لما ولّى الخلافة ... فهرب منه إلى معاوية» (٣).

فتلخص: أن عثمان قد عطّل حدّ الله، والدفاع عنه باحتمال عفو أو عفو ابن الهرمزان ساقط ... فللنظر فى كلام ابن تيمية فى المقام، فإنه قال (٤):

«إذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر، جاز قتله فى أحد القولين قصاصاً، وعمر هو القاتل فى المقتول بصنعاء: لو تملاً عليه أهل

صنعاء لأقديتهم به ... وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين في الأرض المحاربين، فيجب قتله لذلك، ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله، كان القاتل يعتقد حلّ قتله لشبهة ظاهرة، صار ذلك شبهة تدرأ القتل عن القاتل، وإذا كان عبيد الله بن عمر متأولاً

(١) الإصابة ٥ / ٤٣.

(٢) تاريخ دمشق: ٣٨ / ٦٧.

(٣) أسد الغابة ٣ / ٣٤٣.

(٤) منهاج السنة ٦ / ٢٨٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٣

يعتقد أن الهرمزان أعان على قتل أبيه وأنه يجوز له قتله، صارت هذه شبهة يجوز أن يجعلها المجتهد مانعة من وجوب القصاص ... وأيضاً، فالهرمزان لم يكن له أولياء يطلبون دمه، وإنما وليه ولي الأمر وكان له العفو عنه ... وبكلّ حال فكانت مسألة اجتهادية ... وأما قوله: إن علياً كان يريد قتل عبيد الله بن عمر، فهذا لو صحّ كان قدحاً في علي، والرافضة لا عقول لهم.... فهو يقول: «إذا كان الهرمزان ممن أعان» ... ولا يذكر له إسناداً أصلاً، وإنما يقول عن أبي لؤلؤة «وكان بينه وبين الهرمزان مجانسة، وذكر لعبيد الله بن عمر أنه رأى عند الهرمزان، فكان ممن اتهم بالمعاونة على قتل عمر». ثم يدعى أن عبيد الله متأول والحدود تدرء بالشبهات. ثم يدعى عفو عثمان.

لكن الأخبار والكلمات الماضية، تكفي لدفع هذه المزاعم.

وأما قدحه في أمير المؤمنين وسبّه لشيعة، ففي كتابه كثير مثله ولا نتعرض له ...

المورد الثامن: قال قدس سره: وأراد أن يعطل حدّ الشرب في الوليد بن عقبة حتى حدّه أمير المؤمنين ... ص: ١٥٣

الشرح:

هذا الوليد هو الذي نزل فيه قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» (١) فكان حاله معلوماً من زمان النبي صلى الله عليه وآله، لكن عثمان ولّاه على الكوفة، فشرب الخمر وسكر فصلى بالناس. قال ابن عبد البر: «وخبّر صلاته بهم وهو

(١) سورة الحجرات: ٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٤

سكران وقوله: أزيدكم بعد أن صلى الصبح أربعاً، مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار (١). وكذلك قال غيره.

وخبّر شربه الخمر وإقامه الحدّ عليه بعد اعتراض الناس ... مذكور في سائر الكتب، حتى في كتابي البخاري ومسلم، قال ابن حجر: «وقصّه صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران، مشهورة مخرجه، وقصّه عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضاً مخرجه في الصحيحين، وعزله عثمان بعد جلده عن الكوفة» (٢) ... بل في بعض المصادر أن عثمان قد أوعد المعترضين وتهدّدهم ...

وبالجملة، فقد تدخّل في الأمر أمير المؤمنين وطلحه والزبير وعائشة وغيرهم، حتى أجرى الحدّ بأمر من أمير المؤمنين عليه السلام، بل

عن الواقدي أنهم قالوا له أقوالاً شديدة وأخذته الألسنة من كل جانب، فاضطرَّ إلى عزله والموافقة على إقامة الحدِّ عليه ... وكلَّ ذلك ... لأن الوليد أخو عثمان لأمه؟! ...

وأي جدوى لإنكار ابن تيمية أو غيره مثل هذه الأخبار الثابتة في كتب القوم وبأسانيدهم؟

المورد التاسع: قال قدس سره: وزاد الأذان الثاني يوم الجمعة وهي بدعة ... ص: ١٥٤

الشرح:

قد تطرقت إلى هذا الموضوع في البحث عن حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (٣) وهذا نص ما ذكرته هناك:

(١) الاستيعاب ١٥٥٥ / ٤.

(٢) الإصابة ٤٨٢ / ٦ وانظر فتح الباري ٤٤ / ٧.

(٣) وهو إحدى الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنة، المطبوعة في مجلد واحد عدة مرات.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٥

لقد أخرجوا عن السائب بن يزيد قوله: «كان الأذان على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر إذا خرج الإمام أقيمت الصلاة، فلما كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء».

وفى لفظ آخر: «فلما كان في خلافة عثمان وكتروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذن على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك» (١).

ونصَّ شراح البخاري على أن عثمان هو الذي زاد الأذان يوم الجمعة (٢).

ونصَّ الماوردي والقرطبي على أن الأذان الذي كان من عثمان «محدث» (٣).

وقال ابن العربي بشرح الترمذي: «الأذان أول شريعة غيّرت في الاسلام على وجه طويل ليس من هذا الشأن ... والله تعالى لا يغير ديننا ولا يسلبنا ما وهبنا من نعمه» (٤).

وقال المبار كفوري بشرحه: «المعنى: كان الأذان في العهد النبوي وعهد أبي بكر وعمر أذنين، أحدهما حين خروج الإمام وجلسه على المنبر، والثاني حين إقامة الصلاة، فكان في عهدهم الأذانان فقط، ولم يكن الأذان الثالث. والمراد بالأذنين: الأذان الحقيقي والإقامة» (٥).

هذا، وقد رووا عن ابن عمر قوله عما فعل عثمان أنه «بدعة» (٦).

فهذا ما كان من عثمان ... في أيام حكومته ... كما كان من عمر من تحريم المتعتين ... في أيام حكومته ...

(١) أخرجه البخاري ٢٢٠ / ١ والترمذي ١٤ / ٢ وغيرهما في أبواب أذان الجمعة.

(٢) الكواكب الدراري ٢٧ / ٦، عمدة القاري ٢١٠ / ٦، إرشاد الساري ١٧٨ / ٢.

(٣) تفسير القرطبي ١٠١ / ١٨.

(٤) عارضة الأحوذى ٣٠٥ / ٢.

(٥) تحفة الأحوذى ٣٩ / ٣.

(٦) فتح الباري ٣١٥ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٦

وقد اشتدّت الحيرة هنا وكثر الاضطراب ... كما كان الحال تجاه ما فعل ابن الخطاب ...

١- فالشخصى أراح نفسه بتحريف الحديث!! قال ...: «لما روى عن السائب بن يزيد قال: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يخرج فيستوى على المنبر، وهكذا في عهد أبي بكر وعمر، ثم أحدث الناس الأذان على الزوراء في عهد عثمان» (١).

قال ...: «هكذا كان على عهد رسول الله والخليفين من بعده، إلى أن أحدث الناس الأذان على الزوراء على عهد عثمان» (٢).

٢- والفاكهاني أنكر أن يكون عثمان هو الذى أحدث الزيادة فقال: «إن أول من أحدث الأذان الأول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد» (٣).

٣- وشراح البخارى ادّعوا قيام الإجماع السكوتى!! على المسألة ... قالوا: شرّع باجتهاد عثمان وموافقه سائر الصحابة له بالسكوت وعدم الإنكار، فصار إجماعاً سكوتياً» (٤).

٤- وقال ابن حجر: «الذى يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان فى جميع البلاد إذ ذاك، لكونه خليفة مطاع الأمر» (٥).

٥- وقال بعض الحنفية: «الأذان الثالث الذى هو الأول وجوداً إذا كانت مشروعيته باجتهاد عثمان وموافقه سائر الصحابة له بالسكوت وعدم الإنكار صار أمراً مسنوناً، نظراً إلى قوله: عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» (٦).

(١) المبسوط فى الفقه الحنفى ١/ ١٣٤.

(٢) المبسوط فى الفقه الحنفى ٢/ ٣١.

(٣) فتح البارى شرح البخارى ٢/ ٣٢٧، تحفة الأحوذى ٣/ ٤٠.

(٤) إرشاد السارى ٢/ ١٧٨، الكواكب الدرارى ٦/ ٢٧، عمدة القارى ٦/ ٢١١.

(٥) فتح البارى ٢/ ٣٢٧.

(٦) تحفة الأحوذى ٣/ ٤٠.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٧

وأجاب هؤلاء - المدافعون عن عثمان - عما رووا عن عبد الله بن عمر، بما ذكر ابن حجر:

«فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار. ويحتمل أنه يريد أنه لم يكن فى زمن النبى، وكل ما لم يكن فى زمنه يسمّى بدعة، لكن منها ما يكون حسناً، ومنها ما يكون بخلاف ذلك» (١).

أقول:

كانت تلك الوجوه التى ذكروها لتبرير ما فعله عثمان:

فأما الوجهان الأول والثانى، فلا يعبأ بهما ولا يصغى إليهما.

وأما الوجه الثالث، فقد اشتمل على:

أ- اجتهاد عثمان

وفى الاجتهاد - واجتهادات الخلفاء خاصة - بحث طويل ليس هذا موضعه، وعلى فرض القبول، فهل يجوز الاجتهاد فى مقابل النص؟!

ب- موافقة الصحابة له بالسكوت وعدم الإنكار

وفيه:

أولاً: ما الدليل على سكوتهم وعدم إنكارهم؟! فلقد أنكروا عليه يقيناً ولما ينقل كما نقل قول ابن عمر.

وثانياً: إن السكوت أعم من القبول والرضا.

ج- الإجماع السكوتي

وفيه:

أولاً: في حجية الإجماع كلام.

(١) فتح الباري ٢/ ٣٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٨

وثانياً: أنه يتوقف على السكوت الدال على الرضا والموافقة.

وثالثاً: أنه يتوقف على حجية الإجماع السكوتي.

وأما الوجه الرابع، ففيه: إن أخذ الناس بفعل عثمان لا يقتضي مشروعته فعله، والخليفة إنما يطاع أمره إذا كان آمراً بما أمر الله ورسوله به، وبه أحاديث كثيرة.

وأما الوجه الخامس، ففيه: إنه يتوقف:

أولاً: على تمامية هذا الحديث سنداً.

وثانياً: على تمامية دلالة على وجوب اتباع سيرة الخلفاء وإن كانت مخالفة لسيرة النبي صلى الله عليه وآله.

وثالثاً: على أن يكون المراد من «الخلفاء الراشدين المهديين» شاملاً لعثمان وأمثاله.

أما الأمر الأول، فقد يتناه في الفصل السابق، وعرفت أن الحديث باطل موضوع.

وأما الأمر الثاني والثالث، فسند كرهما في هذا الفصل.

لكن المحققين من القوم لم يوافقوا على دلالة الحديث على وجوب متابعة سيرة الخلفاء - حتى بناء على أن المراد خصوص الأربعة - فيما لو خالفت سيرتهم السيرة النبوية الكريمة - كما في مسألتنا هذه - فإن عثمان خالف فيها النبي صلى الله عليه وآله، وخالف أيضاً أبا بكر وعمر، لا سيما وأن غير واحد منهم يخصص حديث: «عليكم بسنتي» ... بحديث: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» (١).

فيكون قد أمر صلى الله عليه وآله بمتابعة سيرته وسيرة أبي بكر وعمر فقط!!!...

وعلى هذا الأساس، أبطلوا استدلال الحنفية وأجابوا عنه بكلمات قاطعة:

قال المبار كفوري: «ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته.

(١) وهذا الحديث موضوع الرسالة الثانية من الرسائل العشر.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٥٩

وقال القاري في المرقاة: فعليكم بسنتي. أي بطريقتي الثابتة عنى واجباً، أو مندوباً، وسنة الخلفاء الراشدين، فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها.

وقال صاحب سبل السلام: أما حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ». أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين.

ومثله حديث: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر». أخرجه الترمذي وقال:

حسن. وأخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان، وله طريق فيها مقال إلا أنه يقوى بعضها بعضاً.

فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها.

فإن الحديث عام لكل خليفة راشد لا يخص الشيخين، ومعلوم من قواعد الشريعة أنه ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبي ...

قال المبار كفوري: «إن الاستدلال على كون الأذان الثالث الذي هو من مجتهدات «١» عثمان أمراً مسنوناً ليس بتام» ... ٢.

ثم إنهم أطالوا الكلام عن معنى البدعة، فقال هؤلاء - في الجواب عما ذكر ابن حجر وغيره - بأنه: «لو كان الاستدلال تاماً وكان الأذان الثالث أمراً مسنوناً، لم يطلق عليه لفظ البدعة، لا على سبيل الإنكار ولا على سبيل غير الإنكار، فإن الأمر المسنون لا يجوز أن يطلق عليه لفظ البدعة بأي معنى كان» ٣.

(١) كذا، ولعله محدثات.

(٢) تحفة الأحوذى ٣ / ٥٠.

(٣) تحفة الأحوذى ٣ / ٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٦٠

وتلخص: أن لا توجيه لما أحدث عثمان، لا عن طريق هذا الحديث - على فرض صحته - ولا عن طريق آخر من الطرق المذكورة. وبما ذكرنا يظهر النظر في كلام ابن تيمية، فإنه يتلخص في دعوى موافقة أمير المؤمنين والصحابه على ذلك، وفي المناقشة في معنى «البدعة ...» ولا حاجة الى الإعادة.

قال قدس سره: وقد ذكر الشهرستاني - وهو أشد المبغضين «١» على الإمامية:

إنّ مشار الفساد بعد شبهة إبليس: الاختلافات الواقعة ... فانظر بعين الإنصاف إلى كلام هذا الرجل، هل خرج موجب الفتنة عن المشايخ أو تعداهم؟

الشرح:

أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨، من شيوخ المتكلمين الأشاعرة المخالفين للإمامية، كما لا يخفى على من يراجع كتبه مثل (نهاية الإقدام في علم الكلام) و (الملل والنحل).

وقد جعل عمدة الاختلافات تسعة وقائع، ابتداءً بما وقع في أيام مرض النبي صلى الله عليه وسلم من قضية الدواة والقرطاس، وجيش اسامة، ثم ما وقع بعد موته، ثم ذكر الإمامة وقال بأنه أعظم خلاف وقع بين الأئمة، ثم قضايا أبي بكر وقضايا عثمان، ثم خروج طلحة والزبير على أمير المؤمنين بعد البيعة له.

وهذه الخلافات كلها ناشئة من المشايخ، فهم أسباب الفتنة في الإسلام، ولا تجد أمير المؤمنين عليه السلام أو سائر أهل البيت سبباً في واحدة منها ... وهل يصلح من كان سبباً للفتنة واختلاف المسلمين وإراقة دماهم، لأن يكون خليفة عن رسول رب العالمين؟

(١) كذا، ولعله: المتعصّبين.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٦١

الفصل الثالث: الأدلة على إمامة أمير المؤمنين بعد رسول الله ... ص: ١٦١

إشارة

قال قدس سره: الأدلة في ذلك كثيرة لا تحصى، لكن نذكر المهم منها، وننظمه أربعة مناهج:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٦٣

المنهج الأول في الأدلة العقلية ... ص: ١٦٣

إشارة

وهي خمسة:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٦٥

الدليل الأول: إن الإمام يجب أن يكون معصوما ... ص: ١٦٥

إشارة

قال قدس سره: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومتى كان كذلك كان الإمام هو على عليه السلام. الشرح:

البحث عن العصمة من المباحث المهمة في علم الكلام، وله جهات عديدة، وقد اكتفى العلامة للاستدلال على إمامة أمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، ببحث كبروي هو ضرورة كون الإمام بعد النبي معصوماً، وآخر صغروي يتلخص في أن الأمر بعده يدور بين علي وأبي بكر، لكن أبا بكر غير معصوم بالإجماع. وعلى عليه السلام معصوم. فيكون هو الإمام. ولا بأس بالتعرض لمعنى «العصمة» وللأقوال فيها، قبل الورود بشرح كلام العلامة في المقدماتين:

العصمة لغة واصطلاحاً ... ص: ١٦٥

والعصمة في كتب اللغة هي «المنع» ففيها: عصم أي منع «١».

(١) تاج العروس ١٧ / ٤٨١، لسان العرب ٩ / ٢٤٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٦٦

وقد وردت هذه اللفظة في مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (١) وقوله عن لسان ابن نوح «سَأَوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ» فأجابه أبوه «لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (٢).

وقد فسر الراغب الإصفهاني الكلمة بقوله: «عصم، أي مسك» (٣) والمسك أخص من المنع، والظاهر أنه أدق من كلام اللغويين، وهو الأوفق لما يذهب إليه أهل الكلام في تعريف العصمة.

قال العلامة قدس سره «العصمة لطف خفي يفعل الله تعالى بالمكلف، بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك» (٤).

فالعصمة هي لطف خفي أي باطني.

يفعله الله بالمكلف، أي: هو من فعل الله ولا يحصل بالإكتساب من المكلف، ولذا جاء في كلام الشيخ المفيد البغدادي وغيره: «لطف

يفعله الله» «... ٥».

بحيث لا يكون له داعٍ ... أى: ذلك اللطف حالة معنوية في المعصوم لا تدعوه نفسه معها إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، فكأنها ممسكة لنفسه ...

مع قدرته على ذلك، أى: فهو مختار غير ملجأ، ولذا قال السيد المرتضى «فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبح، فيقال على هذا: إن الله عصمه. بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح» «٦». فهذا كلام علماء الإمامية في تعريف العصمة باختصار.

(١)

سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة هود: الآية ٤٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن «عصم»: ٣٣٦.

(٤) الباب الحادى عشر: ٣٧.

(٥) النكت الاعتقادية (في سلسلة المؤلفات) ١٠ / ٣٧.

(٦) الأمالي ٢ / ٣٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٦٧

واختلفت كلمات علماء أهل السنة من الأشاعرة والمعتزلة، وإلى الباحث المنصف بعض كلماتهم لينظر أيها الأولى بالقبول: قال ابن حزم: «اختلف الناس في هل تعصى الأنبياء أم لا؟ فذهبت طائفة إلى أن رسل الله يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً، حاشا الكذب في التبليغ فقط.

وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول أبي الطيب الباقلاني من الأشعرية ومن أتبعه.

(قال) وأما هذا الباقلاني، فإننا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضى الموصول أنه كان يقول: إن كل ذنبٍ دق أو جل فإنه جائز على الرسل، حاشا الكذب في التبليغ فقط، وإذا نهى النبي عن شيء ثم فعله، فليس دليلاً على أن ذلك النهي قد نسخ، لأنه قد يفعله عاصياً لله تعالى، وليس لأصحابه أن ينكروا عليه، وجوز أن يكون في أمية محمد صلى الله عليه وآله من هو أفضل من محمد منذ بعث» «١».

وإذا كان يجوز على النبي ارتكاب كل ذنب، فيجوز عليه الغلط والخطأ والنسيان والسهو بالأولوية، وقد صرحوا بذلك أيضاً.

بل إن بعضهم جوز الكذب في التبليغ كذلك:

قال ابن حزم: «سمعت من يحكى عن بعض الكرامية أنهم يجوزون على الرسل الكذب في التبليغ أيضاً».

بل جوزوا الكفر ...: ص: ١٦٧

فقد حكى في شرح المواقف عن الأزارقة أنه: يجوز أن يبعث الله نبياً علم الله أنه يكفر بعد نبوته «٢».

(١) الفصل في الملل والنحل ٢ / ٢٨٤، وانظر: الأربعين في اصول الدين للرازي ١ / ٢٧٩، شرح المقاصد ٥ / ٥٠، شرح المواقف ٨ / ٢٦٤.

(٢) شرح المواقف ٨ / ٢٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٦٨

وقال الغزالي: «فإننا نجوز أن يتبأ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة» (١).

وقال ابن حزم عن الأنبياء: «جائز عليهم أن يكفروا» (٢).

فهذا مجمل عقيدة القوم في النبوة والنبي.

هذا، وفي رواياتهم - في الصحاح فضلاً عن غيرها - ما فيه دلالة واضحة على تلك العقيدة الفاسدة.

أما قبل النبوة، فحديث أكل نبينا صلى الله عليه وآله ممّا ذبح على الأنصاب، أخرجه البخاري: «عن عبد الله بن عمر: أنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله الوحي.

فقدّم إليه رسول الله سفره فيها لحم، فأبى أن يأكل منها. ثم قال: إنني لا آكل ممّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلّامّا ذكر اسم الله عليه» (٣).

وأما بعد النبوة، فقصة الغرائق، التي رووها بأسانيد كثيرة نصّ غير واحد من أئمة القوم على صحتها:

قال السيوطي: «أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن منذر بسند صحيح، عن سعيد بن جبیر، قال: قرأ النبي صلى الله عليه وآله بمكة النجم، فلما بلغ «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّمَّاتِ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» ألقى الشيطان على لسانه «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى».

فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا.

فنزل قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ» «... ٤».

(١) المنحول في علم الاصول: ٢٢٤.

(٢) الفصل في الأهواء والملل والنحل ٢/ ٢٨٤.

(٣) صحيح البخاري ٥/ ١٢٤ و ٧/ ١٦٥. وانظر: الجمع بين الصحيحين ٢/ ٢٧٥، مسند أحمد ٢/ ٦٩، ٨٩، ١٢٧.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٦٦، لباب النقول في أسباب النزول: ١٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٦٩

ومن العجيب قول السيوطي: «وأخرج البخاري عن ابن عباس بسند صحيح فيه الواقدي».

قال: وأورده ابن إسحاق في سيرته.

ورواه الهيثمي عن البزار والطبراني وغيرهما وقال: «رجالهم رجال الصحيح» (١).

وقال ابن حجر العسقلاني: «لها أسانيد كثيرة تدل على أن للقصة أصلاً» (٢).

ولذا قال ابن أبي الحديد وغيره: «وقد أخطأ رسول الله صلى الله عليه وآله في التبليغ حيث قال: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» (٣).

هذا، وقد تقدّم عن بعضهم: جواز أن يكون في الأمية من هو أعلم وأفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله. وممّا يشهد به في أحاديثهم اعتراضات عمر عليه صلى الله عليه وآله ونزول الوحي بتأييد عمر بن الخطاب، كفضية صلاته على عبد الله بن أبي:

«عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلّي عليه.

فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أتصلّي عليه وقد نهاك ربك أن تصلّي عليه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّمَا خَيْرُنِي اللَّهُ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»

وسأزيده على السبعين.

قال: إنه منافق.

(١) مجمع الزوائد ١١٥ / ٧.

(٢) فتح الباري ٥٦١ / ٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٧، الفرق بين الفرق: ٢١٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧٠

قال: فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأنزل الله تعالى «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» (١).

أما أصحابنا الإمامية، فإنهم يقولون بعصمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء عن ذلك كله:

قال العلامة: «لا يجوز أن يقع منه الصغائر والكبائر، لا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً في التأويل، ويجب أن يكون منزهاً عن ذلك كله من أول عمره إلى آخره».

فقال شارحه المقداد الحلّي: «وأصحابنا حكموا بعصمتهم مطلقاً، قبل النبوة وبعدها، عن الصغائر والكبائر، عمداً وسهواً. بل وعن السهو مطلقاً ولو في القسم الرابع. ونقصه به الأفعال المتعلقة بأحوال معاشهم في الدنيا ممّا ليس ديتياً» (٢).

وقال الشهيد الثاني: «وأما علم الحديث، فهو أجلّ العلوم قدراً وأعلاها مرتبة وأعظمها مثوبة بعد القرآن. وهو ما اضيف إلى النبي والأئمة المعصومين، قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفه، حتى الحركات والسكنات واليقظة والنوم» (٣).

وقال الشيخ المجلسي: «اعتقادنا في الأنبياء والرسول والأئمة والملائكة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ». ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم.

واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم، من أوائل أمورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل» (٤).

(١) صحيح البخاري ٢ / ٢٠٢، ٦ / ١٢٩ - ١٣١، صحيح مسلم ٧ / ١١٦، ٨ / ١٢٠.

(٢) إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٣٠٤.

(٣) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد: ١٩١.

(٤) بحار الأنوار ١١ / ٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧١

وقال: «فاعلم أن العمدة فيما اختاره أصحابنا من تنزيه الأنبياء والأئمة من كل ذنب ودناءة ومنقصة، قبل النبوة وبعدها، قول أئمتنا عليهم السلام بذلك، المعلوم لنا قطعاً بإجماع أصحابنا، مع تأييده بالنصوص المتظافرة، حتى صار ذلك من قبيل الضروريات في مذهب الإمامية» (١).

وأورد الشيخ الحرّ العاملي - في كتاب له في الموضوع - الأدلة العقلية والنقلية على استحالة السهو عليه مطلقاً، وذكر أن علمائنا وفقهائنا قد صرحوا بذلك في أكثر كتبهم في الفروع، وصرّحوا في جميع كتب الأصول، بنفي السهو عنهم عليهم السلام على وجه العموم والإطلاق، الشامل للعبادة وغيرها، وأوردوا أدلة كثيرة (٢).

فلينظر الباحث المنصف في كلام علمائنا، فهم يقولون بالعصمة عن السهو حتى في الأمور الدنيوية، لكن أهل السنة، يروون في

صالحهم أن النبي صلى الله عليه وآله نهى الناس من تأبير نخلهم فوقعوا في ضررٍ عظيم!!
فقد أخرجوا عن موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه قال:
«مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم على رؤوس النخل. فقال:
ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلحقونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح.
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أظن يغني ذلك شيئاً.
قال: فاخبروا بذلك، فتركوه.
فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن» (٣).
نعم، قد وجدنا في علماء أهل السنة من يعتقد بالحق الذي عليه أصحابنا، وإليك

(١) بحار الأنوار: ٩١ / ١١.

(٢) التنبيه بالمعلوم من البرهان على تنزيه المعصوم من السهو والنسيان. ط قم سنة ١٤٠١.

(٣) منتخب مسند عبد بن حميد: ٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٧٢

النص التالي من الزرقاني المالكي، فإنه قال:

«إنه معصوم من الذنوب، بعد النبوة وقبلها، كبيرها، وصغيرها، عمدتها وسهوها على الأصح. في ظاهره وباطنه، سره وجهره، جده ومزحه، رضاه وغضبه.

كيف؟ وقد أجمع الصحب على اتباعه والتأسي به في كل ما يفعله.

قال السبكي: أجمعت الامة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ وغيره، من الكبائر والصغائر والخسنة والمداومة على الصغائر.

وفي صغائر لا تحط من رتبهم خلاف، ذهب المعتزلة وكثير من غيرهم إلى جوازها، والمختار المنع. لأننا امرنا بالإقتداء بهم فيما يصدر عنهم، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي؟» (١).

قال قدس سره: أمّا المقدّمة الاولى، فلأن الإنسان مدني بالطبع، لا يمكن أن يعيش منفرداً... ولما كان الاجتماع في مظنة التغالب والتناوش، فإن كل واحد من الأشخاص... فلا بد من نصب إمام معصوم يصدّهم عن الظم...
الشرح:

هذه هي كبرى هذا الاستدلال العقلي، وكل عاقل يصدق به، لأن العقل حاكم بضرورة الأمن والعدل في المجتمع، وهذا من جملة فوائد وجوب وجوده الذي قام عليه الإجماع من كافة الفرق:

قال ابن حزم: «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج، على وجوب الإمامة، وأن الأمة فرض واجب، عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض

(١) شرح المواهب اللدنية ٣٢٧ / ٧ - ٣٢٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ١٧٣

الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منها أحد، وهم المنسوبون إلى نجدة بن الحنفى القائم بالإمامة.

قال أبو محمّد: وقول هذه الفرقة ساقط، يكفي من الردّ عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه، والقرآن والسنة قد وردا

بإيجاب الإمام. من ذلك قول الله تعالى:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأمة، وإيجاب الإمامة.

وأيضاً، فإن الله عز وجل يقول: «لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِيَّاهُ وَشَرِيعَهَا» فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم، وقد علمنا بضرورة العقل وبديته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال، والجنايات، والدماء، والنكاح، والطلاق، وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم، وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم، وشواغلهم، واختلاف آرائهم، وامتناع من ثحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم، إقياً لأنها ترى في اجتهداها خلاف ما رأى هؤلاء، وإما خلافاً مجرداً عليهم، وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لا يقيم هناك حكم حق ولا حد، حتى قد ذهب الدين في أكثرها، فلا تصح إقامة الدين إلا بالاسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد، فإذن لا بد من أحد هذين الوجهين، فإن الاثنين فصاعداً بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر ألبتة.

فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا- الإسناد إلى واحد، فاضل، عالم، حسن السياسة، قوى على الإنفاذ، إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا، فالظلم والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعداً، وإذ ذلك كذلك لفرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم، إن قدروا على كف كلهم لزمهم ذلك، وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧٤

ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة، على أنه لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم، ولا يجوز إلا إمامة واحدة، إلا محمد بن كرام السجستاني وأبا الصباح السمرقندي، وأصحابهما، فإنهم أجازوا كون إمامين في وقت، وأكثر في وقت واحد.

واحتج هؤلاء بقول الأنصار أو من قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين: منا أمير، ومنكم أمير.

واحتجوا أيضاً بأمر على والحسن مع معاوية رضى الله عنهم.

قال أبو محمد: وكل هذا لا حجة لهم فيه» (١).

لكن الغرض المذكور وغيره من الأغراض العقلائية المترتبة على وجود الإمام، لا يحصل إلّا إذا كان معصوماً، وإلّا لا احتاج إلى إمام... هذه هي كبرى الاستدلال.

وطريق الإشكال فيه هو الردّ على النقاط المكونة له لو أمكن...

لكن ابن تيمية قد خلط في مقام الرد، بين الكبرى والمصدق، بقطع النظر عمّا في كلامه من السبّ والتهجّم والقول بالباطل، فذكر وجوهاً نورد أكثرها:

الأول: «إن هذا الإمام الموصوف لم يوجد بهذه الصفة، أمّا في زماننا، فلا يعرف إمام معروف يدعى فيه هذا ولا يدعى لنفسه، بل مفقود غائب عند متبعيه ومعدوم لا حقيقة له عند العقلاء... وهذا المنتظر لا ينفع... وأيضاً، فالأئمة الاثنا عشر لم يحصل لأحد من الأئمة بأحد منهم جميع مقاصد الإمامة... وأمّا الغائب فلم يحصل به شيء...»

الوجه الثاني: أن يقال: قولكم: لا بد من نصب إمام معصوم يفعل هذه الأمور:

أتريدون أنه لا بد أن يخلق الله ويقيم من يكون متصفاً بهذه الصفات... فالله لم يخلق أحداً متصفاً بهذه الصفات! فإن غاية ما عندكم أن تقولوا: إن علياً كان معصوماً،

لكن الله لم يمكنه ولم يؤيده، لا بنفسه ولا بجند خلقهم له حتى يفعل ما ذكرتموه.

بل أنتم تقولون: إنه كان عاجزاً مقهوراً مظلوماً في زمن الثلاثة...

وإن قلتم: إن الناس يجب عليهم أن يبايعوه ويعاونوه.

قلنا: أيضاً، فالناس لم يفعلوا ذلك، سواء كانوا مطيعين أو عصاة.

وعلى كل تقدير، فما حصل لأحد من المعصومين عندكم تأييد، لا من الله ولا من الناس...

الوجه الثالث: أن يقال: إذا كان لم يحصل مجموع ما به تحصل هذه المطالب، بل فات كثير من شروطها، فلم لا يجوز أن يكون الفات هو العصمة...؟

الوجه الرابع: إنه لو لم يخلق هذا المعصوم، لم يكن يجري في الدنيا من الشر أكثر مما جرى، إذ كان وجوده لم يدفع شيئاً من الشر حتى يقال وجوده دفع كذا، بل وجوده أوجب أن كذب به الجمهور وعادوا شيعة...

وإذا قيل: هذا الشر حصل من ظلم الناس له.

قيل: فالحكيم الذي خلقه إذا كان خلقه لدفع ظلمهم، وهو يعلم أنه إذا خلقه زاد ظلمهم، لم يكن خلقه حكماً بل سفهاً...

الوجه الخامس: إذا كان الإنسان مدنياً بالطبع، وإنما وجب نصب المعصوم ليزيل الظلم والشر عن أهل المدينة، فهل تقولون: إنه لم

يزل في كل مدينة خلقها الله تعالى معصوم يدفع ظلم الناس أم لا؟

إن قلتم: بل نقول هو في كل مدينة واحد، وله نواب في سائر المدائن.

قيل: فكل معصوم له نواب في جميع مدائن الأرض أم في بعضها؟

فإن قلتم: في الجميع، كان هذا مكابرة.

وإن قلتم: في البعض دون البعض.

قيل: فما الفرق إذا كان ما ذكرتموه واجباً على الله، وجميع المدائن حاجتهم إلى

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧٦

المعصوم واحدة؟

الوجه السادس: أن يقال: هذا المعصوم يكون وحده معصوماً أو كل من نوابه معصوماً؟

وهم لا يقولون بالثاني، والقول به مكابرة...

وإن قلت: يشترط فيه وحده.

قيل: فالبلاد النائية عن الإمام، لا سيما إذا لم يكن المعصوم قادراً على قهر نوابه بل هو عاجز، ماذا ينتفعون بعصمة الإمام...؟

الوجه السابع: أن يقال: صدّ غيره عن الظلم وإنصاف المظلوم منه وإيصال حق غيره إليه، فرع على منع ظلمه واستيفاء حقه، فإذا كان عاجزاً مقهوراً لا يمكنه دفع الظلم عن نفسه... وأى ظلم يدفع...؟

الوجه الثامن: أن يقال: قوله: لو لم يكن الإمام معصوماً لافتقر إلى إمام آخر... فيقال له:

لم لا- يجوز أن يكون إذا أخطأ الإمام كان في الآية من يتبته على الخطأ...؟ ومن جهل الرفض: إنهم يوجبون عصمة واحد من

المسلمين، ويجوزون على مجموع المسلمين الخطأ إذا لم يكن فيهم واحد معصوم...

الوجه التاسع: أن يقال: العلم الديني الذي يحتاج إليه الأئمة والائمة نوعان: علم كلّي، كإيجاب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان

والزكاة والحج... وعلم جزئي كوجوب الزكاة على هذا، ووجوب إقامة الحدّ على هذا، ونحو ذلك.

فأما الأول، فالشريعة مستقلة به، لا تحتاج فيه إلى الإمام...

وأما الجزئيات، فهذه لا يمكن النصّ على أعيانها، بل لابدّ فيها من الاجتهاد المسمّى بتحقيق المناط... وإذا كان كذلك، فإن ادّعوا

عصمة الإمام في الجزئيات، فهذه مكابرة...

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧٧

ولما كانت الشيعة أبعد الناس عن اتباع المعصوم الذي لا ريب في عصمته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم... فلا جرم تجدهم من أبعد الناس عن مصلحة دينهم ودنياهم... ولها كانوا يشبهون اليهود في أحوال كثيرة منها أنه ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا... ولا بد لهم من نسبة إلى الإسلام يظهرون بها خلاف ما في قلوبهم»... إلى آخر كلامه في السب والشتم للشيعة والطعن في أئمتهم... «١».

أقول:

أما السب والشتم... فنكله فيه إلى الله، وعليه حسابه وجزاؤه.

وأما سائر كلامه، فخروج عن البحث وخلط واضح وفراد عن قبول الحق...

فهو تارة، يتطرق إلى أشخاص الأئمة فيقول: بأن علياً الذي تقولون بعصمته لم تترتب على إمامته الفائدة المقصودة، بل بالعكس، وأن المهدي الذي تقولون بإمامته معدوم لا حقيقة له...

وأخرى، يشكك في أصل لزوم وجود الإمام بين الناس، لأن العلم الديني نوعان... إلى آخر كلامه...

وثالثة، يدعى عدم إمكان صد الإمام الظلم في المجتمع، لعدم عصمة ولاته ولتباعه البلاد عن بلد حكومته...

وهكذا سائر كلماته...

فأنت ترى أنه لم يرد على الكبرى التي أفادها العلامة بشيء، لعدم إمكان الرد عليها...

وخلاصتها: إنه لا بد من وجود إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا بد من كونه معصوماً، حتى يحصل الغرض من وجوده.

(١) منهاج السنة ٦ / ٣٨٥ - ٤٢٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧٨

قال قدس سره: وأما المقدمة الثانية، فظاهرة. لأن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين اتفاقاً. وعلى عليه السلام معصوم، فيكون هو الإمام.

الشرح:

إنه بعد الفراغ عن وجوب وجود الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله بالدليل العقلي والنقلي، وعن ضرورة كونه معصوماً وإلما لم يتحقق الغرض من وجوده، فمن هو الواجد للشرط المذكور، والأمر دائر بين علي وأبي بكر؟

أما أبو بكر، فلم يكن معصوماً. وكذا عمر وعثمان.

لكن أمير المؤمنين علياً عليه السلام فمعصوم.

فيكون هو الإمام.

وطريق الإشكال العلمي الصحيح على هذه المقدمة ينحصر، إما بإثبات عصمة أبي بكر، وإما بإنكار عصمة علي عليه السلام.

لكن ابن تيمية يقول:

«وأما المقدمة الثانية، فلو قدر أنه لا بد من معصوم، فقولهم: ليس بمعصوم غير علي اتفاقاً، ممنوع. بل كثير من الناس من عيادهم وصوفيتهم وجندهم وعامتهم، يعتقدون في كثير من شيوخهم من العصمة من جنس ما تعتقده الرافضة في الاثني عشر، وربما عبروا عن ذلك بقولهم: الشيخ المحفوظ.

وإذا كانوا يعتقدون هذا في شيوخهم مع اعتقادهم أن الصحابة أفضل منهم، فاعتقادهم ذلك في الخلفاء من الصحابة أولى.

وكثير من الناس فيهم من الغلو في شيوخيهم من جنس ما في الشيعة من الغلو في الأئمة. وأيضاً، فالإسماعيلية يعتقدون عصمة أئمتهم، وهم غير الاثنى عشر. وأيضاً، فكثير من أتباع بنى امية - أو أكثرهم - كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٧٩ عليه ولا عذاب» ... ١.

أقول:

لا يخفى على أهل العلم: أن هذا الكلام إما باطل وإما خروج عن البحث، فهو على كل تقدير لا يصلح جواباً عن الاستدلال. ثم قال:

«إما أن يجب وجود المعصوم في كل زمان وإما أن لا يجب. فإن لم يجب، بطل قولهم.

وإن وجب، لم نسلم على هذا التقدير أن علياً كان هو المعصوم دون الثلاثة، بل إذا كان هذا القول حقاً، لزم أن يكون أبو بكر وعمر وعثمان معصومين، فإن أهل السنة متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر وأنها أحق بالعصمة من علي، فإن كانت العصمة ممكنة، فهي إليهما أقرب، وإن كانت ممتنعة، فهي عنه أبعد...

وإذا قال الرافضي: الإيمان ثابت لعل بالإجماع، والعصمة منتفية عن الثلاثة بالإجماع، كان كقول اليهودي: نبوة موسى ثابتة بالإجماع، أو قول النصراني: الإلهية منتفية عن محمد بالإجماع... وإذا قال: أنتم تعتقدون بانتفاء العصمة عن الثلاثة.

قلنا: نعتقد انتفاء العصمة عن علي...

وهنا جواب ثالث عن أصل الحجة وهو أن يقال: من أين علمتم أن علياً معصوم ومن سواه ليس بمعصوم...؟ لكن هؤلاء يحتجون بالإجماع ويردّون كون الإجماع حجة، فمن أين علموا أن علياً هو المعصوم دون من سواه» ...؟ ٢.

(١) منهاج السنة ٦ / ٤٣٠.

(٢) منهاج السنة ٦ / ٤٣٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٠
أقول:

بعد الإعراض عما في كلامه من الشتم، وما لا طائل تحته، فإن القدر المهم من تطويلاته الذي يستحق النظر والجواب هو: «إذا كان علي معصوماً لزم أن يكون أبو بكر وعمر وعثمان معصومين».

فهو يدعى الملازمة بين عصمة الإمام علي عليه السلام وعصمة الثلاثة.

لكن هذه الملازمة تحتاج إلى دليل مثبت، فانظر إلى دليله:

«فإن أهل السنة متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر وأنها أحق بالعصمة من علي».

فإن وجدنا في كلامه وجهاً علمياً بظاهره، فهو هذا الكلام، ولكنه مردود بوجوه عديدة:

الأول: إن الأدلة - كتاباً وسنة - على عصمة إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة، من أوضحها دلالة من الكتاب قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» ... ١
وقوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ... ٢

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (٣)

. ومن السنة: قوله صلى الله عليه وآله له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي». وقوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وقوله: «على مع الحق والقرآن مع علي». وسيأتي - فيما بعد - بيان دلالة هذه الأدلة وغيرها.

الثاني: إن أهل السنة غير متفقين على أفضليته أبي بكر وعمر، بل إن جمعا كبيرا

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨١

منهم يقولون بأفضليته الإمام على منهما، وقد نصّ على ذلك غير واحد من كتاب حفاظ القوم، بل ذلك قول كثير من الصحابة: قال ابن عبد البر:

«وروى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخبّاب وجابر وأبي سعيد وزيد بن أرقم:

أنّ علي بن أبي طالب رضى الله عنه أوّل من أسلم. وفصله هؤلاء على غيره» (١).

وقال ابن حزم:

«اختلف المسلمون في من هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام.

فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى: أن أفضل الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب، رضى الله عنه.

وروينا هذا القول نصّا عن بعض الصحابة رضى الله عنهم، وعن جماعة من التابعين والفقهاء» (٢).

وقال النووي بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام:

«وسؤال كبار الصحابة ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور» (٣).

فظهر: إن ما ذكره الرجل إمّا جهلٌ وإمّا كذب.

وثالثاً: إنه على فرض اتفاقهم على أفضلية الشيخين، فإن الكلام في العصمة لا الأفضلية.

ورابعاً: دعوى الاتفاق منهم على أنها أحقّ بالعصمة، كاذبة.

وخامساً: إنّ الكلام في العصمة لا في الأحقية بالعصمة.

(١) الاستيعاب ٣ / ١٠٩٠.

(٢) الفصل في الملل والنحل ٤ / ١٨١.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٢

وعلى الجملة، فإن الأدلة على عصمة أمير المؤمنين عليه السلام عديدة، ولا دليل عندهم على عصمة أبي بكر، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من العقل، ولا من الإجماع، بل الدليل قائم على عدمها في أبي بكر بإقراره هو في أكثر من موضع، منها قوله: «إن لى شيطاناً يعترينى» وكذا عمر وعثمان، بل الأمر فيهما أوضح وأشهر.

فظهر، أن الملازمة المدعاة باطلة.

فسقط كلام ابن تيمية على طوله في المقام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٣

الدليل الثاني: إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه ... ص: ١٨٣

قال قدس سره: إن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، لما بينا من بطلان الاختيار، وأنه ليس بعض المختارين لبعض الائمة أولى من البعض المختار للآخر، ولأدائه إلى التنازع والتناحر...

الشرح:

إنه بعد الفراغ عن ضرورة وجود الإمام ونصبه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالاتفاق، يقع البحث عن طريق نصبه: أما أصحابنا، فقالوا: بأن الطريق منحصر بالنص من الله ورسوله، لأن الإمامة نيابة عن النبوة، فكما لا اختيار من الامة في نصب النبي، كذلك الإمام، قال تعالى: «وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» (١). وأما أهل السنة، فكلامهم مختلف جداً، لأنهم ينظرون إلى الأمر الواقع بين الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم يدعون ثبوت الإمامة لأبي بكر باختيار الناس، ثم يقولون بإمامة عمر بنص أبي بكر عليه، ثم بإمامة عثمان بالشورى المزعومة... وهم على كل تقدير، يعترفون بعدم النص على أبي بكر، كما سيأتي.

هذا، والمشهور بينهم هو القول بالاختيار، وقد أشكل علماؤنا عليه بوجوه، ذكر العلامة ثلاثه منها: أحدها: إن الإمامة - كما ذكرنا - منصب إلهي، ولا خيرة للامة في المناصب الإلهية،

(١) سورة القصص: ٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٤

بل الأدلة من الكتاب والسنة قائمة على بطلانها، بل حتى النبي صلى الله عليه وآله ليس الأمر بيده، وقد صرح بذلك هو في بدء دعوته وأوائل رسالته، كما ذكر أهل السيرة، من أنه لما عرض نفسه على بعض القبائل ودعاهم إلى الإسلام، قال له بعض رؤسائهم: «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظفرك الله على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟» قال صلى الله عليه وآله: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» (١).

وأيضاً، فقد تقرّر اشتراط العصمة في الإمام، لكنّها من الامور الباطنة التي لا يعلمها إلا الله، قال العلامة: «الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه، لأنّ العصمة من الامور الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى. فلا بدّ من نصّ من يعلم عصمته عليه، أو ظهور معجزة على يده تدلّ على صدقه» (٢).

وأيضاً، فإنه يعتبر في الإمام الأفضلية كما سيأتي، وهي أيضاً من الامور التي لا يشخصها أغلب الناس. فالقول بالاختيار مخالف للكتاب والسنة.

والثاني: إنه مخالف للعقل، الحاكم بقبح الترجيح بلا مرجح، فلو اختار بعض الائمة رجلاً، واختار البعض الآخر رجلاً غيره، فإما يقال بإمامتهما معاً، فذاك باطل، وتقدّم في كلام ابن حزم، وإما يرجح أحدهما على الآخر، فإن كان بمرجح، بطل اختيار القائلين بإمامة غيره، وإن كان بلا مرجح، فهو قبيح.

والثالث: استلزامه نقض الغرض. لأن الغرض من نصب الإمام هو حفظ النظم وحقوق الناس ورعاية العدل بين أفراد الامة، لكن القول بالاختيار يؤدي إلى التنازع

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٦، السيرة الحلبية ٢/ ١٥٤.

(٢) الباب الحادى عشر - بشرح المقداد: ٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٥

بين الامة واختلافها وتفرقها على نفسها، وهذا هو الفساد.

وإذا بطل الاختيار بجميع أشكاله، تعيّن النص:

قال قدس سره: وغير على عليه السلام من أئمتهم لم يكن منصوباً عليه بالإجماع. فتعيّن أن يكون هو الإمام.

الشرح:

وعمدة الكلام هو فى أبى بكر، لأنه المعارض لأمر المؤمنين، وحكومة عمر وعثمان متفرعة على حكومته، وقد نصّ كبار علمائهم

على عدم الدليل عليها من الكتاب والسنة، كما لا يخفى على من يراجع كتبهم الكلامية المعتبرة، كشرح المواقف «١» وشرح المقاصد

«٢» وغيرهما ... قال التفتازانى:

«ذهب جمهور أصحابنا والمعتزلة والخوارج إلى أنّ النبى صلى الله عليه وآله لم ينص على إمام بعده»....

فما الدليل على إمامته؟

قال: «العمدة: إجماع أهل الحلّ والعقد على ذلك، وإن كان من البعض بعض تردّد وتوقف» «٣».

لكن لا يخفى:

أولاً: كان الأمر موكولاً إلى اختيار الامة، فأصبح منوطاً بنظر «أهل الحلّ والعقد»!

وثانياً: هل يعتبر إجماع أهل الحلّ والعقد أو لا؟

إن كان معتبراً، فما معنى «وإن كان من البعض بعض تردّد وتوقف»؟

وثالثاً: هل كان الواقع من سعد بن عباد و من تبعه الذين ماتوا ولم يبايعوا «بعض

(١) شرح المواقف ٨/ ٣٥٤.

(٢) شرح المقاصد ٥/ ٢٥٩.

(٣) شرح المقاصد ٥/ ٣٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٦

تردّد وتوقف؟

وهل كان من الصديقه الطاهرة بضعة الرسول، التى فارقت هذا العالم مهاجرةً أباً بكر «بعض تردد وتوقف»؟

وهل كان من مالك بن نويرة وعشيرته الذين قتلهم خالد بن الوليد بأمر من أبى بكر، ففارقوا الدنيا بلا بيعه له «بعض تردد وتوقف»؟

ولكنّ القوم رفعوا اليد عن اختيار الامة، إلى إجماع أهل الحلّ والعقد، ثم رفعوا اليد عن ذلك أيضاً، فقالوا بعدم اعتبار عددٍ معيّن، بل

يكفى الواحد والاثنان، كما نصّ عليه التفتازانى أيضاً.

فإذا لم يكن الكتاب ولا السنة ولا الإجماع هو الدليل على إمامة أبى بكر، لم يبق إلّا الغلبة والزور...

وبما ذكرنا يظهر كذب ابن تيمية فى قوله:

«ذهبت طوائف كثيرة من السلف والخلف من أهل الحديث والفقه والكلام إلى النصّ على أبى بكر.

وذهبت طائفة من الرافضة إلى النصّ على العباس» «١».

وله هنا أيضاً كلام طويل لا طائل تحته، فلا نضيع الوقت به.

(١) منهاج السنّة ٦/ ٤٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٧

الدليل الثالث: إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع ... ص: ١٨٧

قال قدس سره: إن الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع، لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وآله وقصور الكتاب والسنّة... الشرح:

وهذا الدليل أيضاً مركّب من مقدّمه هي كبرى الاستدلال.

فإنّ من الواضح أنّ من وجوه الحاجة إلى الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله حفظ الشريعة من التعطيل والترك، ومن الزيادة والنقص.

ومن الواضح كذلك، أن من يريد حفظ الشرع، فلا بد وأن يكون عالماً به، أمّا الجاهل فكيف يمكنه حفظ ما هو جاهل به؟ وقد ذكر هذا الاستدلال في سائر كتب أصحابنا، ففي الشافي وتلخيصه والتجريد وشروحه: إنه قد ثبت أن شريعة نبينا عليه وآله السلام مؤيّدة، وأنّ المصلحة لها ثابتة إلى قيام الساعة لجميع المكلفين. وإذا ثبت هذا، فلا بد لها من حافظ، لأن تركها بغير حافظ إهمال لها، وتعبّد للمكلفين بما لا يطيقونه ويتعذّر عليهم الوصول إليه.

وليس يخلو الحافظ لها من أن يكون جميع الامّة أو بعضها.

وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الامّة، لأنّ الامّة يجوز عليها السهو والنسيان وارتكاب الفساد والعدول عمّا علمته.

إذن، لا بد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو، ليتمكّن المكلفون من المصير إلى قوله «١».

(١) تلخيص الشافي ١/ ١٣٣، شرح التجريد: ٢٨٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٨

أجاب ابن تيمية بوجوه:

أحدها: أنّ لا نسلم أنه يجب أن يكون حافظاً للشرع، بل يجب أن تكون الامّة حافظاً للشرع...

وهو مردود: بأنّ الامّة غير معصومة، والخطأ والسهو جائز على آحادها وجماعتها، فلا بد من إمام معصوم حافظ لها، وهو لا ينصب إلّا من قبل الله عز وجل.

والوجه الثاني: إذا كان لا يمكن معرفة شيء من الشرع إلّا بحفظه، يلزم أن لا تقوم حجة على أهل الأرض إلّا بنقله، ولا يعلم صحّة نقله حتى يعلم أنه معصوم، ولا- يعلم أنه معصوم إلّا بالإجماع على نفى عصمة من سواه. فإن كان الإجماع معصوماً أمكن حفظ الشرع به وإن لم يكن معصوماً لم تعلم عصمته.

وهو مردود: بأنّ عصمته تعلم بنصبه للإمامة من الله تعالى، لأنّ الله لا ينصب للإمامة إلّا المعصوم، ولا يعرف المعصوم إلّا الله.

والوجه الثالث: إن ما ذكره ينقص من قدر النبوة، فإنه إذا كان الذي يدعى العصمة فيه من عصبته، كان ذلك من أعظم التهم التي توجب القدح في نبوته، ويقال إنه كان طالب ملك أقامه لأقاربه، وعهد إليهم ما يحفظون به الملك، وأن لا يعرف ذلك غيرهم، فإنّ هذا بأمر الملك أشبه منه بأمر الأنبياء.

وهو وجه سخيف جدّاً، وقد عرفت أنّ هذه المقدّمة كبرويّة، ولا نظر فيها إلى المصاديق.

والوجه الرابع: أن يقال: الحاجة ثابتة إلى معصوم في حفظ الشرع ونقله، وحينئذٍ، فلماذا لا يجوز أن يكون الصحابة الذين حفظوا القرآن والحديث وبلغوه هم المعصومون الذين حصل بهم مقصود حفظ الشرع وتبليغه، ومعلوم أن العصمة إذا حصلت في الحفاظ والتبليغ من النقلة، حصل المقصود وإن لم يكونوا هم الأئمة.

وهو مردود: بأنه خلف، لما تقدم من ضرورة وجود الإمام بعد النبي صلى الله

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٨٩

عليه وآله بإجماع المسلمين قاطبةً.

وأيضاً، كيف يحفظ الشرع بالصحابة، والحال أن كلّ تبديل وتغيير حصل فيه فهم الأصل له؟

والوجه الخامس: إنه إذا كان لا يحفظ الشرع ويبلغه إلّا واحد بعد واحد، معصوم عن معصوم، فهذا المنتظر له أكثر من أربعمائه وستين سنة لم يأخذ عنه أحد شيئاً من الشرع...

وهذا الوجه ذكره القاضي المعزلي بقوله:

«ثم يقال لهم: يجب على هذه العلة في هذا الزمان والإمام مفقود أو غائب أن لا نعرف الشريعة. ثم لا يخلو حالنا من وجهين:

إمّا أن نكون معذورين وغير مكلفين لذلك، فإنّ جاز ذلك فينا ليجوز في كل عصر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك يغني عن الإمام وتبطل علتهم.

وإن قالوا: بل نعرف الشريعة لا من قبل الإمام.

قيل لهم: فبأي وجه يصح أن نعرفها، يجب جواز مثله في سائر الأعصار، وفي ذلك الغنى عن الإمام في كل عصر».

فأجاب السيّد المرتضى علم الهدى بقوله:

قد بينا: أن الفرقة المحققة القائلة بوجود امام حافظ للشريعة، هي عارفة بما نقل من الشريعة عن النبي صلى الله عليه وآله، وما لم ينقل عنه فيما نقل عن الأئمة القائمين بالأمر بعده عليه السلام، ووثاقه بأن شيئاً من الشريعة يجب معرفته لمن لم يخل به من أجل كون الإمام من وراثتها، وبيننا أن من خالف الحقّ وضلّ عن دين الله تعالى الذي ارتضاه لا يعرف أكثر الشريعة، لعدوله عن الطريق الذي يوصل إلى العلم بها، ولا يثق بأن شيئاً ممّا يلزمه معرفته لم ينطو عنه وإن أظهر الثقة من نفسه، ولا يجب أن يكون من هذا حكمه معذوراً، لتمكّنه من الرجوع إلى الحقّ.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٠

فأما قولك: «إن قالوا بل نعرفها لا من قبل الإمام».

فإن أردت إمام زماننا، فقد بينا إنّنا قد عرفنا أكثر الشريعة ببيان من تقدّم من آبائهم عليهم السلام، غير أنه لا نقضى الغنى في الشريعة من الوجود الذي تردّد في كلامنا مراراً.

وإن أردت أن تعرف الشريعة لا من قبل إمام في الجملة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد دللنا على بطلان ذلك.

وبعد وإن تقدّم أكثر ما اختلف فيه من الشريعة لولا ما نقل عن الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله فيه من البيان لما عرف الحقّ، وأن من عوّل في الشريعة على الظنّ، فقد خبط وضلّ عن القصد، وبيننا - أيضاً - أن جميع الشريعة لو كان منقولاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقف منها شيء على بيان الأئمة بعده عليه السلام لكانت الحاجة إليهم فيها قائمة من حيث كان يجوز على من نقلها فعلمناها أن لا ينقلها، وبعد أن نقلها أن يعدل عن نقلها فلا يعلم في المستقبل» (١).

قال قدس سره: وغير على عليه السلام لم يكن كذلك بالإجماع.

الشرح:

نعم، غير على عليه السلام لم يكن حافظاً للشرع، بل كلّما حصل فيه من التغيير والتبديل ووقع فيه من البدعة والتضليل، كان من غيره،

إِذَا عَنْ عَمِدٍ وَإِمَا عَنْ جَهْلٍ، فَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِهِمْ مَقْصُودُ الْإِمَامَةِ بَلْ تَحَقَّقْ نَقِيضُهُ.
ومن العجب أنهم بعد أن أقرّوا بعدم النصّ على أبي بكر، وقالوا بإمامته باختيار الناس له، قالوا بأنه يعتبر في الإمام ثلاثة شروط بالإجماع، قال في شرح المواقف:
«المقصد الثاني في شروط الإمامة:

(١) الشافعي في الإمامة ١ / ١٨٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩١

الجمهور على أنّ أهل الإمامة ومستحقّها من هو مجتهد في الاصول والفروع، ليقوم بأمور الدين، متمكناً من إقامة الحجج وحلّ الشّبه في العقائد الدينيّة، مستقلاً بالفتوى في النوازل والأحكام الوقائع نصّاً واستنباطاً، لأن أهم مقاصد الإمامة حفظ العقائد وفصل الحكومات ورفع المخاصمات، ولن يتم ذلك بدون هذا الشرط. ذو رأى وبصارة بتدبير الحرب والسّلم ... شجاع» ... (١).
لكنّ رواياتهم وأخبار سيره أبي بكر وعمر وعثمان حاكية عن جهلهم وجبنهم...
فالصفات الثلاثة المذكورة التي اعتبروها مفقودة في خلفائهم، وللتفصيل مجال آخر.

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٤٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٢

الدليل الرابع: إنّ الله قادر على نصب إمام معصوم ... ص: ١٩٢

قال قدس سرّه: إنّ الله تعالى قادر على نصب إمام معصوم، والحاجة للعالم داعية إليه ولا مفسدة فيه. فيجب نصبه.
الشرح:

وهذا الدليل كذلك مركّب من مقدّمتين.

أمّا المقدّمة الاولى، فقد أوضحها العلّامة بقوله:

أمّا القدرة فظاهرة. وأمّا الحاجة فظاهرة أيضاً ... وأمّا انتفاء المفسدة فظاهر أيضاً...

ومن أراد الجواب عن هذه المقدّمة، فلا بدّ له من التشكيك في احدى الامور المذكورة.

قال ابن تيمية: «والجواب: إنّ هذا هو الوجه الأول بعينه ولكنّ قرّره. وقد تقدّمت الأجوبة عنه بمنع المقدّمة الاولى وبيان فساد هذا الاستدلال، فإنّ مبناه على الاحتجاج بالإجماع. فإن كان الإجماع معصوماً أغنى عن عصمته على، وإن لم يكن معصوماً، بطلت دلالته على عصمته على. فبطل الدليل على التقديرين» (١).

أقول:

أيّ شيء يمنع الرجل من المقدّمة الاولى، يمنع قدرة الله على نصب الإمام المعصوم أو الحاجة إلى الإمام أو عدم وجود المفسدة في نصبه؟ وأين تقدّم الجواب عن ذلك؟ وأين ابتداء الاستدلال على الإجماع؟
نعم، قال العلّامة في المقدّمة الثانية: وغير على لم يكن كذلك إجماعاً. وسيأتى أن هذا بيان للمصداق.

(١) منهاج السنّة ٦ / ٤٦٥ - ٤٦٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٣

ثم ذكر ابن تيمية وجوهاً:

«أحدها: أن يقال: لا نسلم أن الحاجة داعية إلى نصب إمام معصوم، وذلك لأن عصمة الامة مغنية عن عصمته...»

الثاني: إن اريد بالحاجة أن حالهم مع وجوده أكمل، فلا ريب أن حالهم مع عصمة نواب الإمام أكمل وحالهم مع عصمة أنفسهم أكمل، وليس كل ما تقدّرهُ الناس أكمل لكلّ منهم يفعلهُ الله، ولا يجب عليه فعله.

وإن اريد أنهم مع عدمه يدخلون النار أو لا يعيشون في الدنيا أو يحصل لهم نوع من الأذى، فيقال: هب أن الأمر كذلك، فلم قلت: إن إزالة هذا واجب، ومعلوم أن الأمراض والهموم والغموم موجودة...

الثالث: أن يقال: المعصوم الذي تدعو الحاجة إليه، أهو القادر على تحصيل المصالح وإزالة المفسدات، أم هو عاجز عن ذلك؟

الثاني ممنوع، فإن العاجز لا يحصل به وجود المصلحة ولا دفع المفسدة، بل القدرة شرط في ذلك...

وإن قيل: بل المعصوم القادر.

قيل: فهذا لم يوجد.

وإن كان هؤلاء الاثنا عشر قادرين على ذلك ولم يفعلوه، لزم أن يكونوا عصاة...

الرابع: أن يقال: هذا موجود في هذا الزمان وسائر الأزمنة، وليس في هذا الزمان أحد يمكنه العلم بما يقوله، فضلاً عن كونه يجلب مصلحة أو يدفع مفسدة. فكان ما ذكره باطلاً.

الخامس: لا نسلم أنه لا مفسدة في نصبه، وهذا النفي العام لا بد له من دليل ولا يكفي في ذلك عدم العلم بالمفسدة، فإن عدم العلم ليس علماً بالعدم.

ثم من المفسدات في ذلك أن يكون طاعة من ليس بنبي وتصديقه مثل طاعة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٤

النبي مطلقاً «...» ١.

أقول:

هذه عمدة وجوه الجواب، أوردناها ملخصةً بلفظه، فلينظر الباحث المنصف في كلامه واستدلال العلماء.

أما الوجه الأول، فتكرار منه، وقد بينا فساده.

وأما الوجه الثاني، فمغالطة، لأن المقصود بالحاجة هو الحاجة الدينيّة، فإن الإمام ينوب عن النبي صلى الله عليه وآله في الرئاسة الدينيّة بأن يعلم الناس ويزكيهم، والدينيّة، بأن يبسط فيهم العدل، وليست الحاجة إلى الإمام أن تزول به الأمراض والأسقام...

وأما الوجه الثالث، فخلط بين الكبرى والمصداق، والأئمة عليهم السلام لم يكونوا عاجزين، بل الظالمون حالوا دون تصديهم، والامة لم تنتفع ولم يسمعوا منهم، ولو كان ذلك عجزاً من الأئمة، فالتبى صلى الله عليه وآله، الذي حال أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان، وكذلك المنافقون الموجودون حوله صلى الله عليه وآله، دون الوصول إلى مقاصده، كان عاجزاً، فلم يحصل الغرض الداعي لبعثته، وهذا هو الكفر.

وأما الوجه الرابع، فقد تقدّم الجواب عن نظيره.

وأما الوجه الخامس، فسخيف جداً، ولا يستحقّ النظر والجواب.

وعلى هذه الوجوه التي عرفت ففس ما سواها.

قال قدس سره: وغير على عليه السلام لم يكن كذلك إجماعاً.

الشرح

نعم، اتفق الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وأهل السنة القائلون بإمامة أبي بكر، على

(١) منهاج السنّة ٦/ ٤٦٦ - ٤٧٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٥

عدم النصّ على أبي بكر وعدم عصمته، وعدم تقدّمه على غيره في العلم والعدل والشجاعة وغير ذلك من جهات الأفضليّة. ولمّا كان الأمر دائراً بين أمير المؤمنين وبين أبي بكر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وثبت عدم نصب أبي بكر من الله، فالمنصوب منه هو على عليه السلام.

هذا، بغض النظر عن الأدلة السمعيّة على إمامته، لأن البحث عقلي كما لا يخفى. وابن تيميّة لم يتعرّض في كلامه للمقدّمه الثانيّة، وكأنّه يدعن بقيام الإجماع من الفريقين على عدم لياقة أبي بكر للنيابة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٦

الدليل الخامس: إنّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ... ص: ١٩٦

قال قدس سره: إنّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته.

وعلى عليه السلام أفضل أهل زمانه على ما يأتي.

فيكون هو الإمام.

لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً.

ونقلًا. قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ...»

الشرح:

وهذا الاستدلال أيضاً مرّكب من كبرى عقليّة، أذعن بها جمهور أهل السنّة، وحتى ابن تيميّة- المكابر في الثابتات والواضحات- ما أمكنه إنكار هذه القاعدة العقليّة، بل نسب الإقرار بها إلى الجمهور.

قال ابن تيميّة:

«والجواب من وجوه:

أحدها: منع المقدّمه الثانيّة الكبرى، فإنّا لا نسلم أن عليّاً أفضل أهل زمانه، بل خير هذه الامّة بعد نبيّها أبو بكر ثمّ عمر.

الثاني: إن الجمهور من أصحابنا وغيرهم، وإن كانوا يقولون: يجب تولية الأفضل مع الإمكان، لكنّ هذا الرفض لم يذكر حجة على هذه المقدّمه» (١).

أقول:

فأنت ترى أنّه عاجز عن الجواب عن المقدّمه الاولى.

(١) منهاج السنّة ٦/ ٤٧٥ - ٤٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٧

وأما المقدّمه الثانيّة، فقد اكتفى بدعوى أن خير هذه الامّة أبو بكر ثمّ عمر...

ثم تكلم في الآية المباركة قائلاً:

«وأما الآية المذكورة، فلا حجة فيها له، لأن المذكور في الآية: من يهدي إلى الحق ومن لا يهدي إلّا أن يهدي، والمفضول لا يجب أن

يهدى إلّا أن يهديه الفاضل، بل قد يحصل له هدى كثير بدون تعلّم من الفاضل...
وأيضاً، فالذى يهدى إلى الحق مطلقاً هو الله «... ١».
أقول:

وهذا تمام كلامه في الدليل الخامس.
والحقيقة: إن ابن تيمية في أغلب البحوث عيالاً على غيره، فإذا عجزوا عن الجواب في موضع اضطرّ إلى السكوت وقصر كلامه.
ومسألة الأفضلية من المواضع المشكّلة عليهم!
أمّا كبرى المسألة، وهى قبح تقديم المفضول على الفاضل، فقاعدة عقلية، من يكابر فيها دلّ على عدم فهمه وقلة عقله.
وأمّا صغرى المسألة، وهى دعوى أفضليته أبى بكر، فمجرد دعوى، لا يدعمها أى دليل، بل الأدلة على كذبها.
ولذا، فقد وجدنا غير واحد من علمائهم الكبار يدخلون في البحث ويطرحون دعوى أفضليته أبى بكر، ثم يتراجعون قائلين بأن الأولى
إيكال الأمر إلى الله.
ونحن نشرح المسألة بشيء من التفصيل، فنقول:
قال الباقلاني:

«فإن قال قائل: وما الدليل على أن أبا بكر كان بصفة ما ذكرتم من صلاحه لإمامة

(١) منهاج السنة ٦/ ٤٧٥-٤٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٨

المسلمين واجتماع خلال الأئمة وآلتهم فيه؟

قيل له: الدليل على ذلك سبقه إلى الإيمان والجهاد في سبيل الله بماله ونفسه وإنفاقه على الرسول ماله، وإيناسه له في الغار بنفسه،
وتعاضد انتفاع النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة من دعاه إلى الإيمان وإسلام من أسلم باستدعائه، وبنائه مسجداً يدعو فيه إلى الإيمان
وتصديق الرسول حتى قال الناس: من آمن بدعاء أبى بكر أكثر ممن آمن بالسيف؛ فمنهم عثمان وطلحة والزبير وغيرهم من عليّه
الصحابه رضى الله عنهم، وإنما أرادوا أكثر قوة ومثلاً لا أكثر عدداً ممن آمن بالسيف، وشرأه المعذبين في الله كبلال وعامر بن فهيرة،
ومناضلته المشركين، وقوله لمثل سهيل بن عمرو لما جاء مصالِحاً عن قريش حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما أرى حولك إلّا من لو
عضّه الحديد أو قربت الخيل لأسلمك، فقال له: «اسكت؛ عضّضت ببطر اللات! أنحن نُسلمه؟».

وكونه مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر في العريش وتخصّصه له مع العلم بأنه لا يركن في مثل تلك الحال إلّا إلى ذي مئة ورأي
وبصيرة وغناء، وقد دلّ على هذا بقوله للأعرابي حيث قال له: «إنك ضنين بصاحبك هذا، وقد استحرّ القتل في أصحابك»، فقال له:
«إن الله أمرني أن اتخذه خليلاً أو جليساً أو أنيساً» وما هذا معناه من اللفظ.

هذا، مع علمنا ضرورة بأنه كان معظماً في الجاهلية قبل الإسلام، ومن أهل الثروة والجاه منهم، وممن تجتمع إليه العرب وتسأله عن أيام
الناس والأنساب والأخبار ففارق ذلك أجمع إلى الذلّ والصغار والصبر على أذيه أهل الكفر، وعلمنا ضرورة بأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعظّمه ويشاوره ويخلى له مجلساً عن يمينه لا يجلس فيه غيره.

ومما روى من الجهات المشهورة مما قاله عليه السلام فيه نحو قوله: «إقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر»، و «إنهما من الدين
بمنزلة الرأس من الجسد»، و «ما

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ١٩٩

نفعى مالاً ما نفعى مال أبى بكر»، و «إنى بُعثت إلى الناس كلّهم فقالوا: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت» فسيّمي لأجل ذلك صديقاً

وغلب على اسمه وكنيته واسم أبيه، وإلى غير هذه الأخبار مما قد بسطنا طرَفًا من ذكرها في غير هذا الكتاب.

وقد كان أهل الكفر يعرفون هذا من أمره ويعرفون تقدّمه في الجاهلية ثم في الإسلام وعند النبي صَلَّى الله عليه وسلم، ولهذا صاح أبو سفيان بأعلى صوته عند تراحم الصفوف: «أين أبو بكر بن أبي قحافة؟ أين عمر بن الخطاب؟ يومٌ بيوم!»، في كلامٍ طويل، ولم ينأِ بهما.

ولهذا كان النبي صَلَّى الله عليه وسلم يُقدّمه في الشهادة عليه في عهوده وكتب صلحه ويكتب:

«شهد عبدالله بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وفلان وفلان؛ وهذا مما يُعلم ضرورةً ولا يمكن دفعه.

غير أن الشيعة تزعم أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كان مُمتحنًا به وبعمر على نفاقٍ لهما وتقيّةٍ منهما، وهذه أمانتي دونها خبط القتاد وذهاب الأنفس حشرات، ولولا علم النبي صَلَّى الله عليه وسلم بفضل سبقه وهجرته وعلمه، لم يأت به ولم يقدّمه عليهم في مرضه ويعظم الأمر في بابه ويقول: «يا أباي الله ورسوله والمسلمون إلّا أبا بكر»، وقوله لحفصة وعائشة: «إنكن صواحبات يوسف».

ولولا شدة تعلق هذا الأمر بأبي بكر وتخصّصه بالفضل فيه وخشية الإثم في تقديم غيره، لم يقل: «إنكن صواحبات يوسف» ويأبى الله والمسلمون إلّا أبا بكر». والأمر الذي التمس منه أمر سائغ ليس ياثم في الدين، لأن فضل السن فقط وما جرى مجراه لا يوجب التحذير بهذا القول. هذا وهو عليه السلام يقول: «يؤمن الناس خيرهم» و«أئمتكم شفعاءكم إلى الله، فانظروا بمن تستشفعون»، ويقول: من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أن فيهم من هو أفضل منه، فقد خان الله ورسوله والمسلمين».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠٠

وأما دعوى الشيعة أنه خرج فعزله ودفعه عن موضعه وأنكر تقديمه وأعظمه فمن جنس الترهات والأمانى الكاذبة، لأن مثل هذا لو كان لعلمناه ضرورةً، كما علمنا أن أبا بكر تقدم ضرورةً، وإنما اختلف في أن أبا بكر صَلَّى بالنبي صَلَّى الله عليه وسلم أو صَلَّى به النبي صَلَّى الله عليه وسلم صلاة واحدة ذكر ذلك فيها، وصلى بهم بقية أيام مرض رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم. وروى الثبّت الثقات أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي يموت حتى يؤمه رجل من قومه»؛ وأن أبا بكر أمّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وهذا هو الذي عناه أبو بكر بقوله: «وليتكم ولست بخيركم؛ إنى وليتكم الصلاة ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلم حاضر»؛ ولعمري إنه لا يجوز أن يكون خير قوم فيهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فلا معتبر في هذا الأمر العظيم بتلفيق المخالفين وتمنيهم الأباطيل وتلقّهم بروايات ترد خاصة منهم ولهم لا يعلمها غيرهم.

على أنه لو يعلم جميع هذا من حاله، ولم يتقدّم له شيء مما ذكرناه من فضائله ومناقبه، لكان ما ظهر منه بعد موت النبي صَلَّى الله عليه وسلم من العلم والفضل والشدة في القول والفعل وتحصيل ما ذهب على غيره، دلالة على اجتماع خلال الفضل والإمامة فيه، بل لو لم يدل على ذلك من أمره إلّا ما ظهر منه من التثقيف والتقدم والتشدد وسد الخلل وقمع الردّة وأهلها في أيام نظره، لكان في ذلك مقنع لمن وفق لرشده.

فأول ما ظهر من فضله وتسديد رأيه: إعلام الناس موت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وكفّه عمر وغيره ممن تشتت آراؤهم في موته وفجئتهم المصيبة بموته، وما كان من قوله وفعله في ذلك، وقالت عائشة وغيرها من الصحابة: «إن الناس أفرحوا ودّشوا حيث ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم والملائكة بثوبه وذهل الرجال، فكانوا كأجرام انتخب منها الأرواح وحولهم أطواد من الملائكة فكذب بعضهم بموته، وأخرس بعضهم فما تكلم إلّا بعد الغد، وخلط آخرون ولاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم، فكان عمر ممن كذب بموته وعلى في من أقعد،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠١

وعثمان في من أخرس؛ وخرج من في البيت ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلم مسجى.

وخرج عمر إلى الناس فقال عمر: «إن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم لم يمت، وليرجعن الله وليقطعن أيدياً وأرجلاً من المنافقين

يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت، وإنما واعد ربّه كما واعد موسى وهو آتيكم».

وأما عليّ، فإنه قَعَدَ فلم يبرح من البيت.

وأما عثمان، فجعل لا يكلم أحداً، يؤخذ بيده فيذهب ويُجاء به.

حتى جاء الخبر أبا بكر وتواتر أهل البيت إليه بالرسول، فلقية أحدهم بعد ما مات صلى الله عليه وسلم وعينه تَهْمَلَانِ وَغَضِبَ صُهُ تَرْتَفِعَ كَقَطْعِ الْجِرَّةِ، وهو في ذلك جَلْبُدُ العقل والمقالة، حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكَبَّ عليه وكشف عن وجهه ومسحه وقبّل جبينه وخدّيه، وجعل يبكي ويقول: «أبى أنت وأمي ونفسي وأهلي، طبت حياً وميتاً وانقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من الأنبياء والنبوة فعظمت عن الصفه المصيبة وجلّت عن البكاء وخصّصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء الشؤون. فأما ما لا تسطيع نفية عنا فكَمِيدٌ وإدناف يتحالفان لا يبرحان. اللهم فأبلغه عنا: اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك، فلولا ما خلّفت من السكينة لم نَقُمَ لما خلّفته من الوحشة، اللهم أبلغ نبّيك عنا واحفظه فينا؟

ثم خرج لمّا قضى الناس عبراتهم، وقام خطيباً فخطب فيهم خطبة جُلّها الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما أنزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدّث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين» في كلام طويل؛ ثم قال: «أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠٢

يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر»، «يا أيّها الذين آمنوا كونوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْمُؤَرَّبِينَ إِنْ يَكُنْ غَيْبًا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»، «ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبّيك ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخزي تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم».

فلما فرغ من خطبته قال: «يا عمر، أنت الذي بلغني أنك تقول على باب نبي الله:

والذي نفسُ عمري بيده ما مات رسول الله؟! أما علمت أن نبي الله قال يوم كذا كذا وكذا، وقال الله في كتابه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فقال: «والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا؛ أشهد أن الكتاب كما أنزل، وأن الحديث كما حدّث، وأن الله حي لا يموت وإنا لله وإنا إليه راجعون صلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله»؛ ثم جلس إلى أبي بكر.

وقد كان العباس قال لهم: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات، وإنّي قد رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبدالمطلب عند الموت»؛ فلم يرجعوا لقوله حتى كان من أبي بكر ما ذكرناه فرجعوا، صابرين محتسبين بقوة نفس وسكون جأش في الدين، ولو لم يظهر منه غير هذا الفعل لكان كافياً في العلم بفضله وما هو عليه من اجتماع ما هو مفترق في غيره.

ثم ما كان من إنفاذه جيش أسامة ومخالفته للكافة في ترك إنفاذه، مع شدة خوفهم من الظفر من عدوّهم وقولهم: إن هذا الجيش فيه الحامية من نقيب المهاجرين والأنصار، وأهل الرّدة قد أطلعوا رؤوسهم وساقوا المدينة، فانتظر بإنفاذه انكشاف الرّدة، فقال: «والله لأن أخّر من السماء فتخطّفتني الطير وتنهشني السباع أحب إلى من أن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠٣

أكون أول حالٍ لعقد عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنفذوا جيش أسامة». ونادى مناديه بخروجهم وسأل نقيب المهاجرين والأنصار عمر أن يسأل أبا بكر أن يصرف أسامة ويولّي من هو أسن وأدرب بالحرب منه، فسأله عمر ذلك، فوثب إليه وأخذ لحيته

بيده فهزها وقال: «ثكلتك أمك يا ابن الخطاب وعدمتك، أيوليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أصرفه؟ والله لا يكون ذلك أبداً»؛ فأمرهم بالخروج وشييعهم أبو بكر حافياً والعباس معه ومن بقى من الصحابة في المدينة، فما زال يدعو لهم ويأمر العباس بالتأمين على دعائه، وأسامة يقول: «إما أن تترك يا خليفة رسول الله أو أنزل»، وهو يقول: «لا والله لا أركب ولا تنزل، وماذا على أن تعبّر قدماي في تشيع غاز في سبيل الله تعالى». فنفذ الجيش وفتح الله لهم وغنم ورجع في نيف وستين يوماً ولقي بهم أهل الردّة.

ثم ما كان منه في قتال أهل الردّة وسدّه ثلّم المدينة وخروجه لمناظلتهم بنفسه ومن معه حتى دفعهم قبل عود جيش أسامة، وندائه في المدينة ألبائوي أحد أحداً من رسل أهل الردّة، لما وفدوا إليه الوفود يسألونه الصلح على ترك الزكاة، وقوله لما سأله رفع السيف عنهم وأدعوا بأداء الزكاة: «لا والله أو يقولوا إن قتلاهم في النار وقتلنا في الجنة».

ثم إنفاذ خالد بن الوليد ومن معه من الجيوش إلى أهل الردّة ومسيلمة ومن باليمامة من دعاة الكفر، حتى أبادهم واستأصل خضراءهم وأيد الله به الدين وكشف الغمة وأزال الكربة ورد الحق إلى نصابه وانحسرت بيئته الفتنة وضعفت منه أهل الكفر وفشلوا قبل لقاء عسكره، حتى قال قائلهم المشهور شعره:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندرى

لعل جيوش المسلمين وخالداً سيطرقنا قبل الصباح من البر

فصبحتهم الخيل. قال الراوي: فكان رأس هذا الشاعر أول رأس رُمي به تدكّك في باطنه الجمر.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٠٤

فكيف لا يصلح من هذه صفته لإمامة الأمة؟ هذا مع ما ظهر من علمه وانتدابه لجمع القرآن وأنه لم يتلثم في حكم نزل في أيام نظره ولا رجع عنه، وقد جلس مجلس النبي وخلفه في أمته وإن ذلك لأمر عظيم. ثم ما كان من عهده إلى عمر عند موته وتسديده في رأيه وتنبيهه القوم على فضل رأيه ومكان نظره ما عمر بسبيله وما هو مخصوص به مما سنذكر طرفاً منه في باب إمامته.

وبعض هذه الأوصاف والخلال وتسديد التدبير والرأى والمقال يصلح ويستحق الإمامة» (١).

وفي شرح العقيدة الطحاوية:

«قوله: ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة.

اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي. وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها تثبت بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرايت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجدني فأتني أبا بكر». وذكر له سياق آخر، وأحاديث آخر. وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر». رواه أهل السنن.

(١) التمهيد: ٤٨٣ - ٤٩٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٠٥

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: «ادعى لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يا أباي الله والمسلمون إلا أبا بكر». وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع». وفي رواية: قال: «ادعى لي عبدالرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه، ثم قال: معاذ الله أن يختلف

المؤمنون في أبي بكر».

وأحاديث تقديمه في الصلوة مشهورة معروفة، وهو يقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة. فصلّى بهم مدّة مرض النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فترعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فترع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزع ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غزباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس يفري فرّيه، حتى ضرب الناس بعطن».

وفي «الصحيح» أنه صلى الله عليه وسلم قال على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سددت، إلا خوخة أبي بكر».

وفي «سنن أبي داود» وغيره، من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل أنا: رأيت ميزاناً [أنزل] من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر، ووزن عمر وعثمان، فرجع عمر، ثم رفع، فرأيت الكراهة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «خلافه نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء». فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن ولاية هؤلاء خلافه نبوة، ثم بعد ذلك ملك. وليس فيه ذكر على رضى الله عنه، لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠٦

خلافه النبوة ولا الملك.

وروى أبو داود أيضاً عن جابر رضى الله عنه، أنه كان يحدث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيّط برسول الله صلى الله عليه وسلم، ونيّط عمر بأبي بكر، ونيّط عثمان بعمر»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه.

وروى أبو داود أيضاً عن سمرة بن جندب: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت كأنّ دلوّاً دلى من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى نضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضرع، ثم جاء على فأخذ بعراقيها، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء.

وعن سعيد بن جهمان، عن سفينه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«خلافه النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء». أو «الملك».

واحتج من قال لم يستخلف، بالخبر المأثور، عن عبد الله بن عمر، عن عمر رضى الله عنهما، أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعنى أبا بكر، وإن لا- أستخلف، فلم يستخلف من هو خير [مني]، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، [قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستخلف].

وبما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو استخلف.

والظاهر- والله أعلم- أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر».

فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٠٧

إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتّباعه؟ ترك الكتاب، اكتفاءً بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر. فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعدر، لكن لما دلّهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود.

ولهذا قال عمر رضي الله عنه، في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينزع أحد في خلافته إلا- بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بطلانه. ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عباد، لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع! وروى ابن بطّة بإسناده أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها. وفي الجملة: فجميع من نُقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحقُّ بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم له. ففي «الصحيحين»، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٠٨

بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر، وعدّ رجالاً».

وفيها أيضاً، عن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم، وقال: [يا رسول الله]، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي [فأبى علي، فأقبلت إليك]، فقال:

«يغفر الله لك يا أبا بكر، ثلاثاً»، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟

فقالوا: لا، فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، [فسلم عليه]، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثنى إليكم، فقلت:

كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟

مرتين، فما أودى بعدها». ومعنى: غامر: غاضب وخاصم.

ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفي «الصحيحين» أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح- فذكر الحديث- إلى أن قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد، في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير! فذهب إليهم أبو بكر [الصديق]، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردتُ بذلك إلّا أني [قد] هيأت في نفسي كلاماً قد أعجلني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر! ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر [بن الخطاب]، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٠٩

فأنت سيدنا، وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده، فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله» (١).

وفي شرح المقاصد:

«لما ذهب معظم أهل السنة، وكثير من الفرق على أنه يتعين للإمامة أفضل أهل العصر إلا إذا كان في نصبه مرجع وهيجان فتن، احتاجوا إلى بحث الأفضلية، فقال أهل السنة: الأفضل أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. وقد مال البعض منهم إلى تفضيل علي رضي الله عنه على عثمان، والبعض إلى التوقف فيما بينهما.

قال إمام الحرمين: مسألة امتناع إمامة المفضول ليست بقطعية، ثم لا قاطع شاهد من العقل على تفضيل بعض الأئمة على البعض، والأخبار الواردة على فضائلهم متعارضة، لكن الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل، ثم عمر. ثم يتعارض الظنون في عثمان وعلي رضي الله عنهما.

وذهب الشيعة وجمهور المعتزلة إلى أن الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على رضي الله عنه. لنا إجمالاً: أن جمهور عظماء الملّة وعلماء الأئمة أطبقوا على ذلك، وحسن الظن بهم يقضى بأنهم لو لم يعرفوه بدلائل وأمارات لما أطبقوا عليه.

وتفصيلاً: الكتاب، والسنة، والأثر، والأمارات.

أما الكتاب، فقوله تعالى: «وَسَيَجْزِيهَا الْأَتَقَى» الذي يؤتى ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزي».

فالجمهور على أنها نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه، والأتقى أكرم، لقوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ». ولا يعنى بالأفضل إلا الأكرم.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٤٧١-٤٧٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢١٠

وليس المراد به علياً، لأن للنبي صلى الله عليه وسلم عنده نعمة تجزي، وهي نعمة التربية.

وأما السنة، فقوله عليه السلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.

دخل في الخطاب على رضي الله عنه فيكون مأموراً بالاعتداء ولا يؤمر الأفضل ولا المساوي بالاعتداء، سيما عند الشيعة.

وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: هما سيّدا كهول أهل الجّة ما خلا النبيين والمرسلين.

وقوله عليه السلام: خير أمتي أبو بكر ثم عمر.

وقوله عليه السلام: ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدّم عليه غيره.

وقوله صلى الله عليه وآله: لو كنت متخذاً خليلاً دون ربّي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن هو شريك في ديني وصاحبي الذي أوجبت له صحبتي في الغار، وخليفتي في أمتي.

وقوله صلى الله عليه وسلم: وأين مثل أبي بكر، كذّبنى الناس وصدّقني، وآمن بي وزوّجني ابنته، وجعل لي بماله، واساني بنفسه، وجاهد معي ساعة الخوف.

وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء حين كان يمشي أمام أبي بكر: أتمشي أمام من هو خير منك؟ والله ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبي بكر.

ومثل هذا الكلام وإن كان ظاهره نفى أفضليته الغير، لكن إنما يساق لإثبات أفضليته المذكور. ولهذا أفاد أن أبا بكر أفضل من أبي

الدرء. والسرّ في ذلك أن الغالب من حال كلّ اثنين هو التفاضل دون التساوي، فإذا نفى أفضلية أحدهما لآخر، ثبت أفضلية الآخر، وبمثل هذا ينحلّ الإشكال المشهور على قوله صَلَّى الله عليه وسلم: «من قال حين يصبح وحين يمسي: «سبحان الله وبحمده» مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممّا جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»، لأنه في معنى أن من قال ذلك فقد

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١١

أتى بأفضل ممّا جاء به كلّ أحد إلا أحدًا قال مثل ذلك أو زاد عليه. فالاستثناء بظاهره من النفي، وبالتحقيق من الإثبات.

وعن عمرو بن العاص، قلت لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: أي الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر.

وقال النبي صَلَّى الله عليه وسلم: لو كان بعدى نبي لكان عمر.

وعن عبد الله بن حنطب أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال:

هذان السمع والبصر.

وأما الأثر، فعن ابن عمر، كنا نقول ورسول الله حي: أفضل أمه النبي صَلَّى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

وعن حميد بن الحنفية، قلت لأبي: أي الناس خير بعد النبي صَلَّى الله عليه وسلم قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن أقول: ثم من، فيقول عثمان. فقلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

وعن علي رضي الله عنه: خير الناس بعد النبيين أبو بكر ثم عمر، ثم الله أعلم.

وعنه رضي الله عنه لما قيل له: ما توصي؟ قال: ما أوصى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى أوصى. ولكن إن أراد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم.

وأما الإمارات، فما تواتر في أيام أبي بكر من اجتماع الكلمة، وتألف القلوب وتتابع الفتوح وقهر أهل الردة، وتطهير جزيرة العرب عن الشرك، وإجلاء الروم عن الشام وأطرافها، وطرد فارس عن حدود السواد وأطراف العراق، مع قوتهم وشوكتهم ووفور أموالهم، وانتظام أحوالهم.

وفي أيام عمر من فتح جانب المشرق إلى أقصى خراسان، وقطع دولة العجم وثل عرشهم الراسي البنيان، الثابت الأركان. ومن ترتيب الأمور، وسياسة الجمهور، وإفاضة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٢

العدل، وتقوية الضعفاء، ومن إعراضه من متاع الدنيا وطيباتها وملازمها وشهواتها.

وفي أيام عثمان من فتح البلاد، وإعلاء لواء الإسلام، وجمع الناس على مصحف واحد مع ما كان له من الورع والتقوى، وتجهيز جيوش المسلمين، والإنفاق في نصرة الدين، والمهاجرة هجرتين، وكونه ختاً للنبي صَلَّى الله عليه وسلم على ابنتين، والاستحياء من أدنى شين، وتشرفه بقوله عليه السلام: عثمان أخى ورفيقى في الجنة، وقوله صَلَّى الله عليه وسلم: ألا أستحي ممّن تستحي منه ملائكة السماء. وقوله صَلَّى الله عليه وسلم: إنه رجل يدخل الجنة بغير حساب.

قال: تمسّكت الشيعة بقوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» أراد علياً. وقوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى». وعلى رضي الله عنه منهم.

وقوله تعالى: «وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». وهو علي.

وبقوله صَلَّى الله عليه وسلم: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

وقوله: أفضاكم علي.

وقوله: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء على.

وقوله: أنت منى بمنزلة هارون من موسى ... إلى غير ذلك.

وبأنه أعلم حتى استند رؤساء العلوم إليه، وأخبر بذلك في خبر الوسادة، وأشهد على ما يشهد به غزواته، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الضربة على خير من عبادة الثقلين» وأزهد حتى طلق الدنيا بكليتها، وأكثر عبادة وسخاوة، وأشرف خلقاً وطلاقة، وأفصح لساناً، وأسبق إسلاماً.

والجواب: أن الكلام في الأفضلية بمعنى الكرامة عند الله، وكثرة الثواب، وقد

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٣

شهد في ذلك عامة المسلمين، واعترف على رضى الله عنه به. وعارض ما ذكرتم ما ذكرنا، مع أن فيه مواضع بحث لا تخفى، سيما حديث سبق الإسلام والسيوف في إعلاء الأعلام).

القائلون بأفضليته على رضى الله عنه تمسكوا بالكتاب والسنة والمعقول.

أما الكتاب، فقوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ» ... الآية.

عنى بأنفسنا علياً رضى الله تعالى عنه وإن كان صيغته جمع، لأنه صلى الله عليه وسلم دعا وفد نجران إلى المباهلة، وهو الدعاء على الظالم من الفريقين خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فأمنوا، ولم يخرج معه من بنى عمه غير على رضى الله عنه، ولا شك أن من كان بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وسلم كان أفضل.

وقوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

قال سعيد بن جبير: لما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين تودهم؟ قال: على وفاطمة وولداها.

ولا- يخفى أن من وجبت محبته بحكم نص الكتاب كان أفضل. وكذا من تثبت نصرته للرسول بالعطف في كلام الله تعالى عنه على اسم الله وجبريل مع التعبير عنه بصالح المؤمنين، وذلك قوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». فعن ابن عباس رضى الله عنه أن المراد به على.

وأما السنة، فقوله عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته فلي نظر إلى على بن أبي طالب»، ولا خفاء في أن من ساوى هؤلاء الأنبياء في هذه الكمالات كان أفضل. وقوله صلى الله عليه وسلم: «أقضاكم على» والأقضى أكمل وأعلم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٤

وقوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فجاءه على فأكل معه. والأحب إلى الله أكثر ثواباً، وهو معنى الأفضل.

وبقوله عليه السلام: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» ولم يكن عند موسى أفضل من هارون.

وقوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلى مولاه» الحديث.

وقوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: أين على بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتى به. فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

وقوله صلى الله عليه وسلم: أنا دار الحكمة، وعلى بابها.

وقوله صلى الله عليه وسلم لعلی: أنت أخى في الدنيا والآخرة، وذلك حين أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال: آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين أحد.

وقوله صَلَّى الله عليه وسلم: «لمبارزة على عمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة».

وقوله صَلَّى الله عليه وسلم لعلی: «أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ومن أحبك فقد أحبني وحبيبي حبيب الله. ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله. فالويل لمن أبغضك بعدى».

وأما المعقول، فهو أنه أعلم الصحابة لقوة حدسه وذكائه، وشدة ملازمته للنبي صَلَّى الله عليه وسلم واستفادته منه.

وقد قال النبي صَلَّى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى: «وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَاعِيَةٌ».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٥

اللهم اجعلها أذن على. قال على: ما نسيت بعد ذلك شيئاً.

وقال: علّمني رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب.

ولهذا رجعت الصحابة إليه في كثير من الوقائع، واستند العلماء في كثير من العلوم إليه، كالمعتزلة والأشاعرة في علم الأصول، والمفسرين في علم التفسير، فإن رئيسهم ابن عباس تلميذ له. والمشايع في علم السرّ وتصفية الباطن، فإن المرجع فيه إلى العترة الطاهرة. وعلم النحو إنما ظهر منه.

وبهذا قال: لو كسرت الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم.

والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل، أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت. وأيضاً: هو أشجعهم، يدلّ عليه كثرة جهاده في سبيل الله، وحسن إقدامه في الغزوات، وهي مشهورة غنية عن البيان، ولهذا قال النبي صَلَّى الله عليه وسلم: لا فتى إلا على، ولا سيف إلا ذو الفقار.

وقال صَلَّى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: لضربة على خير من عبادة الثقلين.

وأيضاً: هو أزهدهم لما تواتر من إعراضه عن لذات الدنيا مع اقتداره عليها لا تساع أبواب الدنيا عليه. ولهذا قال: يا دنيا إليك عني، إني تعرّضت أم إني تشوّقت، لا حان حينك، هيهات غرّى غيري، لا حاجة لي فيك، فقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وحظك يسير، وأملكك حقير. وقال: والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم. وقال: والله لنعيم دنياكم هذه أهون عندي من عطفة عنز.

وأيضاً: هو أكثرهم عبادة، حتى روى أن جبهته صارت كركبة البعير لطول سجوده.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٦

وأكثرهم سخاوة، حتى نزل فيه وفي أهل بيته: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا».

وأشرفهم خلقاً وطلاقة وجه، حتى نسب إلى الدعابة، وأحلمهم، حتى ترك ابن ملجم في دياره وجواره يعطيه العطاء، مع علمه بحاله. وعفا عن مروان حين أخذ يوم الجمل مع شدة عداوته له، وقوله فيه: سيلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر.

وأيضاً: هو أفصحهم لساناً على ما يشهد به كتاب نهج البلاغة.

وأسبقهم إسلاماً على ما روى أنه بعث النبي يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء.

وبالجملة، فمناقبه أظهر من أن تخفى، وأكثر من أن تحصي.

والجواب: أنه لا كلام في عموم مناقبه ووفور فضائله، وإتصافه بالكمالات، واختصاصه بالكرامات، إلا أنه لا يدلّ على الأفضلية بمعنى زيادة الثواب والكرامة عند الله، بعد ما ثبت من الاتفاق الجارى مجرى الإجماع على أفضلية أبي بكر، ثم عمر.

والاعتراف من على بذلك.

على أن فيما ذكر مواضع بحث لا تخفى على المحصل مثل: أن المراد بأنفسنا نفس النبي صَلَّى الله عليه وسلم كما يقال: دعوت نفسي

إلى كذا وأن وجوب المحبة وثبوت النصرة على تقدير تحققه في حق على رضى الله عنه فلا اختصاص به. وكذا الكمالات الثابتة للمذكورين من الأنبياء، وأن «أحب خلقك» يحتمل تخصيص أبي بكر وعمر منه، عملاً بأدلة أفضليتهما، ويحتمل أن يراد «أحب الخلق إليك» في أن يأكل منه.

وأن حكم الأخوة ثابت في حق أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما أيضاً حيث قال في حق أبي بكر: لكنه أخى وصاحبى ووزيرى، وقال في عثمان: أخى ورفيقى في الجنة.

وأما حديث العلم والشجاعة، فلم تقع حادثة إلا ولأبى بكر وعمر فيه رأى، وعند

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٧

الاختلاف لم يكن يرجع إلى قول على رضى الله تعالى عنه البتة بل قد وقد.

ولم يكن رباط الجأش وشجاعة القلب وترك الاكتراث في المهالك في أبى بكر أقل من أحد، سيما فيما وقع بعد النبى صلى الله عليه وسلم من حوادث يكاد يصيب وهناً في الإسلام. وليس الخير في هداية من من اهتدى ببركة أبى بكر ويمن دعوته وحسن تدبيره، أقل من الخير في قتل من قتله على رضى الله تعالى عنه من الكفار، بل لعل ذلك أدخل في نصرة الإسلام وتكثير أمه النبى صلى الله عليه وسلم:

وأما حديث زهدهما في الدنيا، فغنى عن البيان.

وأما السابق إسلاماً، فقيل: على. وقيل: زيد بن حارثة. وقيل: خديجة. وقيل:

أبو بكر، وعليه الأ-كثرون، على ما صرح به حسان بن ثابت في شعر أنشده على رؤوس الأشهاد، ولم ينكر عليه أحد. وقيل: أول من آمن به من النساء خديجة رضى الله تعالى عنها ومن الصبيان على رضى الله تعالى عنه، ومن العبيد زيد بن حارثة، ومن الرجال الأ-حرار أبو بكر رضى الله تعالى عنه، وبه اقتدى جمع من العظماء كعثمان، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وأبى عبيدة بن الجراح وغيرهم.

والإنصاف: أن مساعى أبى بكر وعمر في الإسلام أمراً على الشأن، جلى البرهان، غنى عن البيان؟

وأما بعدهم، فقد ثبت أن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن العشرة الذين منهم الأئمة الأربعون مبشرون بالجنة، ثم الفضل بالعلم والتقوى، وإنما اعتبار النسب في الكفاءة لأمر يعود إلى الدنيا، وفضل العترة الطاهرة بكونهم أعلام الهداية وأشياح الرسالة على ما يشير إليه ضمهم إلى كتاب الله في انفاذ التمسك بهما عن الضلالة).

ما ذكر من أفضلية بعض الأفراد بحسب التعيين أمر ذهب إليه الأئمة، وقامت

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٨

عليه الأدلة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى عليه: حقيقة الفضل ما هو عند الله، وذلك مما لا يطلع عليه إلا رسول الله. وقد ورد في الثناء عليهم أخبار كثيرة، ولا يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه إلا المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال. فلولاً فهمهم ذلك، لما رتبوا الأمر كذلك، إذ كان لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف» (١).

وفى المواقف:

«المقصد الخامس: فى أفضل الناس بعد رسول الله.

هو عندنا وأكثر قدماء المعتزلة: أبو بكر رضى الله عنه.

وعند الشيعة وأكثر متأخري المعتزلة: على.

لنا وجوه:

الأول: قوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى».

قال أكثر المفسرين - واعتمد عليه العلماء -: إنها نزلت في أبي بكر، فهو أكرم عند الله لقوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» وهو الأفضل. وأيضاً: فقوله: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» يصرفه عن علي، إذ عنده نعمة التربية وهي نعمة تجزى.

الثاني: قوله عليه السلام: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) عموماً الأمر فيدخل في الخطاب علي، وهو يشعر بالأفضلية، إذ لا يؤمر الأفضل ولا المساوي بالإقتداء سيما عندهم.

الثالث: قوله عليه السلام لأبي الدرداء: (والله ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علي رجل أفضل من أبي بكر).

(١) شرح المقاصد: ٢٩١/٥ - ٣٠١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢١٩

الرابع: قوله عليه السلام لأبي بكر وعمر: (هما سيدا كهول أهل الجنة ما خلا النبيين والمرسلين).

الخامس: قوله عليه السلام: (ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدم عليه غيره).

السادس: تقديمه في الصلاة، مع أنها أفضل العبادات، وقوله: (يأبى الله ورسوله إلا أبا بكر).

السابع: قوله عليه السلام: (خير أمتي أبو بكر ثم عمر).

الثامن: قوله عليه السلام: (لو كنت متخذاً خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن هو شريكي في ديني، وصاحبي الذي أوجبت له صحبتي في الغار، وخليفتي في أمتي).

التاسع: قوله عليه السلام: (وأيّن مثل أبي بكر؟ كذّبتني الناس وصدّقني وآمن بي، وزوّجني ابنته، وجّهزني بماله، وواساني بنفسه، وجاهد معي ساعة الخوف).

العاشر: قول علي رضي الله عنه: (خير الناس - بعد النبيين - أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم. وقوله إذ قيل له ما توصي؟ ما أوصى رسول الله حتى أوصى، ولكن إن أراد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم كما جمعهم - بعد نبيهم - على خيرهم. لهم فيه مسلكان.

المسلك الأول: ما يدلّ عليه إجمالاً. وهو وجوه:

الأول: آية المباهلة. وجه الاحتجاج: أن قوله: «وَأَنْفُسَنَا» لم يرد به نفس النبي، بل المراد به علي، دلّت عليه الأخبار الصحيحة، وليس نفس علي نفس محمّد، فالمراد المساواة، فترك العمل به في فضيلة النبوة وبقي حجة في الباقي.

وقد يمنع أن المراد علي، بل جميع قراباته وخدمه داخلون فيه، يدلّ عليه صيغة الجمع.

الثاني: خبر الطير، وهو قوله: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٠

فأتى علي. والمحبة من الله كثرة الثواب والتعظيم.

وأجيب: بأنه لا يفيد كونه أحبّ إليه في كلّ شيء، لصحة التقسيم وإدخال لفظ الكلّ والبعض.

الثالث: قوله عليه السلام في ذي الثدية: (يقتله خير الخلق)، وقد قتله علي.

وأجيب: بأنه ما باشر قتله، فيكون من باشره من أصحابه خيراً منه، وأيضاً فمخصوص بالنبي، ويضعف حينئذ عمومه للباقي.

الرابع: قوله عليه السلام: (أخي ووزيرى وخير من أتركه بعدى يقضى ديني، وينجز وعدى، علي بن أبي طالب).

وأجيب: بأنه يدلّ على أنه خير من يتركه قاضياً ومنجزاً، فلا يتناول الكلّ.

الخامس: قوله عليه السلام لفاطمة: (أما ترضين أنى زوّجتك من خير أمتي؟).

وأجيب: بأنه لا يلزم كونه خيراً من كل وجه، ولعل المراد خيرهم لها.

السادس: قوله عليه السلام: (خير من أتركه بعدى على).

وأجيب: بما مر.

السابع: قوله عليه السلام: (أنا سيد العالمين، وعلى سيد العرب).

أجيب: بأن السيادة الارتفاع لا الأفضلية، وإن سلم فهو كالخبر لا عموم له.

الثامن: قوله عليه السلام لفاطمة: (إن الله اطلع على أهل الأرض واختار منهم أباك فاتخذته نبياً؛ ثم اطلع ثانياً واختار منهم بعلك).

وأجيب: بأنه لا عموم فيه، فلعله أختاره للجهد، أو لبعثه فاطمة.

التاسع: أنه عليه السلام لما آخى بين الصحابة، اتخذه أخاً لنفسه.

قيل: لا دلالة، إذ لعل ذلك لزيادة شفقتة عليه للقرابة وزيادة الألفة والخدمة.

العاشر: قوله عليه السلام بعد ما بعث أبا بكر وعمر إلى خيبر فرجعا منهزمين:

«لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار»

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢١

وأعطاهما علياً. وذلك يدل على أن ما وصفه به لم يوجد في غيره.

ف قيل: نفى المجموع لا- يجب أن يكون بنفى كل جزء منه، بل يجوز أن يكون بنفى كونه كراراً غير فرار، ولا- يلزم حينئذ الأفضلية مطلقاً.

الحادى عشر: قوله تعالى فى حق النبى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، والمراد بصالح المؤمنين على، كما نقله كثير من المفسرين.

ف قيل: معارض بما عليه الأكثر من العموم، وقوم: من أن المراد أبو بكر وعمر.

الثانى عشر: قوله عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، وإلى نوح فى تقواه، وإلى إبراهيم فى حلمه، وإلى موسى فى هيبته، وإلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى ابن أبى طالب»؛ فقد ساواه بالأنبياء، وهم أفضل من سائر الصحابة إجماعاً.

وأجيب: بأنه تشبيه ولا يدل على المساواة، وإلا كان على أفضل من الأنبياء، لمشاركته لكل فى فضيلته، واختصاصه بفضيلة الآخرين؛ والإجماع على أن الأنبياء أفضل من الأولياء.

المسلوك الثانى: ما يدل عليه تفصيلاً: وهو أن فضيلة المرء على غيره إنما تكون بماله من الكمالات، وقد اجتمع فى على منها ما تفرق فى الصحابة، وهى أمور:

الأول: العلم، وعلى أعلم الصحابة.

لأنه كان فى غاية الذكاء والحرص على التعلم؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأحرصهم على إرشاده؛ وكان فى صغره فى حجره، وفى كبره ختناً له، يدخل عليه كل وقت؛ وذلك يقتضى بلوغه فى العلم كل مبلغ. وأما أبو بكر، فاتصل بخدمته فى كبره وكان يصل إليه فى اليوم مرة أو مرتين.

ولقوله عليه السلام: «أقضاكم على» والقضاء يحتاج إلى جميع العلوم، فلا يعارضه نحو: (أفرضكم زيد، وأقرؤكم أبى).

ولقوله تعالى: «وَتَعْبَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»، وأكثر المفسرين على أنه على.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٢

ولأنه نهى عمر عن رجم من ولدت لستة أشهر، وعن رجم الحامله، فقال عمر (لولا على لهلك عمر).

ولقول على: (لو كسرت لى الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور

بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم؛ واللّه ما من آية نزلت في بر، أو بحر، أو سهل، أو جبل، أو سماء، أو أرض، أو ليل، أو نهار، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت).

ولأن علياً ذكر في خطبته من أسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضاء والقدر ما لم يقع مثله في كلام الصحابة.

ولأن جميع الفرق ينتسبون إليه في الأصول والفروع، وكذا المتصوفة في علم تصفية الباطن، وابن عباس رئيس المفسرين تلميذه، وكان في الفقه والفصاحة في الدرجة القصوى، وعلم النحو إنما ظهر منه، وهو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي بتدوينه، وكذا علم الشجاعة وممارسة الأسلحة، وكذا علم الفتوة والأخلاق.

الثاني: الزهد، اشتهر عنه أنه - مع اتساع أبواب الدنيا عليه - ترك التمتع وتخشن في المآكل والملابس، حتى قال للدنيا: (طلّقتك ثلاثاً).

الثالث: الكرم، كان يؤثر المحاييج على نفسه وأهله، حتى تصدّق في الصّيلة بخاتمه، ونزل ما نزل، وتصدّق في ليالي صيامه المنذور بما كان فطوره، ونزل فيه «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيًّا وَيَتَيْمًا وَأَسِيرًا».

الرابع: الشجاعة، تواتر مكافحته للحروب ولقاء الأبطال وقتل أكابر الجاهليّة، حتى قال عليه السلام يوم الأحزاب: (لضربة على خير من عبادة الثقلين)، وتواتر وقائعه في خير وغيره.

الخامس: حسن خلقه، حتى نسب إلى الدعابة.

السادس: مزيد قوّته، حتى قلع باب خير بيده، وقال: (ما قلعت باب خير بقوة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٣

جسمانية، لكن بقوة إلهية).

السابع: نسبه وقربه من الرسول نسباً ومصاهرة، وهو غير خفي. وعباس وإن كان عمّ النبيّ عليه السلام، لكن كان أخا عبد الله من الأب، وأبو طالب أخاه من الأب والأم.

الثامن: اختصاصه بصاحبة كفاطمة، وولدين كالحسن والحسين، وهما سيّد شباب أهل الجنة، ثم أولاد أولاده، ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين حتى كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق رضي الله عنه، ومعروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا. والجواب عن الكلّ: أنه يدلّ على الفضيلة، وأما الأفضليّة فلا، كيف ومرجعها إلى كثرة الثواب!! وذلك يعود إلى الاكتساب والإخلاص وما يعود إلى نصره الإسلام وما أثرهم في تقوية الدين.

واعلم: أن مسألة الأفضلية لا مطمع فيها في الجزم واليقين، وليست مسألة يتعلّق بها عمل فيكتفى فيها بالظن؛ والنصوص المذكورة من الطرفين - بعد تعارضها - لا تفيد القطع، على ما لا يخفى على منصف؛ لكننا وجدنا السلف قالوا: بأن الأفضل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي؛ وحسن ظننا بهم يقضى بأنهم لو لم يعرفوا ذلك، لما أطبقوا عليه، فوجب علينا اتباعهم في ذلك، وتفويض ما هو الحق فيه إلى الله» (١).

أقول:

إنّ تقديم الفاضل على المفضول وقبح تقدّم المفضول عليه، ممّا تطابق عليه العقل والنقل، وعليه سيرة العقلاء في كلّ زمانٍ ... فالقول بالجواز مطلقاً أو في بعض الحالات مردود.

ولمّا كان الواقع تقدّم أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد انبرى القوم

(١) المواقف في علم الكلام: ٤٠٧-٤١٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٤

لتصحيح ما وقع وتبريره، وأتبعوا أنفسهم في توجيهه.

فبعد أن اعترفوا بعدم النص على إمامته من الله ورسوله، استدّلوا بوجوهٍ لدعوى أفضليته من أمير المؤمنين عليه السلام، كما ذكروا بعض الأدلة على أفضلية الإمام عليه السلام وأجابوا عنها بزعمهم.

لكنهم - بعد ذلك كله - أعلنوا عدم قناعتهم بما قالوه، واضطّروا إلى الاستدلال بوجهٍ آخر، وهو آخر كلامهم، فقالوا: بأنّ الصّحابة قدّموه، وحسن الظنّ بهم يقتضى حمل عملهم على الصّحة!

أمّا النصوص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً وسنّة، فسيأتى ذكر بعضها في الكتاب، وستعرض هناك لوجه دلائلها ودفع الشبهات عنها.

وكذلك الأدلة الدالة على أفضليته عليه السلام.

وأما أبو بكر، فقد تقدّم أن لا نصّ على إمامته باعتراف القوم.

وأما ما استدلّ به لإمامته من باب الأفضلية - أو النصّ كما عن بعضهم دعوى ذلك - فعمدته:

١- آية الغار.

٢- وقوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى»....

٣- قوله صلّى الله عليه وآله: «اقتدوا بالذين من بعدى»....

٤- صلاة أبي بكر في مرضه صلّى الله عليه وآله.

٥- إجماع الصّحابة.

هذه هي عمدة أدلتهم، وتجدها في العبارات السابقة.

وقد تعرّض لها العلّامة بالجواب، وسنشرح ذلك إن شاء الله.

وتبقى وجوه أخرى جاءت في الكلمات المذكورة، خاصّة في شرح المواقف وشرح المقاصد:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٥

فمنها: قوله صلّى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر: «هما سيّدا كهول أهل الجنّة ما خلا النّبيين والمرسلين».

أقول:

هذا الحديث - حتى لو كان صحيحاً عندهم - ليس بحجة علينا لكونه من طرقهم فقط، فكيف ورواته ضعفاء متروكون بشهادة كبار

علمائهم؟ وهذه عبارة واحد منهم:

قال الحافظ الهيثمي: «عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله لأبي بكر وعمر:

هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين. رواه البزار والطبراني في الأوسط.

وفيه: على بن عابس وهو ضعيف».

وعن ابن عمر قال: إن النبي قال: أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين إلّا النّبيين والمرسلين. رواه البزار وقال: لا

نعلم رواه عن عبيد الله بن عمر إلّا عبدالرحمن بن مالك بن مغول. قلت: وهو متروك» (١).

ومنها: وقوله عليه السلام: «خير أمتي أبو بكر ثم عمر».

أقول:

هذا الحديث مذيّل بذيل يدلّ على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، رَوَاهُ عن عائشة قالت: «قلت: يا رسول الله، من خير الناس

بعدك؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟

قال: عمر.

قالت فاطمة: يا رسول الله، لم تقل في عليّ شيئاً!
قال: يا فاطمة، على نفسي، فمن رأيته يقول في نفسه شيئاً؟
ولهذا، فقد تكلم في سنده بعض علمائهم «٢». لكن السعد التفتازاني أسقط الذيل تبعاً لشيخه العضد الإيجي ليطم الاستدلال!

(١) مجمع الزوائد ٥٣/٩.

(٢) راجع: تنزيه الشريعة ٣٦٧/١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٦
ومنها: وقوله عليه السلام: «ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدم عليه غيره».
أقول:

لفظ هذا الحديث: «لا- ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره» وهو حديث مكذوب موضوع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نص على ذلك غير واحد من أكابر أئمة الحديث، كالحافظ ابن الجوزي، فإنه أورده في كتابه في الموضوعات وقال بعد روايته: «هذا حديث موضوع على رسول الله» (١).

ومن المضحك فهم ابن الجوزي من الحديث أن المراد هو تقديم من اسمه «أبو بكر» في الصلاة والنهي عن التقدم عليه فيها، فإنه ذكر في أبواب الصلاة: «باب تقديم من اسمه أبو بكر» ثم ذكر الحديث ثم قال: «هذا حديث موضوع» (٢ ... ٢).

قال السيوطي: هذا فهم عجيب! إنما المراد أبو بكر خاصة (٣).

فالعجب من هؤلاء؟ كيف يستدلون بالأحاديث الموضوعية باعتراف علمائهم، ويعارضون بها الأحاديث الصحيحة الثابتة باعتراف علمائهم كذلك؟

ومنها: وقوله: «لو كنت متخذاً خليلاً»...

أقول:

قد أجاب أصحابنا عن هذا الحديث سنداً ودلالة (٤). وهو في رواية البخاري قطعة من حديث يشتمل على جمل عديدة، تعد كل واحدة منها فضيلة مستقلة من فضائل أبي بكر... فهو أقواها سنداً وأدللها دلالة، لكن راويه هو: «إسماعيل بن عبد الله بن

(١) الموضوعات ٣١٨/١.

(٢) الموضوعات ١٠٠/٢.

(٣) اللآلي المصنوعة ٢٩٩/١.

(٤) تلخيص الشافعي ٢١٧/٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٧
أبي أويس» ابن أخت مالك بن أنس ونسيبه وراويته، وهذه طائفة من الكلمات فيه:

قال ابن معين: هو وأبوه يسرقان الحديث. وقال: مخلط، يكذب، ليس بشيء.

وقال النسائي: ضعيف. وقال مرة أخرى: غير ثقة.

وقال ابن عدي: يروى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

وذكره الدولابي في الضعفاء وقال: سمعت النصر بن سلمة المروزي يقول:

ابن أبي أويس كذاب...

وقال الدارقطني: لا أختره في الصحيح.

وذكره الإسماعيلي في المدخل فقال: كان ينسب في الخفة والطيش إلى ما أكره ذكره.

وقال بعضهم. جانباه السنّة.

وقال ابن حزم في المحلى: قال أبو الفتح الأزدى: حدّثنى سيف بن محمّد: أن ابن أبي أويس كان يضع الحديث.

وأخرج النسائي من طريق سلمة بن شبيب أنّه قال: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم (١).

ثم إنه معارض بأحاديث موضوعه تنصّ على أنّه قد اتّخذ خليلاً مثل: «لكلّ نبي خليل في أمته وإنّ خليلي أبو بكر» (٢) وبآخر ينصّ على أنّه اتّخذ عثمان خليلاً، وهذا لفظه: «إنّ لكلّ نبي خليلاً من أمته وإنّ خليلي عثمان بن عفان». لكنها كلّها موضوعات، وقد نصّ على وضع الأخير منها غير واحد (٣).

(١) لاحظ الكلمات بترجمته من تهذيب التهذيب ٣١٢/١.

(٢) كنز العمال ١٤٠/٦.

(٣) تنزيه الشريعة ٣٩٢/١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٨

ومنها: وقوله: «وأين مثل أبي بكر»....

أقول:

هذا الحديث كسابقه، ومما يؤكد بطلانه اشتماله على أن أبا بكر أول من أسلم، وهذا كذب، فإنّ أول من أسلم أمير المؤمنين على عليه السلام، كما نصّ عليه غير واحد ودلّت عليه الأخبار والآثار.

وأيضاً: إشتماله على أنه كان ذا مال. وقد نصّ السعد التفتازاني على كونه «عديم المال».

وأيضاً: اشتماله على أنه كان ينفق على النبي بماله، فإنّ هذا كذب قطعاً، ولذا اضطرّ مثل ابن تيمية إلى تأويله فقال: «إنّ إنفاق أبي بكر لم يكن نفقةً على النبي في طعامه وكسوته، فإنّ الله قد أغنى رسوله عن مال الخلق أجمعين، بل كان معونه له على إقامة الدين، فكان إنفاقه فيما يحبّه الله ورسوله، لا نفقةً على نفس الرسول» (١).

ولو تمّ هذا التأويل لم يبق فرق بين أبي بكر وسائر الصحابة الذين كانوا ينفقون أموالهم في سبيل إقامة الدين، فأين الأفضلية؟

وقبل هذا كلّ، فالحديث قد أورده الحافظ ابن عراقي في الأخبار الشنيعة الموضوع (٢) والحافظ السيوطي في الأحاديث الموضوع (٣).

ومنها: «قوله لأبي الدرداء حين كان يمشي أمام أبي بكر»....

أقول:

هذا الحديث - حتى لو كان صحيحاً عندهم - ليس بحجة علينا، لكونه - كغيره - من طرقهم فقط، فكيف ورواته كذابون مدلسون بشهادة كبار علمائهم؟ وهذه عبارة الحافظ الهيثمي:

(١) منهاج السنّة ٢٨٩/٤.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوع ٣٤٤/١.

(٣) اللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعه ٢٩٥ / ١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٢٩

«عن جابر بن عبد الله قال: رأى رسول الله أبا الدرداء يمشى بين يدي أبي بكر.

فقال: يا أبا الدرداء تمشى قدام رجلٍ لم تطلع الشمس بعد التبيين على رجل أفضل منه، فما روى أبو الدرداء بعد يمشى إلّا خلف أبي بكر.

رواه الطبراني في الأوسط وفيه: إسماعيل بن يحيى التميمي، وهو كذاب.

وعن أبي الدرداء قال: رآني رسول الله وأنا أمشي أمام أبو بكر فقال: لا تمش أمام من هو خير منك، إنّ أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس أو غربت.

رواه الطبراني وفيه: بقيه، وهو مدلس «١».

وإذا بطل الحديث من أصله، فلا موضوع لما ذكره السعد التفتازاني في معناه.

ومنها: ما عن عمرو بن العاص قلت لرسول الله....

أقول:

هذا الحديث في البخاري بهذا السند: «حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبدالعزيز بن المختار قال خالد الحذاء حدثنا عن أبي عثمان قال: حدثني عمرو بن العاص» «... ٢».

في هذا السند:

١- عبدالعزيز بن المختار، وهو لم يتفقوا على وثاقته، فعن ابن معين: ليس بشيء «٣».

٢- خالد بن مهران الحذاء وهو مقذوح جداً:

أ- كان قد استعمل على العشور بالبصرة «٤».

ب- كان مدلساً «٥».

(١) مجمع الزوائد ٩ / ٤٤.

(٢) صحيح البخاري ٥ / ٦٤ كتاب فضائل أصحاب النبي.

(٣) تهذيب التهذيب ٦ / ٣١٧.

(٤) تهذيب التهذيب ٣ / ١٠٥.

(٥) تهذيب التهذيب ٣ / ١٠٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٠

ج- تكلم فيه جماعة كأبي حاتم حيث قال: يكتب حديثه ولا يحتج به. وحامد بن زيد قال: قدم علينا قدمه من الشام، فكأنّا أنكرنا حفظه. وأراد شعبة التكلم فيه علناً فهدد وسكت. ولم يلتفت إليه ابن عتيق وضعف أمره. وقال ابن حجر: «والظاهر أن كلام هؤلاء فيه من أجل ما أشار إليه حماد بن زيد من تغيير حفظه بآخره، أو من أجل دخوله في عمل السلطان. والله أعلم» «١».

٣- عمرو بن العاص. ابن النابغة، أحد المصاديق الحقيقيه لما قاله السعد نفسه حول الصحابة.

أقول: أليس من الجراف والقول الزور الاستدلال بحديث هذا سنده، في أصح الكتب عندهم بعد القرآن، فضلاً عن غيره من الكتب؟ ومنها: وقال النبي: «لو كان بعدى نبي لكان عمر».

أقول:

عجباً للسَّعد وغيره، كيف يرتضى هذا الحديث ويستدل به وهو يرى أفضلية أبي بكر من عمر؟ إنَّ هذا الحديث معناه أن عمر صالح لنيل النبوة على تقدير عدم ختمها، ولازمه أن يكون أفضل من أبي بكر، كما هو واضح. ثم كيف يصلح للنبوة من قضى شطراً من عمره في الكفر؟ ولننظر في سنده:

إنَّ هذا الحديث لا يعرف إلّا من حديث مشرح بن هاعان، كما نصَّ عليه الترمذی بعد أن أخرجه، وهذه عبارته كاملة: «حدَّثنا سلمة بن شبيب، حدَّثنا المقرئ، عن حيوة بن شريح، عن بكر بن عمرو عن مشرح بن هاعان، عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: لو كان

(١) تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٤ - ١٠٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣١

بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من حديث مشرح بن هاعان» (١).

وهذه طائفة من كلمات أئمة القوم لتعرف مشرح بن هاعان:

قال ابن الجوزي: «قال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه، فبطل الاحتجاج به» (٢).

وقال الذهبي: «قال ابن حبان: يكنى أبا مصعب، يروى عن عقبه مناكير لا يتابع عليها... فالصواب ترك ما انفرد به. وذكره العقيلي فما زاد في ترجمته من أن قيل أنه جاء مع الحجاج إلى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة» (٣).

فتلخص:

١- قدح جماعة من الأئمة فيه.

٢- إنه جاء مع الحجاج إلى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة.

٣- إنه روى عن عقبه أحاديث لا يتابع عليها. ولا ريب أن هذا الحديث منها، إذ لم يعرف إلّا منه كما عرفت من عبارة الترمذی.

ثم إنَّ الراوي عنه هو: بكر بن عمرو، وقد قال الدارقطني والحاكم: «ينظر في أمره» (٤) بل قال ابن القطان: «لا نعلم عدالته» (٥).

وفي (مقدمة فتح الباري) في الفصل التاسع، في أسماء من طعن فيه من رجال البخاري: «بكر بن عمرو المعافري المصري».

ثم إنَّ بعض الوضّاعين قلب لفظ هذا الحديث المفترى إلى لفظ: «لو لم أبعث

(١) صحيح الترمذی ٥/ ٥٧٨ باب مناقب عمر.

(٢) الموضوعات - باب مناقب عمر ١/ ٣٢٠.

(٣) ميزان الاعتدال - ترجمة مشرح بن هاعان ٤/ ١١٧.

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٦، ميزان الاعتدال ١/ ٣٤٧.

(٥) تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٢

فيكم لبعث عمر». وقد رواه ابن الجوزي بنفس سند اللفظ الأول في (الموضوعات) ونصَّ على أنه لا يصح (١) كما نصَّ الذهبي على كونه مقلوباً منكراً (٢).

وبعضهم وضعه بلفظ: «قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمر بن الخطاب: لو كان بعدي نبي لكنته» رواه المتقي الهندي في الكنز وقال: رواه الخطيب وابن عساكر وقالوا: منكر (٣).

ومنها: عن عبدالله بن حنطب: إن النبي رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السمع والبصر». أقول:

«هذان السمع والبصر» من أي شيء؟

قد وضعوا هذا الحديث تارةً بلفظ: إنهما السمع والبصر من الدين أو الاسلام، وأخرى: إنهما السمع والبصر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وهو بجميع ألفاظه ساقط عن درجة الاعتبار، وإليك البيان باختصار: أخرج الحاكم بسنده عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: «إنهما من الدين كالسمع والبصر» قال الذهبي في تلخيصه: «هو واه» (٤).

وروى المقدسي: «إن أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر» ثم قال:

«من موضوعات الوليد بن الفضل الوضاع» (٥).

والحديث الذي استدلل به السعد مرسل، لأنَّ عبدالله لم يدرك النبي صلى الله عليه وآله

(١) الموضوعات: ١ / ٣٢٠.

(٢) ميزان الاعتدال - ترجمه رشدين بن سعد المهري ٢ / ٤٩.

(٣) كنز العمال ١٢ / ٥٩٧.

(٤) المستدرک ٣ / ٧٤.

(٥) تذكرة الموضوعات: ١٤٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٣

وآله «١» لكن ابن عبدالبر رواه بسنده عن المغيرة بن عبدالرحمن، عن المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن أبيه عن جدّه ... ثم قال: «ليس له غير هذا إسناد، والمغيرة بن عبدالرحمن هذا - هو الحزامي - ضعيف، وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي» (٢ ...).

وقال أيضاً: «حديث مضطرب الأسناد لا يثبت» (٣).

وتبعه ابن حجر فقال: «قال أبو عمر: حديث مضطرب لا يثبت» (٤).

قال السعد التفتازاني: «وأما الأثر فعن ابن عمر»....

أقول:

لقد عرفت أن لا شيء مما استدلل به من السنّة بتأمّ سنداً، وما لا دليل عليه من الكتاب والسنّة باطل بالإجماع، فأى قيمة لقول زيد أو عمرو؟ وأى فائدة لقول مثل ابن عمر؟

قال: «وعن محمد بن الحنفية ... وعن علي ... وعنه لما قيل له: ما توصي؟».

أقول:

إن الذين لا يخافون الله والدّار الآخرة فيضعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقله، لا وازع لهم عن الوضع على أمير المؤمنين عليه السلام...

وليس الذي وضعوه على لسانه ما ذكره السعد فقط، بل الموضوعات عليه في هذا الباب ربما يبلغ العشرات، بل وضعوا على لسان أئمة العترة ورجالات أهل البيت ما لا يعد ولا يحصى...

قال: «وأما الأمارات»....

(١)

الاصابة ٢/ ٢٩٩.

(٢) الاستيعاب ١/ ١٤٦.

(٣) الاستيعاب ١/ ١٤٦.

(٤) الاستيعاب ١/ ٣٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٤

أقول: وإذ لا دليل من الكتاب والسنة ولا إجماع ... فما فائدة الأمارات؟

قال: «وتشرفه بقوله عليه السلام: عثمان أخى ورفيقى فى الجنة»...

أقول:

وهذا الحديث نظير ما وضعوه وافتروه فى حق اللذين من قبله ... فقد أخرجه ابن ماجه عن: أبى مروان محمّد بن عثمان الأموى العثمانى، عن أبيه عثمان ابن خالد حفيد عثمان بن عفان، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه - وهو مولى لعائشة بنت عثمان - عن الأعرج، عن أبى هريرة: إن رسول الله قال: لكلّ نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان «١».

فهو حديث لآل عثمان ... عن أبى هريرة؟!

وقد قال شارحه السندى: «إسناده ضعيف. فيه: عثمان بن خالد، وهو ضعيف باتفاقهم» «٢».

مضافاً إلى أن أبا مروان مقدوح، وقال بعض أئمة القوم: يروى عن أبيه المناكير «٣».

وهذا منها...

وأبوه عثمان بن خالد:

قال البخارى: عنده مناكير. وقال النسائى: ليس بثقة. وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم. وقال أبو أحمد: منكر الحديث. وقال ابن عدى: أحاديثه كلّها غير محفوظة. وقال الساجى: عنده مناكير غير معروفة. وقال الحاكم وأبو نعيم: حدّث عن مالك وغيره بأحاديث موضوعه ... إلى غير ذلك من الكلمات «٤».

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٤٠.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٤٠.

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٣٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٧/ ١١٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٥

فهو ضعيف باتفاقهم كما ذكر شارح ابن ماجه، بل قال ابن الجوزى: نسب إلى الوضع «١».

وعبد الرحمن بن أبى الزناد:

قال ابن معين: ليس مّمن يحتجّ به أصحاب الحديث، ليس بشىء. وقال ابن صالح وغيره عن ابن معين: ضعيف: وقال الدورى عن ابن معين: لا يحتج بحديثه. وقال صالح بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث. وعن ابن المدينى: كان عند أصحابنا ضعيفاً. وقال النسائى: لا يحتج بحديثه. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث وكان يضعّف لروايته عن أبيه «٢».

وأما الحديث الآخر فى حياء عثمان، فهو من جملة عدّة أحاديث موضوعه فى هذا الباب، يكفى متنها دليلاً على وضعها، فلا حاجة إلى النظر فى أسانيدها...

على أن هذا الحديث بالخصوص يشتمل على إهانته كبيرة للنبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، حيث نسب واضعه إليه الكشف عن أفخاذه بحضور أصحابه... فهو أراد صنع فضيلة لعثمان - وهي الحياء - ونسب إلى الرسول عدم الحياء! مع كونه كما وصفه أبو سعيد الخدري «أشد حياء من العذراء في خدرها» (٣)، لا سيما وأن جمهور فقهاءهم على أن الفخذ عورة... وأيضاً: يدل الحديث على أفضليته عثمان من أبي بكر وعمر، فإنهما قد دخلا على النبي في تلك الحال فلم يغط فخذه، فلما دخل عثمان سترهما وقال هذه الكلمة؟!

(١) العلل المتناهية ١/ ٢٠٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ١٧١.

(٣) تجده في البخاري في باب صفة النبي، وفي غيره من الصحاح.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٧

المنهج الثاني: في الأدلة المأخوذة من القرآن والبراهين الدالة على إمامة علي من الكتاب العزيز و هي أربعون برهانا ... ص: ٢٣٧

إشارة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٣٩

قال قدس سره: الأول: قوله تعالى ... ص: ٢٣٩

إشارة

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» (١)

، وقد أجمعوا على أنها نزلت في علي عليه السلام.

قال الثعلبي بإسناده إلى أبي ذر، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا فصمتا، ورأيتُ بهاتين وإلا فعميتا، يقول: عليّ قائد البرّة وقاتل الكفرة، منصورٌ من نصره، مخذولٌ من خذله، أما إنّي صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يُعطه أحدُ شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم اشهد أنّي سألتُ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يُعطني أحدُ شيئاً! وكان عليّ عليه السلام راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى - وكان يتختم بها - فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله. فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنّ موسى سألك فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صِدْرِي» وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاخْلُبْ عُقْمَهُ مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً «سَيَنْشُدُ عَصَدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصْعَلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيَاتِنَا» اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك؛ اللهم فاشرح لي

(١) سورة المائدة: ٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٤٠

صدرى ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً من أهلى علياً أشد به ظهري!

قال أبوذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزل عليه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد، اقرأ! قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

ونقل الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت فى علي عليه السلام؛ والولي هو المتصرف، وقد أثبت له الولاية فى الآية، كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله صلى الله عليه وآله.

الشرح:

قال ابن تيمية: الجواب عن هذه الآية من وجوه:

الأول: إننا نطالبه بصحة هذه النقل، أو لا يذكر هذا الحديث على وجه تقوم به الحجة؛ فإن مجرد عزوه إلى تفسير الثعلبي، أو نقل الإجماع على ذلك من غير العالمين بالمنقولات الصادقين فى نقلها، ليس بحجة باتفاق أهل العلم، إن لم نعرف ثبوت إسناده. وكذلك إذا روى فضيلة لأبى بكر وعمر، لم يجز اعتقاد ثبوت ذلك بمجرد ثبوت روايته باتفاق أهل العلم.

فالجهور - أهل السنة - لا يثبتون بمثل هذا شيئاً يريدون إثباته: لا حكماً، ولا فضيلة، ولا غير ذلك. وكذلك الشيعة.

وإذا كان بمجرد ليس بحجة باتفاق [الطوائف] كلها، بطل الاحتجاج به. وهكذا القول فى كل ما نقله وعزاه إلى أبى نعيم أو الثعلبي أو النقاش أو ابن المغازلي ونحوهم.

الثانى: قوله: «قد أجمعوا أنها نزلت فى علي» من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل فى علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدق بخاتمه فى الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية فى ذلك من

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٤١

الكذب الموضوع.

وأما ما نقله من تفسير الثعلبي، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروى طائفة من الأحاديث الموضوعات، كالحديث الذى يرويه فى أول كل سورة عن أبى أمامة فى فضل تلك السورة، وكأمثال ذلك. ولهذا يقولون: «هو كحاطب ليل».

وهكذا الواحدى تلميذه، وأمثالهم من المفسرين: ينقلون الصحيح والضعيف.

ولهذا لما كان البغوى عالماً بالحديث، أعلم به من الثعلبي والواحدى، وكان تفسيره مختصر تفسير الثعلبي، لم يذكر فى تفسيره شيئاً من هذه الأحاديث الموضوعات التى يرووها الثعلبي، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التى ذكرها الثعلبي، مع أن الثعلبي فيه خير ودين، لكنه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث، ولا يميز بين السنة والبدعة فى كثير من الأقوال.

وأما أهل العلم الكبار: أهل التفسير، مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى، وبقى بن مخلد، وابن أبى حاتم، وابن المنذر، وعبدالرحمن بن إبراهيم دحيم، وأمثالهم، فلم يذكروا فيها مثل هذه الموضوعات. دع من هو أعلم منهم، مثل تفسير أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. بل ولا يذكر مثل هذا عند ابن حميد ولا عبدالرزاق، مع أن عبدالرزاق كان يميل إلى التشيع، ويروى كثيراً من فضائل علي، وإن كانت ضعيفة، لكنه أجلّ قدراً من أن يروى مثل هذا الكذب الظاهر.

وقد أجمع أهل العلم بالحديث على أنه لا يجوز الاستدلال بمجرد خبر يرويه الواحد من جنس الثعلبي والنقاش والواحدى، وأمثال هؤلاء المفسرين، لكثرة ما يروونه من الحديث ويكون ضعيفاً، بل موضوعاً. فنحن لو لم نعلم كذب هؤلاء من وجوه أخرى، لم يجز أن نعتمد عليه، لكون الثعلبي وأمثاله روه، فكيف إذا كنا عالمين بأنه كذب؟! وسنذكر إن شاء الله تعالى ما يبين كذبه عقلاً ونقلاً.

وإنما المقصود هنا بيان افتراء هذا المصنف أو كثرة جهله، حيث قال: «قد أجمعوا

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٤٢

أنها نزلت فى علي» فيأليت شعري من نقل هذا الإجماع من أهل العلم العالمين بالإجماع فى مثل هذه الأمور؟ فإن نقل الإجماع فى

مثل هذا لا يُقبل من غير أهل العلم بالمنقولات، وما فيها من إجماع واختلاف. فالتكلم والمفسر والمؤرخ ونحوهم، لو ادعى أحدهم نقلًا مجرداً بلا إسناد ثابت، لم يُعتمد عليه، فكيف إذا ادعى إجماعاً؟!

الوجه الثالث: أن يقال: هؤلاء المفسرون الذين نقل من كتبهم، هم - ومن هم أعلم منهم - قد نقلوا ما يناقض هذا الإجماع المدعى، والثعلبي [قد نقل] في تفسيره أن ابن عباس يقول: نزلت في أبي بكر. ونقل عن عبد الملك: قال: سألت أبا جعفر، قال: هم المؤمنون. قلت: فإن ناساً يقولون: هو عليّ. قال: فعلني من الذين آمنوا. وعن الضحّاك مثله.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه قال: حدّثنا أبو صالح كاتب الليث، حدّثنا معاوية [بن صالح]، حدّثنا عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه، قال: «كلّ من آمن فقد تولّى الله ورسوله والذين آمنوا» قال: وحدّثنا أبو سعيد الأشجّ، عن المحاربى، عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عن هذه الآية، فقال: «هم الذين آمنوا». قلت: نزلت [في عليّ؟ قال: عليّ من الذين آمنوا]. وعن السدّي مثله.

الوجه الرابع: أنّا نعلم من الإجماع، ونطالبه أن ينقل ذلك بإسناد واحد صحيح. وهذا الإسناد الذي ذكره الثعلبي إسناده ضعيف، فيه رجال متهمون. وأمّا نقل ابن المغازلي الواسطي فأضعف وأضعف، فإن هذا قد جمع في كتابه من الأحاديث الموضوعات ما لا يخفى أنه كذب عليّ من له أدنى معرفة بالحديث، والمطالبة بإسناد يتناول هذا وهذا. الوجه الخامس: أن يُقال: لو كان المراد بالآية أن يؤتى الزكاة حال ركوعه، كما يزعمون أن عليّاً تصدّق بخاتمه في الصلاة، لوجب أن يكون ذلك شرطاً في الموالاة، وأن لا يتولّى المسلمون إلا عليّاً وحده، فلا يتولّى الحسن ولا الحسين ولا سائر

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٣

بنى هاشم. وهذا خلاف إجماع المسلمين.

الوجه السادس: أن قوله: «الذين» صيغة جمع، فلا يصدق عليّ وحده.

الوجه السابع: أن الله تعالى لا يثنى على الإنسان [إلا] بما هو محمود عنده: إما واجب، وإما مستحب. والصدقة والعق والهدية والهبة والإجارة والنكاح والطلاق، وغير ذلك من العقود في الصلاة، ليست واجبة ولا مستحبة باتفاق المسلمين، بل كثير منهم يقول: إن ذلك يبطل الصلاة وإن لم يتكلم، بل تبطل بالإشارة المفهومة. وآخرون يقولون:

لا- يحصل الملك بها لعدم الإيجاب الشرعي. ولو كان هذا مستحباً، لكان النبي صلى الله عليه وسلّم يفعلها ويحضر عليه أصحابه، ولكان عليّ يفعلها في غير هذه الواقعة.

فلما لم يكن شيء من ذلك، علم أن التصدّق في الصلاة ليس من الأعمال الصالحة، وإعطاء السائل لا يفوت، فيمكن المتصدّق إذا سلّم أن يعطيه، وإن في الصلاة لشغلاً.

الوجه الثامن: أنه لو قُدّر أن هذا مشروع في الصلاة، لم يختص بالركوع، بل يكون في القيام والقعود أولى منه في الركوع، فكيف يُقال: لا وليّ [لكم] إلا الذين يتصدّقون في كلّ الركوع. فلو تصدّق المتصدّق في حال القيام والقعود، أما كان يستحق هذه الموالاة؟ فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعليّ عليّ خصوصه.

قيل له: أوصاف عليّ التي يُعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأشياء المعروفة، ويعرّفه بأمر لا يعرفه إلا- من سمع هذا وصدّقه؟

وجمهور الأمة لم تسمع هذا الخبر، ولا- [هو] في شيء من كتب المسلمين المعتمدة، لا- الصحاح، ولا- السنن، ولا- الجوامع، ولا المعجمات، ولا شيء من الأمّهات. فأحد الأمرين لازم، إن قصد به المدح بالوصف فهو باطل، وإن قصد به التعريف فهو باطل.

الوجه التاسع: أن يُقال: قوله: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» على قولهم يقتضى أن يكون قد آتى الزكاة في حال ركوعه. وعليّ رضى الله عنه لم يكن ممن تجب عليه على عهد النبي صلى الله عليه وسلّم، فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما عليّ من ملك

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٤

النصاب حولاً، وعلى لم يكن من هؤلاء.

الوجه العاشر: أن إعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزئ عند كثير من الفقهاء، إلا إذا قيل بوجوب الزكاة في الحلّي. وقيل: إنه يخرج من جنس الحلّي. ومن جَوَزَ ذلك بالقيمة، فالتقويم في الصلاة متعذر، والقيم تختلف باختلاف الأحوال.

الوجه الحادي عشر: أن هذه الآية بمنزلة قوله «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» هذا أمر بالركوع.

وكذلك قوله: «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ»، وهذا أمر بالركوع.

قد قيل: ذكر ذلك ليبين أنهم يصلُّون جماعة، لأن المصلّي في الجماعة إنما يكون مدرِّكاً للركعة بإدراك ركوعها، بخلاف الذي لم يدرك إلا السجود، فإنه قد فاتته الركعة.

وأما القيام فلا يشترط فيه الإدراك.

وبالجملة، «الواو» إمّا واو الحال، وإمّا واو العطف. والعطف هو الأكثر، وهي المعروفة في مثل هذا الخطاب. وقوله إنما يصح إذا كانت واو الحال، فإن لم يكن ثم دليل على تعيين ذلك بطلت الحجة، [فكيف إذا كانت الأدلة تدل على خلافة؟!].

الوجه الثاني عشر: أنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير، خلفاً عن سلف، أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين، لما كان بعض المنافقين، كعبدالله بن أبيّ، يوالى اليهود، ويقول: إن أخالف الدوائر. فقال بعض المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت: إنّي يا رسول الله أتولّى الله ورسوله، وأبرأ إلى الله ورسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

ولهذا لما جاءتهم بنو قينقاع وسبب تأمرهم عبدالله بن أبيّ بن سلول، فأنزل الله هذه الآية، يبين فيها وجوب موالاة المؤمنين عموماً، وينهى عن موالاة الكفار عموماً.

وقد تقدّم كلام الصحابة والتابعين أنها عامّة لا تختص بعليّ.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٥

الوجه الثالث عشر: أن سياق الكلام يدلّ على ذلك لمن تدبر القرآن، فإنه قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» فهذا نهى عن موالاة اليهود والنصارى.

ثم قال: «فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» إلى قوله: «فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ» فهذا وصف الذين في قلوبهم مرض، الذين يوالون الكفار كالمنافقين.

ثم قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» فذكر فعل المرتدين وأنهم لن يضرروا الله شيئاً، وذكر من يأتي به بدلهم.

ثم قال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

فتضمن هذا الكلام ذكر أحوال من دخل في الإسلام من المنافقين، وممن يرتد عنه، وحال المؤمنين الثابتين عليه ظاهراً وباطناً.

فهذا السياق، مع إتيانه بصيغة الجمع، مما يوجب لمن تدبر ذلك علماً يقيناً لا يمكنه دفعه عن نفسه: أن الآية عامّة في كلّ المؤمنين المتّصّفين بهذه الصفات، لا تختص بواحد بعينه: لا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا عليّ، ولا غيرهم. لكن هؤلاء أحقّ الأمة بالدخول فيها.

الوجه الرابع عشر: أن الألفاظ المذكورة في الحديث مما يُعلم أنها كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن عليّاً ليس قائداً لكل البررة، بل لهذه الأمة رسول الله

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٦

صلى الله عليه وسلم، ولا هو أيضاً قاتلاً لكل الكفرة، بل قتل بعضهم، كما قتل غيره بعضهم. وما أحد من المجاهدين القاتلين لبعض الكفار إلا وهو قاتل لبعض الكفرة.

وكذلك قوله: «منصور من نصره، مخذول من خذله» هو خلاف الواقع. والنبى صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقاً، لا سيما على قول الشيعة، فإنهم يدعون أن الأمة كلها خذلتها إلى قتل عثمان.

ومن المعلوم أن الأمة كانت منصوره في أعصار الخلفاء الثلاثة، نصراً لم يحصل لها بعده مثله. ثم لما قتل عثمان، وصار الناس ثلاثة أحزاب: حزب نصره وقاتل معه، وحزب قاتلوه، وحزب خذلوه لم يقاتلوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، لم يكن الذين قاتلوا معه منصورين على الحزبين الآخرين ولا على الكفار، بل أولئك الذين نصروا عليهم، وصار الأمر لهم، لما تولى معاوية، فانتصروا على الكفار، وفتحوا البلاد، إنما كان على منصوراً كنصر أمثاله في قتال الخوارج والكفار.

والصحابه الذين قاتلوا الكفار والمرتين كانوا منصورين نصراً عظيماً، فالنصر وقع كما وعد الله به حيث قال: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ».

فالتقاتل الذي كان بأمر الله وأمر رسوله من المؤمنين للكفار والمرتين والخوارج، كانوا فيه منصورين [نصراً عظيماً] إذا اتقوا وصبروا، فإن التقوى والصبر من تحقيق الإيمان الذي علق به النصر.

وأيضاً، فالدعاء الذي ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم عقب التصديق بالخاتم من أظهر الكذب. فمن المعلوم أن الصحابة أنفقوا في سبيل الله وقت الحاجة إليه، ما هو أعظم قدراً ونفعاً من إعطاء سائل خاتماً. وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما نفعتي مال كمال أبى بكر»، «إن آمن الناس على في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». وقد تصدق

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٧

عثمان بألف بعير في سبيل الله في غزوة العسرة، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم: «ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم».

والإنفاق في سبيل الله وفي إقامة الدين في أول الإسلام أعظم من صدقة على سائل محتاج. ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» أخرجاه في الصحيحين. قال تعالى: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِ» فذلك الإنفاق الذي صدر في أول الإسلام في إقامة الدين ما بقى له نظير يساويه.

وأما إعطاء السائل لحاجتهم، فهذا البر يوجد مثله إلى يوم القيامة. فإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم لأجل تلك النفقات العظيمة النافعة الضرورية لا يدعو بمثل هذا الدعاء، فكيف يدعو به لأجل إعطاء خاتم لسائل قد يكون كاذباً في سؤاله؟

ولا ريب أن هذا ومثله من كذب جاهل أراد أن يعارض ما ثبت لأبى بكر بقوله:

«وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى» بأن يذكر لعل شيئاً من هذا الجنس، فما أمكنه أن يكذب أنه فعل ذلك في أول الإسلام، فكذب هذه الأكذوبة التي لا تروج إلا على مفرط في الجهل.

وأيضاً، فكيف يجوز أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم في المدينة— بعد الهجرة والنصرة—: واجعل لى وزيراً من أهلى، علياً أشد به ظهري، مع أن الله قد أعزّه بنصره وبالمؤمنين، كما قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصِيرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ»، وقال: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ

إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٨

فالذي كان معه حين نَصَرَهُ الله، إذ أخرجه الذين كفروا، هو أبو بكر. وكانا اثنين الله ثالثهما. وكذلك لما كان يوم بدر، لما ضيغ له عريش كان الذي دخل معه في العريش دون سائر الصحابة أبو بكر، وكل من الصحابة له في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعي مشكور وعمل مبرور.

وروى أنه لما جاء عليّ بسيفه يوم أحد، قال لفاطمة: اغسله يوم أحد غير ذميم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن تك أحسنت فقد أحسن فلان وفلان وفلان» فعُدّ جماعة من الصحابة.

ولم يكن لعلّي اختصاص بنصر النبي صلى الله عليه وسلم دون أمثاله، ولا عُرف موطن احتاج النبي صلى الله عليه وسلم فيه إلى معونة عليّ وحده، لا باليد ولا باللسان، ولا كان إيمان الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعتهم له لأجل عليّ، بسبب دعوة عليّ لهم، وغير ذلك من الأسباب الخاصة، كما كان هارون مع موسى، فإن بنى إسرائيل كانوا يحبّون هارون جدّاً ويهابون موسى، وكان هارون يتألّفهم.

والرافضة تدعى أن الناس كانوا يبغضون عليّاً، وأنهم لبغضهم له لم يبايعوه.

فكيف يُقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم احتاج إليه، كما احتاج موسى إلى هارون؟

وهذا أبو بكر الصديق أسلم على يديه ستة أو خمسة من العشرة: عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة.

ولم يعلم أنه أسلم على يد عليّ وعثمان وغيرهما أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

ومصعب بن عمير هو الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لما بايعه الأنصار ليلة العقبة، وأسلم على يده رءوس الأنصار،

كسعد بن معاذ، الذي اهتز عرش الرحمن لموته، وأُسَيد بن حضير وغير هؤلاء.

وكان أبو بكر يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو معه الكفار إلى الإسلام في الموسم، ويعاونه معاونة عظيمة في الدعوة،

بخلاف غيره. ولهذا قال النبي صلى

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٤٩

الله عليه وسلم في الصحيح: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». وقال: «أيها الناس إني جئت إليكم، فقلت:

إني رسول الله، فقلتم: كَذَبْتَ. وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟».

ثم إن موسى دعا بهذا الدعاء قبل أن يبلغ الرسالة إلى الكفار لِيَعَاوَنَ عليها. ونبينا صلى الله عليه وسلم كان قد بلغ الرسالة لما بعثه الله:

بَلَّغَهَا وحده، وأوّل من آمن به باتفاق أهل الأرض أربعة. أوّل من آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان عليّ،

ومن الموالى زيد.

وكان أنفع الجماعة في الدعوة باتفاق الناس أبو بكر، ثم خديجة. لأن أبا بكر هو أوّل رجل حرّ بالغ آمن به باتفاق الناس، وكان له

قدر عند قريش لما كان فيه من المحاسن، فكان آمن الناس عليه في صحبتته وذات يده. ومع هذا فما دعا الله أن يَشُدَّ أزره بأحد، لا

بأبي بكر ولا- بغيره، يَلِ قَامَ مطيعاً لربّه، متوكّلاً عليه، صابراً له، كما أمره بقوله: «قُمْ فَأَنْذِرْ» وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ

فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» وقال «فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ».

فمن زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يشدّ أزره بشخص من الناس، كما سأل موسى أن يشدّ أزره بهارون، فقد افترى

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخسه حقّه. ولا ريب أن الرفض مشتق من الشرك والإلحاد والنفاق، لكن تارة يظهر [لهم] ذلك

فيه وتارة يخفى.

الوجه الخامس عشر: أن يُقال: غاية ما في الآية أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين، فيوالون عليّاً. ولا ريب أن موالاة عليّ

واجبة على كل مؤمن، كما يجب على كل مؤمن موالاة أمثاله من المؤمنين. قال تعالى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» فبين الله أن كل صالح من المؤمنين فهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله موله، وجبريل موله، وليس في كون الصالح

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٠

من المؤمنين مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن الله موله، وجبريل موله، أن يكون صالح المؤمنين متولياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا متصرفاً فيه.

وأيضاً، فقد قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» فجعل كل مؤمن ولياً لكل مؤمن. وذلك لا يجب أن يكون أميراً عليه معصوماً، لا يتولى عليه إلهو.

وقال تعالى: «أَلَا- إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ»، فكل مؤمن تقى فهو ولي لله، والله وليه. كما قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» وقال: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ»، وقال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا» إلى قوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ». فهذه النصوص كلها ثبتت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأن هذا ولي هذا، وهذا ولي هذا، وأنهم أولياء الله، وأن الله وملائكته والمؤمنين موالى رسوله، كما أن الله ورسوله والذين آمنوا هم أولياء المؤمنين. وليس في شيء من هذه النصوص أن من كان ولياً للآخر كان أميراً عليه دون غيره، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس.

الوجه السادس عشر: أن الفرق بين «الولاية» بالفتح و «الولاية» بالكسر معروف، فالولاية ضد العداوة، وهي المذكورة في هذه النصوص، ليست هي الولاية بالكسر التي هي الإمارة. وهؤلاء الجهال يجعلون الولي هو الأمير، ولم يفرقوا بين الولاية والولاية. والأمير يسمى الوالى لا يسمى الولي، ولكن قد يقال: هو ولي الأمر، كما يقال: وليت أمركم، ويقال: أولو الأمر.

وأما إطلاق القول بالمولى وإرادة الولي، فهذا لا يعرف، بل يقال في الولي:

المولى، ولا يقال: الوالى. ولهذا قال الفقهاء: إذا اجتمع في الجنازة الوالى والولى، فقل: يُقَدَّم الوالى، وهو قول أكثرهم. وقيل: يُقَدَّم الولي.

فبين أن الولاية دلت على الموالاة، المخالفة للمعاداة، الثابتة لجميع المؤمنين

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥١

بعضهم على بعض. وهذا مما يشترك فيه الخلفاء الأربعة، وسائر أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان. فكلهم بعضهم أولياء بعض. ولم تدل الآية على أحد منهم يكون أميراً على غيره، بل هذا باطل من وجوه كثيرة، إذ لفظ «الولى» و «الولاية» غير لفظ «الوالى». والآية عامة في المؤمنين، والإمارة لا تكون عامة.

الوجه السابع عشر: أنه لو أراد الولاية التي هي الإمارة لقال: إنما يتولى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا، ولم يقل: ومن يتولى الله ورسوله، فإنه لا يقال لمن ولي عليهم وآل: إنهم يقولون: تولوه، بل يقال: تولي عليهم.

الوجه الثامن عشر: أن الله سبحانه لا يوصف بأنه متول على عباده، وأنه أمير عليهم، جلّ جلاله، وتقدست أسمائه، فإنه خالقهم ورازقهم، وربهم ومليكهم، له الخلق والأمر، ولا يقال: إن الله أمير المؤمنين، كما يسمى المتولى، مثل على وغيره:

أمير المؤمنين، بل الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً لا يقال إنه متول على الناس، وأنه أمير عليهم، فإن قدره أجل من هذا. بل أبو بكر الصديق رضى الله عنه لم يكونوا يسمونه إلا خليفة رسول الله. وأول من سمي من الخلفاء «أمير المؤمنين» هو عمر رضى الله عنه.

وقد روى أن عبد الله بن جحش كان أميراً في سرية، فسمى أمير المؤمنين، لكن إمارة خاصة في تلك السرية، لم يسم أحد بإمارة

المؤمنين عموماً قبل عمر، وكان خليقاً بهذا الاسم.

وأما الولاية المخالفة للعداوة، فإنه يتولّى عباده المؤمنين، فيحبّهم ويحبّونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه. ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة. وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه.

قال تعالى: «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ». فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل هو القائل: «مَنْ كَانَ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٢

يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» بخلاف الملوك وغيرهم ممن يتولّاه لذاته، إذا لم يكن له ولي ينصره.

الوجه التاسع عشر: أنه ليس كلّ من تولّى عليه إمام عادل يكون من حزب الله، ويكون غالباً؛ فإن أئمة العدل يتولّون على المنافقين والكفار، كما كان في مدينه النبي صلى الله عليه وسلم تحت حكمه ذميون ومنافقون. وكذلك كان تحت ولاية علي كفاً ومنافقون. والله تعالى يقول «وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» فلو أراد الإمارة لكان المعنى: إن كلّ من تأمر عليهم الذين آمنوا يكونون من حزبه الغالبين، وليس كذلك. وكذلك الكفار والمنافقون تحت أمر الله الذي هو قضاؤه وقدره، مع كونه لا يتولاهاهم بل يبغضهم (١).

أقول:

يتلخص كلامه في نقاط:

١- المطالبة بصحة هذا النقل.

٢- دعوى الإجماع على نزول الآية في أمير المؤمنين من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع.

٣- أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات، وهكذا الواحدى تلميذه وأمثالهما من المفسرين. وقد أجمع أهل العلم بالحديث على أنه لا يجوز الاستدلال بمجرّد خبر يرويه الواحد من جنس الثعلبي والنقاش والواحدى وأمثال هؤلاء المفسرين.

٤- إن هؤلاء المفسرين قد نقلوا ما يناقض هذا الإجماع المدعى.

٥- الإسناد الذي ذكره الثعلبي إسناد ضعيف، فيه رجال متهمون. وأما نقل

(١) منهاج السنة ٧/ ١٠-٣١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٣

ابن المغازلي الواسطي فأضعف وأضعف.

٦- شرطية أداء الزكاة في حال الركوع، يوجب أن لا يتولّى إلّا على. وهذا خلاف إجماع المسلمين.

٧- «الذين» صيغة جمع، فلا يصدق على وحده.

٨- التصدق في الصلاة ليس من الأعمال الصالحة.

٩- كان على لا تجب عليه الزكاة لأنه كان فقيراً.

١٠- إعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزئ عند كثير من الفقهاء.

١١- توقف الاستدلال على كون الواو في «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حالية لا عاطفة.

١٢- المعلوم المستفيض عند أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين.

١٣- سياق الكلام يدل على ذلك.

١٤- الألفاظ المذكورة في الحديث مما يعلم أنها كذب.

١٥- غاية ما في الآية أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين، فيوالون علياً.

١٦- الفرق بين الولاية بالفتح والولاية بالكسر، وهؤلاء الجهال يجعلون الولي هو الأمير.

١٧- لو أراد الولاية التي هي الإمارة لقال: إنما يتولّى عليكم الله ورسوله والذين آمنوا.

١٨- إن الله لا يوصف بأنه أمير على العباد.

١٩- إنه ليس كل من تولّى عليه إمام عادل يكون من حزب الله.

أقول: إن ما ذكره ينقسم إلى ما يتعلّق بالسند وما يتعلّق بالدلالة:

أما السند الصحيح من طرقهم لنزول الآية في أمير المؤمنين عليه السلام، فسيأتي.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٤

وأما الإجماع، فقد أقرّ به كبار العلماء من أهل السنّة، وليست دعوى من العلّامة رحمه الله، فإن كانت «من أعظم الدعاوى الكاذبة» فهي منهم لا من الإماميّة.

وأما أن الثعلبي والواحدى وأمثالهما يروون في كتبهم الأحاديث الضعيفة بل الموضوعات والأباطيل، فهذا لا يختصّ بهؤلاء، فإن كتب القوم المشهورة، من الصحاح والمسانيد وغيرها، فيها أحاديث بواطيل كثيرة كما لا يخفى على أهل العلم، لكننا سنذكر السند الصحيح للحديث لا عن طريق الثعلبي وأمثاله.

وهذا ما يتعلّق بكلامه في ناحية السند.

وأما ما يتعلّق بناحية الدلالة، فإن الرجل قد جهل أو تجاهل أن الصدقة المستحبّة تسمّى «زكاة» كالواجبة، ونفى كون التصدّق في الصّلاة من الأعمال الصالحة دعوى باطله، ولا يعتبر الغنى في الصدقة المندوبة حتى يقال بأنّ علياً كان فقيراً، ولم تكن الصدقة واجبة - كما تقدّم - حتى يقال بأنّ إعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزى.

وإذا ثبت صحّة النقل بنزول الآية في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، سقط التمسك بالسياق، وبطل القول بنزولها في النهي عن موالاة الكفّار والأمر بموالاة المؤمنين. ودعوى أن هذا القول هو المستفيض عند أهل التفسير، مردودة كما سيظهر.

وليس المقصود من «الولاية» في الآية المباركة هو «الإمارة» حتى يقال بأنّ الله لا يوصف بذلك، وأنّه لو أراد الإمارة لقال: إنما يتولّى عليكم الله ... وأنه قد وقع الخلط بين الولاية بالفتح والولاية بالكسر ... فإنّ كلّ هذا خروج عن البحث عن جهل أو تجاهل. بل المقصود من «الولاية» هو «الألوية» كما سنبين.

وتبقى نقطتان:

الاولى: إن «الذين» صيغة جمع، فلا يصدق على على وحده.

والثانية: توقّف الاستدلال على أن تكون الواو في «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حالية.

وسيتّضح الجواب عنهما فيما سيأتي.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٥

هذا، ويقع البحث عن الآية ووجه دلالتها على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، بالنظر إلى روايات أهل السنّة وكلمات كبار علمائهم، في فصول:

إشارة

إن هذه الآية المباركة نزلت في قضية تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه على السائل وهو في حال الركوع، وقد اتفق الفريقان على رواية هذا الخبر بالأسانيد الكثيرة، عن جمع كبير من الصحابة ومشاهير التابعين.

من رواية الخبر من الصحابة والتابعين ... ص: ٢٥٥

لقد رووا هذا الخبر بأسانيدهم عن جمع من الصحابة والتابعين:

- ١- أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٢- المقداد بن الأسود الكندي.
- ٣- عمار بن ياسر.
- ٤- عبدالله بن العباس.
- ٥- أبو ذر الغفاري.
- ٦- جابر بن عبدالله الأنصاري.
- ٧- أبو رافع.
- ٨- أنس بن مالك.
- ٩- عبدالله بن سلام.
- ١٠- حسان بن ثابت، في شعر له.
- ١١- محمد بن الحنفية.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٦
- ١٢- ابن جريج المكي.
- ١٣- سعيد بن جبير.
- ١٤- عطاء.
- ١٥- مجاهد.
- ١٦- السدي.
- ١٧- مقاتل.
- ١٨- الضحاك.

أشهر مشاهير رواية الخبر من العلماء ... ص: ٢٥٦

وقد روى هذه المنقبة الجليلة كبار الأئمة الحفاظ وأعلام العلماء في مختلف القرون، وهذه أسماء أشهر مشاهيرهم:

- ١- سليمان بن مهران الأعمش، المتوفى سنة ١٤٨، وقع في طريق رواية الحسكاني.
- ٢- معمر بن راشد الأزدي المتوفى سنة ١٥٣، وقع في طريق رواية الحسكاني.
- ٣- سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة ١٦١، وقع في طريق رواية الحسكاني.
- ٤- أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧، كما في كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى.

- ٥- أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المتوفى سنة ٢١١، كما في تفسير ابن كثير الدمشقي.
- ٦- أبو نعيم الفضل بن دكين، المتوفى سنة ٢١٩، وقع في طريق رواية ابن أبي حاتم الرازي.
- ٧- أبو محمد عبد بن حميد الكشي، المتوفى سنة ٢٤٩، كما في كتاب الدر شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٧ المنشور في التفسير بالمأثور.
- ٨- أحمد بن يحيى البلاذري، المتوفى بعد سنة ٢٧٠، في أنساب الأشراف.
- ٩- محمد بن عبدالله الحضرمي، المطين، المتوفى سنة ٢٩٧، وقع في طريق رواية أبي نعيم.
- ١٠- أبو عبدالرحمن النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣، في صحيحه.
- ١١- محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠، في تفسيره.
- ١٢- ابن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧، كما في تفسيره الملتزم فيه بالصحة وفي غير واحد من الكتب.
- ١٣- أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠، في المعجم الأوسط.
- ١٤- عبدالله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، أبو الشيخ، المتوفى سنة ٣٦٩، كما في الدر المنثور للسيوطي.
- ١٥- أبو بكر الجصاص الرازي، المتوفى سنة ٣٠٧، في أحكام القرآن.
- ١٦- عمر بن أحمد بن شاهين البغدادي الواعظ، المتوفى سنة ٣٨٥، وقع في طريق رواية الحسكاني.
- ١٧- أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥، في كتاب علوم الحديث.
- ١٨- أبو بكر ابن مردويه الأصبهاني، المتوفى سنة ٤١٦، كما في كنز العمال.
- ١٩- أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧، في تفسيره.
- ٢٠- أبو نعيم الإصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠، كما في الدر المنثور وغيره.
- ٢١- أبو الحسن الماوردي الشافعي، المتوفى سنة ٤٥٠، كما في تفسيره.
- ٢٢- أبو بكر الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣، في كتابه المتفق والمفترق، كما في كنز العمال.
- ٢٣- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨، في أسباب النزول.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٨
- ٢٤- الفقيه المحدث ابن المغازلي الشافعي، المتوفى سنة ٤٨٣، في كتاب مناقب علي بن أبي طالب.
- ٢٥- أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، المتوفى سنة ٤٨٩، في تفسيره.
- ٢٦- أبو القاسم الحاكم الحسكاني النيسابوري، في كتابه: شواهد التنزيل.
- ٢٧- أبو الحسن علي بن محمد الكيا الطبري، المتوفى سنة ٥٠٤ في تفسيره.
- ٢٨- أبو محمد الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٦، في تفسيره.
- ٢٩- أبو الحسن رزين العبدري الأندلسي، المتوفى سنة ٥٣٥ في كتاب: الجمع بين الصحاح الستة.
- ٣٠- أبو القاسم جار الله الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨، في الكشاف.
- ٣١- الموفق بن أحمد الخطيب الخوارزمي المكي، المتوفى سنة ٥٦٨، في كتاب مناقب علي بن أبي طالب.
- ٣٢- أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١، في تاريخ دمشق.
- ٣٣- أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٩٧، في تفسيره: زاد المسير.
- ٣٤- أبو عبدالله الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦، في تفسيره.

- ٣٥- أبو السعادات ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦، في جامع الاصول.
- ٣٦- محمد بن محمود بن حسن، ابن النجار، المتوفى سنة ٦٤٣، وقع في طريق رواية الحموي.
- ٣٧- أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي، المتوفى سنة ٦٥٤، في كتاب تذكره خواص الامة في معرفة الأئمة.
- ٣٨- أبو عبدالله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨، في كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٥٩
- ٣٩- عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي، المتوفى سنة ٦٦٠، في تفسيره.
- ٤٠- أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة ٦٦٢، في مطالب السؤل.
- ٤١- ناصر الدين البيضاوي الشافعي، المتوفى سنة ٦٨٥، في تفسيره.
- ٤٢- أبو العباس محب الدين الطبري الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٤ في كتابيه:
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى.
- ٤٣- حافظ الدين النسفى، المتوفى سنة ٧٠١- أو ٧١٠، في تفسيره.
- ٤٤- شيخ الإسلام الحموي الجويني، المتوفى سنة ٧٢٢ في كتابه فرائد السمطين.
- ٤٥- علاء الدين الخازن البغدادي، المتوفى سنة ٧٤١، في تفسيره.
- ٤٦- شمس الدين الإصبهاني، المتوفى سنة ٧٤٦، في شرح التجريد.
- ٤٧- جمال الدين الزرندی، المتوفى سنة ٧٥٠، في نظم درر السمطين.
- ٤٨- أبو حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٥٤، في تفسيره البحر المحيط.
- ٤٩- عضد الدين الإيجي، المتوفى سنة ٧٦٥، في كتاب المواقف في علم الكلام.
- ٥٠- محمد بن أحمد بن جزى الكلبى، المتوفى سنة ٨٥٧، في تفسيره.
- ٥١- نظام الدين القمى النيسابورى، في تفسيره.
- ٥٢- سعد الدين التفتازانى، المتوفى سنة ٧٩١ في شرح المقاصد.
- ٥٣- السيد الشريف الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦، في شرح المواقف.
- ٥٤- شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢، كما في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف.
- ٥٥- نور الدين ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥، في الفصول المهمة في معرفة الأئمة.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٦٠
- ٥٦- علاء الدين القوشجي السمرقندي، المتوفى سنة ٨٧٩، في شرح التجريد.
- ٥٧- جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيره.
- ٥٨- أبو السعود محمد بن محمد العمادى، المتوفى سنة ٩٥١، كما في تفسيره.
- ٥٩- شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٤، في كتابه:
- الصواعق المحرقة.
- ٦٠- قاضى القضاء الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠ في تفسيره.
- ٦١- شهاب الدين الآلوسى، المتوفى سنة ١٢٧٠، في تفسيره.
- ٦٢- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٣، في ينابيع المودة.
- ٦٣- السيد محمد مؤمن الشبلنجي، المتوفى، ... في نور الأبصار.

من نصوص الخبر في الكتب المعتمدة ... ص: ٢٦٠

وإليك عدّة من نصوص الخبر، في الكتب المعتمدة المشهورة:

* أخرج ابن الأثير، عن رزين الحافظ، عن النسائي، ما نصّه:

«عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهط من قومي، فقلنا: إن قومنا حادّونا لما صدّقنا الله ورسوله، وأقسموا لا يكلمونا، فأنزل الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»، ثم أذن بلال لصلاة الظهر، فقام الناس يصلّون، فمن بين ساجدٍ وراكع، إذا سائل يسأل، فأعطاه على خاتمه وهو راکع، فأخبر السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٦١

الغالبون». أخرجه رزين «١».

و «رزين» هو: رزين بن معاوية العبدري، المتوفى سنة ٥٣٥ كما في سير أعلام النبلاء، وقد وصفه ب: «الإمام المحدث الشهير» «٢».

وقال ابن الأثير: «وتلاهم آخرأ أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقسطي، فجمع بين كتب البخاري ومسلم والموطأ لمالك وجامع أبي عيسى الترمذي وسنن أبي داود السجستاني وسنن أبي عبد الرحمن النسائي، رحمه الله عليهم، ورتّب كتابه على الأبواب دون المسانيد».

قال: «وأمّا الأحاديث التي وجدتها في كتاب رزين - رحمه الله - ولم أجدها في الأصول، فإنني كتبته نقلًا من كتابه على حالها في مواضعها المختصّة بها، وتركتها بغير علامة، وأخلّيت لذكر اسم من أخرجها موضعاً، لعلّي أتبع نسخاً أخرى لهذه الأصول وأعثر عليها فأثبت اسم من أخرجها» «٣».

* أخرج ابن أبي حاتم بتفسير الآية، قال:

«حدّثنا الربيع بن سليمان المرادي، ثنا أيوب بن سويد، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» قال: على بن أبي طالب.

حدّثنا أبو سعيد الأشج، ثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، ثنا موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل قال: تصدّق على بخاتمه وهو راکع، فنزلت «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» «٤».

* وأخرج أبو جعفر الطبري قال: «وأمّا قوله «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(١) جامع الأصول ٩ / ٤٧٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٠٤.

(٣) جامع الأصول ١ / ١٩ و ص ٢٣.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٤ / ١١٦٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٦٢

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فإنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنى به، فقال بعضهم عنى به على بن أبي طالب، وقال بعضهم عنى به جميع المؤمنين» ثم ذكر:

«حدّثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملي قال: ثنا أيوب بن سويد قال: ثنا عتبة بن أبي حكيم في هذه الآية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

آمنوا» قال: علي بن أبي طالب.

حدثني الحرث قال: ثنا عبدالعزيز قال: ثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهدًا يقول في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية. قال: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راعٍ» (١).

* وأخرج الحاكم في النوع الثالث من الأفراد، أحاديث لأهل المدينة تفرد بها عنهم أهل مدينة أخرى:

«حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار قال: ثنا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن سلم الرازي بإصبعه قال: ثنا يحيى بن الضريس قال: ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله (٢) بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: ثنا أبي عن أبيه عن جدّه عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فخرج رسول الله ودخل المسجد، والناس يصلون بين راعٍ وقائم، فصلّى، فإذا سائل قال: يا سائل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: لا إلهذا الراعي - لعلّي - أعطاني خاتماً.

قال الحاكم: هذا حديث تفرد به الرازيون عن الكوفيين، فإنّ يحيى بن الضريس الرازي قاضيه، وعيسى العلوي من أهل الكوفة» (٣).

(١) تفسير الطبري ١٨٦/٦.

(٢) كذا، وسيأتي صحيحه.

(٣) معرفة علوم الحديث: ١٠٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٦٣

* أخرج الطبراني قائلًا: «حدثنا محمد بن علي الصانع قال: حدثنا خالد بن يزيد العمري، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن علي بن حسين، عن الحسين بن زيد، عن أبيه زيد بن الحسن، عن جدّه قال:

سمعت عمّار بن ياسر يقول: «وقف على عليّ بن أبي طالب سائل وهو راعٍ في تطوّع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ذلك، فنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

لا يروى هذا الحديث عن عمّار بن ياسر إلّا بهذا الإسناد، تفرد به خالد بن يزيد» (١).

* أخرج أبو نعيم الحافظ بإسناده قائلًا:

«حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال: حدثنا إبراهيم بن عيسى التنوخي قال: حدثنا يحيى بن يعلى، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي الزبير، عن جابر قال:

جاء عبد الله بن سلام واناس معه، فشكوا مجانبه الناس إياهم منذ أسلموا، فقال ابغوني سائلًا، فدخلنا المسجد، فدنا سائل إليه فقال: أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، مررت برجلٍ راعٍ فأعطاني خاتمه. قال: فاذهب فأره، فذهبنا وعلى قائم، قال: هذا. فنزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» (٢) ...».

* أخرج أبو المظفر السمعاني بتفسير الآية: «قال السدي - وهو رواية عن مجاهد - إنّ هذا انزل في علي بن أبي طالب، كان في الركوع ومسكين يطوف في المسجد، فنزع خاتمه ودفع إليه، فهذا معنى قوله: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

(١) المعجم الأوسط ١٢٩/٧.

(٢) خصائص الوحي المبين: ٢٠ عن كتاب ما نزل في علي لأبي نعيم الإصفهاني.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٦٤

ثم إنه لم يناقش في هذا القول وسنده، وإنما تكلم في معنى الآية وخصوص لفظ «الولاية» فقال: «وقوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» أراد به الولاية في الدين، لا ولاية الأماره والسلطنة، وهم فوق كل ولاية. قال أبو عبيدة: وكذلك معنى قوله: من كنت مولاه فعلى مولاه. يعني: من كنت ولياً له أعينه وانصره، فعلى يعينه وينصره في الدين» (١).

* وأخرج الثعلبي، قال:

قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

قال ابن عباس - وقال السدي، وعتبة بن حكيم، وغالب بن عبد الله -: إنما عنى بقوله «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» على بن أبي طالب رضى الله عنه، مَرَّ به سائل وهو راکع في المسجد فأعطاه خاتمه.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الشمراني، قال: حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن رزين، قال: حدثنا المظفر بن الحسن الأنصاري، قال: حدثنا السيد بن علي، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن عباية بن الربيع، قال:

بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلقاء الرجل قال رسول الله.

فقال ابن عباس: سألتك بالله، من أنت؟

قال: فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جند بن جنادة البدرى أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا صمتا [وأشار إلى أذنيه] ورأيت بهاتين وإلا فعميتا [وأشار إلى عينيه]

(١) تفسير القرآن ٢/ ٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٦٥

يقول: على قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله. أما إني صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان على راکعاً فأومئ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخى موسى سألك فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي» وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * ... الآية، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: «سَيَشْدُدُّ عُضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا» اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أشدد به ظهري.

قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله فقال: يا محمد اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

سمعت أبا منصور الجمشاذي، سمعت محمد بن عبد الله الحافظ، سمعت أبا الحسن علي بن الحسن، سمعت أبا حامد محمد بن هارون الحضرمي، سمعت محمد بن منصور الطوسي، سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه» (١).

* وأخرج الواحدى:

«قوله تعالى: «إِنَّمَا وَثِّقَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» قال جابر بن عبد الله: جاء

(١) تفسير الثعلبي ٨٠ / ٤ - ٨١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٦٦

عبد الله بن سلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن قوماً من قريظة والنضير قد هاجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل وشكى ما يلقي من اليهود، فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء ونحو هذا. قال الكلبي وزاد: إن آخر الآية في علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، لأنه أعطى خاتمه سائلاً وهو راکع في الصلاة.

أخبرنا أبو بكر التميمي قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا الحسين بن محمد بن أبي هريرة قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدثنا محمد بن الأسود عن محمد بن مروان عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أقبل عبد الله بن سلم ومعه نفر من قومه قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث، وإن قومنا لما رأونا آمنّا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا، فقال لهم النبي عليه السلام «إِنَّمَا وَثِّقَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» الآية ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراکع، فنظر سائلاً فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم من ذهب. قال: من أعطاك؟ قال: ذلك القائم وأوماً بيده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: علي أي حال أعطاك؟ قال:

أعطاني وهو راکع، فكبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» «١».

* وأخرج الحاكم الحسكاني:

«قوله سبحانه: «إِنَّمَا وَثِّقَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(١) أسباب النزول: ١١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٦٧

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

قول ابن عباس فيه:

أخبرنا أبو بكر الحارثي قال: أخبرنا أبو الشيخ، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير التستري، وعبد الرحمان بن أحمد الزهري قالوا: حدثنا أحمد بن منصور قال:

حدثنا عبد الرزاق، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه: عن ابن عباس [في قوله تعالى: «إِنَّمَا وَثِّقَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

أخبرنا السيد عقيل بن الحسين العلوي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن إبراهيم بن أحمد بن الفضل الطبري من لفظه بسجستان قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله المزني قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله قال: حدثنا الفهم بن سعيد بن الفهم بن سعيد بن سليك بن عبد الله الغطفاني صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حدثنا عبد الرزاق بن همام عن معمر: عن ابن طاووس عن أبيه قال: كنت جالساً مع ابن عباس إذ دخل عليه رجل فقال: أخبرني عن هذه الآية:

«إِنَّمَا وَثِّقَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» فقال ابن عباس: أنزلت في علي بن أبي طالب.

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة قال:

حدَّثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائي قال: حدَّثنا أبو عقيل محمد بن حاتم بن قال: حدَّثنا عبدالرزاق قال: حدَّثنا ابن مجاهد، عن أبيه: عن ابن عباس في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» قال: على عليه السلام.

وأخبرنا الحسين [بن محمد الثقفي] قال: حدَّثنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي قال: حدَّثنا عصام بن غياث السمان البغدادي [قال: حدَّثنا أحمد بن سيار المروزي قال: حدَّثنا عبدالرزاق به، [و] قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

أخبرنا عقيل بن الحسين قال: أخبرنا علي بن الحسين قال: حدَّثنا محمد

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٦٨

ابن عبيد الله قال: حدَّثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق ببغداد ابن السماك قال: حدَّثنا عبد الله بن ثابت المقرئ قال: حدَّثني أبي عن الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك [عن] ابن عباس [به].

وحدَّثني الحسن بن محمد بن عثمان الفسوي عن ابن عباس.

وحدَّثنا الحسن بن محمد بن عثمان الفسوي بالبصرة، قال: حدَّثنا يعقوب بن سفيان قال: حدَّثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: حدَّثنا سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد، عن ابن عباس. قال سفيان: وحدَّثني الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير.

عن ابن عباس في قوله الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» يعني ناصرهم الله [ورسوله] يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» فخص من بين المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» يعني يتمون وضوءها وقراءتها وركوعها وسجودها وخشوعها في مواقيتها [«وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»] وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى يوماً بأصحابه صلاة الظهر وانصرف هو وأصحابه، فلم يبق في المسجد غير علي قائماً يصلي بين الظهر والعصر، إذ دخل [المسجد] فقير من فقراء المسلمين، فلم ير في المسجد أحداً خلا- علياً فأقبل نحوه فقال: يا ولي الله بالذي يصلي له أن تصدق علي بما أمكنك. وله خاتم عقيق يمانى أحمر [كان] يلبسه في الصلاة في يمينه، فمد يده فوضعها على ظهره وأشار إلى السائل بنزعه، فترعه ودعا له، ومضى وهبط جبرئيل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: لقد باهى الله بك ملائكته اليوم، اقرأ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدَّثنا الحسن بن محمد بن أبي هريرة قال: حدَّثنا عبد الله بن عبد الوهاب، قال:

حدَّثنا محمد بن الأسود عن محمد بن هارون، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٦٩

عن ابن عباس قال: أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي فقالوا:

يا رسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا- متحدث دون هذا المجلس، وإن قومنا لَمَّا رأونا آمناً بالله وبرسوله وصدقناه، رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا- يجالسونا ولا- يناكحونا ولا يكلمونا، فشق ذلك علينا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

ثم إن النبي خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال له النبي صلى الله عليه وآله: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم من ذهب. فقال له النبي: من أعطاك؟ قال: ذاك القائم وأوى بيده إلى علي. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

على أي [حال] أعطاك؟ قال: أعطاني وهو راكع. فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قرأ: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك:

أبا حسن تُفديك نفسى ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع

أيذهب مدحى والمُحير ضائعاً وما المدح في جنب الإله بضائع

وأنت الذي أعطيت إذ كنت راکعاً زكاتاً فدتك النفس يا خير راکع
فأنزل فيك الله خير ولاية فيبينها في نيرات الشرائع»

ثم رواه بالأسانيد عن: أنس بن مالك، وعمر بن ياسر، وجابر، وأمير المؤمنين، والمقداد، وأبي ذر، ومحمد بن الحنفية، وعطاء، وابن جريج «١».

* وأخرج ابن عساكر قائلاً:

«أخبرنا أبو سعيد المطرز، وأبو علي الحداد، وأبو القاسم غانم بن محمد ابن عبد الله، ثم أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد، أنبأنا أبو علي الحداد

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفصيل ١/ ٢٠٩ - ٢٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٠

قالوا: أنبأنا أبو نعيم الحافظ، أنبأنا سليمان بن أحمد، أنبأنا عبدالرحمان بن محمد بن سالم «١» الرازي، أنبأنا محمد بن يحيى بن ضريس العبدى «٢»:

أنبأنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله «٣» بن عمر بن علي بن أبي طالب، حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل المسجد - والناس يصلون بين راکع وقائم - يصلّى، فإذا سائل فقال [رسول الله]: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟

فقال: لا إلهذاك الراکع - لعلّى - أعطاني خاتمه.

أخبرنا خالي أبو المعالي القاضي، أنبأنا أبو الحسن الخلعي، أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد، أنبأنا أبو الفضل محمد بن عبدالرحمان بن عبد الله بن الحارث الرملي، أنبأنا القاضي جملة بن محمر أنبأنا أبو سعيد الأشج، أنبأنا أبو نعيم الأحول، عن موسى بن قيس، عن سلمة قال: تصدّق على بخاتمه وهو راکع، فنزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» «... ٤».

* أخرج العزّ الدمشقي فقال:

«وَهُمْ رَاكِعُونَ» نزلت في علي - رضى الله تعالى عنه - تصدّق وهو راکع. أو عامّة في المؤمنين «٥».

* وأخرج ابن كثير قال: «وقال ابن أبي خاتم: حدّثنا الربيع بن سليمان المرادي، حدّثنا أيوب بن سويد عن عتبة بن أبي حكيم في قوله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) هو «سلم» لا «سالم».

(٢) «الفيدى» لا «العبدى».

(٣) كذا وسيأتى صحيحه.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٥) تفسير القرآن ١/ ٣٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧١

وَالَّذِينَ آمَنُوا قال: هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب.

وحّدثنا أبو سعيد الأشج، حدّثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، حدّثنا موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل قال: تصدّق

على بخاتمه وهو راعع فنزلت «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ». وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدِ الْعَزِيزُ، حَدَّثَنَا غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةُ، نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، تَصَدَّقَ وَهُوَ رَاكِعٌ.

وقال عبدالرزاق: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابُ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةُ، نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

عبدالوهاب بن مجاهد لا يحتج به.

وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري، عن أبي سنان، عن الضحاک، عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي، فمر سائل وهو راعع، فأعطاه خاتمه، فنزلت «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةُ.

الضحاک لم يلق ابن عباس.

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي - وهو متروك - عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد والناس يصلون بين راعع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم قال: من؟ قال: ذلك الرجل القائم. قال: علي أي حال أعطاك؟ قال: وهو راعع، قال: وذلك علي بن أبي طالب، قال:

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٢

وهذا إسناد لا يقدر به.

ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه وعمر بن ياسر وأبي رافع «١».

* أخرج الحافظ ابن حجر:

«رواه ابن أبي حاتم من طريق سملة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راعع، فنزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». ولا بن مردويه من رواية سفين الثوري عن ابن سنان عن الضحاک عن ابن عباس قال: كان علي قائماً يصلي، فمر سائل وهو راعع فأعطاه خاتمه فنزلت. وروى الحاكم في علوم الحديث من رواية عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الْآيَةُ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَصَلُّونَ، بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، وَإِذَا سَائِلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئاً؟ قَالَ: لَا إِلَّا هَذَا الرَّاعِعَ يَعْنِي عَلِيًّا، أَعْطَانِي خَاتَمَهُ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّائِغِ. وَعَنْ ابْنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارٍ قَالَ: وَقَفَ بَعْلِي سَائِلٌ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي صَلَاتِهِ. الْحَدِيثُ. وَفِي إِسْنَادِهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْعُمَرِيُّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ. وَرَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَطْوًى وَإِسْنَادُهُ سَاقِطٌ» «٢».

* وأخرج السيوطي، فقال:

«أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: يتصدق علي بخاتمه وهو راعع فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراعي، فأنزل الله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه، عن

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٤.

(٢) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١/ ٦٤٩ ط مع الكشاف.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٣

ابن عباس في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو راکع في صلاة تطوع، فترع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ذلك، فنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ثم قال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» إلى آخر الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وجاء الناس يصلون بين راکع وساجد وقائم يصلي، فإذا سائل فقال: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا إلا ذاك الراكع لعلي بن أبي طالب، أعطاني خاتمه.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر، عن سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راکع فنزلت: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية، نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راکع. وأخرج ابن جرير عن السدي وعتبة بن أبي حكيم مثله.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أتى عبدالله بن سلام ورهط من أهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر فقالوا:

يا رسول الله إن بيوتنا قاصية، لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد، وإن قومنا لما رأونا قد صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة، وأقسموا أن لا يخالطونا ولا يؤاكلونا، فشق ذلك علينا، فبيناهم يشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٤

الله عليه وسلم إذا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ونودي بالصلاة صلاة الظهر، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أعطاك أحد شيئاً؟

قال: نعم. قال: من؟ قال: ذاك الرجل القائم، قال: على أي حال أعطاك؟ قال: وهو راکع، قال: وذاك علي بن أبي طالب، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم يوحى إليه، فإذا حيّ في جانب البيت، فكرهت أن أبيت عليها فأوقظ النبي صلى الله عليه وسلم وخفت أن يكون يوحى إليه، فاضطجعت بين الحية وبين النبي صلى الله عليه وسلم لئن كان منها سوء كان في دونه، فمكث ساعة فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» الحمد لله الذي أتم لعلي نعمه وهياً لعلي بفضل الله إياه» (١).

من أسانيد المعتمدة ... ص: ٢٧٤

هذا، ولهذا الخبر أسانيد معتبرة في كتب القوم، نتعرض لبعضها على أساس كلمات علمائهم في الجرح والتعديل، واصلوهم المقررة في علم الرجال:

١- رواية ابن أبي حاتم

فمن الأسانيد المعتمدة؛ رواية ابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل:

لأن «ابن أبي حاتم» هو الإمام الحافظ الشهير، الغنى عن التعريف (٢).

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣/ ١٠٥.

(٢) راجع مثلاً: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧-٢٦٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٥

و «أبو سعيد الأشج» هو: عبدالله بن سعيد الكندي، ومن رجال الصحاح الستة «١».

و «الفضل بن دكين» من رجال الصحاح الستة كذلك «٢» ومن كبار شيوخ البخاري.

و «موسى بن قيس الحضرمي» قال ابن حجر: «يلقب عصفور الجنة، صدوق، رمى بالتشيع» «٣».

و «سلمة بن كهيل» من رجال الصحاح الستة أيضاً «٤».

٢- رواية ابن أبي حاتم أيضاً

وهي روايته عن عتبة بن أبي حكيم:

«الربيع بن سليمان المرادي» من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه.

قال ابن حجر: «صاحب الشافعي. ثقة» «٥».

و «أيوب بن سويد» وهو الرملي، من رجال أبي داود والترمذي وابن ماجه.

قال ابن حجر: «صدوق، يخطئ» «٦».

و «عتبة بن أبي حكيم» من رجال الأربعة والبخاري في خلق أفعال العباد.

قال ابن حجر: «صدوق، يخطئ كثيراً» «٧».

٣- رواية ابن جرير الطبري

فقد روى خبر عتبة بن أبي حكيم عن:

«إسماعيل بن إسرائيل الرملي» ذكره السمعاني فقال: «سمع منه أبو محمد

(١) تقريب التهذيب ١/ ٤١٩.

(٢) تقريب التهذيب ٢/ ١١٠.

(٣) تقريب التهذيب ٢/ ٢٨٧.

(٤) تقريب التهذيب ١/ ٣١٨.

(٥) تقريب التهذيب ١/ ٢٤٥.

(٦) تقريب التهذيب ١/ ٩٠.

(٧) تقريب التهذيب ٢/ ٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٦

عبدالرحمن بن أبي حاتم وقال: كتبت عنه وهو ثقة صدوق «١».

عن «أيوب بن سويد»

عن عتبة بن أبي حكيم

وقد عرفتهما.

٤- رواية ابن مردويه

وهي الرواية التي ذكرها ابن كثير، وتعقبها بقوله: «الضحّاك لم يلق ابن عباس» فنقول:

إذا كان هذا فقط هو المطعن فالأمر سهل:

أما أولاً: فإنه - وإن قال بعضهم: «لم يلق ابن عباس» - قد ورد حديثه عنه في ثلاثة من الصحاح (٢)، وابن حجر العسقلاني لم يقدح في هذه الرواية.

وأما ثانياً: فإنه لو كانت روايته عن ابن عباس مرسله، فالواسطة معلومة حتى عند القائل بإرسالها، فقد رووا عن شعبه، قال: «حدثني عبد الملك بن ميسرة، قال: الضحّاك لم يلق ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبيرة بالري، فأخذ عنه التفسير» (٣).

وعليه، فرواياته عن ابن عباس في التفسير مسندة غير مرسله، إذ كلّها بواسطة «سعيد بن جبيرة» الثقة الثبت بالاتفاق، غير أنه كان لا يذكر الوساطة لدى النقل تحفظاً على سعيد، لكونه مشرّداً مطارداً من قبل جلاوزة الحجاج الثقفي، وتحفظاً على نفسه أيضاً، لكونه قصد سعيداً في الري للأخذ عنه، وجعل يروي ما أخذه عنه وينشر رواياته بين الناس، لا سيما مثل هذا الخبر الذي يُعدّ من جلائل مناقب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

هذا، واعلم أن «ابن سنان» الراوي عن «الضحّاك» هو - بقرينه الراوي والمروى

(١) الأنساب ٥ / ٥٨٥ «اللائل».

(٢) تهذيب الكمال ١٣ / ٢٩١.

(٣) تهذيب الكمال ١٣ / ٢٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٧

عنه: «سعيد بن سنان البرجمي الكوفي، نزل الري» قال الحافظ: «صدوق له أوهام» وعلم عليه علامة: مسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه (١).

ولا أستبعد أن يكون «ابن سنان» هذا أيضاً من المشرّدين اللّاجئين إلى الري خوفاً من الحجاج، وأن يكون إسقاط اسم «سعيد بن جبيرة» منه ... والله العالم.

وكيف كان، فالرواية من الأسانيد المعتبرة الواردة في الباب.

٥- رواية الحاكم النيسابوري

رواه بإسناد له عن أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدّم.

أما «محمّد بن عبد الله الصفّار» فهو: محمّد بن عبد الله بن أحمد الإصفهاني الزاهد، قال الحاكم: «هو محدّث عصره، كان مجاب الدعوة، لم يرفع رأسه إلى السماء كما بلغنا تيفاً وأربعين سنة» ووصفه الذهبي ب «الشيخ الإمام المحدّث القدوة» وقال السمعاني: «وكان زاهداً حسن السيرة ورعاً كثير الخير».

توفي سنة ٣٣٩ «٢».

و «أبو يحيى عبدالرحمن بن محمّد» من كبار الحفاظ المشهورين، ترجم له الحافظ أبو نعيم فقال: «سكن إصبهان، إمام جامعها، توفي سنة ٢٩١، مقبول القول، حدّث عن العراقيين وغيرهم الكثير، صاحب التفسير والمسنّد ... حدّثنا سليمان بن أحمد، ثنا عبدالرحمن بن محمّد بن سلم» ... «٣» وذكره الذهبي، فترجم له بالحافظ المجود العلّامة المفسّر ... حدّث عنه القاضي أبو أحمد العسّال، وأبو القاسم الطبراني ...

وكان من أوعية العلم» ... «٤».

(١) تقريب التهذيب ١ / ٢٩٨.

(٢) الأنساب - الصفار ٣/ ٥٥٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣٧.

(٣) أخبار إصبهان ٢/ ١١٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٨

و «محمد بن يحيى بن الضريس، الكوفي الفيدى، ذكره ابن أبي حاتم فقال: «كان يسكن فيد، روى عن محمد بن فضيل، والوليد بن بكير، ومحمد بن الطفيل، وعمر بن هاشم الجنبى، وعيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، سمع منه أبي وروى عنه. سمعت أبي يقول ذلك. سئل أبي عنه فقال: صدوق» (١).

و «عيسى بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر بن علي بن أبي طالب» ذكره ابن حبان في (كتاب الثقات) (٢).

عن «عبيدالله بن عمر». وهذا اشتباه، فإن الصحيح هو: عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، فإن والد «عبدالله» هو «محمد» وليس «عبيدالله»، وكذلك جاء في تاريخ ابن عساكر، كما سنذكر في تصحيح روايته. أمّا رواية الحاكم هذه، فقد جاءت في نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب (معرفة علوم الحديث) على الوجه الصحيح، كما تقدّم عن (الكاف الشاف).

و «عبدالله بن محمد» من رجال أبي داود والنسائي، وذكره ابن حبان في الثقات (٣).

و «محمد بن عمر» من رجال الصحاح الستة (٤).

عن «عمر بن علي» وهو من رجال الصحاح الستة أيضاً (٥).

فالسند صحيح قطعاً.

٦- رواية ابن عساكر

وقد أخرج الحافظ ابن عساكر هذا الخبر بإسناد له عن أمير المؤمنين عليه السلام،

(١) الجرح والتعديل ٨/ ١٢٤.

(٢) كتاب الثقات ٨/ ٤٩٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٦/ ١٦.

(٤) تقريب التهذيب ٢/ ١٩٤.

(٥) تقريب التهذيب ٢/ ٦٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٧٩

وهذه تراجم رجاله:

«أبو علي الحداد» وهو: الحسن بن أحمد بن الحسن الإصفهاني. قال السمعاني:

«كان عالماً ثقة صدوقاً من أهل العلم والقرآن والدين، سمع من أبي نعيم تواليفه» ووصفه الذهبي: ب «الشيخ الإمام، المقرئ المجود، المحدث المعمر، مسند العصر» وتوفي سنة ٥١٥ هـ (١).

«أبو نعيم الحافظ» وهو الحافظ أبو نعيم الإصفهاني، المشهور المعروف، ولا حاجة إلى توثيقه.

«سليمان بن أحمد» وهو الطبراني، الحافظ الشهير، ولا حاجة إلى توثيقه.

عن «عبدالرحمن بن سلم الرازي»

عن «محمد بن يحيى بن الضريس»

عن «عيسى بن عبدالله»

إلى آخر السند. وقد عرفتهم في رواية الحاكم.

والصحيح هو: «عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي» كما أشرنا، وهكذا جاء اسمه في تاريخ ابن عساكر، في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث روى عنه بإسناده حديث الطير، عن أبيه عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام «٢».

فوائد مهمّة ... ص: ٢٧٩

إشارة

وهنا فوائد ومطالب مهمّة لا بدّ من التنبيه عليها:

الاولى: استنباط الحكم الشرعي من القضية ... ص: ٢٧٩

قال الجصاص:

(١) سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٤٥/٤٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٨٠

«باب العمل اليسير في الصلوة. قال الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» ... روى عن مجاهد والسدي وأبي جعفر وعتبة بن أبي حكيم، أنها نزلت في علي ابن أبي طالب حين تصدّق بخاتمه وهو راکع ...

وقد اختلف في معنى قوله «وَهُمْ رَاكِعُونَ ...» فإن كان المراد فعل الصدقة في حال الركوع فإنه يدلّ على إباحة العمل اليسير في الصلاة ... فإن قال قائل: فالمراد أنهم يتصدّقون ويصلّون ولم يرد به فعل الصدقة في الصلاة. قيل له: هذا تأويل ساقط، من قبل أن قوله تعالى: «وَهُمْ رَاكِعُونَ» إخبار عن الحال التي تقع فيها الصدقة، كقولك:

تكلم فلان وهو قائم، وأعطى فلاناً وهو قاعد، إنّما هو إخبار عن حال الفعل ... فثبت أن المعنى ما ذكرناه من مدح الصدقة في حال الركوع أو في حال الصلاة.

وقوله تعالى: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» يدل على أن صدقة التطوع تسمّى زكاةً، لأنّ علياً تصدّق بخاتمه تطوعاً، وهو نظير قوله تعالى: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ» قد انتظم صدقة الفرض والنفل، فصار اسم الزكاة يتناول الفرض والنفل، كاسم الصدقة وكاسم الصلاة، ينتظم الأمرين «١».

وكذا في تفسير القرطبي - نقلًا عن الكيا الطبري «٢» وأشار إليه الزمخشري وأبو السعود وغيرهما.

قلت: وفيه فوائد:

١- ترتّب الأثر الفقهي، واستنباط الحكم الشرعي من هذه القضية.

٢- إنّ لفظ «الزكاة» يعم الفرض والنفل.

٣- إنّ «الواو» في «وَهُمْ رَاكِعُونَ» حالية.

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢/٦٢٥-٦٢٦.

(٢) تفسير القرطبي ٦/٢٢١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٨١

الثانية: رأى الإمام الباقر في نزول الآية ... ص: ٢٨١

ولقد ذكر بعضهم كالجصاص في عبارته المذكورة الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام في القائلين بنزولها في أمير المؤمنين عليه السلام، وبه يرد على ما نقله الدهلوى في (التحفة الإثنى عشرية) عن تفسير النقاش أنه عزا إلى الإمام قوله بأن المراد عموم المؤمنين، ف قيل له: الناس يقولون إنها نزلت في خصوص علي، فقال: علي من المؤمنين.

هذا، مضافاً إلى تكلم القوم في النقاش وتفسيره المسمى «شفاء الصدور»، فالبرقاني يقول: كل حديث النقاش منكر، وليس في تفسيره حديث صحيح، ووهاه الدارقطني، واللالكائي يقول: تفسير النقاش إشفى الصدور لا شفاء الصدور، والخطيب يقول: في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة، وطلحة بن محمد الشاهد يقول: كان النقاش يكذب في الحديث، والذهبي يقول: قلبى لا يسكن إليه وهو عندى متهم (١).

الثالثة: الخبر في شعر حسان وغيره ... ص: ٢٨١

ذكر الحاكم الحسكاني أن الصحابي حسان بن ثابت نظم هذه المنقبة في شعر له، فأورده، ثم أورد شعراً آخر قيل أيضاً في هذه القضية، وهناك أشعار أخرى لشعراء كبار من المتقدمين والمتأخرين، مذكورة في الكتب المطولة، فلترجع.

الرابعة: قول النبي في الواقعة: من كنت مولاه فعلى مولاه ... ص: ٢٨١

جاء في رواية الطبراني في الأوسط، ورواية جماعة آخرين كما في الدر المنثور: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بعد نزول آية الولاية في قضيته تصدق الإمام: من كنت مولاه فعلى مولاه، وقوله هذا مما يؤكد دلالة الآية على الإمامة. وهذا المورد أحد موارد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه ... وإن كان المشهور من بينها يوم غدیر خم.

(١) لاحظ الكلمات في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٣، لسان الميزان ٥/ ١٣٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٨٢

الخامسة: دعاء النبي بعد القضية ... ص: ٢٨٢

وفي الدر المنثور عن جماعة من الحفاظ: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بعد نزول الآية: «الحمد لله الذى أتم لعلى نعمه وهياً لعلى بفضل الله إياه».

السادسة: إن الخاتم كان عقيقاً يمانياً أحمر ... ص: ٢٨٢

وجاء في رواية للحاكم الحسكاني: أن الخاتم الذى أعطاه الإمام للمسكين كان عقيقاً يمانياً أحمر يلبسه في الصلاة في يمينه.

الفصل الثانى: فى دلالة الآية على الإمامة ... ص: ٢٨٢

وقد استدلل أصحابنا بهذه الآية المباركة - بالنظر إلى الأحاديث المعتمدة والمتفق عليها، الصريحة في نزولها في أمير المؤمنين عليه

السلام لما تصدّق بخاتمته وهو راعٍ - منذ قديم الأيام، نذكر هنا كلمات بعضهم:

* قال الشريف المرتضى: «ويدلّ على ذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ»...

وقد ثبت أنّ لفظه «وليكم» في الآية تفيد من كان أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم. وثبت أيضاً أنّ المشار إليه في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أمير المؤمنين. وفي ثبوت ذلك وضوح النص عليه بالإمامة» (١).

* قال شيخ الطائفة: «وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدلّ عليها قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

ووجه الدلالة من الآية هو: إنّ ثبت أنّ المراد بلفظه «وليكم» المذكورة في الآية:

(١) الذخيرة في علم الكلام: ٤٣٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٨٣

من كان متحققاً بتدبيركم والقيام بأموركم وتجب طاعته عليكم، وثبت أنّ المعنى ب «الذين آمنوا» أمير المؤمنين عليه السلام. وفي ثبوت هذين الوصفين دلالة على كونه عليه السلام إماماً لنا» (١).

* وقال الشيخ نصير الدين الطوسي: «ولقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ»... وإِنَّمَا اجتمعت الأوصاف في علي عليه السلام».

* فقال العلامة الحلّي بشرح هذا الكلام ما نصّه:

أقول: هذا دليل آخر على إمامة علي عليه السلام وهو قوله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» والاستدلال بهذه الآية يتوقف على مقدمات (إحداها) إنّ لفظه «إِنَّمَا» للحصر، ويدلّ عليه المنقول والمعقول، أمّا المنقول فلا إجماع أهل العربية عليه، وأمّا المعقول، فلا أنّ لفظه «إِن» للإثبات وما للنفي قبل التركيب، فيكون كذلك بعد التركيب عملاً بالإستصحاب، وللإجماع على هذه الدلالة، ولا يصحّ تواردهما على معنى واحد، ولا صرف الإثبات إلى غير المذكور والنفي إلى المذكور، للإجماع، فبقى العكس، وهو صرف الإثبات إلى المذكور والنفي إلى غيره، وهو معنى الحصر (الثانية) إنّ «الولي» يفيد «الأولى بالتصرف» والدليل عليه نقل أهل اللغة واستعمالهم، كقولهم: السلطان ولي من لا ولي له، وكقولهم: ولي الدم وولي الميت، وكقوله عليه السلام: أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل (الثالثة) إنّ المراد بذلك بعض المؤمنين، لأنّه تعالى وصفهم بوصف مختص ببعضهم، ولأنّه لولا ذلك لزم اتحاد الولي والمولى عليه.

وإذا تمهّدت هذه المقدمات، فنقول: المراد بهذه الآيات هو علي، للإجماع الحاصل على أنّ من خصص بها بعض المؤمنين قال: إنّّه علي عليه السلام، فصرّفها إلى

(١) تلخيص الشافعي ١٠ / ٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٨٤

غيره خرق للإجماع، ولأنّه عليه السلام إمّا كلّ المراد أو بعضه، للإجماع، وقد بينا عدم العموميّة، فيكون هو كلّ المراد، ولأنّ المفسّرين اتّفقوا على أنّ المراد بهذه الآية علي عليه السلام، لأنّه لما تصدّق بخاتمته حال ركوعه نزلت هذه الآية فيه، ولا خلاف في ذلك» (١).

* وقال العلامة الحلّي أيضاً: «أما القرآن فأيات: الاولى «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ»...

أجمعوا على نزولها في علي عليه السلام، وهو مذكور في الجمع بين الصحاح الستّة، لما تصدّق بخاتمته على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة. والولي هو المتصرّف. وقد أثبت الله الولاية لذاته وشرك معه الرسول وأمير المؤمنين، وولاية الله تعالى عامّة،

فكذا النبي والولي «٢».

أقول:

إن الاستدلال يتضح ببيان مفردات الآية المباركة، فنقول:

«إنما» دالة على الحصر كقوله تعالى: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ».

و «الولاية» هنا بمعنى «الألوية» كما في قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه» وكما في قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «على مني وأنا من على وهو وليكم بعدى» «٣».

«الذين آمنوا» المراد خصوص أمير المؤمنين عليه السلام، للأحاديث الصحيحة المتفق عليها.

«وهم راعون» هذه «الواو» حاليّة، و «راعون» بمعنى «الركوع» الذي هو من أفعال الصلاة، وذلك للأحاديث في أن أمير المؤمنين أعطى السائل خاتمه في حال الركوع.

وعلى الجملة، فإن العمدة في الاستدلال بالآية المباركة نزولها لدى الفريقين في

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٢٢٥.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق: ١٧٢.

(٣) راجع (حديث الغدير) و (حديث الولاية) من كتابنا الكبير (نفحات الازهار) الأجزاء (٨-٩) و (١٥-١٦).

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٨٥

قضية إعطاء أمير المؤمنين عليه السلام خاتمه للسائل في حال الركوع من صلاته، وأن «الولاية» في الآية هي «الألوية».

أمّا كون «الولاية» بالمعنى المذكور، فلأن سائر معاني الكلمة لا يجتمع شيء منها مع الحصر المدلول للفظ «إنما» وقد أوضحنا بالتفصيل معنى «الولاية» بمعنى «الألوية بالتصرف» - كتاباً وسنةً ولغةً وعرفاً - في كتابنا الكبير في بيان دلالة الحديثين المذكورين على الإمامة.

وأمّا كون المراد من الآية هو على عليه السلام، فللأحاديث، وقد اعترف غير واحد من الأعلام باتفاق المفسرين على ذلك، كما اعترف الآلوسى بأنه رأى غالب الأخباريين.

الفصل الثالث: في دفع شبهات المخالفين ... ص: ٢٨٥

إشارة

وحينئذ يأتي دور النظر في شبهات المخالفين، ولما كان هذا الاستدلال من أقوى أدلة أصحابنا على إمامة أمير المؤمنين، لكونه مستنداً إلى الكتاب والسنة الثابتة المقبولة لدى الفريقين، فقد بذلوا أقصى جهودهم للرد عليه.

وقد اشترك في الرد على هذا الاستدلال المعتزلة والأشاعرة، وإن ظهر لدى التحقيق أن الأصل في عمدة شبهاتهم في المقام هم المعتزلة، والأشاعرة عيال عليهم وتبع لهم.

* فلنورد أولاً ملخص كلام القاضي عبد الجبار المعتزلي في الاعتراض على الاستدلال بالآية، فإنه قال: «إعلم أن المتعلق بذلك لا يخلو من أن يتعلق بظاهره أو بأمور تقارنه، فإن تعلّق بظاهره فهو غير دال على ما ذكر، وإن تعلّق بقرينه فيجب أن يبينها، ولا قرينه من إجماع أو خبر مقطوع به. فإن قيل: ومن أين أن ظاهره لا يدل على ما ذكرناه؟ قيل له: إنه تعالى ذكر الجمع، فكيف يحمل على واحد معين؟ وقوله:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٨٦

«وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» لو ثبت أنه لم يحصل إلا لأمر المؤمنين، لم يوجب أنه المراد بقوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» ولأن صدر الكلام إذا كان عامياً لم يجب تخصيصه لأجل تخصيص الصفة. ومن أين أن المراد بقوله: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ما زعموه دون أن يكون المراد به أنهم يؤتون الزكاة وطريقتهم التواضع والخضوع. وليس من المدح إيتاء الزكاة مع الإشتغال بالصلاة، لأن الواجب في الراكع أن يصرف همهته وتيته إلى ما هو فيه ولا يشتغل بغيره. قال شيخنا أبو هاشم يجب أن يكون المراد بذلك: الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الواجبتين دون النفل ... والذي فعله أمير المؤمنين كان من النفل ...

فإن صحَّ أنه المختص بذلك، فمن أين أنه يختص بهذه الصفة في وقت معين ولا ذكر للأوقات فيه، وقد علمنا أنه لا يصح أن يكون إماماً مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يصح التعلق بظاهره، ومتى قيل: إنه إمام من بعد في بعض الأحوال، فقد زالوا عن الظاهر، وليسوا بذلك أولى ممن يقول: إنه إمام في الوقت الذي ثبت أنه إمام فيه.

هذا لو سلمنا أن المراد بالولي ما ذكره، فكيف وذلك غير ثابت، فلا بد من أن يكون محمولاً على تولي النصرة في باب الدين، وذلك مما لا يختص بالإمامة، ولذلك قال من بعد «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ».

وقد ذكر شيخنا أبو علي أنه قيل إنها نزلت في جماعة من أصحاب النبي ... والذين وصفهم في هذا الموضع بالركوع والخضوع هم الذين وصفهم من قبل بأنه يذل المرتدين بهم بقوله: «فَسَيُؤْفَقُ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» وأراد به طريقة التواضع «أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ»....

وقد روى أنها نزلت في عبادة بن الصّامت «... ١».

(١) المغني في الإمامة ج ٢٠ ق ١/١٣٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٨٧

أقول:

أولاً: هذا الكلام قد ردّ عليه بالتفصيل في كتاب (الشافى) و (الذخيرة) و (تلخيص الشافى).

وثانياً: لك أن تقارن بين هذا الكلام وبين كلمات المتأخرين عنه من الأشاعرة.

* فالفخر الرازى، إذا راجعت كلامه في (تفسيره) «١» وجدته عيلاً على القاضى المعتزلى، إذ كثر هذه الشبهات من غير أن يشير إلى أجوبة السيد المرتضى وغيره عليها!!

والقاضى العضد الإيجى أجاب قائلاً: «والجواب: أن المراد هو الناصر، وإلا دلّ على إمامته حال حياة الرسول، ولأن ما تكرر فيه صيغ الجمع كيف يحمل على الواحد، ولأن ذلك غير مناسب لما قبلها وما بعدها» «٢».

* والسيد التفتازانى أجاب: «ما قبل الآية شاهد صدق على أنه لولاية المحبة والنصرة دون التصرف والإمامة، ووصف المؤمنين بجوز أن يكون للمدح دون التخصيص، ولزيادة شرفهم واستحقاقهم «وَهُمْ رَاكِعُونَ» يحتمل العطف أو يخضعون، وظاهر الكلام ثبوت الولاية بالفعل وفي الحال، ولم يكن حينئذ ولاية التصرف والإمامة، وصرفه إلى المال لا يستقيم في الله ورسوله، وحمل صيغ الجمع على الواحد إنما يصحّ بدليل، وخفاء الاستدلال بالآية على الصحابة عموماً وعلى خصوصاً في غاية البعد» «٣».

* والآلوسى «٤»، انتحل كلام شاه عبدالعزيز الدهلوى صاحب (التحفة

(١) تفسير الرازى: ١١ / ٢٥.

(٢) شرح المواقف ٨ / ٣٦٠.

(٣) شرح المقاصد ٥ / ٢٦٩.

(٤) روح المعاني ٦ / ١٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٨٨

الإثني عشرية) بطوله، من غير أن يذكره أصلاً، بل عزا كلام الدهلوي إلى أهل السنة، قائلاً: وقد أجاب أهل السنة ... وسيأتي البحث مع الدهلوي إن شاء الله تعالى.

* وابن تيمية، وجد أن لا مناص ولا خلاص إلا بتكذيب أصل القضية، فقال:

«وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى: إن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة. وهذا كذب يجمع أهل العلم بالنقل» (١).

قال: «أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصّة المرويّة في ذلك من الكذب الموضوع» (٢).

قال: «جمهور الأمة لم تسمع هذا الخبر» (٣).

* وابن روزبهان، لم يكذب الخبر، وإنما ناقش في معنى «الولاية» فحملها على «النصرة» وتمسك بالسياق، وهذان وجهان من الوجوه المذكورة في كلام القاضي المعترلي.

* و عبدالعزيز الدهلوي - الذي انتحل كلامه الآلوسي في (تفسيره) وتبعه صاحب (مختصر التحفة الإثني عشرية) - أجاب عن الاستدلال أولاً: بالإجمال، وحاصله النقص بإمامة سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، قال: «إن هذا الدليل كما يدل على نفى إمامة الأئمة المتقدمين كما قرّر، يدل كذلك على سلب الإمامة عن المتأخرين بذلك التقرير بعينه، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأظهر لم يكونوا أئمة، فلو كان استدلال الشيعة هذا يصح لفسد تمسكهم بهذا الدليل، إذ لا يخفى أن حاصل هذا الاستدلال بما يفيد في مقابلة أهل السنة مبنى على كلمة الحصر، والحصر كما يضر أهل السنة يكون مضرّاً للشيعة أيضاً، فإن أجابوا عن النقص بأن المراد حصر الولاية في

(١) منهاج السنة ٢ / ٣٠.

(٢) منهاج السنة ٧ / ١١.

(٣) منهاج السنة ٧ / ١٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٨٩

الأمير كرم الله وجهه في بعض الأوقات، أعنى وقت إمامته لا وقت إمامة السبطين ومن بعدهم رضى الله تعالى عنهم. قلنا: فمرجاً بالوفاق.

وأجاب عن الاستدلال ثانياً بالتفصيل، وهو في وجوه:

الأول: إننا لا نسلّم الإجماع على نزول الآية في الأمير، فروى أبو بكر النقاش صاحب التفسير المشهور عن محمد الباقر رضى الله تعالى عنه أنها نزلت في المهاجرين والأنصار، ف قيل: قد بلغنا - أو: يقول الناس - أنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه، فقال: هو منهم، وروى جمع من المفسرين عن عكرمة أنها نزلت في شأن أبي بكر.

وأما نزولها في حق علي ورواية قصة السائل وتصدّقه عليه في حال الركوع فإنما هو للثعلبي فقط، وهو متفرد به، ولا يعدّ المحدثون من أهل السنة روايات الثعلبي قدر شعيرة ولقبوه ب «حاطب ليل» فإنه لا يميّز بين الرطب واليابس، وأكثر رواياته في التفسير عن الكلبي (١) عن أبي صالح، وهي أوهى ما يروى في التفسير عندهم. وقال القاضي شمس الدين ابن خلكان في حال الكلبي إنه كان من أتباع

عبدالله بن سبأ ... وينتهي بعض روايات الثعلبي إلى محمد بن مروان السدي الصغير، وهو كان رافضياً غالباً...
والثاني: إننا لا نسلم أن المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيها تصرفاً عاماً، بل المراد به الناصر، وهو مقتضى السياق.
والثالث: إنه لو سلم أن المراد ما ذكره، فلفظ الجمع عام أو مساوٍ له، كما ذكره المرتضى في الذريعة وابن المطهر في النهاية، والعبرة لعموم اللفظ لا- لخصوص السبب، وليست الآية نصاً في كون التصديق واقعاً في حال ركوع الصلاة، لجواز أن يكون الركوع بمعنى التخشع والتذلل، لا- بالمعنى المعروف في عرف أهل الشرع، وليس حمل الركوع في الآية على غير معناه الشرعي بأبعد من حمل الزكاة المقرونة

(١) تصحّف «الكلبي» إلى «الكليني» في مختصر التحفة الإثني عشرية.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٠

بالصلاة على مثل ذلك التصديق، وهو لازم على مدعى الإمامية قطعاً.

وأجاب الشيخ إبراهيم الكردي قدس سره عن أصل الاستدلال، بأن الدليل قام في غير محل النزاع، وهو كون على كرم الله تعالى وجهه إماماً بعد رسول الله من غير فصل، لأن ولاية الذين آمنوا على زعم الإمامية غير مرادة في زمان الخطاب، لأن ذلك عهد النبوة والإمامة نيابة، فلا- تتصور إلا بعد انتقال النبي، وإذا لم يكن زمان الخطاب مراداً تعين أن يكون المراد الزمان المتأخر عن زن الانتقال، ولا حد للتأخير، فليكن ذلك بالنسبة إلى الأمير بعد مضي زمان الأئمة الثلاثة، فلم يحصل مدعى الإمامية.
(قال): ولو تنزلنا عن هذه كلها قلنا: إن هذه الآية معارضة بالآيات الناصّة على خلافة الخلفاء الثلاثة «١».

النظر في هذه الكلمات ودفع الشبهات ... ص: ٢٩٠

إشارة

أقول:

إن أهم هذه الشبهات المتخذة في الأغلب من المعتزلة- كما يظهر بالمقارنة- ما يلي:

١- لا إجماع على نزول الآية في علي وتصدّقه ... ص: ٢٩٠

إدّعاء القاضي المعتزلي وتبعه جمع من الأشاعرة كالرازي، بل زعم أن أكثر المفسرين زعموا أنه في حقّ الأئمة «٢».
والجواب: إن الإمامية إنما يستدلون بإجماع المفسرين من أهل السنّة، على نزول الآية المباركة في قضية أمير المؤمنين عليه السلام، اعتماداً على إقرار غير واحد من أكابر القوم بذلك:

(١) التحفة الإثنا عشرية: ١٩٨، وانظر مختصر التحفة الإثني عشرية: ١٥٧ وقارن بتفسير آلوسی: روح المعاني ١٦٧/٦ - ١٦٩.

(٢) تفسير الرازي ٢٥/١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩١

اعتراف القاضي العضد

فمنهم: القاضي عضد الدين الإيجي «١»، المتوفى سنة ٧٥٦، في كتابه المشهور:

المواقف في علم الكلام «٢»، فقد قال في معرض الاستدلال بالآية:

«وأجمع أئمة التفسير أن المراد علي» «٣».

اعتراف الشريف الجرجاني

ومنهم: الشريف الجرجاني (٤)، المتوفى سنة ٨١٦، فقد قال بشرح المواقف (٥):

(١) وصفوه بتراجمه بأوصاف ضخمة: «قاضى قضاء الشرق» و «شيخ العلماء» و «شيخ الشافعية» قالوا: «كان إماماً في المعقولات، محققاً، مدققاً، قائماً بالاصول والمعاني والعربية، مشاركاً في الفقه وغيره من الفنون (...)» أنجب تلاميذ اشتهروا في الآفاق.

الدرر الكامنة ٣/ ٢، ٣٢، البدر الطالع ١/ ٣٢٦، شذرات الذهب ٦/ ١٧٤، طبقات الشافعية - للأسنوى - ٢/ ١٧٩، بغية الوعاة: ٢٩٦.

(٢) قال في كشف الظنون ٢/ ١٨٩١: «المواقف في علم الكلام، وهو كتاب جليل القدر، رفيع الشأن، اعتنى به الفضلاء، فشرحه السيد الشريف، وشرحه شمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى» ... ثم ذكر الشروح والحواشى عليها ... قال: «وهي كثيرة جداً».

وقال الشوكاني - بترجمة الإيجي: «له: المواقف في علم الكلام ومقدماته، وهو كتاب يقصر عنه الوصف، لا يستغنى عنه من رام تحقيق الفن»

ولاحظ أيضاً كلمات الشريف الجرجاني في وصف المواقف في مقدمته شرحه.

(٣) المواقف في علم الكلام: ٤٠٥.

(٤) وصفوه ب: «عالم بلاد الشرق (...)» كان علامة دهره (...) صار إماماً في جميع العلوم العقلية وغيرها، متفرداً بها، مصنفًا في جميع أنواعها، متبحراً في دقيقتها وجليلها، وطار صيته في الآفاق، وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد، وهي مشهورة في كل فن، يحتج بها أكابر العلماء وينقلون منها، ويوردون ويصدرون عنها» فذكروا فيها شرح المواقف.

انظر: الضوء اللامع ٥/ ٣٢٨، البدر الطالع ١/ ٤٨٨، الفوائد البهية: ١٢٥، بغية الوعاة: ٣٥١، مفتاح السعادة ١/ ١٦٧، وغيرها.

(٥) انظر: كشف الظنون ٢/ ١٨٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٢

«وقد أجمع أئمة التفسير على أن المراد ب: «الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» إلى قوله تعالى: «وَهُمْ رَاكِعُونَ» على، فإنه كان في الصلاة راكعاً، فسأله سائل فأعطاه خاتمه، فنزلت الآية (١)».

اعتراف التفتازاني

ومنهم: سعد الدين التفتازاني (٢) المتوفى سنة ٧٩٣، فقد قال في شرح المقاصد (٣):

«نزلت باتفاق المفسرين في علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - حين أعطى السائل خاتمه وهو راکع في صلاته» (٤).

اعتراف القوشجي

ومنهم: القوشجي السمرقندي، وهو: علاء الدين علي بن محمد الحنفى، المتوفى سنة ٨٧٩.

قال قاضى القضاء الشوكاني بترجمته:

«على بن محمد القوشجي. بفتح القاف وسكون الواو وفتح الشين المعجمة

(١) شرح المواقف في علم الكلام ٨/ ٣٦٠.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «الإمام العلامة، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصليين والمنطق وغيرها، أخذ عن القطب والعضد، وتقدم في الفنون، واشتهر ذكره وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه، وكان في لسانه لکنه، وانتهت إليه معرفة العلم بالمشرق» الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠. وكذا قال السيوطى وابن المعاد والشوكاني وأضاف: «وبالجملة، فصاحب الترجمة متفرد بعلمه في القرن الثامن، لم يكن له في أهله نظير فيها، وله من الحظ والشهرة والصيت في أهل عصره فمن بعدهم ما لا يلحق به غيره، ومصنفاته قد طارت في

حياته إلى جميع البلدان، وتنافس الناس في تحصيلها»... البدر الطالع ٣٠٣/٢، بغية الوعاة: ٣٩١، شذرات الذهب ٣١٩/٦.

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون ١٧٨٠/٢ فقال: المقاصد في علم الكلام... وله عليه شرح جامع» ثم ذكر بعض الحواشي عليه.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام ١٧٠/٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٩٣

بعدها جيم وياء النسبة، ومعنى هذا اللفظ بالعربية: حافظ البازي، وكان أبوه من خدام ملك ما وراء النهر، يحفظ البازي. قرأ على علماء سمرقند ثم رحل إلى الروم، وقرأ على القاضي زاده الرومي، ثم رحل إلى بلاد كرمان فقرأ على علمائها وسود هنالك شرحه للتجريد... ولما قدم قسطنطينية أول قدمه تلقاه علماؤها... وله تصانيف منها شرح التجريد الذي تقدّمت الإشارة إليه، وهو شرح عظيم سائر في الأقطار كثير الفوائد... وهو من مشاهير العلماء» (١).

وذكر شرحه على التجريد في كشف الظنون، حيث قال تحت عنوان تجريد الكلام:

«وهو كتاب مشهور، اعتنى عليه الفحول، وتكلموا فيه بالرد والقبول، له شروح كثيرة وحواش عليها» إلى أن قال: «ثم شرح المولى المحقق علاء الدين علي بن محمّد الشهير بقوشجي - المتوفى سنة ٨٧٩ - شرحاً لطيفاً ممزوجاً... وقد اشتهر هذا الشرح بالشرح الجديد»، ثم ذكر كلامه في ديباجته، ثم قال: «وإنما أوردته ليعلم قدر المتن والماتن، وفضل الشرح والشارح»، ثم ذكر الحواشي على هذا الشرح الجديد، بما يطول ذكره، فراجع (٢).

وهذه عبارة القوشجي في نزول الآية المباركة: وبيان دلالتها على الإمامة لأمر المؤمنين:

«بيان ذلك: إنها نزلت باتفاق المفسرين في حقّ علي بن أبي طالب حين أعطى السائل خاتمه وهو راعٍ في صلاته»... ثم إنّه - وإن حاول المناقشة في الاستدلال - لم ينكر اتفاق المفسرين على نزولها في الإمام عليه السلام، فراجع (٣).

(١) البدر الطالع ١/ ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٢) كشف الظنون ١/ ٣٤٨ - ٣٥٠.

(٣) شرح تجريد الاعتقاد: ٣٦٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٢٩٤

هذا، ومن ناحية أخرى، فقد نصّ الشهاب الآلوسي على أن هذا القول «عليه غالب الأخباريين» (١).

فإذا كان هذا القول «عليه إجماع المفسرين» و «غالب الأخباريين» - بغض النظر عن صحّة غير واحد من أسانيد الخبر، حتّى أن مثل ابن كثير قد اعترف بقوة بعض وسكت عن القدر في بعض ما أورد منها - فأى وقع لإنكار مثل الدهلوي الهندي؟! فضلاً عن تكذيب مثل ابن تيمية لأصل الأخير، ودعوى أن جمهور الأئمة لم تسمع هذا الخبر؟! وأنه أجمع أهل العلم بالحديث على أن القصّة المروية في ذلك من الكذب الموضوع.

وبهذا يظهر سقوط التمسك بمخالفة مثل عكرمة الخارجي - على فرض صحّة النسبة - مع ما سيأتى في ترجمة هذا الرجل في آية المباهلة.

وأيضاً: لا قيمة لنقل مثل النقاش، مضافاً إلى تكلمهم فيه وفي تفسيره، كما لا يخفى على المطلع الخبير!!

٢- إن القول بنزولها في حق علي للعلبي فقط وهو متفرد به... ص: ٢٩٤

والجواب: إن هذا لا يصدر إلّا من متعصب شقى أو جاهل غبى، وهو عبدالعزيز الدهلوي، الملقّب عندهم ب «علامة الهند»!! فإن لهذا الرجل في هذا المقطع من كلامه كذبات، منها:

- ١- إنَّ هذا القول الثعلبي فقط وهو متفرد به. فإنَّ الثعلبي وفاته سنة (٤٢٧) وقد روى الخبر قبله عدد كبير من الأئمة، ذكرنا أسمائهم في الفصل الأوَّل، بل عليه إجماع المفسرين كما عرفت.
- ٢- إنَّ المحدثين يلقَّبونه بحاطب ليل. فإنَّ المحدثين لا يلقَّبونه بهذا اللقب، بل الذي لقَّبه هو ابن تيمية في منهاج السنة، كلَّما أراد إنكار فضائل علي وأهل البيت عليهم السلام.

(١) روح المعاني ١٦٨ / ٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٥

٣- أكثر روايات الثعلبي في التفسير عن الكلبي عن أبي صالح، وهي أوهى ما يروى في التفسير عندهم. فقد حقَّقنا في بعض بحوثنا أنَّ روايات الكلبي في التفسير مخرَّجة في غير واحدٍ من الصِّحاح، وأنَّ رواياتهم عن الكلبي عن أبي صالح موجودة بكثرة في الكتب المعروفة المشتهرة، وليست أوهى ما يروى في التفسير عند جمهور علمائهم.

وبعد، فإنَّ رواية الثعلبي نزول الآية المباركة في حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام المتقدمة في الفصل الأوَّل، ليست لا عن الكلبي عن أبي صالح، ولا عن السدي الكبير أو الصَّغير!!

هذا، وأمَّا وجود الرُّطب واليابس في تفسير الثعلبي فأمر ثابت، وكذلك سائر تفاسير القوم وأسفارهم الحديثية، حتَّى الملقَّبة عندهم بالصَّحاح...

وهذه جملة من مصادر ترجمة الثعلبي والثناء عليه، أذكرها لتراجع: وفيات الأعيان ١ / ٧٩، معجم الادباء ٥ / ٣٦، تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٩٠، المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٦٠، الوافي بالوفيات ٧ / ٣٠٧، مرآة الجنان ٣ / ٤٦، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ / ٥٨، البداية والنهاية ١٢ / ٤٠، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٨٣، طبقات المفسرين ١ / ٦٥.

وأكتفى بنقل كلام القاضي ابن خلِّكان، فإنَّه قال: «كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنَّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، وله كتاب العرائس... وقال أبو القاسم القشيري: رأيت ربَّ العزة عزَّ وجلَّ في المنام وهو يخاطبني وإخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الرب تعالى اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل. وذكره عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، توفي سنة ٤٢٧. وقال غيره: سنة ٤٣٧» (١).

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٦

فهذه ترجمته عند القاضي ابن خلِّكان، ولا تجد فيها إلَّا الممدح والثناء، وحتَّى من الله جلَّ جلاله!

٣- المراد من الولاية فيها هو النصرة بقرينة السياق ... ص: ٢٩٦

ادَّعاه القاضي المعتزلي وتبعه من الأشاعرة ابن روزبهان والرازي وغيرهما.

والجواب: إنَّه قد أقمنا الأدلَّة المتقنة والبراهين الصادقة على أنَّ لفظه «وليكم» في حديث: «علي مَنِّي وأنا من علي وهو وليكم من بعدى» الذي هو من أصحِّ الأخبار وأثبتها، هي بمعنى «الأولى بكم»، فكذلك هذه اللفظة في الآية المباركة، بل ذلك هنا أوضح وأولى، لعطف «الولي» و«النبي» على ذات الباري تعالى، ومن المعلوم أنَّ الولاية الثابتة له عزَّ وجلَّ هي الولاية العامة المطلقة.

وأما السِّياق، فإنَّه لا يقاوم النصَّ، على ما تقرَّر عند العلماء المحقِّقين، فاستدلال بعضهم كالنصر الرازي به مردود هذا أولًا.

وثانيًا: إنَّه قد فصل بين الآية والآية التي يزعمون وحدة السياق معها آيات أخرى، فلا سياق أصلًا، فراجع.

٤- مجيء الآية بصيغة الجمع، وحملها على الواحد مجاز ... ص: ٢٩٦

ذكره القاضي عبد الجبار وتبعه غيره كالرازي وأضاف: إنه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين في هذه الآية بصيغة الجمع في سبعة مواضع: «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم لكنه مجاز لا حقيقة، والأصل حمل الكلام على الحقيقة.

(١) وفيات الأعيان ١/ ٦١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٧

والجواب: إن مقتضى النص الصحيح، القائم عليه الإجماع من المفسرين وغيرهم، وهو المتفق عليه بين الطرفين، هو حمل الصيغة هذه على الواحد المعين، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن لا بد لإتيان الآية بصيغة الجمع من نكتة.

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه - واللفظ لفظ جماعة؟

قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل نواله، وليتبه على أن سجيته المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها» (١).

واختار بعض المفسرين من أصحابنا كالطبرسي صاحب (مجمع البيان في تفسير القرآن) (٢) أن النكتة هي التعظيم، وهو ما أشار إليه الرازي في كلامه المذكور.

والسيد شرف الدين العاملي ذهب إلى أن النكتة هي أنه لو جاءت الآية بلفظ المفرد، فإن شائئ على أهل البيت وسائر المنافقين لا يطبقون أن يسمعوها كذلك، وإذ لا يمكنهم حينئذ التمويه والتضليل، فيؤدى ذلك إلى التلاعب بألفاظ القرآن وتحريف كلماته أو نحو ذلك مما يخشى عواقبه على الإسلام (٣).

هذا، وقد ذكر صاحب الغدير طاب ثراه طائفة من الآيات الواردة بصيغة الجمع والمقصود بها الآحاد، استناداً إلى تفاسير القوم وأحاديثهم، فراجع (٤).

٥- الولاية بمعنى الأولوية بالتصرف غير مرادة في زمان الخطاب ... ص: ٢٩٧

وهذا ما ذكره القاضي المعزلي، وأخذه غير واحد من الأشاعرة، كالدهلوي

(١) الكشف ١/ ٦٤٩.

(٢) مجمع البيان ٣/ ٢١١.

(٣) المراجعات: ٢٦٣.

(٤) الغدير ٦/ ٢٣١ - ٢٣٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٨

والألوسي والتفتازاني، فليكن المراد بعد عثمان.

وقد أجاب عنه السيد المرتضى وغيره من أعلام الطائفة. قال شيخ الطائفة: «إننا قد بينا أن المراد بلفظ «ولي» فرض الطاعة والاستحقاق للتصرف بالأمر والنهي، وهذا ثابت له في الحال، وإذا كان المراد به الحال، فليس بمقصود عليها، وإنما يقتضى الحال وما بعدها من سائر الأحوال، وإذا كان الأمر على ذلك فنحن فخر نخرج حال حياة النبي بدلالة الإجماع، وتبقى سائر الأحوال على موجب الآية،

وليس هناك دليل يخرج أيضاً ما بعد النبي عليه وآله الصلاة والسلام ويردّه إلى ما بعد عثمان. ولأنّ كلّ من أثبت بهذه الآية الإمامة أثبت بها بعد وفاة النبي بلا فصل، ولم يقل في الامة أحد إنّ المراد بالآية الإمامة وأثبتها بعد عثمان» (١).

٦- إن التصدّق في أثناء الصلاة ينافي الصلاة ... ص: ٢٩٨

وهذا أيضاً ذكره القاضي المعترلي وتبعه عليه القوم.

إلا أنّ الآلوسي أجاب عن هذه الشبهة بقوله: «بلغني أنّه قيل لابن الجوزي: كيف تصدّق على بالخاتم وهو في الصلاة ... فأنشأ يقول:

يسقى ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الناس

أطاعه سكره حتّى تمكّن من فعل الصّحاة فهذا واحد الناس» (٢).

وقد سبق إلى الإستشهاد بالبيتين: السيّد الشهيد التستري في (إحقاق الحق) (٣) ونسبهما إلى بعض الأصحاب. والله العالم.

ثمّ إنّ لو كان مجرّد التصدّق في أثناء الصلاة منافياً لها، فكيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يحمل امامة على عاتقه في الصلاة، وكلّما سجد وضعها على

(١) تلخيص الشافي ٢/ ٤٤-٤٥.

(٢) روح المعاني ٦/ ١٦٩.

(٣) إحقاق الحق وإزهاق الباطل ٢/ ٤١٤ مع اختلاف قليل في اللفظ.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٢٩٩

الأرض فإذا قام وضعها مرّة أخرى على عاتقه وهكذا إلى أن يفرغ من صلاته كما في صحاح القوم؟ وأيضاً: فإنّ النّبي صلّى الله عليه وآله كان في أثناء الصّلاة يسمع صوت من أراد الإلتحاق به ويتنظر حتى يركع، كما في الصّحاح؟ وهكذا غير ما ذكر من الموارد، فيظهر عدم منافاة هذه الامور لا سيّما ما كان منها عبادة للصّلاة.

أقول:

تلك هي عمدة شبهاتهم في المقام، والعمدة في الجواب عنها هو النصّ الصحيح المقبول بين الطرفين، فلا مجال بعده لتلك الشبهات، ولا- لغيرها، من قبيل احتمال حمل «الواو» في «وَهُمْ رَاكِعُونَ» على العطف، أو احتمال حمل «الركوع» على «الخشوع» أو دعوى أن «الركعة» إنّما تقال للركاة الواجبة، والذي فعله أمير المؤمنين كان نفلاً، أو دعوى أن لازم الإستدلال بالآية عن طريق إفادتها الحصر على بطلان إمامة من تقدّمه، هو بطلان إمامة الأئمة من ولده، فإنّها جهل أو تجاهل من مدّعياها، لأنّه لا يقول بإمامة أئمة العترة على كلّ تقدير، أمّا الإماميّة، فإنّهم يطلون إمامة من تقدّم على أمير المؤمنين بهذه الآية، ولهم أدلّتهم على إمامة سائر الأئمة من الكتاب والسنة وغيرهما، على أنّ البحث هو بين إمامة على وإمامة أبي بكر، وإمامة الأئمة بعد على فرع على إمامته، كما أنّ إمامة عمر وعثمان ومعاوية ويزيد ... تتفرّع على إمامة أبي بكر، فإذا ثبتت إمامة على من الآية، ثبتت الإمامة في ولده، وبطلت إمامة أبي بكر وكلّ إمامة متفرّعة على إمامته.

والحقيقة- كما ذكرنا من قبل- إنّ هذه الآية ونزولها في هذه القضية، من أقوى الأدلّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا فقد اضطرب القوم تجاهها، واختلفت كلماتهم في ردّ الإستدلال بها، وبذلوا أقصى جهودهم في الجواب، ولكنهم لم يفلحوا فازدادوا بعداً عن نهج الحق وطريق الصواب، فلا الآية يمكن تكذيبها، ولا الحديث الوارد في تفسيرها ... والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله عليه سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٠٠

البرهان الثاني ... ص: ٣٠٠

إشارة

قال قدس سره: «البرهان الثاني: قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

اتفقوا على نزولها في علي عليه السلام.

روى أبو نعيم الحافظ من الجمهور، بإسناده عن عطية، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله في علي (بن أبي طالب عليه السلام).

ومن تفسير الثعلبي، قال: معناه بَلِّغْ ما انزل إليك من ربك في فضل علي؛ فلما نزلت هذه الآية، أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي، وقال: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه.

والنبي صلى الله عليه وآله مولى أبي بكر وعمر وباقي الصحابة بالإجماع، فيكون علي عليه السلام مولاهم، فيكون هو الإمام. ومن تفسير الثعلبي، قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم، نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي عليه السلام، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهرري، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته، حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، وأتى النبي صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه، فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نزكي أموالنا فقبلناه منك، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك فضلتنا علينا وقلت: «مَنْ كُنْتُ مولاه فعلي مولاه»؛ فهذا شيء منك أم من الله؟

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠١

فقال: والذي لا إله إلا هو إنه من أمر الله؛ فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمداً حقاً فأمطوا علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ».

وقد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور في تفسيره.

الشرح:

قال ابن تيمية: والجواب من وجوه:

أحدها: إن هذا أعظم كذباً وفريئة من الأول كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

وقوله: اتفقوا على نزولها في علي. أعظم كذباً مما قاله في تلك الآية، فلم يقل لا هذا ولا ذاك أحد من العلماء الذين يدرون ما يقولون.

وأما ما يرويه أبو نعيم في «الحلية» أو في «فضائل الخلفاء» والنقاش والثعلبي والواحدى ونحوهم في التفسير، فقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيراً من الكذب الموضوع، واتفقوا على أن هذا الحديث المذكور الذي رواه الثعلبي في تفسيره هو من الموضوع، وسنبين أدلة يعرف بها أنه موضوع، وليس [الثعلبي] من أهل العلم بالحديث.

ولكن المقصود هنا أننا نذكر قاعدة فنقول: المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى

أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب ونحو غير العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك، فكل علم رجال يعرفون به... والرافضة أقل معرفة وعناية بهذا، إذ كانوا لا ينظرون في الإسناد ولا في سائر الأدلة

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٠٢

الشرعية والعقلية: هل توافق ذلك أو تخالفه؟ ولهذا لا يوجد لهم أسانيد متصلة صحيحة قط، بل كل إسناد متصل لهم، فلا بد أن يكون فيه من هو معروف بالكذب أو كثرة الغلط.

وهم في ذلك شبه باليهود والنصارى، فإنه ليس لهم إسناد. والإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة. والرافضة من أقل الناس عناية إذ كانوا لا يصدقون إلّا بما يوافق أهواهم، وعلامة كذبه أنه يخالف هواهم. ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلّا ما لهم.

ثم إن أولهم كانوا كثيرون الكذب، فانتقلت أحاديثهم إلى قوم لا يعرفون الصحيح من السقيم، فلم يمكنهم التمييز إلا بالتصديق الجميع أو تكذيب الجميع، والاستدلال على ذلك بدليل مفصل غير الإسناد.

فيقال: ما يرويه مثل أبي نعيم والثعلبي والنقاش وغيرهم: أتقبلونه مطلقاً؟ أم تردّونه مطلقاً؟ أم تقبلونه إذا كان لكم [لا عليكم]، وتردّونه إذا كان عليكم؟ فإن تقبلوه مطلقاً، ففي ذلك أحاديث كثيرة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان تناقض قولكم. وقد روى أبو نعيم في أول «الحلية» في فضائل الصحابة، وفي كتاب مناقب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أحاديث بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة، بل منكّرة. وكان رجلاً عالمًا بالحديث فيما ينقله، لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب، لا يعرف أنه روى كالمفسّر الذي ينقل أقوال الناس في التفسير، والفقيه الذي يذكر الأقوال في الفقه، والمصنّف الذي يذكر حجج الناس، ليذكر ما ذكره، وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد صحته، بل يعتقد ضعفه، لأنه يقول: أنا نقلت ما ذكر غيري، فالعهد على القائل لا على الناقل.

وهكذا كثير ممن صنّف في فضائل العبادات، وفضائل الأوقات، وغير ذلك:

يذكرون أحاديث كثيرة وهي ضعيفة، بل موضوعة، باتفاق أهل العلم، كما يذكرون [أحاديث] في فضل صوم رجل كلها ضعيفة، بل موضوعة، عند أهل العلم. ويذكرون

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٠٣

صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة منه، وألفيه نصف شعبان، وكما يذكرون في فضائل عاشوراء ما ورد من التوسعة على العيال، وفضائل المصافحة والحناء والخضاب والاعتسال ونحو ذلك، ويذكرون فيها صلاة.

وكلّ هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يصح في عاشوراء إلا فضل صيامه. قال حرب الكرمانى: قلت لأحمد بن حنبل: الحديث الذي يروى: من وسّع على عياله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته؟ فقال: لا أصل له.

وقد صنّف في فضائل الصحابة، على وغيره، غير واحد، مثل خيثمة بن سليمان الأطرابلسي وغيره، وهذا قبل أبي نعيم، يروى عنه إجازة. وهذا وأمثاله جروا على العادة المعروفة لأمثالهم ممن يصنف في الأبواب، أنه يروى ما سمعه في هذا الباب.

وهكذا المصنّفون في التواريخ، مثل «تاريخ دمشق» لابن عساكر وغيره، إذا ذكر ترجمة واحد من الخلفاء الأربعة، أو غيره، يذكر كلّ ما رواه في ذلك الباب، فيذكر لعلّ ومعاوية من الأحاديث المروية في فضلها ما يعرف أهل العلم بالحديث أنه كذب، ولكن لعلّ من الفضائل الثابتة في الصحيحين وغيرهما، ومعاوية ليس له بخصوصه فضيلة في الصحيح، لكن قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف وتبوك، وحج معه حجة الوداع، وكان يكتب الوحي، فهو ممن ائتمنه النبي صلى الله عليه وسلم على كتابة الوحي، كما ائتمن غيره من الصحابة.

فإن كان المخالف يقبل كلّ ما رواه هؤلاء وأمثالهم في كتبهم، فقد روى أشياء كثيرة تناقض مذهبهم. وإن كان يردّ الجميع، بطل

احتجابه بمجرد عزوه الحديث إليهم. وإن قال: أقبل ما يوافق مذهبي وأرد ما يخالفه، أمكن منازعه أن يقول له مثل هذا، [وكلاهما] باطل، لا يجوز أن يحتج على صحة مذهب بمثل هذا، فإنه يُقال: إن كنت إنما عرفت صحة هذا الحديث بدون المذهب، فاذكر ما يدل على صحته، وإن كنت إنما عرفت صحته لأنه يوافق المذهب، امتنع تصحيح الحديث بالمذهب، لأنه يكون شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠٤

حينئذ صحة المذهب موقوفة على صحة الحديث، وصحة الحديث موقوفة على صحة المذهب، فيلزم الدور الممتنع. وأيضاً، فالمذهب: إن كنت عرفت صحته بدون هذا الطريق، لم يلزم صحة هذا الطريق، فإن الإنسان قد يكذب على غيره قولاً، وإن كان ذلك القول حقاً، فكثير من الناس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً هو حق في نفسه، لكن لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يلزم من كون الشيء صدقاً في نفسه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله، وإن كنت إنما عرفت صحته بهذا الطريق، امتنع أن تعرف صحة الطريق بصحته، لإفضائه إلى الدور.

فتبت أنه على التقديرين، لا يعلم صحة هذا الحديث لموافقته للمذهب، سواء كان المذهب معلوم الصحة، أو غير معلوم الصحة. وأيضاً، فكل من له أدنى علم وإنصاف يعلم أن المنقولات فيها صدق وكذب، وأن الناس كذبوا في المثالب والمناقب، كما كذبوا في غير ذلك، وكذبوا فيما يوافقه ويخالفه.

ونحن نعلم أنهم كذبوا في كثير مما روه في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، كما كذبوا في كثير مما روه في فضائل علي، وليس في أهل الأهواء أكثر كذا من الرافضة، بخلاف غيرهم، فإن الخوارج لا يكادون يكذبون، بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم. وأما أهل العلم والدين، فلا يصدقون بالنقل ويكذبون [به] بمجرد موافقة ما يعتقدون، بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأمثه وأصحابه، فيردونها لعلمهم بأنها كذب، ويقبلون أحاديث كثيرة لصحتها، وإن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه، إما لإعتقادهم أنها منسوخة، أو لها تفسير لا يخالفونه، ونحو ذلك.

فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل وعلمائه، ومن يشركهم في علمهم علم ما يعلمون، وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل منفصل عن الرواية، فلا بد من

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠٥

هذا وهذا. وإلا فمجرد قول القائل: «رواه فلان» لا يحتج به: لا أهل السنة ولا الشيعة، وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف، فكل حديث يحتج به نطالبه من أول مقام بصحته.

ومجرد عزوه إلى رواية الثعلبي ونحوه ليس دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم بالنقل. ولهذا لم يروه أحد من علماء الحديث في شيء من كتبهم التي ترجع الناس إليها في الحديث، لا [في] الصحاح ولا السنن ولا المسانيد ولا غير ذلك، لأن كذب مثل هذا لا يخفى على من له أدنى معرفة بالحديث.

وإنما هذا عند أهل العلم بمنزلة ظن من يظن من العامة - وبعض من يدخل في غمار الفقهاء - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على أحد المذاهب الأربعة، وأن أبا حنيفة ونحوه كانوا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، أو كما يظن طائفة من التركمان أن حمزة له مغاز عظيمة وينقلونها بينهم، والعلماء متفقون على أنه لم يشهد إلا بداراً وأحداً وقتل يوم أحد، ومثل ما يظن كثير من الناس أن في مقابل دمشق من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة وغيرها، ومن أصحابه أبي بن كعب، وأويس القرني وغيرهما.

وأهل العلم يعلمون أن أحداً من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لم يقدم دمشق، ولكن كان في الشام أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري، وكان أهل الشام يسمونها أم سلمة، فظن الجهال أنها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. وأبي بن كعب مات بالمدينة. وأويس تابعي لم يقدم الشام.

ومثل ما يظن من الجهال أن قبر علي بباطن النجف. وأهل العلم - بالكوفة وغيرها - يعلمون بطلان هذا، ويعلمون أن علياً ومعاوية

وعمر بن العاص كل منهم دفن في قصر الإمارة ببلده، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوه؛ فإنهم كانوا قد تحالفوا على قتل الثلاثة، فقتلوا علياً وجرحوا معاوية.

وكان عمرو بن العاص قد استخلف رجلاً يقال له خارجة، فضربه القاتل يظنه

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠٦

عمراً فقتله، فتبين أنه خارجة، فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة، فصار مثلاً.

ومثل هذا كثير مما يظنه كثير من الجهال. وأهل العلم بالمنقولات يعلمون خلاف ذلك.

الوجه الثاني: أن نقول: في نفس هذا الحديث ما يدل على أنه كذب من وجوه كثيرة؛ فإن فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير يدعى حُماً نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيدي علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وأن هذا قد شاع وطار بالبلاد، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، وأنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم على ناقته وهو في الأبطح، وأتى وهو في ملا من الصحابة، فذكر أنهم امتثلوا أمره بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم قال: «ألم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا؟ وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وهذا منك أم من الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هو من أمر الله، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته، وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ» الآية.

فيقال لهؤلاء الكذابين: أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بغدير خم كان مرجعه من حجة الوداع. والشيعة تسلم هذا، وتجعل ذلك اليوم عيداً وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يرجع إلى مكة بعد ذلك، بل رجع من حجة الوداع إلى المدينة، وعاش تمام ذي الحجة والمحرم وصفر، وتوفي في أول ربيع الأول.

وفي هذا الحديث يذكر أنه بعد أن قال هذا بغدير خم وشاع في البلاد، جاءه الحارث وهو بالأبطح، والأبطح بمكة، فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصة غدير خم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠٧

وأيضاً، فإن هذه السورة - سورة سأل سائل - مكية باتفاق أهل العلم، نزلت بمكة قبل الهجرة، فهذه نزلت قبل غدير خم بعشر سنين أو أكثر من ذلك، فكيف [تكون] نزلت بعده؟

وأيضاً، قوله: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» في سورة الأنفال، وقد نزلت عقيب بدر بالاتفاق قبل غدير خم بسنتين كثيرة، وأهل التفسير متفقون على أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، كأبي جهل وأمثاله، وأن الله ذكر نبيه بما كانوا يقولونه بقوله: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ» أي اذكر قولهم، كقوله: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ»، «وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ»، ونحو ذلك: يأمره بأن يذكر كل ما تقدم. فدل على أن هذا القول كان قبل نزول هذه السورة.

وأيضاً، فإنهم لما استفتحوا بين الله أنه لا ينزل عليهم العذاب ومحمد صلى الله عليه وسلم فيهم، فقال: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»، ثم قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» واتفق الناس على أن أهل مكة لم تنزل عليهم حجارة من السماء لما قالوا ذلك، فلو كان هذا آية لكان من جنس آية أصحاب الفيل، ومثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله.

ولو أن الناقل طائفة من أهل العلم، فلما كان هذا لا يرويه أحد من المصنفين في العلم، لا المسند، ولا الصحيح، ولا الفضائل، ولا التفسير، ولا السير ونحوها، إلا ما يروى بمثل هذا الإسناد المنكر، علم أنه كذب وباطل.

وأيضاً، فقد ذكر في هذا الحديث أن هذا القائل أمر بمباني الإسلام الخمس، وعلى هذا، فقد كان مسلماً فإنه قال: فقبلناه منك. ومن

المعلوم بالضرورة أن أحداً من المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يصبه هذا.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠٨

وأيضاً، فهذا الرجل لا يُعرف في الصحابة، بل هو من جنس الأسماء التي يذكرها الطريقة، من جنس الأحاديث التي في سيره عتر ودلهمه.

وقد صنف الناس كتباً كثيرة في أسماء الصحابة الذين ذكروا في شيء من الحديث، حتى في الأحاديث الضعيفة، مثل كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، وكتاب ابن مندة، وأبي نعيم الأصبهاني، والحافظ أبي موسى، ونحو ذلك. ولم يذكر أحد منهم هذا الرجل، فعلم أنه ليس له ذكر في شيء من الروايات، فإن هؤلاء لا يذكرون إلا ما رواه أهل العلم، لا يذكرون أحاديث الطريقة، مثل «تنقلات الأنوار» للبكري الكذاب وغيره.

الوجه الثالث: أن يُقال: أنتم ادّعيتكم أنكم أثبتتم إمامته بالقرآن، والقرآن ليس في ظاهره ما يدل على ذلك أصلاً؛ فإنه قال: «بلغ ما أنزل إليك من ربك». وهذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدل على شيء معين.

فدعوى المدعى أن إمامته على ما بلغها، أو مما أمر بتبليغها، لا تثبت بمجرد القرآن؛ فإن القرآن ليس فيه دلالة على شيء معين، فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك إثباتاً بالخبر لا بقرآن. فمن ادّعى أن القرآن يدل على [أن] إمامته على ما أمر بتبليغها، فقد افترى على القرآن، فالقرآن لا يدل على ذلك عموماً ولا خصوصاً.

الوجه الرابع: أن يُقال: هذه الآية، مع ما علم من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، تدل على نقيض ما ذكره، وهو أن الله لم ينزلها عليه، ولم يأمره بها، فإنها لو كانت مما أمره الله بتبليغها، لبلغها، فإنه لا يعصى الله في ذلك.

ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن محمداً كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، والله تعالى يقول: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ».

لكن أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ شيئاً من إمامته على، ولهم على هذا طرق كثيرة يثبتون بها هذا العلم.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٠٩

منها: أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، فلو كان له أصل لُنقل، كما نُقل أمثاله من حديثه، لا سيما مع كثرة ما يُنقل في فضائل على، من الكذب الذي لا أصل له، فكيف لا يُنقل الحق [الصدق] الذي قد بلغ للناس؟!

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أمته بتبليغ ما سمعوا منه، فلا يجوز عليهم كتمان ما أمرهم الله بتبليغها.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات، وطلب بعض الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، فأنكر ذلك عليه، وقالوا: الإمارة لا تكون إلا في قريش، وروى الصحابة في [مواطن] متفرقة الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن «الإمامة في قريش»، ولم يرو واحد منهم، لا في ذلك المجلس ولا غيره، ما يدل على إمامته على.

وباع المسلمون أبا بكر، وكان أكثر بني عبد مناف - من بني أمية وبني هاشم وغيرهم - لهم ميل قوى إلى على بن أبي طالب يختارون ولايته، ولم يذكر أحد منهم هذا النص. وهكذا أُجرى الأمر في عهد عمر وعثمان، وفي عهده أيضاً لما صارت له ولاية، ولم يذكر هو ولا أحد من أهل بيته ولا من الصحابة المعروفين هذا النص، وإنما ظهر هذا النص بعد ذلك.

وأهل العلم بالحديث والسنة الذين يتولون علناً ويحبونه، ويقولون: إن كان الخليفة بعد عثمان، كأحمد بن حنبل وغيره من الأئمة، قد نازعهم في ذلك طوائف من أهل العلم وغيرهم، وقالوا: كان زمانه زمان فتنه واختلاف بين الأئمة، لم تتفق الأمة فيه لا عليه ولا على غيره.

وقال طوائف من الناس كالكرامية: بل هو كان إماماً ومعاوية إماماً، وجوزوا أن يكون للناس إمامان للحاجة. وهكذا قالوا في زمن ابن

الزبير ويزيد، حيث لم يجدوا الناس اتفقوا على إمام.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣١٠

وأحمد بن حنبل، مع أنه أعلم أهل زمانه بالحديث، احتج على إمامة عليّ بالحديث الذي في السنن: «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً». وبعض الناس ضعف هذا الحديث، لكن أحمد وغيره يثبتونه.

فهذا عمدتهم من النصوص على خلافة عليّ، فلو ظفروا بحديث مسند أو مرسل موافق لهذا لفرحوا به.

فعلّم أن ما تدعيه الرافضة من النصّ، هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا قديماً ولا حديثاً.

ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات المكذوبة.

وقد جرى تحكيم الحكمين، ومعه أكثر الناس، فلم يكن في المسلمين من أصحابه ولا غيرهم من ذكر هذا النص، مع كثرة شيعته، ولا فيهم من احتج به في مثل هذا المقام الذي تتوفر فيه الهمم والدواعي على إظهار مثل هذا النص.

ومعلوم أنه لو كان النصّ معروفاً عند شيعة عليّ - فضلاً عن غيرهم - لكانت العادة المعروفة تقتضي أن يقول أحدهم: هذا نص رسول الله صلى الله عليه وسلم نصّ عليه لم يستحلّ عزله، ولو عزله لكان من أنكر عزله عليه يقول: كيف تعزل من نصّ النبي صلى الله عليه وسلم على خلافته؟

وقد احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» وهذا الحديث خبر واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوهم، وليس هذا متواتراً. والنص عند القائلين به متواتر، فيا لله العجب كيف ساغ عند الناس احتجاج شيعة عليّ بذلك الحديث، ولم يحتج أحد منهم بالنص؟ «١»

(١) منهاج السنة ٣٣/٧ - ٥١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣١١

أقول:

يتلخّص كلامه المشتمل على الاستطراد الكثير من جهة، وعلى السب للإمامية من جهة أخرى في نقاط:

١- تكذيب خبر نزول الآية في غدیر خم.

٢- إن أبا نعيم والنقاش والثعلبي والواحدى ونحوهم من المفسرين والمحدثين اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيراً من الكذب الموضوع.

٣- اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن الحديث المذكور الذي رواه الثعلبي في تفسيره هو من الموضوع.

٤- الذين صنفوا في الفضائل يذكرون أحاديث كثيرة وهي ضعيفة بل موضوعة باتفاق أهل العلم.

٥- في نفس هذا الحديث ما يدلّ على أنه كذب من وجوه كثيرة:

أ- فيه «الأبطح» وهو بمكة، والنبيّ رجع إلى المدينة لا إلى مكة.

ب- سورة سأل سائل مكّية نزلت قبل الهجرة.

ج- قوله: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...» في سورة الأنفال وهي نزلت عقيب بدر قبل غدیر خم بسنين كثيرة.

د- نزول العذاب ينافي قوله تعالى «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ».

هـ- يفيد الحديث أن الأعرابي المعترض على النبي كان مسلماً. ومن المعلوم بالضرورة أن أحداً من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصبه العذاب المذكور في الحديث.

و- إن هذا الرجل لا يعرف في الصحابة.

٦- قوله تعالى «بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» عام في جميع ما انزل إليه ولا يدل على شيء معين.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٢

٧- النبي لا يعصى الله في أوامره، وهو لم يبلغ شيئاً من إمامة علي، فلم يكن مأموراً بذلك.
أقول:

وتفصيل الكلام في هذا المقام هو:

إن المروى في كتب الحديث والتفسير نزول ثلاثة آيات من القرآن الكريم في واقعة غدير خم، فنزلت الآية «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ... قبل خطبة النبي صلى الله عليه وآله، ونزلت الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»... بعد فراغه منها، ونزلت الآية: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» في قضية الأعرابي الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وآله فيما قاله في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام. وإليك البيان فيما يتعلق بالآية الأولى، فنقول:

لقد روى نزول الآية المباركة في واقعة غدير خم جماعة كبيرة من أعلام أهل السنة، منهم:

- ١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.
 - ٢- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧.
 - ٣- أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، المتوفى سنة ٣٣٠.
 - ٤- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الفارسي الشيرازي، المتوفى سنة ٤٠٧ أو ٤١١.
 - ٥- أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
 - ٦- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
 - ٧- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.
 - ٨- أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني، المتوفى سنة ٤٧٧.
 - ٩- أبو القاسم عبد الله بن عبيد الله الحاكم الحسكاني.
 - ١٠- أبو بكر محمد بن مؤمن، صاحب كتاب ما نزل في علي وأهل البيت.
- شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٣
- ١١- أبو الفتح محمد بن علي بن إبراهيم النظري، المتوفى حدود سنة ٥٥٠.
 - ١٢- أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.
 - ١٣- أبو سالم محمد بن طلحة النصيبي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢.
 - ١٤- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٥٣.
 - ١٥- عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الموصلي، المتوفى سنة ٦٦١.
 - ١٦- نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، صاحب التفسير.
 - ١٧- السيد علي بن شهاب الدين الهمداني، المتوفى سنة ٧٨٦.
 - ١٨- نور الدين علي بن محمد ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
 - ١٩- بدر الدين محمود بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥.
 - ٢٠- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
 - ٢١- القاضي محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.
 - ٢٢- السيد شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠.

٢٣- الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٣. وقد أوردنا نصوص روايات جمع منهم في قسم حديث الغدير من كتابنا الكبير «١».

من الأسانيد المعتبرة ... ص: ٣١٣

إشارة

ثم إن الروايات المعتبرة سنداً في نزول الآية المباركة يوم غدير خم كثيرة كذلك، ومنها:

١- رواية الحبري ... ص: ٣١٣

قال «حدثنا حسن بن حسين، قال: حدثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن

(١) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٨/ ١٩٥-٢٥٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣١٤

ابن عباس، في قوله «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِي مُرَّكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»:

نزلت في علي عليه السلام.

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من ولاة، وعاد من عاداه «١».

٢- رواية ابن أبي حاتم ... ص: ٣١٤

فإنه أخرج في تفسير الآية: «حدثنا أبي، ثنا عثمان بن خرزاد، ثنا إسماعيل بن زكريا، ثنا علي بن عابس، عن الأعمش وأبي الجحاف، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» في علي بن أبي طالب» «٢».

وهذا السند صحيح قطعاً.

* أما «أبو حاتم» الرازي، فغنى عن التعريف.

* وأما «عثمان بن خرزاد» وهو عثمان بن عبدالله بن محمد بن خرزاد البصري، أبو عمرو، الحافظ، نزيل أنطاكية المتوفى سنة ٢٨١، فهو من رجال النسائي، قال ابن أبي حاتم: كان رفيق أبي في كتابه الحديث في بعض بلدان الشام وهو صدوق، أدركته ولم أسمع منه، وقال الحاكم: ثقة مأمون، وقال مسلمة: كان ثقة حافظاً...

ذكر ابن حجر وغيره هذه الكلمات، وما ذكر له جرحاً من أحد «٣».

* وأما «إسماعيل بن زكريا» وهو الخلفاني الأسدي، المتوفى سنة ١٧٤، وفهو من

(١) تفسير الحبري: ٢٦٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٤/ ١١٧٢ برقم ٦٦٠٩.

(٣) تهذيب التهذيب ١٢٠ / ٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٥

رجال الصحاح الستة «١».

* وأما سائر رجال السند فسنذكرهم.

٣- رواية أبي نعيم ...: ص: ٣١٥

قال: «حدثنا أبو بكر ابن خلّاد، قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال:

حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، قال: حدثنا علي بن عابس، عن أبي الجحّاف والأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي بن أبي طالب عليه السلام: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» «٢».

* أمّا «أبو بكر ابن خلّاد» فهو: أبو بكر أحمد بن يوسف البغدادي، المتوفى سنة ٣٥٩، ترجم له الخطيب في تاريخه، والذهبي في سيره، وغيرهما:

قال الخطيب: «كان لا يعرف شيئاً من العلم، غير أن سماعه صحيح».

وقال أبو نعيم: «كان ثقة».

وكذا وثقه أبو الفتح ابن أبي الفوارس «٣».

ووصفه الذهبي ب «الشيخ الصدوق، المحدث، مسند العراق» «٤».

* وأمّا «محمد بن عثمان بن أبي شيبة»، المتوفى سنة ٢٩٧، فقد ترجم له الذهبي، ووصفه ب: «الإمام الحافظ المسند» ثم قال: «وجمع وصّف، وله تاريخ كبير، ولم يرزق خطّاً، بل نالوا منه، وكان من أوعية العلم».

(١) تهذيب الكمال ٩٢ / ٣.

(٢) خصائص الوحي المبين - للشيخ يحيى بن الحسن الحلّي، المعروف بابن البطريق، المتوفى سنة ٦٠٠ - ٥٣، عن كتاب ما نزل من القرآن في علي، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني.

(٣) تاريخ بغداد ٢٢٠ / ٥ - ٢٢١.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٦٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٦

وقال: «قال صالح جزرة: ثقة».

وقال ابن عدّي: «لم أر له حديثاً منكراً فأذكره».

ثم نقل تكلم بعض معاصريه فيه، وهم عبدالله بن أحمد، المتوفى سنة ٢٩٠، وابن خراش، المتوفى سنة ٢٨٣، ومطين، المتوفى سنة ٢٩٧، والظاهر وجود اختلافات بينهم وبينه، ممّا أدى إلى أن يذكروه بسوء، لا سيما ما كان بينه وبين أبي جعفر مطين، إذ كان كل منهما يذكر الآخر بسوء وينال منه «١».

ومن هنا فقد نصّ غير واحد من الحفاظ - كالذهبي - على أنّ كلام الأقران بعضهم في بعض غير مسموع.

* وأمّا «إبراهيم بن محمد بن ميمون»، فقد ذكره ابن حبان في الثقات قائلاً:

«إبراهيم بن محمد بن ميمون الكندي الكوفي، يروى عن سعيد بن حكيم العبسي وداود بن الزبرقان. روى عنه أحمد بن يحيى

الصوفي» (٢).

ولم أجد له ذكراً في كتب الضعفاء...

وقد ينقم عليه روايته لفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وكم له من نظير! فقد ذكر الذهبي بترجمة أحمد بن الأزهر: «وهو ثقة بلا تردّد، غاية ما نقموا عليه ذاك الحديث في فضل عليّ رضي الله عنه» (٣).

يعني: ما رواه عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، عن ابن عباس، قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي،

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٣.

(٢) الثقات ٨/ ٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٧

وعدوى عدو الله، فالويل لمن أبغضك بعدى.

قال الحاكم: «حدّث به ابن الأزهر ببغداد في حياة أحمد وابن المديني وابن معين، فأنكره من أنكره، حتّى تبين للجماعة أنّ ابن الأزهر برىء الساحة منه، فإنّ محلّه محلّ الصادقين» (١).

ولهذا الحديث قصّة، فإنّه لأجله ذكر أحمد بن الأزهر في ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢) بل ذكر فيه عبد الرزاق بن همام أيضاً (٣).

لكنّ أحمد بن الأزهر «ثقة بلا تردّد» و «محلّه محلّ الصادقين»، وعبد الرزاق بن همام من رجال الصحاح الستّة وشيخ البخاري (٤) «... ومع ذلك فالحديث كذب!!

«لما حدّث أبو الأزهر بحديثه عن عبد الرزاق في الفضائل، أخبر يحيى بن معين بذلك، فبينما هو عند يحيى في جماعة أهل الحديث إذ قال يحيى: من هذا الكذاب النيسابوري الذي حدّث بهذا عن عبد الرزاق؟! فقام أبو الأزهر فقال: هو ذا أنا. فتبسّم يحيى بن معين، وقال أما إنّك لست بكذاب؛ وتعبّج من سلامته وقال: الذنب لغيرك فيه!» (٥).

فرواه الحديث كلّهم أئمة ثقات.

ومع ذلك فهو كذب!!

وقال الذهبي: في النفس من آخره شيء (٦)!! يعني جملة: «فالويل لمن أبغضك بعدى»!!

ولا يخفى السبب في ذلك!!

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٨٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٩.

(٤) تقريب التهذيب ١/ ٥٠٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٦.

(٦) ميزان الاعتدال ١٢/ ٦١٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٨

فما الحيلة في رده، مع صحته سنده؟!

قالوا: إن معمراً كان له ابن أخ رافضى، وكان معمراً مكنه من كتبه فأدخل عليه هذا الحديث، وكان معمراً رجلاً مهيباً لا يقدر عليه أحد في السؤال والمراجعة، فسمعه عبد الرزاق في كتاب ابن أخى معمراً، وحديث به أبا الأزره وخضبه به دون أصحابه «١»!! قال الذهبي بعد نقله:

«قلت: ولتشيّع عبد الرزاق سرّ بالحديث وكتبه، وما راجع معمرأفيه، ولكنّه ما جسر أن يحدث به لمثل أحمد وابن معين وعليّ، بل ولا خرّجه في تصانيفه، وحديث به وهو خائف يترقب» «٢».

هذا موجز هذه القصّة ... والشاهد من حكايتها أنّهم كثيراً ما ينقمون على الرجل - مع اعترافهم بثقته - روايته حديثاً في فضل أمير المؤمنين عليه السلام أو الطعن في أعدائه ومبغضيه، ويضطربون أشد الاضطراب، فإن أمكنهم التكلم في وثاقته فهو، وإلا عمدوا إلى تحريف لفظ الحديث، أو بتره، وإلا وضعوا شيئاً في مقابلته، وإلا نسبوا وضعه إلى مثل «ابن أخ معمراً» و «كان رافضياً» و «كان معمراً يمكنه من كتبه» بأنّه دسّ الحديث في الكتاب، ولم يشعر بذلك لا معمراً، ولا عبد الرزاق، ولا غيرهما!!

ولكن من هو هذا الشخص؟! وما الدليل على كونه رافضياً؟! وكيف كان يمكنه معمراً من كتبه وأن يكتب له؟ مع علمه بكونه رافضياً أو كان جاهلاً بذلك؟!

وعلى الجملة، فإنّ «إبراهيم بن محمّد بن ميمون» ثقة، بتوثيق ابن حبان من دون معارض، غير أنّه من رواة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

* وكذلك شيخه «عليّ بن عابس» فإنّه من رجال صحيح الترمذى «٣»، لكنّهم

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٢٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٦٧.

(٣) تقريب التهذيب ٢ / ٣٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣١٩

تكلّموا فيه لا لشيء، وإنّما لروايته هذا الحديث وأمثاله من الفضائل والمناقب، ومما يشهد بذلك قول ابن عدى: «له أحاديث حسان، ويروى عن أبان بن تغلب وعن غيره أحاديث غرائب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه» «١».

وإذا عرفنا أنّ «أبان بن تغلب» من أعلام الإماميّة الاثنى عشرية الثقات «٢» عرفنا لماذا تكون رواياته «أحاديث غرائب»! وعرفنا أنّهم لا يضعفون «عليّ بن عابس» إلّا لروايته تلك الأحاديث، وأمّا في غيرها فهو ثقة في نفسه ولذا «يكتب حديثه»!

أى: عدا الفضائل وهى «أحاديث غرائب» كما وصفها، ولو كان الرجل كذاباً لما جاز قوله: «يكتب حديثه» أصلاً!!

* وكذلك شيخه «أبو الجحّاف» داود بن أبى عوف، فهو من رجال أبى داود والنسائى وابن ماجه، ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال النسائى: ليس به بأس «٣» ومع ذلك، فالرجل ممّن لا يحتجّ به عند ابن عدى! وهو يعترف بعدم تكلّم أحد فيه!

ولماذا...؟!

استمع إليه ليذكر لك السبب، فقد قال: «ولأبى الجحّاف أحاديث غير ما ذكرته، وهو من غالبية الشيعة، وعامة حديثه فى أهل البيت، ولم أرَ لمن تكلّم فى الرجال فيه كلاماً، وهو عندى ليس بالقوى، ولا ممّن يحتجّ به فى الحديث» «٤».

(١) الكامل في الضعفاء ٣ / ١٩٠ ذيل رقم ١٣٤٧.

(٢) هو من رجال مسلم والأربعة، وثقوه وقالوا: هو من أهل الصدق في الروايات وإن كان مذهبه مذهب الشيعة، وفي الميزان: شيعي جلد لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته. وهو عند الجوز جاني الناصبي: مذموم المذهب، مجاهر زائغ! وانظر: الكامل في الضعفاء ١ / ٣٨٩ - ٣٩٠ رقم ٢٠٧، أحوال الرجال: ٦٧ رقم ٧٤.

(٣) ميزان الاعتدال ٢ / ١٨.

(٤) الكامل في الضعفاء ٣ / ٨٢ - ٨٣ ذيل رقم ٦٢٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢٠

* وأما «الأعمش» فهو من رجال الصحاح الستة «١».

وتلخص:

إن حديث أبي نعيم معتبر، ولا مجال للتكلم في أحد من رجال إسناده، ولو كان بعضهم من الشيعة فهو ثقة، وقد تقرّر أن التشيع، بل الرفض عندهم غير مضر بالوثاقة، وهذا ما كررنا نقله عن الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره.
* وأما «عطية».. فسيأتي.

٤- رواية ابن عساكر... ص: ٣٢٠

قال: «أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر، أنبأنا أبو حامد الأزهرى، أنبأنا أبو محمد المخلدي الحلواني، أنبأنا الحسن بن حماد سجادة، أنبأنا علي بن عباس، عن الأعمش وأبي الجحاف، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب «٢».

* أما «وجيه بن طاهر»، المتوفى سنة ٥٤١:

قال ابن الجوزي: «كان شيخاً، صالحاً، صدوقاً، حسن السيرة، منور الوجه والشيبة، سريع الدمعة، كثير الذكر. ولي منه إجازة بمسموعاته ومجموعاته» «٣».

وقال السمعاني: «كتبت عنه الكثير، وكان يملئ في الجامع الجديد بنيسابور كل جمعة مكان أخيه، وكان خير الرجال، متواضعاً متودداً، ألوفاً، دائم الذكر، كثير التلاوة، وصولاً للرحم، تفرد في عصره بأشياء» «٤».

(١) تقريب التهذيب ١ / ٣٣١.

(٢) ترجمه أميرالمؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٢ / ٨٦.

(٣) المنتظم ١٨ / ٥٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ١١٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢١

وقال الذهبي: «الشيخ العالم، العدل، مسند خراسان» «١».

* وأما «أبو حامد الأزهرى» أحمد بن الحسن النيسابوري، المتوفى سنة ٤٦٣:

قال الذهبي: «الأزهرى، العدل، المسند، الصدوق، أبو حامد أحمد ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن أزهر، الأزهرى، النيسابوري، الشروطي، من أولاد المحدثين. سمع من أبي محمد المخلدي ... حدث عنه: زاهر ووجيه ابنا طاهر ... توفي في رجب سنة ٤٦٣» «٢».

* أما «أبو محمد المخلدي» الحسن بن أحمد النيسابوري، المتوفى سنة ٣٨٩:

قال الحاكم: «هو صحيح السماع والكتب، متقن في الرواية، صاحب الإملاء في دار الشئنة، محدث عصره، توفي في رجب سنة ٣٨٩» (٣).

وقال الذهبي: «المخلدي، الشيخ الصدوق، المسند أبو محمد ... العدل، شيخ العدالة، وبقية أهل البيوتات» (٤ ...).

* أمّا «أبو بكر محمد بن حمدون» النيسابوري، المتوفى سنة ٣٢٠:

قال الحاكم: «كان من الثقات الأثبات الجوالين في الأقطار، عاش ٨٧ سنة» (٥).

وقال الخليلي: «حافظ كبير» (٦).

وقال الذهبي: «الحافظ الثبت المجود» (٧).

* أمّا «محمد بن إبراهيم الحلواني» (٨)، المتوفى سنة ٢٧٦ (٩).

(١) سير أعلام النبلاء ١٠٩ / ٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٥٤ / ١٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٤٠ / ١٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٣٩ / ١٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦١ / ١٥.

(٦) سير أعلام النبلاء ٦١ / ١٥.

(٧) سير أعلام النبلاء ٦٠ / ١٥.

(٨) بليدة من بلاد نيسابور. معجم البلدان ٢ / ٢٩٤.

(٩) المنتظم ٢٧٩ / ١٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٢٢

قال الخطيب: «محمد بن إبراهيم بن عبد الحميد، أبو بكر الحلواني، قاضي بلخ، سكن بغداد، وحديث بها ... روى عنه: إسماعيل ابن محمد الصفار، ومحمد بن عمرو الرزاز، وأبو عمرو ابن السماك، وحمزة بن محمد الدهقان. وكان ثقة» (١).

وقال ابن الجوزي: «وكان ثقة» (٢).

أمّا «الحسن بن حماد سجادة»، المتوفى سنة ٢٤١:

فهو من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه.

وقال أحمد بن حنبل: «صاحب سنة، ما بلغني عنه إلا خير» (٣).

وقال الذهبي: «كان من جلة العلماء وثقاتهم في زمانه» (٤).

وقال ابن حجر: «صدوق» (٥).

* وأمّا «علي بن عابس» و «أبو الجحاف» و «الأعمش» فقد تقدّم الكلام عليهم.

* وبقى «عطية».

٥- رواية الواحدى ...: ص: ٣٢٢

وبما ذكرنا تظهر صحّة إسناد الواحدى فى أسباب النزول، وذلك لأنه السند المتقدم نفسه، وشيخه «أبو سعيد محمد بن علي الصفار» الراوى عن «الحسن بن أحمد المخلدي» إلى آخر السند، ترجم له الحافظ أبو الحسن عبد الغافر الفارسي، المتوفى سنة ٥٢٩، قال:

«محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حبيب الصفار، أبو سعيد، المعروف

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٩٨.

(٢) المنتظم ١٢/ ٢٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩٣.

(٥) تقريب التهذيب ١/ ١٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢٣

بالخشاب، ابن أخت أبي سهل الخشاب اللحياني، شيخ مشهور بالحديث، من خواصّ خدم أبي عبد الرحمن السلمي، وكان صاحب كتب، أوصى له الشيخ بعد وفاته وصار بعده بن دار كتب الحديث بنيسابور، وأكثر أقرانه سماعاً وأصولاً، وقد رزق الإسناد العالي، وكتبه الأصول، وجمع الأبواب، وإفادة الصبيان، والرواية إلى آخر عمره، وبيته بيت الصلاح والحديث.

ولد سنة ٣٨١، وتوفي في ذي القعدة سنة ٤٥٦ «... ١».

وذكر الذهبي وابن العماد في وفيات سنة ٤٥٦ من العبر وشذرات الذهب.

* ترجمة عطية ...: ص: ٣٢٣

وأما «عطية العوفي» فقد ترجمنا له بالتفصيل في بعض بحثنا «٢»، وذكرنا:

أنه من مشاهير التابعين، وقد قال الحاكم النيسابوري - في كلام له حول التابعين - «فخير الناس قرناً بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل» «٣».

وأنه من رجال البخاري في كتابه الأدب المفرد.

وأنه من رجال صحيح أبي داود، الذي قال أبو داود: «ما ذكرت فيه حديثاً أجمع الناس على تركه» وقال الخطابي: «لم يصنف في علم الدين مثله، وهو أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من الصحيحين» «٤».

وأنه من رجال صحيح الترمذي، الذي حكوا عن الترمذي قوله فيه: «صنفت هذا

(١) تاريخ نيسابور: ٥٤ رقم ١٠٣.

(٢) راجع كتابنا: مع الدكتور السالوس في آية التطهير: ٦٥-٨٢.

(٣) معرفة علوم الحديث: ٤١.

(٤) المرقاة في شرح المشكاة ١/ ٢٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢٤

الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به. ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم.

وأنه من رجال صحيح ابن ماجه، الذي قال أبو زرعة - بعد أن نظر فيه - «لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً مما في إسناده ضعف» «١».

وأنه من رجال مسند أحمد، وقد قال الحافظ السيوطي عن بعض العلماء: «إنَّ أحمدَ شَرَطَ في مسنده الصحيح» (٢).
 وأنه قد وثقه ابن سعد، وقال الدوري عن يحيى بن معين: صالح، وقال أبو بكر البزار: يعدُّ في التشيع، روى عنه جله الناس.
 وبعد، فمن الذي تكلم في عطية؟!
 تكلم فيه الجوزجاني، الذي نصَّ الحافظ ابن حجر العسقلاني على أنه: «كان ناصبياً منحرفاً عن عليّ...» وتبعه من كان على شاكلته،
 وقد نصَّ الحافظ ابن حجر على أنه لا ينبغي أن يسمع قول المبتدع (٣).
 ولماذا تكلم فيه من تكلم؟!
 لأنه كان يقدِّم أمير المؤمنين عليه السلام على الكلِّ، وأنه عرض على سب أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يسبَّ، فضرب أربعمائه
 سوط وحلقت لحيته... وكلَّ ذلك بأمرٍ من الحجاج بن يوسف، لعنه الله ولعن من سلك سبيله وأدخله مدخله...
 أقول:
 وهنا نقاط:

(١) تذكرة الحفاظ ٢ / ١٨٩.

(٢) تدريب الراوي ١ / ١٧١ - ١٧٢.

(٣) مقدِّمه فتح الباري: ٣٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢٥

- ١- حديث نزول الآية المباركة يوم الغدير في أمير المؤمنين وولايته عليه السلام، أخرجه كبار الأئمة الأعلام من أهل السنة عن عدَّة من الصحابة، وهم:
 - ١- عبدالله بن عباس.
 - ٢- أبو سعيد الخدري.
 - ٣- زيد بن أرقم.
 - ٤- جابر بن عبدالله الأنصاري.
 - ٥- البراء بن عازب.
 - ٦- أبو هريرة.
 - ٧- عبدالله بن مسعود.
 - ٨- عبدالله بن أبي أوفى.
 - ٢- قال السيوطي: «وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنَّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» - أُنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» (١).»
 - ٣- إنَّ من رواة هذا الحديث: ابن أبي حاتم الرازي، قال السيوطي: «وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية:
- «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم في علي بن أبي طالب (٢).»
 و«ابن أبي حاتم» قد نصَّ ابن تيمية وأتباعه على أنه لم يخرج في تفسيره حديثاً موضوعاً... وقد أوردنا ذلك في بحوثنا الماضية، كما ستعرفه قريباً أيضاً.

(١) الدر المنثور ٢ / ٢٩٨.

(٢) الدر المنثور ٢ / ٢٩٨.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢٦
وتلخص:

إن القول الحق المتفق عليه بين المسلمين: نزول الآية يوم غدیر خمّ في أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.
أقول:

أمّا قول ابن تيمية: إنّ في روايات أبي نعيم والثعلبي والواحدى، موضوعات كثيرة؛ فهذا حقّ ونحن نوافقه عليه، إذ ليس هناك - بعد كتاب الله عزّ وجلّ - كتاب خالٍ عن الموضوعات، حتّى الكتب المسماة بالصّحاح ... ففي صحيح البخارى - الذى يقدّمه أكثر القوم على غيره من الكتب مطلقاً - أكاذيب وأباطيل، ذكرنا بعضها في بعض كتبنا استناداً إلى أقوال كبار الحفاظ من شراحه كابن حجر العسقلاني وغيره.

فالمقولات، فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز إلى أهل علم الحديث وعلماء الجرح والتعديل ... كما قال. ولذا، فإنّا أثبتنا على ضوء كلمات علماء الحديث والرجال صحّة أسانيد حديث نزول الآية في الغدير، وكذلك في غير هذا الحديث ممّا وقع الاستدلال به من قبل العلّامة رحمه الله، بتوثيق رجالها واحداً واحداً ... وإذا ثبت صحّة الحديث وجب على الكلّ القبول به، ومن كذب به حينئذٍ فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ما قال وفعل، وهذا كفر بالله، نعوذ بالله منه. وعلى الجملة، فليس الاستدلال بمجرّد عزو الحديث إلى رواية الثعلبي أو غيره، بل الاستدلال به يكون بعد تصحيحه على القواعد المقرّرة في علم الحديث والرجال.

وأما قوله: إنّ هذا الاستدلال ليس بالقرآن بل هو بالحديث؛ فهذا تعصّب واضح؛ لأنّ ابن تيمية نفسه يستدلّ بقوله تعالى: «إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (١) لإثبات فضيلة لأبي بكر، فيقول: «إنّ الفضيلة في الغار ظاهرة بنصّ

(١) سورة التوبة ٩: ٤٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٢٧

القرآن، لقوله تعالى: «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ...» وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر «... ١». فجعل الحديث مفسراً للآية، وجعل فيها فضيلة لصاحبه ... وكذلك: يدعى نزول قوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» (٢) في أبي بكر مستدلاً ببعض رواياتهم فيقول:

«وقد ذكر غير واحدٍ من أهل العلم أنّها نزلت في قصّة أبي بكر. وكذلك ذكره ابن أبي حاتم والثعلبي أنّها نزلت في أبي بكر عن عبد الله بن المسيّب. وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره: حدّثنا أبي، حدّثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدّثنا سفيان، حدّثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

أعتق أبو بكر سبعة كلهم يعدّب في الله ... قال: وفيه نزلت «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى» إلى آخر السورة» (٣). وهكذا في مواضع أخرى ...

أمّا حين يستدلّ الإمامية بآية: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» ... على إمامة أمير المؤمنين، بمعوثة أحاديث صحيحة رواها ابن أبي حاتم والثعلبي وأمثالهما من المفسّرين والمحدّثين من أهل السنيّة في تفسيرها وبيان سبب نزولها، يقول: «فمن ادّعى أنّ القرآن يدلّ

على أن إمامة عليٍّ ممّا أمر بتبليغه فقد افترى على القرآن» (٤).

مع أن استدلال الإمامية بأحاديث القوم مطابق للقاعدة المقررة في البحث والمناظرة؛ لأنهم ملزمون بما يروونه، بخلاف استدلالاتهم في مقابلة الإمامية؛ لأن

(١) منهاج السنّة ٨ / ٣٧٣.

(٢) سورة الليل ٩٢: ١٧.

(٣) منهاج السنّة ٨ / ٤٩٥.

(٤) منهاج السنّة ٧ / ٤٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٢٨

أحاديثهم ليست بحجّة عند الاماميّة حتّى لو كانت مخرّجة في ما يسمّونه بالصحيح. فانظر من المفترى؟!

وتلخص: أن كلّ ما ذكره حول نزول الآية في غدير خم مردود، وثبت أن النبيّ صلّى الله عليه وآله قد امر بتبليغ خصوص إمامته أمير المؤمنين في غدير خم على ما بلغه وفعله صلّى الله عليه وآله.

محاولات يائسة ... ص: ٣٢٨

وبما ذكرنا يظهر سقوط تمحّلات المتعصّبين لصرف الآية المباركة عن الدلالة على ولاية أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام. وهناك محاولات عمدتها:

١- الأخذ بالسياق.

٢- الأحاديث المروية في قبال حديث نزولها في أمير المؤمنين يوم الغدير.

ولا بُدّ قبل الدخول في البحث من أن نعلم بأن الآية المباركة من سورة المائدة، وأن هذه السورة هي آخر ما نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم باتفاق الفريقين.

فلاحظ: تفسير القرطبي، وتفسير الخازن، والإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٦-٥٢، وغيرها من كتب العامة.

وفي تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي - بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنها نزلت قبل أن يقبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بشهرين أو ثلاثة (١).

(١) تهذيب الأحكام ١ / ٣٦١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٢٩

وقال العياشي في تفسيره: إنها آخر ما نزل من القرآن.

وحينئذ نقول: كما جعل الأولون آية التطهير ضمن آيات زوجات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، واتخذ أتباعهم ذلك أساساً للقول بنزولها في الزوجات، كذلك الحال في آية التبليغ، فقد وضعت في سياق آيات الكلام مع اليهود والنصارى، ثم جاء اللاحقون واستندوا إلى سياق الآية فراراً من الإذعان للحقيقة:

قال الرازي: «إعلم أن هذه الروايات وإن كثرت، إلّا أنّ الأولى حملة على أنّه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار

التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير، لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في السنين على وجه تكون أجنبيّة عمّا قبلها وما بعدها» (١).

وكأن الرازي قد غفل عن أن الآية في سورة المائدة، وهي إنما نزلت في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين لم يكن يهاب اليهود ولا النصارى ولا قريشاً، وأن السياق إنما يكون قريناً إذا لم يكن في مقابلة نص معتبر، وقد صرح الفخر الرازي نفسه بأن نزول الآية في فصل أمير المؤمنين عليه السلام هو قول ابن عباس والبراء بن عازب والإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، في حين أنه لم يعضد القول الذي حمل الآية عليه - ولا غيره من الأقوال التي ذكرها - بقول أي أحد من الصحابة.

وأما الأحاديث التي يروونها في المقام في مقابلة حديث نزول الآية المباركة في الإمام عليه السلام، فإن شئت الوقوف عليها فراجع تفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي - ولعل الثاني هو أجمع الكتب لها - وستجدها متناقضة فيما بينها، فضلاً عن كونها مردودة بإجماع الفريقين على نزول سورة المائدة في الأيام الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) تفسير الرازي ١٢ / ٥٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣٠

فمن ذلك ما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر، عن ابن عباس، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرس، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلاً من بنى هاشم يحرسونه. فقال: يا عم! إن الله قد عصمني، لا حاجة لي إلى من تبعث».

أورده السيوطي في ذيل الآية المباركة، وهو - إن كان له علاقة بنزول الآية المباركة - خبر مكذوب؛ لأنه يفيد نزولها في مكة، وهو قول مردود بالإجماع.

وما أخرجه ابن مردويه والضياء في المختارة، عن ابن عباس، قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام موسم، واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس في الموسم، فنزل علي جبرئيل فقال:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

قال: فقامت عند العقبة فناديت: يا أيها الناس! من ينصرنى على أن أبلغ رسالتي ربّي ولكم الجنة؟

أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم، تنجحوا ولكم الجنة.

قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة، ويبصقون في وجهي، ويقولون: كذاب صابئ! فعرض علي عارض فقال: يا محمد! إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وانصرنى عليهم أن يحيبوني إلى طاعتك.

فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه.

قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، ويقولون: فيهم نزلت «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» هوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب،

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣١

وشاء الله عباس بن عبد المطلب».

قلت:

وآيات الكذب على هذا الحديث لائحة.

ومن الأحاديث المذكورة في ذيل الآية: أحاديث أن أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم كانوا دائماً يحرسونه، حتى نزلت الآية

المباركة ففرّقهم:

أخرج ابن جرير وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبیر، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحْرُسُونِي! إِنَّ رَبِّي قَدْ عَصَمَنِي».

وأخرج ابن جرير وابن مردويه، عن عبد الله بن شقيق، قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَقَّبُهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ «وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ» فَخَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! الْحَقُّوا بِمَلَا حَقِّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ النَّاسِ».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب القرظي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا زَالَ يُحْرَسُ، يُحَارِسُهُ أَصْحَابُهُ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ «وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ» فَتَرَكَ الْحِرْسَ حِينَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَيَعَصِمُهُ مِنَ النَّاسِ.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل، عن أبي ذرٍّ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَنَحْنُ حَوْلَهُ مِنْ مَخَافَةِ الْغَوَائِلِ، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْعَصْمَةِ: «وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ»».

وأخرج الطبراني وابن مردويه، عن عصمة بن مالك الخطمي، قال: «كَتَبْنَا نَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ حَتَّى نَزَلَتْ «وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ» فَتَرَكَ الْحِرْسَ».

قلت:

وهذه الأحاديث ليس فيها ذكر سبب نزول الآية، ولا تعارض حديث نزولها يوم

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٣٢

الغدِير في عِلَى عَلَيْهِ السَّلَام.

وبهذه الأحاديث يردّ ما زعموا من نزولها في أعرابي أراد قتله وهو نائم تحت شجرة، ورووا فيه حديثاً عن محمد بن كعب القرظي، مع ما هنالك من قرائن الكذب!

ومِمَّا ذَكَرَهُ الْقَوْمُ فِي ذِيلِ الْآيَةِ مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَاحِدِيِّ: «وَقَالَ الْأَنْبَارِيُّ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَجَاهِرُ بَعْضَ الْقُرْآنِ أَيَّامَ كَانَ يَمْكُهُ، وَيَخْفَى بَعْضُهُ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شَرِّ الْمَشْرُكِينَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ» (١).

وهذا كذب بلا شك ولا ريب! لكنَّ العَجِيبَ أَنْ يَنْسَبَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى الْإِمَامِيَّةِ، كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ، حَيْثُ قَالَ: «وَقَبِيحُ اللَّهِ الرَّوَافِضُ حَيْثُ قَالُوا: إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ - كَانَ بِالنَّاسِ حَاجَةً إِلَيْهِ» (٢)، وَكَمَا فِي شَرْحِ الْقُسْطَلَانِيِّ: «قَالَتِ الشَّيْعَةُ: إِنَّهُ قَدْ كَتَمَ أَشْيَاءَ عَلَى سَبِيلِ التَّقِيَّةِ» (٣).

فَانْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، ثُمَّ لَمَّا التَّفَتُوا إِلَى قَبِيحِهِ نَسَبُوهُ زُورًا وَبُهْتَانًا إِلَى غَيْرِهِمْ.. وَكَمْ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ!! وَإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكِي، وَهُوَ الْمُسْتَعَان.

قلت:

وَتَمَّةُ أَحَادِيثَ يَرَوْنَهَا بِتَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ غَيْرَ مُنَافِيَةٍ لِلصَّحِيحِ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا، إِنَّ لَمْ نَقْلُ بِجَوَازِ الْاِسْتِدْلَالِ بِهَا كَذَلِكَ، بِاحْتِمَالِ أَنَّ الرَّاويَ لَمْ تَسْمَحْ لَهُ الظُّرُوفُ بِالتَّصْرِيحِ بِنَزُولِهَا فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ، أَوْ صَرَّحَ وَحُرِّفَ لَفْظُهُ، كَالْحَدِيثِ التَّالِي:

أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ، عَنِ الْحَسَنِ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِرِسَالَةٍ، فَضَقَّتْ بِهَا ذُرْعًا وَعَرَفَتْ أَنَّ النَّاسَ مَكْدَبِي، فَوَعَدَنِي لِأُبَلِّغَنَّ أَوْ لِيُعَذِّبَنِي، فَأَنْزَلَ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»».

(١) التفسير الوسيط ٢/ ٢٠٨.

(٢) تفسير القرطبي ٦/ ١٥٧.

(٣) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ٢١٠ / ١٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣٣

والحديث: أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن مجاهد، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»، قال: يا رب! إنما أنا واحد كيف أصنع؟! يجتمع على الناس! فنزلت: «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ».

هذا موجز الكلام على هذه الآية، وبه الكفاية لمن أراد الهداية، والله ولي التوفيق.

أقول:

وأما خبر اعتراض الأعرابي على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وما وقع من العذاب عليه، ونزول «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ»، الذي رواه العلامة عن الثعلبي، فنحن نذكر أولًا أسماء طائفة من رواه من أهل السنة، ليظهر بطلان قول ابن تيمية: «باطل باتفاق أهل العلم»، فنقول:

لقد وردت الرواية في كتب القوم عن عدة كبيرة من الأعلام، ورواه الكثيرون من المحدثين والمفسرين المشهورين في كتبهم، وإليك الأسماء:

١- أبو بكر السبيعي، المتوفى سنة ١٦٢.

٢- سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة ١٦١.

٣- سفيان بن عيينة، المتوفى سنة ١٩٨.

٤- أبو نعيم الفضل بن دكين، المتوفى سنة ٢١٩.

٥- أبو عبيد الهروي، المتوفى سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤.

٦- إبراهيم بن حسين الكسائي، ابن ديزيل، المتوفى سنة ٢٨١.

٧- أبو بكر النقاش الموصلي، المتوفى سنة ٣٥١.

٨- أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧.

٩- أبو الحسن الواحدى، المتوفى سنة ٤٦٨.

١٠- الحاكم الحسكاني النيسابوري، المتوفى سنة ٤٧٠.

١١- سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣٤

١٢- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١.

١٣- شيخ الإسلام الحموي الجويني، المتوفى سنة ٧٢٢.

١٤- الشيخ محمد الزرندي المدني الحنفى، المتوفى بعد سنة ٧٥٠.

١٥- ملك العلماء شهاب الدين الدولة آبادي، المتوفى سنة ٨٤٩.

١٦- نور الدين ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

١٧- نور الدين علي بن عبد الله السهمودي، المتوفى سنة ٩١١.

١٨- شمس الدين الخطيب الشربيني القاهري، المتوفى سنة ٩٧٧.

١٩- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢.

٢٠- جمال الدين المحدث الشيرازي، المتوفى سنة ١٠٠٠.

٢١- زين الدين عبد الرؤوف المناوي، المتوفى سنة ١٠٣١.

- ٢٢- نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي، المتوفى سنة ١٠٤٤.
 ٢٣- أحمد بن باكير المكي، المتوفى سنة ١٠٤٧.
 ٢٤- شمس الدين الحفني الشافعي، المتوفى سنة ١١٨١.
 ٢٥- أبو عبد الله الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢.
 ٢٦- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢.
 ٢٧- السيد مؤمن الشبلنجي المصري، المتوفى بهد سنة ١٣٢٢.
 ٢٨- الشيخ محمد عبده، المتوفى سنة ١٣٢٣.

القضية كما في الروايات ...: ص: ٣٣٤

والقضية في مجملها كما في الروايات: إنه لما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبته في غدير خم، وقال فيها ما شاء الله أن يقول، وذكر أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام حتى قال: «أيها الناس! أليست أولى بكم من أنفسكم؟! قالوا: شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٣٥

بلى. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» ... وبائع القوم علياً، ... وطار الخبر في الأقطار، وشاع في البلاد والأمصار، فبلغ الناس الذين لم يكونوا مع رسول الله في حجته ...

أتاه رجل «١» على ناقه له، فأناخها على باب مسجده، ثم عقلها، فدخل في المسجد، ورسول الله جالس وحوله أصحابه، فجثا بين يديه، فقال:

يا محمد! إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله؛ فقبلنا منك ذلك.

وإنك أمرتنا أن نصلّي خمس صلوات في اليوم والليلة، ونصوم رمضان، ونحج البيت، ونزكي أموالنا؛ فقبلنا منك.

ثم لم ترض بهذا، حتى رفعت بضبعي ابن عمك، وفضلته على الناس، وقلت:

من كنت مولاه فعلي مولاه!

فهذا شيء منك أو من الله؟!

فقال رسول الله - وقد أحمرت عيناه -: والله الذي لا إله إلا هو، إنه من الله وليس مني. قالها ثلاثاً.

فقام الرجل وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً، فأرسل علينا حجارة من السماء، أو آتينا بعذاب أليم.

قال الراوي: فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر، فوقع على هامته، فخرج من دبره، ومات. وأنزل الله تعالى: «سأل سائل بعذاب واقع».

رواة هذا الخبر من الأئمة عليهم السلام والأصحاب ...: ص: ٣٣٥

وقد جاء هذا الخبر في كتب القوم بأسانيدهم عن:

١- الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

سيأتي الكلام في اسم هذا الرجل.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٣٦

٢- الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

٣- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

٤- عبد الله بن العباس.

٥- حذيفة بن اليمان.

٦- سعد بن أبي وقاص.

٧- أبي هريرة.

من رواه من الأعلام ...: ص: ٣٣٦

ومن رواه الخبر من كبار الأئمة وأعلام القوم:

١- سفيان بن عيينة:

وهذه نصوص في الثناء الجميل عليه:

قال النووي: «روى عنه: الأعمش، والثوري، وسعر وابن جريج، وشعبة، وهمام، ووکیع، وابن المبارك، وابن مهدي، والقطان، وحماد بن زيد، وقيس بن الربيع، والحسن بن صالح، والشافعي، وابن وهب، وأحمد بن حنبل ... واتفقوا على إمامته، وجلالته، وعظيم مرتبته. وُلد سفيان سنة ١٠٧، وتوفي يوم السبت غرة رجب سنة ١٩٨» (١).

وقال الذهبي: «العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، كان إماماً، حجةً، وحافظاً، واسع العلم، كبير القدر» (٢).

وقال: «أحد الأعلام، ثقة، ثبت، حافظ، إمام» (٣).

٢- سفيان الثوري:

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٢٤ رقم ٢١٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٤.

(٣) الكاشف عن أسماء رجال الصحاح الستة ١/ ٣٧٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٣٧

وهذه نصوص في الثناء الجميل عليه:

قال شعبه، وسفيان بن عيينة، وأبو عاصم النبيل، ويحيى بن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث.

وقال سفيان بن عيينة: أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عباس في زمانه، الشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

وقال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه، والحديث والزهد، وكل شيء.

وقال شعبه: إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم.

وقال الخطيب: كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تركيته، مع الإتيان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد.

وهو من رجال الصحاح الستة.

واجتمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة ١٦١ «١».

٣- ابن ديزيل:

ومن رواه هذا الخبر من الأعلام:

أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين الهمداني الكسائي، ويعرف بابن ديزيل، المتوفى سنة ٢٨١.

وتوجد ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٨، الوافي بالوفيات ٥/ ٣٤٦، البداية والنهاية ١١/ ٧١، طبقات القراء ١/ ١١، وغيرها ... ونحن

نكتفي بموجز ما جاء في سير أعلام النبلاء، حيث ترجم له الذهبي قائلاً:

«ابن ديزيل، الإمام الحافظ، الثقة، العابد، سمع بالحرمين ومصر والشام والعراق

(١) تهذيب الكمال ١١/ ١٦٤ - ١٦٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣٨

والجبال، وجمع فأوعى. وُلد قبل المئتين بمُدَيْدَة، وسمع أبا نعيم، و...

حدّث عنه: أبو عوانة، و...

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

قال الحاكم: هو ثقة، مأمون.

وقال ابن خراش: صدوق اللهجة.

قلت: إليه المنتهى في الإتقان. روى عنه أنه قال: إذا كان كتابي بيدي وأحمد بن حنبل عن يميني ويحيى بن معين عن شمالي، ما أبالي.

يعني: لضبط كتبه.

قال صالح بن أحمد في تاريخ همدان: سمعت جعفر بن أحمد يقول: سألت أبا حاتم الرازي عن ابن ديزيل، فقال: ما رأيت ولا بلغني

عنه إلّا صدق وخير» «... ١».

نقل القوم عن تفسير الثعلبي واعتمادهم عليه ص: ٣٣٨

وروى كثير من العلماء هذا الخبر عن تفسير الثعلبي مرتضين إياه ومعتمدين عليه، في مختلف الكتب، وإليك بعض عباراتهم:

قال سبط ابن الجوزي: «اتَّفَق علماء السير أنَّ قِصَّةَ الغدير بعد رجوع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من حِجَّةِ الوداع، في الثامن عشر

من ذى الحِجَّة، جمع الصحابة - وكانوا ١٢٠ ألفاً - وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه ... الحديث. نصّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على

ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده: إِنَّ النَّبِيَّ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ، طَارَ فِي الْأَقْطَارِ، وَشَاعَ فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ

بن نعمان الفهري» «... ٢».

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٨٤.

(٢) تذكرة خواص الأمة: ٣٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٣٩

وقال السمهودي: «وروى الإمام الثعلبي في تفسيره: إِنَّ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» فِي مَنْ نَزَلَتْ؟ فَقَالَ لِلْسَّائِلِ:

سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ؛ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا كَانَ بِغَدِيرِ خَمٍّ، نَادَى النَّاسَ فَاجْتَمَعُوا، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيٌّْ مَوْلَاهُ. فَشَاعَ ذَلِكَ وَطَارَ فِي الْبِلَادِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ «... ١».

وقال المناوي: بشرح «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»: «وفي تفسير الثعلبي عن ابن عيينة: إِنَّ النَّبِيَّ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَارَ فِي الْآفَاقِ، فَبَلَغَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ «... ٢».

وقال الزرقاني: «وفي تفسير الثعلبي عن ابن عيينة: إِنَّ النَّبِيَّ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَارَ فِي الْآفَاقِ، فَبَلَغَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ «... ٣».

وقال ابن الصبَّاح: «ونقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: إِنَّ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» فِيمَنْ نَزَلَتْ؟ فَقَالَ لِلْسَّائِلِ «... ٤».

وقال الزرندي: «ونقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: إِنَّ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» فِي مَنْ نَزَلَتْ؟ «... ٥».

رواية الحموي الجويني عن الثعلبي بالإسناد ...: ص: ٣٣٩

ورواه شيخ الإسلام الحموي بالإسناد عن الواحدي عن الثعلبي، حيث قال:

(١) جواهر العقدین - القسم الثاني - ٩٨ / ١.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢١٨ / ٦.

(٣) شرح المواهب اللدنية ١٣ / ٦.

(٤) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٤٢.

(٥) نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطین: ٩٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٤٠

«أخبرني الشيخ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران - بمدينته نابلس، في ما أجاز لي أن أرويه عنه -، إجازة عن القاضي جمال الدين عبد القاسم بن عبد الصمد الأنصاري، إجازة عن عبد الجبار بن محمد الخوارى البيهقي، إجازة عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، قال: قرأت على شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره: إِنَّ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» فِي مَنْ نَزَلَتْ؟ «... ١».

الحموي الذهبي ...: ص: ٣٤٠

والحموي هذا من مشايخ الحافظ الذهبي، إذ ذكره في معجمه المختص، وترجم له قائلاً:

«إبراهيم بن محمد المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمد بن حمويه، الإمام الكبير، المحدث، شيخ المشايخ، صدر الدين، أبو المجمع، الخراساني الجويني الصوفي. وُلد سنة ٦٤٤، وسمع بخراسان وبغداد والشام والحجاز، وكان ذا اعتناء بهذا الشأن، وعلى يده أسلم الملك غازان. توفى بخراسان في سنة ٧٢٢. قرأنا على أبي المجمع إبراهيم بن حمويه سنة ٦٩٥» (... ٢).

كلمات في الثعلبي وتفسيره ... ص: ٣٤٠

وهذه كلمات في الثعلبي وتفسيره عن أكابر علماء القوم:

١- ابن خلكان: «أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المفسر المشهور، كان أوجد أهل زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي

(١) فرائد السمطين ١ / ٨٢.

(٢) المعجم المختص: ٦٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٤١

فاق غيره من التفاسير، ... وقال أبو القاسم القشيري: رأيت رب العزة عزوجل في المنام وهو يخاطبني وأخطبه، فكان في ذلك أن قال الرب تعالى اسمه: أقبَل الرجل الصالح. فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل!

وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه، وقال: هو صحيح النقل موثق به، حدث عن أبي طاهر ابن خزيمة والإمام أبي بكر ابن مهران المقرئ، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ. توفى سنة ٤٢٧، وقال غيره: توفى في محرم سنة ٤٢٧، وقال غيره: توفى يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ٤٣٧ رحمه الله تعالى» (١).

٢- الذهبي: «وفيها توفى أبو إسحاق الثعلبي، وكان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة» (٢).

٣- الصفدي: «كان حافظاً، عالماً، بارعاً في العربية، موثقاً» (٣).

٤- اليافعي: «المفسر المشهور، وكان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية والدين والديانة، فاق تفسير الكبير سائر التفاسير» (٤).

٥- ابن قاضي شهبه: «أخذ عنه أبو الحسن الواحدی. روى عن أبي القاسم القشيري. قال الذهبي: كان حافظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة» (٥).

٦- السيوطي: «كان كبيراً إماماً، حافظاً للغة، بارعاً في العربية» (٦).

(١) وفيات الأعيان ١ / ٦١.

(٢) العبر في خبر من غير ٢ / ٢٥٥. حوادث سنة ٤٢٧.

(٣) الوافي بالوفيات ٨ / ٣٣.

(٤) مرآة الجنان ٣ / ٣٦. حوادث سنة ٤٢٧.

(٥) طبقات الشافعية ١ / ٢٠٧.

(٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٣٥٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٤٢

أسانيد الخبر في كتاب شواهد التنزيل ...: ص: ٣٤٢

وقد روى الحافظ الحاكم الحسكاني هذا الخبر بأسانيد عديده، عن بعض أنمّه أهل البيت عليهم السلام، وعدّه من الصحابة، فرواه قائلاً:
١- «أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجاني، حدّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثني محمد بن سهل، حدّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصاري، حدّثنا محمد بن أيوب الواسطي، عن سفيان بن عيينه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ...»

٢- «حدّثونا عن أبي بكر السبيعي، حدّثنا أحمد بن محمد بن نصر أبو جعفر الضبعي، قال: حدّثني زيد بن إسماعيل بن سنان، حدّثنا شريح بن النعمان، حدّثنا سفيان بن عيينه، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، قال: نصب رسول الله عليّاً...»

٣- «ورواه في التفسير العتيق، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد الكوفي، قال: حدّثني نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن محمد بن جهل، قال: أقبل الحارث بن عمرو الفهري إلى النبيّ...»
«وفي الباب عن: حذيفة، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وابن عباس».

٤- «حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا أبو الحسن محمّد بن إسماعيل الحسيني، حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، حدّثنا إبراهيم».

وأخبرنا أبو بكر محمّد بن محمّد البغدادي، حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن أحمد ابن جعفر الشيباني، حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، حدّثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي، حدّثنا الفضل بن دكين، حدّثنا سفيان بن سعيد، حدّثنا منصور، عن ربعي، عن حذيفة بن اليمان، قال: لما قال رسول الله لعليّ: من كنت مولاه فهذا مولاه؛ قام النعمان بن المنذر الفهري، فقال...»

٥- «وأخبرنا عثمان، أخبرنا فرات بن إبراهيم الكوفي، حدّثنا الحسين بن

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٤٣

محمّد بن مصعب البجلي، حدّثنا أبو عماره محمّد بن أحمد المهدي، حدّثنا محمد بن أبي معشر المدني، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله بعضد عليّ بن أبي طالب «... ١».

أقول:

ولو أردنا تصحيح كلّ هذه الأسانيد لطال بنا المقام، لكنّا نكتفي ببيان صحّة واحدٍ منها، وهو الطريق الثاني للخبر الرابع، فنقول:

* وأما أبو بكر محمّد البغدادي، فقد قال الحافظ عبد الغافر النيسابوري بترجمته: «محمّد بن محمد بن عبد الله بن جعفر العطار الوراق الحنفي الحيري، أبو بكر بن أبي سعيد البغدادي، الفقيه. فاضل، دين، ظريف، قصير القامة، مليح الشمائل، حدّث عن.. توفّي سنة ٤١٦» (٢).

* وأما عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني النيسابوري، فقد ترجم له الخطيب البغدادي، فقال ما ملخصه:

كان له ثروة ظاهرة، فأنفق أكثرها على العلم وأهل العلم وفي الحجّ والجهاد وغير ذلك من أعمال البرّ، وكان من أكثر أقرانه سماعاً للحديث، كتب الناس عنه، روى عنه:

يوسف بن عمر القوّاس، وابن الثّلاج، وإبراهيم بن مخلد بن جعفر، وأبو الحسن بن رزقويه، وغيرهم، وكان ثقة. توفّي سنة ٣٧٢ (٣).

* وأما عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، فقد ترجم له الخطيب البغدادي كذلك، فقال:

«عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد ... الأسدي القاضي. من أهل همدان. حدّث

(١) شواهد التنزيل ٢ / ٣٨١ - ٣٨٥.

(٢) السياق في تاريخ نيسابور: ٣٧.

(٣) تاريخ بغداد ٩ / ٣٩١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٤٤

عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمداني ...، وقدم بغداد وحديث بها، فكتب عن الشيوخ القدماء، وروى عنه: الدارقطني، وحديثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه بكتاب تفسير ورقاء وغيره، وحديثنا عنه أيضاً أبو الحسن ابن الحماصي المقرئ، وأبو علي بن شاذان، وأحمد بن علي الباداء «... ١».

وجعله الذهبي من (أعلام النبلاء) وترجم له «٢».

ووفاته سنة ٣٥٢.

وقد ذكروا تكلم بعض معاصريه فيه بسبب روايته عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، بدعوى أنه لم يدركه، ومن هنا أورده الذهبي في ميزان الاعتدال «٣»، وأوضح ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان بأن أبا حفص بن عمر والقاسم بن أبي صالح أنكرا روايته عن إبراهيم، وقالوا: بلغنا أن إبراهيم قرأ كتاب التفسير قبل سنة سبعين، وأدعى هذا - أي: عبدالرحمن بن الحسن الأسدي - أن مولده سنة سبعين، وبلغنا أن إبراهيم قل أن يمر له شيء فيعيده «٤».

أقول:

لقد كان الرجل محدثاً جليلاً يروى عنه الدارقطني وأمثاله من الأئمة النقد المتقنين، وهذا القدر من الكلام فيه لا يضر بثاقته: أما أولاً: فلأن كلام المعاصر في معاصره غير مسموع، كما نص عليه الذهبي وابن حجر في غير موضع من كتبهما «٥».

(١) تاريخ بغداد ١٠ / ٢٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٢ / ٥٦٦.

(٤) لسان الميزان ٣ / ٤١١.

(٥) من ذلك: قول الذهبي في الميزان ١ / ١١١: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعاب به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلّا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس»، وقول ابن حجر في اللسان ٥ / ٢٣٤: «ولا نعتد - بحمد الله - بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض».

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٤٥

وأما ثانياً: فلأن مبنى هذا الكلام هو ولادة عبد الرحمن سنة ٢٧٠، وأن ابن ديزيل قرأ التفسير قبل هذه السنة - كما بلغ القائل -، وأن ابن ديزيل قل أن يعيد قراءة شيء.

لكن إذا كانت ولادته سنة ٢٧٠، ووفاء ابن ديزيل سنة ٢٨١ - كما تقدّم -، فإن من الجائز أن يكون قد سمع منه ما رواه عنه، أو سمع بعضه وسمعه أبو البعض الآخر، وإذ لا جرح في الرجل من ناحية أخرى، جاز لنا الاعتماد على خبره، مع رواية الأكابر عنه، ولا يعارض ذلك كلام بعض معاصريه فيه خاصة إذا كان استناداً إلى «بلغنا» و «بلغنا».

* وأما إبراهيم بن الحسين الكسائي، فهو «ابن ديزيل» وقد تقدّم ترجمته.

* وأما الفضل بن دكين، فمن رجال الصحاح الستة. قال ابن حجر الحافظ: «ثقة، ثبت، وهو من كبار شيوخ البخاري» «١».

* وأما سفيان بن سعيد، فهو الثوري، المتقدم ترجمته.

- * وأما منصور، فهو منصور بن المعتمر، وهو من رجال الصحاح الستة، قال الحافظ: «ثقة ثبت، وكان لا يدلس» (٢).
- * وأما ربعي، فهو ربعي بن خراش، من رجال الصحاح الستة، قال الحافظ: «ثقة، عابد، مخضرم» (٣).
- * وأما حذيفة بن اليمان، فهو الصحابي الجليل.

(١) تقريب التهذيب ٢ / ١١٠.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ١٧٧.

(٣) تقريب التهذيب ١ / ٢٤٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٤٦

دلالة الخبر على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ... ص: ٣٤٦

ثم إن هذا الخبر من أوضح الدلائل على أن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمير المؤمنين يوم الغدير: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، نصّ قطعي على إمامته الكبرى وولايته العظمى من بعده بلا فصل ... لأنّ هذا الكلام من النبيّ إن كان معناه «الحب» أو «النصرة» أو ما شابه ذلك من المعاني، لم يكن أيّ اعتراض من ذلك الأعرابي على رسول الله قائلاً: «هذا منك أو من الله؟!». بل إنّ كلامه: «أمرتنا ... وأمرتنا ... ثم لم ترض بهذا، حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك وفصلته على الناس، وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه» صريح في دلالة حديث الغدير على الإمامة والخلافة..

وإلّا ... فلماذا هذا الاعتراض؟! وبهذه الوقاحة؟! حتّى يضطرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يحلف قائلاً - وقد احمرت عيناه -: «والله الذي لا إله إلّا هو إنّه من الله وليس مني»، ويكرّر ذلك ثلاثاً؟! وإلّا.. فلماذا يناشد عليّ الناس بحديث الغدير؟! وإلّا ... فلماذا يكون في نفس أبي الطفيل شيء؟! أخرج أحمد بسند صحيح عن أبي الطفيل، قال: «جمع عليّ الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كلّ امرئٍ مسلمٍ سمع رسول الله يقول يوم غدير خمّ ما سمع، لما قام؛ فقام ثلاثون من الناس ... قال: فخرجت وكأنيّ في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنيّ سمعت عليّاً يقول كذا وكذا! قال: فما تنكر؟! قد سمعت رسول الله يقول له ذلك» (١).

وإلّا ... وإلّا ... إلى غير ذلك.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٣٧٠.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٤٧

نعم، لولا دلالة حديث الغدير على إمامة الأمير عليه الصلاة والسلام، لم يعترض ذاك الأعرابي على الله ورسوله، فخرج بذلك عن الإسلام، ولاقى جزاءه في دار الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ... ولولا دلالة عليّ إمامة الأمير لما تبع ابن تيمية ذاك الأعرابي الجلف الجافّ، وزعم أن أهل المعرفة بالحديث قد اتفقوا على أن هذا الحديث من الكذب الموضوع.

وقد ظهر أنّ للحديث طرقاً كثيرة، بعضها صحيح ورواته كبار الأئمة والحفاظ والأعلام من أبناء العامة، فهو حديث معتبر مستفيض.

إِنَّ الْأَبْطَحَ بِمَكَّةَ...

فإن هذا جهل من ابن تيمية، لأنَّ الأبطح في اللغة هو: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى، كما لا يخفى على من راجع الكتب اللغوية من الصحاح والقاموس والنهاية وغيرها في مادة «بطح»، قالوا: «ومنه بطحاء مكة».

بل ذكر السهودي في كتابه في تاريخ المدينة المنورة في بقاعها ما يسمّى بالبطحاء (١).

وأما أن سورة المعارج مكّية، فالجواب:

أولاً: إن كونها مكّية لا يمنع من كون بعضها مدنيّاً، حتّى الآيات الأولى، لوجود نظائر لذلك في القرآن الكريم، كما هو مذكور في كتب هذا الشأن، بل تكفى مراجعته كتب التفسير في أوائل السور، حيث يقولون مثلاً: مكّية إلّا كذا من أولها، أو الآية الفلانية. وثانياً: إنّه لا مانع من تكرّر نزول الآية المباركة، ولهذا أيضاً نظائر في القرآن الكريم، وقد عقد له باب في كتب علوم القرآن، مثل الإتيان للحافظ السيوطي.

وأما أن الآية «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ...» مدنيّة نزلت في واقعة بدرٍ، فالاعتراض به

(١) خلاصه الوفا بأخبار دار المصطفى: ٢٤٦.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٤٨

عجيب جداً، إذ ليس في الرواية عن سفيان بن عيينة ذكرٌ لنزول هذه الآية في قضية غدير خم، وإنّما جاء فيها أن الأعرابي خرج وهو يقول: اللَّهُمَّ إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء... فما هو وجه الإشكال؟!

هذا، وقد تعرّضنا للجواب عن جميع جهات كلام ابن تيمية في الآية في كتابنا الكبير (١).

وبقى شيء:

وهو: أنّه إذا كانت الآية «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ» من (سورة الأنفال)، ونازلته في واقعة بدر، ولا علاقة لها بقضية الأعرابي المعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد واقعة غدير خم، فلماذا ذكر الحاكم النيسابوري الخبر التالي في تفسير (سورة المعارج) من كتاب التفسير من المستدرک؟!

وهذا نصّ عبارته:

«تفسير سورة «سَأَلَ سَائِلٌ». بسم الله الرحمن الرحيم: أخبرنا محمد بن عليّ الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن سعيد بن جبیر: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ»: ذى الدرجات.

«سَأَلَ سَائِلٌ». قال: هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

وافقه الذهبي على التصحيح (٢).

(١) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٨ / ٣٦٤ - ٣٨١.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٢ / ٥٠٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٤٩

بل إذا رجعت إلى المستدرک في سورة الأنفال، لا تجد الرواية هناك أصلاً...

وبماذا يجيب ابن تيمية وأتباعه عن هذا الذي فعله الحاكم والذهبي وهما الإمامان الحافظان الكبيران؟!

لا سيما وأنّ راوى هذا الخبر الصحيح هو سفيان الثوري، وقد وقع في طريق خبر صحيح آخر في القضية - كما تقدّم بالتفصيل -، والمروى عنه هو سعيد بن جبير، ولا بُدّ أنّه أخذ الخبر من ابن عباس، وهو أحد رواة خبر نزول آية «سَأَلَ سَائِلٌ» في قضية غدير خمّ... مضافاً إلى أنّ أغلب رواة من الشيعة.

الحقيقة: إنّ هذا الخبر من جملة الأخبار الصحيحة في نزول «سَأَلَ سَائِلٌ» في قضية غدير خمّ، ويشهد بذلك كلام بعض المفسّرين بتفسير الآية مع ذكر القضية، حيث يذكر عن ابن عباس أنّ السائل للعذاب بعد قضية غدير خمّ هو «النضر بن الحارث بن كلدة». ففي تفسير الخطيب الشربيني ما نصّه: «اختلف في هذا الداعي، فقال ابن عباس:

هو النضر بن الحارث؛ وقيل: الحارث بن النعمان. وذلك أنّه لما بلغه قول النبي: من كنت مولاه فعليّ مولاه» «... ١».

وفي تفسير القرطبي: «وهو النضر بن الحارث... قال ابن عباس ومجاهد. وقيل:

إنّ السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنّه لما بلغه» «... ٢».

فذكر قولين، أحدهما مطابق لرواية الحاكم، والآخر مطابق لرواية الثعلبي.

وعن تفسير أبي عبيدة الهروي أنّه: «جابر بن النضر بن الحارث ابن كلدة» «... ٣».

ومنهم من صحّف «الحارث بن النعمان» إلى «النعمان بن المنذر» وهو أيضاً عن

(١) تفسير القرطبي ٢٧٨ / ١٨.

(٢) تفسير القرطبي ٢٧٨ / ١٨.

(٣) الغدير ٢٣٩ / ١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٥٠

سفيان الثوري، وبسنده صحيح «١».

ومنهم من صحّفه إلى «النعمان بن الحارث» «٢».

ومنهم من صحّفه إلى «الحارث بن عمرو» «٣».

ومنهم من قال: «فقام إليه أعرابي» «٤».

ومنهم من قال: «بعض الصحابة» «٥».

ومنهم من قال غير ذلك...

والموضوع بحاجة إلى تحقيق أكثر ليس هذا موضعه...

لكنّ الأكثر على أنّه «الحارث بن النعمان» كما في تفسير الثعلبي.

وهنا اعترض ابن تيمية قائلاً:

«هذا الرجل لا يُعرف في الصحابة، بل هو من جنس الأسماء التي تذكرها الطريقة».

وهو مردود بأنّ هذا الرجل مرتدّ برّده على الله والرسول، وكتب الصحابة قد اشترط أصحابها أن يذكروا فيها من مات من الصحابة على الإسلام.

وإن كان ابن تيمية يراه - مع ذلك - مسلماً، فإنّ كتب الصحابة لم تستوعب كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وهم على مسلكتهم يعدّون بعشرات الآلاف.

وهذا موجز الكلام حول نزول هذه الآية في قضية يوم غدير خمّ، وبالله التوفيق.

(١) شواهد التنزيل ٢ / ٣٨٤.

(٢) شواهد التنزيل ٢ / ٣٨١.

(٣) شواهد التنزيل ٢ / ٣٨٢.

(٤) شواهد التنزيل ٢ / ٣٨٥.

(٥) حاشية الحفنى على الجامع الصغير ٢ / ٣٨٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٥١

البرهان الثالث ... ص: ٣٥١**إشارة**

قال قدس سره: «البرهان الثالث: قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدرى، قال: إنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلِيٍّ فِي غدير خَمٍّ، وَأَمَرَ بِمَا تَحْتَ الشَّجَرِ مِنَ الشُّوْكَ فَقَطَّمَهُ، وَدَعَا عَلِيًّا فَأَخَذَ بِضَبْعِيهِ فَرَفَعَهُمَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَى بِيَاضِ إِبْطِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقُوا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَبِالْوِلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِهِ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَانصُرْ مِنْ نَصْرِهِ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ! الشرح:

قال ابن تيمية: والجواب من وجوه:

أحدها: إنَّ المستدلَّ عليه ببيان صحَّة الحديث ومجرد عزوه إلى رواية أبي نعيم لا تفيد الصحَّة باتفاق الناس: علماء السنَّة والشيعة؛ فإنَّ أبا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة، بل موضوعة، باتفاق علماء أهل الحديث: السنَّة والشيعة. وهو وإن كان حافظاً كثيراً الحديث واسع الرواية، لكن روى، كما عادة المحدثين أمثاله يروون جميع ما في الباب، لأجل المعرفة بذلك، وإن لا يُحتج من ذلك إلا- ببعضه. والناس في مصنَّفاتهم: منهم من لا يروى عمَّن يعلم أنه يكذب، مثل مالك، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل؛ فإن هؤلاء لا يروون عن شخص ليس بثقة عندهم، ولا يروون حديثاً يعلمون أنه عن كذاب، فلا يروون أحاديث الكذَّابين

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٥٢

الذين يُعرفون بتعمد الكذب، لكن قد يتفق فيما يروونه ما يكون صاحبه أخطأ فيه.

وقد يروى الإمام أحمد وإسحاق وغيرهما أحاديث تكون ضعيفة عندهم، لاتهام رواتها بسوء الحفظ ونحو ذلك، ليعتبر بها ويُستشهد بها، فإنه قد يكون لذلك الحديث ما يشهد له أنه محفوظ، وقد يكون له ما يشهد بأنه خطأ، وقد يكون صاحبها كذَّاباً في الباطن، ليس مشهوراً بالكذب، بل يروى كثيراً من الصدق، فيروى حديثه.

وليس كل ما رواه الفاسق يكون كذباً، بل يجب التَّبين في خبره، كما قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا» الآية، فيروى لتنظر سائر الشواهد:

هل تدل على الصدق أو الكذب؟

وكثير من المصنِّفين يعزُّو عليه تمييز ذلك على وجهه، بل يعجز عن ذلك، فيروى ما سمعه كما سمعه، والدَّرْكُ على غيره لا عليه،

وأهل العلم ينظرون في ذلك وفي رجاله وإسناده.

الوجه الثاني: أن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات. وهذا يعرفه أهل العلم بالحديث، والمرجع إليهم في ذلك. ولذلك لا يوجد هذا في شيء من كتب الحديث يرجع إليها أهل العلم بالحديث.

الوجه الثالث: أنه قد ثبت في الصحاح والمساند والتفسير أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفه، وقال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب:

يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك [اليوم] عيداً. فقال له عمر: وأي آية هي؟ قال: قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت، وفي أي مكان نزلت. نزلت يوم عرفه بعرفه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفه.

وهذا مستفيض من وجوه آخر، وهو منقول في كتب المسلمين: الصحاح والمساند والجوامع والسير والتفسير وغير ذلك.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥٣

وهذا اليوم كان قبل يوم غدیر خم بتسعة أيام؛ فإنه كان يوم الجمعة تاسع ذي الحجة، فكيف يُقال: إنها نزلت يوم الغدير؟! الوجه الرابع: أن هذه الآية ليس فيها دلالة على علي ولا إمامته بوجه من الوجوه، بل فيها إخبار الله بأكمل الدين وإتمام النعمة على المؤمنين، ورضا الإسلام ديناً.

فدعوى المدعى أن القرآن يدل على إمامته من هذا الوجه كذب ظاهر.

وإن قال: الحديث يدل على ذلك.

فيقال: الحديث إن كان صحيحاً، فتكون الحجة من الحديث لا من الآية. وإن لم يكن صحيحاً، فلا حجة في هذا ولا في هذا. فعلى التقديرين لا دلالة في الآية على ذلك. وهذا مما يبين به كذب الحديث؛ فإن نزول الآية لهذا السبب، وليس فيها ما يدل عليه أصلاً، تناقض.

والوجه الخامس: أن هذا اللفظ، وهو قوله: «اللهم وال والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله» كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

وأما قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فلهم فيه قولان، وسنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

الوجه السادس: أن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مجاب، وهذا الدعاء ليس بمجيب. فعلم أنه ليس من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه من المعلوم أنه لما تولى كان الصحابة وسائر المسلمين ثلاثة أصناف: صنف قاتلوا معه، وصنف قاتلوه، وصنف قعدوا عن هذا وهذا. وأكثر السابقين الأولين كانوا من القعود. وقد قيل: إن بعض السابقين الأولين قاتلوه. وذكر ابن حزم أن عمار بن ياسر قتله أبو الغادية، وإن أبا الغادية هذا من السابقين، ممن بايع تحت الشجرة. وأولئك جميعهم قد ثبت في الصحيحين أنه لا يدخل النار منهم أحد.

ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥٤

«لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

وفي الصحيح أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال: «كذبت، إنه شهد بدرًا والحديبية».

وحاطب هذا هو الذي كاتب المشركين بخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وبسبب ذلك نزل: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا غِدْوَى وَعَدْوَكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» الآية، وكان مسيئاً إلى ممالكه، ولهذا قال مملوكه هذا القول، وكذبه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «إنه شهد بدرًا والحديبية» وفي الصحيح: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

وهؤلاء فيهم ممن قاتل علياً، كطلحة والزبير، وإن كان قاتل عمار فيهم فهو أبلغ من غيره.

وكان الذين بايعوه تحت الشجرة نحو ألف وأربعمائة، وهم الذين فتح الله عليهم خيبر، كما وعدهم الله بذلك في سورة الفتح، وقسمها بينهم النبي صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهماً، لأنه كان فيهم مائتا فارس، فقسّم للفارس ثلاثة أسهم: سهماً له، وسهمين لفارسه، فصار لأهل الخيل ستمائة سهم، ولغيرهم ألف ومائتا سهم. هذا هو الذي ثبت في الأحاديث الصحيحة، وعليه أكتل أهل العلم، كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم. وقد ذهب طائفة إلى أنه أسبغهم للفارس سهمين، وأن الخيل كانت ثلاثمائة، كما يقول ذلك من يقوله من أصحاب أبي حنيفة.

وأما علي فلا ريب أنه قاتل معه طائفة من السابقين الأولين، كسهل بن حنيف، وعمار بن ياسر. لكن الذين لم يقاتلوا معه كانوا أفضل؛ فإن سعد ابن أبي وقاص لم يقاتل معه، ولم يكن قد بقي من الصحابة بعد علي أفضل منه. وكذلك محمد بن مسلمة من الأنصار، وقد جاء في الحديث: «أن الفتنة لا تضره» فاعتزل. وهذا مما استدل به علي أن القتال كان قتال فتنة بتأويل، لم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥٥

وعلي - ومن معه - أولى بالحق من معاوية وأصحابه، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» فدلّ هذا الحديث على أن علياً أولى بالحق ممن قاتله؛ فإنه هو الذي قتل الخوارج لما افرق المسلمون، فكان قوم معه وقوم عليه. ثم إن هؤلاء الذين قاتلوه لم يُخذلوا، بل مازالوا منصورين يفتحون البلاد ويقتلون الكفار. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» قال معاذ بن جبل: «وهم بالشام».

وفي مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة» قال أحمد بن حنبل وغيره: «أهل الغرب هم أهل الشام».

وهذا كما ذكره؛ فإن كل بلد له غرب وشرق، والاعتبار في لفظ النبي صلى الله عليه وسلم بغرب مدينته، ومن الفرات هو غرب المدينة، فالبيزة ونحوها على سمت المدينة، كما أن حرّان والرقة وسُميساط ونحوها على سمت مكة. ولهذا يُقال: إن قبله هؤلاء أعدل القبل، بمعنى أنك تجعل القطب الشمالي خلف ظهرك، فتكون مستقبل الكعبة، فما كان غربى الفرات إلى آخر الأرض، وأهل الشام أو هؤلاء.

والعسكر الذين قاتلوا مع معاوية ما خُذِلوا قط، بل ولا في قتال علي. فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم اخذل من خذله وانصر من نصره» [والذين قاتلوا معه لم يُنصروا على هؤلاء، بل الشيعة الذين تزعمون انهم مختصون بعلي ما زالوا مخذولين مقهورين لا يُنصرون إلا مع غيرهم: إما مسلمين وإما كفّار، وهم يدّعون أنهم أنصاره]، فأين نصر الله لم نصره؟! وهذا وغيره مما يبين كذب هذا الحديث «١».

(١) منهاج السنّة ٧/ ٥٢ - ٥٩.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥٦

أقول: يتلخص كلامه في نقاط:

١- المطالبة بصحة الحديث وعدم كفاية العزو إلى أبي نعيم.

٢- إن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات، ولهذا لا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة.

٣- إن هذه الآية ثبت نزولها بعرفة.

٤- إن هذه الآية ليس فيها دلالة على على ولا إمامته بوجه.

٥- لفظ: اللهم وال من والاه ... كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

٦- هذا الدعاء ليس بمجواب.

أقول:

وإن رواة حديث نزول هذه الآية المباركة في يوم الغدير - من كبار الأئمة والحفاظ الأعلام من العامة - كثيرون جداً، نذكر هنا بعضهم:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.

٢- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥.

٣- أبو حفص ابن شاهين، المتوفى سنة ٣٨٥.

٤- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.

٥- أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.

٦- أبو نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

٧- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.

٨- أبو بكر الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣.

٩- أبو الحسين ابن النور، المتوفى سنة ٤٧٠.

١٠- أبو سعيد السجستاني، المتوفى سنة ٤٧٧.

١١- أبو الحسن أبو المغازلي الواسطي، المتوفى سنة ٤٨٣.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٥٧

١٢- أبو القاسم الحاكم الحسكاني.

١٣- الحسن بن أحمد الحداد الأصفهاني، المتوفى سنة ٥١٥.

١٤- أبو بكر ابن المزرفي، المتوفى سنة ٥٢٧.

١٥- أبو الحسن ابن قبيس، المتوفى سنة ٥٣٠.

١٦- أبو القاسم ابن السمرقندي، المتوفى سنة ٥٣٦.

١٧- أبو الفتح النطنزي، المتوفى حدود سنة ٥٥٠.

١٨- أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي، المتوفى سنة ٥٥٨.

١٩- الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨.

٢٠- أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.

٢١- أبو حامد سعد الدين الصالحاني.

٢٢- أبو المظفر سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

٢٣- عبد الرزاق الرسعني، المتوفى سنة ٦٦١.

٢٤- شيخ الإسلام الحمويني الجويني، المتوفى سنة ٧٢٢.

٢٥- عماد الدين ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.

٢٦- جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

فهؤلاء أئمة القوم وكبار حفاظهم في مختلف القرون، قد أخرجوا هذا الحديث في كتبهم، ورووه بأسانيدهم... ونحن نذكر عدّة من تلك الأسانيد ونوضّح صحتها:

١- رواية أبي نعيم الأصفهاني ص: ٣٥٧

قال: «حدّثنا محمّد بن أحمد بن عليّ بن مخلّد، قال: حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدّثني يحيى الحماني، قال: حدّثنا قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى -رضى الله عنه-: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥٨

دعا الناس إلى عليّ عليه السلام في غدير خمّ، وأمر بما تحت الشجر من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا عليّاً، فأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتى وبالولاية لعلّى من بعدى.

ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فقال حسّان بن ثابت: ائذن لى يا رسول الله أن أقول فى عليّ أبيتاً تسمعهنّ. فقال: قل على بركة الله.

فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخه قريش! أتبعها قولى بشهادة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فى الولاية ماضية. ثمّ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ وأسمع بالغدير مناديا
يقول: فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا عليّ فإننى رضيتك من بعدى إماماً وهاديا
هناك دعا اللهمّ والٍ وليه وكن للذى عادى عليّاً معاديا» (١)

* أمّا «محمّد بن أحمد بن عليّ بن مخلّد» فهو المعروف بابن محرم، المتوفى سنة ٣٥٧، من أعيان تلامذة ابن جرير الطبرى وملازميه:

(١) خصائص الوحي المبين: ٦١-٦٢، عن كتاب ما نزل فى عليّ من القرآن- لأبى نعيم الحافظ الأصفهاني -.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٥٩

قال الدارقطنى: لا بأس به «١».

وكذا قال أبو بكر البرقانى «٢».

ووصفه الذهبى بالإمام المفتى المعمر «٣».

وربّما تكلم فيه لوجود بعض الأحاديث المناكير فى كتبه.

قلت:

لعلهم يقصدون من ذلك هذا الحديث وأمثاله من المناقب.

* وأمّا «يحيى الحماني» فهو من رجال مسلم فى صحيحه، ومن مشايخ أبى حاتم ومطّين وأمثالهما من كبار الأئمة.

وحكى غير واحد منهم عن يحيى بن معين قوله فيه: «صدوق ثقة» وكذا وثقه جماعة من أعلام الجرح والتعديل، قالوا: وهؤلاء - الذين يتكلمون فيه - يحسدونه ... وأيضاً: ذكروا أنه كان لا يحب عثمان، ويقول عن معاوية: «كان معاوية على غير ملة الإسلام» (٤).
* وأما «قيس بن الربيع» فمن رجال أبي داود والترمذى وابن ماجه.
قال الحافظ: «صدوق، تغير لما كبر» (٥ ...).

* وأما «أبو هارون العبدى» فهو: عماره بن جوين، من مشاهير التابعين، ومن رجال البخارى فى خلق أفعال العباد، والترمذى، وابن ماجه، ومن مشايخ الثورى والحمادين وغيرهم من الأئمة ... وقد تكلم فيه بعضهم لتشيعه.
قال ابن عبد البر: «كان فيه تشيع، وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشيع بين أظهرهم

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤١.

(٢) تاريخ بغداد ١ / ٣٢١، شذرات الذهب ٣ / ٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦١ / ٦٠.

(٤) راجع: تهذيب ١١ / ٢١٣ - ٢١٨.

(٥) تقريب التهذيب ٢ / ١٢٨.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٠

لأنهم عثمانيون»، فقال ابن حجر بعد نقل هذا الكلام: «قلت: كيف لا ينسبونه إلى الكذب، وقد روى ابن عدى فى الكامل عن الحسن بن سفيان، عن عبد العزيز بن سلام، عن على بن مهران، عن بهز ابن أسد، قال: أتيت إلى أبى هارون العبدى، فقلت: أخرج إلى ما سمعت من أبى سعيد.

فأخرج لى كتاباً، فإذا فيه: حدثنا أبو سعيد: إن عثمان أدخل حفرة وإنه لكافر بالله.

قال: قلت: تقر بهذا؟!

قال: هو كما ترى!

قال: فدفعت الكتاب فى يده وقمت» (١).

ومن هنا قال الحافظ فى التقريب: «متروك، ومنهم من كذبه، شيعى» (٢).

لكن الرجل ليس بمتروك، فقد ورد حديثه فى كتاب من كتب البخارى، وفى اثنين من الصحاح، كما إن رمية بالكذب قد عرف السبب فيه، وهو التشيع، وهو ليس بضائر بالوثاقة كما تقرّر عندهم فى كتب روايه الحديث.

٢- رواية الخطيب البغدادي ... ص: ٣٦٠

قال: «أبنا عبد الله بن على بن محمد بن بشران (٣)، أبنا على بن عمر الحافظ، حدثنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، حدثنا على بن سعيد الرملى، حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشى، عن ابن شاذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريرة، قال:

من صام يوم ثمان عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم،

(١) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢) تقريب التهذيب ٢/ ٤٩.

(٣) كذا، والصحيح: علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، كما ستعرف.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦١

لَمَّا أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: أَلَسْتُ وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ؟!
قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: يخ بخ يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم.
فأنزل الله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ».

ومن صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، وهو أول يوم نزل جبريل على محمّد صلى الله عليه وسلم بالرسالة.

اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون، وكان يقال إنه تفرد به.

وقد تابعه عليه أحمد بن عبد الله ابن النيرى، فرواه عن علي بن سعيد، أخبرني الأزهرى، حدّثنا محمد بن عبد الله ابن أخى ميمى، حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيرى - إملاءً - حدّثنا علي بن سعيد الشامى، حدّثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شاذب، عن مطر، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريرة، قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذى الحجة.. وذكر مثل ما تقدّم أو نحوه» (١).

الطريق الأول:

* أمّا «ابن بشران»، المتوفى سنة ٤١٥، فقد ترجم له الخطيب نفسه:

قال: «علي بن محمّد بن عبد الله بن بشران بن محمّد بن بشر بن مهران بن عبد الله. أبو الحسين الأموى المعدّل ... كتبنا عنه، وكان صدوقاً ثقة ثباتاً، حسن الأخلاق، تامّ المروءة، ظاهر الديانة ... وكانت وفاته ... سنة ٤١٥» (٢ ... ٢).

وقال الذهبي: «الشيخ العالم المعدّل المسند، أبو الحسين علي بن محمّد ...

روى شيئاً كثيراً على سدادٍ وصدق وصحّة روايته، كان عدلاً وقوراً» (٣ ... ٣).

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٩٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٢

* وأمّا «علي بن عمر الحافظ» فهو الدار قطنى، المتوفى سنة ٣٨٥:

قال الخطيب: «كان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة والفقّه والعدالة وقبول الشهادة وصحّة الاعتقاد وسلامة المذهب ...

سمعت القاضي أبا الطيّب الطبرى يقول: كان الدار قطنى أمير المؤمنين فى الحديث» (١ ... ١).

وقال ابن الجوزى: «قد اجتمع له مع علم الحديث والمعرفة بالقراءات والنحو والفقّه والشعر، مع الإطاعة والعدالة وصحّة العقيدة» (٢ ... ٢).

وقال الذهبي: «الدارقطنى الإمام الحافظ المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذة ... كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله» (٣ ... ٣).

* وأما «أبو نصر حبشون» ورجال السند إلى آخره، فسيأتي الكلام عليهم عند البحث مع ابن كثير... الطريق الثاني:

* أما «الأزهرى»، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد البغدادي، المتوفى سنة ٤٣٥، فقد ترجم له الخطيب نفسه: قال: «كان أحد المعتمدين بالحديث والجامعين له، مع صدق واستقامه ودوام تلاوة، سمعنا منه المصنفات الكبار، وكمل الثمانين، ومات في صفر سنة ٤٣٥» (٤).

* وأما «محمد بن عبد الله بن أخى ميمى»، الدقاق، المتوفى سنة ٣٩٠:

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤.

(٢) المنتظم ١٤ / ٣٨٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٤٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٠ / ٣٨٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٦٣

قال الخطيب: «كان ثقة مأموناً، ديناً فاضلاً» (١).

وقال الذهبي: «الشيخ الصدوق المسند ... أحد الثقات» (٢ ...).

* وأما «أحمد بن عبد الله، المعروف بابن النيرى»، المتوفى سنة ٣٢٠:

قال الخطيب: «ثقة» (٣).

وقال ابن كثير: «صدوق» (٤).

* وأما «علي بن سعيد الشامى» وبقية رجال السند، فسيأتي الكلام عليهم.

تنبيه:

لا يخفى أن الخطيب البغدادي لم يتكلم على سند هذا الحديث، بل سياق كلامه - حين سكت عن الطعن فيه بشيء، بل ذكر المتابعة - اعتقاده بصحته، وتأكيده على ذلك.

والخطيب البغدادي قال الذهبي بترجمته: «الخطيب، الإمام الأوحى، العلامة المفتى، الحافظ الناقد، محدث الوقت، وخاتمة الحفاظ ... كتب الكثير، وتقدم في هذا الشأن، وبذ الأقربان، وجمع وصنف، وصحح وعلل، وجرح وعدل، وأرخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق».. ثم ذكر كلمات الأئمة في مدحه وإطرائه والثناء الجميل عليه بما يطول ذكره (٥).

٣ - رواية ابن عساكر ...: ص: ٣٦٣

رواه بطرق، فأخرج بسنده عن أبى بكر الخطيب، كما تقدم عن تاريخ بغداد حرفاً بحرف ... ثم قال:

(١) تاريخ بغداد ٥ / ٤٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٢٥٦.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ٢١٤.

(٤) البداية والنهاية ٤ / ٢١٤.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٧٠ - ٢٩٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٤

«أخبرناه عالياً أبو بكر ابن المزرفي، أنبأنا أبو الحسين ابن المهتدي، أنبأنا عمر بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن أحمد، أنبأنا علي بن سعيد الرقي، أنبأنا ضمرة، عن ابن شاذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة...»
قال: «وأخبرناه أبو القاسم ابن السمرقندي، أنبأنا أبو الحسين ابن النور، أنبأنا محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيري» «... ١».

الطريق الأول:

* أمّا «أبو بكر ابن المزرفي»، المتوفى سنة ٥٢٧:

قال ابن الجوزي: «سمعت منه الحديث، وكان ثقة ثباتاً عالماً، حسن العقيدة» «٢».

وقال الذهبي: «كان ثقة متقناً» «٣».

* وأمّا «أبو الحسين ابن المهتدي»، المتوفى سنة ٤٦٥:

قال الخطيب: «كان ثقة نبلاً».

وقال السمعاني: «كان ثقة حجة، نبلاً، مكثراً».

وقال أبي النرسي: «كان ثقة يقرأ للناس».

وقال الذهبي: «الإمام العالم الخطيب، المحدث، الحجة، مسند العراق، أبو الحسين محمد بن علي بن محمد ... سيد بني هاشم في عصره» «... ٤».

* وأمّا «عمر بن أحمد»، فهو ابن شاهين، المتوفى سنة ٣٨٥:

قال الخطيب: «كان ثقة أميناً».

(١) تاريخ دمشق ٤٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٢) المنتظم ١٧ / ٢٨١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩ / ٦٣١.

(٤) هذه الكلمات كلها في سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٤١.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٥

وقال ابن ماكولا: «هو الثقة الأمين».

وقال حمزة السهمي عن الدارقطني: «هو ثقة».

وقال أبو الوليد الباجي: «هو ثقة».

وقال الأزهرى: «كان ثقة».

وقال الذهبي: «ابن شاهين الشيخ الصدوق، الحافظ، العالم، شيخ العراق، وصاحب التفسير الكبير، أبو حفص عمر بن أحمد» «... ١».

* وأمّا «أحمد بن عبد الله بن أحمد»، فهو ابن النيري المتقدم.

* وأمّا سائر رجال السند فسيأتى الكلام عليهم.

الطريق الثاني:

* أمّا «أبو القاسم ابن السمرقندي»، المتوفى سنة ٥٣٦:

قال ابن عساكر: «كان ثقةً مكثراً».

وقال السلفي: «هو ثقة».

وقال الذهبي: «الشيخ الإمام، المحدث، المفيد، المسند، أبو القاسم إسماعيل بن أحمد» (... ٢).

* وأما «أبو الحسين ابن النور»، المتوفى سنة ٤٧٠:

قال الخطيب: «كان صدوقاً».

وقال ابن خيرون: «ثقة».

وقال الذهبي: «ابن النور، الشيخ الجليل الصدوق، مسند العراق، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النور البغدادي البراز» (... ٣).

(١) هذه الكلمات كلها في سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٣١.

(٢) هذه الكلمات كلها في سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٨.

(٣) هذه الكلمات كلها في سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٧٢.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٦

* وأما «محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق»، فهو ابن أخي ميمي المتقدم.

* وأما «أحمد بن عبد الله ... ابن النيرى» فقد تقدم أيضاً.

* وأما سائر رجال السند فسيأتى الكلام عليهم.

فظهر إلى الآن وجود الحديث في الكتب المشتهرة عند القوم، وروايتهم له بالأسانيد، وبعضها معتبر يقيناً.

فما ذكره ابن تيمية جهلاً أو تعصب.

وأما تلميذه ابن كثير الدمشقي فقد زاد ضغطاً على إباله، فقال:

«فأما الحديث الذى رواه ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريرة، قال: لَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَلِيٍّ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَهُوَ يَوْمٌ غَدِيرِ خَمٍّ، مِنْ صَامٍ يَوْمٍ ثَمَانَ عَشْرَةَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ كَتَبَ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا.

فإنه حديث منكر جداً، بل كذب، لمخالفته لما ثبت فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت فى يوم الجمعة يوم عرفه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بها كما قدمنا.

وكذا قوله: إنَّ صِيَامَ يَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وهو يوم غدیر خَمٍّ، يعدل صيام ستين شهراً؛ لا يصح؛ لأنه قد ثبت ما معناه فى الصحيح أنَّ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ بَعَثَهُ أَشْهُرَ، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً؟! منكر باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي - بعد إirاده هذا الحديث - هذا حديث منكر جداً.

ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيرى - وهما صدوقان - عن علي بن سعيد الرملى، عن ضمرة.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٧

قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبى سعيد، وغيرهم، بأسانيد واهية.

قال: وصدر الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله.

وأما: اللهم وال من والاه؛ فزيادة قوية الإسناد.

وأما هذا الصوم فليس بصحيح.

ولا والله ما نزلت هذه الآية إلّا يوم عرفه قبل غدير خمّ بأيّام. والله تعالى أعلم» (١).

أقول:

أولاً: هذا الحديث قد عرفت رواته وثقة رجاله، وبقي منهم:

* عليّ بن سعيد الرملي، وقد نصّ الذهبي على ثقته وإنّه لم يتكلّم فيه أحد، فقد قال:

«ما علمت به بأساً، ولا رأيت أحداً إلى الآن تكلم فيه، وهو صالح الأمر، ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة مع ثقته» (٢).

وقال الحافظ ابن حجر متعقباً له: «وإذا كان ثقة ولم يتكلّم فيه أحد فكيف تذكره في الضعفاء... قال البخاري: مات سنة ٢١٦» (٣).

* ضمرة بن ربيعة، المتوفى سنة ٢٠٢، وهو من رجال البخاري في الأدب المفرد، والأربعة:

«قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: رجل صالح، صالح الحديث، من الثقات المأمونين، لم يكن بالشام رجل يشبهه، وهو أحبّ إلينا من بقیه، بقيه كان لا يبالى عن من حدّث.

(١) البداية والنهاية ٥/ ٢١٣-٢١٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٤/ ١٢٥.

(٣) لسان الميزان ٤/ ٢٢٧.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ٣، ص: ٣٦٨

وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين، والنسائي: ثقة.

وقال أبو حاتم: صالح.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة مأموناً خيراً، لم يكن هناك أفضل منه» (١).

* عبد الله بن شاذب، المتوفى سنة ١٥٦، وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه:

قال الذهبي: «وثقه جماعة، كان إذا رُئي ذكرت الملائكة» (٢).

وقال ابن حجر: «صدوق عابد» (٣).

وقال أيضاً: «قال سفيان: كان ابن شاذب من ثقات مشايخنا.

وقال ابن معين وابن عمّار والنسائي: ثقة.

وقال أبو حاتم: لا بأس به.

وذكره ابن حبان في الثقات» (٤)...

* مطر الوراق، المتوفى سنة ١٢٩، ويكفي كونه من رجال البخاري في باب التجارة في البحر من الجامع، ومن رجال مسلم والأربعة (٥).

* شهر بن حوشب، المتوفى سنة ١١٢ أو ١١١ أو ١٠٠ أو ٩٨، وهو من رجال البخاري في الأدب المفرد، ومسلم، والأربعة. وهذا كاف في ثقته (٦).

وثانياً: اعتراف الحافظ الذهبي بتواتر صدر الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» وكذا بقوة سند قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) تهذيب الكمال ١٣/ ٣١٩-٣٢٠، ولاحظ سائر الكلمات في هامشه.

(٢) الكاشف ١/ ٣٥٦.

(٣) تقريب التهذيب ١/ ٤٢٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥٥ - ٢٦١.

(٥) تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٥١، تقريب التهذيب ٢/ ٢٥٢.

(٦) تهذيب الكمال ١٢/ ٥٧٨، تقريب التهذيب ١/ ٣٥٥.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٦٩

«اللهم وال من والاه» وتقرير ابن كثير وقبوله له، ردٌ لتشكيكات المبطلين، ومكابرات الضالّين، فالحمد لله الذي أجرى الحق على لسانيهما...

وثالثاً: حكمه بالبطلان على رواية صيام الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدیر خم؛ هو الباطل، وقد أجبنا عنه بالتفصيل في كتابنا الكبير «١».

ويبقى الكلام حول دعوى مخالفة الحديث لما في الصحيحين، وسنتعرض له في الرد على كلام ابن كثير الآتي:
وقال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم» ... ثم روى أحاديث وأقوالاً، منها:

«قال أسباط، عن السدي، نزلت هذه الآية يوم عرفة، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات».

«وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً».

«وقال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب، ... فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عشية عرفة في يوم الجمعة».

ورواه البخاري ... ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي أيضاً من طرق عن قيس بن مسلم، به.

ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري عن قيس، عن

(١) نفحات الأزار في خلاصة عبقات الأنوار ٨/ ٢٧٧ - ٢٨٤.

شرح منهاج الكرامة في معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٧٠

طارق، قال: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لآت / ذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حين أنزلت؟ وأين أنزلت؟ وأين رسول الله حيث أنزلت، يوم عرفة، وأنا - والله - بعرفة».

قال سفيان: وأشكُّ كان يوم الجمعة أم لا».

«وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا: يحيى الحماني، حدثنا قيس بن الربيع، عن إسماعيل بن سليمان، عن أبي عمر البزار، عن أبي «١» الحنفية، عن علي، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم عشية عرفة «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»».

«فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش بن عبد الله الصغاني، عن ابن عباس، قال:

ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وفتح بداراً يوم الاثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»، ورفع الذكر يوم الاثنين.

فإنه أثر غريب وإسناده ضعيف».

«وقال ابن جرير: وقد قيل: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس.

ثم روى من طريق العوفى، عن ابن عباس فى قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» يقول: ليس بيوم معلوم عند الناس.

قال: وقد قيل: إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مسيره إلى حجة الوداع. ثم رواه من طريق أبى جعفر الرازى، عن الربيع بن أنس».

«قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد

(١) كذا، والصحيح: ابن.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٧١

الخدري، أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خم حين قال لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه». ثم رواه عن أبى هريرة وفيه: إنه اليوم الثامن عشر من ذى الحجة، يعنى مرجعه عليه السلام من حجة الوداع. ولا يصح لا هذا ولا هذا.

بل الصواب الذى لا شك فيه ولا مرية، أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! وعلي بن أبى طالب عليه السلام، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبى سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ومسرّة بن جندب. وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله «١».

أقول:

أولاً: إذا كان لم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، فكيف جاءت الآية وسط أحكام لا علاقة لها بها، وبعدها حلال وحرام؟! إن وضعها فى هذا الموضع تمهيداً لأن يضع الوضاعون - بعد ذلك - الأحاديث المختلفة فى شأن نزول الآية المباركة؛ حتى تضع الحقيقة.

وثانياً: إذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد توفى بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً، وذلك فى الثانى عشر من ربيع الأول كما يقولون، فإن ذلك يتناسب مع نزول الآية يوم غدیر خم الثامن عشر من ذى الحجة لا يوم عرفة التاسع منه!

وثالثاً: هل نزلت الآية يوم عرفة؟! يوم جمعة؟!

فى رواية عن عمر: «عشيّة عرفة يوم الجمعة».

وفى رواية أخرى عنه، قال سفيان: «أشك أن كان يوم جمعة أم لا».

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٤-١٥.

شرح منهاج الكرامة فى معرفة الامامة، ج ٣، ص: ٣٧٢

وفى رواية عن علي - لو صحّت - : «عشيّة عرفة» فقط.

وفى رواية عن ابن عباس: «يوم الاثنين» بلا ذكر ل «يوم عرفة».

وفى رواية عن ابن عباس أيضاً: «ليس بيوم معلوم عند الناس» فلا عرفة، ولا جمعة!

وفى رواية عن أنس بن مالك: «فى مسيره إلى حجة الوداع» فلا عرفة، ولا جمعة، كذلك.

وفى رواية عن أبى سعيد الخدري وأبى هريرة: «اليوم الثامن عشر من ذى الحجة» يوم غدیر خم.

وفى رواية أخرى عند البيهقي: «أنها نزلت يوم التروية» «١».

وفى رواية النسائي، عن طارق بن شهاب، عن عمر - وهو سند البخارى نفسه - :

«قال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والليلة التي أنزلت، ليلة الجمعة، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعرفات» (٢).
فالأحاديث متعارضة..

وحتى التي عن عمر بن الخطاب!!
فالحق:

هو ما قاله أئمة أهل البيت عليهم السلام، ورواه كبار الحفاظ وأعلام العلماء من أهل السنة عن عدة من الصحابة، من أنها إنما نزلت يوم غدیر خم، بعدما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبته التي قال فيها ما شاء الله أن يقول، وجاء فيها - بعد أن أخذ بيد علي أمير المؤمنين: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»...»

(١) فتح الباري ٨ / ٢١٨.

(٢) سنن النسائي ٥ / ٢٥١.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...
- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في أكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقه و مكتبته، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(هـ) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جمران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان "و مفترق" وفائي" / "بنايه" القائمة

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزات الحالية لهذا المركز، شعبية، تبرعية، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

